



جامعة وهران 2
كلية العلوم الاجتماعية

أطروحة

للحصول على شهادة دكتوراه علوم في الأنثروبولوجيا
المدرسة الدكتورالية في الأنثروبولوجيا

الجنـدر مـا بين الـهـجـرة و التـنـوع الثـقـافـي
دراسة سوسيو-أنثروبولوجية بمنطقة تيارت

تحت إشراف: الأستاذ الدكتور
مولاي الحاج مراد

من تقديم الطالب:
حطاب حطاب

مقدمة ومناقشة علنا يوم 13 سبتمبر 2023:

أمام اللجنة المكونة من:

اللقب والاسم	الرتبة	المؤسسة الاصلية	الصفة
حجيج جنيد	أستاذ	جامعة محمد بن أحمد وهران 02	رئيسا ومقررا
مولاي الحاج مراد	أستاذ	جامعة محمد بن أحمد وهران 02	مشرفا ومؤظرا
بن تامي رضا	أستاذ	جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان	مناقشا
بريجة شريفة	أستاذة محاضرة أ	جامعة محمد بن أحمد وهران 02	مناقشا
بن عطية حاج ميلود	أستاذ محاضر أ	جامعة مصطفى اسطبولي-معسكر	مناقشا
كيم صبيحة	أستاذة محاضرة أ	جامعة عبد الحمديد بن باديس مستغانم	مناقشا

العام الدراسي: 2023/2022

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
مدرسة الدكتوراه في الأنثروبولوجيا



بالشراكة مع:

جامعة محمد بن أحمد - وهران 2 (الجامعة المؤهلة)

جامعة عبد الحميد ابن باديس - مستغانم

جامعة عبد الحميد مهري - قسنطينة 2

جامعة مولود معمري - تيزي وزو

جامعة عبد الرحمان ميرا - بجاية

جامعة أحمد دراية - أدرار

جامعة محمد خيضر - بسكرة

جامعة خرداية

المركز البحثي في الأنثروبولوجيا الاجتماعية و الثقافية

شكر ومعرفة

الحمد والشكر والمنة لله العليم الحكيم.

الشكر للوالدين الكريمين على التربية والتعليم و النصح والتوجيه.

الشكر للأستاذ المطر والمشرف والموجه مولاي الحاج مراد.

الشكر للزوجة التي آمنت بما افعل وساعدت بكل ما أوتيت من صبر وقوة

الشكر لمساعدة الأخت الكريمة .

الشكر لكل المبحوثين والمخبرين الذين ساعدوني في انجاز البحث .

الشكر لهيئة الأساتذة واللجنة العلمية التي قدرت هذا المجهود الأكاديمي و منحي فرصة

لمناقشته.

الشكر لكل الباحثين والأساتذة بجامعة وهران 2 و مركز البحث (cracs).

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل الصالح إلى روح والدي وأخي .
إلى كل الباحثين المؤمنين بالحرية والعلم والتقدم.
إلى كل الزملاء والأصدقاء.

مقدمة عامة

02.....	مقدمة.....
28.....	الإشكالية.....
35.....	الفرضيات.....
36.....	نموذج المفاهيم النظرية والإجرائية.....
56.....	الإطار النظري للدراسة.....
58.....	حدود الدراسة.....
58.....	منهج الدراسة.....
60.....	الادوات والتقنيات.....

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة-من المعطى إلى المبنى والمعنى

مقدمة

65.....	<u>الفصل الأول: جسد الإنسان وثنائية الطبيعة والثقافية</u>
	تمهيد
65.....	1-الجسد مبحث الدراسة والتدبير.....
70.....	2-الجسد انثروبولوجيا-نحو الإنغراس الثقافي.....
76.....	3-الجسد سوسيولوجيا أو في أداة الاستدماج والتواصل.....
81.....	4- الجسد بين الهوية والذات(النقلة).....
	خلاصة

86.....	<u>الفصل الثاني: الإنسان بمفهومه الأوسع والمتعدد-أبعاد الثقافة</u>
	تمهيد
86.....	1-التواصل الثقافي(الثقافة محصلة تواصل.....
108.....	2-الثقافة والهوية بين العابر -البيئي -المتداخل.....
122.....	3- علائقية الوحدة والتنوع بين الخصوصي والكوني.....
138.....	4- أبعاد ديناميكية التنوع الثقافي.....
	خلاصة

145.....	<u>الفصل الثالث: سوسيولوجيا الثقافة والبعد الثالث</u>
	تمهيد
145.....	1-الذات والموضوع في السوسيولوجيا الألمانية.....
161.....	2 -الكلية الموضوعية للثقافة(السوسيولوجيا الفرنسية).....
171.....	3-سوسيولوجيا المركب والمعقد.....
178.....	4 -الثقافة كسيولة وتدفق.....
	خلاصة

خاتمة

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية - أبعاد ممارسة الأدوار الجندرية

مقدمة

185.....	<u>الفصل الرابع: جندرة مجال الهجرة وفضائها</u>
	تمهيد
185.....	1- جندرة الهجرة(Gendering migration).....
195.....	2- سياقات مختلفة للذكورة والأنوثة.....
210.....	3-البعد النفسي-الثقافي للجندر والهجرة.....

226 4- الامتداد العائلي وتكوينه بالمهجر (الأدوار الجندرية الوالدية) خلاصة

243 الفصل الخامس : فضاء الهجرة من الذكورة إلى الذكورات ومن النسوية إلى النسويات

تمهيد

243 1- الجندر والنسوية

250 2- التجربة النسوية للهجرة بين التبعية والتفعيل الذاتي

260 3- ذكورات وأنوثات زخحات ثقافية وتقاطعات متفرعة

269 4- ادوار جندرية للمهاجرين العائدين بين الحتمية الاجتماعية والنسبية الثقافية

خلاصة

279 الفصل السادس: المهاجر في مسارح الحياة اليومية أداوات وإنجازات ورهانات واستعراضات

تمهيد

279 1- سوسولوجيا الحياة اليومية (Daily life. Everyday life)

283 2- الهجرة مجالاً للتفاعل والتكثف من الأجنبي والغريب إلى الوسيط المثالي

289 3- الجندر أداء وإنجاز وتراكيب واستعراض بالمهجر

294 4- الجندر والطقسنة العابرة (اللاعب والوكيل القواعد والموارد والاستثناء)

خلاصة

خاتمة

الباب الثالث: الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الثقافي الديناميكي

مقدمة

305 الفصل السابع: ديناميكية التنوع أساس حيوية المجتمع التعددي

تمهيد:

305 1- الهجرة من منظور كوني محلي (Glocalization) أو في أفق الكريولية (Creolisation)

317 2- الإثنية والأقلية والعرقية بالمهجر

325 3- التعددية الثقافية والدولة القومية مقابل مسألة الهجرة

324 4- العيش المشترك والتكيف الثقافي

خلاصة

342 الفصل الثامن: حراك التنوع والتعدد الثقافي بالمهجر

تمهيد

342 1- المهاجر المستوطن/المواطن

351 2- الخصوصي والعمومي والكوني (البحث عن الاعتراف)

358 3- المسافة الاجتماعية والأبعاد الثقافية بالمهجر (The proximity)

364 4- التجربة الإسلامية الألمانية (وسوسولوجيا التعصب والتطرف)

خلاصة

377 الفصل التاسع: الهجرة أفقا للتواصل العبر-ثقافي المكثف

تمهيد

377 1- الهجرة وسوسولوجيا الاندماج

386 2- التداخل الثقافي والثقافة الفرعية بالمهجر (من المعازل إلى شيوخ التجربة الذاتية)

392 (Homo faber.and full connections أنثروبولوجيا الهجرة والتواصل الثقافي 3-

400 (من الواقع العادي إلى التوقعات الافتراضية) . 4- الهجرة سلسلة تواصل ثقافي مستجد

خلاصة

411 إستنتاج ومناقشة

437 الخاتمة

440 المصادر والمراجع العربية والأجنبية

457 الملاحق: .

الرقم	العنوان	الصفحة
01	تحليل مقياس ليكرت الخماسي حول موقف جندي	193
02	علاقة الغلمان والأعراف لوفاء الإدارسي	197
03	/ قوانين دعم حرية المرأة بالمهجر سبب في فشل تماسك الأسر؟/ حرية الأبناء(18+) من الجنسين عائق لتماسك الأسرة بالمهجر؟	226
04	تحليل مقياس ليكرت الخماسي لمحور علاقات التنوع الثقافي	229
05	محور تحليل ليكرت لفقرات درجة الانفتاح حول الجنسين والأجناس المختلفة	230
06	/مقياس سبيرمان للفقرة الأولى الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين؟	231
07	/معامل الارتباط سبيرمان بين متغير المستقل الجنس والفقرة الخامسة زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الأسرة	232
08	لقياس متغير الحالة المهنية مع زواج الجزائريين ببعضهم بالمهجر	241
09	الرأي حول المرأة المهاجرة	266
10	حول تصور الرجولة	266
11	معامل الارتباط بين الحالة العائلية * موقفك من الإقامة السكنية مختلطة الجنسين	326
12	مراحل تشكل الكفاءة البين ثقافية للفرد	341/340
13	الأنماط التواصلية	362
14	المسميات الألمانية وجوهرها	366
15	التركيبة العرقية للمسلمين المهاجرين	369
16	التعرض للعنف بالمهجر	374
17	معدل ارتباط المتغيرات فيما بينها لتفسير المنهج والنظرية المتبعة	420/419

فهرس الأشكال

الصفحة	العنوان	الرقم
121	التابع وموقع الثقافة والتدفق الثقافي	01
137	الناتج المتبادل بين الفاعلين والتعريف بالهوية الشخصية	02
151	النظرية الزيملية	03
159	نظرية نوربرت الياس	04
231	رسم بياني للأعمدة: مقياس سبيرمان للفقرة الأولى الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين	05
232	رسم بياني للأعمدة: معامل الارتباط سبيرمان بين متغير المستقل الجنس والفقرة الخامسة زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الأسرة	06
242	رسم بياني للأعمدة: لقياس متغير الحالة المهنية مع زواج الجزائريين ببعضهم بالمهجر	07
266	رسم بياني للأعمدة يوضح: حول تصور الرجولة	08
335	الذات والمجتمع والثقافة في الحياة اليومية	09
363	المسافات الاجتماعية والمنافسة بين الأنواع في الحياة اليومية	10
374	رسم بياني يوضح: التعرض للعنف بالمهجر	11

مقدمة عامة

مقدمة:

منذ 2015م كنت قد شرعت بالبحث في موضوع الهجرة نحو ألمانيا، كوجهة مغايرة عن التي اعتدناه نحو فرنسا، هذا البحث قدم لنيل شهادة الماجستير في الأنثروبولوجيا¹، ركزت فيه وقتها على الأسباب والعوامل التي دفعت بالشباب إلى الهجرة؟، من مدينة تيارت نحو ألمانيا، كوني أنتمي إلى هذه المنطقة، أعرف ما الذي تعنيه الهجرة إلى ألمانيا؟، وماذا تمثل ألمانيا لهؤلاء الشباب؟، أردت وقتها لفت نظر المتخصصين في دراسات الهجرة إلى أن هناك شتات مهمل من حيز الإعتناء بالدراسة والبحث.

دافعت عن الأطروحة الثقافية كأهم عامل دراسي لخصوصية الهجرة الجزائرية، والخروج عن حصرها في أسباب هجرة العمالة (الدافع السوسيو-اقتصادي)، و هجرة التجمع العائلي، والبحث عن عمل، إلى ضرورة تتبع القرارات الفردية والتشكيلات الشبكية الاجتماعية، كجملة فاعلة ضد **الإنسداد الثقافي** الذي نعيشه ككل، واستدلت وقتها بمقابلات ميدانية توضح حالات لا بأس بها من الناحية الاقتصادية والاجتماعية، لكنها أبت إلى العيش في المهجر (ألمانيا)، و تساءلت لماذا نفس العمل الذي يقوم المهاجر به هناك ويرضاه يرفضه هنا؟، كالعامل في مقهى مثلا، فهل الفارق اقتصادي فقط؟.

هذه العلاقة بين البعد الثقافي والشبكات الاجتماعية المكونة، والمتوالدة بدافع الهجرة، لم تجعلني أتخطى الأسباب والعوامل الأخرى: كالسياسية والاقتصادية، بل كنت أرى أنه لا يمكن الفصل في فهم أسباب الهجرة دون تجمعها كلية (دون تجزيء- Without Fragmentary). حاولت البرهنة أن: (المربع السببي أو العامل: السياسي، والاقتصادي، الاجتماعي، الثقافي) مهم في فهم المهاجر الجزائري وظاهرة الهجرة ككل، ليس فقط إلى ألمانيا، وإنما فعل الهجرة والمغادرة أساسا، مجالا وثقافة، وإيمانا مني بأن هناك خصوصية جزائرية، تتمثل في وجود إنسداد ثقافي "L'impasse culturelle"، توجب العناية به، من الزاوية الأنثروبولوجية الثقافية السلوكية. فتصبح الهجرة فصلا لهذه الحالة والوضعية.

لماذا الاهتمام بالبعد الثقافي؟، إن الحالات الميدانية التي شاهدها وعاشتها لم تكن تعاني من بطالة أو أنها لا تملك مستقبل وظيفي، كطبيب مثلا، أو كونها بدون سكن بالعكس، العامل المادي متوفر، لكن هناك نقص في غياب الشعور بالحيوية والسلاسة بالحياة اليومية.

¹ خطاب خطاب، واقع هجرة الشباب الجزائري إلى ألمانيا، مقارنة أنثروبولوجية لشباب مدينة تيارت، رسالة الماجستير، غير منشورة، الجزائر، جامعة محمد بن احمد وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2017.

إنه لمن الصعب احتراف التوازن بين آلية الدخول والخروج في الحقل البحثي، إلا أنه يعطي نتائج جيدة ورصد لحركات التغيير والتحول.

- هناك امتداد في الدراسة يوضح كل غائبة في الموضوع السابق ويفتح آفاق جديدة للبحث.

- إعطاء الموضوع حقه زمانيا ومكانيا، وفتح السبل المعرفية الحقيقية له.

- التحقق من بعض الفروض والآراء و حتى أقوال المبحوثين أثناء فترات العودة.

أهم شيء جعلني استمر في البحث في هذا المجال هو أن المبحوثين (من الشباب الراغبين بالهجرة أو المهاجرين المقيمين أو العائدين)، كانوا يؤكدون لي دوما حين أسألهم عن علاقتهم بالأجنبية فيجيبون بـ:

" ندخلها للإسلام ونعيش معاها"¹ نلبسها الجلباب" واحد كي يكون في ألمانيا

يجيد روحه وما يخالطش منواله من خدمته للدار " أنا منقدرش نعيش مع واحدة

وننزوجهها وهي تدخل وتخرج كيما تحب و مع من تحب ووقت الي تحب " .

هنا تفجرت أسئلة لديّ تبحث في ماهية العلاقة الحقيقية بين " شاب " ومهاجر " نحو ألمانيا ؟، هل هذه مجرد نزوة عابرة للتقليد الهجروي²؟، أم هو إشارة لفشل مشروع الهجرة؟، إذا كانت الهجرة حراك اجتماعي فهي بالتالي عملية تفاعل نتاج التثاقف تلقائيا، فهل كل هذه السنوات بقي الشباب منغلقيين على أنفسهم؟، لدرجة أن فعل الهجرة وثقافتها لم يغيّر شيء عن تصوراتهم الذكورية والأنثوية تجاه بعضهم البعض؟، لماذا يضع المهاجر/المهاجرة دوما شروط واستراتيجية " الأسلمة " كأساس جوهرى ضامن لعلاقت(هـ)(ها) مع الزوج(ة) الأجنبي(ة)؟، هل هو التعلق بالدين أم وضع خطة مسبقة لتحقيق " الهيمنة ذكورية والأبوية لاحقا"؟، أو حتى تكتيكات للعودة فيما بعد؟.

هذا ما جعلني أركز على البعد الثقافي في دراسة حركة الهجرة عموما، كيف بترسانة قوانين الاتحاد الأوروبي، وقوانين الأسرة الألمانية، وطول مدة الإقامة(هناك فترة لا تقل لكل مهاجر عن 10 و20 سنة) بهذا منذ: 1979م و1990م، إلى غاية يومنا هذا، وما زال يقاوم ثقافيا

¹ خطاب خطاب، المرجع السابق.

² "التقليد الهجروي" لفظ أردت أن أفصح بها عن نزعة محاكاة وتقليد لفعل الهجرة دون غاية أو هدف ثقافي واجتماعي يمس المهاجر وجماعته ومجتمعه ككل(فشل مشروع الهجرة)، كلمة نميزها لغويا عن التقليد الهجري الذي هو اساس الرزنامة الإسلامية، فلفظة "هجروي" قريبة من معنى النزعة أكثر من هجري.

بحضوره بالمهجر؟، وتمسكه بثقافته الذكورية والأبوية، مقابل الخضوع والطوعية الأنثوية على أرضية ثقافية متباينة؟.

هناك مقاومة هوية (التطابق) (Identification) - أستخدم مفردة هوية عوضه وبيانية للدلالة والتمييز بين الانتماء المنغلق على الذات العنيفة المقاومة، والهوياتية التي اسأها الانتماء للتمييز والمفارقة فقط، لكن هوية تميل الى الاقصاء والتهميش والعنف تجاه الغير كممارسة وليس مجرد صفة و اسم كهوية وهوياتية - عنيفة لدى غالبية هؤلاء المهاجرين، سواء بالمجتمع الأوروبي عموماً أو الألماني بالخصوص، فأغليبتهم يفتخرون وقت العودة أمام أهاليهم، أن زوجاتهم دخلن الإسلام، وتطبخن الكسكس" امرا نتاع الدار"، كما أن الذكر يفعل ما يشاء، و ضامن لموقعه الاجتماعي أثناء العودة فيما بعد، أما النسوة فتتخذ إستراتيجية مطولة، لضمان العلاقات الأسرية (تربية الأبناء).

هذه الإستراتيجية تضمن للفاعل الاجتماعي العديد من الأشياء هي:

- بقاء التفاعل داخل الشبكة الاجتماعية هناك في ألمانيا، من حيث تأمين العمل والمبيت والإقامة والجنسية خاصة في البداية.

- إن إجتماع المهاجرين الجزائريين مع المغاربة والأتراك هناك، هو تشكيل شعور جمعي بالوحدة والتضامن، والذي قد يهدد ايضاً من قبل كل اشكال العنف والعنصرية، خاصة بشرق ألمانيا وجنوبها من وقت لآخر.

- المساجد والصلاة والهوية الإسلامية خاصة التجمع المغاربي تعتبر ضمان لجسر العودة السلس حتى لا يشعر المهاجر بالعزل والاستبعاد، ويسهل عليه ترتيب أدواره الاجتماعية.

- حوادث الاغتصاب التي حدثت بكون (kolin) ليلة رأس السنة 2015م في ألمانيا. إرتفعت حدة التوتر السياسي والاجتماعي وتلتها حوادث عنف كثيرة بألمانيا وإيطاليا" شاحنات دهس المواطنين" وفرنسا " شارلي ايبود" والمتهم من جنسية مغربية؟.

يقودنا هذا إلى فحص قيم التنوع الثقافي وافرازاته ومؤشراته العابرة والمتداخلة والمتفاعلة والمتكيفة، فلم يعد الإدماج السوسيو-الاقتصادي كافياً، لاحتواء الهجرة، بل المسألة عميقة و متجذرة في السلوك التواصلي وبنيته الثقافية.

كان حدث بناء مسجد" غوته ابن رشد" بألمانيا حدث آخر، يبرز من خلاله صراع القيم الذكورية والأبوية في تجربة الإسلام بألمانيا، إسلام المهاجرين بالخصوص.

إن موضوع الجندر ما زال يحتاج جهد معرفي ونظري لفسح المجال أمام أرضية نقاشات واضحة، وهذا ما أحاول تقديمه في هذه الدراسة خاصة الانتقال من - إلى (من ذكورة إلى

ذكورات، أنوثة- أنوثات، نسوية - نسويات، ثقافة - ثقافات، هجرة - هجرات...)، من المنفرد إلى المتعدد (برنارد لاهير "الإنسان المتعدد") من الثابت إلى المتحول، من التوجه إلى العبور، فالتنوع ما زال مفهومه هو الآخر "كليشياً" ولا نستطيع رؤيته إلا في وضعية ثابتة وبحركة ميكانيكية، وهو في الأساس أوسع بكثير للعمليات الثقافية الاتصالية والاجتماعية، الأمر اليوم أصبح أكثر ديناميكية، وذوبان الحدود بين المحلي والكوني (Glocalization) وتقاطع التخصصات (Interdisciplinary) وظهور ما يسمى بالتقاطعية (Intersectionality)، والعوامل الثقافية والسلوكية، الفردية والجماعية، ما يجعلنا نركز على تتبع طرق (العبر -ثقافية والبين -ثقافية والتداخل-الثقافي) (Inter-). Cross-cultural. Transe-cultural. cultural)، أي من أنثروبولوجيا الإنسان الأوحى إلى الإنسان المتعدد (Plural)، الذي ينقلنا من الثقافة الواحدة، الى الثقافات المتعددة -**المتشكّلة انبائياً**-، على مستوى الفرد و المجتمع - (أنطونيو غيدنز التشكّل البنائي)، و ايميل كملিকা (التعددية الثقافية).-..، وهذا ما يمكن إسقاطه عبر حركة الهجرة وتفاعلاتها وانعكاساتها، العابرة للأوطان والهويات والقوميات، هذا العبور الهوياتي الثقافي أساسه الجسد والاجتماع الانساني، الجسد الفيزيقي والمخيال والتمثلات والأدوار التفاعلية والعمليات المنجزة (الانجاز، الدور، والممارسة: ثلاث محاور جندرية اساسية)، **فقد نرى في الفصول القادمة الكيفية المتداخلة** لمحاور الدراسة، مع الأطر النظرية الكبرى ل: الفينومينولوجيا (ألفرد شوتز والأجنبي) والإثنوميثودولوجيا (الجنرل لهارولد جارفينكل) والتفاعلية الرمزية لإرفنغ غوفمان (الأداء، الاستعراض، التركيب) وهربرت ميد (الذات والمجتمع)، وجورج سيمل (الغريب، الجسر والباب، تراجيديا الثقافة) هي مقولات علمية نحاول جعلها عملية معرفية بنائية داخل حقل الدراسة النظري والإمبريقي.

إن فترة البحث بين 2017-2022 جعلتني أقترّب أكثر من المنطقة واستكشف بواطنها كحضر وريف، إلا أن الطابع الغالب يمتد إلى الذهنية والسلوك المريف (العجار، الحرمة، المسافة بين الجنسين في وسائل النقل والأماكن العامة...)، و الطباع الخشنة والحادة فيما يخص التمييز الجنسي والعنف الجسدي المفرط في ذكوريته (HYPER MASCULINITY)، إن المهاجر الجزائري هو أحد أبناء هذه المنطقة يستقي خلفية سلوكه من هذا المصدر، وستكون الهجرة إما صدمة وقطيعة، أو محاولة للتوازن فيما بينهما، أثناء التفرعات والتمثلات الجندرية بالحياة اليومية وتحولاتها، والنقطة المهمة أن للجنر علاقة مباشرة بالتنوع الثقافي، فمتى إختل التوازن بين الجنسين، إختلت التوازنات الثقافية الأخرى، بالأخص في الهجرة.

الزمن والمكان هو إحتكار ذكوري، فبعض الأمكنة لا يمكن للنساء المشي فيها بحرية مثل: الزمن الليلي، قلما تجد نساء يشاركن الرجال فيما يفعلونه ليلا، في مطاعم أو مقاهي أو قاعات الإنترنت، إلا مع الأب أو الأخ أو الزوج (المعيل، البعل، المحرم...).

سكان المنطقة ليسوا على تركيبة واحدة أو على نمط واحد، ففترة السبعينيات والثمانينات تختلف عن فترة التسعينات وبداية الألفية الثالثة، خاصة من حيث العلاقة بين الجنسين، تغيرت التركيبة والذهنية وأصبحت أكثر عنف وتحيز ذكوري واوبوية متسلطة."

حركة الهجرة نحو ألمانيا بدأت بعلاقة السكان المحليين، مع العمال الألمان بمصنع السباكة الحديدية، ثم بناء علاقات وجسور الهجرة في التسعينات، ثم انتشار هذه الشبكات في عام 2000م، أماكن انطلاق الهجرة بكثافة: ولاية تيارت واحيائها مثل: حي لومبار (الامير عبد القادر): حي لاسيا (النصر)، حي زعرورة ، بلدية الدحموني، واد ليلي، و الرحوية، فرندة والسوقر... الخ.

هناك هجرة نسوية مختلفة عن التي كنا نسمع بها مثل التجمع العائلي وهجرة الدراسة والعمل، بل يوجد هجرة نسوية فردية وزواج بالأجانب والاستقرار خارج البلاد.

فلم تعد النساء اليوم ترغبن بالعمل و فقط، بل إن صناع محتوى الهجرة النسوية على الإنترنت مختلف عن الذكور من حيث مشروع الهجرة ومؤثر جدا.

هناك حراك هجروي نسوي بعوالم مختلفة و أبعاد متميزة يجعلنا نعيد النظر في الأدوار الجندرية للجنسين من خلال فعل الهجرة وثقافته، فما أركز عليه وأبحث عنه من خلال (الجندر والهجرة) ليس (نسونة الهجرة)، بل التأثير الذي يخلفه كلى الجنسين، بأدوارهم الذكورية والأنثوية التقليدية و التراتبية الهرمية بينهما، وطبيعة السلطة هنا وهناك، ما يجعلني أبتعد وأخرج عن أي تحيز في دراسة الهجرة لجنس واحد، سواء كان ذكرا أو أنثى، أو هنا وهناك، بل العمل على رؤية تفاعلية لتلك الأبعاد المتقاطعة، والعوامل المؤسسة لمواقفه وأدوارهم واستعراضاتهم المركبة في حراك الهجرة، من الانطلاق والعبور إلى الوصول.

خلال فترة 2019م تداخل بحثي مع الحراك الاجتماعي والسياسي للجزائر، فحاولت التركيز على الأدوار الذكورية والأنثوية، والعلاقات الفردية والجماعية، فالحراك هو تعبير اجتماعي والهجرة جزء من هذا التعبير الفردي والاجتماعي النسوي والذكوري.

من جملة ما لاحظته وأريد ربطه بحراك الهجرة والتغيرات في الأدوار الجندرية هو كالاتي:

-المرأة دائما في حماية الزوج أو الأخ ككل أو أثناء المسيرة ضد بعض المتحرشين.

- خروج نساء يرتدين "العجار والملحفة" (اللباس التقليدي بالمنطقة). (الملحق ص 467).

- اعتبار الحركة النسوية اختراق للحراك المجتمعي ورسالته. (الملحق ص 467).

هناك أيضا حملة انتشرت في وسائط الاتصال الاجتماعي، ضد الفتاة التي خرجت لممارسة الرياضة وكان عنوانها (هاشتغات): "بلاصتك في الدار ماشي في الشارع"، "بلاصتي عند راجلي ماشي في الزنقة" (الشارع)، كما هو موضح في (الملحق ص 464-466)،

في فترة انتشار الوباء العالمي (Covid -19) حاولت إتمام البحث بإجراء تواصل مع المهاجرين الجزائريين بألمانيا وتتبع حياتهم عبر قنواتهم وحساباتهم الخاصة، ومساعدتي في إجراء إستبيان إلكتروني- (Netnography¹) - وقتها من المعيش اليومي الجزائري بألمانيا.

تبقى الدراسات المحورية أساس أي بحث في الهجرة مثل: الباحث الأب لسوسيولوجيا الهجرة الجزائرية عبد المالك صياد، والباحثين المغاربة و التونسية واللبنانيين المتخصصين بالجندر والحركة النسوية ك: "نوال السعداوي في مصر، فاطمة المرنيسي بالمغرب، وآمال قرامي بتونس ومالك شبل بالجزائر وعزة بيضون بلبنان... الخ.

تتلخص أهمية الدراسة في إبراز قيمة الدراسات الكلاسيكية الأساسية حول الهجرة مثل: "زيمل" وشوتز" الأجنبي والغريب، والجسر، والعناية أكثر بالكتابة عن ذواتنا كثقافات ومجتمعات مسئولة عن رؤية ذاتها من الداخل "الانثربولوجية المنزلية"، فجنرة الهجرة هي دراسة تهتم بالطريقة والأسلوب الذي يمارسه الجنسين في كتابة رحلتها وتجربتها وممارستها عبر ثقافات مختلفة، إنطلاقا من الجسد إلى العالم، كما أن الدراسة تركز على أن الباحث والمبحوث علاقة تكاملية تعاونية لإنتاج معنى ومعرفة وبناء واقع، فلم تعد تلك العلاقة الإنفصالية بينهما مجوفة و مجردة من المعنى، فالمهاجر هو باحث والباحث مهاجر، فالهجرة دلالة استكشافية، يعتبر المهاجر فيها مستطلعا ومنغرسا وناقلا ثقافيا، وبهذا نكون على أهمية قصوى للخروج من دائرة الصراع والثنائية بين "هنا أو هناك"، "أنا أو الآخر"، فالبعد الثقافي السلوكي مرن مرونة التشكلات والانبثاقات الثقافية المختلفة، ما يستدعي مقارنة منهجية تقاطعية متعددة تستوعب التنوع الديناميكي.

نهدف من خلال هذه الدراسة: إلى إعطاء أولوية للجندر وإدراجه ضمن المواد الدراسية في شتى التخصصات والأطوار الجامعية، ليس فقط كموضوع بحث أو مفهوم أو نظرية، فالجندر هو

¹ هو البحث عن طريق الانترنت، هو منهج منبثق من البحوث الانثروغرافية على الانترنت لفهم التفاعلات الاجتماعية المعاصرة وتعيين التواصل الرقمي في سياقات خاصة للتليل والتصنيف وملاحظة التمثلات والمشاركات ما بين الفاعلين الاجتماعيين المتنوعين اثنيا.

علم مستقل بذاته يستقطب عدة تخصصات متداخلة يحتاج إلى تثمينه بالمراكز البحثية وفرق البحث بالمخابر أيضا والعناية بالظواهر الاجتماعية المستجدة.

تبرز دراستنا قيمة العلاقة بين الجندر والتنوع الثقافي من خلال ظاهرة الهجرة، فالكثير من المشاكل والانشغالات تدرج في هذه العلاقة الثلاثية بينهما، متى استوعبناه، استوعبنا كلية عملية الهجرة.

نحاول أيضا إقرار قيمة التنوع الثقافي كأسلوب في حياتنا اليومية والنزول من أعلى هرم الجامعة إلى قاعدة القيم والمعايير الاجتماعية، لأجل تحسين الكثير من التصورات عن الذات والآخرين، فكثير من المشاكل في المهجر تبرز افتقارنا في فهم و استيعاب قيم التنوع، فالسلوكات العنيفة و الاقصائية تعبير عن هذا.

إن ظاهرة الهجرة لا تتوقف والحدود لا يمكن غلقها والحفاظ على قوقعتنا ومنع الإنسان عن فعل الهجرة، فذلك وجب تنظيمها أكثر وتعزيز قيم التعايش، بالأخص شعوب وثقافات البحر الأبيض المتوسط.

الهجرة بكل أنواعها من المواضيع المهمة للفرد والمجتمع، فهي ظاهرة عالمية سجلت الإنسانية عبرها تجارب عدة، مست فعل المغادرة، ونقطة الوصول والاستقبال، لكن بين المغادرة والاستقبال هناك مساحة مهمة لا نرصدها كثيرا : العبور، (العابر الثقافي، بين-ثقافي)، وهي مساحة مكانية وزمانية تكشف الكثير من التفاصيل في مسار الهجرة، انه حيز ثقافي وفيزيقي، فردي وجماعي، محلي وعالمي.

تعددت أساليب المغادرة وأسبابها، كما تكشفت مغريات الوصول إلى هناك، واختلفت العوامل وراء ظاهرة الهجرة، لكن يبقى الانسان المحور الأساس في العملية، هذه العملية الدينامية المستمرة في التفاعل وافرار مختلف السلوكيات الفردية والجماعية، المبنية على جملة من التصورات والتمثلات بفعل الهجرة أو ضدها أو عبرها.

الدارسيين في الاثنوغرافيا والأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا مثل الانسان المهاجر، فهو يفكر في ايجاد استراتيجية ما، تكتيك ما، ليتموقع داخل الجماعة أو يتموضع داخل مفاصل الحياة اليومية، فهو ذات الأمر تماما، وكأن الباحث مهاجر وأجنبي وغريب في علاقته بموضوعه وميدانه، وهدفه في ذلك كشف الحقيقة، وأبنيتها الاجتماعية ومعانيها المفردة والسلوكيات الناجزة والممارسات المنمطة، فالهجرة اليوم لا يمكن رؤيتها من خلال عدسة واحدة، أي تغليب عامل دون آخر، بل هي أكثر من ذلك في تفسير أسبابها وتحليل نتائجها وافرزاتها الثقافية، فلم يعد

الأمر يعتمد على محور دون آخر، بل في تداخلهم وتعدددهم لأجل الفهم، ولا يكفي ذلك إذا لم نعتني بالمساهمة الفردية كتفصيل تفاعلي، هو الآخر قد يقلب الأدوار أو يكسر صور نمطية سابقة إن: "التوجه الجديد للإثنوغرافيا الجديدة...، التي تقوم على توجيه التحليل الاجتماعي للدراسة، وبناء الواقع اليومي والتفاعل الاجتماعي... ونتاج أبنية التفاعل الاجتماعي ولا تعد المعايير الاجتماعية التي تعبر عنها بالكلمات انعكاسا لنظام اجتماعي أخلاقي محدد، بقدر ماهي انجازات مستمرة في عملية صياغة الأشخاص الفاعلين"¹.

إن حراك الهجرة هو تعبير عن إنشغال إنساني ونفسي-ثقافي، فردي وجماعي، توجب من خلاله الاهتمام بمنهجية متعددة (Multi-methods)، التي تؤمن بالإنسان متعدد الأبعاد، فلقد تغيرت عدسة الرؤية التي أجبرتنا على تغيير قوالب النمذجة الكلاسيكية في الارتكاز على العامل الاقتصادي مثلا وإهمال باقي الجوانب.

إذا كنا حقيقة نريد إنصاف ظاهر الهجرة واعطائها حقه من التفاصيل الوصفية والتحليلية دون أي تحيز إيديولوجي معين، علينا إذن تبني زاوية السلوكات الفردية كذات مهاجرة وليس مجرد رقم أو جنس أو فئة، بل الأمر أوسع من ذلك جنسانيا وهوياتيا وجندريا وثقافيا، عبر مسار الهجرة، من موقع المغادرة إلى أماكن العبور، هذه الأماكن المتفاعلة كالمطارات والقطارات... الخ، وصولا إلى أمكنة الاستقبال، فنشهد تلك التميريرات والتصورات والتمثلات والممارسات المنمطة والغير منمطة، ضمن تصور ثقافات متعددة ومتنوعة، بالمفرد والجمع عِدْر من خلال فعل الهجرة ويرسل رسالة ما، كنت قد أشرت في المقدمة إلى (الانسداد الثقافي)، من حيث وجهة الموضوع ندفع به نحو فهم آلية المغادرة وطبيعة الهوية الجندرية (Gender identity) والأدوار الجندرية (Gender Roles) والجنسانية (Sexuality)، المحافظ عليها، والمعاد إنتاجها والمتخلى عنها أو تحولها تماما.

يشكل موضوع الجندر إشكالا خاصا وجوهريا، وهو موضوع إن لم نقل قد أفرد له مجالات وتخصصات علمية بذاتها، في حين أننا لزلنا لم نفرده له مادة دراسية بالجامعة!؟.

اليوم تعد الدراسات الجندرية (Gender studies) مهمة كثيرا لما لها علاقة بأدوار الذكورة والأنوثة والجسد، والثقافة والإثنية، والطبقية والعرق واللون، هذا الذي يعتبر حلقة وصل بين الوعي الإنساني وتصوره للعالم وتفاعله معه.

¹ روبرت ايمرسون وآخرون، البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، الجيزة القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1،

لقد كان النقاش مطولا كثيرا في ستينيات القرن الماضي حول الجنس/الجندر، وأفرزت تلك المواقف المتباينة بين المنتصرين للحمية البيولوجية(علوم الدماغ والسلوك)،والحمية الثقافية والإجتماعية في تشكيل نوع الجنس(الذكورة والأنوثة).

لم تكن الأنثروبولوجيا بعيدة عن هذا الجدل، وأخص بالذكر ما قدمه العالم الأمريكي "جورج بيتر مردوخ"(GEORGE PETER MURDOCK)¹المختص في الاناسة القرابية، وأفرد لذلك كتابا بعنوان(Social structural²) وبحثه القيم والمخصص لقبيلة كيببوتز"(kibbutz) اليهودية سنة 1937م(Culture and Gender)³. وكانت الأدوار الذكورية والأنثوية متباينة ومختلفة تماما ك: قيام الرجل الذكر بتربية الأبناء وخروج المرأة الانثى للتكسب، ثم ركزت "م. ميد"(MARGARET MEAD) في دراستها لقبائل السماوا المعون ب(Coming of age in samoa.psychological study of primitive youth for western civilisation-Sex and temperament in)، ودرستها بثلاث قبائل بغنيا الجديدة المعنون ب(three primitive societies (1935م، ومست تقريبا كل اشكال الجنوسة والجنسانية، وكذلك من مقترحات مالينوفسكي(BRONISLAW KASPAR MALINOWSKI) حول(1926.The sexul life of savages in north-western melanesia)، إلا أن المشترك بينهما انذاك بين "مالينوفسكي" و"ميد" هو إما التحقق من فرضية فرويد حول الأوديب والمراهقة ومراحل نمو الطفل، او تقديم حجة مضادة وتفنيد ما قدمته هذه النظرية على مستوى عقدة الخشاء، بالإضافة إلى فهم الشخصية الأمريكية ضمن عملية التحضر(المدرسة الثقافية الشخصية).

في خضم التنافس العلمي برز ما يسمى بالتيار النسوي، المستفيد هو الآخر مما قدمته الدراسات الأكاديمية والفلسفية، ليحاول وضع مقابل ضد الهيمنة الفالوسية ككل،من خلال ما ابرزته"سيمون ديبوفوار" "SIMONE DE BEAUVOIR" في مؤلفها الجنس الآخر 1949 م، وتحولت الدراسات الجنسية والجنسانية عموما من حيز الفهم إلى اعتبارها قضية يجب الدفاع عنها وهنا برز التباس النسوية بالجندر والجنسانية.

¹ خطاب خطاب، الجندر المفهوم والاصطلاح، قراءة في أهم الدراسات والمنجزات داخل حقل العلوم الاجتماعية، مداخلة بمؤتمر وطني عقد مخبر الدراسات الاتصالية والإعلامية بجامعة مستغانم بمناسبة عيد المرأة 08مارس 2017 نشرت بكتيب للمخبر:تحرير العربي بوعمامة، المرأة وتكنولوجيا الاتصال الجديدة، نحو استحضار مقارنة النوع الاجتماعي،جانفي 2020، ص51-65.

² C.f: GEORGE PETER MURDOCK, SOCIAL STRUCTURE.. New York: The Macmillan Company, 1949.

³Loc.cit : Gender Views MARGARET MEAD, George Murdock and Global Views." Study.com, 30 December 2012, study.com/academy/lesson/gender-views-margaret-mead-george-murdock-and-global-views.html06.06.2019-

عقدت الكثير من المؤتمرات أبرزها مؤتمر القاهرة للسكان سنة (1994م) ومؤتمر بكين الرابع (1995م) هذه النداءات التي إستغلت موضوع الجندر-المرأة في أغراض سياسية وتنموية واقتصادية وايدولوجية، جاءت في ثوب الدفاع عن حقوق المرأة وإعادة التوازن بين التراتبية، وأضمرت شيئاً من الإجبار والإكراه -على أفراد ومجتمعات وفق أجندة معينة، بالرغم من تنوعها واختلاف تجاربها الجندرية والثقافية، ووجهت البشرية بقالب واحد عنوة، و ما زال ذلك حاصل إلى اليوم لخدمة العجلة الرأسمالية، وأهداف صندوق النقد الدولي، وللأسف هذه النقطة العمياء التي يقع فيها الباحثين ولا يفرقون - (الحرفة السوسولوجية) -، بين حقيقة الموضوع ومعزله عن الأدوات والاعراض الايدولوجية

نعود إلى فترة الستينات والسبعينيات من القرن الماضي والتي برزت فيها أعمال سوسولوجية وفلسفية مهمة بخصوص الجندر والجنسانية، وهي من الأعمدة المركزية في تاريخ العلوم الإجتماعية:

أولاً: دراسة آنا أو كلي-ANN OAKLEY الجنس. الجندر والمجتمع (Sex. Gender and society) ببريطانيا 1972م. هذه الدراسة اساس التمييز بين الجنس البيولوجي والنوع الاجتماعي

ثانياً: دراسة ارفينغ غوفمان-ERVING GOFFMAN بعنوان (Gender advertisements) الجندر والاشهارات بأمريكا سنة 1976م، والاستعراضات والادوار والصور النمطية المؤثرة على الجنسين.

ثالثاً: دراسة اورزولا شوي بعنوان (Wir werden nicht als maedchen gebren wir werden dazu gemacht) اصل الفروق بين الجنسين بالمانيا سنة 1977م، ترجم الى العربية 2010، في محاولة لفهم أصل التمييز والتفريق بين الجنسين من وجهة نظر نفسية.

رابعاً: دراسة ميشال فوكو (Michel Foucault) (1926 - 1984) بعنوان (Histoire de la sexualité) تاريخ الجنسانية بثلاث مجلدات، بفرنسا سنة 1976م-1984م، ترجم إلى العربية 2004م، ثم نشر مجلده الرابع بعنوان: "إعترافات الجسد" الذي نشر مؤخرًا بعد وفاته (les aveux de la chair-2018) وهو مهم جدا في دراسات الجسد، وإبراز مشكلة السلطة والخلفية التاريخية والثقافية التي تقف وراء الممارسات الجنسانية، وكذا جوديث بينتر (Judith Butler) 1956- في مؤلفيها (Undoing Gender 2004 .and Gender Trouble 1990) والتي تعد من أهم الدراسات المعاصرة التي وفرت لنا أدوات ومفاهيم مثل الإنجاز والأداء والادائية واللامعيارية حول الجندر والجنسانية والتوجهات الجنسية.

هذه الدراسات والنظريات الاجتماعية أوضحت الحدود بين البيولوجيا والثقافة والإجتماع الإنساني، كما أنها تدافع بقوة على أن هناك فرق بين الجنس والجندر، وهذا ليس فارق لغوي أو جنسي بل ثقافي بالأساس. كما أبرزت ذلك نظريات سوسيوولوجية مثل: الإثنوميثودولوجيا (هارولد جارفينكل) من حيث: الإثنية، الطبقة، الفئة، العمر، الجندر، و إفرار المعنى وأدائه (Performativity) وإنجازه (Achievement) داخل الحياة اليومية، وخلق وقائع عبر ذلك، بل يعتبر أصحاب هذا الإتجاه حتى الدراسة التي نقوم بها والكتابة هي بناء للواقع.

يركز أصحاب هذا الاتجاه على دور الفاعل ويعطونه حرية أكبر في بنا الوقائع، وهذا ليس مجرد رد تجاه الاتجاه الماكرو- سوسيوولوجي، بل هو تغطية لتفاصيل مهمة وفاعلة في تغيير الكثير من المعادلات، فنحن نعتبر أن هويتنا الذكورية أو الأنثوية واضحة ومكتملة ومتوقعة، وما إن يحدث خطب ما حتى تتغير السلوكيات والألفاظ والمعاني والأداء معه-فما بالك بحركة الهجرة ومساراتها المتنوعة والمتداخلة والبيئية؟.

يركز أصحاب هذا الإتجاه أيضا على الهوية الجنسية والأدوار الجنسية ليس من حيث مرجعياتها الكبرى، بل من خلال التفاعل اليومي والأبعاد الأخرى المتداخلة في عملية التواصل وتصور للواقع وبنائه، فهي حلقة متوسعة وليست ثابتة تنتظر رسدا متجددا، او كما عبرت عن ذلك مارسيل بروس (MERCEL PROUST): "إن الرحلة الحقيقة للاكتشاف تكمن في حوزة المرء على عينيْن جديتتين، وليس السعي بحثا عن المناظر الطبيعية الجميلة"¹.

إن الأبعاد جد متداخلة بين الفينومينولوجيا والتفاعلية الرمزية والاثنوميثودولوجيا، فهم يركزون على وعي الفرد وسلوكه، كونه يملك الحرية فيما يفعل وليس ما يُفرض عليه وحسب، نكون هنا قد أرحنا بعض الغموض عن الوضعية الإكراهية الإلزامية، وإبراز دور الفرد واستراتيجياته في بناء الواقع.

لقد حاولت "بتلر" إبراز أهمية الجندر والأدوار الجنسانية من خلال مقولات مثل: المعيارية واللامعيارية، والإنجاز، وكانت منتبهة لفخ الفجوة الحاصل بين الهيمنة الذكورية و النزعة النسوية، وحتمية المعايير- (طرق الإخضاع)- من رفضها، تقول: " لعل هناك ثلاث نقاط أسوء فهمها...الأول هو أن الجندر يتم اختياره بحرية، والثاني أن الجندر محتم مسبقا بشكل

¹ جيامبييرو وجوبو، اجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة محمد رشدي، الجيزة القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2014، ص 331.

تام... إلا أن النقطة التي أردت توضيحها هي أن الجندر يشكل من قبل المعايير ولكن لا تحتتمه ويمنح هذا المشهد للبنية الثقافية "المجال لصور سيادة لا تختزل بالحرية الفردية..."¹.
لم نعد اليوم نتحدث عن الإنسان أو الذكورة أو الأنوثة أو الثقافة بالمفرد الثابت والحتمي، فنحن أمام ديناميات تنبعث من ذكورات وثقافات ونسويات متنوعة ومجموعة، توجب علينا الفهم لا الحكم- خاصة اثناء حراك الهجرة-.

إن الجندر له علاقة بالفرد والمجتمع والمؤسسات، وله إلتصاق واضح بالنوع البشري، وخلال حركة الهجرة والعبور يصبح للموضوع أبعاد ثلاثة (إنطلاق، عبور، وصول)، وكل بعد يتباين عن الآخر، ويمكن أن يعاد إنتاج ذات البعد ضمن عوامل أخرى، كما يمكن أن تنفصل تماما وتصبح الممارسات متصارعة حسب الإمتدادات الثقافية للذكورة والأنوثة والعمر والطبقة واللون والفئة، وما تسمح به التفاعلات اليومية الفردية والجماعية، هذا ما يجعلنا لا ننفك عن ترسيخ أهمية جندرة مجال الهجرة، فهي فرصة للكشف عن الثابت والمتحول، المفرد والجمع، المعاد انتاجه والمتخلى عنه، من خلال التصورات والتمثلات والانجازات السلوكية والمواقف اليومية، ضمن مساحة واسعة من التنوع الثقافي و بروز للثقافات الفرعية، نكون وقتها قد تحينا جانبا عن مقولة أزمة الهوية للمهاجر المنبثقة من ثنائية متصارعة بين الأصل والإستقبال (الحدود)، إلى رؤية ثلاثية الأبعاد لعالم خاص بالمهاجر يصنعه من خلال المعاني والسلوكات وابنية واقعه الشفافة والمختزقة.

بهذا الشكل سوف ننحو بإتجاه مختلف في دراسات الهجرة بعيدا عن صراع الأقطاب، بغرض التنبيه لما يحدث حقيقة، وما يرسمه المهاجر/المهاجرة/المهاجرون، إن القدرة الحقيقية على التحليل السوسيوولوجي اليوم أو الوصف الاثنوغرافي المنخرط في حاضر الظاهرة، الذي له علاقة بالإنسان بكل أبعاده (بيرنار لاهير- BERNARD LAHIR)²، وكذا رؤية الهجرة من الزاوية التي لها علاقة بالثقافة كما عبر عن ذلك (هوغ لاغراندج" HUGUES LAGRANGE) في كتابه (نكران الثقافات)³، هذه الثقافة التي أستقرأها تماما على خطى توماس هيلاند اريكسون⁴ (THOMAS HYLLAND ERIKSEN)، من خلال مفهوم أوسع من حركة المحلي-

¹ جوديث بينتر، الجندر والجنسانية، حوار اجراه يوسف الصمعان وحسين القطان، ونشر على موقع الحكمة- www.hekma.com تاريخ الاطلاع: 2018.06.05- 10:30pm.

²C.f : BERNARD LAHIR, l'homme pluriel, le ressort de l'action.Nathan. paris.1998.

³C.f : HUGUES LAGRANGE, le déni des ccultures.seuil.paris.2010.

⁴ توماس هيلاند اريكسون: مفترق طرق الثقافات، مقالات في الكريولية، ترجمة محي الدين عبد الغني، الجيزة القاهرة، المركز القومي للترجمة، ط1، 2012.

الكوني في التواصل الثقافي (Glocalization) نحو مفهوم جديد للكريولية (Creolization)، هذا المقترح مهم وسيكون خطا واضحا من خلال دراسة عمليات التفاعل للهجرة، وبه من الحجج الكثير بالرغم من حداثة ظهوره، وذلك كونه حاول فهم ما أنتجته النظريات الكبرى السوسيولوجية والانثروبولوجية، والقيام بأعمال ميدانية وملاحظات موسعة ليس في النرويج فقط، وانما من الشرق والغرب، واستفادته من المدرسة الاثنوغرافية المعاصرة " جيمس كليفورد و جورج ماركيز من منظور (كتابة الثقافة)¹، والدراسات السوسيولوجية المعاصرة.

نحاول من خلال دراستنا الإضاءة على أعمال مهمة كتلك التي عند جورج سيمل (GEORGE SIMMEL) بعنوان (The stranger.1904) وعمل (ألفريد شوتز) (ALFRED SCHUETZ) بعنوان (The stranger : an essay in social psychology) 1944. إن هذين العاملين هما محور مهم بالدراسة، بالأخص مستوى المنظور الفعلي للمهاجر من حيث كونه أجنبي، أو غريب والدور الذي يلعبه الأجنبي في المجتمع، في محاولة لإعطاء دور إيجابي للاجئ والمهاجر، وفي ذات الوقت الجسر والباب عند زيمل مع الاجنبي، كما سنرى ذلك في المتن.

يوجد من الدراسات المحلية والوطنية والعربية والدولية الأكاديمية أذكر منها:

ما قدمه الباحث: د.بودواية مختار² في دراسته للشفوية واللغة والقيم والسلوك والواقع. فمن بين المحاور المهمة هو بيان كيف تعمل النصوص (المتون) على إظهار الجسد كقيمة ثقافية، يحاط به مجموعة من الطقوس التجسيدية المتوارثة.

يتعرض الجسد للتشريط الاجتماعي (الايروس ، الاباحي) التحول إلى الوصف المؤنس، لعبة والإغواء والإغراء الذكوري، الأنثوي وتوجيهه نحو مقاصد اجتماعية و تصوير القوة الجنسية الطائشة والتحذير منها.

إن المبحث الذي ركز على النوع الاجتماعي وصيغته الجمالية في المتنون الشفوية كانت قريبة من هيمنة التشريط الثقافي الاجتماعي المهيمن، مهملا- (الفجوة)- في ذلك دور الفاعل والفرد في التلاعب بتلك المعايير والقيم المحددة له مسبقا، وهذا ما سنبرزه من خلال دراستنا هاته.

¹يتسائل أيضا د.زيان محمد أيضا عن مفهوم الرجولة؟، و ما هو السائد للرجولة في المجتمع الجزائري؟، فلإذا كانت الرجولة تُعنى بالقيم الإنسانية النبيلة ألا يمكن أن تشارك المرأة الرجل

¹C.f, JAMES CLIFFORD AND GEORGE MARCUS, Writing Culture the poetics and politics of ethnography. University of California press Los Angeles. 1986

²بودواية مختار ، معاني وأشكال القيم السلوكية في التقليد الشفوي لدى الشباب، تيارت نموذجا، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، بتاريخ 2020/2019.

هذه القيم؟، لماذا تبقى الرجولة موضوعا متماهيا مع الرجال؟، وهل تعتبر علاقة الرجل بالمرأة مبنية على المؤامرة؟.

ينطلق الباحث في رحلة بحثه لتوضيح مفهوم الرجولة من داخل المجتمع الجزائري، انطلاقا من الأسئلة ودراستها من داخل الحياة اليومية، بالأخص من خلال الطقوس والاحتفالات الدينية والرمزية بالبيت والشارع، ورصد تصورات الشباب وتمثلاتهم لتشكيل الهوية الرجولية الذكورية. يركز الباحث على أن ظاهرتي الرجولة/العنف ضد المرأة (تشنجات الرجولة) هي بالأساس تسكان بداخلنا ننطق بها ولا نعي تمثلاتها بل نشرعن أشكال العنف.

أنتاطع مع البحث من حيث آلية الإمتياز الذكوري وقيم الرجولة والتشنج الرجولي لبنيان فضاء العلاقة بين الجنسين، كما أنني أتقاطع معه في مقارنة النوع الاجتماعي و علاقته بممارسة العنف الرمزي والمادي ضد المرأة، إلا أنه لم يوضح كيف ساهمت المرأة في وضعية الغلبة الذكورية عليها؟، أي مركزية "الفالوس(جان لاكان)"، والسؤال ماذا فعلت المرأة بالضبط ليقع عليها فعل التعنيف؟، هنا نفهم عمق العلاقة الجندرية بين الجنسين وبنيانها الثقافي العميق من حيث مبدا ممارسة العنف (الفجوة).

ركز أيضا الباحث أرزاي محمد²، في دراسته السوسيولوجية عن جندرة الفضاء العام؟، و ماهي المرجعية الثقافية والاجتماعية التي تؤطر عملية تنظيم الفضاء العام بإعتباره مجالات للتمايز والتراتبية بين الجنسين؟، فجندرة الفضاء العام إفراز ثقافي ناتج عن الثقافة الأبوية للمجتمع، وبناء إجتماعي شكّله نمط التنشئة الإجتماعية داخل الأسرة والمدرسة.

إن الفضاء العام داخل المجتمع الجزائري الأبوي أصبح فضاءا مجندرا، فهو فضاء عبور وتملك بالنسبة للرجل، أما المرأة فهي بمكانها الطبيعي، ضمن منظور المجتمع والتمثلات الإجتماعية هو البيت، هذا الواقع المتمايز ساهمت في تشكيله مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية. إن عملية التنشئة الاجتماعية ساهمت بعنف في رسم معالم الذكورة والأنوثة (أنتاطع معه بهذا). ثقافة المجتمع الأبوي ساهمت في جندرة الفضاء العام بحضور الدين كعامل أساسي، كما أن خروج المرأة إلى الشارع غوّ الفضاء الحضري، وزعزع الحاجز الذي فرق بين المجتمعين الرجالي والنسائي.

¹ زيان محمد، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر مقارنة سوسيو-ثقافية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة محمد بن أحمد وهران كلية العلوم الاجتماعية، 2013، 02.

² ارزاي محمد، جندرة الفضاء العمومي داخل المجتمع الجزائري، مقارنة سوسيولوجية لمسألة الجندر وعلاقتها بالفضاء العام دراسة ميدانية بتلمسان، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2017.

أنتقاطع مع الدراسة في محور الجندر والعلاقات في الفضاء العام، فهي تساعدني في توضيح الأدوار الجندرية والممارسات مثل: الهيمنة، اللعبة الاجتماعية، السلطة الأبوية، والتمثلات والتصورات لدى الجنسين وأثر التنشئة الأسرية والمدرسية.

انطلقت الباحثة **شارب مطاير دليلة¹** في الاجابة على اشكالية الجنوسة والقلق الاستمولوجي، وذلك للبحث عن أدوات تمكن من استيعاب الواقع، والتمعن في المعيش اليومي (Daily life. Le vécu)، وما يفرزه من تباين وذلك بسبب المتطلبات المجتمعية والتغيرات الجديدة على مستوى التعليم والعمل والتحكم في عملية الانجاب.

العلاقات الجنسية هي علاقات تتم عبر رهانات متموضعة لعدد من التناقضات، تفصح عن تقسيم عمل دائم بين الجنسين يخترق مختلف فضاءات العمل، وعليه فالعلاقات في الفضاء المنزلي، حسب العمل وحسب القيم الذكورية والأنثوية الممتدة من ثقافة المجتمع وما يفرزه الأفراد المتواجدون ضمنه.

تقسيم العمل الجنسي يتأرجح بين المنمطات الجنسية والترتيبات من جهة.²

نتائج هذه الدراسة والعمل الميداني لا تؤكد فقط تنوع العلاقات الجنسية المتواجدة كعلاقة اجتماعية بين الأنثى والذكر، ولكنها توضح أيضا الحركة الدينامية التي تقوم عليها هذه العلاقة المتغيرة باستمرار.

إن التباين أبرز الثقافة الأبوية، كما أن العلاقة الجنسية أيضا تتدرج ضمن المنمطات وتداخلها مع الترتيبات كأنواع انتجتها تفاعلات الحياة اليومية.

أنتقاطع مع الدراسة في الجنوسة مباشرة أي الجندر وأدوار الذكورة والأنوثة من خلال الفضاء العام والخاص، وطريقة بناء العلاقة وإعادة إنتاج الأدوار ما بين الجنسين، ألتقي معها أيضا في تبني المنهج السوسيو-أنثروبولوجي والإعتماد على مقولات التفاعلية الرمزية كما أنني أشارك معها كلية قناعة المفهوم الدينامي للجندر وتغيراته وتحولاته .

إستفدت من هذه الدراسة في تحديد الأبعاد المنمطة والمرتبة والفرق بينهما، كجوهر دينامي للعلاقة، وسأضيف الكثير من التدخلات الدينامية التي مست هذه العلاقة بين الجنسين في الكثير من الفضاءات العابرة من الهجرة.

¹ شارب مطاير دليلة، الفضاء المنزلي والعمل، الأساتذة الجامعيون والعلاقات الجنسية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2010.

² المنمطات: هي إعادة إنتاج الفعل السابق عن الوجود والراسخ في التمثلات والممارسات ومتميزة بنوع الدوام.

الترتيبات: هي ما ينتج عن عملية التفاعل من وضعيات مختلفة جزئيا او كليا عن الفعل النمطي وقد تكون مرحلية لامكانية التراجع عنها، ص10

لقد سلطت الباحثة كيم صبيحة¹ الضوء على فئة جديدة قد التحقت بظاهرة الهجرة السرية، هي فئة الإناث الشابات، تشهد هذه الفئة حركة في تدفق الهجرة وأصبحت واقعا مفروضا على الجميع، المرأة تمثل الآن حوالي 48% من نسبة الهجرة في السلم الدولي.

-إن الصراع الأسري الذي تعيشه المرأة بسبب مكانتها الجديدة كالمطلقة، والام العازبة، والعانسة والغير مقبولة اجتماعيا، فالهجرة هي استراتيجية لاسترجاع مكانة مرموقة كمهاجرة حاملة للوثائق.

-الضغط الاجتماعي الذي يمارس على المرأة والقيود التي يفرضها المجتمع من خلال الطقوس والممارسات الثقافية والرقابة الاجتماعية كل هذا يدفع المرأة للهجرة السرية.

-كشفت الفاعلات المهاجرات عن النموذج التقليدي للنظام الأسري القائم على سلطة الأب، وكشفت عن مساحة الممنوعات للنموذج العصري الذي يصفه المجتمع بالتحريري والذي من خلاله تشعر بالذنب أمام الحدود التي وضعها المجتمع.

-الفاعلات يرغبن بتغيير حياتهن فهو سبب حاسم أكثر من العامل الاقتصادي.

-الحراقات (المهاجرات الغير شرعيات) يتظاهرن بأنهن يهاجرن من أجل الهروب من ظروف قاسية بينما لا يشكل السبب الرئيس بل هو شعروهن ببناء حياة جديدة.

-الحراقات في وضعية هشة "بأليكانت" بسبب عملهن في ميادين غير رسمية مما يعني اجور منخفضة وفي بعض الحالات تلجأ البعض منهم الى بيع المخدرات او العمل في الجنس (sexworker).

الحراقات قد استطعن البقاء في بلد الإستقبال من الرغم من وضعيتهن الغير الشرعية.

النساء الجزائريات تتميزن بالنشاط التجاري ويقدمن خدماتهن في اليوم بعلم الزوج وتبيع المجوهرات والأقمشة.

إن الدراسة تكاد تخرج من رصد الحركة الأنثوية المهاجرة إلى دفاع عن وضعية نسوية معينة وهذا انحياز يحيد عن العمل العلمي، وكأنها ردت فعل تجاه السيطرة الذكورية في المخيال السوسيولوجي الهجروي.

ركّزت الباحثة على أن المهاجرات فاعلات اجتماعيا، فهل تحمل النسوة كل حمولة الفاعل الإجتماعي وهي الأنثى التي تعيد إنتاج أدوار الخضوع والطواعية؟، ألم تقل أن الحراقات

¹ كيم صبيحة، مشروع الهجرة عند الشباب الجزائري، دراسة سوسيولوجية عن الحراقات باسبانيا، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، اطروحة الدكتوراه، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2014.

يتاجرن بعلم أزواجهن والسماح لهن؟، الحراقات يتاجرن بالجنس والشعوذة، وهذه مظاهر غير فاعلة بل منفعة وتعيد انتاج أدوارها القديمة، أي ما زلن تحت تأثير الهيمنة الذكورية حتى في بلاد المهجر، بل ما زالت الأنثى تستنزف مصاريفها هنا لأجل الأهل، وهي ذكرت هذا بالبحث، أليس في هذه الحالة تعبير عن إعادة بسط شبك السيطرة، و إعلان تشنجات ذكورية وزيادة الضغط عليهن؟.

لا يمكن أن نعتبر فعل المغادرة دورا فاعلا بل يحتاج الكثير ليصبح فاعلا نوعيا في معادلة الجنوسة والهجرة، كما لا يمكن نكران قفزات الهجرة أيضا ودورها في تغيير صورتها بالمستقبل لا تلميعها فحسب، لم تهتم الباحثة جليا بالمقاربة الجندرية بالرغم من انها اساس التفسير للسلوكيات النسوية المهاجرة، أنفق مع الباحثة في نقطة مهمة وهي ان سلوك المهاجرات تعبير اجتماعي اكثر منه اقتصادي، فتغير حياتهن وتجديدها رغبة نسوية تتم عن افق ثقافي مختلف مازال لم ينضج بعد.

أردفت الباحثة زيدان نعيمة¹، إن المرأة التي كان يحرم عليها تخطي عتبة المنزل أصبحت تتخطى البحار مستقلة عن دورها كركيزة للعائلة التقليدية، والسؤال كيف استطاعت المرأة من المجتمع الجزائري أن تجعل من الهجرة مسارا لحياتها؟، و ماهي استراتيجياتها بالخارج للتكيف وتأسيس مكانة داخل هذا المجتمع؟.

عمل التطور السوسيو-ثقافي والاقتصادي للمجتمع على تغيير مكانة المرأة الاجتماعية وهويتها مما فتح لها الباب للهجرة.

تتبع المرشحة للهجرة إستراتيجية للوصول إلى الضفة الأخرى، وحسب وضعيتها الاجتماعية والعلمية والاقتصادية والثقافية.

تتبع المهاجرة إستراتيجية للوصول للاستقرار والتكيف في المجتمع المضيف حسب وعيها وكفاءتها وعلاقتها الاجتماعية.

من خلال هذه الدراسة نستنتج أن التحول الذي عرفته هوية المرأة الجزائرية، كان بفضل التغيير الاجتماعي والثقافي والاقتصادي.

هناك تحول في مسار هوية المرأة الجزائرية لا نخفيه ولعل أبرزه الهجرة الفردية للنساء.

¹ زيدان نعيمة النساء الجزائريات نحو أوروبا، دراسة ميدانية لظاهرة هجرة النساء الجزائريات نحو أوروبا فرنسا واسبانيا نموذجا، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2013.

تغيير الأدوار الذي أدى إلى إعادة ترتيب التسلسل الهرمي التقليدي وتغيير نظرة المجتمع الى تقسيم الأدوار والعمل.

النساء لديهن وعي وطرق واستراتيجيات خاصة بالهجرة ودورهن في ذلك.

لقد قدمت الباحثة **شرايل شايبة شهرزاد**¹، دراسة تهتم بالأدوار الجندرية للفئة العمرية وتغييراتها كما لاحظنا ذلك في الفئة الجنسية.

الدراسة لا تركز على مدخلاتها بل مخرجاتها، فيما يتجلى الواقع المعاش من طرف المهاجر المتقاعد في مواجهته للصراع القائم لديه بين البقاء بفرنسا أو العودة للجزائر (الوطن)؟.

من خلال الدراسة الميدانية لمراكز إيواء العمال الأجانب والاحتكاك بهؤلاء المسنين وبعد التحرشات التي تعرضنا لها في الميدان توضح لنا معاناة أخرى، وهي **المعاناة الجنسية الناجمة عن بؤس الوضعية الجنسية لهؤلاء المتقاعدين**،.

لجوء الى طرق اشباع جنسي عبر ال(دعارة) بالنسبة للرجل الوحيد للسير العادي في احتضان هذه الجماعة المتكونة فقط من الرجال، ممارسات جنسية مثلية بين الرجال " اللواط".

لقد قادت الدراسات السوسولوجية العربية أيضا معالجة لظاهرة الهجرة والجنس واشكاليات التنوع الثقافي منها ما أعربت عنه **عائشة التاييب**²، في دراستين³ إقترحت الباحثة الاهتمام بالجانب الكمي لهجرة المرأة من المغرب العربي إلى أوروبا، كما أنها تناولت **مسار** الهجرة النسوية المغاربية، وتبين اطوارها وخصائصها، وتوجه في الأخير إلى الكشف عن الروابط بين ثلوث **المرأة والهجرة والتنمية**.

تبرز الدراستين أيضا الدلائل الميدانية لتنامي الهجرة المنفردة للمرأة من دول المغرب، وتنامي التمييز الاجتماعي والمهني ضدها كونها امرأة أولا ومهاجرة وعربية ثانيا، وتبدو أيضا الفتاة الشابة المهاجرة والأكثر تعلما والأقدر على الاندماج في المنظومات الاقتصادية والاجتماعية العامة لمجتمعات الاستقبال.

¹ شرايل شايبة شهرزاد، الشيوخ الجزائريون المهاجرون ومصيرهم بين العودة الى الوطن أو البقاء في فرنسا، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2018.

² التاييب عائشة، الهجرة النسائية والتنمية مهاجرات بلدان المغرب العربي الى اوربا، مجلة عمران، عدد 3، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، شتاء 2013. ص ص، 137-160.

³ - الفتاة العربية والهجرة الى الجناة الموعودة محاولة في الفهم ، العدد 21، مجلة عمران، مركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر الدوحة قطر، صيف 2017، ص-ص، 7-33.

-الاستثمار مع الشريك: و هو السلوك الذي ينتشر فيه عند المرأة المهاجرة مع زوجها أو التي التحقت بمشروع صغير بدور التناوب.

-الاستثمار المباشر هو سلوك إقامة المهاجرات مشاريعهن الإستثمارية برؤوس أموالهن الخاصة التي تحولن إلى أرض الوطن.

-ضعف حركة العودة النهائية للمهاجرين والمهاجرات نحو أرض الوطن يرتبط بتحول هيكلية في طبيعة العلاقة بين المهاجر والمهاجرة والهجرة.

إلا أن النزعة نحو الاستثمار المنتج(مشروع الهجرة)،مازال ضعيف عند النساء المغاربيات.

مقاربة الهجرة والتنمية التي تركز عليها الباحثة هي: انتقال من مقاربة المرأة في التنمية إلى مقاربة المرأة والتنمية ثم مقاربة النوع الاجتماعي والتنمية، والتركيز أيضا على هذه الأخيرة للإجابة على سؤال الهجرة الجهادية(جهاد النكاح) لأن الهجرة هنا دليل على قصور التنمية بأبعادها المختلفة.

أشارت الباحثة إلى أن المقاربة الاقتصادية لوحدها غير كافية بفهم معقد-مركب الهجرة، و أن نزوع الشباب من الجنسين إلى الهجرة بسبب الانسداد لآفاقهم يدفعهم لفردية الخلاص.

لقد حاولت الباحثة في الدراسة الأولى التركيز على الهجرة النسائية للمغاربيات بأوروبا والتنمية ثم انتقلت في الدراسة الثانية لتوضيح علاقة النوع الاجتماعي والتنمية، فالهجرة والتنمية هي العلاقة واضحة ومقاربة اساسية اليوم لتفسير ظاهرة الهجرة النسائية الجهادية.

سعى ياسين يسني¹ في هذه الدراسة إلى تشخيص وضع المرأة المغربية السوداء كمكون اساسي من مكونات المجتمع المغربي، ومكونا يعاني وصما اجتماعيا مزدوجا"وصم امرأة وسوداء"، هكذا عبر الباحث في هذه الدراسة عن شكل من أشكال العنصرية المجتمع المغربي و ذكوريته، وليس ببعيد المجتمع الجزائري أيضا عن ذلك، فلو اتجهنا جنوبا كمكون اساسي هو الآخر لهوية المجتمع الجزائري لوجدنا ذات الأمر.

الدراسة جاءت في إطار "Black studies" معتمد على مفهوم "التقاطع"(Intersectionality) الذي مكن من الكشف عن خصوصية وضع المرأة السوداء كونها ملتقى تجربتين تمييزيتين، تجربة امرأة نوع، وتجربة امرأة اللون والعرق.

¹ يسني ياسين، المرأة السوداء في المغرب بين وصمي اللون والنوع الاجتماعي، مجلد 7، عدد 25، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،الدوحة قطر. صيف 2008. ص ص:57-77.

ركز الباحث على تحليل الوصم لدى "ارفينغ غوفمان" كنموذج تحليلي حول حركة نسوية سوداء (Black feminisme) بالمغرب.

المرأة المغربية السوداء لاتعاني فقط عنصرية اللون- (ستلاحظون استعمال كلمة لون هي ليست للتمييز العنصري (stigma) بل الدراسات المتعلقة بالسود الافرو-امريكيين يوضحون الفروق في البشرة وتدرجاتها وعلاقتها بالطبقة والجنس، يمكنكم التوسع في (Black studies)-، بل ضحية عنصرية عفوية تعبر عنها كلمات نظرات ولقطات سينمائية، مرئية ولا مرئية، إعلامية، والصور النمطية التي تختزلها في مكانتها الدونية.

تعيش المرأة السوداء تجربة تمييز تتقاطع فيها الهيمنة الذكورية والعنصرية كونها سوداء ضحية سهلة للعنف الذكوري.

النسوية العربية عموما والنسوية السوداوية متأخرة كثيرا بل غائبة في الساحة العربية والمغربية بالخصوص.

المهم من الدراسة أنها تساعدنا في فهم علاقة النوع بالوصم الاجتماعي للمرأة، والمرأة السوداء هذا من جهة، ومن جهة أخرى تبين اثر التنوع في دراسة النوع الاجتماعي، فالتنوع الثقافي مؤثر ومتأثر بالجنس، وهذا الذي يجعلني اتفق مع الباحث في المقاربة التقاطعية لدراسة النوع الاجتماعي والتنوع الثقافي في الهجرة .

إلقاء الضوء على الحياة العنصرية التي يعيشوها السود الأفارقة ليست مفصولة عن السود العرب او المغاربة عموما، كما عبر عن ذلك الباحث، بوصمين في وقت واحد " النوع الاجتماعي واللون" وسأتي على كثير من الاستشهاد بها في متن الدراسة.

ان الدراسات كثيرة حول الجنس واشكالية الهجرة وغيرها من المقاربات الا انن نحتاج لفهم الجزء الاخر من الدراسة وتوضيح الغاية من ادراج التنوع الثقافي وفحص الدراسات، مثل التي قدمها منيرة سليمان¹. حاول معرفة مستوى العاملين داخل مؤسسة متنوعة ثقافيا، ومدى إدراكهم لأهميته ضمن ثقافتهم التنظيمية حسب نموذج "هوفستيد الرباعي" GEART HOFSTED "لقياس التنوع التفاوت في توزيع القوة، تجنب الغموض أو المخاطرة وظروف عدم التأكد، والفردية مقابل الجماعية، الذكورة مقابل الأنوثة.

ما يفيدني بهذه الدراسة تغطية الجانب الكمي من الدراسة وطرق التحليل بالحزم الاحصائية لعلاقات التفاعل ضمن حيز التنوع حسب نموذج هوفستيد، وبالضبط في البعد الرابع الذكورة

¹ منشورة بأعمال المؤتمر الدولي الثامن حول التنوع، بطرابلس، ليبيا 2015: www.jilrc.com

مقابل الأثوثة والتفاوت في توزيع السلطة، إنها إشارة قوية لتوضيح العلاقة كليا وكيفيا. عبر المدى الفيزيقي والثقافي.

اتفق مع الباحث في ظهور التباين وتغليب الدور الرجالي على النساء والذي يستمد قوته من قيم ومعايير المجتمع.

يرى الباحث حاتم الراشد¹ ان التباعد المكاني الاجتماعي والمسافة الاقصائية بين الجماعات راجع اما لان المكان يخلو من التنوع الثقافي، او لان المكان يوجد به تنوع ثقافي الا انه يخلو من صفة المواجهة.

اتفق معه في الاهتمام بقضية التنوع الثقافي وأبعاده ومؤشراته وأسسها ووقائعه النموذجية، من حالة التعايش بين مختلف الأطياف الدينية والثقافات الأخرى، كما أن الدراسة عنيت عمليا بالجانب الحضري والتحليلات السوسولوجيا الثقافية للتواصل في: الزحام الثقافي، والتعايش ما بين الثقافات وهذا ما سوف نستخدمه في الحركات المهاجرة وفهم علاقاتها داخل المدينة المستقبلية وفهم أيضا الحالة الأولية تجاه التنوع الثقافي. (الحياة اليومية).

اتفق مع الباحث في تبين آليات التضامن العضوي والتضامن الآلي كآليتي عامة للإستدماج الثقافي (المجتمع يعيش بداخلنا) (Internalisation of culture) وكذا عملية التحضر (نوربرت الياس).

اتفق مع الباحث في فهم العمليات المتداخلة والتي عبر عنها بتبنيه لاتجاه "بيرجيس" حول عمليات: التركيز، اللاتركز، والتتابع، والعزل والغزو. لأن غياب التنوع الثقافي والقبول به كمعطى اجتماعي سواء في التضاد او التعاقد من شأنه أن يكون مسؤولا عن تشكّل (الدولة- الأمة)، - وهذه الفكرة تساعدنا في التجاوب/الرفض الحاصل للمهاجرين بألمانيا-.

فغياب التنوع مثلا له علاقة بشيوع حالات الكراهية والخشونة تجاه المختلف "عني أي نحن" لان قوة التنوع تظهر في الاستيعاب للأفراد والطوائف المختلفين والكيفية التي تبنى بها صورة "الأخر وتستمد ثقافيا منه.

تهدف دراسة كلا من مؤيد الساعدي وأ. مهدي الحسنوي² إلى الكشف عن الإفرازات السلوكية للتنوع الثقافي، وأثار الثورة المعرفية المعولمة التي جعلت من التنوع الثقافي مصدرا للقوة، أن

¹ حاتم راشد، تاسيس المدن بحالة التنوع الثقافي، دراسة ميدانية اجتماعية في مدينة الديوانية-العراق، المجلد 17، اصدارمجلة القادسية للعلوم الانسانية، جامعة القادسية، العراق 2014، ص ص1-51.

² الساعدي مؤيد، مهدي الحسنوي صالح، الإفرازات السلوكية للتنوع الثقافي للموارد البشرية على واقع عمل صناعات المعرفة، بحث استطلاعي تحليلي لعينة من العاملين العراقيين الاجانب، اطروحة دكتوراه، منشور ملخصها بالمجلة العراقية للعلوم الادارية، المجلد 11، والعدد 44، 2015، ص ص 66-81.

العلاقة ذات ارتباط دلالة معنوية بين التنوع الثقافي للموارد البشرية وصناع المعرفة. وحول استخراج 11 فرضية فرعية منها.

هذه الدراسة مهمة ورسينة من جانب كونها تركز على إفرزات التنوع الثقافي والثاني ارتباطها بصناع المعرفة، كما أن الدراسة استوفت التحاليل المتعلقة بمقياس "هوفستيد" للتنوع الثقافي خاصة الأداء والسلوكات وقيم الذكورة والأنوثة ومدى سلطة الفرد مقابل الجماعة والتعاون... الخ.

نقطة ضعف الدراسة لم توضح كثير من النظريات المرجعية للسوسيولوجيا الثقافية او الحضرية في فهم آليات التنوع الثقافي.

إن تراجع القيم الفردية مقابل الجماعة دلالة قوية على سيطرة الجماعة في الانجاز والتحديات على مستوى المنظمة، الذي هو راجع بالأساس إلى أن المخيال الاجتماعي العام يرفض المبادرة الفردية، بحيث يظهر اللاتأكد في المبادرة الفردية دوماً.

اتفق معه على أن اعتلال توازن العلاقة بين الأنوثة والذكورة مقارنة مع الأجانب أنفسهم هو ميل القيادة الذكورية على الأنثوية (الأبوية / الهيمنة الذكورية).

ان الدراسات الدولية مهمة بهذا الخصوص لتوسيع الاشكالية ورؤية مكشوفة لعملنا ومقارنته كما ابدت ذلك الباحثة: ¹Ewa A.DUDA.MIKULIN (جندرة الهجرات: استكشاف لأثر الهجرة على تلميع صورة النساء البولنديات لأدوارهن الجندرية.)، لقد كانت نساء هذه الدولة غير مرئيات على مستوى حركة الهجرة، لذلك تهدف صاحبة البحث إلى سد هذه الفجوة (GAP) فيما يخص تأثير تجربة النساء البولنديات للهجرة والطريقة التي يتفاوضن بها حول أدوارهن الجنسانية والجندرية، فمن خلال 32 مقابلة نوعية معمقة ونصف موجهة مع مهاجرات بولنديات مقيمات ببريطانيا ركزت الباحثة على أسباب هجرتهم و أدوارهن الجنسانية فيما يتعلق بالعمل المأجور والرعاية الصحية والأسرية والغير رسمية في المهجر ووقت العودة، أي معرفة مدى اثر الهجرة للملكة المتحدة وعودتهم فهل اثر ذلك في التفكير وتحدي تصوراتهن الجندرية المستمدة من الثقافة البولندية.

إن الايديولوجية الجنسانية السائدة في بلد المنشأ تمارس ضغطاً آخر في بلد الاستقبال مما يعلنهن مقيدات بأدوارهن الجندرية الشائعة في بلدانهم الأصلية"، و ما تزال تلك القضايا المتعلقة بالتوازن بين العمل والحياة، إشكالية خاصة بالنسبة للنساء وتشكل عبئاً مزدوجاً.

¹ <http://USIR.SALFORD.AC.UK.2021.04.26-10:58> PM

طبيعة العلاقات أخذت في التغير من حيث الزواج والاستقرار الأسري. الهجرة فرصة لتحدي ادوار الجنسين، وهذا ما اتفق مع الباحثة فيه، حيث يمكن اعتبار التغيرات الثقافية التي تمس الجنسين في بلد الاستقبال فرصة لإثراء أنماط مختلفة ومتنوعة. يمكن اعتبار المهاجرين وكلاء التغيير في حالة عودتهم نتيجة لتكيفهم مع بيئة جديدة. كما يمكن ان تعيد تقسيم وترتيب ادوار الجنسين .

اتفق مع الباحثة في التطويع النظري لمقولة الانبائية الهيكلية (CONSTRAINING FACTORS) لدى غيدنز-، كما يمكن القول أن الهجرة على غرار اي علاقات اجتماعية تتطوي على تفاعل معقد لبعض الأشخاص، فالهياكل البنائية تعزز وتثبط حركة الناس بعوامل نشطة (Agency. Actor)، (العون (الناقل) الاجتماعي، الفاعل الاجتماعي).

الهجرة ومواطنة الاتحاد الأوروبي كسياق انبائي مهم يفصل بين المواطنة كحالة وممارسة. يزور العديد من المهاجرين متاجرهم المحلية التي تبيع منتجاتهم ببلد المهجر وهذا يترجم تقليل الاتصال مع السكان الأصليين.

لم توضح الدراسة حجم العينة ومدة المقابلات ومدة الدراسة وحدودها الزمكانية.

انطلقت الباحثة ¹ CHRISTINE OSTERMANN (ألمانيا-المغرب: اثنوغرافيا بشأن الهجرة، والتمييز من ذوي الخبرة) من مجتمعها الألماني في بناء اشكالياتها، ثم أتممتها برحلة ميدانية إلى المغرب .

- يجد النساء اللاواتي تعلمن وتتقن بألمانيا، صعوبة في الحصول على شريك او زوج متحدر من المغرب وذلك بسبب تغير ادوار الاسرة والجنسية.

- طول الوقت الذي يقضيه المغاربة بألمانيا ليس مؤشرا على الاتصال.

- جزء من المهاجرين المغربيين هو أنهم يعيشون حياتهم اليومية بألمانيا يواجهون الإذلال والعنصرية والاعتداء والتمييز.

عمليات الاندماج مصحوبة بالخوف والخسارة، الرجال الذين استقروا في ألمانيا أصبح أبناؤهم وأحفادهم ألمناً ويخافون عليهم من التناقضات الحاصلة في عمليات الهجرة.

ان الاستراتيجيات التي يطبقها المهاجرون المغربيين للتغلب على التحديات تعتمد على الفرد.

¹ CHRISTINE OSTERMANN, Germany-Morocco: Ethnography about migration, and experienced discrimination. university Bielefeld.germany 2011 <https://pub.uni.bielefeld.de/2021-05-08-13:02pm>

تلك الروابط تعمل على استقرار مجتمع الشتات في جماعة هوية واحدة للخبرات المشتركة بسبب التعاطف واللقاء.

تسمح تلبية الحاجات المالية والاجتماعية والعاطفية والصحية وحتى الطعام المغربي بعودة مشاعر وحنين مغربي بألمانيا.

الهوية المغربية بالنسبة للشباب بألمانيا متراجعة أمام هدفهم بالزواج والإقامة والعيش نهائيا بألمانيا-استثمار البقاء-، إلا الشيوخ منهم فهم حتى لم يتمكنوا من إتقان اللغة الألمانية وبقوا مخلصين للمازجية او العربية.

بدا الشباب اليوم يرفضون الامتثال لأحكام الحجاب، بل بدؤ يبحثون في حقيقة الأمر في دينهم ومساجدهم ويسألون ويبحثون كثيرا عن الحقيقة.

معظم الرجال المغربيين يفضلون الزواج بمغربية ويمكن تفسيره على انه فعل العودة او نية العودة.

إن العامل الأقوى الذي يمنح المغربيين شعورا بالشيوع الجمعي هو حالة انعدام الامن وتبادل الخبرات والتميز المتصور ضدهم فيلجئون إلى الالتحام مع بعضهم.

بدون اعتراف الأغلبية الألمانية وبدون هياكل توفر الأمن والشعور بالانتماء ستبقى الحلقة مفرغة، ليس هناك أمل كبير في السياسات الألمانية تجاه الهجرة، يجب أن يكون هناك إعادة الترتيب للتفاعلات الصغيرة التي يعيشونها.

المفاوضات الحالية تريد من قضية الإسلام أن يتمحور حول دور الشخصية التي يجب التمتع بها الإسلام في المجتمع الألماني.

غالبية المهاجرين المغاربة يتعاطفون بقوة مع دينهم لأهمية الأمان الجمعي الذي يشعرون به، فالعديد منهم يريد للإسلام ان يكون متجذرا في المانيا داخل التفاعلات اليومية.

تركز الدراسة Lonela VLase¹ (الجندر في بنوية عملية الهجرة، حالة سكان الريف الرومانيين بروما) على إشكالية الهجرة الدولية داخل الاتحاد الأوروبي، من ريف رومانيا جنوبا نحو روما وحددت هذه الدراسة الأدوار الجنسانية والجندرية لسكان الريف نحو مدينة روما.

هذا النهج الجنساني/الجندري يساعد في فهم الاختلافات الموجودة بين النساء والرجال داخل عملية الهجرة بالنسبة للمجتمع الأصلي والمضيف.

¹ Lonela VLase, Le genre dans la structuration du processus migratoire . le cas d'une population rural roumaine a Rome.2008http //www.core.ac.uk:15am2017.09.09.10.

أن الهجرة عملية جنسانية/جنوسية تحدد عواملها البنية الكلية، كما ان سياسيات البلدان الأصلية والمضيف تعزز عبر هيكله سوق العمل الفروق بين الجنسين وقت الهجرة. يتمتع الرجال عن النساء بدرجات متفاوتة في اتخاذ قرارات مثل الهجرة. من خلال عملية الهجرة تؤدي إلى إعادة تعريف علاقات بين الجنسين في كثير من الأحيان، فعلى المدى الطويل تؤدي التغيرات في العلاقات بين الجنسين في الهجرة إلى المؤسسات لإعادة التفكير في السياسات والممارسات فيما يتعلق بأدوار المرأة والرجل في المنزل للمجتمع المضيف.

يتمتع الرجال برأسمال اقتصادي اكبر، يمكنهم من الوصول بسهولة إلى الموارد المحلية حينما يريدون إقامة مشروع، في حين المرأة محدودة الموارد وطرق الوصول. التغيرات في بعض المناطق ساعدت النساء في الوصول إلى بعض الموارد عكس الريف. يواجه المهاجرون من الجنسين المخالفات المتأخرة لدفع الإيجار أو العمل الغير منظم والتبعية للايطاليين.

يفسر الجنس والعمر إلى حد كبير المظاهر المختلفة في إنتاج ممارسات معينة للمهاجرين. عملية جذرة الهجرة والعودة والعلاقات مع المجتمع الأصلي تختلف حسب النوع لذلك تميل النساء إلى الاستقرار أو العودة بعد فترة قصيرة من الهجرة بسبب قيود الأسرة، أما الرجال فهم يفعلون ذلك عموماً لفترة أطول ولكن مع النية المعلنة للعودة للقيام بالنشاط الاقتصادي في المستقبل.

تختلف العلاقات أثناء الهجرة بين الجنسين خاصة بين الأزواج ، يتحولن إلى قيم المشاركة والمساواة خاصة في ادوار المنزل والتحول من مفهوم المرأة الزوجة إلى الزوجة الشريكة. تظهر التوترات بين الزوجين في القرية بريف رومانيا أكثر من روما ايطاليا. حاول الباحث MUSTAPHA BELABDI¹ (تواصل بين-ثقافي وعملية الاندماج للمهاجرين المغريين الجدد بكيبك. بمونتريال) من خلال الدراسة تحليل التصور الذي يمتلكه المهاجرون عن المجتمع المضيف، منذ فترة ما قبل الهجرة إلى مرحلة الوصول والانطلاق في الاندماج، ومن ثم يمكن التساؤل على التجارب المعيشة للمهاجرين.

¹ MUSTAPHA BELABD, Communications interculturelle et processus d'intégration de nouvelles immigrations marocaines au Québec 2010 <http://uqam.arclipel.ca2017-12.01.-18:58 am>

على مستوى الإطار النظري تم الارتكاز على مجال التواصل ما بين الثقافات بالإضافة إلى معالجة الهوية والاختلاف بالأخص نظرية تي هول (المسافات الاربع) وهوفستيد وآخرون. تم الاعتماد على منهج نوعي كفي وصفي بإجراء مقابلات شبه منظمة عبر منطقة كيبك - منتريال لعينة تتكون من 25 شخص لمغاربة مهاجرين ومرشحي الهجرة. يفترض الباحث أن عمليات الاندماج والتداخل الثقافي كمصطلحات ذاتية وموضوعية، اجرائية مرتبة غالباً بتصريف الأفراد وميولهم اذا تحققت ثقافياً.

الجانب الثقافي حاسم لكن لوحده غير كافي لتك التجارب المعيشة بشكل فردي من قبل المهاجرين تحدث فارقا بين البلدين او المجتمعين او الثقافتين. اسفرت الدراسة على انه يمكن الحديث عن التواصل ما بين الثقافات وعلى مستويات مختلفة. يستند مشروع الهجرة على الاستعداد للتكيف مع معايير المجتمع المضيف. يفيد التنوع الثقافي في إنشاء آليات الاندماج.

الاتصال هو عملية مستمرة، يطور المهاجر البعد الخفي، والذي ينفي الموقف متعدد الثقافات في مرحلة مبكرة من التواصل داخل المجتمع الأصلي.

كما أنه من الضروري مراعاة معايير الفئة الاجتماعية للتعرف على عملية تفاعل فهو يعتبر العملية تقوم بسلسلة من مراحل التفاوض بين أصحاب المصلحة، بدءاً بالصدمة، مروراً بالمواجهة، حتى التكيف والاندماج.

يتحدث المهاجرون عن صدمة ثقافية، عقدة اضطهاد، الجهل المتبادل، تجنب التميي،...إنها مسائل عن المسافة الهرمية خاصة تلك التي بين الرجل والمرأة والتي تمثل السمات البارزة للاختلاف الثقافي.

عملية الاندماج تخضع لمتطلبات سلوكية ومهارات تواصلية بالإضافة إلى الاعتراف بأهالي المجتمع المضيف.

التنوع الثقافي الذي نراه من خلال الاجتماعات مع البعض الآخر ليس حقا حصرا لاماكن العمل لكن اطار يوفر سياقاً يتمتع بامتياز للتفاعلات البشرية وردود فعل من الجهات الفاعلة لقد بينت الدراسة أهمية الاتصال بين الثقافات ، والآليات التي يتخذها المهاجرون في تعزيز هذه التجارب أو تقنيدها، كما أن التصور المبكر في التنشئة لدى الأفراد من المجتمع الأصلي يلعب دوره هو الآخر في تعزيز التكامل والتكيف العبر- ثقافي فيما بعد، فالاندماج مرهون بمرونة التداخل الثقافي واليات البروكسيمية (Proxemics)

3- الإشكالية:

إلى حد الآن يبدو أن خط اشكاليتنا قد توضح اكثر، خاصة لما عرجنا على الجندروعلاقته بالهجرة والتنوع الثقافي بمفهومه التفاعلي الرمزي والدينامي، وما يبرز ذلك من اهمية لدى الهجرة كظاهرة اجتماعية محلية-كونية، وهنا تكون مسألة الثقافة أكثر اتصالا من كونها مكتسبا او اكرها للافراد، هذا الاتصال الذي يعد أساسها ومشكلها، فالمهاجر عبر جسده وهويته وادواره الجندرية يمرر هذه الرسائل التواصلية مع ذاته والآخر ويفطها ويبني من خلالها تجربة اجتماعية في ذات الوقت، ضمن ديناميكية التواصل الثقافي، والنوع الاجتماعي الذي اساسه الاختلاف بين الجنسين في الادوار والتمثلات، فيمتد هذا التنوع الثقافي في تدفقات كثيفة، سيجعل من طبيعة التراتبية والتباين والسلطة والهيمنة لا تبقى على حالها في مسار الهجرة.

الشباب من مدينة تيارت ذكورا واناثا سجلوا تجارب هجرة مختلفة، فمنهم من اختار اوروبا او امريكا او الخليج واغلب الذين اختاروا اوروبا اختاروا المانيا كوجهة مركزية، فلقد اصبحا الجنسين مشاركين لتجربة الهجرة وامتدت الجذور الثقافية بين الضفاف وعبر الثقافات.

نحن نعرف أن منطقة تيارت نشاطها فلاحي رعيي ببالاساس، هذا الطابع له اثره على سلوكيات الافراد وبنية تكوينهم النفسي والاجتماعي والعلائقي لتلك التمثلات الذكورية والانثوية وطبيعة كل دور ومركزية السلطة الابوية، ان المهاجرين منطلقين من هذا التكوين الاولي. كما ان المشهد الاجتماعي للمنطقة متنوع، (الشاوية والقابائل) و(غرداية بني ميزاب) بالاضافة الى الامتداد من الارياض المجاورة (كالسوقر منطقة فلاحية ورعية) ما يعني هناك تجربة حضرية متنوعة ومختلفة في شكلها البسيط.

إن المشترك بين الجنسين ان المرأة تهاجر لوحدها مثلها مثل الذكر، ويمكنها ان تؤسس عائلة وتسنقر بالخارج، الشيء الحساس والغير مقبول هو تزوجها بالخارج!، خاصة من رجل اجنبي غير مسلم، فقد تضطر كما حدث مع احدهن الى النزوح نحو وهران للعيش معه، لان اخوتها رفضوا زواجها. والشيء المستهجن زواجها هناك برجل افريقي اسود"بايرة ودات باباي"(اي عازبة وتزوجت رجل اسود).

قبل فترة كان على الذكر اذا اطال شعر راسه اتهم بخنوثته ويعير ويوصم، وكانت النسوة من تلبس "سروال جينز" أوتمشي بالمدينة انها مسترجلة(ماتحشمش/لاتستحي)، اليوم من الذكور من يطيل شعره ويسرحه مثل النساء ويستخدمون هذه المساحيق ومواد التجميل لزيادة وسامتهم ليس

هذا تحور؟، لقد اندثر شيئاً فشيئاً "الذكر الخشن" القوي وحل محله "الوسيم، الجميل، الناعم"، إذن كيف تشترك الذكورة والانوثة حقها وحظوتها من الجمال دون انزعاج الطرفين؟، في وقت قريب كان الجمال حكراً على الانوثة. والسروال الذي كان حكراً على الرجل اشترك فيه الجنسين واصبح التمييز بينهم غير واضح نفس المواد، نفس التقطيع، نفس الضيق من الاسفل، بل اضاف الرجل ارتخائه اسفل الظهر، هل يوجد تباين في المظهر الفيزيقي؟ والا هم كيف تنازل الذكر عن سلطته في اللباس المميز لقوته وخشونته وذكورته والتحق بالوسامة والنعومة؟، في حين المرأة اكتسبت حظها في ان يشاركها الرجل هذا ولا يتباين عنها كثيراً- (الشعور بالامان معنوياً)، هذا ما يجعلنا نعيد التفكير في العمليات الثقافية بين التدفق (ابادوري) و السائلة (زيخمونت باومان) - .

الحدود الظاهرة اليوم غير متباينة وهذا مما يعقد فهم طبيعة هذا المجتمع وهذه المنطقة المحلية الصغيرة مقابل ما تفعله المؤثرات التكنولوجية والمفاهيم والاتجاهات الشبابية والثقافية الفرعية المعاصرة، فهل نحن امام ذكورة أم ذكورات¹ بالجمع؟، أنوثة أو أنوثات؟ هل اختفت الوحدة التعريفية المتوقعة بين الجنسين؟، اي هل يمكن التخلي عن الهوية الجندرية ذات امتداد احادي السلطة و الثابت؟، هل يمكن التخلي عن تعريف الثقافة بالمفرد والانطلاق بها نحو أبعاد التعدد الثقافي المتشارك في تشكيله فعلياً؟، إنه لأمر معقد ومركب لفهم العمليات المتباينة، فنحن لم نعد نشهد اختلاف وهمية بين الجنسين، بل اصبحت الذكورة تحمل تدرجا وتباينا سلطوياً، كلٌ مختلف عن الآخر، وكذا الطوعية والنعومة الانثوية متباينة (ذكورات وانوثات).

هذا داخل منطقة واحدة كمجتمع محلي فمابالك بالمجتمع ككل، والتصادم مع مجتمع مخالف ثقافياً، ولديه سلطة معينة، وحدود اكرائية، وسلم قيمي، ومعايير اجتماعية مختلفة، فهل تستوعب الرؤية الازدواجية للهوية المهاجر/المهاجرة هناك؟.

اذا كان الرجل يشترك قيم الجمال والنعومة مع الاناث فهل يقبل هو ان تشاركه المرأة قيم الرجولة (نزول وصعود)؟، لماذا سلوكيات وادوار تعد اساسية في العلاقة بين الجنسين هنا تذوب فور نزول ارض المهجر؟، لماذا النساء اكثر تأسيساً للأسرة بالمهجر مع الاجانب من الذكور؟، لهذا علاقة بالتصورات والتمثلات الجندرية المتصارعة بين الثقافتين؟.

¹ ملاحظة: ستجدون في المتن استخدام ذكورات وأنوثات بدل ذكور وإناث، هو ليس خطأ لغوي هو تمييز إصطلاحي، في الدراسات الجندرية نوضح كيف ان الانوثة والذكورة ترتكز على مركزية واحدة في التوجيه المعياري والقيمي، لكن ذكورات وانوثات هي ممارسات وترتيبات واستعراضات توجي بتعدد في مركزيات التوجيه التي انبثق من عمق واقعا... والامثال لقيم رجولة او انثوية او مرآوية womanist او نسوية feministe كلها فروق في الاصطلاح ومستحدث من الطالب وبعض الباحثين المختصين بشأن الدراسات الجندرية.

يبدو أن الأدوار الجندرية متنوعة ومتعددة ومختلفة من ذات المنطقة، وهذا ما يجعلنا نهتم باتجاه آخر هو الاستراتيجيات والتكتيكات الجندرية للجنسين، سواء للعيش هنا أو في المهجر أو أثناء العودة، والسؤال المهم الذي يمس طبيعة تكوين الفرد بهذه المنطقة وتاريخ الهجرة، هو: "ما هي الاستراتيجيات والتكتيكات التي يقوم بها الذكور والاناث لانجاح عملية الهجرة والعيش هناك أو وقت العودة؟"، فالمرأة تهاجر والرجل يهاجر منطلقان من مدينة تيارت التي تحمل قيما مشتركة وتجارب فردية مختلفة في الأدوار الذكورية والأنثوية من الأشد انغلاقا، إلى الأكثر انفتاحا نحو مساحات ثقافية أوروبية، فما يلبثا حتى يجدا نفسيهما أمام ادوار جندرية مختلفة وأحيانا قبل الوصول لحظة الالتقاء في المطار مثلا، أو عند مراكز الإقامة، أو النزول أو القطار أو في الدراسة أو في العمل، هنا تظهر تكتيكات مختلفة يحاول الطرفان أن يكونا أكثر مرونة وفي ذات الوقت أشد إقصاء واستبعاد أحدهما للآخر (جزائريين) -وكأنهما يقولان لبعضهما لقد اكتفيت منك ومن أمثالك؟-، وهذا أيضا له دواع ثقافية أخرى تمس جانب التنوع الثقافي والقبول فنحن كجزائريين **نتنكر** في لحظات مثل هذه أمام إغراء التجربة الجديدة.

ألمانيا نقطة اختلاف بارزة في العلاقة بين الجنسين، لا تهاجر النساء كثيرا من منطقة تيارت إلى ألمانيا اغلب الهجرات ذكورية، فهل تعد ألمانيا رمزا وحكرا على الرجال خاصة تجربة الجيل الأول والثاني؟، فعلا عبر المهاجرون عن كون التجربة الألمانية قاسية خاصة على جماعات تيارت في نهاية التسعينات وبداية الالفية، واعتبروا من نجى من هذه التجربة ولم يدخل عالم الإجرام والمخدرات قد انجز شيئا مفارقا،-خاصة أولئك الذي اخذوا طريق تركيا واليونان للوصول إلى ألمانيا ونجو من سجن اليونان- لان هذه السممة كانت تعبر عن العنف الذكوري في اشد حالات تطرفه وكأنها تأهيل ذكوري حصري(عنف ذكوري على الذات)، عبر طقوس الإجرام وعالم العصابات والمخدرات بألمانيا، وكثير من غرته هذه التجربة واودت بحياته وغرق في دهاليز السجون والعصابات، فلذلك النساء يجربن أماكن أخرى. ولا أقول أن الهجرة إلى ألمانيا حملت هذه السممة كلية، لكن تجربة الشباب المسجلة من أحياء مدينة تيارت مثل " الزعرورة ولاسيا ولومبار" وبلديات من المنطقة مثل: واد ليلي، وتيدة والدحموني ومهدية يعرفون هذا جيدا.

اذن كيف كان الاندماج والتكيف في المجتمع الالمانى؟، لماذا تعتبر السلطات الالمانية ان اليد العاملة الجزائرية كسولة وغير مؤهلة للسوق العمل الالمانى، مقارنة بسوريا وتركيا¹، كيف هي علاقة الشباب من مدينة تيارت مع المغاربة هناك بالمانيا؟، كيف هي ممارسة الهوية الاسلامية هناك؟، هل ينجح الشباب في بناء اسرة بالمانيا؟، لماذا يختار الاغلبية الزواج من عربية مسلمة هناك او من بنت بلده؟، لما يشترط على الاجنبيات الاسلام في الزواج؟ كيف يموثق المهاجر الشاب علاقته الجنسية ودوره الذكوري وقت الزواج على الورق لتحصيل اقامة او جنسية؟ خاصة مع من هن اكبر سنا منه، لماذا يتهم الشباب الذكور الشابات الجزائريات ويوصمهن على انهن غير شريفات وقت مساعدتهن لاجنبي عربي او افريقي اسود للحصول على الاقامة أجنبية من خلال الزواج؟ كيف يجري الحال عند القسم للحصول على جنسية المانية للوفاء لله وللوطن؟ هذه مناطق ومساحات الاستراتيجيات الجندرية والثقافية المتنوعة التي تعبر عن هجين ثقافي ما (Creolisation).

المعطيات:

-يوجد مهاجرة/مهاجر (اذكرها بصيغة المذكر والمؤنث ليس اطنابا، بل للتنبه الى ضرورة الموازنة بين الجنسين، اعتدنا ان تكون كلمة مهاجر تضم الجنسين، لكن للتدقيق بالدراسة الجندرية يكون لكل منهما وزنه) من مدينة تيارت نحو اوروبا-المانيا ما يقدر اكثر من 20 ألف و500 الف مقيم ببرلين، أما النسبة الكلية من الحراقة والمستوفين في الحدود والمرحلين بنسبة 40 الف².

مهاجرون ما بين فترة 1978-1999³ وبين 2000-2010، وما بين 2010-الى يومنا هذا.

توسع شبكات الهجرة بين جماعات المنطقة خاصة الجهة الشمالية.

-انتشار الهجرة الفردية ما بين: 2000-2020 (للجنسين).

هناك أدوار جنسانية وجندرية بارزة يتمثلها الافراد مثل:

وجود هيمنة وانشاد ذكوري من خلال ، اسلوب التحاور، والاورار داخل المنزل او المدرسة او العمل او في الفضاء العام.

¹ Dw.com تقرير بنشرة على قناة

² <https://www1.wdr.de/radio/cosmo/programm/sendungen/al-saut-al-arabi/arabische-welt/arabischewelt1138.html2023-01-06->

³ هذه بداية الهجرة الى المانيا مع العمال الالمان القادمين والمنضمين لشركة السباكة الحديدية في اطار عقود الشراكة الاقتصادية الصناعية الثقيلة بين المانيا والجزائر خلال فترة حكم الرئيس الراحل هواري بومدين. حسب البحث الميداني الانطلاقة كانت من بلدية الدحموني.

-وجود فروق بين الذكر والانثى وهذه الفروق تكون متسعة الفجوة (Gender Gap) هذه الفروق بين الجنسين تؤدي الى المفاضلة بينهما (Gender sigrigation) وهذا يؤدي حتما الى التمييز بين الجنسين جنديا (Gender discrimination).

-وجود بعض التحولات والتغيرات التي تجعلنا نتبه الى طبيعة الهوية الجنديرية (Gender Identity).

-مواليد التسعينات وبداية الالفية المتأثرين بالوسائط التكنولوجية، وقيم المساواة وحقوق المرأة واصبحت الفجوة الجنديرية ضيقة ما بين الجنسين، فهناك ارتخاء ذكوري على مستوى الهرم واستقواء انثوي بحيث اصبح مفهوم الزواج او العمل هو شراكة عوض التسلط الذكوري والابوي مقابل الخضوع الانثوي الكلي.

-موجة الهجرات والعودة مها والتجارب التي خاضها المهاجرون، والتي استقبلها المجتمع المضيف والمجتمع المحلي الاصلي اثرت على منظور الذكورة والانوثة وانظمتها البنيوية وفتحت احتمالات عديدة.

-العمليات والخبرات المهاجرة هي ليست تجارب منعزلة او هامشية بالعكس، فالمهاجر مستكشف ومجرب وناقل للتدفقات الثقافية ومؤثر ومتأثر خلال مسار الهجرة والاستقرار والعودة، ليس فقط بين جنسين او ثقافتين بل يتجاوز ذلك الى ابعاد اخرى، فمثلا المجتمع الالمانى (المحلي والحضري) به من الثقافات المتنوعة للتواصل وتمثلات جنديرية مختلفة، هذه كثافة عوالم متعددة للمهاجرين والسكان ككل تجعلهم يخوضون اكثر من تجربة في وقت واحد وهنا تبرز استراتيجيات واليات اداء التموثق وانجاز المعنى وهيكليته عبر ثلاث محاور رئيسية: التداخل الثقافي-والعبر ثقافي، والبين ثقافي.

-من المهاجرين/المهاجرات من اسس عائلة بالمهجر مع اجنبي/اجنبية، المان او غيرهم هذه التجربة تفرض شروط معينة في طبيعة العلاقة ومن هذه الشروط شرط المساواة بين الجنسين وحسن التربية والمعاملة الوالدية وهنا يبرز العامل القانوني لتنظيم العلاقات الاسرية (المواطنة ممارسة واعتراف).

-يوجد من المهاجرين الذين يفضلون العلاقات العابرة، والتي يفقد فيها الأغلبية حضورهم الجنساني الذكوري، ويحصلون على متعة مستعجلة، وهذا يترتب عليه صدمات نفسية أساسها فقدان الهوية الذكورية الجنسية (يمكنك الرجوع بالتفصيل إلى دراسة طاهر بن جلون أقصى درجات العزلة).

- المهاجرون يعتبرون الاسلام في المانيا خاصة الجزائريين ومغاربة كمتنفس ثقافي يكسبون من خلاله التجمع او الحصول على امل او ضمان امن ثقافي واجتماعي وترسيخ للانتماء امام الصدمة الثقافية الاوروبية المعولمة والعلمانية، وليس هذا وحسب بل يعتبر ايضا كمنشط للجماعات الجهادية واستقطابها في شكل دعوي الاجانب للاسلام(جهاد المسلمات الاوروبيات)، الممارسات الاسلامية هناك ليس لها علاقة بالتدين الا بقدر المنافع البراغماتية للمهاجرين هناك.

-تجارب الاغتصاب والتحرشات الجنسية اللفظية والجسدية التي يكون فيها المتهم العرب ككل او المغاربة امر اثر على المنظور الجنساني والجندي والمسافات الاجتماعية ما بين الالمان و المهاجرين.

-المسافات الأربع من (الحميمية، والشخصية، والاجتماعية، والفضاء العام) كثقافة تواصل بين المهاجرين والالمان تكون مختلفة عن سائر المجتمعات، فالتعريفات الحميمية والحيز المكاني والاداءات فرص يومية لاثراء التنوع الثقافي، او اضعافه، ويؤثر الجانبان في ذلك.

-الفئة العمرية مهمة جدا في فهم أليات واستراتيجيات أدوار الجندر، فسن المرأة يلعب دورا مهما في حركة الزمكان، ففي الكهولة والشيخوخة يحدث تسامح وتساهل وقلما نجد تشدد على المرأة، كما ان الزمن مهم جدا في فهم الانشداد نحو السلطة الذكورية من الارتخاء في ذلك، فما يجري بالبل ليس ذاته بالنهار. فليست اللغة وحدها مصنفة حتى الزمان والمكان يتأثر بالجندر.

الأسئلة المحورية

-هل الهجرة اليوم مجرد انتقال من ضفة إلى أخرى؟، أم أنها تنشأ واقعا آخر من خلال عمليات التواصل الثقافي وفعله؟، وما ضرورة الاضاعة على الممارسات والتفاعلات المجسنة والمجنردة؟.

-ما هي الممارسات الذكورية والأنثوية الثابتة عبر مسار الهجرة والعودة؟، وما هي الاستراتيجيات الفردية في التكيف مع تغيرات المواقف السلوكية المختلفة ثقافيا؟.

-ماهي الإفرازات السلوكية والثقافية بالمهجر التي تؤثر على بنية الأدوار الجندرية وتمثلاتها؟
-كيف تمكنا المقاربة الجندرية من فهم عمق آليات تكيف التنوع الثقافي عبر التفاعلات والممارسات اليومية متداخلة المسافات؟.

الأسئلة الفرعية المنبثقة:

-إلى أي مدى تتوافق التراتبية بين الجنسين لدى مجتمعين مختلفين في الابنية الثقافية والاجتماعية داخل الحياة اليومية؟.

-هل الثقافات لفرعية المنبثقة عن الهجرة هي عوازل اجتماعية أم مساهمات ثقافية فاعلة بالمجال الهجروي¹؟.

إشكاليتنا إذن مركزة على فهم التفاعلات بين الجنسين ورؤية الثابت والمتحول من خلال تلك الأدوار والممارسات المجرية عبر الهجرة، هذه الأخيرة لا تتفصل بين نقطة الانطلاقة والوصول، بل بالعكس هي ممتدة وعابرة في مسار الهجرة والعودة، سواء للمقيمين بالدرجة الأولى أولى، أو أولئك المنقطعين، نحن نؤكد إذن على قيمة التراكيب والتكامل ما بين الجنسين لفهم الجندر، و اعتبار المسار والعاير اوضح واشمل في ابعاده الملامسة لتجارب الافراد والجماعات المهاجرة من ذلك الانطلاق والوصول الذي يشدنا الى الازدواجية والثنائية المنفصلة والمتصارعة،تكون مسألة التنوع الثقافي عبر مسار الهجرة مروبوطة الصلة بين الجندر والهجرة في شكل حي ومرئي غير مجرد.وكاشف للثقافة والافراد ككل وهو يشد جميع اشكالات الاندماج والتكيف لدى المهاجرين ومجتمعاتهم.

4-الفرضيات:

الفرضيات الرئيسية:

-أسلوب الحياة اليومي في تمثل الجندر (ذكورة وانوثة) والذي ينشئ فيه المهاجر قد يختلف عن الذي سيلتحق به فيما بعد، كونه مهاجر او مرشح للهجرة مما سيولد لديه حس المقاومة ومحاولة الثبات على ما هو عليه.

-ظهور المهاجر وتجسده في واقع مغاير مختلف خاصة من ناحية تصوراته الجنسانية والذكورية والانثوية يحتم عليه ايجاد طرق وتكتيكات ليعتدق داخل المجتمع الجديد.

-التجربة المعيشة اليومية ببلاد المهجر تجعل من الجنسين يفقدان حس المقاومة والممانعة والانشداد لادوارهم الاولى فيتبنون تصورات وتمثلات ومواقف جديدة لتساعدهم في ادائهم اليومي داخل ثقافة وحيز اجتماعي مختلف بغية الانخراط السلس في موجة السلوكيات المتوقعة من المجتمع المضيف.

¹ أستخدم مفردة المجال "الهجروي" والتقليد "الهجروي" للتأكيد على ضرورة النزعة للهجرة وليس مجرد فعل الهجرة وكذا تميزها عن مفردة الهجري التي لها علاقة بالسنة الهجرية، بالرغم من كونهما اساسا على فعل وتاريخ الهجرة، الا اننا نميز اصطلاحا لاطهار النزعة للهجرة لدى الشباب ومجالاتها.

-عملية الهجرة ومساراتها عبر التداخل الثقافي والعبور الثقافي والبيئية الثقافية، تخلق مجتمعا مغايرا وعوالم اخرى واقعية ومتخيلة.

الفرضيات الفرعية:

-وجود مظاهر مقاومة للدوار الجندرية/الجنسانية الالمانية في مجتمعه وبيداه ومؤسسته يوسع من الفجوة بينهما مما يقلص حظوظ الاعتراف بالآخر والتركيز على التمييز أكثر.

-تختلف الممارسات والاداءات الجندرية والجنسانية في المجتمع الالمني عن تلك التي نشهدها في مجتمعا ما يجعل الجنس الانثوي يغتري بحس المساواة والحرية وفي ذات الوقت ترفع من تشنجات ذكورية (فحولة، رجولة).

-التجربة الجنسية/الجنسانية التي يشهدها المهاجر/المهاجرة ببلاد المهجر(المانيا) تزيد من الحساسية الدينية عبر المواقف اليومية والتي تمارس في الفضاء العام، والذي يتسم بحس الاقصاء/الاستبعاد الاجتماعي، ورفض الاعتراف بها وبالتالي تؤدي الى خلل تعريفي للمواطنة.

-تبرز قيمة التنوع في خلق مساحة للاعتراف ورفع حظوظ المبادرة الفردية والجماعية بين الطرفين بحيث تصبح عملية ممارسة السلطة بين الثقافتين او اكثر مرنة واداة عوض ان تكون هدفا أحادي المنشأ والغاية بدءا بالهوية الجندرية وانتهاءا بالثقافة.

5- نموذج المفاهيم النظرية والإجرائية:

1-5 الجنس: Sex

أ: نظريا

ان "لفظة الجنس استعملها العرب القدامى كي يترجمو Genus من اليونانية القديمة ويميزوا بينها وبين Edios النوع و Diaphora الفصل والفرق الا انهم لم يعرفوا استعمالنا الحديث للفظه الجنس بالمعنى الشبقي، ولذا فهو استحداث وقع تحت وطأة الحاجة الى تسمية تخرج بنا من النبرة المزعجة لعبارة النكاح التقليدية وتعويضها بلفظة مستساغة"¹.

والمعنى الثاني الذي يقترب من الرغبة او الهو وهذا يشار اليه بالنكاح اي الممارسة الجنسية، فاللغة العربية تبتعد عن النوع Genus والفروق الجنسية Sexuality و الوجود المجنس existence sexuée"²، تذهب العلوم الاجتماعية الى اعتبار الجنس: "الجنس مثل اي متغير

¹ فتحي المسكيني، الهجرة إلى الانسانية، دار ضفاف ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2016، ص53.

² المرجع نفسه، ص54.

سوسيو ديموغرافي يصف الانتماء الى مجموعات سكانية فرعية/رجال نساء،اطفال شباب/كبار...¹.

" الجنس غريزة قوية للغاية... ما من شك ان الغيرة الذكورية والاحتشام الجنسي والمكر الانثوي وعملية الانجاب الجنسي والمصاحبة الجنسية كلها جعلت من الضروري حتى في اكبر التجمعات الانسانية البدائية وان تكون هناك اساليب فعالة وقادرة على تنظيم وكبت وتوجيه الغريزة"².

ب:إجرائيا

هي الفئة الشبابية المنتمية الى منطقة تيارت بالمجتمع الجزائري والمهاجرة من الجنسين، الجنس هنا متغير وسيط بين الهجرة والجنس والتنوع الثقافي، حين يكون التميز بين ردود افعال المهاجرين وممارساتهم اليومية المتأثرة بفئتهم الجنسية.

2-5الجسد/Body

أ:نظريا

الجسد ليس هو الجسم، الجسم يمس الهيكل المادي اما الجسد ما نجسده من الرموز والمعاني والممارسات عبره، يقترب اذن مفهوم البشر من ما يباشر اجسامهم على عكس الذي يخزن رموز ومعلومات ويعبر من خلالها ويجسدها ماديا، "هذا الجسد الشيء معروف من الخارج كألية بسيطة حيث ان حدوده هي الجثة المسلمة للتشريح وللتفكيك...للبهجة التصويرية والذي يتعارض مع الجسد المسكون والمنسي والممتحن من الداخل كانفتاح واندفاع وضغط ورغبة وايضا كفاعلية وتوطد والفة فهو نتاج توسيع للجسد بعلاقة مع عالم من المتفرجين"³ لا تخرج رؤية بورديو للجسد عن رؤية هايدغر " و"مورلوبونتي".

ان عملية التجسيد للعلامات التي تدل على الانخراط في جماعة ما او اجراءات فردية معينة:" دلت علامات الجسد مطولا على الانخراط في جماعة اجتماعية محددة بدقة...اليوم تعبر عن

¹ ISABELLE CLAIR, sociologies contemporaines. Sociologie du genre. édition Armand. paris.2012.p08.

² هالة كمال وأية سامي، النسوية والجنسانية، ترجمة عابدة سيف الدولة، مؤسسة المرأة والذاكرة،مصر، ط1،2016.ص72.

³ ستيفان شوفاليه كريستيان شوفيري، معجم بيار بورديو، ترجمة الزهرة ابراهيم، دمشق سوريا، دار الناي، ط1، 2013،ص112.

إجراءات فردية وعن اختيار كل واحد انها ترجمة عن واحدية الجسد التي تطبع مجتمعاتنا بعمق.¹

لقد كانت بوادر دراسة عمليات التجسيد على يد "مارسال موس" حين ركز على التجسيد الا ان الدراسات السوسولوجية المعاصرة اليوم تسعى الى: "سوسولوجيا الجسد Sociology of Body يقوم اصحاب هذا التخصص الحديث نسبيًا بدراسة البشر وتحليلهم بوصفهم اشخاصا متجسدين في اجسام وليسو مجرد فاعلين ذوي قيم واتجاهات وهم يسعون وراء الكشف عن المعاني الثقافية المتباينة المرتبطة بالاجساد والاساليب التي يتم من خلالها ضبطها وتنظيمها واعادة انتاجها..."²، كما تهتم ايضا بالعمليات المتداخلة والمتضافرة في التوسع والتي شملت عدة مواضيع صحية او ثقافية او حتى عرقية ك: الجسدنة Body privilege - Embodiment/التجسيد،³.

ب: اجرائيا

الانسان المهاجر خضع جسده لعدة تجارب وخبرات ثقافية واجتماعية طقوسية وعقائدية فردية وجماعية وتعرف على جسده الذكوري او الانثوي واكتسب وعيا يجعله يدرك الاشارات والرموز الواردة ومخرجاتها عبر جسده الذي يتصل به مع العالم الخارجي، اذن الجسد كادراك ووعي وسلوك للمهاجر، فهو اداة الاندماج والتكيف ومؤشر كل ذلك مما تعنيه العمليات الخاضعة لتجسيد حضوره وتجنسيه.

3-5 الجندر: * Gender.

أ نظريا

" كتب روبرت ستولر في كتابه (Sex and Gender: on the development of masculinity and feminity 1968): "مصطلح الجندر للإشارة الى تعقيدات تلك المناطق

¹ دافيد لويرتون، الوشم والتقب ترقيع هوياتي، كاترين هالبرين، الهويات، الفرد والجماعة والمجتمع، ترجمة ابراهيم صحراوي، الجزائر، دار التنوير الجزائرية، ط1، 2015، ص143.

² جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة، محمد الجوهري وآخرون، المجلد 2، الجيزة القاهرة، المركز القومي للترجمة، 2000 ص698.

³ www.wikipedia-org.com الجسدنة والتجسيد في علم النفس الاجتماعي.

*رايت من خلال البحث عن كلمة جندر او الجنوسة كثيرا كتعلقة بالناثير الغربي على العلوم الاجتماعية ومسيطرة ولم نستطع ان نلتفت شرقا لملاحظ تاثير الحضارات والثقافة الشرقية وروية باب الموازنة من اليابان والصين والهند بمفهوم **الين واليانغ** ورمز التداخل والتوازن بين الطاقتين الذكورية والانثوية.

الهائلة من السلوك والمشاعر والافكار والاستيهامات التي تكون مرتبطة بالجنس ومع ذلك لا تمتلك الدلالة البيولوجية اساساً¹.

تذهب في هذا الاتجاه "جوديث بتلر" في عملها مشكلة الجندر Gender Trouble. فهي ترى أن: "الجنوسة ليست اسماً بل هي فعل ادائي Doing Gender، ... يمكن ان توصف بانها تسبق الفعل وجوداً، يتم انتاج الذاتية المجنسة Gendred في سلسلة من الخطابات المتنافسة وليس من خلال ابوية مفردة وعلاقات الجنوسة هي عملية تتطوي على استراتيجيات واستراتيجيات مضادة للسلطة (التجنيس والعمليات الاجتماعية المولدة). فكل من الذكورة والانوثة تبني باستمرار وتناقش على اساس يومي ويوضح التسليم بها الى اي مدى افلحت عمليات الجنوسة"² فلقد تأثرت بالتيار المابعد بنوي والتفكيكية، في رؤيتها للجندر من خلال نظريات الخطاب والاداء.

يعتبر غوفمان: "... الجندر بأنه أية ترابطات بين الجنسين قائمة ثقافياً ويمكن ملاحظة هذه الترابطات في الوضعيات الاجتماعية التي يعرفها بانها مجالات المراقبة المتبادلة يصنع الافراد في الوضعيات الاجتماعية الاستعراضات الجنسية التي تشير الى انحيازنا الى التعريفات الثقافية للفروق الجنسية".³

يركز على اهمية التفاعل اليومي وطقوسه في ترسيم الدور الجندي والهوية الجنسية، فالجندر هو "... يفعل، و يمارس ويختلف باختلاف مواقف التفاعل الاجتماعي، مبني على التفاعل DOING GENDER وست وزيمرمان (WEST&ZIMMERMAN) ويجب ان يفهم كإنجاز⁴ (Accomplishment)... فالجندر كفعل وممارسة هو الذي يؤدي الى الفروق بين الجنسين" من Doing Gender الى Doing Difference اي صناعة المفهوم تؤدي الى صناعة الفروقات من خلال وصف مفهوم القوة وعدم المساواة بين الجنسين فمن خلال التفاعل الاجتماعي بين الافراد ينتج مفهوم الجندر وينتج معه الاختلاف... بناء على العرق والطبقة ايضا"⁵.

¹ ديفيد غلوفر و كوارا كايلان، الجنوسة-الجندر، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1، 2008، ص27.

² طوني بنيت، وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة، سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2010، ص265.

³ ارفنغ غوفمان، البناء الاجتماعي للهوية الجنسية، ترجمة هدى كريملي مراجعة حسن احجيج، مؤسسة مؤمنون للدراسات والابحاث، المغرب، ط1، 2019، ص ص 24، 25.

⁴ عصمت حوسو، الجندر الابعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2009، ص160.

⁵ المرجع نفسه، ص160.

تسعى التفاعلية الرمزية سواء غوفمان او من الاتجاه الاثنوميثولوجي الى التركيز اكثر على دور الفعل والحرية للأفراد، دون حتمية كلية وشمولية للنسق او النظام الاجتماعي، بل تعتبر الانظمة والاجتماعية والابنية تشكلات من من افعال وممارسات متفاعلة وليس حتمية مسبقة، "Normative conceptions" ¹.

ب: اجرائيا:

هي تلك التمثلات والادوار والاداءات والمواقف والتوقعات الذكورية والانثوية التي نشأ وشكلها الجنسين في المجتمع الجزائري عبر طقوس وسلوكيات مكررة، والتي يعاد انتاجها لدى المهاجرين عبر مسار الهجرة بشكل يومي، وعبر فضاءات مختلفة وشخصية واجتماعية، كما انها اسلوب يتكرر وقد ينجز ويؤدى بصفة مختلفة، حسب الظروف المحيطة بالمهاجر/المهاجرة مما يجعلها استراتيجيات مختلفة لتتكيف، كأن يتخلى الذكور عن انشادهم نحو النزعة الذكورية واطهار نوع من التفتح والليوننة تجاه الجنس الاخر الاجنبي، او تتخلى النزعة الانثوية عن طواعيتها المطلقة للذكورة، وابداء نوع من التحرر عن المركزية الذكورية واعلاء من شأن حريتها امام الاخر ببلاد المهج، بالرأي والمحادثات والكلام والملبس والزواج. وارتياح المقاهي وقاعة انتظار الحافلات والعمل وتربية الابناء.. الخ.

4-5/الجنسانية:sexuality

أ: نظريا:

ان اول استعمال مدون للجنسانية ظهر عام 1836م، ويرى اكتساب الصفة الجنسية او امتلاك جنس" ²، اذن الامر تعلق مبدئيا باكتساب جسد و اسم، الجنس والصفة له، وكل هذا مبدا اساسي في استمرار الوجود البشري، لما يعتمد في ذلك على الرغبة الجنسية على طاقة اللبيدو ف: "يفترض بالجنسانية ان تسمى الرغبة الجنسية؟ او هل تحيل بدلا من ذلك الى الكينونة المجنسة للمرأة؟، اذا وجدنا انفسنا نجيب بنعم على التساولين عندئذ سيبدو ان الجنسانية تضم افكارا حول اللذة والفيزيولوجيا والخيال والتشريح" ³.

¹ المرجع نفسه ، ص 161.

² جوزيف بريستو، الجنسانية، ترجمة عدنان حسن. دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، 2007، ص10.

³ المرجع نفسه، ص ص: 08.07.

في التشكيل الاجتماعي للجنسانية مصطلح شائع الاستخدام وله رنين ميكانيكي، لكنه في جوهره يحمل هما واضحا ومباشرا بشأن الطرق الدقيقة والمتعددة التي تتشكل منها مشاعرنا ورغباتنا وعلاقتنا في المجتمع الذي نعيش فيه¹، تلعب الاطر الاجتماعية دورا مهما في المنع والتسريح للرجبات الجنسية، وتعتبر الابنية والانظمة الاجتماعية عاملا حاسما في تلقي الفرد هذه القوانين والممنوعات والمرغوبات، وهذا ما يجعلها احيانا تتسم بالثبات او ثنائية ما وهو ذات الامر الي يجعلنا نرفض علاقات من نوع آخر مسترجعين في ذلك الامتدادات للتجارب الاجتماعية الاولى والصور المهيمنة إلا أن: "الجنسانية بحاجة لان تفهم في علاقتها بظواهر متغيرة على نطاق واسع من الدوافع"²، او كما عبر ذلك "شور بكون": "الجنسانية امر منتجا ومفيدا اكثر منه سلبيا او كابتا او... اقرب الى الصيرورة منها الى الشيء الثابت"³، وتلعب الجنسية دورين مهمين في التاريخ الانساني من التشكل والتاثير، لذا يمكن: "التفكير في الجنسية وتجربتها والتفاعل معها باشكال مختلفة بحسب السن والطبقة والاثنية والقدرة الجسدية والميل الجنسي والتفضيل والدين والمنطقة"⁴.

ب: اجرائيا

هي تلك التمثلات والتصورات المستدمجة في ذات الانسان، وكذا تحديد لنوعية جنسه وانتمائه اكان ذكرا او انثى. كما انها رجبات جنسية معبر عنها أومكبوتة تشكل الهوية الجنسية للانسان عموما، وهو ذات الامر بالنسبة للمهاجر.

ان المهم من كل هذا اسلوب التعامل مع الهوية والانتماء والتصور الجنساني والكيفية التي يعرف بها عن نفسه او تلك الممارسات الحميمية المتوقعة من الطرف الاخر سواء كان انثى او ذكر، او تداخل وتضافر عوامل ومتغيرات مثل: السن والجنس والفئة والميل الجنسي الانتماء الجنسي الاثني تجعل الامر شديد التنوع.

5-5 الذكورة والانوثة: Masculinity/Feminity

أ: نظريا

¹ هالة كمال وأية سامي، المرجع السابق، ص72.

² جوزيف بريستو، المرجع السابق، ص.08.

³ هالة كمال وأية سامي، المرجع السابق، ص، ص89.88.

⁴ المرجع نفسه، ص66.

في الذكورة والانوثة، هاتان الصفتان الحميمتان قد انفجرتا امام النقد الانثروبولوجي المعاصر الم يقل "روزاك" في كتابه: "ذكورة وانوثة" يلعب دور الذكر وتلعب دور الانثى وهو يلعب دور الذكر لانها تلعب دور الانثى... ولو لم يكن يلعب دور الذكر لكان الارجح اشد منها انوثة... الا في الحالات التي تكون فيها مرنة في لعبة الانوثة، ولو لم تكن تلعب دور الانثى لكانت على الارجح اشد منه ذكورة"¹.

يشير "سليم" الى ان شبكة لعب الادوار يتاثر فيها الطرفان ببعضهما البعض وهذه نقطة مهمة لفهم دينامية لعب الادوار فكلاهما يحدد الآخر: "الرجال والنساء يولدون ولديهم امكان الشدة واللين والعدوانية او السلبية الذكورة والانوثة ولا مناص من تعليمهم ان يكونو مثل هذا الجنس او ذاك وهكذا، فإن المجتمعات المختلفة تعلم اشياء مختلفة ومن هنا نستنتج الثقافة هي التي لطفت الجنس اللطيف وان الثقافة هي التي خوشنت الجنس الخشن"².

- "هذه العلاقة بين الاكتمال وعدمه بين النقاء والدنس والتي تمثل الفارق بين المنى والحيض اي بين الذكورة والانوثة يردها ارسطو لفارق اساسي سيوجه الينا كشيئ طبيعي بيولوجي بناه العقل ويتمثل في القدرة على الانضاج..."³.

يلعب مفهوم الخصوبة والاختصاص وافرزاته دورا مهما في عملها لتوضيح اشكال الاختلاف الذكوري والانثوي: "لا بد للخصوبة الذكورية ان تمر من خلال السيطرة على المرأة ذاتها وعلى نتاج خصوبتها، يتوزع بين النساء والرجال المرأة خصبة مبتكرة للحياة وفي المقابل نجد الرجل وكان مهمته في التنظيم والتقنين وفرض الحدود وتحديد المدارات ووضع السياسات"⁴، كما انها تحاول تسليط الضوء على الانحياز الاعمى للذكورة من باب الدعوة الى وضع دراسات عن الرجولة والذكورة: "لا نتحدث مباشرة عن عمر الرجل عن مرحلة النضج النشطة لذلك يمارس المهام والمسؤوليات والسلطة في ظل النظام التي تحدثنا عنه عمر الرجل هو الثقب

¹ سليم دولة، الثقافة، والثقافة الجنسية، الذكر والانثى ولعبة المهدي، مركز الائمة الحضاري، حلب سوريا، ط1، 2019، ص21.

² المرجع نفسه، ص31.

³ فرانسواز ايرتينييه، ذكورة وانوثة، فكرة الاختلاف، ترجمة كاميليا صبحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، د. ط. 2003، ص201.

⁴ المرجع نفسه، ص211.

الاسود...فهذا الصمت الغريب ذاته فيما ارى هو اصبع على كل ما يحدث للبشرية صفة الشرعية"¹.*

ب:جرائيا

يهمنا تاثير التنشئة والتربية والثقافة على لعب الدورين ورؤية الاختلاف في ذلك بالرغم من الانحياز لتعريف الذكورة بالمفرد والانوثة بالتابع كان نجدالمهاجر يشترط النسب والمصاهرة والاسم العائلي بلا ادنى شك في بناء اسرته او يحدد سلفا دور داخل المنزل هذا من جهة تحاول الانثى لعب دورين دور المنافس على السلطة والتاثير بالمساواة كقيمة اجتماعية اوروبية أو غربية أو الدور الاول هو الإبقاء على الملاطفة.

6-5:الهيمنة الذكوريةHegemonic masculinity

أ:نظريا:

"قالهيمنة(La domination Masculine) والخضوع...هو ما عبر عنه بورديو بالعنف الرمزي، ذلك العنف الناعم واللامحسوس واللامرئي...وذلك كله متاصل في العقول والاجساد ادمج بشكل ترسيمات(Shémes)لاواعية في الادراك الحسي والتقسيم، التقسيمات المكونة من الهابتوسات(Habitus) على شكل تخلقات(Hixis)جسدية ومتناقضة ومكاملة لبعضها البعض..."².

الهيمنة هي عملية متداخلة ومستدمجة بين البنى الاجتماعية والثقافية التي شكّلت على الجسد والفرد الذي سيعيد انتاجها وتبادلها ضمن الحقل والنظم المتعارف عليها وتقريرها، فالهيمنة تمس الجانب الرمزي والمادي في طرق اعادة انتاجها، ف"التواطئ الموضوعي بين البنى المستدمجة لدور النساء والرجال، وبنى المؤسسات الكبرى، حيث يكتمل ويتوالد ليس فقط النظام الذكوري، بل ايضا النظام الاجتماعي برمته..."³، كما أن الهيمنة ترتكز على التعصب الذكوري والتمركز حوله Androcentrism: "الانحياز للذكورة او الميل عن المنظور الذكوري وتجاهله"⁴، ويمتد

¹ المرجع نفسه، ص 275.

*" في كل الاحوال فالرجل هو القياس الطبيعي لكل شئ وهو الذي ينشأ النظام الاجتماعي نفس الفكرة عبر عنها بصورة مباشرة جماعة البارويا بغينيا baruya كما يقول موريس غودليه"الجالية والمجتمع، ص205.

² بيار بورديو، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني،مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1،2009،صص،10.09.

³ المرجع نفسه، ص11.

⁴ شارلوت سيمور سميث، موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات،ترجمة محمد الجوهري وآخرون،المركز القومي للترجمة،الجيزة القاهرة،ط1،2012،ص218.

ذلك ليصبح ظاهرة اعمق في الاخلال او الاعراض عن الجانب الانثوي ومقاومته ليصبح فرطاً ذكورياً (Hypermasculinity)، "الذي يشير الى...النظر الى العنف انه رجولي وتصور الخطر أنه مثير وواقعي والسلوك القاسي تجاه المرأة واعتبار الصمت وعدم إظهار العاطفة قوة"¹، وحين تكرر هذه العمليات تصبح ضمن الجسم الثقافي كأنها ثقافة ذكورية مفردة (Hypermasculinity cultur)، كما يمكن القول أنه ضمن مفهوم النظام الأبوي (Patriarchy)² كمحصلة نهائية واجتماعية للبنى، وهناك فرق طبعا بين كل هذا والرجولة (Virility) التي هي قيمة وفضيلة اخلاقية قد تشترك حتى النسوة.

"ان التمثل الذكوري المتمركز لاعادة انتاج البيولوجي ولاعادة انتاج الاجتماعي نفسه يجد نفسه محملا بموضوعية الحس المشترك المتفق على تسوية عملية ومعتدية (Doxique) على معنى الممارسات"³، ان الهيمنة ليست معطى بيولوجي بالقدر الذي يعلب في النوعان دورا في تجسيد تلك الترسيمات الاجتماعية، عبر عمل تكويني وبناء (Diacritique . Duilding) فالنساء على استعداد لهذا.

ب: اجرائيا

ينطبق هذا على المهاجر/المهاجرة، فالهيمنة الذكورية لا يمكن رؤيتها الا من خلال الممارسات والسلوكات واللغة المستعملة والتمثلات والتبادلات بين النوعين، في البيت والادوار الوالدية او شعور الذكور بتشجات غير مرغوب فيها.

تعتبر بمثابة زحزة لتصور هيمنة المورد والندرة التي خلقها الذكور للاستحواذ على السلطة وخلق خضوع وطواعية، يحاول ايضا المهاجرين ترميم الهيمنة الذكورية عبر الايروس والاباحية في الممارسات الجنسية المعنفة، كما ان ابنية الاسرة ورغبة ادخال الزوجة للاسلام او التزوج من "بنت البلاد" ليس الغرض منه الا اعادة لترميم النظام الابوي والهيمنة الذكورية لما يتصوره المهاجر في تحقيق ذلك عبر الاسلمة الجسدية والنفسية والعلائقية فهو يراها تخدم المركز الذكوري.

7-5 الهجرة/المهاجر.المغترب/الاجنبي: Migration/Immigrant/Emigrant/ Stranger

¹ <https://www.britanica.com.2021.07/01.18:13.pm>

² انظر: غريدا ليرنر، نشأة النظام الابوي، ترجمة اسامة اسير، المنظمة العربية للترجمة، المركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، لبنان. ط1، 2013.

³ بيار بورديو، المرجع السابق، ص 60.

أ: نظريا:

يمكن اعتبار مفهوم الغريب والاجنبي لدى كل من جروج زيمل¹ 1908م وألفريد شوتز² 1944م مرجعين اساسيين في علم الاجتماع الهجرة ف" الغريب هو شخص ينتمي الى مجموعة دون ان يكون جزءا منها لانه قادم من مكان اخر لا يشاركها تاريخها ولا ثقافتها انه ليس دخيل ولا منبوذ ايضا لانه يجلب للمجموعة صفات غريبة عنها فهو الوسيط المثالي الجسر بين مجموعتين يستورد الافكار انه اكثر حرية وحكمة واقل تورطا في الاعراق والعادات نثق به هو قاضي جيد"³.

ياخذ معنى الغريب لدى "زيمل" ضمن نظريته التفاعلية للاشكال الاجتماعية نسقا ضمنا غير سلبي لذلك اختار الوسيط المثالي، الجسر، واكثر حرية وقل تورطا في بنى الانظمة الاجتماعية فهو قادر على التشكيل.

هو لا هنا ولا هناك(جهد مهم في مقال الجسر والباب1909م)، يتحدث عن تناقضاتنا وغيرتنا وحريرتنا وتجولنا والسلطة وحقيقة ان الثقافة لا تكفي لتجنب الصراع...كان شغفه بالفهم تفسيرا وفكرا دائريا، والف في كل لحظة جسرا بين الاشياء التي لا يربطها شئ لتحديد ما يجمعنا ويفصلنا عن كثر قدر الامكان"⁴ يتحدث زيمل عن الطبعة التي نكتفها نحن البشر بين ذواتنا وموضعات حياتنا المتاحة للتواصل معها هذه العلاقة المتناقضة بين التماسك والتنافر، ف" الاجنبي هو الشخصية التي نتملكها غالبا ما يوصف الماضي المسافر الذي يصل في يوم ما ويغادر في اليوم التالي لكن الشخص الذي وصل والذي سيبقى مسافر محتمل بطريقة ما"⁵

" الغريب /الأجنبي حسب شوتز راكبا نموذجيا من نموذج ثقافي لآخر" فالمجموعة الاجتماعية ليست مكان للجوء بقدر مكان للمغامرة " قد تهم هذه الصفة الرجل الهامش او الوافد الجديد ولكن ايضا من حيث المبدأ التكوينات الممكن تحقيقها لهذه الغاية"⁶، يرتكز شوتز على فهم الاجنبي وتحليلاته ضمن الإدماج الاجتماعي للمهاجرين كدراسة: الوافد الجديد ، تجربة الغرائبية، القريب، البعيد، العفوية ، التعالي انعكاس الهوية التلقائي.الذات والعالم.

¹GEORGE SIMMEL, The stranger : An essay in sociological.1908. .www.jstor.org.

²ALFRED SCHUTZ, The stranger : An essay in social psychology.1944.www.jstor.org.

³GEORGEJOAN STAVO GEORGE, simmel. Un étranger j'amis pleinement arrivé et toujours en partance.www.academia.edu2020-02-12-

⁴. GEORGEJOAN STAVO GEORGE Ibid.

⁵.Op.cit.

⁶LANCHET WALTER ET ALFRED SCHUTZ.l'étranger. les annales de la recherche urbaine.n 97. www.persee.fr. 2004

⁶ SIMON LAFONTAINES :. L'étrangeté du familier : pour un renouvellement de la théorie du monde social d'alfred schutz. npss v 13 n 02.www.erudit.org.2018.05.13.14 :35pm

يعتبر ما قدمه عالم اجتماع الهجرة "عبد المالك صياد" سابقة في نحت فروق اصطلاحية بين المهاجر Migrant والمستوطن Immigré والمغترب Emigré: Des La double absence. ¹ Illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré. والثالث من ² L'immigration ou les paradoxes de l'altérité من: واصبح المفهومان معتمدان في دراسات الهجرة، ونعتبر ان الموقف العلمي لا يختصر في كونه نحت المفهومين وفرق بين الاستعمالين في ذات الظاهرة وحسب، بين المغترب والمستوطن، بل في اختياره لمصطلح المهاجر Migrant، هذا الذي سيكون دفعة قوية لابواب كثيرة في دراسات الهجرة، فحينما نقول مهاجر هو في حالة هجرة يعني في حالة تجوال بلغة مدرسة شيكاغو المنتصرين لهوية المتجول/السائح، او نحو رؤية عالم الاجتماع الفرنسي ميشال مافيزولي عن الترحال.

"في الأدبيات العلمية خلال التسعينات لاحظنا رفضا لاسم المغترب والمستوطن الذي اقترحه عبد المالك صياد والذي تم نقده باعتبار يعطي صورة بائسة للغاية عن الاجانب... ادى هذا الميل الى نكران قدرة الافراد والجماعات على الفعل ورد الفعل في الهجرة فالمهاجر هو جهة فاعلة تحاول تنفيذ مشروع الهجرة في الهوامش الطبقيّة للمبادرة التي تركوها... ينظر الى الهجرة إنها طريقة لتشكيل الذات كموضوع وكفاعل ومؤلف لحياة الانسان"³.

نحن بعصر التدفقات (ارجون ابادوري او الثقافة السائلة زيخمونت باومان) ما يعني أن المهاجر والمتجول اقرب من صفة المغادر من مكان لآخر، فهو في حالة انتقال من مكان لآخر باحثا عن شروط افضل للحياة، فالانتقال هو حالة الاستقرار بعينها" من مغترب مهاجر الى مهاجر متجول يرافق تطوير هذا المصطلح نقلة نوعية في دراسات الهجرة نحو مفاهيم عبر وطنية والتداول والتنقل الذي يصاحب تمجيد الترحال، يرتبط تطوير مصطلح مهاجر ارتباطا وثيقا بمفهوم الدوران المهاجرين التي حددته "مارينا هيلي" و"وليام لير" و"ثومسير" كنهج...⁴.

اذن الهجرة Migration حسب عالما الاجتماع "ستفن كاستلز" و"مارك ميللر" هي⁵ : "قوة ديناميكية دافعة ومهمة داخل العولمة واصبحت جزءا من التغيير الاقتصادي والاجتماعي"، الهجرة ليست فقط رد فعل لظروف صعبة وقاسية في الدول المنشأ قد يكون الدافع ورائها ايضا

¹ Lo.cit. ABDELMALEK SAYAD. La double absence.des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré. Edition seuil .paris.1999.

² .loc.cit, ABDELMALEK SAYAD. L'immigration ou les paradoxes de l'altérité : tome 2 et 3. Edition raisons d'agir. france.2006.

³ <https://www.muclenlab.hypotheses.org/3103/2011.09.08.-10:29pm>

⁴ Op.cit. <https://www.muclenlab.hypotheses.org>.

⁵ ستيفن كاستلز ومارك ميللر، عصر الهجرة، ترجمة منى الدروبي، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2013، ص.149.

البحث عن فرص واسلوب معيشة والتنقل من مكان لآخر"، الهجرة ليست فقط نتيجة للتحوّل الاجتماعي ولكنها في حد ذاتها شكل من اشكال التحوّل الاجتماعي..."، كما يذهب عالم الاجتماع البريطاني "غيدنز" إلى ان الهجرة تصل بين بلدانهم الاصلية والبلدان التي تستقبلهم وتؤدي حركات الهجرة الى التنوع الاثني والثقافي في كثير من المجتمعات"¹.

ب: إجرائيا:

المهاجر/المتجول رؤية لطبيعة الهوية، انه ليس بحالة اغتراب مزدوج بالقدر، الذي يسير فيه متكيفا مع التدفقات الثقافية المختلفة، فالمهاجر الجزائري و هو يغادر من بلده نحو بلاد اخرى قد يستقر فيها او لا، ثم يكون في حالة انتقال من تركيا الى اليونان، الى النمسا الى المانيا الى النرويج او السويد واسكتلندا وبريطانيا وربما سيغير القارة بأكملها، وحدث هذا مع الكثير من الجزائريين، فهم ليسوا بحالة شتات بالقدر الذي هم فيه بحالة تجوال وهويتهم بين العودة والمغادرة هي من التشكل عبر الاستقرار وهذا ديدنهم وكلمة الاستقرار لا تؤخذ بالمعنى السلبي بل هو بعد ثالث لهويتهم بين الاصل والمغادرة، تلك المرونة في العيش اليومي من خلال التجوال والترحال هي هويتهم وحياتهم.

8-5 التنوع الثقافي Diversity cultural/Multiverse

أ: نظريا

" هناك نوعان من التنوع...اولاهما: ان الناس يعتبرون متعددي الابعاد*، وعلينا ان نعطي اهتماما لامرين: تعددية الابعاد وعمق الانقسام لاي من ابعاد الاختلاف المحتمل Multifarious...اكثر دقة من اطلاق كلمة التنوع Diversity...التنوع سوف يتشكل من خلال ابعاد الافراد، ولذلك فان الامر الثاني-(يقصد ابعاد الافراد Multifarious) - هو التنوع الحقيقي مسألة عدد وتوزيع الأبعاد ذات الصلة من الناحية الدينامكية داخل مجموعة شكل او كل اجتماعي"²، يركز الباحثان على عدة مصطلحات لبلورت رؤيتهما في مفهوم التنوع الدينامكي:، الابعاد، الحواف، الخطي واللاخطي: "يعترف المدخل الدينامكي للتنوع جزئيا

¹ أنطوني غيدنز، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة وتوزيع مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص332.

*يمكن ان تتداخل نظرية الابعاد لدى غيبيرت هوفستيد للعالم الهولندي مع البعد السداسي الذي اضيف له بعدين سنة 1991 و 2010.

² تشوك دايك،وكارك دايك، الهويات الابعاد الدينامكية للتنوع،فصل من كتاب لفليب البرسون، التنوع والمجتمع، قراءة في العلوم البيئية، ترجمة اسامة الجوهري وعبد الرزاق اجلبي، المركز القومي للترجمة،الجيزة القاهرة، ط1، 2017،ص99.

بهذه المواقع للتفاعل، وهو يرحب بالتداخلات المتضافرة بوصفها مؤشرات مهمة للابعد وتقوية عدم الاتفاق والاختلاف والذي ينتج من الهويات الفعلية الممكنة"¹.

يضرب الباحثان مثالا توضيحيا: حيث يوضحا ترابط التنوع بالسياق، وما بين الخطي واللاخطي، الجوهري والحتمي وطبيعة الجذب التفاعلي: "أن أكون امرأة مسلمة ليست مسألة اضافة ما يتضمن اثنان من صور الاندماج في طبقة ساكنة ولا كوني بالطبع عضوا في الطبقة الوسطى غير متغيرة وان تكون وحدا من هذه الصفات هو ان تكون على مسار ديناميكي معقد، ومن الافضل استخدام صورة الفضاء متعدد الابعاد² Cultural Dimensions*د والتي من خلالها نرى البشر وقد جذبوا الى شبكة من الاتفاقات والانتماءات والهويات التي تزايدت..."³.

ب: إجرائيا

المرأة المهاجرة المسلمة او المهاجر المسلم، هو لا ينتمي الى هوية بعينها، فهناك انتماءات متعددة، كما ان السماح بالتعبير ضمن نسيج اجتماعي او فضاء اجتماعي مختلف. يعتبر هذا بعدا اضافيا يشكل من خلاله تنوعا ديناميا، عبر الممارسات والتفاعلات اليومية والسلوكية، فالتنوع ليس خارج السياق، بالفدر الذي يجعل السياق قابل ومرنا للاضافة والتشكل، وهو ذات الأمر بالنسبة للآخر المختلف عن "ي" - "نا"، فمن الجزء الى الكل والعكس، تكون الهوية مرنة ج ضمن الرؤية الدينامكية للتنوع عبر الهجرة، التي تعد حقا خصبا للصور والاضافات الخطية واللاخطية، والمنجذبة الى فضاء ونسيج اجتماعي متعدد كأوروبا - ألمانيا -.

9-5 التعدد الثقافي/Multicultural/ plurality

أ: نظريا

"مجتمع تعددي (Plural society) مفهوم ادخله الاقتصادي ج.س، فونيفال في تعريفه بالخصائص المميزة للمجتمعات كالمجتمع الاندونوسي، ففي هذه المجتمعات كانت طوائف متنوعة من البشر...مختلفين فيزيقا ولغويا ودينيا وثقافيا كما كانوا يحتلون موقع مختلفة في

¹ المرجع نفسه، ص103

² *تعتبر دراسة غيرت هوفستيد للابعد الثقافية جد مهمة في دراسات التنوع الثقافي لما ارتكزت على اربعة ابعاد كلاسيكية واضيف اليها بعدين مؤخرا فاصبحت بابعادها السداسية الاتية: مسافة السلطة وكيفية التعامل مع اللامساواة، الفرادة مقابل الجماعية، الذكورة والانوثة، تجنب عدم اليقين والحاجة الى التشكل، البعد الخامس 1991 التوجه طويل المدى مقابل قصير المدى، البعد السادس، 2010، التساهل مقابل ضبط النفس، وساتي على ذكرها بالتفصيل بالمتن.

³ تشوك دايك، وكارك دايك، المرجع السابق، ص109.

تقسيم العمل وسعت كل جماعة الى تحقيق غايتها دون ان تحس باي ولاء للمجتمع في مجموعته وقد حافظ المجتمع على كيانه"¹.

ان التعدد الثقافي او المجتمع التعددي يقتربان اكثر ومنسجمان مع التنوع فكلاهما معطى الا ان التنوع اساس وجود الثقافة والتعدد خاصية ثقافية مجتمعية.

"التعدد الثقافي خاصية انسانية وتسمح بمجتمع متعدد الثقافات واحترام خصوصيتها -ضمن المجتمع ذاته- ،على عكس التعددية الثقافية كادولوجية حديثة تسعى لانشاء مجتمعات موازية كالمساواة وحقوق المرأة والاعتراف بها بتوجه ديموقراطي ليبرالي"².

التعدد الثقافي عملية تهتم بالخصوصيات الثقافية للفرد والمجتمع ككل، فالسوسيولوجيا المعاصرة تسعى جاهدة للاعتبار ان: "تعدد الممارسات الثقافية لكل فرد يشدد على تعدد اندراج السياقية في مبدأ عدة هويات ثقافية للانسان المتعدد"³.

يفيدنا هذا في ملاحظة تكون الثقافة ذاتها، وتأثيرها بالعمليات المتعددة، ليتحول كل بعد في اثره على رؤية الانسان المتعدد، انها رؤية سوسيولوجية جذابة فعلا ف: "تفعيل الابعاد المنتجة للثقافة على نحو خاص قد نستفيد من ازاحة الانتباه السوسيولوجي نحو الملامح المعيارية والمعرفية لتملك الثقافي... فعلم اجتماع الثقافة يكمن في فهم علم عمليات الترميز التي تكون الحياة في المجتمع"⁴.

"يتزايد في مجتمعنا عدد الافراد الذين يندمجون في اشكال جديدة من التفكير والسلوك يمكن ان نكون في الوقت نفسه عملا ونحب كرة القدم ونقدر الموسيقى الكلاسيكية ونكون محبين للبيئة. اصبح الانسان المتعدد هو القاعدة وليس الاستثناء"⁵ ، اما السياسة التعددية فهي نزعة املتتها ظروف دول للتعامل مع الازمة الثقافية التي يرتكز عليها مفهوم الوطن او القومية او في ما يسمى سياسات الهوية ف " ان المسألة المركزية المطروحة امام المجتمعات الحديثة هي معرفة كيفية تصور التعددية والتنوع دون الوقوع في فخ التمييز ولا في العمومية... ان التحدي هو تجنب الوقوع في نفس عقبة التراتبية ومضاعفة جزر الفوارق ووهن النظام الاجتماعي"⁶.

¹ ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح، الكويت، د.ط، 1994، ص 535.

² A.GUTMAN. international encylopedy of the social and behavioral science www.sciencedirect.com/2021.09.06-18:54pm

³ لوران فلوري، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة علي نجيب ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2014، ص97.

⁴ المرجع نفسه، 110.

⁵ برنار لاهير، الانسان المتعدد، من كتاب: كاترين هالبيرن، المرجع السابق، ص 89.

⁶ مارتين عبد الله بريشاي، المرجع السابق، ص48.

ب: إجرائيا

التعددية من خلال الممارسات اليومية من الدين، والمعتقد والثقافة والسلوك لدى الفرد والجماعات المهاجرة والمستقبلية داخل أراضي الاتحاد الاوروبي.

10-5 التداخل الثقافي/العبر ثقافي/البين ثقافي - Intercultural /transcultural/cross-cultural

أ: نظريا

"...عبارة التداخل الثقافي تدل على وضع علائقي وعلى الاخذ بعين الاعتبار التفاعلات بين الجماعات والافراد والهويات ... فالتداخل الثقافي يقوم باجراء معين، فهو لا يتوافق مع الحقيقة الموضوعية..."¹، يشير التداخل الثقافي الى تداخل العمليات الجزئية والكلية عبر الممارسات اليومية كمفهوم نور ارتباط بظاهرة الهجرة وافرازاتها حصرا خاصة اذا كانت الرؤية تعنى بدور الفاعلين الاجتماعيين بذلك، " ان توجه التداخل الثقافي هو بهذا المعنى طريقة اخرى في تحليل النوع الثقافي، ليس من خلال الثقافات التي نتناولها على انها حالات او كيانات مستقلة ومتجانسة، بل من خلال سياقات وتفاعلات تقوم على منطق التعقيد والتغيير، وليس الاختلاف وعلى علم توليدي..."².

تظهر اهمية التداخل الثقافي من خلال القيمة المتاحة للافراد في التأثير على الجسم الثقافي وكذا الفسحة المتروكة لممارسة الثقافة بشكل تعددي، و معترف بهم صفة وخصوصية فاعلة للهوية الفردية والجماعية،³ ان التخلي عن مفهوم الهوية الاحادية البناء لصالح هوية جمعية يساهم في تعريف الفرد من خلال شبكة علائقية ووضعيات معينة وليس من خلال مميزاته فالهوية تعرف من خلال استراتيجيات وضعت في التنفيذ تبعا لظروف وتفاعلات معينة وقد حلت بدل النظرة الثقافية والهوية كنظام وترتيب النظرة اليها كنتاج وتصال وفعل"³.

ان التداخل الثقافي ينقل تعابيرنا واعمالنا الانسانية الى مستوى الابداع والاستمرار ويحفظ الاجيال التالية ويكشف التداخل الثقافي اصل مبادئ التواصل والتلاحح والتكامل بين الثقافات مقابل الصدام والتناقف"⁴.

¹ المرجع نفسه، ص54.

² مارتين عبد الله بريتساي، ص56.

³، المرجع نفسه ، ص22.

⁴ رشيد بلوح، التداخل الثقافي العربي الفارسي، المركز العربي للبحوث ودراسة السياسات، بيروت لبنان، ط1، 2014 . ص37.

نقصد بالعابر الثقافي أو العبر-ثقافي Trans-cultural: "... ويوجد مصطلح آخر هو Transculturation" ظهر اول مرة المصطلح سنة 1940 ودافع عنه الباحث الكوبي ارتيز فرناندو تغيير بشكل اقل عن مراحل سياق مختلفة... وهو أقرب الى "Déculturation"¹ و نقصد بالبين -ثقافي Cross-cultural: "التواصل بين الثقافات ويتم فهم الاختلافات والاعتراف بها ويمكن تحدث تغيير فردي ولكن ليس كل التحولات الجماعية في المجتمعات متعددة الثقافات القاعدة وتتم مقارنتها مع الثقافات الاخرى بالثقافة السائدة"² او كما عبر عنه "تراوديك": "الاتصال او التلاقي بين مجموعات ثقافية مختلفة من خلال العلاقات القائمة على كيانات مختلفة يطلق عليها اسم ثقافات تعبر عن العلاقة مبنية بشكل رئيس من ديناميات متعارضتين دلاليا اما انفصال كيانات مختلفة او التقاء..."³.

ب: اجرائيا

عملية يتعلم من خلالها الطرفان كيف يتشركان السماح والاعتراف بدخول ثقافة الاخر ضمن حياتهما و، كان يقبل بلد المجتمع المضيف ان تمارس دينك ومعتقداتك على ارضه وتعرف به، فهو عملية قبول واعتراف من الطرفين فيصبح متفاعلين دون حدود اقصائية أو تمييزية أو أية اعتبارات دونية لثقافة الآخر وهنا تظهر اهمية مفهوم العلمية البين ثقافية Cross cultural و العابرة للثقافات Transcultural لفهم الاختلاف واستعبابه*⁴.

11-5 العرق/التعريق/المنظور العرقي/Race /Racial/Ethnoscape/:

أ: نظريا

العرق Race

: "ينعكس البناء الاجتماعي للعرق Social constraction of race على الطريقة التي تتغير بها الاسماء والفئات العرقية مع تغير الزمن، وتجدر الاشارة الى العرق بصفة المعنى فهو ايضا نظام تصنيف يوفر مصدر للهوية... على سبيل المثل تطورت فئة Negroid التي كانت شائعة في القرن التاسع عشر الى مصطلح Negro بحلول الستينات ثم سقط المصطلح من الاستخدام وتم استبداله African american كان القصد من هذا الاحتفاء بالهويات المتعددة التي يحملها الشخص الاسود"⁵، لقد مر مفهوم العرق بعدة تطورات تاريخية متأثرا بالحركات

¹ المرجع نفسه، ص ص 41.42.

² <https://spriginstitute.org.2021.06.13.16:28.pm>

³ برتران تراوديك، علم النفس الثقافي، ترجمة حكمت خوري و جوزيف بورزق، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2009. ص ص 103.104.

⁴ *سيكون للمصطلحين اهمية داخل المتن انما اولية اهتمامي لمصطلح التداخل في ديباجة النموذج المنهجي واخرت الباقي داخل المتن.

⁵ Loc.cit⁵ <https://spriginstitute.org.2021.06.13.16:28.pm>

الاجتماعية والتلاحقات الثقافية فما كان يدرج في خانة السمة الاشخاص المرتبطين وراثه ولونا وسلالة مشتركة، اصبح اكثر مدعاة الى فهمه في الثقافة المشتركة لنمط حياة معين وهذا الذي يجعلنا نميل الى تعريف العرق بالارتكاز على البعد الاجتماعي والثقافي.

اما التعريف Racialized Bodies

"إن عملية تعريق الجسد ليست مركبا بسيطا بل هو كل تلك التفاعلات الدينامكية والاستثنائية وحتى الطبيعة الصراعية ويقصد به ايضا: ¹ السياق الديالككتيكي الذي يجري من خلاله ربط المعنى بملاحق بيولوجية خاصة للكائنات الانسانية ويترتب عليه ادخال الافراد في طائفة عامة تعيد انتاج نفسها بيولوجيا"² اذن عملية التعريق للجسد الانساني تشمل المعاني اللاحقة عبر توتر يومي بين المعطيات الفيزيقية مثل اللون وافرزاته الاجتماعية والثقافية في عالم الواقع. والمنظور العرقي او الصور العرقية Ethnoscapes يقصد به : "... اولئك الذين يوجدون في حالة حركة دائمة، المجموعات والافراد الذين ينتقلون من مكان الى آخر (السياح، اللاجئين، العمال الاجانب) الذي يلعبون دورا مهما في العالم دائم التغيير الذي نعيش فيه... لا يستطيع البشر في عالم دائم التغيير السماح لخيالاتهم بالراحة ومن ثم يتوجب الاحتفاظ بهذه الخيالات على قيد الحياة"³، اشكال سائلة وغير منتظمة ومتغيرة، وهي من ثم تكون متسقة مع فكرة التعاير وليس فكرة التجانس"⁴.

ب: اجرائيا

هم الافراد والجماعات الجزائرية - الافريقية من الجنسين ومن اللونين الابيض والاسود المهاجرة الى اوروبا، ذوي السمات الثقافية الامازيغية والعربية والافريقية والسوداء والمغربية المسلمة بالجمع، تجسد هذه السمات والصفات والاسماء داخل هويتها الفردية والاجتماعية، فالانتماء الثقافي والجغرافي على علاقة في تعريق هوية هؤلاء الافراد والجماعات لينشكل منظور عرقي يصنفون من خلاله في بلاد المهجر.

12-15 الاثنية / الاقلية

أ: نظريا

¹ هلين توماس و جميلة احمد، الاجساد الثقافية، الاثنوغرافيا والنظرية، ترجمة أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2010، ص111.

² هلين توماس و جميلة احمد، المرجع السابق، ص 114.

³ جورج ريتزر العولمة، نص أساس، ترجمة السيد إمام، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2015، ص 542.

⁴ المرجع نفسه، ص541.

قد يكون مصطلح الاثنية (Ethnicity) الذي يصف " الثقافة المشتركة من ممارسات ومعتقدات لمجموعة اجتماعية قد تشمل هذه الثقافة اللغة والدين والتقاليد المشتركة ومن بين القواسم المشتركة للعرق " فالاثنية هي الوحدة الثقافية للمجموعة العرقية او مجموعة من الاقليات وكدليل على ذلك: " فانه يمكن التعرف على الافراد والاعراق بطرق معقدة بل متناقضة، على سبيل المثال قد تكون المجموعة العرقية مثل الايرلندي او الايطالي او الامريكي واليهود والصربيين مجموعة تتضمن اعضاء من البيض، وعلى العكس تضم مجموعة عرقية بريطانية مواطنين من خلفية السود والاسيويين " يوضح كل هذا مدى التنوع الشديد والحدود الضيقة بين العرق والاثنية.

اما الاقلية (Minority) فهي مجموعة اجتماعية مقابل مجموعة اجتماعية متعددة او ذات الاغلبية بغض النظر عن عناصر تكوينها فهي مبدئيا تركز على العدد، وهذا ما ذهب اليه (ويلنكسون WILKINSON) التأثير الذي يمكن ان يحدثه حجم السكان لمجموعة الاقلية على المجموعات الاخرى¹، تتدرج الاقليات المعاصرة اليوم ضمن مجموعة لديها خصائص جسدية او ثقافية تم تمييزهم عن الاخرين والمجتمع الذي يعيشون فيه وهنا تبرز هشاشة الاقلية وانجذابها نحو الهامش والاقصاء المسلط عليهم ، هذا زيادة على العدد السكاني ويرى عالم الاجتماع (لويس ويرث LOUIS WIRTH): أن مصطلح الاقلية" يشير الى التمييز وفي استخدامه الاجتماعي يمكن استخدام المصطلح المجموعة التابعة بالتبادل مع مصطلح الاقلية بينما غالبا يتم استبدال المجموعة المهيمنة Subordinate groups والمجموعة المهيمنة بالمجموعة الموجودة في الاغلبية"².

موضوع التجنيس جد مهم في فهم مجموعة الاقليات المهاجرة، التي تنتمي الى اكثر من عرق واثنية هذا من جهة، واذا لاحظنا ان الهوية الجنسية للفرد تختلف داخل الانتماء العرقي او الاثني، وهذه الفروع الاختلافية هي التي تجعلنا نرى بعين التقاطعية بين المفاهيم والحالات المتداخلة، وفق تشارلز واجلي هاريس 1958 CHARLES WAGLEY MARVIN HARRIS تتميز مجموعة الاقلية Minority groups "بالمعاملة الغير متكافئة والتمييز بين السمات الجسدية والثقافية من اللون واللغة والوعي بالتبعية ونسبة عالية من الزواج الداخلي وتشمل ايضا جماعة (LBGT) والممارسين الدينيين الذين لا يمارسون دينهم على نطاق واسع"³

¹ <https://www.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries/4966> -2021/06/18/10:12

² Loc.cit,² <https://www.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries/4966>

³ <https://courses.lumenlearning.com/sociology2021/05/20/14.25>

ب: إجرائيا:

يضم نسيج المهاجرين الجزائريين مجموعة من الاثنيات، كما انهم يعتبرون في بعض الاحيان اثنيات دينية في مقابل دين آخر تحجبه الاغلبية، هذا فضلا عن ذلك التكتل والتشكل الاثني بين العرب انفسهم الغير مسلمين والمسلمين الاخرين من جنسيات مختلفة او التجمع تحت اثنية اسلامية وذويان اثنيات اخرى كأن يجتمع المسلم الجزائري والعراقي والتركي والالمانى المسلم تحت دين الاسلام هذا من جهة وطبيعية التكوين الاثني للمجتمع المضيف من جهة اخرى.

13-5 التقاطعية Intersectionality

أ نظريا:

اوضحت الزابيث سيبلمان 1988م، الى " انظمة القهر المتشابكة على انها مادة مضافة تشير الى عمليات الجندر والعرق والطبقة ليس ككيانات منفصلة بل تجربة متفاعلة... والتي تختلف باختلاف المنطقة الجغرافية والزمان فعلايات الاختلاف لا ينظر اليها على انها سمات ثابتة ولكن باعتبارها عمليات اعادة الانتاج في الممارسات اليومية"¹.

يرى علماء الاجتماع مثل: كرينشو و ماكويل (MC call) المركزين على انه منهج وفرضية منطلقين بالاساس من المنهج التصنيفي Interacategorical باعتباره: " فئة اجتماعية واحدة في نقطة مهمة من تقاطع فئات رئيسة متعددة او بيئة اجتماعية معينة او بناء ايديولوجي او كليهما يجادل هذا النهج على اشتراك الفئات المهمشة،"² الذي نتوصل الي من كل هذا النقاط الاتية : ان التقاطعية تعنى بالمجموعات المهمشة وبظاهرة التمييز ضمن السياق اليومي والتفاعلات اليومية ضمن بيئة اجتماعية واحدة او متعددة.³

¹WILIAMM A.DARITY. JR.MACMIMILLAN .international encyclopedia of the social sciences .printed in the united states of america.new york.volume :02.secend edition.2008.p115

قصة هذا المفهوم بدأت حين الفت سوجور نرتروث 1883/1797 تلك المرأة من اللون الاسود في مؤتمر حقوق المرأة 1851 في اوهايو توضح كيف ان هويتها لا تتشكل من خلال جنسها وحسب بل من العرق والطبقة ايضا. لمزيد من المعلومات الرجوع الى ذات المصدر وذات الصفحة.

² <https://socwomen.org-2018-02-10.19.24>.

- Inclusion/voice هناك مسالة ينبغي ان توضح لدى اعتبار علماء الاجتماع التقاطعية منهجا في ارتكازهم على النماذج العلائقية نماذج التقاطع models- Relational/process models- .

³ يمكن الرجوع الى الموقع التي للتوضيح اكثر هو المنهج والمقاربة التقاطعية:

<https://www.ohrc.on.ca/en/book/expert/2914-2021/05/25-17:13>

لقد تم التأكيد على اهمية التقاطعية بين اشكال التمييز في مؤتمر الامم المتحدة العالمي لمكافحة العنصرية والتمييز العنصري، وكره الاجانب وما يتصل من ذلك من من تعصب (WCAR) الذي عقد عام 2001 جنوب افريقيا.

إجرائيا:

اذن الفرد الاجتماعي اليوم يملك انتمائه الجنسي والجنوسي، كان ذكرا او انثى، ولونا وفتة اجتماعية وطبقة تميزه عن الاخرين، والسمات الثقافية الجماعية والفردية، وكماجر يضاف اليه هذه السمة مع ذات الامر بالمجتمع المستقبل فالتحليل يتم من خلال التقاطعات اليومية للسلوكات الاجتماعية هناك وهذا التقاطع ليس منهجيا او نظريا هو عملية يومية من التجانس او اللاتجانس من التمييز والتمايز والتقسيم تنتج ويعاد انتاجها او افرازها بشكل مختلف.

14-5 الوصمة/Labeling/الوصمة Stigma

أ: نظريا

يعد الوصم من بين المفاهيم الاساسية في التفاعلية الرمزية ولقد استخدم لأول مرة سنة 1951م بفضل "ليميرت LEMERT ولكنه اصبح اشد ارتباطا باعمال عالم الاجتماع الامريكي "هوارد بيكر H.becker منذ 1963م": وينظر الى الكائنات الانسانية بمقتضى هذا المفهوم على انها تقوم بتشكيل هويتها الشخصية او فهمها لانفسها من خلال التفاعل مع الاخرين فاذا نظر الاخرون على افعال المرء نظرة سلبية وتكلموا معك ووصفوا افعالك بهذه اللغة السلبية، فانك حينئذ ستبدأ بالتفكير بنفسك على هذا الاساس...¹" يتاثر الانسان كثيرا بما ينعته به غيره بالاخص ان كانت علامة واضحة كذوي الاحتياجات الخاصة ويكون ايضا حين تتسم بسلوك او اتجاه او موقف وجودي ما لانه يتدخل في نظام التسلسل والتوقع، فهي: "صفة ذات ملمح ثقافي تستعمل لتمييز شخص وتشويه سمعته وقد تكون الوصمة دينية او سلوكية كبعض التفضيلات الجنسية، او اجتماعية بمعنى الانتساب لجماعة معينة وتستخدم عملية تحديد الوصمة او اثباتها في اختزال هذا الشخص من كيان كلي مكتمل ومعقد ومركب الى صفة وحيدة ملوثة ومحتقرة تبنى عليها اشكال التفاعل الاجتماعي مع هذا الشخص"².

ب: إجرائيا

النساء المهاجرات يعانين من هذه الصفة اكثر من الذكور، ونلاحظ كيف تحدث ظاهرا الهجرة فارقا، كما ان المتغير الجنسي يلعب دورا في مجتمعنا خصيصا المرأة المستقلة بذاتها، والتي

هناك فرق مهم بين التقسيم الاجتماعي والتمايز الاجتماعي، فالتقسيم هو تصنيف الناس الى مجموعات على اساس المكانة الاجتماعية، اما التمايز يشير مصطلح الى التباين في المراكز والادوار الاجتماعية مثل دور الرجل والمرأة وهو تكامل وظيفي. ACRIED ROLES

¹ أندرو ادجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية، المصطلحات الاساسية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط2، 2014، ص720.

² المرجع نفسه، ص 721.

تسعى لخوض تجربة منفردة، وبناء مستقبلها عبر مسار الهجرة- كان تتزوج بالخارج تنعت انها هربت عن اهلها وانها تزوجت هناك(العار) يمس هذا بعض الحالات، كما ان الرجال هم ذاتهم يعانون من وصم اجتماعي يمس من هويتهم خاصة الجنسية منه.

6-الإطار النظري والمرجعي للدراسة

لا يقل الجانب النظري عن الميداني بمفاهيمه وقوابله في توضيح رؤية الدراسة: يقول (روبرت ميرتون ROBERT C. MERTON): "ان نموذج المنظر الاجتماعي الذي يخلق في سماء الافكار التي لا تدنسها الوقائع يصبح باليا بنفس السرعة التي تصيب باحث يتسلح بصحيفة استبيان وينكب على احصاءات منعزلة لا معنى لها"¹، فهناك دعوة لمزج الجهود معا خاصة إذا كانت هناك وحدة مشتركة بين كثير من الحدود المعرفية والابستمولوجية والعمل على نسجها ضمن صورة معينة باستعمال تلك القنوات المتداخلة فيما بينها والاهتمام بتوليفات للمقولات النظرية المختارة حسب حدود الموضوع واشكاليته، هو ذات الامر الذي يؤكد عليه "بورديو".

المفاهيم المستدمجة داخل كل نظرية تعتبر جهاز ونموذج وقالب نظري بحد ذاته ومحاولة مطابقتها مباشرة يبدو أمر صعب لكن هناك طريقتين وضعتهما: الاولى هي رؤية النسيج الابستمولوجي المشترك للمفاهيم داخل كل جسم نظري، والثانية بنائها على هيئة نموذج مفهومي للدراسة وبالتالي تشكيل مقارنة مفهومية خاصة تستمر في شكل سلسلة نظرية وتطابقها مع استشهادات امبريقية فيما بعد. بعيدا عن اي تجزئ (Fragmantry) واقترايا من (Traingulation).

من بين الاتجاهات النظرية العائدة بقوة هي: الاتجاه الفينومينولوجي والإثنوميثودولوجي والتفاعلية الرمزية، كما تبرز نظرية الهيكلية او الانبنائية لدى "انطوني غيدنز" في محاولة مجتهدة لرؤية متكاملة بين الفرد والبنية، هذا الركن اساسي للدراسة، كما اننا نلاحظ انه لا يوجد تناقض ابستمي، بالعكس هناك تكامل معرفي ونظري ومفهومي ليس هذا وحسب، بل تسمح هذه الخطاطة النظرية والمفهومية في توحيد هدف الدراسة وتنسيق الرؤية واحتواء مرن للتدفقات المتداخلة عبر حدود الدراسة واشكاليته.

فالجسد وعي وتمثل للذات والعالم، فالمهاجر غريب في ثقافة ما، يبحث عن طرق للفهم والاعتراف والتواصل والانخراط(شوتز. زيمل الاجنبي)،والجندر مجموعة من الادوار الذكورية

¹إبراهيم أراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار النشر الشروق للتوزيع، عمان الأردن، ط1، 2009، صص 76، 77.

والانثوية لأداء الفاعلين على مسرح الحياة اليومية (التفاعلية الرمزية، بلومر، غوفمان) الهويات الجندرية العابرة في مسار الهجرة ومن خلالها تبرز تلك الممارسات المنمطة والغير المنمطة لتفرز معنى وتبني واقعا آخر ومنجز يومي لتلك الابنية الاجتماعية (اثنوميثودولوجيا المصفوفة الشرطية) فالممارسات والتمثلات والتصورات للذات والآخر والابنية الاجتماعية عملية متكاملة ومتوازنة الاثر بين الفرد والمجتمع (غيدنز) علاقة تآثر وتأثر لاستدماج عمليات الاتصال الثقافي وتغطية دينامية التنوع الثقافي وتداخله عبر المسافات (البروكسيمية).

-الاتجاه الفينومينولوجي "شوتر" الوعي بالعالم " يتحدد سلوك الانسان بمظاهر خبراته وليس بحقيقة موضوعية خارجية عنه"¹، الاجنبي شوتر+الغريب، الجسر والباب زيمل".

-الاتجاه التفاعلي الرمزي جورج زيمل: التوتر بين الذات والموضوع، الاجنبي، ارفينغ غوفمان (التفاعل في الحياة اليومية الادوار، افعال الطقوس، الاداء. التوقع. الاطار.) وبلومر الاتصال "والطريقة التي تتبعها الافراد في التفاهم حول معنى من المواقف الاجتماعية الشخصية التي يشتركون فيها"². "عملية التفاعل هي وحدة الدراسة، الانشطة الدينامية، المجتمع ما هو الا افراد متفاعلين"³.

-الاتجاه الاثنوميثودولوجي "هارولد غارفينكل" يرتبط بالظاهراتية في كونها تركزان على العملية التي يفهم من خلالها الافراد العالم الذي يعيشون فيه، وبها يصفون عليه معنى من معاني النظام"⁴ مثل: الاداء، اعطاء المعنى، بناء الواقع، الحياة اليومية الاستعراض. ويعتمدان في ذلك على "فهم الناس لعالمهم اليومي، الية التصرف والتفاعل مع المحيط، تبدأ من داخل الافراد لا من خارجهم"⁵.

-الانبنائية او البنينة الهيكلية (Structuralisation) "لغيدنز" دينامية الفرد والبنى الاجتماعية الثنائية والازدواجية.

-البروكسيمكس والمسافات الأربع "تي هول".

¹ ابراهيم ارايش، المرجع السابق، ص 94.95.

² روبرت ايمرسون، المرجع السابق، ص 22.

³ ابراهيم ارايش، المرجع نفسه، ص 96.

⁴ شارلين هس و بيار باتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2011، ص 89.

⁵ المرجع نفسه، ص 95.

ان استخدام هذه الأطروحات النظرية، تجعلنا نرى حقيقة الأبعاد الثقافية البارزة من مسار الهجرة والرؤية الفردية والجماعية، التي يؤثر فيها الفرد ويتأثر بما ينجزه على مستوى توقعاته و انتمائاته، هذه المقولات المعرفية والنظرية تبعدنا عن فخ الحتمية والوضعية المسبقة لافعال والتصورات، والدعوة للاهتمام بالمعنى الذي يضيفه على الواقع وتشكلاته، إنه ليس مجرد مهاجر يصارع الازدواجية الهوية، بل بالعكس هو يشكل الأبعاد، هذا البعد الذي سيكون له الاثر في التعريف بنفسه كفرد وجماعة.

إن الكريولية محاولة جديدة لاستقراء ظاهرة جندره الهجر، فهي بالاساس ضرورة علمية اكااديمية وامبريقية، تعبر عنها الادلة والشواهد، اننا نتشكّل ونشكّل فردا وانسانا وواقعا مختلفا، ومهما حاولنا اخفاء هذا، الا انه امر حاصل ولا يحتاج الى التنبؤ به، بل بالعكس يحتاج ملاحظته وتتبعه، وليس فقط من خلال الهجرة والقراءات المعاكسة والمغايرة، بل في شتى الظواهر الاجتماعية الاخرى.

7- حدود الدراسة

من خلال الدراسة نوّكد انه ليس من المهم صورة فرد من ذكور المهاجرين تجاه الاناث، بالقدر الذي نهتم بكلية مسار الهجرة وتفاعلاته الدينامية التكاملية، عبر التفاعل بين الجنسين والمجتمعين والثقافتين، فهي رؤية نحو فهم ذكوريات وانثويات وثقافات بالجمع المتنوع المركب والمعقد للعوامل آخذة في التوسع والتعدد، فهي محاولة للخروج عن حدود طرفي الضفتين او ازدواجية الجنسين ومفاضلتها، فالأمر مرن ومتداخل ومتباين، متماثل ومتجانس، مختلف وهجين.

الحد الزمني 2017م-2021م: انطلقت في الدراسة بين فترتين مهمتين، الأولى من 2014م الى غاية 2017م لاستكمال اطروحة ماجستير ثم بدئت بتحضير لاطروحة الدكتوراه منذ 2017م إلى غاية 2022م.

كما اهتمينا ايضا بالمهاجرين ذكورا واناثا، الذين سجلوا الهجرة إلى ألمانيا أو أوروبا عموما ما بين فترة 1999-2000م و2000م -2010م ومن 2010م -2018م.

فالمهاجرين الذين اجريت معهم المقابلة (23) ينتمون إلى هذه الفترات الثلاث بالتحديد سواء بالمقابلة نصف موجهة او الاستمارة الا الملاحظة أخذت حيزا من 2017 /2020م.

الحد المكاني:

منطقة تيارت وبالضبط احيائها:"حي النصر وحي الامير عبد القادر(لامبار، لاسيا)" بلدية قرطوفة، وبلدية الدحموني ودائرة مهدية وواد ليلي وبلدية سيدي علي ملال والسوقر وفرندة. هذه الاماكن في البداية كنت انتقل اليها واسجل بعض المذكرات اليومية.

8-بناء المنهج المستخدم

المنهج هو عملية بناء وليس مجرد استخدام، فعملية البناء مهمة في توجيه البحث وتوضيح مقاصده و اهميته،" فمنهج البحث هو نهج عام لدراسة مواضيع البحث أو استراتيجية بحث شاملة...ويشمل الاسلوب المعرفي، والنظرية العلمية، ونطاق الادوات وسلسلة متعاقبة من الخطوات الاجرائية والنظامية...".¹

من بين الطرائق المتعارف عليها في العلوم الاجتماعية هي: الكمية والكيفية وبعيدا عن الفجوة والمفاضلة بين المنهجين اتجه الى الجمع بينهما عبر **توليفة متعددة (Multi-methods)** وذلك لاحتواءه محاور الموضوع الثلاثة: الهجرة والجنس والتنوع الثقافي، لهذا كانت الدراسة تجمع ايضا بين حقلين من العلوم، علوم الاجتماع، والانثروبولوجيا، فالاتجاه السوسيو-انثروبولوجي برز من خلال مراعاة علوم المجتمع: "...تجاوز لتلك القسمة الثنائية القائمة...بين السوسيولوجيا والانثروبولوجيا الاجتماعية كما نجد في اشتقاق كلمة مجتمع society، ما يعالج ذلك اللبس الذي يحيط بكلمة social التي تعبر عن الصفة الاجتماعية...جوانب من النشاط الذي يقوم به اعضاء المجتمع، مثلا حين تبرز صفة جديدة societal حيث تلحق بعلاقة او نشاط معين او الجماعات كونها عنصرا من العناصر التي تتركب منها تلك الانساق المجتمعية...".²

اذن العمليات الاجتماعية بين الافراد والابنية النظامية توجهنا الى رؤية المساحة المهمة بين الاجتماعي والثقافي، بين السلوك وامتداته الثقافية، سواء من حيث الماكرو- المتوسط، او الميكرو ينشأ توتر دينامي،" ما يطرأ على ذلك البناء كوحدة متميزة من تغر، و العلاقات التي تقوم بين الابنية المجتمعية، باعتبارها موضوع البحث في علم السوسيولوجي societology او دراسة المجتمع"³، لندفع بالموضوع خارجا عن ثنائية الطبيعة والثقافة، الذكورة والانوثة، المجتمع

¹ جياميترو جويو ، المرجع السابق ، ص 56.

² محمد عبده محجوب و حيدر ابراهيم، الاتجاه السوسيو-انثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات الكويت، (د.ط)، (د.ت)، ص136

³ المرجع نفسه، ص 136

الأصل والمجتمع المضيف، ثقافة وثقافات، فمراعاة الفرق بين الازدواجية (Dualiseme) المتصارعة والثنائية (Duality)¹ المتضافرة والمتساندة بين قنوات الجزئي للعمليات الثقافية والافرازات السلوكية، الناجمة عن توتر بين الذات والموضوع، الجسد والجنس، الجنسانية والعالم والواقعي، عبر تلك التفاعلات اليومية المتداخلة والمتنوعة والمتعددة المهاجرة والمستقبلية (sociologie de l'intermonde)، والتي تعطي أهمية للحياة الاجتماعية على المجتمع كنظام².

تنشط البحوث الاجتماعية اليوم باتجاه التعدد المنهجي Multimethod Approach : " الذي يشير الى تشكيلة متنوعة من البيانات عن نفس الظواهر... باستعمال طرق بحث مختلفة"³، وفي ذات الوقت توسع مقترح العابر للتخصصات (interdisciplinary) في فهم وتفسير محدد ومدقق للظواهر يشمل العوامل المحورية والاسباب الفرعية ومجارات الحركة الدينامية للظواهر ولهذا اقترح المنهجية المتعددة التي تمكن الباحث من استخدام الطرق الكيفية والكمية معا لتعبر عن قضية البحث - بالاضافة الى - الرابطة البحثية (Research Nexus) وهي تشبيك ابستمولوجي ونظري في نسيج بحث واحد"⁴.

الاتجاه الكيفي الاثنوغرافي الميداني عبر الملاحظة بالخصوص وعبر الادوات الاخرى يعتمد على الكيفية في رؤية الانسان لجسده وعالمه، وكيف يعي وسط التفاعل تلك العمليات التواصلية؟، وكيف يعبر عن ثقافته من خلال الاخرين ضمن موقف ما؟، وكيف ينجز معنى من المعاني ويتوقعه؟، الكيفية مهمة جدا لمعرفة الادراك والسلوك المتمحور حول الجسد والاستراتيجيات السلوكية والاستجابة للموضوعات الأساسية، سواء من خلال الكلام او الحركة، أو كيف يساهم اليومي في إبراز ابعاد حياة اجتماعية مختلفة؟، لممارسة واداء الفاعلين وهم مسترجعين أهم الأسس الاثنية والعرقية والطبقية والجنسدية.

من الصعب جدا أن نفرز ما يقوله المبحوث وما يعنيه، إلا أن الافرازات تحل المشكلة، فهو يفرز معنى من المعاني ويؤثر في مجريات الواقع، ومن جهة اخرى تظهر اهمية الادوات

¹ يستخدم غيندز المصطلحين بتميز كبير بينهما فالثنائية Duality الاعتماد المتبادل بين الفعل وبناء لان السلوك الانساني ليس محكوما كلية بالقوى الخارجية او بالارادة الحرة الفردية كلية. اما الازدواجية Dualism فهي تسليط احد على الاخر الارادة الفردية او البنية الكلية.

² ذكر هذا المصطلح بالمؤتمر الدولي المنعقد باوتاوا-كندا الذي اقيم سنة 2007 برعاية مركز البحث (circem) المتخصص بمركز البحوث العابرة للتخصصات للمواطنة والافليات دانياو موتشيلي، لمزيد من التفاصيل انظر الى رابط الموقع الاتي: books.openedition.org/pucl/568.

³ بوب ماتيز و ليفو روس، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة وتعليق، محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الطبعة الاولى، الجيزة القاهرة، 2016، ص446.

⁴ شارلين هس و بيار باتريشيا ليفي، المرجع السابق، صص، 92، 94.

البحثية الأخرى كالملاحظة بالمشاركة لمعرفة ما يقصدونه حقيقة، كما يمكن فحص ذلك من خلال استكمال البحث كميًا من خلال الارتكاز على مقياس ليكرت (LIKERT) بأبعاده الخماسية وذلك لقياس الآراء، وهذا ما يعزز اختيارنا لمقياس آخر حول التنوع الثقافي وأبعاده الثقافية لجيبرت هوفستيد (GEERT HOFSTEDE): السلطة، الفردانية والجماعية، الذكورة والانوثة، التوجه الطويل مقابل قصير المدى، وفهم المسافات الأربعة (Proximics) لدى "تي هول" (T. T. Haal): المسافة الحميمية، المسافة الشخصية، المسافة الاجتماعية، الفضاء العام. يمكن أيضًا استخدام أدوات الإحصاء الوصفي من مقاييس النزعة المركزية مثل: المتوسط الحسابي والمنوال والوسيط مع النسبة المئوية والرسومات البيانية.

9- الأدوات والتقنيات المنهجية:

اعتمدت في البداية على تسجيل ملاحظة مباشرة بمخطط كما هو مبين الملحق ص: "477". وحددت مواضيع الملاحظة الخاصة بأدوار الجندر داخل المجتمع المحلي بتيارات وركزت على العلاقة بين الجنسين، من خلال الكلام والإيماءات والسلوكيات والمواقف والسلطة والتمييز، ثم انتقلت إلى الملاحظة بالمشاركة من داخل المجتمع ومشاركة مرشحي الهجرة والمهاجرين، والخوض معهم في مواضيع ذات الصلة، ومراقبة ردود الفعل والقناعات التي يبديونها خلال الحديث ومتابعة مواقفهم تجاه الأفراد والجماعات خاصة تجاه المرأة: "يؤكد هيرتيج HERITAGE" أنه لو كان المرء مهتمًا بالفعل، فإن ما يذكره الفاعلون الاجتماعيون أثناء المقابلات التي تتم معهم لا يمكن معاملته على أنه بديل ملائم لملاحظة السلوك الفعلي، وفي الحقيقة هناك فجوة كثيرًا ماتم توثيقها لاتجاهات وأنماط السلوك وبين ما يقوله الناس وما يفعلونه"¹.

ملاحظة أيضًا ما تبديه النساء من مواقف وآراء حول تجربة الهجرة أو في العمل السوق أو الشارع، وإيضًا تلك الفروق السلوكية بين المرأة العادية والمهاجرة هناك من خلال ما يسجلونه عن حياتهم عبر الوسائط التكنولوجية (youtube/vlogs).

الملاحظة هي جوهر العمل الميداني الإثنوغرافي الموجه إلى الحياة الاجتماعية الفردية عوض الاهتمام بالقضايا الكلية كما أن الباحثين الإثنوغرافيين الميدانيين: "ملتزمون بدراسة المعاني التي يقصدها المبحوثون وخبراتهم فانهم اشد انجذابا للمفهوم الذي يطلق عليه غيرتز GEERTZ

¹ جاميترو وجوبو، المرجع السابق، ص30.

1976مصطلح الخبرة عن قرب Experience-near في مقابل الخبر عن بعد Experience-far... يعطون هذه المعاني اولوية...¹

استخدمت المقابلة بالدليل مع بعض المبحوثين وجربنا هذا لكنه لم يكن بالفائدة ذاتها، كما المقابلة نصف موجهة(الحررة) والتي تتسم بحرية وإعطاء فسحة للمبحوثين أكثر دون احراجهم بورقة أسئلة مجهزة مسبقا، إنها توحى لذهن المبحوث بأخذ الحذر وهذا يضعف قدرة التواصل والتعمق مع المبحوثين، لهذا توجهنا نحو المقابلة الحرة التي نحافظ فيها المواضيع والمحاور الرئيسية ونسج من خلال حوارات لمبحوثين مكونين من 21 ذكرا و 02 إناث المجموع 23 مقابلة نوعية ما بين فئات مهاجرة واخرى مرشحة للهجرة، المرشحة منها 02. منها اناث.

استخدام ايضا الاستمارة نصف موجهة الالكترونية" يرى فريكر (FERICKER) ان الاستبيانات المقابلة المباشرة تؤدي على الارجح الى الحصول على اجابات مقبولة اجتماعيا بدرجة اكثر من الاستبيانات الالكترونية التي يستوفيهها المشارك بنفسه"²، كما انها ساعدتني في التقرب من المهاجرين خاصة المبحوثات المهاجرات ثم توزيعها عبر رابط الالكتروني بين المبحوثين والاجابة عليها لعينة مكونة من 64 منها اجابة واحدة غير مستوفية الشروط. 63 استمارة موزعة ما بين 36 ذكور و 27 اناث مهاجرين ومهاجرات باوروبا(المانيا).

العينة المختارة(للاستمارة) عينة غير احتمالية، كرة الثلج يعني هي موجهة لمهاجرين اعرفهم وهو بالتالي يوزعونها على المهاجرين هناك بالمهجر(قنوات يوتوب وحساب الفيس بوك ومجموعات الهجرة Groups).

الاهتمام بأخبار المهاجرين من خلال قناة تلفزيونية ألمانية بالعربي DW ، وموقع Infomigrant، وعبر قنواتهم الخاصة على اليوتوب(11قناة منها05لاناث)، وحساباتهم على السوشل ميديا والحوارات والاراء التي يثيرونها.

الاهتمام ايضا منذ البداية بما يقدمه المخبر، خاصة من المناطق الريفية التي يقطن بها المهاجرين لحسبيتها، تدخل مخبر لامدادنا ببعض المعلومات لكن لم استمر في هذا لاكتشاف عدم دقة المخبر فيما بعد أثناء التحقق من معلومات حول بعض المبحوث، فأثرت الاهتمام

¹ روبرت ايمرسون و آخرون، المرجع السابق، ص277.

² بوب ماتيز وليفو روس، المرجع السابق، ص 589.

هناك نمطان مختلفان من المقابلة الالكترونية او الاستمارة بالمقابلة : نمط المتزامنة: حيث يقوم الباحث بالتحدث معا في نفس الوقت وهي أقرب إلى المقابلة المباشرة، وهناك نمط المقابلة غير المتزامنة حيث لايشترط الباحث والمبحوث ان يكون معا على اتصال في ذات الوقت وهي تعطي حرية أكثر للمبحوث الا ان عيبها انه لا يمكنك ملاحظ ردود فعل المبحوث او لغة جسده.

فقط بالأدوات المتاحة، نقطة قوة المخبر التي استفدت منها هي ليس المعلومة بقدر ارتباطي بالمبحوث مباشرة.

"من أجل فهم الحياة الاجتماعية الحقيقية فإنها تقرر أولوية بناء على الطريقة التي يتبعها الافراد انفسهم في التعامل مع قضايا النوع الاجتماعي و الاثنية والطبقة ضمن الديناميات المتعلقة ببعض الاحوال والاوزاع الخاصة"¹.

10-الصعوبات:

من بين الصعوبات التي واجهتني في البحث هي:عائق الانتقال إلى ألمانيا ومتابعة الدراسة عن كئيب، وعدم كفايتي باللغة الألمانية، والقدرة المالية للسفر، بالإضافة لجائحة كوفيد19، كانت عائقا أمام البحث وتوقفه قرابة عامين، بسبب توقف حركة المهاجرين وصعوبة التواصل معهم، كما أن هناك غياب لثقافة البحث العلمي، فما زال المبحوثين متوجسين، هناك حساسية تجعلنا دوما نخفي هويتنا كباحثين، كما أن هناك صعوبة في إجراء مقابلات مع الإناث مباشرة .

فقد استهلينا الدراسة بمقدمة عامة للتعريف بحديثات الموضوع، ثم قسمناها إلى ثلاث أبواب، لكل باب ثلاثة فصول، أي إجمالاً تسع فصول، فالباب الأول: كان تأريخاً لباقي الأبواب والفصول الأخرى، بمعالجة مشكلة الجسد والثقافة للنوع البشري، وإبراز جدل الطبيعة والثقافة، والتعرض لأهم إشكالية لأنثروبولوجيا التنوع الثقافي، وصولاً لمحور الثنائية والازدواجية في السوسيولوجيا، رابطتين إياها بمحاور الدراسة وأهم إشكالاتها في الاندماج، الاستيعاب. أما الباب الثاني: حاولنا التعمق أكثر في قضية بناء الواقع الاجتماعي والممارسة الاجتماعية، وإبراز الجندر كأداء ومنجز وموقف واستعراض وتراكيب يومية، مع التعرض لأزمة الرجولة وإشكالية الذكورات والأنوثة المنبثقة، وأهم استراتيجيات وتكتيكات الفاعلين الاجتماعيين (المهاجرين) تجاه ذلك، أما الباب الثالث عالجتنا فيه أهمية التنوع الثقافي الدينامي، ورؤية تلك الأبعاد الثقافية والأفعال الثقافية، والتحويلات الثقافية والاجتماعية، موسعين مخارج الهجرة ومساراتها، وفي الأخير استخلصنا أهم النتائج ومناقشتها، وفتح إشكالات أخرى للدراسة كمنتجات البحث و الخاتمة.

¹ روبرت إيمرسون وآخرون، المرجع السابق، ص 276.

الباب الأول

مقدمة:

نقدم من خلال هذا الباب أهم المحاور الرئيسة التي مر بها موضوع الجسد الانساني كمصدر هوية وانتماء، فهو أساس العملية الاشرطية الثقافية والاجتماعية للسلوك، وأهم مظهر اجتماعي لإدراك التوقعات وتجسيدها بين مختلف الثقافات، بالإضافة إلى إبراز أهم مواطن الجدل بين البيولوجيا و الثقافة، موضحين أهمية التوليف بين الاتجاهين، ثم ننتقل إلى خطوة مهمة للكتابة عن جسد الانسان بنفسه، الذكر بنفسه والأنثى بنفسها، إشارة نحو الكتابة عن ثقافتنا بأنفسنا، ومن خلال تجربة الهجرة، التي ستكون محل استكشاف للاستراتيجيات والتكتيكات بين الجنسين، ونسفر عن الحدود الشفافة جدا والمختزقة والعابرة والغير ثابتة، المتغيرة و الدينامكية، لكل الأبعاد الثقافية وما يلحق الفعل الثقافي، إنها عملية تأريض لكل الأبواب والفصول القادمة. فلا يمكننا احتواء كلية التجربة والممارسة الجندرية وتمثلات التنوع الثقافي، دون المرور عبر الجسد وثقافته، في علاقة واعية بينه وبين العالم الخارجي.

الفصل الأول: جسد الإنسان وثنائية الطبيعة والثقافة

تمهيد:

من الضروري إدراك أهمية الجسد كموضوع للدراسة والبحث عموماً، سواء في المراحل التي مرّ بها الجسد من كونه حيز اشتغال الفكر والفلسفة، أو من حيث العادات والقيم المشكلة له، أو كونه موضوع العلم والتشريح، فالمراحل التاريخية والفلسفية للجسد كموضوع لم تكن حاسمة وعميقة، كما كانت تولي أهمية لرؤية ميكانيكية أو متحيزة لقيم وحيدة النوع.

1- الجسد مبحثاً للدراسة والتدبير

لقد اعتبر أفلاطون الجسد "محتقراً" وعائق وثقل على الإنسان أمام حرية وخلود النفس، وكذلك سقراط لا يعيره مكانة أولى، واعتبر ديكارت "الجسد آلة" وأسس لسلبية اعتبار الجسد معطى للتلقّي، من خلال العالم الخارجي، ذهب في ذلك أيضاً "كلود برنار" 19 م "الجسد آلة للتجارب"، اللغة البيولوجية والغائية سيكون لها الأثر البالغ على السوسبيولوجيا كحقل معرفي تأثر بالرؤية الديكارتية والوضعية فيما بعد، في ظواهرية "مورلوبونتي" اتخذ الجسد زاوية مغايرة بعيداً عن الثنائية واعتبر أن الجسد والعالم واحد، الجوهر الموضوعي للجسد والعالم الخارجي وجهان لعملة واحدة (الوعي بالجسد): "إن الإنسان ليس فكراً مفصلاً عن الجسد وليس جسداً مفصلاً عن الفكر بل نحن فكر متجسد... الجسد هو البوابة الأولى نحو عالم الغير إذ يزودنا بانطباعات عنه..."¹.

يعبر بذلك عن قيمة أساسية للداخلي والخارجي في آن واحد، معتبراً أن هذه العلاقة دينامية لذلك كان يشير إلى الوعي والإدراك، الفكر والجسد والتجسد، يكاد يكون منظور الحياة الإنسانية ككل، تردف "سيمون ديبوفوار" معنى مهماً بذلك: "في ظواهرية الإدراك يشير مورلو-بونتي إلى أن الوجود الإنساني يرغمنا على إعادة النظر في مفاهيم الضرورة وإمكان الحدوث... ليس للوجود خواص عابرة ولا محتوى يساهم في إعطائه شكله وهو لا يقرّ بأنه حدث خالص لأنه الحركة التي تتم عبرها الأحداث"²، لقد قدمت فلسفة "مورلوبونتي" حول الجسد قوة دافعة لملاحظة زاوية بعيدة عن المعطى البيولوجي أو الغائي، والحثّ على العناية بالدينامية وفهم

¹ محسن المحمدي، تصورات فلسفية متناقضة حول الجسد، المغرب: aawsat.com. https://aawsat.com. تاريخ المعاينة: 2021/09/21-14:10، تاريخ النشر: 2016/05/19

² سيمون ديبوفوار، الجنس الآخر، ج1، الوقائع والأساطير، ترجمة سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، دمشق سوريا، 2015، ص34.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

أبعاد التحولات والتغيرات الحاصلة على الوعي والجسد والعالم ككل، والانتقال من الحتمية الضرورية إلى إمكانية الحدث و الحركة في مجريات العالم الخارجي المتجسدة في الواقع. لا يمكننا بحال من الأحوال اليوم التغافل عن الكم الهائل من التحولات والرغبات في التلاعب بهذا الجسد، والتي توحى بالأمل الإنساني في التجدد، وتوزيع أدوار مختلفة في الحياة اليومية، موضحة تلك التكتيكات المنفلتة عن أي تطبيع أو معطى سابق، خاصة مع بروز مسائل الجينوم والتحولات الجينية والقضايا البيو-إتقنية، هي كلها باب مفتوح للبحث، كما حدث مع ظاهرة الكوفيد19 في 2019م وتبعياته، الى اليوم ورسمه لمسافات اجتماعية وابعاد غير متوقعة، وتأثيره على توابع علائقية أخرى، بالإضافة إلى تغير اتجاه عجلة تاريخ الانسان في الاخير.

يكون التكتيك والتدبير دوما من خلال وعبر الجسد للتواصل مع العالم، الجسد والنفس والعالم وحدة متكاملة، وعلاقة مستدمجة"متجسدة كالذات" ومتفكرة كالذات"، بدون اي تعارض ثنائي حسب فينومينولوجية "بونتي"، كما ان عالم الانثربولوجيا الفلسفية الالمانى "ماكس شيلر"، اكد في كتابه اشكال التعاطف:"الذات تدرك الغير بطريقة يندمج فيها النفسي بالجسدي ليشكلا وحدة حية"¹، انه فعلا توحد ديناميكي يومي وتاريخي، يكاد يكون الزمان والمكان غير مستقر ومستدمج بلا حدود فاصلة من خلال الممارسات النفس-اجتماعية.

لا يمكن التعرض للجسد كموضوع دراسة وتفلسف دون ذكر ميشال فوكو (Paul-Michel Foucault) (1926-1984)، الذي حاول تعرية الخطاب المعرفي والسلطوي المجنس والمجسد في مؤلفه "المراقبة والمعاقبة" ومجلداته الاربع تاريخ الجنسانية الذي كان عنوان مجلده الرابع:"اعترافات اللحم" les aveux de la chair، هذا الجسد وهذا الانسان الذي مر بعمليات تطبيع طويلة الامد وفي عقر العقل الفلسفي ذاته فضلا عن المعاش الانسانى هذا ما كان يصبو اليه فوكو من تحليل الخطاب والابعاد الابستمية المعرفية.

فعبير المعرفة والتدبير الجسدي كشف فوكو عن الاختراقات السلطوية وتحويرها لهذا الجسد المريض والمعافى(المرئى والمخفى): "...فان الظواهر المرضية وقد تحددت في حيز من الجسم البشري تبعا لخطوط ومناطق خاصة بها تاخذ مظهر سيرورات حية، المرض مرتبط

¹ محسن المحمدي، الموقع السابق.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

بالحياة ذاته ، ويتغذى منها، ويشترك في هذه الصلات المتبادلة لفعل يتالى فيه كل شئ مع كل شئ آخر ويتصل به ويرتبط معه"¹.

يحاول فوكو تعرية هذا الجسد المطبق من خلال تاريخ المرض وتاريخ العلوم ذاته، مكتشفا تلك الالتواءات السلطوية عند المذهبية الاسمية، والتي سيطرت على الجسد البشري في مجمل نظرها إلى الامراض والاعراض وتفسيراتها.

ما حيوية الجسد هنا؟:يعتبر فوكو ان الحياة هي الحاضر، حتى المرض وجد مكانه بهذه الحياة والموت كذلك عبر الجسد الفيزيولوجي والتشريحي " بحيث يكون " للتنسك" أثر بالغ في رؤية ثالث الحياة، المرض، والموت، ويكون منتهى الثالث أزمة الموت التي ينفلت منها الجسد المادي تاركا عمق سؤال وجودي يقول:"لقد بات في مقدورنا أن نعثر في البنيات المدركة على الهيئة ذاتها،لكنها معكوسة بالمرآة،فالحياة بمدتها الحقيقية، والمرض بوصفه امكانا للانحراف،يجدان اصلهما في ذروة الموت الغائرة عميقا،انه يقود وجودهما". يكاد يكون موضوع الموت هنا أمام الجسد الانساني عند "هايدغر"و "دبوفوار" أساس المعنى الحياة الانسانية فبدونهما لا تكون انسانا موجودا، هذا الوجود الظاهري والمخفي المحكم والمتقلت هو الانسان المتجسد بهذا العالم نفسه.

لقد نحت فوكو مصطلحاته الفلسفية والبحثية والتي كان منها حول الجسد: (corps propre)الجسد الخارجي،الجسد الموضوع(corps objet)،سلوكات جسدية (comportement corporel)،جسد منتج(corps produit)، لقد تعمق فوكو في العلاقة بين الجسد والرغبة والجنس وحتى تاريخ المتع والتعذيب ايضا وطبقاته من خلال التشابكات الجسدية العلائقية مع الاخر وما يصاحب ذلك من اثار النزاع، والرغبات الجسمانية المتعددة:" تتضح العلاقة بين وحدتينDeuxunités يحمل معاني محددة فالوظيفة الجنسية للجسد تدخل في اطار الخبرة، المعاش وعلاقته بالآخر، فالمشاركة الجسدية بدمها ولحمها موضوع ومركز الوجود"²غيرية الجسد لا تكاد تكون سوى جسدي وجسده جسدي علاقة عميقة فعلا ما زالت تتطلب التحقق والفهم للخبرة الادراكية(vision apercue) ومعاينة الوعي (conscience) للمرئي واللامرئي(visible et l'invisible) حسب ما شكلته ايضا فينومينولوجية مورلوبونتي"انه

¹ ميشال فوكو، ولادة الطب السريري، ترجمة، اياس حسن،مراجعة سعود المولى،المركز العربي لابحاث ودراسة السياسات،الدوحة، قطر، ط1، 2018، ص213.

² نعيمة بوشريط، خديجة ونثلي، فلسفة الجسد عند ميشال فوكو،مجلة الراصد العلمي، الجزائر، العدد04،رقم01،ص ص 167-177.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الادراك والاحداث وتجليات الحدث النهائي لعمليات متشابكة ومستدمجة للجسد المتصل والجسد المستقبل والعكس كذلك.

ركز فوكو ايضا العلاقة بين الجسد والمعرفة والسلطة، فالجسد كان محورا مهما لبقاء السلطة وخضوعه لها وتأثرت في ذلك المخرجات المعرفية: "في البنية السلطوية القائمة تاريخيا كاستراتيجية تتطبع الاجساد كهدف واداة في نفس الوقت، فهو لا يكتسب شرعية ولا يقبل ولا يعترف بها إلا اذا اعترفت به السلطات العامة"¹، انه لدليل صارخ على الطوعية الملزمة لاجسادنا اجتماعيا وقانونيا وما يلحقه ذلك من التوثيق وعمليات الترسيم التي تخول له الاعتراف بالحركة بهذا العالم (المهاجر)؛ يشير الى اعماق من ذلك الى "السلطة (Bio pouvoir) الحيوية (ظاهر جليا في الجائحة الاخيرة): " كونها ممارسة حيوية تحافظ على نظام معين فمراقبة اجساد الافراد لتنظيم سلوكياتنا مثلا من الناحية الجنسية *sexualité la* نجد ان الجنس هو ربط بين استراتيجيات السلطة الحديثة"².

اذا هل الجسد ما زال معطى مستغلا محتكرا بكل حتمية؟، حسب التحليل الحيوي السلطولي ندرك ان ممارسات الذات هي حالات اعتراف من المؤسسات واعاد ترسيمها لتقسيم الادوار والمسافات، ونوعية العلاقات والتحكم اكثر في الانسان، يكاد يكون الاعتراف بلغ حد الشذوذ كما عبر فوكو في مؤلفه الاخير " اعترافات اللحم"³ تاريخ الجنسانية المجلد الرابع، بل وجعل السبيل لانتاج وقول الحقيقة" الوجود الانساني هو رهين الجسد، فالانسان لا يعترف على العالم ولا يعترف عليه العالم الا باعتباره جسدا (لحما)"⁴، كان فوكو مركزا على موت الانسان امام السلطة التي من غريب حقيقته أنه منها و مؤلفها وميت امامها من شدة الاعتراف.: "، ان رغبة الفرد في معرفة حقيقة ذاته تجعل الاعتراف يتوالى للذات والآخرين المفترض فيهم قدرة اطلعنا على حقائقنا... فمن الاعتراف المتمحور حول الجنس نقول حقيقة الجنس ليخبرنا الجنس عن حقيقتنا، فكما قام علم الجنون باظهار حقيقته حتى لا نخسر حقيقتنا، قام علم الجنس بقول حقيقته لنرى فيها حقيقتنا"⁵.

¹ نعيمة بوشريط، خديجة زنتلي، مرجع سابق، ص 175.

²، المرجع نفسه، ص 176.

³ أنظر، ميشال فوكو، تاريخ الجنسانية، ج 4، ترجمة عبد العزيز العيادي، دار التنوير، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، 2021.

⁴ عبد العزيز العيادي، تاريخ الجنسانية 4 اعترافات اللحم، <https://takweenkw.com/book/39393/single>، تاريخ الزيارة 08/08/2021

النشر: 2021/06

⁵ الموقع نفسه.

الاعتراف اذن يدل على اهمية بالغة لاطهار هذا الجسد، هذا الجنس، هذا النوع، هذه العلاقة الاجتماعية والثقافية من غيرها انها لعبة القيم وادارتها والزج بفروقات الانواع بداخلها، من هنا برزت قضايا ترجع بجذورها الى هذا الجسد المطبع بطابع محتكر بشكل سلطوي ابوي جعل النسويين يفكرون في المساهمة وابدال هذه القيم ليس كذات تابعة او دونية بل لها ما تتجزه من خلال المساهمة في مساحة القيم تلك متحدية الاعتراف ذاته فهل سيكون التمكين احدى طرقها في هذا الجسد الشمولي المهيكل نفسيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا؟ "ان المرأة هي ايضا تهدف الى القيم التي بلغها الذكور بشكل ملموس وتقر بها"¹، إن جسد المرأة ليس جنسا ولا مدلولاً سالبا في رأي "دبوفوار"، كما أن الجسد والجنس والتقنيات المحددة، لذلك لا توجد بزاوية الرجل فحسب كمعطى مسلم به الا بمقدار المنظور العام لوجوده(الاعتراف)، انه عالم القيم الذي لا محالة من مشاركة المرأة به: "فالمجتمع البشري مضاد للطبيعة (anti-physis): لا يخضع لوجود الطبيعة بشكل سلبي انه يعيد اخذها لحسابه، وهذا الاخذ ليس عملية داخلية وذاتية، انه يتم بشكل موضوعي في العمل، وبالتالي لا يمكن اعتبار المرأة جسدا جنسيا"².

اذن الجسد متنازع عليه بين الاعتراف الطابع والدامع له ثقافيا واجتماعيا وبين نزوع الانسان الاول المخترع لكيونته l'homo fabre، هذا الاختراع يتم عبر عملية التفاوض على القيم والمعايير في علاقتنا اليومية دون التماهي مع الجسد الشمولي، هذه النقطة التي يكون فيها الجسد المهاجر عملية تظهر اللاتبات والتمويه والتلاعب والتفاوض خاصة في العلاقات الجنسية والادوار المجنسة العابرة، فكيف نقرا ظاهر الهجرة للتجميل او التحول الجنسي كما فعل ابن مدينة وهران(رابط القناة) المهاجر بتركيا حين فتح عيادة خاصة للتجميل توضح الفرار من حيز سلطوي غير معترف به الى حيز اخر يمارس فيه مهنته المتعلقة كلية بالجسد وممارسته التجميلية، كيف نقرا اليوم ظاهرة الجسد المسافر والعابر بالفضاء الافتراضي؟، يكاد يكون بعدة تجسيدات وتموقعات مختلفة تحاول دوما السلطات الافتراضية احكام قبضتها عليه، مساحة حرية الجسد في توسع وسيكون لها انبثاق لذوات وهويات مختلفة بالجمع.

¹ سيمون دبوفوار، الجنس الآخر، ج1، المرجع السابق، ص89.

² المرجع نفسه، ص75.

2- الجسد أنثروبولوجيا نحو الإنغراس الثقافي

أ- ترسيم الجسد

إن هذه المرحلة من تاريخ الجسد سجلتها الأنثروبولوجيا الكلاسيكية كثيرا من خلال تتبع الدراسات المتعلقة بثقافة كل شعب ومجموعة في تمثيل طقوس معينة وخاصة القبائل الافريقية، " ينطوي ترسيم الجسد على عدد كبير من الممارسات التي تغير الحالة الطبيعية للجسد حسب قواعد خاصة بكل مجتمع: تشويه، تمديد الجمجمة، ضغط القدمين ، ثقب شحمة الاذن ثقب المنخرين... وشم الخ"¹، طبعا هذه الترسيمات التي تتم اما تكون في مناسبات احتفالية او طقوس عبور او انتقال الفرد او وضعية ما: "... ولادة بلوغ زواج وفاة ، إن وشم الجسد يسمح بمجمل الجماعة كما لكل من افرادها التعبير عن خصوصية هوية جماعية او فردية ..."². إن هذه الوشوم والترسيمات الممارسة على الجسد تعتبر حقلا مشفرا ومرمزا بحيث هذه المعطيات تثير التأويل لتفكيك هذه البنى والقواعد: "... ان الرسوم المخطوطة على الجلد غالبا ما تكون قابلة للتفكك الى علامات ذات طابع رمزي متعلقة بنمطي تأويل متكاملين... من جهة هي تنقل بعض المعطيات للتنظيم الاجتماعي والديني وتصور من جهة اخرى كائنات او اشياء أو أماكن أو أحداث ذات معنى..."³.

ب- تقنيات الجسد (مارسال موس)

كيف يكون الجسد معطى ثم يتحول إلى مبنى؟، هذا الأخير قابل للتفسير والتعاليق والترابط والترميز، والتأويل ، فالجسد المؤول ثقافيا يعني ان كثافة الترميز ستجعله موضوعا غير مبتذلا ويزيد من القيمة الثقافية الرمزية للجسد، كما أنه يطالب في كل مرة بوصف خاص ومنفرد مكثف ومصنف جامع ومفكك، فالإنسان الرمز جعل من جسده رمزا قابل للتفكيك والفهم والتأويل، أصبح الجسد أكثر مرونة وعائما في معاني متجددة. لقد ذكر "موس" امرا مهما بخصوص مباحثه حول الجسد وترسيماته وتقنياته ذات القواعد الثقافية والاجتماعية:

¹ بيار بونت وميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، ترجمة مصباح الصمد، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص، 373.

² المرجع نفسه، ص 373.

³ المرجع نفسه، ص 373.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

"... فالموضوع التقني الأول والاكثر طبيعية هو جسده"¹، فالجسد هنا ينتقل من الطبيعة الى الثقافة ضرورة وحاجة ، فحاجته الاجتماعية قاهرة تطالب باستمرار لتحقيقها، ويضيف "موس" قائلاً: "أني أعني بهذه الطرائق (تقنيات الجسد) التي يعرف بها الناس مجتمعاً بمجتمع وبصورة تقليدية كيف يستخدمون اجسادهم"².

إن أجسادنا تتعرض للدمغة الثقافية والاجتماعية لترويضها وتهذيبها ولقد حاول "فوكو" بناء نظريته الفلسفية بهذا الخصوص في كتابيه " تاريخ الجنسانية والمراقبة والمعاقبة" هذا الاخير الذي لخص فيه مقولة عن التقويم والترويض عبر صيرورة تاريخية يقول: "....-هي- مجموع اجراءات لتحسين ،مراقبة، قياس ، ترويض ، الافراد لاعادتهم طيعين نافعين"³.

لقد تعددت تقنيات الجسد والاساليب في ترويض هذا الجسد وجعله قناة يمرر المجتمع فيها ما يريد او قل ان مفهوم "السلطة" والقهر جليان على الجسد البشري: "يثبت تصور الثقافية للجسد كقناة يمر عبرها نسق السلوك الملقن والمبلغ اما من خلال التربية او التقليد او التكيف...فتشكل الشخصية يتم دون وعي او بوعي بواسطة مؤسسات وتلعب القواعد او الممارسات الاعتيادية او ما يسمسه "كلود ريفر" بالنماذج الثقافية (Patterns Cultural)⁴. إن النماذج الثقافية هذه واسلوبية الترويض تلك هي التي تدعم اليات الاعتراف بالجسد او يكون الجسد مستساغاً ويملك مجال الاعتراف اجتماعياً وثقافياً عبر الفعل والممارسة والانتاج واعدة الانتاج والاستهلاك(مرايا التفاعل وحقوله).

ان الحياة اليومية ومسارحها تقف امام الجسد لتجعله يُرى من مستوى الترويض الثقافي الى جعله ايضاً شكلاً اجتماعياً يكتب فيه ويسجل عليه تلك العلاقات والرموز، يشير كل من: "فرنسوا زيشي و فوجيراس وج.ب دويوي": "... ان كون جسداً معطى ثقافياً بفعل الواقع فهو نص اردنا ذلك ام لا، بجسداً، اشاراتنا، وضعيتنا الجسمية، البستنا، حلينا، نتيج القراءة... فالجسد مهما يكن موضوع عمليات حل الشفرات، فلغة الجسد تتيح الى كل فرد تعين المجموعة التي ينتمي اليها والوضعية التي يشغلها فيها"⁵.

¹ الزهرة ابراهيم، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية وجوه الجسد، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2009، ص 120.

² بيار بونت وميشال ايزار، المرجع نفسه، ص 438.

³ المرجع نفسه، ص 120.

⁴ المرجع نفسه، ص، 121.

⁵ المرجع نفسه، ص، 121، 122.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الجسد لغة ونص بحد ذاته هذا التعبير، ولكل جسد تقنياته اللغوية والتعبيرية واساليبه المتعددة، فاللغة موضوع انثروبولوجي كذلك تحيلنا الى فهم الدال والمدلول الثقافي للجسد والعلاقة بينهما، وهذا مبحث مهم، كما ان استعمالاتنا اليومية للغة تتأثر بنوع الجسد (اللغة والجنس) في توجيه الامر والنهي والطلب والحوار فضلا عن صناعة التراتبية.

ان تقنيات الجسد الى حد الان هي تظهر جليا في طقوس ما، تارة تكون كما لو انها لغة بحد عينها ليتحول الجسد عبر صيرورتها الى كيان اجتماعي يراد له ضمان حيز الاعتراف او هي سياسات الاعتراف بين الفرد وشخصه وبين الفرد والجماعة وبين الفرق الاجتماعية والمجتمع.

ان ما يميز الاسس الانثروبولوجية لدراسة الجسد مسألة هذه التقنيات والطقوس، فالجسد الانساني منذ مرحلة الاخصاب البيولوجي واثناء الحمل ومن يحمله؟، الى الوضع و الانتماء واللون وطقوس الحياة، كلها حتى الزواج والعلاقات التراتبية الى الموت، وضمن هذا الطقس العابر بين الحياة والموت تتركز طقوس التكريس*، وهذا يعني ان جسدا ذكرا او انثى لكل شأنه وحظه من الطقوس المثبتة للدوار و التصورات والتمثلات وهذا ما يحملنا على الملاحظة والمتابعة والتركيز في فصول قادمة على ما له علاقة بالهوية الجندرية.

ج-الجسد و المقدس

ذكر "إميل دوركايم" في كتابه "الاشكال الاولية للحياة الدينية مقولة يراجع فيها ما جاء به وليم "روبرستن سميث" بان: "... (fonum/profonum) ويلازم مفهوم المقدس الطهارة والتكريس والحرمة والسمو وهذه كلها تشكلها وتمرسها الافراد والمجموعات داخل المجتمع وبهذا الصدد يركز (رودولف اوتو/على الفئة الخاشعة) ورنيه جيرار على العنف المصطنع القرباني ومن ثم المصالحة) و"جورج سيمل" على اشكال التقوى المختلفة او الكاريزما عند "ماكس فيبر"¹. ما الذي يخدمنا في بحثنا من خلال طرح العلاقة بين المقدس والجسد؟.

الجسد اداة وموطن الممارسات المقدسة والدينيوية والجسد ذاته به مواطن سامية ومواطن دنيوية فيه فترات مقدسة واخرى مدنسة والجسد ذكر وانثى.

فالجسد على حسب بعض الثقافات يحتاج الى طقوس التطهير كما ان الجسد في الديانات يحمل صيغ مختلة بين التقديس والاحترام بين التدنيس وتهميشه، وسيظل اساسا ثقافيا ومحوريا لدى المجتمعات، حيث نذكر المقدس منفردا يتبادر الى ذهن القارئ اننا نتحدث عما هو ديني

¹ جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، ترجمة محمد الاسعد، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص 155.

*سناتي على ذكرها عند موريس غودلييه.التسيما.

وحسب لكن في الحقيقة اننا نشمل حتى الدين بكلمة مقدس وليس العكس، فالجسد تعرض عبر ميثولوجيا تاسيسية دينية الى اعتباره اساس الكون او هو ذو ارتباط بما هو الالهي خاصة ما جاءت به الديانات السماوية في خلق الانسان الاول من طين ومن تصميم الالهي منفرد ما اعطى للجسد صبغة مقدسة.

" ان الانسان يرغب في ان يضع نفسه في مركز، المركز الذي يوجد فيه اماكن الاتصال بالالهة ان مسكنه عالم صغير وجسده كذلك عالم صغير يوضح لنا باي معنى تستطيع الديانات إعادة تأويل قيم التدين الغابرة".¹

لقد ألبست الديانات الجسد معاني وقداسة معينة واختصت بهذا الممارسات والمتخيلات المؤسسة لحياته وموته ، فالديانات الشرقية مثلا اعطت للجسد مكانة مركزية واساسية مثلما جاء في الفكر الشرقي الهندي : " في استخدام التماثل التقليدي ،البيت (الكون) الجسد الانساني ونحن نفهم بسبب ذلك، ان الجسد مثل الكون هو في اخر المطاف وضع منظومة شروط ينهض المرء بها ...".²

ان التماثل يبرز عدة مراحل من الحياة التي تتكسد فيها طقوس معينة كتقديم القران، التضحية وغيرها من ممارسة التطهير والتقدیس المنتشر في ثقافات الشعوب، كما ان الدين اعطى صيغة تراتبية للجسد وحاول ان يميز بين الاجساد بهالة من القداسة (جسد الانبياء وجسد الاتباع، وجسد الحكماء / وجسد المحكومين، عنف المقدس).

لا تخلو تقريبا الديانات من تلك العلاقة الثنائية المتصارعة بين المقدس والمدنس عموما وحول الجسد، سواء كانت هذه الديانات (سماوية او ارضية)، فالديانات الثلاث (اليهودية والمسيحية والاسلام) سطرت رموزها واسسها على الجسد وكان الشكل غالبا عنيفا قاهرا اما لطبيعة الديانة او الجسد في لذاته ، فهذا الجسد الروحي العقلي الواعي ايضا يمتد الى غرائزه وشهواته التي لا لاتنفذ وهنا يتجلى صراع بين المقدس والمدنس وسوف نسرد علاقة الاسلام بالجسد ليس حصرا وانما من قبيل الانتماء (للمهاجر غالبا): " يرتبط الحديث عن الجسد في الديانة الاسلامية ارتباطا وثيقا بمسألة الخلق. بدايتها وسيورتها. مميزاتا. والزاماتها".³

¹ ميرسيا الياذة، المقدس والعادي،ترجمة، عادل العواد،دار التنوير للطباعة والنشر،بيروت لبنان، دون طبعة، 2009، ص200.

² المرجع نفسه، ص 200.

³ الزهرة ابراهيم، المرجع السابق، ص97.

يكاد يكون هذا جليا في الكتاب المقدس (المصحف) في عدة آيات وعن التمييز الذي وهب للجسد الادمي الذي سيصبح جسدا به اساس ووجودنا هذا من الناجية التأسيسية للوجود وللكون الذي لا يتم الا بالجسد، لكن هناك محطات اخرى خضع لها الجسد الاسلامي ، يوضح مالك شبل:"... ففي دراسة له عن الرؤى الاسلامية للجسد من منظور فينومينولوجي يقسم الباحث حديثه عن الجسد في الاسلام الى اربع رؤى : الجسد، والجسدي ، والجسدية ، والجسدانية"¹.

نستشف من ذلك ان الامر ليس يتعلق فقط بزمن دنيوي واخروي او من جسد الجمال والجنس بل هنالك مفاهيم اخرى مؤسسة لفهم الطبيعة الانثروبولوجية الدينية الاسلامية للجسد:" فالجسد (corps) معطى أولي ... ويشكل الجسدي (corporel) مجال التعبير... فان الجسد مسرح دائما... اما الجسدية (corpoéité) فهي ليست شيئا آخر غير الصيغة البيولوجية... الغريزي الذكوري والانثوي... وكل الاعمال الحرفية التي لا نتحدث عنها للاخرين... ان الجسدانية (corporalite) هي الممارسة العليا لكل تمظهرية التاويلية وهي البنية الفوقية الذهنية التي يتم عليها عزف المقطوعة الجسدية..."².

يقدم "م. شبل" بهذا أساسا وتفريدا مفهوما للجسد، كصورة محملة او خطاطة تساعد في ضبط الموضوع وتوسع التفكير فيه وكيفية استقراء كافة جوانبه وبالاخص المقاربة الدينية الاسلامية التي اهتم فيها المشرع الاسلامي بتقنين الجسدي الى ثلاث جوانب:³ "اولا: الجسد اليومي الديني الذي يمارس مجموعة من الشعائر مصحوبة بقضايا مكتوبة. ثانيا: الجسد اليومي الاجتماعي الذي يكمل فيها الجسد هنا الشعائر بالعبادات ويؤطرها بحركات معينة. ثالثا: الجسد الشخصي الذي يفقد طابعه البدائي باندماجه المباشر في سمفونية القدسي."⁴

ان هذه العناية والاحاطة الاسلامية بالجسد تعود لطبيعة الممارسات اليومية للزمن والمكان، الذي فيه والحاضر في علاقته عبرهما، كما ان الطبيعة الجسدية تختلف من حيث المفهوم المؤسس علميا على مرجعية ثقافية بحالها (الجسد الغربي) من حيف تقرد الشخص به، فالجسد الاسلامي مدمج في الكليات الايمانية العينية والحاضرة وحتى الغربية وهنا نقدم سبل اختلاف الفهوم الابستمولوجية للجسد عبر الثقافات. (كيف يتفاعل المهاجر بجسده عبر اجساد مخالفة له في المرجعية الانتمائية؟).

¹ فريد الزاهي، الجسد والصورة والمقدس في الاسلام، افريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب، دون طبعة، 1999، ص 27.

² المرجع نفسه، ص ص 27، 28.

³ المرجع نفسه، ص 39.

⁴ المرجع نفسه ص 39.

ان الجسد في غير الميثولوجيا الاسلامية كما في ارض بابل والتي يطلعنا عليها "علي ربيعو" باسم الاجماع على العنف المؤسس في ملحمة الخلق البابلية عنف تحققه على الجسد دون هواده، ذلك ما يكشفها الرقيم السادس والسابع في الملحمة لتمجيد: " مردوخ" اله التوحيد البابلي ونجد ايضا اسطورة توزيوس وايزيس وحورس الفرهونية ان الجسد يمثل مرة اخرى كموضوع للعنف فاوزيريس يقتل على يد اخيه..."¹.

هنالك علاقة بين المقدس والعنف والجسد، هذه العلاقة الثلاثية المترسخة كان الجسد يمثلها او يمثلها كاضحية وقران ولعلنا سنشهد في فصول متقدمة علاقة العنف بالمقدس في عوالم ظاهرة الهجرة(هجرة جسدية منبعها مرجعيات التقديس وممارسة العنف المشروع/جهاد النكاح، كما حدث للانثى بسوريا وليبيا، حين هاجرن وقدمن جسدهن قربانا للمجاهدين والامر معقد فهجرة كانت من بلجيكا وفرنسا وتونس وغيرها من البلدان- عنف مقدس واجساد كقرايين)*.

ما الذي نستفيده اذا طرحنا هذه المقاربة الانثروبولوجية للجسد؟.

بدانا بمقولة الجسد ظاهر وخفي ، جلد واثنيات اعراق وتربية ثقافية، وهذا الجسد يشكل شيفرة وعمليات معقدة من الترميز(الانسان الكائن الرمز)، هذا الجسد الانساني تمارس عليه طقوس انتقالية تنظيمة تكريسية لتتضيد البنى والادوار فيما بعد وتعدد صيغ تراتبية معينة عبره، وكل هذا يشهده الجسد العادي والمهاجر في اشكال الحياة الجديدة.

فالجسد باطن وظاهر ووعي وتجلي وهذا خضع المهاجر قبلا لتشريطات مجتمعه، ليلتحق بمنظومة مخالفة له، وهو بينهما عالق يبحث عن استراتيجيات جسدية/تجسية تضمن الحيلولة دون الاقصاء من الجانبين، فكيف ستكون طبيعة العلاقة والوعي للتواصل ضمن جسد اجتماعي مختلف حيث الجلد والعرق والتربية وعلية التداخل الثقافي وادوارهم الذكورية والانثوية مختلفة هي الاخرى تماما. ان اللباس واداب اللباقة والطعام والخطاب الثقافي الكلي والممارسات اليومية سيكون له شان من البحوث المتمحورة حول الدلالات الثقافية الرموز الحاصلة له(المبحوث01).

• كتب عن هذا بالتفصيل امال قرامي في كتابها النساء والارهاب، مقارنة جندرية. وسنفضل في الامر لاحقا من خلال تلك التحقيقات الميدانية المقدمة في علاقتها بمقاربتنا الجندرية لظاهرة الهجرة.

¹ الزهرة ابراهيم، المرجع السابق ، ص ص 106.107.

من الناحية الرمزية ، نرى ان المجتمع الالمانى كامتداد لثقافة اوروبية يرى وتمثل الجسد بصورة مميزة ومختلفة حتى على الشعب الاوروبية المجاورة له (العرق الجرمانى) وهذا ما تحاول بعض الحركات الاجتماعية احيائه، وهذا مهم ، كما ان العادات والممارسات اليومية للجسد سواء انثى او ذكر تشهد المانيا سلوكيات تميز الفكر الغربى وخصوصياته مثل ما تفعل الحركات التحررية النسوية بأجسادهن أيام الثورة،(الكشف عن أجزاء من جسدها الملحق رقم 467)، إن ظاهرة التعري آخذة في التعبير العلني داخل المجتمع وهذه حركات ظهرت لتظهر لنفسها أنها حرة فيما تفعل وترغب، وان المجتمع لا يملى عليهن ما يفعلن (حركات كالكلاب والتعري في محطة الحافلات التي انتشرت بلندن وامريكا واوروبا)، السؤال هنا كيف سيتفاعل المهاجر مع هذا الفارق الجسدي الثقافي والسياسي؟ هل يفضل الصمت؟، هل ستظهر هوية جسدية مقاومة لكل هذا؟ فلا ننسى أن المهاجر الجزائري،التونسي،المغاربي حال لثقافة جسد افريقية عربية واسلامية.

انتشرت في السنوات الاخيرة سواء في اوروبا او في مجتمعات المغارب بما يدعى (هجرة الجهاد) هذه الظاهرة التي مست النساء والرجال من دول غربية وعربية وحتى افريقية اسلامية لكن اختلفت معتقدات الجهاد وادواره فدور النساء من طبخ ونكاح والرجال من حرب الساحات(مقاربة جندرية لجهاد الهجرة والنكاح)ولعل الجسد هنا اصبح مظهرا واساس للتجلي هذه الظاهرة العنيفة التي مركبها ثلاثي بين الجسد والمقدس والعنف (المشروع).

ان المركب الانثربولوجي لهذه الظاهرة هو الكفيل بشرح ما يحدث خاصة اذا كانت مقاربة جندرية تتسع مقاماتها لفحص ترسانة تاريخية اجتماعية وسلوكية.

3-الجسد سوسولوجيا أو في أداة الاستدماج والتواصل

السوسولوجيا بطبيعتها وعقلية باحثيها والمشتغلين بها، تحبذ التركيز على مواطن يكون افراد المجتمع قد تعودوا شيئا ما على انه بديهي، فتوقض بأسئلتها وملاحظاتها تلك ان امرا ما مريباً يحدث، فحين تملّ النفس وتتعب في غياهب التراكمات فانها تنبهنا للفهم بشكل كاف خاصة داخل الحياة اليومية، والتي ممارستها وخبراتها ومعانيها عائمة امام اعين الملاحظ والمستكشف والذي يطرح اسئلة منسية او غير منتبه لها، كذاك هو الجسد برمته في كل هذا الاجتماع:

" من المعلوم ان السوسولوجيا ترى النور في مناطق القطيعة والشغب، واللاتوجيه للمحددات، والخلط وازمة المؤسسات، او بعبارة اخرى عندما تنكسر الشرعيات القديمة"¹.

في فترة السوسولوجيا الكلاسيكية، لا يظهر الجسد الى السطح ظهورا جليا، لكن يمكن ان يكون الجسد داخل في تقاطعات شبكية ضمنية ستكون فيما بعد اساسا لاعمال السوسولوجيين المعاصرين، اذ نجد على سبيل المثال لا الحصر ام كلا من "جون بودريار" و"م. فوكولت" و"ن. الياس" و"بيار بورديو"، "ا.كوفمان"، "م. دوكلاس"، "ر.بير دويستل"، "ب.تورنر"، بالرغم انهم لم يدرسوا الجسد فانهم قد التقوا خلال اعمالهم السوسولوجية بالتحركات البدنية والادوار المشخصة والاشارات التابعة للجسد..."².

هذه الاشارات يمكن ننتبه لها على سبيل الذكر لا الحصر "فنوربرت الياس" في اشكالية الحداثة والحضارة يدخل اطروحات مشخصة للجسد الاوروبي في مقارنته مع دراسات اخرى ومجتمعات اخرى، و"بيار بورديو" عبر مقولتي الهايبيتوس ، ارفنغ غوفمان" داخل مسرح الحياة اليومية واعمال حول الذات، وغيرهم لكن ما قد يستكمل فيما بعد تحت مطلب اعمال السوسولوجيا المعاصرة هو كالاتي: فمثلا اذا رجعنا الى فرنسا سنجد باحثين: "م.بيرنار" و"ج.م.بيطولو" و"ج.م. بروهم"³ د. لوبروتون: "...اهتمو بطرق ادق منهجيا بتوضيح الثوابت الاجتماعية والثقافية المنطقية التي تتداخل وتتشابك بالجسدية..."³.

فالمهم بالنسبة لهؤلاء تطوير وارساء بعض الخطط المنهجية وابرار الثوابت الاجتماعية وتوجيه منطق النظرية الاجتماعية والدراسات الثقافية المهمة بهذا الشأن.

أ: أهم محطات سوسولوجيا الجسد

"...باختصار يمكن الاشارة الى ثلاث ازمنا قوية حاولت في ان واحد وصف ثلاث زوايا: أ: سوسولوجيا ضمنية للجسد، ب: سوسولوجيا متقطعة تمنح عناصر تحليلية قوية ذات صلة بالجسد، ولكن دون ان تحاول ربطها ببعضها البعض واعطائها صيغة منتظمة، ج: سوسولوجيا الجسد التي تعالج ثوابت اجتماعية وثقافية ..."⁴.

ان المرحلة الضمنية الاولى تحاول اذابة فحوى الجسد في كل تحليل اجتماعي بحيث يكون الجسد منفصلا بتلك الاطر الاجتماعية ومجال خصوصيته ضيق جدا، والمرحلة الثانية كانت

¹ دافيد لوبروتون، سوسولوجيا الجسد، ترجمة عباد ابلال وادريس محمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة ، مصر ، ط1، 2014، ص 24.

² المرجع نفسه ،ص24.

³ المرجع نفسه ، ص24.

⁴ المرجع نفسه، ص30.

تقدم تحليلات وافكار حول الموضوع ، لكن لم تكن لتقولب في قالب منهجي نظري واضح ومنظم، اما المرحلة الثالثة كانت نسقا منتظما للجسد داخل المنطق الكلي، و كان الجسد يعترف به داخل السوسولوجيا كخصوصية ذاتية فردية واخر اجتماعي ثقافي لا يرى الجسد الا عبرهما.

أ: سوسولوجيا الجسد الضمنية

الانعكاسات الاجتماعية للجسد التي نستنتج من خلالها تحليل الوضعية الاجتماعية للفاعلين ووجود شرط مادي في الانسان لا يستطيع الخلاص منه، فهناك دراسة قام بها كل من "فيليري" و"ماركس" وانجلز: "فقد كان همهم الوحيد هو تعرية الحالة المزرية للطبقة للكادحة..لم تكن الجسدية موضوع دراسة خاصة بل كانت خاضعة لمؤشرات مرتبطة بالصحة العمومية وعلاقات خاصة بالشغل..."¹

يمكن القول أن المضمون الثقافي والاجتماعي الذي ابرزه كلا من ماركس وفيليري وانجلز مهم لخلق ثورة لتغيير الوعي وحماية الطبقة الكادحة وما انجزوه في حياتهم، الا انها كانت غير فاحصة ومركزة بارادة منهجية لفهم كلية الممارسة والتجربة الجسدية: "فوجود الجسد لم يعد وجودا نهائيا، اذ لم يخلق الجسد وبقي على حاله كما وجد اول مرة ، اذ تعرض هذا الجسد الى عدة تغيرات بلورت كثيرا من الصور حوله بفعل تغيرات واحداث المجتمعات التي تعيش فيها واجساد البشر بشكل كبير"².

إن الأسس الضمنية ليست في مرحلة وانتهت، بل هي تتكرر في مجتمعاتنا الحديثة، الا ان الانشغال العلمي الاكاديمي يسعى الى توضيح الفرق في مراحل تطور بناء موضوع علمية تجاه الجسد، ف: "لقد اعتبرت سوسولوجيا الجسد البشري علامة داخل نسق رمزي معين يشير الى انتمائه لوضع نموذج اجتماعي معين مؤدية بذلك الى تسليط الضوء على جوانب متعددة من الجسد، تبرز انبهاره بالتنظيم الاجتماعي وخضوعه للايديولوجيا المهنية الهادفة للانتاج واعادة الإنتاج"³.

بخلاف الرؤية السوسولوجية التي ترى الجسد حاملا ثقافيا وفي ذات الوقت صورة الواقع والحقيقة الوجودية للمجتمع شكلا ومضمونا، الا ان هناك مقاربة ثانية تحاول انصاف الجسد

¹ دافيد لوبروتون، المرجع السابق، ص 32.

² مازن مرسول محمد، حفريات في الجسد المقموع، مقاربة سوسولوجية ثقافية ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ط، 1، 2015، ص52.

³ المرجع نفسه، ص 34.

لذاته او منحه استقلالية معينة او حق الجسد في التمتع ببيولوجيته، اي مقارنة(الانسان منتوج جسده)، خلافا لما ورد توجه فكري آخر يحث بالمقابل على شرعية الوضعية الاجتماعية كما هي للملاحظ والذي يقول: "... بأن الخاصيات البيولوجية للانسان ما هي الا حقه النزيه في موقعه ضمن المجموعة..."¹

يحكم هذه المقاربة حتمية بيولوجية مهيمنة على الانسان بحيث قد تبرر بعض الاطروحات التي تهدم علاقة الانسان بتضامنه مع المجتمع، الى عزله في قالب جسدي لحمي خالص ، كما بررت ذلك الانثروبولوجيا الفيزيقية، وانصار نظرية الشعوب التفوقة /الشعوب الدونية، وتحولت فيما بعد الى وثيقة اثبات جوفاء التي حكمها جائر على الانسان ، كما ان الوضع سيتطور في العصر الحديث ليصبح جسد الانسان منهك لجسد اخيه الانسان(عمليات التجميل والنحافة او تحويل جنس الانسان...الخ.

لقد حاول "دوركايم" اثناء بناء نظريته الاجتماعية الى تطوير منهج بحثه بضرورة التمييز بين الجسدية والعضوية، هذه الاخيرة التي تتجسد داخل المجتمع عبر اليتي التماسك والتضامن فدوركايم يحاول إجراء الاسقاطات البيولوجية الطبيعية على الحالة الاجتماعية، كما انه بهذا ينتهي أيضا عن أي محاولة تخصصية لظاهرة الجسد، هذا الاخير الذي يراه ضمن المجتمع، ليس منعزلا بذاته، بالرغم من ان "مارسال موس" وروبرت هرتز " تحفظ على هذا، وذات الشيء في المانيا نرى "فيير" يضمن مقولات ورؤى حول الجسد في "السلطة الكاريزمية" و"جورج سيمل" صرح باهمية ذلك في بناء نظرية التفاعل(عبر مفهومي الرسالة ، والوجه...) كما ان"سيغموند فرويد" بالرغم انه لم يكن سوسيوولوجيا، الا ان هناك مضامين مخبأة عن جسدية الانسان من خلال تلك العلاقات التفاعلية الاجتماعية، أو في جانب "الممنوع"، وطبعا السوسيوولوجيا انذاك لم تكن ترى ما يقدمه "فرويد" وذلك بسبب الطبيعة التافسية للحقلين في بناء نظريات كبرى تفسيرية لظواهر الانسان والمجتمع والحضارة ككل.

"لقد ادخل فرويد الجانب العلائقي في ظل الجسدانية حيث جعل منها بنية رمزية لكنها لم تكن متبعة من طرف السوسيوولوجين الذين كانوا مشدودين بالتمثل العضواني للجسد."²

¹ دافيد لوبروتون، المرجع السابق، ص 33.

*لقد برزت اعمال دوركايم كثيرا وكانت و ما زالت اليوم اساسا مهما في عمليات التفسير السوسيوولوجي والاسقاطات النظرية الكبرى وحتى النقدية منها ولعل ابرز الاعمال التي حاول ان يثبت فيها ان التماسك الاجتماعي ضروري في نظريته حول الانتحار بمقولتي "التضامن العضوي والتضامن الالي".

² دافيد لوبروتون، المرجع السابق، ص36.

ب: السوسيولوجيا المتواترة (المتقطعة)

"الإنسان ليس منتج جسده وحسب بل ينتج بنفسه مزايا جسده"، تؤصل هذه المقولة الى ان الجانب البيولوجي ليس يسلم اليه كل معنى الوجود، بل هوذاته من خلال التفاعل والممارسات اليومية والتجربة الاجتماعية، فلقد انبثق سوسيولوجيا الجسد في مراحلها المتقطعة عبر اعمال محورية على فترات مختلفة غير متماسكة مثلما عبر سيمل: "انا اقترح نفسي لتحليل مختلف الاحداث الناجمة عن التركيبية الحواسية عند الانسان وطرق الادراك الكتبادل وكذا التاثيرات الناجمة ومعانيها في الحياة الجماعية وعلاقتهم مع بعضهم البعض..."¹.

هذا النص السوسيولوجي القصير يعطي الدليل على ان هناك فكرة موجهة نحو الجسد داخل العالم الاجتماعي ومحاولة لتفسير ظواهر اجتماعية، ان "مارسال موس" اعطى الاهمية للموضوع في كتابه "تقنيات الجسد 1936م. وسجل (روبرت هرتز)²:" ايضا بحثا عن مدلول "اليد اليمنى"، لم تكن سوسيولوجيا متخصصة او مؤسسة لموضوعة جسد مستقل بل كانت اعمال ذات صبغة لسوسيولوجيا المناسبات، لاجل تكملة وجمع الادلة وبحوث ميدانية اكبر في وقتهم وهذا مادعاها "لوبرتون" بسوسيولوجيا الجسد المتقطعة.

ج: بروز سوسيولوجيا الجسد

لقد انطلقنا في البداية بعلامات التفكير السوسيولوجي الضمني حول الجسد، وكذا السوسيولوجيا المتقطعة، والتي كانت في مراحل ارساء موضوعة الجسد ضمن الخطاب العلمي فيما بعد والتي ستكون مرحلة يكون الجسد فيها داخل التاريخ الاجتماعي وضمن ابعاده الاجتماعية والثقافية. ".وفي هذا الميدان (السوسيولوجيا) يجري استقصاء الطرق والالوجه التي يتاثر فيها الجسم او الجسد البشري بالعوامل والمؤثرات الاجتماعية فالجسد البشري ليس كيانا فيزيقيا ماديا للعيش في الفراغ او خارج السياق الاجتماعي او التجاري التي نمر بها في تفاعلات غير المحددة"³. فالجسد ليس كيانا ثابتا منعزلا او انه محض طبيعة منفردة بخصائصها، فهم الذي يوجب على ذاته نحت شيء ما او اصطناع واقع آخر، هذا الواقع الذي نقله من العزلة الى الاجتماع ومناطبيعة الى الثقافة ليحقق شيئا انسيا.

¹ دافيد لوبروتون، المرجع السابق، ص 37.

² قدم روبرت هرتز، بحثا ميدانيا عن اليد اليمنى بخصوص الذين يستعملون اليد اليمنى مقابل من يستخدمون اليد اليسرى واكتشف ان الامر ليس بيولوجيا حتميا بالقدر الذي يثبت فيه العازف استعماله اليد اليسرى واليمنى بكل ارتياحية لتحسين ادائه الموسيقي عبر شقه الثاني من المخ، فالمسألة ليس عصبية تامة وانما تتاثر بعوامل اكتسابية.

³ انطونيو غيندر، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية. بيروت لبنان، ط1، 2005، ص

"سوسولوجيا الجسد لكن باي جسد يتعلق الامر؟ وربما تغض الطرف عن العبثية التي تتم بها تسمية الجسد وكأنه صنم او بعبارة اخرى نحن لا ننسى الانسان الذي يحتويه...اذ ان اي تساؤل حول الجسد يفرض مسبقا بناء موضوع وتوضيح ما يهمله، الا يمكن ان نقول ان الجسد نفسه ينظر اليه من خلا حجاب التمثلات؟..."¹، فالجسد ليس منفردا بل يمكن ليصبح هلاميا في اجساد مجتمعه او في معانيها العائمة، وليس ما نراه من جسد رجال ونساء هو جسد بل هو جزء من الجسد الاجتماعي: "ان الجسد شبيه بحقل قوى يرجع صدى كل صيرورات الحياة التي تحيط به، لانه دائم الاتصال بالعالم الخارجي"².

4- الجسد بين الهوية والذات، النقلة

الى حين كانت هذه المقولة مندسة ومهملة في تاريخ التفكير الانساني، لم تكن الذات فكرة جلية واضحة تتناقش الا بعد تقاسيم فرضت كل اشكال المحو والنسيان، ان الذات التي ستعود عبر "الانا" والنزعة الفردية، انها الذات التي تريد الاخر لتعرف عن نفسها، من الناحية التفكيرية لم يبرز هذا المصطلح منحوتا الا عند النفسانيين وبعض من الفلاسفة المحدثين مثل " ميشال فوكو" و "بول ريكور" و "جوديث بيتر" الا انا هناك اساس فلسفي يوناني قديم لكل هذا هو قول سقراط " اعرف نفسك" فما الذات؟ وما هي من حيث هذا الكم الهائل من التأثيرات حولها لها في عوالمنا المعاصرة؟ وكيف سيكون الجسد ذاتا؟.

"...في انجليزية القرون الوسطى كانت الذات تشير لا الى الهوية الشخصية الداخلية بل الى الفكرة النوعية عن المطابقة وهو شيء ما زلنا نسمع صدها يتردد في التعبير الاصطلاحي عن الشيء نفسه وذاته"³.

ان الذات مفهوم مرن غير مجمع عليه اصطلاحا بسبب كثافة التاويل واختلاف تأثيل الثقافات له: "يقدم نيكولاروز" تاريخا للذات النفسية الحية المتميزة، فبدأ في اواخر القرن التاسع عشر كنتيجة للتفاعل بين المتطلبات السلوكية لعدد من المؤسسات التعليمية والمقاييس السلوكية ومعايير الحقول النفسية حيث تم استكشاف باطن نفسي جديد..."⁴.

هذا الباطن النفسي يكون مرحلة ما قبل الاخيرة لصياغة الشخصية، كما يمكن لافراد ان يصوغوا طموحاتهم عبر ذواتهم المجهزة ومركباتهم النفسية في مقابل مجال المعايير التي

¹ دافيد لوبروتون، المرجع سابق، ص48.

² المرجع نفسه، ص51.

³ طوني بينيت، وآخرون، مفاتيح اصطلاحية جديدة، المنظمة العربية للترجمة، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2010، ص342.

⁴ المرجع نفسه، ص343.

تحظى بالاعتراف ان الذات امر اساس في تكوين الشخصية وهوية الانسان وبناء الصورة عن نفسه والآخرين.

نبهنا "ميشال فوكو" الى مقولة سقراط مؤسسة لفهم الذات عبر "اعرف نفسك" وبين مقولة "اهتم بنفسك" فالاولى تعني مقابلة الذات وتجهيزاتها عبر الحقيقة وهذا فلسفي بامتياز بينما الاهتمام بالنفس راجع الى ضرورة تاريخية اركيولوجية لذات مهمة بنفسها ومتعها لذاتها وهنا تكون ذات مقابلة موضوع الدراسة: "ان المفهوم اليوناني ل (cura sui) او بالانجليزية- (Take care of your Self) -يفيد ان تهتم بنفسك وان تعتنى بنفسك..."¹.

ان هذا الاهتمام والعناية لا يكون من الذات الا مجسدا لجوهرها او لشخصها، وان الاهتمام والعناية والحذر والحماية والصحة كلها مقامة على الذات المجسدة، وطبعا ليست المقولة حصرا بل استعارة تساعدنا لادراك ان هذا الجسد سيكون محل رعاية واهتمام مجسد بين الداخلي والمجموعة الانسانية البرانية.

"... لا يمكن الامساك بالجسد الفريد الذي يومئ اليه الفرد في سردياته ليس لان للجسد تاريخا تكوينيا يبقى غير قابل للاستعادة بواسطة التأمل وحسب، لكن لان العلاقات الاولية تكوينية بطرت تنتج عتمة ضرورية في فهمنا لانفسنا"².

تقودونا "بيتلر" الى شيء آخر، ما نسيطر عليه وما نتحكم فيه وما نتعارف عليه وبه عن انفسنا هو من صناعة الاخر ، ... اللاحرية الذي نتعرض له وقت حضورنا وتقديم انفسنا هو ليس من صناعتنا المنفردة بل انها قواعد اجتماعية للتبادل والتفاعل وتغير مواقعها عبر حلاقتها المروية، يقول "تشارلز تايلر (CHARLES MARGRAVE TAYLOR):"

" ان احدى الحقائق الحاسمة عن الذات او الشخص التي تنشأ من كل ذلك تفيد ان الذات ليست شيئا بالمعنى المفهوم فنحن لسنا ذوات كوننا كائنات عضوية... نحن كائنات حية ولنا تلك الاعضاء بمعزل عن مفاهيمنا، غير اننا لسنا ذوات الا بمقدار ما نتحرك في فضاء المسائل عندما نسعى الى الخير ونجد توجيهها نحوه"³.

¹ ميشال فوكو، تأويل الذات، ترجمة الزاوي بغورة، دار الطليعة، بيروت لبنان، ط1، 2001، ص 10.

² جوديث بيتلر، الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، دار التنوير، ط1، بيروت لبنان، 2014، ص 62.

³ تشارلز تايلر، منابع الذات، ت. حيدر حاج اسماعيل، المظمة العربية للترجمة، توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2014،

ويضيف قائلاً:

"فإني لا أعلم ما الغضب القلق، الطموح إلى الكمال... إلا عبر خبرتي وخبرة الآخرين بكون هذه موضوعات لنا في فضاء عام ومشارك... أنا لاحقاً فيمكنني أن أبداع فقد أنشء طريقة جديدة لفهم نفسي والحياة الإنسانية"¹.

إن خبرة "الانا" لا تتجسد إلا عبر "الآخر"، وهذه العلاقة في رأيه تشاركية داخل المجال العام ولا يتأثر الإبداع إلا بتوفر هذين الشرطين ليتم الانطلاق نحو رؤية جديدة عن الذات، أم أبداع فيجدر لفت الغير لأجل تجديد شيء ما، هذا الجديد الذي يتطلب شرطاً ضرورياً لتحقيق التبادل والاعتراف: "عندما يصبح الاعتراف ممكناً بين هاتين الذاتين المتنافستين لا يستطيع أن ينجو على الإطلاق من الشرط البنوي بالخاص بالتبادلية الضمنية"².

إن الجسد هو ذات وهو الآخر، وهذه العلاقة بينهما محكومة ومشروطة بين التنضيد والاعتراف للتجسد والثبات، لكن الجسد بما هو ذات يرفض أن يكون مشروطاً كلية بالعوامل الخارجية، كما أنه لا يرفض كلية كسلطة وعنف قاهرين، لأجل تمرير سبل الاعتراف بها، وهذه ازدواجية الذات (ذات فاعلة ناجزة)، مثل وشم جماعة ما أو شباب ينتمون إلى ثقافات فرعية، فهم لا يرفضون كلية الثقافة التي احتوتهم بل يريدون خلق فاصل وحد ذاتي.

يقول "لوبرتون": "دلت علامات الجسد مطولاً على الانخراط في جماعة اجتماعية محددة بدقة... وهي اليوم تعبر عن إجراءات فردية وعن اختيار كل واحد أنها ترجمة عن واحدية الجسد التي تطبع مجتمعاتنا بعمق"³، إن الوشم وثقب الأقرط هي صياغة أنثروبولوجية لكنها بهذا الموضع تجعل من جسد الإنسان بالمفرد وكأنه يحس بنفسه من جديد و لديه حيزه الخاص وسره الذاتي، فألم الوشم على الجسد بتلك الرسومات هو المكون الأساسي للتحويل الشخصي إنه تأكيد على فرادة الذات ورغبتها في التميز، إنه تأكيد على الحضور بصورة مختلفة وإن بقيت الحياة اليومية ذاتها: "الجسد في متناول اليد تمارس فيه وعليه الحرية الشخصية بلا قيود... إذ تعلن العلامة الجسدية الانتماء للذات أنها تترجم ضرورة اكمال الجسد غير كاف في حد ذاته لتجسيد الهوية الذاتية وذلك بمبادرة شخصية..."⁴.

¹ تشارلز تايلر، المرجع السابق، ص 83.

² جوديث بيتر، المرجع السابق، ص 72.

³ كاترلين هالبرين، وآخرون، الهوية. الفرد والجماعة والمجتمع، ترجمة إبراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2015، ص 143.

⁴ المرجع نفسه، ص 153.

أ: هوية الجسد

" إن الهوية باعتبارها ناتجة من بناء اجتماعي تشاركي في تعقد الاجتماعي، انها محاولة اختزال كل هوية ثقافية في تعريف بسيط ونفي، هي عدم اعتبار اللاتجانس كل مجموعة اجتماعية ما من مجموعة ما ومن فرد منغلِق ما قبلها، هي هوية ذا بعد واحد، إن ما يميز الهوية هو خاصيتها المتقلقة والقابلة لتأويلات"¹.

إن الهوية بهذا المفهوم تحيلنا إلى شيء مهم، فهي تكشف الفاعلين الاجتماعيين داخل الحقل الاجتماعي (الهوية الاستراتيجية)، ويظهر هذا عندما يكون الفاعلين الاجتماعيين قد تقبلوا بين بيئتين اجتماعيتين مختلفتين مثلما يحصل تماما مع المهاجرين، فهم ليسوا ذوي هوية ثنائية بالقدر الذي سيتحولون الى لاعبيين استراتيجيين عبر ادائهم المتنوعة.

ان جسد المهاجر يصبح ضمن هذا المضمار لعبة ومكمن القواعد الاستراتيجية قعما ولعبا واداء منجزا، فالمهاجر عبر قواعد اللباقة والباس والسلوك اليومي والقرب والبعد، مع ذاته وغيره في بيته وبين الجيران وداخل مؤسسة، يراعي قواعد المجتمع المضيف ويحاول التخلي عن قواعد، التي لا يحتاجها الا وقت العودة لخلق التوازن، فالجسد الذكوري المهاجر ليس هو ذاته وقت العودة خاصة في مقابلة تفاعلية تبادلية مع الجسد الانثوي المخالف له، وهذا موضع قوة التغيير والتحول ومحط كل التفاعلات المتناقضة.

ب: استراتيجيات الهوية (الجسد الفاعل).

لم تعد الهوية في حقبة ما بعد الحداثة مقولة مركزية مطلقة الثبات كمفهوم وتمثل الافراد لها بل تحكمها التحولات والتغيرات: " فيستعمل بعض الكتاب مفهوم الاستراتيجية الهوياتية من هذا المنظور وسيلة لبلوغ غاية، انها ليست مطلقة ...، ويشير مفهوم الاستراتيجية ايضا الى ان الفرد بما هو فاعل اجتماعي له نوع من هامش المناورة، انه يستعمل موارده الهوياتية بصفة استراتيجية..."².

يؤكد ذات المعنى ان الهوية لم تعد بتلك السلطة المركزية المسيطرة على الفرد كما ان الافراد هؤلاء الفاعلين الاجتماعيين لا يملكون كامل السلطة، بل اصبح الافراد يراعون قواهم المنجزة وفرصهم الآنية لضمان سيرورة أمورهم و أوضاعهم الاجتماعية واستمرار بقائهم عبر الحركة

¹ دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص162.

² المرجع نفسه، ص 165.

الدائبة*¹: "ان الهوية سواء أكانت رمزا أم وضعا تكون أداة تستخدم في العلاقات ما بين المجموعة الاجتماعية، لا توجد الهوية في ذاتها بمعزل عن استراتيجيات اثبات الهوية التي يتواخاها الفاعلون الاجتماعيون الذين هم في آن واحد نتاج الصراعات الاجتماعية والسياسية وحاملها"²، في الجسد نلاحظ ذات الشيء فأدوار الذكورة الانوثة هي هويات مصنفة ومطبوعة تكاد تصبح ثابتة الا انها تنهار في لعب الاستراتيجيات المرحلية داخل المجتمع ، وطبعا هذا لا تلاحظ حدته الا في المدن الكبرى من الزحام واكره التحضر (ضيق الفجوة الجندرية):

استراتيجيات الهوية الأربعة لحياة اجتماعية ما بعد الحداثة³:

"هوية المتجول (Stroller) هو شخص ما يتجول في المدينة ..هو ليس له هدف محدد... هو المستهلك المازح الذي حل محل المنتج الصارم..، المتشرد (Vagabond) ينتقل من مكان الى اخر ..لا يمكن التنبؤ بسلوكه...السائح ، يشبه المتشرد كونه ينتقل من مكان الى مكان ولكن حركته تختلف كونها ذات هدف...اللاعب:وتتطلب التعامل مع الحياة وكأنها لعبة،... فانت سواء ربحت أو خسرت سوف تنسى اخر لعبة وتنتقل إلى أخرى"، سيكون هذا الدليل موضحا في الباب الرابع ومعالجا علاقة الهوية العابرة والتنوع الثقافي الدينامي وسندرك قيمة المحاكاة عوض تقليد صارم، هذه المحاكاة المقصودة لبلوغ اهداف يحددها الفرد.

خلاصة:

توصلنا إلى ادراك قيمة مبحث الجسد كونه المتصل المباشر بالعالم الخارجي، والوحدة الأساسية للذات المدركة للإنسان نفسه، لم يكن الجسد ليخرج من دائرة الحكم والاهمال لولا مبادرة الانسان نفسه في إعادة النظر في الحمولة البيولوجية واستخداماتها الواسعة، ويجدل بين المعطيات الطبيعية والمقدرة الثقافية الابداعية للانسان ككينونة اجتماعية، ليكون الجسد اداة المعرفة والتواصل والسلوك، وليس بشكل ميكانيكي للتجسد، بل بشكل اكثر ديناميكية وتمايزا، بين الثقافات الاخرى، إن الجسد في رحلة الهجرة يتعرض الى الكثير من المساومات التي تمرنه على اشراطات ثقافية واجتماعية مختلفة تجعل من مسألة الهوية في الأخير اكثر نقلة ومرونة.

¹ * هناك مثال يوضح بهد نيس كوش هذه الوضعية، اي استراتيجية التماهي في ستر الهوية في حالة ماران(marranes)وهم يهود شبيه الجزيرة الايبيرية اولئك الذين اعتنقوا الكاثوليكية ظاهرا في القرن الخمس عشر للافلات من الاضهاد والاجلاء، محافظين على ايمان اسلافهم وتمسكين سريا ببعض طقوسهم التقليدية.

² نيس كوش، المرجع السابق، ص 166.

³ هارلميس وهولبرون، سوشيلوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2010، ص ص

الفصل الثاني: الإنسان بمفهومه الأوسع والمتعدد-أبعاد الثقافة

تمهيد:

بقي مفهوم الثقافة يشغل الباحثين و ما زال يشكل صعوبة في ايجاد منحوتة اصطلاحية متفق عليها، ولهذا نجد زحما من التعريفات مبنوثة في نصوص عدة متخصصة وغير متخصصة، قد يبدو هذا عاديا فكثيرة هي الاصطلاحات الغير محددة والغير متممة، وهذا يرجع إما إلى بيئة الاشتغال أو لطبيعة الموضوع، أو النقص الذي يعتري مفاهيم متأثرة بمستجدات تخل بتوازن معرفي ما، وهذا قد لا يكون عيبا بالقدر الذي يترك فيه للباحثين مجالاً للاجتهد والإضافة والتغيير.

1- التواصل الثقافي (الثقافة محصلة تواصل)

ان مرونة المفهوم واتساع قاع التعريفات وانفتاح افق المعنى الثقافي لا يعني ترفاً زائداً او تيه انساني بالقدر الذي يصبح فيها الانسان اكثر حيوية وهو يمارس صنعته ويبدع فيها معاشاً وفكراً ومستقبلاً، من الدراسات الثقافية (Cultural studies) الى العلوم الثقافية (Cultural Sciences) و نحو النقد الثقافي (Cultural criticism) من اجل تظاهراته الجلية والضمنية، فلقد انتشرت مفاهيم واسعة الاستخدام كالتالي وصلت حد الاشباع منها ما عبر عنه تايلر (Taylor): "هي مجمل معقد يضم العلوم والمعتقدات والفن والطبائع والقانون والتقاليد وهي ايضا كل تصرف او ممارسة يكتسبها الانسان الذي يعيش في المجتمع"¹. ولعله كان قريبا من الشكل الوظيفي لها والحتمي لما تمليه على الانسان وتكرهه على ذلك من خلا عمليات الجمعنة ومؤسساتها لا غية حرية الانسان وارادته العاقلة في نحتها ، والعلاقة بين الاكراه والحرية الفردية تقود الى افق الخصوصية النسبية وعالميتها وهناك كان الاحتدام الاوسع حول الحضارة وهذا مشكل ثقافي محموم الجدل بسبب ما تتعرض له الثقافات الاخرى من الاكتساح والتهجين او مركزية ثقافية معينة.

لا يمكن ان نقفز الى عمومية الثقافة دون التعرض الى ما جاء به عالم زيمل، حول الثقافة والانسان بين الموضوعية والذاتية وهذا سيكون له تفصيل في المطلب الثاني من الفصل هذا، تلك العلاقة الصراعية والمتناقضة بين الانسان ومجتمعه بين ما هو موضوعي وذاتي وبين العمومية والخصوصية في الحقيقة انه اشكال ثقافي فلسفي معقد ومتشعب، لم يكن ليتطور

¹ بيار بونت وميشال ايزار، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا، المرجع سابق، ص 420.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

لمفهوم ويأخذ أبعاداً أخرى لولا مرحلة عالمية الثقافة، ثم عولمتها فالإنسان لم وحدة التعريف والتحديد ومتفرداً ثقافة ما، فأصبح الإنسان عابر من المحلي إلى العالمي والعكس، وهذا العبور الثقافي سيشكل مفهوم آخر وإنسان منفرداً بأبعاد متعددة، ومجتمعاً بعوالمه الثقافية المتعددة وأبعاد المبتوثة، وسيبرز أشكالاً لا حصر لها ولا يتحمل المفهوم التaylorي كل هذا التوسع والتعدد والتداخل بين (محلي/كوني، فردي/متعدد، وحدة/تنوع، تمركز/انتشار...).

قد يبدو الولوج في هذا المضمار أمر لا طائل من ورائه لأن هناك كتب ونظريات ثقافية كثيرة تحدثت عن هذا، لكن لا يمكننا أن نكون على أهبة من الاستعداد للتحليل واستيعاب موضوع الدراسة الذي بين أيدينا أن لم نملك العدة الاصطلاحية والفرز الأشكالي أو كما قلنا سابقاً الكسر الثقافي بمعناه الرياضي، وإن الثقافة في بحثنا هذا ستكون المرآة العاكسة لكل ما نطرحه وندافع عنه ضمن البعد الثقافي لظاهرة الهجرة والإنسان عموماً.

إن الثقافة لا يمكن أن تستساغ لولا تجسدها عبر أشكالها وأدواتها وهذه العملية المتجسدة آخذة في الولوج والخروج عن الإنسان بمفهومه الواحد أي تلك العلاقة المباشرة بين الإنسان ومحيطه، كما إن الثقافة إذا اتسعت مضامينها وانتشرت أشكالها فسوف تنمرد عن العلاقة الثنائية المتفردة بالإنسان وبيئته لنصبح نتحدث عن (الإنسان المتعدد)* و(عالم متعدد)، وفي الحقيقة هي نظرية سوسيولوجية جديدة أتت بها عالم الاجتماع "لايبر" حيث يدافع عن أطروحة الإنسان المتعدد في معنى إن الثقافة ليست منفردة بل ثقافات متنوعة وإنها علاقات متعددة مجمعة ومتعددة وهذا ما يريد من خلال القفز والتتحي جانباً عن أطروحة عالم الاجتماع الفرنسي بورديو (P. BOURDIEU)، الذي يركز هو على الممارسة والهيبيتوس وهنا يقول "لايبر" إن العلاقة لم تعد تدار بين الفرد والثقافة والمجتمع في شكل ثنائي أو صراع بين قطبين داخل الحياة الاجتماعية المعاصرة بل يجب مراعاة الاختلافات التي يثيرها الأفراد والخصوصيات المتنوعة في ثقافات العالم، فالفعل الاجتماعي سوسيولوجيا خاضع لمدى الثالث الأكثر تأثيراً. ما أحاول تقديمه في هذه الدراسة هو مراعاة الاختلافات الحاصلة والتداخلات بين الذات والموضوع على حسب تعبير "زيمل"، أو تلك الرؤية لأفعالنا الاجتماعية من زاوية التعدد والتنوع التي تفسر كثيراً من الأشكال في المهجر، وثقافة المهاجر، والتمييز العرقي، والجنسي، وتلك الأنواع من الأداءات الاجتماعية والممارسات الثقافية داخل المجتمع المهاجر وما تتجم عنه هذه العلاقة بين المجتمعيين والأفراد.

أ: الثقافة بالمفهوم الاوحد للطبيعة البشرية:

تختلف التعبيرات والمدلولات بين Culture و Civilisation اي الثقافة والحضارة ونكون اكثر تحديدا في الفارق الالمانى بين Kulture و Bildung اللذان يستخدمان في العادة بدلالة روحانية والتربية الداخلية، هذه الفروق توجهت به المدرسة الفرنسية والانجليزية والالمانية والامريكية الى مخارج مختلفة في التعاطي مع كنه الثقافة المادية والروحية، فمثلا حاولت المدرسة البرلينية بقيادة فرانز بواز (FRANZ BOAS): "وضع نصب عينها اشكالية الثقافة والحضارة بين ثقافات مفتوحة توفيقية وغير ثابتة وبين تلك العوامل الداخلية للروح القومية والوطنية والعرقية الاساسية في تكوين الشخص.. اصرت المدرسة على ان الثقافة تعمل باسلوب مختلف تماما عن القوى البيولوجية"¹.

سيطر مفهوم الثقافة الأوحد لفترة طويلة على التصور الثقافي واستمد ذلك من النزعة البيولوجية والاعتماد على نسخة الطبيعة البشرية، وكانت النقطة معتمدة على التنوع من قبيل بعض الاخفاءات العنصرية والعرقية، بحيث يكون المتحضر أسمى من المتوحش، والأبيض ارقى من الاسود، والثقافة المهيمنة هي المؤهلة للحضارة والباقي يغرق في هامشه، إنه النزاع على الثقافة النقية للصفوة ، لقد اعتبر الفريد كروبر (ALFRED LOUIS KROEBER) وكلايد كلوكهون (CLYDE KLUCKHOHN): "بحثا تحديدا لمفهوم الثقافة يتجنب فيه الصفوة والرفعة العالمة والحضارة العالمية الى تبني المعرفة والمعتقدات والقيم اي الاعتراف لكل مجتمع بثقافته الخاصة التي تميزه عن باقي المجتمعات الاخرى"².

لقد حفظها التعريف خصوصية كل ثقافة وتفردا وتميزها في مرحلة ما من الهيمنة او الشمولية الاختزالية في ثوب الحضارة العالمية مسترشدين بالحقوق الثقافية، لكن هل يضمن هذا افقا للتنوع؟، يركز كلود ليفي شتراوس (CLAUDE LEVI-STRAUSS) على فكرة الثقافة من منظور وحدة العقل البشري يقول: "هناك ضيفا غير مدعو وهو جالس بجوارنا الا وهو العقل البشري، واذا تتبع علم جديد مسار علوم اللغة اذن سيؤسس هذان العالمان البني العميقة التي تشترك فيها كل اللغات والثقافات وهي بالتأكيد محفورة في العقل ذاته"³.

¹ آدم كوبر، الثقافة التفسير الانثروبولوجي، ترجمة تراحي فتحي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت، د. ط، 2005، ص 25.

² المرجع نفسه، ص 26.

³ المرجع نفسه، ص 32.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

ان المقترح البنيوي اللغوي في المشترك الانساني هو الذي رسخ تقريبا كل المقاربات الثقافية الرامية الى البعد الاحادي تلكم المرتكز على الطبيعة البشرية والصريح عند شتراوس في اللغة والبنية العقلية، وهذا له انعكاساته على تلاميذته في السوسولوجيا "كبورديو"، وستكون هنالك لواحق مرتكزة على التفسيرات البنيوية الكلية الاحادية للحضارة عوض الثقافة والاعتراف بالتنوع لا من قبيل نسبية الثقافة بل من توجيهها واعادة انتاجها وجمهرتها، -المركزية الثقافية-.

ان التنوع عند شتراوس ليس واضحا خاصة بين الورقة العلمية المقدمة في البداية في كتابه العرق والتاريخ والاصدار الاخير للندوة العالمية التي اقيمت وقدم فيها فحوى التنوع الثقافي، كما اشرنا في بداية التعريفات الاصطلاحية، يمكن اعتبار موقفا يميل الى الاحادية للمشارك الانساني وغير مبالية بالاختلافات او لنقل ان الاختلاف والخصوصيات تكاد تكون شاذة عن الثقافة والحضارة.

يحاول "دان سبير" التقرب اكثر مما قدمته الاناسة عموما حول التنوع كمادة الاناسة، وبين ما قدمه (شتراوس): "... ان التنوع يرد الى العقل البشري ويرى ان الممارسات ترد الى اجهزة لا تفهم من دونها، انها الرواسم التصويرية، فالبراكسيس تشكل الكل الاساسي وبين البراكسيس والممارسات يندرج دائما وسيط الرسوم¹ التصوري الذي يتم بفعل المادة والشكل المجردين من اي وجود مستقل ان يتكاملا كبنيتين او ككائنين تجريبيين ومعقولين في آن معا².

يعتبر موقف "شتراوس" منتصرا للبنية الكلية للعقل البشري في الاستعارة اللغوية او البنية الالسنية الانثروبولوجية، كونه حامل للغة والناطق بها، فكل هذا التنوع محتواه واحد، فهل هذا توفيق أم اختزال؟، لقد عبر في كتابه العرق والتاريخ تعبيرا يراه البعض غير منجزا او غير قابل للتحقيق لاتساع الفجوة بين الاختلافات فالبرغم من البنية الاحادية المشتركة للانسان الناطق العاقل الا ان الافراز الثقافي آخذ في توسيع دائرة الاختلاف، هذا الذي حمل زملاؤه الامريكين مثل (غيرتز وسالينز): "لقد ابتكر رواد الجيل التالي من الانثروبولوجيين الامريكين امثال: كليفورد غيرتز (CLIFFORD JAMES GEERTZ) وديفيد شنايدر (DAVID SCHNEIDER) ومارشال سالينز (MARSHALL SAHLINS) طبقات من النماذج الفطرية"³.

¹ * يقصد بالرسوم الطابع والخاتم لغة، واصطلاحا هو الجانب الاجرائي العملي لادراكنا بين الفكرة والتصور العام.

² دان سبيرير، البنيوية في الانثروبولوجيا، ترجمة علي قائم، دار التنوير، بيروت لبنان، د.ط، 2008، ص ص، 97، 98.

³ ادم كوبر، المرجع السابق، ص 32.

ما الذي يمكننا ان نوظفه هنا؟:

بفهمنا لطبيعة الثقافة وطبيعة ممارستها نقرب من مصدر الاختلاف والتنوع وبإستعاب طرفي الاختلاف والتوحد بين العقل البشري وكلية التمثلات الثقافية للتنوع.

نحاول بهذا الاستعراض استقراء ذلك الرمز وتاويله في عالم ننشأ فيه ثقافتنا ونستلم منها وجودنا غير آبهين احيانا بمعترك الحضارة، نعيش ونحيى، فاذا كانت هناك وحدة وضيف غير مرحب به كما اشار شتراوس فمن اين ياتي الاختلاف؟ هل من خلال الوحدة ام بغض الطرف عن التنوع؟، ينشأ الصراع والنزاع من الجزئيات الى الكلليات والعكس دائرة يكون فيها المشترك الانساني قد انحرف.

فعل الهجرة يعبر عن الحركة والتنقل والتكسب، فاتحا حدود الواحد على المتعدد والمختلف، نشهد بذلك طرفي القضية بين سلبية الحمولة المعطاة، واشكال انماط المؤسسة بشموليتها و تلك الاسهامات الفردية،لم تكن الثقافة هامشا في الهجرة بل كانت في صلب التلاحق والانتشار والتحويلات، كانت تعبر عن امكانية التغيير، عن فضاء الانشاءات والتكوين "Bildung" في حركة داخلية وخارجية قريبة وبعيدة.

في الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية علينا ندرك فحوى التجربة والخلفية الثقافية لمعرفة الثقافة نفسها، فالالمان يركزون في الثقافة على البيلدونغ والثقافة لا على الحضارة التي هي انعكاس لهذا الداخلي او الكمال النفسي(الروحي)، او كما عبر "هردر" على كل الماني ان يحقق منزلته الثقافية من التعليم والتطوير ثم يكون لذلك نقلة الى Kulture ثم Civilisations، ام التجربة الفرنسية ومواثيق حقوق الانسان المشكلة من الثورة الفرنسية الواعدة غلبت الحضارة(الرجل المتحضر) وهمشت الثقافة او حصرتها في هيكلية جماهيرية وطنية، والانجليز والامريكيين يرون الثقافة ممزوجة الحدود بين المادي واللامادي بين الشخصي والحضاري في زخم متنوع ودينامي وامبريقي اكثر.

ب:موريس غودلييه(MAURICE GODELIER) والتسيمياTisimia

التسيميا هي الصرح الكبير الذي يبنيه قوم البارويا وجيرانهم كل ثلاث سنوات لكي يمارسوا بعضا من طقوس التكريس متخفيين عن النساء والصغار والغير المؤهلين لذلك، هي تعاليم تكريس الذكورة، ان التسيميا مشابهة لاجسادهم وتعمل على الاسقاط المباشر، فالهيكل او الصرح قائم على الاوتاد في اشارة الى العظام، والسقف هو الجلد ومركز الصرح منتصب، في اشارة الى العلاقة التي ربط بها الانثروبولوجي الفرنسي غودلييه الصرح او التسيميا والمعاني

المستتبطة منها اي: الطقوس التكريسية والمؤهلين من الذكور دون غيرهم والجماعة التي يمكنها فعل هذه الطقوس السرية، توحى ايضا الى الية الجمع/النوع/الطقوس/فهي عمليات كونفورمية فردية وجماعية واجتماعية في الاخير تحدد الانتماء وشكل الثقافة والقصدية، والادوار الموكلة للذكور والنساء ايضا، الثقافة من منظور التسيما هي انتاج في استعارة انثربولوجية اقتصادية لدى غودلييه: " انه عندما يلتقى في هذه المنطقة افراد يتكلمون لغة واحدة يطرحون السؤال التالي:الى اي تسيما تنتمي؟، اي الى اي مجتمع تنتمي؟ وبعد ذلك يطرحون السؤال التالي:الى اي شجرة تنتمي؟ او من هم جماعتك؟ وهذا يعني الى اي قبيلة تنتمي؟"¹.

نلاحظ هذا في الثقافات التعريفية وفق طقوس ما، كما ان المترجم وفق في ترجمة الكتاب الى الجالية والمجتمع، والثقافة واستوعب رسالة العالم، لان الوافد او الجالية هم خارج التسيما ، خارج طقوس التكريس لا يمكن الاعتراف بادوارهم من دونها لذلك لم تكن مجرد طقوس او عبور بل تكريس، في اشارة الى تعزيز وضمان الانتاجية ولذلك اختير الذكر في اشارة الى التخصيب، فالثقافة والمجتمع تكون في حلقة تخصيب داخلي منتقي للقوة الرمزية الذكورية لمجتمع البارويا، وقد تكون بعض الثقافات المغلقة تجاه الجاليات تعبر عن هذه الصورة والشكل الاجتماعي:"الطقوس التكريس رهان يتجلى في حيثة ان القبائل التي تنحدر من "اليوبو" الاقدمين... تتقاسم وحدها الوظائف الطقوسية،...انها وحدها تحتفظ بالمواد المقدسة والمعارف الضرورية لممارسة هذه الطقوس،...ان طقوس التكريس سمحت لهذا الرمز بالوجود **ككل (Tout)** في نظرهم وفي نظر جيرانهم وهذه الطقوس وهي تنتج وتعيد كل مرة انتاج نظام طبقات العمر والتراتب بين الجنس والقبائل"².

تتشكل الجماعة والمجتمع ككل وفق اطر جماعية اكثر تتسم بالحماية الداخلية للمعرفة المكتسبة التي تكون مكرسة عبر طقوس معين لضم هذا الكل المختلف والمتنوع من التراكيب الاجتماعية، يلعب النوع البشري في اساسا والجنس كمحدد للمهام والادوار واعتبار الذكر صلب ومدار العمليات الاجتماعية والثقافية الاخرى، يمكن اعتبار هذه الطقوس وشكل التسيما ايضا حماية داخلية للجماعة من اي خيانة قبائلية ما كما ان قبيلة البارويا تعرضت للخيانة من قبائل جيرانهم ناهيك الى ان الطقوس السرية والحفاظ على المعرفة والشكل الاجتماعي جاء ايضا

¹ مورييس غودلييه، الجالية والمجتمع والثقافة، ثلاث مفاتيح من اجل فهم الهويات المتصارعة، ترجمة اياس حسن، دار الفرقد، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية، ط1، 2017، ص22.

² المرجع نفسه، ص 24.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

نتيجة حماية من سياسية غربية للدين كما صرح زعيم قبيلة البارويا لغودلييه: "الطقوس تفرض وتشرعن نظام السلطة، نظاما في صميم المجتمع يحفظ الحكومة للرجال واخيرا لقد اصبحنا ما نحن عليه عندما شيدينا التيسيميا الخاصة وكرسنا ابنائنا بانفسنا"¹.

الثقافة كمنتج "غولديه" هي فحوى النظرية والتصور المفهومي لها، تكون مقابل منتوجات اخرى تتسم العلاقة بهذا الشكل بالصراع، خاصة وانها تنطلق من الحماية الداخلية والخارجية عبر تلك الطقوس التكريسية، يمكن ايضا فهم الادوار الجنسية المقدسة حسب نظام توزيع السلطة القائم على مركزية الذكر، فإلى اي مدى يمكننا اعتماد هذا التصور الانثروبولوجي للثقافة في عملية الهجرة بالخصوص وفي الثقافة عموما؟.

الجالية لا تمثل الكل ولا تضمن طقوس التكريس، هذه الطقوس اللغوية والعمرية والجنسية والطبقية لا يكفي ان تكون مدرجة او مندمجة بل تحمل تلك الخصوصية الداخلية والخارجية، فمظاهر الاقصاء والاستبعاد او التمييز الجنسي او الاضدهاد الجنسي ما بين الثقافات وتباينه راجع الى الثقافة كتيسيميا، يشرح هذا جزءا من الثقافة و ليس كلها، فالتجارب تقدم ادلة الى ان التيسيميا وطقوس التكريس آخذة في التحول والتغير وتأخذ اشكالا مختلفة، لكن تحافظ على ذات المحتوى مثل القبيلة والنزعة القبلية. القومية والقومية الرمزية... في حين هناك ايضا تشكلا يوحى بالتواصل والعبور والتداخل، لا تشمل التيسيميا كل الثقافات بل هي جزء من منتج الثقافة يمكن ان نفسر بها بعض الحالات، كما ان الثقافة اليوم ليست بهذا الانغلاق والسرية بالرغم من تنوع طقوس التكريس والعبور.

ج: موقف كليفورد غيرتز تجاه الثقافة (الانثروبولوجيا الرمزية والتنوع)

ان الاختلافات الحاصلة الكبيرة والشاسعة بين البشر في المعتقدات والقيم والعادات والاعراف في الزمان والمكان، تتنامى وتعطي الطبيعة الحقيقة للانسان اي الجوانب الثابتة والعامية والشاملة فيه"²، نلاحظ من هذا الموقف ان غيرتز يميل الى الوحدة والطبيعة المشتركة بين بني البشر بالرغم من الاختلافات الحاصلة على مستوى الابنية الثقافية والانظمة الاجتماعية، تكاد تغلب عليه لغة الوحدة في المضمون، لكن ليس هذا موقف غيرتز عموما، بل هو يميل الى مراعات التنوع والاختلاف بصريح العبارة في هذا النص من ذات المؤلف: "ان فكرة الاجماع الانساني (Consensus Genitum) ان هناك اشياء يرى الناس بمجموعهم انها الصواب او

¹ موريس غودلييه، المرجع السابق، ص25.

² كليفورد غيرتز، تأويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت لبنان، ط1، 2009 ص134.

الحق أو العدل أو الجمال... إلا أن التطور الذي لحق بهذه الفكرة... وكان هذا التطور مع "كلارك ويسلر" في دراسته.. لما سماه النمط الثقافي الكوني الشامل واستمر مع برونسيلاف مالفينوفسكي "الانماط المؤسسة الشاملة وصولاً إلى "جورج بيتر مردوك" لما يسمى الجوامح المشتركة و بحسب كلايد كلوكهون الاجماع الانساني"¹.

انه امر ضروري ان نميز بين الوحدة والتنوع والتداخل الحاصل بينهما وفكرة الاجماع الانساني أو النمط الكوني، بحيث يبدوا لانصار التنوع والاختلاف انه قريب من الاختزالية والهيمنة الثقافية اكثر من كونه منفتح على الثقافات الاخرى، يوضح اكثر "غيرتز" موقفه من التنوع والاختلافات الثقافية الحاصلة، لانها مسألة حساسة جدا ان لم نقل انها جذر الدراسات الانثروبولوجية ومطلعها: "فكرة الكليات الانسانية هو انه لا يمكن تحقيقه فهناك مفارقة او تضارب منطقي بين القول بان الاشياء مثل: الدين والزواج والملكية هي كليات تجريبية امبريقية من جهة، وتقديمها على انها ذات محتوى محدد من جهة اخرى، فالقول بانها كليات تجريبية يعني ضمنا ان لها المحتوى ذاته والقول بان المحتوى ذاته يعني مناقضة الحقيقة التي لا يمكن انكارها بانها لا تمتلك المحتوى ذاته"².

يحاول اعطاء توازن منطقي وامبريقي لما تمليه المعطيات والتجارب الانسانية، هذه النقطة غامضة للبعض او متضاربة لكن هناك تمييز مهم يعنى بالوحدة والتنوع، بتعدد التجارب للمحتوى الواحد، بحيث يكون من التنوع قبول تسليمه الى انه شمولي الطابع للبشر والثقافة و المحتوى المحدد او النمط الثقافي ليس احاديا بل موحدًا من قبل تنوعات مستدمجة بداخله حسب التجربة وسياقاتها الثقافية، يعني هناك امكانية دوما للوحدة والتنوع كخصوصية ثقافية بشرية ان تكون شمولية، نحن نعلم ان المهاجر مثلا: هو موضوع ومحتوى واحد لكن مضامين التجارب تتعدد وتختلف وتتلون بالوان الثقافات يكون اذا من الوحدة تعزيز قيمة التنوع وليس الغائه.

يبدو ان "غيرتز" لا ينتصر للاجماع الانساني او يلغي الطبيعة البشرية الواحدة، بالعكس هو يؤمن ويحث على التنوع الثقافي المصاحب للثقافة في بنائها والاختلافات الموسعة للاجماع الانساني، معترفا بالطبيعة البشرية الموحدة والانماط والاليات الثقافية المختلفة، فهو يحتاج بعيدا عن الاحادية الثقافية وتنقضاتها الاستمية متجها الى النسبية وتنوعها.

¹ كليفورد غيرتز، المرجع السابق، ص 141.

² المرجع نفسه، ص 142.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

يدعو أيضا الى ضرورة رؤية التنوع والاختلاف الثقافي الحاصل بين بني البشر في حيز دقيق بين النسبية والكلية الثقافية مبررا ذلك دوما بمراجعة الروح التاويلية والنزعة الرمزية. ان الثقافة عموما لدى الانسان ليست مجرد انماط وسلوكيات قابلة للتجريب والتكرار عبر مورثات التقاليد والقيم والمعايير ومن خلال المجموعات الاجتماعية المتحكمة بالسلوك والروح الجماعية، انها : " تنتج -بذلك- اعادة صياغة لمفهوم الثقافة ولدورها في حياة الانسان تعريف جديد للانسان لا يركز على العادات التجريبية في سلوكه من مكان الى مكانومن زمان الى زمان بل يركز على الاليات التي تؤدي الى تقليص اتساع الطاقات الموروثة في الانسان ولا محدوديتها في الانجاز الفعلي..."¹.

يمكن اعتبار هذا المقنطف من النص واضح جدا ومرشد الى طريق ثلاثي الأبعاد عوض التضارب الثنائي، يرتكز على الانجاز الفعلي، للفعل الثقافي نفسه والاعتراف بالطبيعة البشرية التي تسعى الثقافات المختلفة الى توسيع وعاء التجربة المتنوعة، نحو تغليب الصنعة الثقافية على مورثاتها الاولى وخلق الابعاد دوما، يكون هناك مساحة ليس لتاويل الملاحظ عن قرب او بعد فحسب بل حتى التاويل الذي يسي الفاعل الى انجازه عبر ترميز افعاله الثقافية اكثر في الحياة.

هذا البعد التاويلي الرمزي للثقافة مهم جدا وبارز من خلال حياتنا اليومية، كالهجرة تماما التي تكون فيه التجربة دائرية التفاعل بين مورد الثقافة والتلاحق بالثقافات لتعيد الثقافة تشكيل نفسها عبر الافعال الثقافية المتناثرة والضامة لافراد والجماعات، لنسيج ثقافي يستدعي الخروج عن النمطية الثقافية والعناية بالاساليب والاداءات والانجازات والسلوكيات اكثر وبعيدا عن اية ميكانيكية مقترين أكثر من الديناميات المتنوعة، يقول غيرتز: " امتلاك القدرة على العمل كمنلقي ومرسل وعلى البدء بالتراكم المعرفي الذي نسميه ثقافة"².

تبدو الطريقة واضحة الآن تلك التي عمل بها " غيرتز" عن الثقافة وعلاقتها بالإنسان والحياة ككل من خلال قيمة التواصل وألياته وليس مجرد انماط، هذا الاتصال والالية هو الذي يراعي حجم الاختلاف المحجوب بالاجماع الانساني، الية الاتصال تعتبر جانبا اساسيا باعتبار الثقافة منتج تواصل، تكون الية التاويل هي القريبة من هذا الزخم المعرفي لمراعاة حيوية التجربة وليس

¹ كليفورد غيرتز، المرجع السابق ، ص151.

² المرجع نفسه ، ص 182.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الثبات والنمط الثقافي، نميل في رمزية الحياة الى الدلالة الثقافية ومعناها ومبناها وليس مجرد التوقف عند عتبة المعطى او الموروث.

ان المخرج الثقافي التواصلى للفعل الثقافي وابعاده المنجزة والغير منجزة لا يسمح فقط بفتح مهمة التاويل بل تكون الثقافة في حالة من التشكّل وليس مجرد مؤنس معرفي سابق او معطى سالب للاتباع والتقليد، اليات تراعي في مجموعها الكلية البشرية المتنوعة.: "ان علماء الانثروبولوجيا قد صوروا البشر في بعض الاحيان كالمسك فيسبحون في ثقافتهم الا ان للبشر امكانية تغيير ثقافتهم، نحن نقدم هذه الاستعارات الثقافية لفهم اسلوبية الانسان الثقافية وهذه شواهد تميزه بها في ذات الوقت تعرفنا على سبيل تغيير هذه الاستعارات"¹.

يطرح كلا من " بريان ووليامز" (BRIAN M HOWELL - JENELLE WILLIAMS) أسلوبا ثقافيا مرنا في فهم الثقافة، دون الوقوع في شرك الثنائية بين الطبيعة البشرية والثقافة او البدائي والمتحضر، بين الانا والآخر يرى كلاهما أن واقع الثقافة اكثر استعارة وشارة ورسالة مستدمجة من خلال عمليات التفاعل بين بني البشر، انها عدسة تغير من ادراكاتنا الثقافية الموروثة.: "الثقافة مثل النظارة تؤثر على الكيفية التي يرى الناس بها بالعالم، كانت هذه الفكرة المفضلة لدى علماء الارساليات...ويريدون ان يؤكد وان الثقافات ليست مختلفة فقط عن بعضها البعض بل الافتراضات الثقافية تؤثر بعمق على الكيفية التي ندرك بها العالم"².

ان النظرة التي نرى بها العالم تملك امكانية التغيير والتبديل وهذه الامكانية هي التي توسع دوائر الاتصال والتفاعل المرن بين الافراد والمجموعات الاجتماعية رغم الاختلافات الحاصلة كما يكون رد عكسي على الثقافات في توسيع زوايا وابعاد متعددة للتباينات رغم المقاييس التراتبية ذات التعيين الفردي او الطبقي او الحقلي، فمن خلال عملية الهجرة والتجريبية الثقافية لذلك تتوسع مرايا النظر وتكشف سبل كل فرد وجماعة ومجتمع، تصبح الذات ملاحظة رغم سوء التفاهم او غياب افق التحاور والاعتراف بسبب الضبابية الثقافية المنمطة والمكتسبة قبلا لكن ليس على مستوى الكلي، فكل فعل ثقافي يعبر عن الثابت والمتحول عن المنتشر والساكن

¹ بريان، م، وجينيل وليامز، مدخل الى الانثروبولوجيا الثقافية من منظور مسيحي، ترجمة ادوارد وديع، و عبد المسيح، مكتبة دار الكلمة، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، مصر، ط1، 2015، ص ص63، 64.

² المرجع نفسه، ص64.

فكما النظارة تتغير لأنها لا تصلح للمدى القصير والبعيد من حين لآخر كذلك حال الفاعلين وما ينجزونه بمواردهم الثقافية في عوالمهم الاجتماعية.

المهاجر هو مفتاح هذا التمثل و الاستعارة الثقافية المرنة مرونة الحياة اليومية، وبأسلوبه العابر والمتنقل نقرب فيه الى سردية ثقافية تركز على السياقات الثقافية اكثر من الثقافة منفردة.

د: غيرتز، شنايدر، سالينز، ساير في جدل الثقافة.

ان التجربة الثقافية الامريكية متقدمة وناضجة من حيث التنوع وتطوير اي منتج ثقافي او انثروبولوجي معرفي، هناك خصوصية ثقافية وشمولية فريدة بذلك، كما ان فهم التجربة الانثروبولوجية الامريكية يغنينا بمعالجة الظواهر الثقافية والاجتماعية المعاصرة اكثر.

ان الثقافة موضع المعالجة الانثروبولوجية والاثنوغرافية، فكما قدم "ديفيد شنايدر" مقارنته من خلال دراسة القرابة، قدم غيرتز مقارنته في اتجاه رمزي وايضا مارشال سالينز (Marschall saliss) باتجاه نيو-تقدمي في "مجتمع الياب" وكان يخفف من وطأة الاثنوغرافيا التي اتجهت اكثر قوة مع جيمس كليفود وجورج ماركيز (كتابة الثقافة -سبق وان ذكرناه- و الانثروبولوجيا كنفذ ثقافي (Anthropology as cultural critique 1986)، ورياناتو روزالدو (Renato Rosaldo) بالاتجاه الكتابة الثقافية خاصة بعد الاثر الذي خلف كتاب: الثقافة والحقيقة Culture and the truth 1989 باحثا عن امانة التجربة الامبريقية ورافضا لاي سلطة معرفية مسبقة ويثير اهمية الهجنة والتنوع الثقافي، "... مفهوم involution استعارة غولد ينفيزر المؤيد لبواس وكاملة على "الارتداد: اشار جيرتز الى تطوير بعض اساليبه... لكنها توصف بالتعقيد التقدمي والتنوع في اطار التجانس والبراعة الفائقة في اطار الرتبة... وقد عرف جيرتز نفسه للارتداد على انه انماط ثقافية تفشل بعد وصولها على ما يبدو انه الشكل النهائي في الاستقرار على حالها او تحويل نفسها الى نمط جديد"¹.

يشير "غيرتز" الى اهمية بالغة في التنوع الثقافي وحراكه على انه يجب الانتباه الى الثراء الخارجي والفقر في المحتوى الثقافي المتضمن للشكل النهائي للاجتماعي ان قيمة التنوع بلوغ هذا المستوى والا ستكون حركات وموجات ارتدادية ضعيفة، لا تجد حيزها الدينامي للتكاثر او ارضية مستقرة لذلك، قيمة مهمة للتشكيل الثقافي المتنوع.

لا نخفي ايضا ان غيرتز اتفق مع فيبر في الحيوان الرمزي وشبكات المدلولات تلك التي تستهويه، لذلك المخرج الرمزي والتأويلي والتفسيري مبني على فهم هذه الالغاز التعبيرية

¹ ادم كوبر، المرجع السابق، ص 101.

الاجتماعية، وهذا ما ذهبت اليه سوزان لانغر (SUSANE) و كينث بورك (KENETH BURKE) وبول ريكور (POUL RICOUR).

جاءت ايضا اعمال ديفيد شنايدر (DAVID SCHNEIDER) من خلال تركيزه على اعمال القرابة kinship، ويرى الناقدون انه تارة يكون قريبا من الوحدة الثقافية الخالصة وتارة قريب من غيرتر حول الفهم وتارة اخرى قريب من "تالوكت بارسونز" النظام الاجتماعي، وتكون الثقافة قريبة من الاجتماعي بعيدة عن الثقافي، يلاحظ عليه ايضا التزامه باستاذة جورج بيتر مردوك، في دراسته لمجتمع الياپ (YAP): "هل نهدف الى فهم وتحليل الثقافة؟ لو ان ثقافة مجتمع الياپ تتالف من افكارهم وصيغهم واهتماماتهم ومفهومهم عن جماعتهم وكيف يسمونها؟، اذ علينا ان نتمسك بهذا الهدف، بالتأكيد هذا هدفي وهو الهدف الوحيد اعتبره مشروعاً في الانثروبولوجيا"¹، لو نلاحظ هنا سنجد قربه من غيرتر في الفهم والتاويل، وتكون الثقافة منفتحة على جميع التاويلات، والسماح والاعتراف بكل الثقافات مهما اختلفت، الفهم هو سبيل المشروع الانثروبولوجي الذي رسمه لنفسه.

يصنف "سالينز" في خانة التطوريون الجدد Neo-evolution حيث حاولوا تخطي تاثير بواز - الانثروبولوجية الامريكية، فمن خلال دراسة اثوغرافية قدمها على مجتمع " فيجي" اشار الى ان ثقافة المولا Mola ليست سوى تنظيم متكيف وكانت ثقافتها وسيلة للتعايش وعملية بيئية، هنا تكون الثقافة مفتوحة اكثر وشكلا من عمليات متداخلة ومتضافرة توحى باهمية التنوع والتكيف والانتظام وليس النظام البيوي والاجتماعي كما اتجه اليه الاجتماعيون مع بارسونز، يشير "سالينز" الى تطعيم التاريخ بالخبرة الانثروبولوجية (الخبرة والتجربة)، فهو يعتقد انه حرر التاريخ والنظرية الاجتماعية من الثنائيات الطاحنة بين الفعل والبنية، كم لا يمكن ايضا تخطي الانثروبولوجية الامريكية الكلاسيكية والمحدثة والرمزية دون الاشارة الى الثقافة واللغة فيما ذهب "سابير" في نقده للنظريات الاثنولوجية النشوئية الارتقائية والانتشارية وحتى الوظيفية: "بقيامه بمقابلة الثقافات الاصلية مع الثقافات الملونة اثبت ان ثقافة قبيلة هندية صغيرة قد تكون من وجهة نظر الاصاله اسمى بكثير من ثقافة مجتمع يعتبر متطوراً يعمل على نسيان الروابط بين اللاوعي والشخصية واللغة والثقافة، اي هذه العناصر التي يعبرها "منظومة شكلانية مترامية" لا

¹ ادم كوبر، المرجع السابق، ص 169.

تفرض فئاتها المفهومية على الافراد دون وعي منهم، هكذا ارسى سايبير دعائم علم عام للسلوك...¹

يعتبر "سابيير" العلاقة بين الثقافة واللغة اكثر من كونها منطوق دون مدلول، بل ان التفاعلات السلوكية هي الاشارة القوية والداعمة للثقافة، ويكون السلوك وحدة التحليل في متابعة الاليات والاساليب، ان باب السلوك هو باب له مفاتيح عديدة من اللغة والشخصية وطبيعة الروابط اللاواعية والواعية هذه الخطاطة المرنة قريبة جدا من التشكلات الثقافية تحافظ على اهمية الوحدة والتنوع وتبتعد عن اي نظرة تاريخية احادية للثقافة وتقترب من الثقافات بالجمع.

ه:ج. كليفود، ج. ماركيز، مايكل فيشر وريئاتو روزالدو - الانثروبولوجيا النقدية وتمثيل الواقع الجديد

من خلال هذا الثلاثي سنقترب من الانثروبولوجيا المعاصرة واهمية المستجدات حول قضية الثقافة كما سنلاحظ النقد الموجه للانثروبولوجيا التاولية، ففي عام 1986م بجامعة هارفرد الف كتاب " الكتابة الثقافية " من قبل 11 مؤلفا وانشأت دورية حملت اسم الانثروبولوجيا الثقافية كان رئيس التحرير "جورج ماركيز" والاب الروحي لهذا المشروع "غيرتز"، الا انهم كانوا يعتقدون باهمية مرحلة جديدة قد بدأت تعنى بجوهر الاثنوغرافيا، والحث على ان الثقافات لم تعد معزولة عن ثقافتنا بقوله: " لم يعد السكان الاصليين ساكنين امام كاميرا الاثنوغرافي فهم منشغلون بمشاريعهم الثقافية التوفيقية تعد الثقافة اليوم سوقا عالمي حيث يبحث الناس عن الشئ الذي بواسطته يبتكرون هويات جديدة". اعلن زميله كليفورد جيمس ان الثقافة جدلية وقتية منبتقة².

يبدو في هذه المرحلة عنيت الاثنوغرافيا بمسالة الثقافة كونها ضمن نطاق الدراسات الثقافية النقدية فعلا، والاخذ بعين الاعتبار التداخل الثقافي والامتزاج الحاصل وقصر المسافات فيما بينها، وتحرك الثقافات المهمشة او التابعة لسرديات الاثنوغرافيا، والالتفاف الى دراسة نفسها بنفسها، وهذا ما دعاه التوليف في اشارة الى علاقة المحلي بعيون واقلام ومناهج ودراسات اثنوغرافية وانثروبولوجية"للمستعمر"، كما ان التوجه المعاصر ياخذ بالحسبان جموع الهويات والروح الابتكارية لها، اكثر من كونها التزام او امتداد احادي الشكل والمضمون، لذلك دعيت بكتابة الثقافة، هذا الاثر الذي سنشهد له توسعا في الدراسات الثقافية "التابع" سبيفاك و موقع الثقافة لهومي بابا، والتاثيرات المتبادلة والممزوجة بروح الوقتية والراهنية اكثر، اي تاخذ بالحسبان الحاضر لهذه الاستعارة" سوق عالمي".

¹ بيار بونت ميشال ايزار، المرجع السابق، ص539.

² ادم كوبر، المرجع السابق، ص227.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

أرى ظاهرة الهجرة اليوم إحدى محاورها الأساسية الاشتغال الثقافي أكثر من الهوية والاندماج، أنها كيفيات ثقافية لجموع ثقافات، تجادل للتموقع وتكتب عبر تجربتها ثقافتها المنشئة، ولا تريد أن تكون مجرد تابع.

فالنقد الثقافي أو الدراسات الثقافية ستكون محور انشغال الأنثروبولوجيا والاثنوغرافيا. وتحليل الثقافات على الدوام في حراك كوني ممزوج ببعض القوى المحلية بعيدا عن أي مركزية أو محور أحادي تتشكل حوله الثقافة.

إن هذا الخط أيضا أشار إليه "ريناتو" متمردا على أي نزعة أو سلطة علمية داعما كل تجارب فنية وأشار إلى أن بعالم هجين حدوده وهمية، فلم يعد مفهوم الثقافة للقرن العشرين يجدي نفعاً أمام كثرة الاستعارات والعاير الوطني، إن مؤلفه الثقافة والحقيقة توجه نحو منهج يعتمد الخبرة الذاتية أكثر حتى للباحثين المهتمين بالثقافة وكتابتها واعتبار هذه الأخيرة أكثر تنوعاً، ومبرزا أهمية أن تولي العلوم الاجتماعية أهمية للخبرة الذاتية مبتعدة عن صراع الموضوعية والحيادية وعدم التحيز المنهجي¹.

إن "ريناتو" يتفق مع "جيمس كليفورد" و"ماركيوز" في الحقيقة النقدية للثقافة كمهمة بحثية وواقع ينبغي العمل فيه والحث ليس على اقناع دوائر الهيمنة بالتنازل، بل بالأخذ بمهمة النقد الاجتماعي أكثر، كما إننا "مايكل فيشر" و"ماركيوز" قدموا نقداً للأنثروبولوجيا الرمزية، على أنها ثوب جديد للنسبية الثقافية، الذي لم يعد يتجاوب مع قضية الثقافات اليوم، لذلك يدعمان الأنثروبولوجيا كنقد ثقافي من خلال مؤلفهما².

و: الثقافة: "البيلدونغ، السبولت / الشبولت / السمبلون / السنبلة"

من خلال الممارسات اليومية والابعد الثقافية والمسافات الاجتماعية داخل الحيز الاجتماعي ندرك أهمية التقرب من الثقافة كبعد تكويني "البيلدونغ"، فقد نحت هذا المصطلح بالأحرف الألمانية وكان فعلاً بعداً ينم عن التكوين الداخلي والتعليمي والتربوي للفرد والجماعات ولذلك كانت ألمانيا شعباً أكثر من كونها منزعاً حضارياً أممياً، أمة تركز على الثقافة والبيلدونغ وما الحضارة إلا انعكاس المادي للروحي³.

1. Cf. RENATO ROSALDO, Culture & truth : the remaking of social analysis : with a new introduction. Boston : Beacon Press, ©1993.

2 Cf. GEORGE E. MARCUS AND MICHAEL M. J. FISCHER, Anthropology as Cultural Critique: An Experimental Moment in the Human Sciences 2d edition Chicago .The University of Chicago Press, 2004 .

3 * تأخذ كلمة روح غير النفس والمعنى الصوفي، معنى يخص التكوين الداخلي، هناك خصوصية للفظه الروح بالألمانية.

من الضروري جدا التقرب من الخصوصية الثقافية لهذه الامة تاريخيا وحاضرا لمعرفة تلونات مواقف الهجرة، المانيا العرق السامي اوتلك التي تغلغت في الانا الجمعي الالمانى اثناء الحرب العالمية الاولى والثانية (Deutschland über alles)"المانيا فوق الجميع"، هذه الانا الجمعية ليست مجرد ذاكرة جمعية بل اكثر من ذلك عمليات نفسية وجسمية وتاريخية كونت الفرد الالمانى وعقليته، سمحت بإكراه الاخر الذي هو الغير الالمانى عرقا وشعبا، فالروح القومية الالمانية ورمزيتها مبنوثة الى اليوم في المناخ الاجتماعى والثقافى، ليس فقط للالمان حتى بالنسبة للمهاجرين المرتكزين على بنية اسطورية تغذي ثقافة الهجرة: الاتقان، الجودة، التنظيم، الصرامة، السرية، القوة، المعجزة الالمانية، الماكينة الالمانية... من بين القيم والمعايير التي تحفر في ذهن المهاجر جذبا قويا الى اليوم.

ما اريد توضيحه هنا سواء بالنسبة للعرق او الشعب او السمات المغذية لهذا كله هو الاقتراب من البعد الرمزي لهذا التفوق الفردي والاممي عبر جذر "البيلدونغ" او التكوين الذاتى الداخلى المشكّل للثقافة الالمانية Kulture فنحن نقرب من العقلية والمسافات العلائقية الاربع في التواصل مع الالمان، هذه المسافات لا يمكن ادراكها علائقيا ومدى ارتباطها او حساسيتها دون فهم ما البيلدونغ؟ وما الثقافة؟ وما الحضارة؟ وما الايديولوجية القومية؟.

"... ان الثقافة Kulture تعكس الوعي الذاتى للامة مثل المانيا دائمة البحث عن حدودها واعادة ترسيمها بالمعنى السياسى والروحى...تطور المفهوم الالمانى من خلال الجدل مع مفهوم الحضارة الكونية الذي ارتبط بفرنسا فما نظر اليه الفرنسيين على انه حضارة اممية اعتبره الالمانى مصدر للخطر على الثقافات المحلية المميزة"¹.

ان الاسلوب والمنهج المعرفى لدى "مانهايم" يتعمق اكثر في الخلفية الاجتماعية والمعرفية للانسان عموما وكان هذا معينا على التقرب من الجذور الثقافية والاجتماعية ومصادر المعرفة للفرد الالمانى وهذا نفسه منزع واضح لدى "الياس" في الاسباب النفسية والتاريخية والاجتماعية التي وجهنا اليه في بحوثه الاجتماعية والانثروبولوجية وتكاد تكون محور عمله.

ان الوعي الذاتى مسألة مهمة في تحديد مصادر الشخصية والعقلية الالمانية ليس هذا وحسب بل توضيح الخلفية الايديولوجية والقومية، فكل سلوك فردي او اجتماعى تجاه المهاجرين مثلا راجع الى هذا التكوين الذي نهمله في تحليلاتنا، هذه الثقافة المرتكزة على الوعي الذاتى واحترام

¹ ادم كوبر، المرجع السابق ص، 45.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الخصوصية والاختلاف بعين الاعتبار البعد النسبي للثقافة والتقليل من الهيمنة الحضارية في مقابل الاعتراف بالمحلي، لنلاحظ كيف ان الخطوط توضح تجربة مغايرة في مسألة الهجرة وإن كان المحتوى من التعصب والتطرف والاقصاء والاستبعاد في مصائر الهجرة واحدا الا انه ينضوي على سلوكيات ورمزيات مختلفة كتلك التي تعلق بالعرق والعنصر والامة والرمزية القومية البارزة في التجربة الالمانية ومن خاضوا تجارب الهجرة فيها.

في مقابل معرفة التكوين الالمانى علينا ان نعرف ايضا مقتضيات التكوين العربي والبربري، فالتكوين والتعليم هو البعد المنسي من تاريخ فهم الثقافة ومسارات الهجرة والذي اعاد العناية بها بحثا وتبويبا الباحث الجزائري "محمد شوقي الزين"، فالخصوصية الثقافية مساحة ينبغي ادراكها لان: "الثقافة في اللسان العربي لا تتفك عن الحرب الثقاف في تسوية الرماح، الثقافة المبارزة، ثقف الخصم ضفر به، لكن ساوسع دلالة الحرب التي كانت فاعلة في الثقافة العربية الى دلالة الصراع التي هي اشمل من حيث القيمة التاريخية والكونية حيث لا تشمل على القيم السلبية في الدمار وانما القيم الايجابية بالمعنى الجدلي".¹

السلوكيات المنتهجة من خلال بعض المهاجرين في اعادة تسمية ابنائهم اسما عربيا او اسلامية تنتمي الى حقبة اسلامية او محاولة بعض المهاجرين الى الدعوة الاسلامية بالمهجر بشتى الطرق وفرض الاسلام على الالمانيات او الاوروبيات لاجل علاقة زواج(المبحوث10،09)، مثلا ليس بالامر الهين الذي يخفي البعد الصراعى والجدلي والتكويني المختلف بين الثقافتين ثقافة منزعها قومي عرقي والاخرى منزعها ديني شخصي في الاخير، هذه الصورة مرسومة لدى الجالية المسلمة بأوروبا والمانيا، اذ يكون الدين الاسلامي تأشيرة لضمان الكثير من المساحات المسيطر عليها في العلاقة الحميمة والشخصية والاجتماعية والعامية، بدءا بالجسد الانثوي وتدبيراته انتهاء الى كافة اشكال العلاقات، لذلك يكون التدين الاسلامي خيارات استراتيجية واداء تكتيكية اكثر منه التزام به يوضح حجم الفجوة الثقافية لدى هؤلاء المهاجرين في تفاعلهم مع الغير: "انا كي نتزوجها ندخلها للاسلام"² راجل ماهوش مسلم نتزوج بيه منقبلهاش نحاول ندخله للاسلام باه نكون مهنيا"³، اذا كانت القومية والعرقية ديانة

¹ محمد شوقي الزين، نقد العقل الثقافى، ج1، منشورات مدارج، تلمسان، الجزائر، ط1، 2015، ص15.

² المبحوث رقم: 05: بورشة الخياطة تيارت، مهاجر عائد من المانيا بعد تجربة ترحيل عازم على العودة يوم 03/03/2018 على 11:10 صباحا

³ المبحوث، سامية، أ عبر وسائط التواصل الاجتماعى، مقبمة بالمانيا، يوم 08/17/2019 على 08/20 مساء.

الالمان، فإن التدين الاسلامي ونشره وفرضه على الرجل الاجنبي او المرأة الاجنبية، فهو ايضا وجه من العقيدة الثقافية المتصارح/المتفاوض عليها في فضاء الهجرة.

السياق الثقافي الاسلامي عرف الثقافة من شكل الحرب حتى الاسماء التي كان يسمى بها ابنائهم مثل " رعد" غدنفر "عقواء" همام "مقدام" وغيرها كانت تترسم وتحفر في ذهنه بالشجاعة وفي ذهن العدو بالرهبة ، هناك ثلاث محاور كبرى للثقافة ينبغي ترسيمها وهي: " العمل بالأداة: هو مربوط بالمنطق الصناعي الذي وجد بالمفهوم العربي ابتكار الذات: يخص التشكيل والتكوين... في التاريخ "الباديا" padia عند الاغريق القدامى والتهديب في لغة العرب... واخيرا البيلدونغ Bildung عند الالمان وهو مصطلح ثقافي زاخر يتعلق بطريقة تشكيل الذات.... التواصل مع العالم: فاعني تشكيل تصور او رؤية حول الوجود (Wetam schauung) رؤية العالم وله مقابل في الفرنسية "ايديولوجيا...".¹

ما بين التهديب والصناعة العربية في الثقافة وما بين الفعل والابتكار والاختراع في الحياة اليومية للانسان Homo fabre، وما بين تشكل الرؤيا للعالم كانت العلاقة مبنية بروح فينمويولوجية لدى الباحث متخذا في ذلك البنيان الثقافي ككل، ونستفيد من هذا حجم الجدل والصراع في الساحة الاجتماعية والاليات السلوكية لذلك. فكيف ستكون علاقة الثقاف مع الابتكار والفعل اليومي "البيلدونغ"؟: " بالتدرج انتقلت البيلدونغ من التصوير الطبيعي الى التشكيل الثقافي لتصبح السيرورة التي يسلكها الفرد او المجتمع في تكوين تصور معين حول العالم وتكوين بعض القيم المحلية التي يتداولها في معيشه وفي علاقته بذاته... مقولة البيلدونغ هي الجامعة بين الطبيعة والثقافة لانها تبين الطريقة التي يتكون بها الكائن الحي فيزيولوجيا وسيكولوجيا ولا ينتهي التكوين بمجرد الحصول على الصورة الجسمية الكاملة بل هناك التشكيل المستمر...".²

هذا التشكيل المستمر المتداخل بين الذات والعالم عبر الاركان ومكونات الوعي والعلاقة البارزة مع ذاته و الاخر، ان الجسد الانساني ليس صورة نهائية مكتملة، انه يحتاج الى التصور والتغير ليحدد كيانه بهذا العالم، فالجسد يحتاج الى العناية والتدبير بغية التجدد ومتابعة التحولات من حوله، يستدعي كما من الاستيعاب والتدبير وكيفيات متواترة من التواصل بهذا العالم، هذا العالم الذي تكون فيه قيمة التجسيدات هائلة او الصور والاشكال، لان مفهوم

¹ محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص، ص39، 40.

² المرجع نفسه، ص.ص368، 367.

البيلدونغ هنا يعالج هذه العلاقة من زاوية العالم الواقعي للاشكال (الاجتماعية) والشكل Bild وعملية التشكيل Bildung الذي يدل على السيرورة الطويلة المشكلة للانماط الثقافية ومجريات السلوك فيه.

العلاقة مهمة بين الشكل والتشكيل في جسد الانسان المهاجر وادواره واعني به كل تلك الحملات المجسدة في التكوينات الفردية والجماعية والثقافية للجسد في بيئة ما والانتقال بها الى قيمة اخرى حاملا معه كل هذا الكل الثقافي والاجتماعي الى منظور جديد يبغى منه اعادة تشكيله وتصويره في جو عائم يبرز فيه الاختلاف كاهمية قصوى.

الجسد اداة للتواصل مع العالم في رحلة العبور والهجرة ظاهرة مراكمة من خلال هذه الاجساد لنذكر ان هذه الذات في تواصل مع الاخر فيما تحمله الاجساد وتتمثله وما تمثله الاشكال الاجتماعية من خلال ذلك وفتح امكانية اعادة التشكيل.

الجسد يلعب دور الوسيط بين الفرد والمجتمع بين الحاضر والمستقبل في هذا العالم الواقعي والمحسوس، كما انه وجه ادراك ما يجول فيه من مضامين تريد الظهور جلية عبر اساليب وطرائق مختلفة، هذا العلاقة التي يكون فيها الصراع غير سلبي بل ينحو نحو التجريب والتعرف والتكتيك في علاقة دياكتية.

الانسان المهاجر بجسده ومن خلال ذاته وتواصله بالعوامل المختلفة يوضح اهمية بالغة ان الاندماج مثلا ليس مجرد تطبيع الي للجسد دون مراعاة التكوين الثقافي الذي سيكون ممتدا وطويلا عبر السلوكات اليومية والتمثلات عن الذات والآخر وعبر مسافات قريبة وبعيدة، فالجسد المهاجر اضرب به مثلا انه ظاهر كتجلي لنسقين ثقافي او اكثر شديد الاختلاف وهنا يكون الاشتغال الانثربولوجي عن التكوين والامكانيات المفتوحة، و حول الاشكال والتشكلات.

تشمل الثقافة عموما في البيلدونغ الالمانى تكوينا فرديا وجماعيا وترسيما لمعارفها كقيمة ومعيار يحدد السلوكات ويجمعها في وعاء ثقافي حضاري معين كعملية متداخلة بين الفكري والروحي والسلوكي والمادي، وهذا له خصوصية عكس الثقافة في مجمل الامتدا العربي الاسلامي، فانها تتحو نحو التبرية والثقاف. الذي اعرج عليه لتوضيح الاشكال الاجتماعية والمضامين الثقافية المكونة تكوينا مختلفا.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

في البنية الألسنية العربية والاسلامية نجد موردا في استعمال صنعة الحرب والظفر بالعدو"واقتلوهم حيث تفقتموهم"¹: والعلامة في ذلك ان الموقف يتطلب النباهة والحداقة اي العمل باستراتيجيات هجومية وتكتيكات دفاعية وهي ليست حرية بالمعنى الحصري بل كفاعلية بالمعنى العام اذا لجأ. الى المقولة الاغريقية بوليموس polemos وتعني الصراع"².

في عمل ابن خلدون ايضا كانت الثقافة حاضرة لكن يبدو ان التداول غلب على النحت دون المصطلح وادراجه في التصورات المفهومية، يشير زكي الميلاد³ إلى ضرورة التفريق بين الثاء المفتوحة للثقافة والمكسورة، بين النباهة و القيم التعليمية والمكتسبة،: "لا ريب ان كلمة الثقاف غريبة عن الاستعمال النظري في ثقافتنا العربية المعاصرة لانها وبكل بساطة رهينة الاستعمال الشعبي في السياق الاثنولوجي... لكن الارضية التي نحت فيها السياق الذي نحن منخرطون فيه، اللوحة الخفية والخفية التي تدير تصوراتنا للوجود وسلوكياتنا عموما"⁴.

يقصد بالاستعمال الاثنولوجي السحر والشعوذة" الثقاف" وهذا حال دون فهم التدريب والتكوين والتعلم الذي يبرز من كليات عمليات الثقاف، ان ادراج الثقافة والثقاف هو عملية ابدال للبحث عن الهوية، لان للثقافة علاقة بالذات ثم العالم والرابط بينهما ادوات التشكيل للفعل كما سبق واشرنا، يريد الباحث الخروج من سجن الهوية المشبعة بالروح الانوية والنرجسية والتي حالت دون الابتكار والتقدم عموما، فمصطلح الثقاف والتبرية والتربية، والتهديب، والبيلدونغ والثقافة ككل هو منزع مرن نراعي من خلاله ابعاد التنوع والاختلاف فيما بعد.

"بينما الثقافة هي فتح وانفتاح، فتح للامكانات وطموحات وانفتاح الذات على الغير، فحيثما كان هناك الفتح والانفتاح كانت الثقافة والتي اعتمها بالثقاف، الثقاف بالنسبة للثقافة ليس كنسبة ذكر الى مؤنث ولكن كنسبة مفتاح الى فعل الفتح فهو الاداة التي بها الانفتاح على شئ ما بالمعنى الفينومينولوجي الذي طرحته موريس مورلوبونتي مع مقولة التفتح"⁵.

ز: الثقافة وصل الفصل وفصل الوصل (السيبولت/الشيبولت/السنبلت/)

ان هذه المسميات والدلالات الثقافية تعبر عن فحوى الانفتاح والتنوع وجسور الترابط العلائقي ومعوقات السير فيه، لقد اشار الباحث"شوقي" بهذا المثال الذي سنذكره ونستفيض فيه ومبدا

¹ سورة البقرة، 191، القرآن الكريم.

² محمد شوقي الزين، المرجع السابق، ص 61.

³ انظر، زكي الميلاد، المسألة الثقافية، من أجل بناء نظرية في الثقافة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

⁴ محمد شوقي الزين: الثقاف في الازمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2015، ص 75.

⁵ المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

وغاية مهما للانسان والثقافة في علاقته بالذات والغير، وفي علاقته بالمكان والعبور الى مكان آخر مثل: فعل الهجرة وما يقره من وصل وفصل لامكانيات مفتوحة: " فالعبور يقتضي التعبير يتطلب العبور من ضفة الى اخرى للانتقال من وضعية الى اخرى تبني لغة او تتخذ هذه اللغة موطنًا، لا ننفي ان احدى اشتقاقات كلمة الثقافة هي الاقامة وبالتالي فان الاقامة في اللغة هي السكن في الثقافة"¹.

الانسان يسكن الثقافة وتسكنه كاللغة تماما، وهو في رحلة العبور والانتقال يبغى توسيع دوائر التفتح والاشتقاق، يكون العبور اللغوي والجسدي والاقامي في حالة الهجرة مثلا على هذا والاشراطات الملزمة لنجاح الانتقال والعبور.

ان التعرّيج على هذه المصطلحات ليس بالامر الهين يتطلب دراية وعناية خاصة وقت الادراج الامبريقي لما تتوفر عليه من سعة استقطاب للظواهر الثقافية او التعبير عنها خاصة لما نشهده من تداخل وعبور وبنية للثقافة والثقاف، ليست الهجرة الانسانية الا تعبير عن هذا التمازج والتفاعل الثقافي واني ارى ان جانبا مهما من منحوتات المصطلحات للباحث "محمد شوقي" وهو يشير الى البعد الظاهري للثقافة يستدعي فيه خزانات الذات وادواتها الابتكارية على مسرح العالم والوعي به.

كما سنرى ان الجذور اللغوية والثقافية، للوصل والفصل، والسبلوت الشبولت او نحو السنبله، معنى عميق عن العلاقة بالذات والآخر في تصوير وصل الفصل "الكاسيم" او (السمبلون) وفصل الوصل (الشبولت)، يردف اليه وحدة الانسان ومركزه الذي تكونه الثقافة فيه، ادراكا لهذا المركز لا باعتباره الانسان هو المركز وهنا فرق كبير طبعا بينهما، وبالتالي انعطاف وانشاء للذات على اجزائها المتفتحة مثل حبة السنبله تماما" كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبله مئة حبة"²، حبة سنبله سبع سنابل مئة حبة والضعف من ذات السماء والارض والماء الواحد والذي يخرج متعددًا متنوع: " وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد³ "، " أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَأَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيْضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُمْ أَسْوَدٌ⁴ " ، " أَلَا تَرَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أُحْوَ مِنْ تَلَاتٍ شَدَى لَكُمْ الْأَرْضَ مَهًا وَسَلَاكُمْ فِيهَا أَسْبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أُحْوَ مِنْ تَلَاتٍ شَدَى

¹ محمد شوقي الزين، الثقافة في الأزمنة العجاف، المرجع السابق، ص74.

² سورة البقرة، الآية 260

³ سورة الرعد، الآية 04

⁴ سورة فاطر، الآية 27.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

"¹،الإنسان، الثقافة، البشر، الثقافات هذا التداخل يستدعي يقظة تاويلية وفهما للعبة الواحد والمتعدد، النوع والتنوع، الجمع والتشتت. واستكشافات فينومينولوجية مفتوح برحلة العبور، يستعمل "شوقي" ثلاث مسوغات في ادراجه للسنبلة/السملون يشير الى الثقاف والثقافة والتفتح: **"المسوغ الأول:** استقيه من اللغة الاغريقية واقوم بتمائل بين السنبلة والسملون Sumbolon ومعناه الرمز...تحتوي الكلمة الاغريقية على منطوقين sum وتفيد المعية والاشترك والفعل bolleim ومعناه الرمية او الالقاء...اقول السنبلة هي كالرمز تشمل حبوب يمكنها ان تكون بذورا لدورة نباتية جديدة فهي تحمل الموجود بالفعل"الظاهر الجلي" المختزن على الموجود بالقوة " الباطن الخفي"²

ان المسوغ الاول للدلالة الى الثقافة تفيد منطلق الواحد للبذرة الذي يكون مخزون الكل فيها وهي واحدة، فانه عبر عملية التبرعم يتجلى التعدد، في هذه الاستعارة النباتية يكاد يكون مجال الثقافة مشابها بلا تعسر للمطابقة بين المجالين، اذ يردف في **"المسوغ الثاني"** الشبولت"Shibboleth وهذه الاضافة من اللغة العبرية يحاول تقديمها من خلال مقترح جاك دريدا (JACQUES DERRIDA) استعملت خلال الحرب على معبر حدود حول نطق الاسم للعبور: " انهزم الافراميون امام جيش الجلعاديون ولتقادي ان يفر الجنود الافراميون بعبور النهر، طلب من كل واحد منهم ان يقول "شبولت" غير ان الافراميون كانوا معروفين بعجزهم عن النطق بالحرف"شين" من "شبولت" يقولون "سبولت" وفي هذه الحدود كان تهديد لحياتهم...فهي بمثابة الفاصل الحاد بين اللهجتين كالنهر الفاصل بين الـضفتين..."³

التميز الاثنولوجي الحاصل هنا يرجعنا الى فحوى الاقامة في اللغة اي الاقامة في الثقافة، اليس هذا جوهرها في حياة المهاجر بين الحدود والفواصل، هذه الحدود والفواصل الشرعية والغيرشرعية تستوجب الالتزام بها ووقت العبور للاعتراف به وبسلامة القبول به بين التجمعات والنجاة من اي تهديد اقصائي يرافق مصيره، ان الالمان كونهم مجتمعا تاتي اليه الوفود البشرية المهاجرة من لغات وثقافات مختلفة، لا يمكن ان تنال السكنى الثقافية وسكينة المعيش بتناغم كلي معهم دون نطق لغتهم وحروفهم بانقان، قد يتصلون بك بالعربية والفرنسية والانجليزية لكن العبور الى ضفتهم وبين حضانهم المؤكد يقترب من اللغة الالمانية نفسها واكد كثير من

¹ سورة طه، الاية 99.

² محمد شوقي الزين الثقاف في الازمنة العجاف، المرجع السابق، ص742/741.

³ المرجع نفسه، ص743.

المبحوثين(01،02،03،04،05) هذا، اللغة اقامتهم القومية.، ليس مجرد شرط تعليمي او طلب عمل بينهم بل اكثر من ذلك امر تجاوز الادمج كآليات محدودة. تشير فكرة "الشبولت" التي طرحا شوقي عبر دريدا انها فصل الوصل وتميز بين مكان وآخر وهذا الانفصال ثقافي لغوي وليس طبيعي ومركزي، اي يمكن فتح امكانت اخرى مادام ثقافيا وهذا ما نلاحظه من خلال المسوغ الثالث:الذي استقاه من من "غوته" حول الاستعارة النباتية على التطور البشري "شبنغلر" في ابرازه التطور الحضاري بقوله: " ان لكل حضارة امكانتها الجديدة الخاصة بها للتعبير هن ذاتها...يقوم تماثلا بين نمو النباتات وتطور الحضارات واحسن مقولة عبرت عن ذلك هي عبارة غوته كل هذه الاشكال تتماثل ولا احد منها يشبه الاخر...يذكرنا هذا بما سماه فتغنشتاين الشبيه العائلي الذي يفيد في الوقت نفسه الهوية والاختلاف، التماثل العائلي لفصيلة النبتة الواحدة والتمايز الفردي للاجزاء التي تتركب منها..."¹.

بالرغم من الانفراج على الحضارة كمنتهى الثقافة الى انه يشير إلى المفاتيح التي تساعدنا في توضيح العلاقة المعقدة بين الوحدة والتنوع تلك العلاقة المبنية على التماثل والتمايز لا التشابه والمطابقة، فهذه الاخيرة حالة شذوذ وعنف مختزن في الثقافة، تشبه احيانا تلك الامراض اللاحقة بالنباتات التي تحتاج فهما وتشخيصا وعلاجاً،انه لمن المعقول ادراك زخم الاختلافات والتنوعات والخروج من مأزق الهوية المطابقة والمشروطية الانتمائية المحدودة، الى افق ارحب لامكانيات التراكيب المساهمة في اغناء اي نوع من الانواع، عبر عن ذلك شوقي " بفينومينولوجيا الوعي الثقافي" من خلال هذه المسوغات الثلاث التي تجري بين الوحدة والتنوع في شكل متسع ومتداخل:" فانها مسوغات تقوم على التركيبية"الكياسمية" ذاتها فالمراد بهذه الصيغة الكياسمية هو التباين والتداخل بين الذات والعالم الذي ينتمي اليه عبر وسيط الجسد والاداة وابرار التقاطع بين الانا والآخر كل في وعي ثقافي...وحدة الادراك الحسي وما بينهما من تمايز، حكم الانتماء القومي والاقليمي...ليس بينهما تتابع الواحد قبل او بعد الآخر ولكن بينهما تقاطع الواحد داخل الآخر"².

¹ محمد شوقي الزين، الثقافة في الازمنة العجاف، المرجع السابق ، ص746.

² المرجع نفسه ، ص247.

نستشف ان الانسان والثقافة والحياة ما كانت لتكون الا لاجله، ولجل الاخر ولا يكون لذاته دون الاخر، هي الامكانية والمفتاح، أي الكياسيم (Chaisme) الاصل و الانفتاح وليس الانغلاق، منطلق الثقافة الاشتراك الفعلي بداخلها، الكائن او النوع في علاقة مع الكينونة والتنوع الحاصل، علائقية بعالم من الظواهر الانسانية بخصوصية اللغة والفكر والتواصل العلاقة باطروحة الوعي الفينومينولوجي الثقافي، فهي علاقة دينامية وتحولية وتشكلية على الدوام، في إشارة الى اهمية الحالات الثلاث التي لاحظها هنا، **التبرعم، التجذر والنفث**، والثقافة هي هذه العلاقة نمر بذات الاحوال لكن تكون ظواهر مختلفة ومتنوعة، ان "شوقي" يشير الى اهمية النفث مرتكزا على ما اشار اليه "مورلوبونتي" الثقافة والانفتاح او الدهيزم (Dehiscence) في علاقة الجسد بالعالم والوعي المخبأ بالنواة تلكم العلاقة غير اشراطية للمطابقة معها بل بالتزهر والانفتاح عليه في اشارة الى التداخل والتفاعل، تكون الثقافة في السير الى جوهر الانسان وليس بالتمركز حوله، فالتمركز والعنصرية والمركزيات منشأها "الانا" التي ترفض التقاطع والتداخل وتفضل الاستعلاء والاقصاء والنمو الفطري على الاخري والتغذي عليهم ، اما الانفتاح والتقاطع اشارة الى المشترك الانساني السليم الذي يشير الى اهمية ودور الوعي الانساني بذلك.

2- الثقافة والهوية (بين العابر والبيني والمتداخل)

نسعى دوما كما عبر الباحث شوقي الى ادراك الفرق بين المسألة الثقافية والهوية، بحيث الاولى باب مفتوح على الحركة، والثانية تصاب بالجمود والانغلاق والنقاش حول الهوية دوما ما يرجعنا الى الخلف ،ولا يساعدنا في استوعاب الكلية الثقافية، لذلك في هذا المبحث نحاول فهم التشكيلات الثقافية المختلفة والمتعددة والهويات المنبثقة بعيدا عن حتمية المطابقة.

المانيا لازالت تشهد جرائم متعلقة بالعنصرية والروح القومية او السامية كما حدث مع الممثل جيل اوفاريم مغني الماني من اصول يهودية ليلة 06 اكتوبر امام مدخل فندق بلايبترزغ Lipzig بحجة انه يرتدي القلادة ذات الرمز للنجمة السداسية، اصر موظف الاستقبال ان يدخله بشرط اخفائها، اثارت الحادثة جملة من ردود الافعال المتباينة منها المتضامنة وهؤلاء عرب ومسلمين مهاجرين وجاليات اخرى متضامنة مع المغني، ومنهم اليهود ايضا غير ان السفير الاسرائيلي بالمانيا استهجن حمل علم اسرائيل للتضامن مع المغني معبرا على انها تخص المغني الالماني

"جيل اوفاريم" وليس دولة اسرائيل وكذا الرئيس المجلس اليهودي المركزي بالمانيا"يوسف شولتر" بقوله:" لم اكن اتخيل ان يحدث هذا في المانيا في 2021م¹.

في الواقع تحدث جرائم ضد السامية في المانيا وجرائم عنصرية عدة خاة في المدن الاتية والتي يقطنها مهاجرون من عدة بلدان وثقافات مثل : درسدن/ لايبزيغ، ننبوغ وغيرها وتكاد تكون الجهة الشرقية بارزة في احداث العنف، فقد سجلت المانيا حوالي 2032 في 2019م حالة اعتداء،وفي 2020م حوالي 2351، ما اريد الاشارة اليه هنا ان هذا الامر له علاقة بمشكلة الهوية وليس بطبيعة الثقافة، التي تكون الثقافة محصورة في الانتماء والمطابقة والمشروطية المفعلة للمعتقدات والسلوكيات، اي الثقافة محصورة في حندق الهوية لذلك نشهد مثل هذه الاحداث ، فعوض ان تكون اسلوب حياة مفتوح على الثقافات واكثر دينامية تتسم بالانغلاق للدين او العقيدة الايديولوجية او القومية او العنصرية العرقية.

ان السؤال عن الهوية امر لا طائل من ورائه ان المسالة الاهم هي الثقافة، فسؤال الهوية هو الذي يولد مازق الاعتراف بسبب المنطق الثابت الداخلي وشروط المطابقة والمماثلة الكلية، اما السؤال الثقافي دوما يكون قريب من الانفتاح وتقبل التغيرات الحاصلة وجعل التعدد طموحا لها دوما.

سؤال الهوية سؤال مفخخ لذلك يقول الفيلسوف التونسي فتحي المسكيني " الهوية" اي المطابقة الكلية والا سيكون الاقصاء خارج شروطها، ما اؤكد عليه حتى نخرج من الصراع الثنوي والازدواجية، ان الهجرة معمل ثقافي للانتاجات المتعددة والافرازات المتوقعة والانبعثات الغير متوقعة والحاضنة لهذا المتحرك ككل، كما أن المهاجر أو الغريب أو الاجنبي من خلال هذا الطرح بمثابة فاعل ثقافي لا مجرد حامل سلبي فهو لا يعيش ازمة غربته الخارجة عن الثقافات والجماعات، بالقدر الذي يكون مرشدا وموجها ومستكشفا ومحكما ثقافيا كما عبر "شولتر".

إن أسئلة الهوية وتصورات المهاجر داخلها واقعا وموضوع بحث تطرح مازقا أكثر من كونها إمكانية تفسيرية أو تحليلية، وسنكون دوما بالعدسة الاغترابية المستلبة والمتشائمة تجاه الهجرة والمهاجر، مهملين خطوط الطول والعرض للبيانيات والتداخلات القارة والعبارة.

ان المهاجر يمشي على خيط بتوازن يحاول ان يوازن ذاته ويضع العالم مقابله ويكُون بنفسه الثقافة في المهجر، فالثقافة والهجرة عمليتان متكاملتان من خلال تلك الامتزاجات المتنوعة

¹ <https://www.annahar.com/arabic/section/16:15--2021-10-17>

والمتعددة وعبر السلوكيات اليومية، فالمهاجر كذات يعيد كتابة ثقافته والمستقبل يختبر ثقافته عبر هذه التجربة في الكل التفاعلي بين الخصوصية والفرعية والتجربة الاجتماعية والتسارع والتحول الحاصل في ذلك، يكون الافق اكثر اتساعا من الزخم المعرفي والرمزي المختلف للجماعات والجموع المتخيلة.

أ: المهاجر يكتب ثقافته

على خطى "غيتاري سبيفاك، وهومي بابا" ارى ان المهاجر من المنظور الثقافي يكتب وينشأ ثقافته، وهذا هو النص القابل للتفسير والتحليل والتأويل، ما يكتبه في حياته اليومية، وما ينجزه عبر الاساليب والادوات الممكنة لذلك.

يمكن ان نلاحظ خطابين مهمين حول الحمولة والنقل(المنشأ) وهذين خطابين يحولان دون ادراك "الانشاء الثقافي" ان ارض الاستقبال التي تفرض الاندماج، فيحاول المهاجر ان يتخلى عن ترسيمات جسده الاولى ليلتحق بالتجسيد الثقافي المهيمن لاجتماع المضمون سلفا في صورة اغلبية قومية اوروبية او غربية هي عملية اختزال قاصرة عن التواصل الثقافي العميق، وذات الامر حين يكون المهاجر ممتدا كلية الى الثقافة الاصلية الى درجة اعادة انتاجها وتوزيعها خارج اسوارها (النقل) هذا يعدا ضربا من المخاطرة وجني الاقصاء والتهميش وفتح النزاع الهوياتي.

ليس هذا كل ما يحدث هناك مساحة اخرى تعبر عن المقدرة التكتيكية والاستراتيجية للمهاجرين في بعد ثقافي ثالث، هو الذي ينبغي الاحاطة به وفهمه والكيفية التي يبرزها هؤلاء المهاجرين وسط علاقات وجماعات مختلفة، كتلك التي " يذهب بها لمهاجر الجزائري مثلا ليكون دكان الجزائر تركي او مغربي بنبرغ او برلين او غيرها¹، ليس من قبيل الاختيار العشوائي هو مجرد اسلوب يخفي معتقدا ثقافيا معين، بذات الامر يلتقي صديقه الالمانية الغير مسلمة والتي تحتسي الخمر امامه او تحاول هي اخفائه لاحترام الصداقة"²، هذه مشاهد تكتيكية يومية تعبر على اللعبة الثقافية وتحولاتها لتجنب الجمود الهوياتي والصراع والاقصاء ونيل ما يريدون.

المهاجر الغير شرعي يجد نفسه بكنيسة يقيم فيها لمدة قصيرة خاصة بالليل او يقترب من القساوسة ليس بغرض التدين، بل بغرض ليلة تحميه من البرد او من مسألة الشرطة او التفكير

¹ المبحوث،ماليك جرمانى، قناة خاصة على اليوتيوب، <https://youtu.be/xbINsFi27gg>، 2021 جانفي/22

² المبحوث والموقع نفسه.

في لعب لعبة اللجوء الكنسي¹، هذا لا يمت بصلة الى الازدواج والصراع بقدر وعيه التكتيك اليومي للوصول الى هدفه.

ذات الامر لدى المهاجرين الذين يحبذون الإقامة في الاوساط الحضرية بالمانيا التي يسكنها العرب والمسلمين او الجالية المغاربية بالخصوص والدخول الى المساجد بغرض التقرب من المساعدات المالية، كحاجته إلى محامي او كراء منزل او ايجاد عمل، واكد لي هذا (المبحوث14،22،10،09).

إن الانثروبولوجيا النقدية والدراسات الثقافية، اوجزت لنا مفاتيح التعامل مع الثقافة ليس كتابع وحسب، بل ان هذا الاتجاه المابعد حدائي يعنى بالتقاطعات في بحوث الثقافة والغير، والجسد والجنس والجنر والجماعات والثقافات الفرعية ايضا، فلقد حاولت غيتاري سبيفاك² (GAYATRI CHAKRAVORTY SPIVAK) سنة 1988م ادراج مرجع مهم بهذا الخصوص بسؤال مهم: هل يتكلم التابع؟، Can the subalteam speak؟، اي الانسان المستبعد من الحياة العامة او العاجز عن تبديل طبقته الاجتماعية او انتمائته الجنسي او وضعيته الجسدية أو حيزه الثقافي ان مفردة التابع نستفيد منها من عدة اوجه، هذا التابع هو المرأة وجسدها في مقابل السلطة الذكورية وهذا كان نقطة انطلاق بحث سبيفاك، أو التابع العقل او الثقافة الغربية مقابل الاخر كما كنا نرى انفسنا من خلال الأبحاث الأنثروبولوجية او في عموم الصناعة الثقافية او ذلك التابع الغير وطني والذي لا ينتمي الى وطن بعينه وهذا يمس حالة المهاجر.

ان هذه المحاور الثلاث كفيلة لنقلنا الى الحيز الانثروبولوجي كعلم خاضع للرؤية الآخريّة، ذلك الانسان الابيض المتحرر الغربي(حركة الاستشراق) وهذا له محملين: الاول السيطرة الكولونيالية والثاني الهيمنة العولمية اليوم(المحلي/الكوني)، وهذه هي عقدة الثقافة اليوم، بين من يرى نفسه (نحن) من خلال الآخر، وبين تلك النظرة المركزية (عن الذات في مقابل الآخر)، الذي لا يكف عن اظهار نفسه عبرنا كمركز ونحن الهامش، هذه العلاقة تضمر في بواطنها

¹ المبحوث هلال دزاد، قناة خاصة على اليوتيوب <https://youtu.be/tH2TmW02jv>، ب، 17/08/2020

² ولدت الدكتورة سبيفاك في مدينة كلكتاه بالهند في عام 1941 وتّرس الان اللغة الانجليزية وتحاضر في الدراسات الثقافية بجامعة بطرسبورغ الامريكية، القصة بدأت بوفاة عمته التي شنقت نفسها 1926 كانت مناهضة للامبريالية واضطرت للبقاء اربعة ايام حتى تحيض لتشنق نفسها لكي تبين للناس انها قتلت نفسها بحمل غير شرعي، هل يمكن ان تتخيل مدى صعوبة الانتظار؟ وبذلك تتحدث بجسدها، والقصة الثانية الزام المرأة الهندية التي تفقد زوجها بالموت ارملة اي تلحق به موتا بالنار في نفس المكان جثة زوجها؟ هذين القصتين كانت وراء مصطلح "التابع" هل يمكنه ان يتكلم؟.

لمزيد من التفاصيل راجع مقال: دريدا والهامش واعمال غيتاري سبيفاك ترجمة محمود احمد شيت تاريخ الزيارة www.hekma.org2020/05/11

الايديولوجية والعنصرية والتعصب في ثوب الديمقراطية، وهذا نفسه ما عبر عنه "ج. كليفورد وماركيوز" في ضرورة التحرر من السوق الثقافي العالمي، يتخوف البعض من الهجنة او المنتج الهجين كوصمة سلبية من هذه العملية الكاسحة للحشود وبشكل متسارع.

ان التابع اليوم لم يعد تابعا، فله مقدرة التكلم بذاته عن ذاته شمل ذلك الاجساد المؤنثة والشعوب المستعمرة والخصوصية الثقافية المحلية العابر للاوطان، فهي كتابة ثقافية مستمرة وواقع بحثي بخراتمختلفة وتجارب متنوعة تحركها الروح التجريبية.

مفتاح التابع كوحدة تحليل وتفسير مهم جدا لادراك التداخلات الهجروية بين المرأة والرجل بين ثقافة المنشأ الصادرة والمستقبلية في حركة محلية وكونية ممتزجة ومفتوحة.

لقد حاول الذكور الهيمنة على مفاصل التعابير الثقافية وحصروا المرأة في التابع لا اتحدث عن الحركة النسوية كجهاز ايديولوجي بل من خلال التجارب اليومية التي تجعل من المرأة تعبيراً تابعاً، ففي البحوث النسوية والعلوم الاجتماعية بالخصوص عانت المرأة من من يتلکم بالنيابة عنها ولم تكن البحوث النسوية تجري لهن بقدر الخطاب بالغائب عنهن دوماً، الى حين بروز بما يسمى " البحث النسوي" والذي تكون فيه المرأة بكليتها مبحثاً وناطقاً لا تعيب من جسدها شيئاً او تخفي شيئاً منه، بل تعبر بكل حرية .

الامر المهم ايضا هو ان لغة الاندماج والادماج لغة متصلبة وليست تكفي للتحليل والتفسير لهؤلاء الاجانب والوافديين واعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية او الثالثة لا يرقون الا الانسان كإنسان مهما حاولوا وهذا جلي من تلك القوانين التي تتكلم عنهم ولا تسمح لهم بالكلام وتترك لهم هوامش ثقافية هذه النظرة التي تورثها مشكلة الاندماج وان كانت تبدو للبعض انها في صالح المهاجر لكنها تتطوي على سياسات الهوية لبقائه في التابع.

ان المهاجر ليس مواطناً تابعا كما انه ليس مغترباً مستتباً وان شعر بذلك على المستوى النفسي في مرحلة من مراحل الانتقال، انه معادلة فاعلة للتغير الثقافي والاجتماعي وقتما حل بنسيج اجتماعي تتغير احواله مع احوالهم في ابسط سلوك او مسافة اجتماعية اجرائية ما .

تتعمق غيتاري اكثر في نقد الخطاب المهمين موضحة نقطتين مهمتين في ذلك:

"هو ان الخطاب البريطاني المهيمن يقول بانه ينقذ المرأة الهندية من وحشية الرجل الهندي بينهما هدفه الحقيقي محاولة فرض الحضارة البريطانية ونظرة الانسان الاوروبي على المجتمع

الهندي، أما الخطاب الثاني هو: الخطاب البطريكي الهندي فيعتبر انه يدافع عن التقاليد ضد الامبريالية يتحدث الخطاب باسم المرأة لكنهما يتجاهلان صوتها (الانسان التابع)¹.

هذا النقد لولبي يلامس النية الغربية والممارسات المحفورة بعمق الذكر والثقافة الهندية، عمل فذ، تحاول من خلاله ابراز مقدرتنا على اننا نستطيع التكلم وكتابة ثقافتنا عن انفسنا بانفسنا، بالرغم من النقد الموجه "غيتاري سبيفاك" الثائرة والمتمردة، فهي لا تنفك عن الخروج من الاسلوبية الماركسية، خاصة في الدراسات الثقافية والنقدية والعلاقت المتشكلة من خلال ذلك والصراع السلطوي وبناء الذات والخبرات المتاحة، الا انها حاولت عبر دراسة التابع تخفي الارث الماركسي الخطي(ماركس وانطونيو غرامشي) والاهتمام بدائرة النقد ككل وتجنب الانسداد في الافق الثقافي، فهناك ثلاث محطات وجب الاعتناء بها في دراسة ونقد وضعية التابع وفهم العملية الثقافية وابعادها ككل:" اذا وقف المرء على وجودية اولوية الوعي فيكتشف عندها الذوات ليست الا منتجا لهذه الابنية، وعندها يمكن الحديث عن الوعي، من موقع مراقب خارجي يحدد شكل علمي اساسي لبنية هذا الوعي"².

أعتقد انه لا يمكن باي حال انكار ما قدمته دراسات "التابع" او تجاهلها او رفضها أو حصرها بنطاق ادبي ضيق تجاه التفكيكية او الفلسفة اليسارية بالقدر الذي ارى فيه انه مفتاح وفرصة لامكانية التعبير عن الذات في دراسات الهجرة والدراسات الثقافية، والتي ليست منتجا هجيناً بل عملية لفعالية وجودية خاصة داخل الدراسات الثقافية والخطاب العلمي الواقعي، يقول ديبش شاكرا بارتي(DIPESH CHAKRA BORTY): "ان دراسات التابع تجاوزت الاجنحة التاريخية الاصلية التي وضعتها لنفسها في اوائل الثمانينات، بات لهذه السلسلة موقع عالمي وحتى اقليمي وعاد هذا التوسع خارج مجالات التاريخ الهندي.. ويعتقد كثير من معارض الدراسات الثقافية" التابع" للماركسين ان مثل هذه الوحدة تتعزز بالتحليلات الاجتماعية التي تجمع شتى جماهير المضاهدين باكتشافها اسباب عالمية شاملة تقف وراء اضدها هم"³.

ان الدراسات الثقافية والنقدية المسكونة بالانثربولوجية النقدية، متجهة نحو التحليل الاجتماعي للاسباب والعوامل المشتركة خلف كل ظاهرة جزئية او كلية، ان صورة المرأة المضهدة او

¹ عمر ازراج، غيتاري سبيفاك، امرأة تحارب التبعية والذكورة ويقايا الاستعمار، <http://www.alarab.uk>، تاريخ المراجعة: 2020/04/17 على الساعة 09:10

² Loc.cit. subaltem-studies-post colonialism..<http://manshoor.com/workcriting.02/05/2020at08/30pm>

³ ديبش شاكرا بارتي، دراسات التابع والتاريخ المابعد الكولونيالي، <http://www.ostour.dohainstitut.org/ar/issue003>، تاريخ الزيارة: 12/05/2020 على الساعة 18:43 pm

المهاجرو المهاجرة ككل، وفهم الاسباب والعوامل الملثوية، ان اهمية دراسات التابع تتخلل فهم هذه العملية التجسدية والجنسية والجندرية والطبقية والثقافية منصهرة في ظاهرة الحراك الهجري والكشف عن تلك العوامل السلطوية التي تخول للبعض الكتابة الثقافية والاعتراف بها ككل، نسعى هنا ايضا التحليل الاجتماعي والثقافي الى ابراز مصطلح اكثر اهمية هو "موقع الثقافة" بدل الثقافة كمصطلح منفرد او مجرد أو متشعب ومختلف عنه.

ب: هومي بابا من الثقافة الى موقع الثقافة

قام الكاتب الهندي "هومي،ك. بابا" بكتابة مؤلف مهم سنة 1994م ويعد من النصوص الأساسية في متبعة ظاهرة الثقافة الانسانية، خاصة بالنسبة للشعوب التي مرت بالتجربة الكولونيالية، في ذات اتجاه سبيفاك، لكن من زاوية مختلفة فهو تفاعل مع القضية الكولونيالية من زاوية الهجين، فكتابه *The Location Of Culture* قدم تساؤلا مهما حول الثقافة، "كيف تصاغ استراتيجيات التمثيل او امتلاك القوة في دعاوى الجماعات المتنافسة حيث يمكن لتبادل القيم والمعاني؟، مما يؤكد على قوة هذه الاسئلة للغة الازمات الاجتماعية قريبة العهد التي اضمرت شرارتها تواريخ الاختلاف الثقافي".

لقد ضل موقف ب"بابا" غامضا بعض الشيء مقارنة بسبيفاك بحيث اعتقد النقاد دوما انه يميل لمبدا الهجنة الثقافية، في حين هذا الغموض يمكن فكه بالتقرب من العمليات التوقعية الثقافية غير التوقعية التي تخفي الجهورية المشتركة لنمط ثقافي بعينه او حاله، الامر ليس له علاقة بالهجنة الثقافية بقدر ادراك "هومي بابا" على انه لا يوجد ثقافة جوهرية خاصة مهما تبدى ذلك ودافع النشاط الاجتماعيون عن ذلك، بل هو تعبير عن قيمة التنوع المدرج في التشكل الثقافي بعيدا عن التاريخ قريبا من العملية التاريخية كما يسعى الى ذلك التفكيكيون أو اصحاب الدراسات النقدية الثقافية: "راح هومي بابا يطرح اسئلته العميقة... ويشد القوالب الليبرالية والاصولية والريديكالية الى الحد الذي تتضح عنده النقاط العمياء التي تكشف عن مركزيتها الاثنية وبلاغتها الارادية والى الحد الذي تتم فيه على الآخر الذي يظهر في عملياتها العرض المرضي الدال"².

يركز "بابا" على فكرة ان التوابع لها مواقع ثقافية تعبر فيه عن نفسها، كما انها ليست فقط مراكز ثقافية او اثنية معزولة او منطوية على ذاتها بذات الفكرة التي يبعد فيها الآخر، هذا عن

¹ هومي.ك. بابا، موقع الثقافة، ترجمة نائر ديب، المجلس الاعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2004، ص43.

² المرجع نفسه، ص12.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

مركزيته التي تشكل كل قوالب الاستبعاد والاقصاء والخروج من تلك العلاقة بين المهيمن والمهيمن عليه بن المستعمر والمستعمر والكشف عن النقط العمياء تلك.

ان الانثروبولوجيا الكلاسيكية التي رسخت مقولة البدائي في مقابل المتحضر هو خطاب مركزي في الاساس موظف بطريقة عمياء وايدولوجية مسكونة بالاحاد لا ترى انها تآثرت بهذا المقابل الثقافي لها، ان الخطاب التفكيكي ساعد كثيرا وببراعة استقراء الظاهرة الثقافية والمتخيل الاجتماعي والتركيز على السياقات والانساق السردية والخطابية: " وهو ما يعني ان تمثيلات الآخر التي الصقها بالشعوب المستعمرة ما هي الا سرديات كاشفة عن الاختلاف في الدولة ومؤسساتها وخطاباتها الثقافية.. ونفهم من السرديات تخيلات مجتمعية زاخرة برموز تأسيسية تشير الى مراحل الابتداء او التقارب وهذه السرديات في اسطوريات السكان الاصليين..."¹.

إن مفهوم الهجين او الهجنة الثقافية في نظر بابا ليست مفهوما تصالحيا مع سياسات الهوية و الارث الاستعماري، وما قام به تجاه الثقافات المحلية التي خضعت بلدانها للهيمنة والتدمير واعادة البناء، بل هي نظرة سلسلة لفضح التدخل القسري في ثقافة الشعوب، فبالمعنى الانثولوجي لكل شعب موقع ثقافي وليس مركزية ثقافية، وكل موقع ينضوي على الذات والآخر (ذكر وانثي)، فهي علامة الجدل الثقافي وليس الصراع الثقافي، لذلك تكون مواقع الثقافة مهمة والافعال المبنية على التوقع المسبق قد زالت أمام الفعل المتموقع.

انه بحث يقدم للهجرة منجزا علميا جديدا نركز فيه على الاساليب السردية الثقافية للمهاجر في مقاربة تعنى بالخطابات الثقافية المتفاعلة والمتصارعة ضمن واقع اجتماعي مبني او متخيل (مصطلح التفاوض Negotiation)، انها دعوة للتنوع والاختلاف في ذات الصلة بالتكوين للهوية ايا كانت عبر رؤية مجالها الحركي المدعوم بالثقافات المنجزة لها، فالاطلاع على ثقافات الاخرين يكشف عن المخزون الاقصائي الوهمي والاعمى امام قضية التواصل الثقافي المكثف والمتداخل لمواقع وابعاد ثقافية غزيرة، : "لا يكاد يقيم حدا فاصلا او وزنا للثقافة الاصلية، فهو يختصر كل هذا في الهوية، الهوياتي Identification، كما ان الثقافة ليست صريحة اللفظ والمعنى والاستقرار الثابت الا من خلال ما يخاطب به.. كما ان الثقافة لا تكاد تكون واضحة الا من خلال التابع الذي يراه عكس سببها قادر على الكلام"².

¹ هومي بابا، والنقد المابعد كولونيالي، محرر صاحب الموقع، ، <http://www.alittihad.ac/art.cle>، تاريخ الزيارة: 16/05/2020 على .pm18:38

² هومي ك.، موقع الثقافة، المرجع السابق، ص 43.

الهوية هي المطابقة الكلية المخفية في الاصل، والجوهري والمركزي ومخيلة النقاء والصفاء وموجودة مسبقا، في حين التجربة للمتخيلات الاجتماعية الحديثة لو استعرنا هذا من شارل تايلر نجد انها عمليات متداخلة اكثر من كونه مجرد مطابقة، يقترب بابا من الثقافة وابتعد عن اي مسلك يؤدي الى مازق الهوياتي المنغلق كما حدث بين المستعمر والسكان الاصليين، وهذا الخطاب الثقافي الرفيع وسع من حدود الثقافة الرفيعة والثقافة الشعبية والصراعات مع الثقافات الجماهيرية: "الثقافة حائرة في جو ايديولوجيا او جو سياسي ثقافي لا نعرفه الا من خلال خطاب النخبة وهذا لا يستقر في كيان مهاجر ممزق بين شعوب،...بين ارادة مستعمر تفكر هذا الخطاب الكولونيالي الذي دعاه هومي بابا بالمتخيل او المعوق وهذه اللعبة على افق السياسات مثبت على الواقع فالهيمنة ما زالت مستمرة بمعنى اقضاء كل الاختلاف"¹.

الاختلاف في نظر بابا هو ليس له علاقة بالآخر او له دخل في ذلك بل هو موجود سلفا وهذا ما يرفضه حين اصطلح على البعد الثالث او الهوية المحكائية و التشابك الثقافي، هناك مفاهيم مرئية عند بابا مرتكز على التحليل النفسي المقدم من قبل جان لكان منها " الصورة" و " التتكر" و الازدواجية بالاضافة الى المابد الكولونيالية، التبدل والشثات الا اني ارى مفاتيح الفهم للنظرية الثقافية ككل ومحاولة اسقاط ذلك على المعاش الهجروي كمحاولة في تفكيك الخطاب الهوياتي وفهم هذا الجدل بين التشابك الثقافي والتتكر،: " يعد مفهوم التتكر من المفاهيم الرئيسية التي وظفها هومي بابا في نظريته اذ يرى فيه اعادة كشف عن تمثيل لمجموعة من العلاقات التي تدل على هوية ما او معنى ما، فهوم تمويه يؤدي الى الوقوع في حقل التشابه دون ان يكون التشابه ناتج عن التمويه اي جوهر مع الخلفية التي تريد ان تتقارب معها"².

يهدف "بابا" من خلال مصطلح التتكر هنا الى هدم البيئة التسلطية المركزية والنجسية، التي تعمى عن دائرة الاختلاف المحيطة بها ويريد الابتعاد عن عمليات الشرعنة الثقافية، التي سكتها الحملات الكولونيالية عميقا في العقل الثقافي لمجتمع شهد هذه التجربة في عملية ارباكية تعيد صياغة التاريخ الثقافي على نحو عرضي وافقي اكثر منه باتجاه خطي.

للتتكر مدلولات كثيرة منها تتكر هذه العملية الكولونيالية ذاتها عن ماضيها المكون من الاختلاف، والتتكر ايضا للذات امام امكانية التعبير عن نفسها، والتتكر للآخر في الاخير.

¹ محمد كريم، هومي بابا والقراءة التبعية بين الانا والآخر، [http:// ALhewar.org.debat/](http://ALhewar.org.debat/)، تاريخ الزيارة، 17/05/2020 على PM17:12

² المرجع نفسه.

يوضح بابا التتكر أكثر في بروز بما دعاه " الهوية المحاكتية من خلال علاقة المرآة بين الذات والآخر، هذا الآخر هو رديف سلطوي وهووي فلا ينبغي التعويل على اي نزعة دهرية انها واقع كلي، فالهوية المحاكتية والصورة والذات والآخر هي،": ليست النفاذ الى صورة الهوية ممكنا ابدا بالنفي اي الاحساس بالاصالة او الكمال فسيرورة الانزياح والتباين والغياب والحضور والتمثيل والتكرار تحول صورة الهوية الى واقع حدي قائم على عتبة الشعور ، فالصورة هي في آن معا ضربا من الاستبدال الاستعاري او ضرب من وهم الحضور وهنا يقع مفهوم البعد الثالث او الهوية المحاكتية¹.

البعد الثالث والتشابك الثقافي الحاصل من العمليات التفاعلية الكونية والمحلية وبين سائر الاتجاهات الافقية الغربية والشرقية هو مقترح بعيد عن التاريخ والتصادم انه بعد يوفر الناتج الثقافي وفق منظور المرآة والصورة اي وقت التشكل لهذا الموقع والبعد الثقافي الغير ثنائي فالازدواجية او الثنائية لدى بابا هي نظرية تعمى عن البعد الثالث الحاصل فعلا كما انها تخفي النقاء في الثقافة وهنا تبرز مشكلة الهوية.

ان الهوية ليست حماية موقع ثقافي تجاه الآخر او خوفا منه ففي المرحلة المابعد كولونيالية مثلا لا تكون الثقافة الى منتجا للبعد الثالث دون تتكر للذات او الغيروعليه الهوية امر منجز بهذا الشكل في كل المنظورات الثقافية.

ج: ارجون ابادوري (ARGUN APPADOURAI)، الثقافة تدفقا

يقترّب الانثربولوجي الباكستاني "بادوري" كثيرا من هذه الاطروحات المعاصرة ولقد كان عمله نصا اساسا بالنسبة لكثير من العلماء والباحثين على راسهم عالم الاجتماع الامريكي "جور ريتزر" في مؤلفه "العولمة نص اساس" كما سنشهد لاحقا في التحليلات المقدمة، لقد اخترت مفهوما مهما سكه ابادور بقوله قلق النقص "(Anxiety of incompleteness)

وهو على علاقة كبيرة بـ: التبادلية الداخلية الخارجية بين فئات الاغلبية والاقلية في الفكر الاجتماعي الليبرالي الذي يولد ما ادعوه بقلق النقص، الاغلبيات عدد يمكن ان تصبح ضاربة ونزاعلا بادة العرقية بينما تتعلق بالاعداد الصغيرة"².

يكاد يكون مفهوم قلق النقص جليا من خلال تخوف ابناء ومؤسسات مجتمع الاستقبال للمهاجرين في جعلهم يهرعون الى كافة اشكال ضمان الاجماع المحصل عليه، وتوسيع من

¹ محمد كريم، الموقع السابق.

² أرجون أبادوري، المستقبل واقعا ثقافيا، مقالات عن الكوني، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2016، ص 161.

دائرة المبادرات والسياسات تجاه الهوية، مرة بوجه تعددية ليبرالية ومرة بالمحافظة والانغلاق القومي او العرقي، انها مظاهر قلق النقص للمجتمعات المستقبلية، كما انه ايضا يوضح تلك العمليات الاستراتيجية للجماعات المتدينة والمهاجرة، والتي تسعى عبر برامجها الدينية والانشطة الجموعية، الى الحفاظ على هويتها داخل نسيج الاغلبية فقلق النقص يعبر عن الادمج القسري كما يعبر ان استراتيجيات حماية الاصاله والمحافظ عليها بالمهجر، ان الثقافة منتج تواصل ولقد صرح ابادوري على انها عملية تفاهمات يومية اكثر من كونها مورثات ماضوية:

" العلاقة بين اشكال الانتشار وانتشار الاشكال مهيمنة لفهم هذه التناقضات الثقافية... تجد مسارات ودوائر انتشار مستقرة مثل تلك الموجود في الدين والهجرة والتجارة... فان القرن الواحد والعشرون يشهد توترات جديدة بين القوالب والاشكال الثنائية المنتشرة والتي تشكل وتعطي مسارات الانتشار المختلفة..."¹.

يعزز عمل ابادوري اطروحة التنوع الحيوي في شكله المبسط محليا اوالمركب كونيا ويعطي قيمة للاختلاف دون اللجوء الى التواء سياسي معين تجاه قوالب الهوية او غيرها من المراكز المهيمنة، يعبر القيمة للانماط والمسارات في سياقها المتداخل والمتشابك، ولعل عملية الهجرة غير بعيدة عن هذا المحتوى الثقافي المنتشر والتي تناضل هي بدورها للانتشار المتداخل بين المحلي والكوني، ان الثقافة شكل من اشكال التدفق الغير متوقف يوضح بذلك ان الحدود مجرد وهم وهي ليست واضحة الا في تاريخ التمرکزات والتطهير الثقافي،: "نحن في حاجة الى فهم المزيد من الاساليب التي تخلق بها اشكال الانتشار، و انتشار الاشكال والظروف للانتاج المحلية Locality او عن المحلية في التي تستقر في النهاية كل ارشيفاتها المهمة للمحليات Localities في هذا العالم وفي هذا النقاش، هي مفاوضات مؤقتة بين اشكال او قوالب انتشار عالمية مختلفة وهي ليس شواهد تابعة لما هو عالمي، المحليات هي الدليل الرئيسي على حقيقة الوجود"².

إن المحلي في مقابل الكوني وما ينجم عن ذلك من تداخل وضبابية الحدود هي عملية تدفقية تشير الى السيولة الثقافية في ذلك وعبر الفاعلين الاجتماعيين والانماط الثقافية التي لم تعد حكرا على مركز كوني او محلي بذاتها، لذلك الانتشار يوسع من دائرة المحليات او لنقل انها عملية متاعمة بين السبب والنتيجة بي المحلي-كوني Glocalization، ان التدفق الثقافي

¹ أرجون ابادوري ، المرجع السابق ، ص 118.

² المرجع نفسه ، ص126.

يوضح تلك القيمة للبعد الثالث، البعيد كل البعد عن التصادم والصراعات الثنائية أو الهوياتية خاصة عبر الانماط الخمسة للانتشار الثقافي وتدفعه التي توضح ان الهجرة اليوم اهم ظاهرة محلية-كونية تعبر عن هذه الصورة للثقافة والحياة اليومية لذلك، إن ابادوري يناقش خمس تدفقات عالمية للثقافة هي¹:

الصورة العرقية (Ethnoscapes)، الصور الاعلامية (Mediascapes)، الصور التكنولوجية (Technoscapes)، الصور الابدولوجية (Idioscapes)، الصور المالية (Frimancescapes).

بعض الترجمات تميل في تفسير نظريات التدفق الى اعتماد المنظورات الخمس لكن الاقرب الى التدفق الصور التي تشدد على التدفقات العالمية: " ان استخدام (Scape) منظر يسمح لابادوري بنقل فكرة ان لهذه العمليات اشكالا سائلة وغير منتظمة ومتغيرة وهي مشتقة من فكرة التغير وليس التجانس كما انها تساعد اللذين يشددون على التنوع الثقافي والتغير"².

ان التدفقات الثقافية نظرية ثقافية تعبر عن طبيعة الثقافة اليوم من حيث التشكلات والاشكال الاكثر انتشارا، كما انها تسمح ليس فقط بحماية التنوع الثقافي او الاعتراف به في دائر الاختلاف، بل يكاد يكون هو اساس الحياة للانسانية ككل، ليس يشدد على اهمية العولمة والكوننة في ذلك، بل يعتبر ان هذه الاخيرة ما هي الى منظورات وصور سمحت لنفسها بالانتشار خارج اسوارها لتعيد تشكيل نفسها بصورة مغايرة، ان التدفق الثقافي يسمح دوما بفهم المجتمعات من زاوية التخيلات المرنة، المجتمع متخيلا وامكانية السماح بخلق واقائع اجتماعية بابعاد ثقافية غير محصورة، يمكن اعتماد المنصور العرقي او صور التدفق العرقي مدخلا ملاحظا حول ظاهرة الهجرة من العرق، والتعريق الى الصور العرقية Ethnoscapes:

" ان الصور العرقية تشمل اولئك اللذين يوجدون في حالة حركة دائمة، المجموعات والافراد اللذين يلعبون دورا مهما في عالم دائم التغيير ويشمل الحركة بمعناها الواقعي والخيالي فضلا عن ذلك لا يستطيع البشر في عالم التغير السماح بالراحة طويلا للاحتفاظ بخيالهم"³.

ليس فقط الجماعة والمجتمع ككيان افتراضي متخيل بل ايضا هذه الخيالات زمنية وقيد الراهنية ما تلبث ان تختفي امام تدفقات جديدة او متجددة مثل حركة سير النهر، يظهر التشابه بينه وبين اطروحة "ريخمونت باومان" الثقافة السائلة، يتجسد هذا كليا في حراك الهجرة بانواعه، فلا

¹ C.F. ARGUN APPADOURAI. Modernity at large. cultural dimentions of globalisation. 1996

² جورج رينزر، العولمة نص اساس، ترجمة وتقديم، السيد امام، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2015، ص، ص: 541، 542.

³ المرجع نفسه، ص 542.

يحتفظ كل واحد منا بموارده اثناء عملية التواصل الثقافي او تلكم التفاهات اليومية التي تؤثر مباشرة على منتج الثقافة.

د:جورج ريتزر، التقارب الثقافي،التخالف الثقافي، التهجين الثقافي

لقد صرح "جورج ريتزر" انه في عمله هذا قد اعتمد على مقدمات ونصوص اساسية لابادوري خاصة حول العولمة والتدفقات الثقافية في بعدها العولمي، ان ريتزر يكاد في هذا العمل ينسف الاطروحات الكلاسيكية حول المجتمع والواقع الجامد او النظام الاجتماعي ككل، بل يذهب الى الى مقولة المجتمع المتخيل، ويعطي اهمية قصوى لعملية العولمة من منظورات ثقافية للتقارب والتهجين والتخالف، بعيدا عن اي مركزية او تجانس قريب من الاختلاف كثيرا بنقده وتحليلاته، يقول: " ان المجتمع المتخيل يمثل واقعا اكبر بكثير... ان العولمة لم تكن تعنى بتشتيت الكثير من البشر، ولكنها زودتهم ايضا بتكنولوجيات احدث سمحت لهم بان يكونو جزءا من مجتمعات كونية... اولئك الذين ينتمون الى قوميات اخرى يعيدون تخلي انفسهم في اعقاب العولمة ولا سيما الهجرة"¹.

يوضح "ريتزر" ايضا من خلال هذا المثال اهمية الامة المتخيلة التي لا تكاد تكون الا في مجتمعات صغيرة او محدودة او بوصفها ذات سيادة، او باعتبارها مجتمعا يسمح بتمريره بين المحلية-والكونية وما يصاحب ذلك من المحاور الثلاث التخالف الثقافي (Cultural Differentalism) و التهجين الثقافي (Cultural hybridization) و التقارب الثقافي (Cultural Ouvergence)، النقطة المهمة من هذا الثالوث هي ان الثقافات تخضع لذات التدفقات، فالتقارب يمثل فتح باب امكانية تغلب ثقافة على اخرى وتكون التدفقات الداخلية والخارجية موزعة لتحقيق اشكال الهجنة الثقافية يربط كلا العناصر الاشكال الثقافية فيما بينها ربطا غير متجنسا لكن يزيد من التباين كما عبر عن اهمية واولوية لما قدمه كلا من الانثربولوجي السويدي "هانيرز" وتوماس اريكسون" الانثربولوجي النرويجي حول الكريولية (Creolization) في اعطاء ايضا قيمة لي (Glocalisation) لتداخل العالمي بالمحلي:

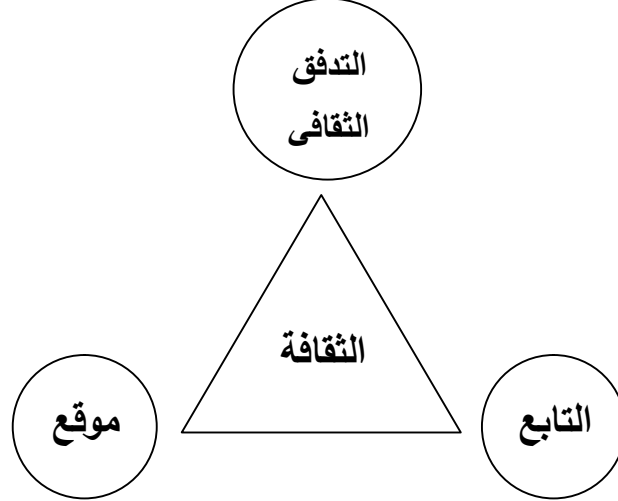
" ان مصطلح الكريول (Creol) يشير عموما الى اناس من ذوي جنس مختلط ولكنه امتد لكي يشمل فكرة اختلاط اللغة والثقافة الذي يشمل جمعا بين اللغات والثقافات التي لم تكن مفهومة من قبل بالنسبة لكلي منهما على حدة"².

¹ جورج ريتزر، المرجع السابق، ص 328.

² المرجع نفسه، ص 539.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

ان الثقافة بهذا الشكل تحملنا مسؤولية الوعي بقيمة التنوع والتداخل أكثر من التجانس ويكون سؤال الهوية سؤالاً مؤخراً لا مقدماً، لما تمليه الضرورة البحثية او الواقعية المحلية او العالمية ، وذات الامر يخص مسارات الهجرة واشتقاقات الثقافة يعبر عن ذلك مايك فيذرستون" (Mik featherstone) لاعطاء اولوية للتنوع الثقافي المستجد في اطار التداخل المحلي والعالمي. مخطط هرمي يوضح التابع وموقع الثقافة والتدفق الثقافي (من إعداد الطالب) رقم (01):



3- علائقية الوحدة والتنوع بين الخصوصي والكوني

لقد شغل الحقل الأنثروبولوجي نفسه بإشكالية الاختلاف الثقافي وكانت مسألة التنوع والوحدة أساس الانطلاق والوصول، كما أشار إلى ذلك عالم الإناسة "موريس بلوش"، وكان الجدل واضحا بين المنشأ الواحد والانتشار المكثف والتغيرات الخاصة من ذلك هذا:

" النوع البشري هو ذات المنشأ الواحد Monogénisme او متعدد المنشأ Polygénisme اذا كانت البشرية واحدة كيف نستفرد ونصنف بالخصوص ونسوغ الاختلافات الاخلاقية والذهنية والاجتماعية التي تقدم تنوع انماط الحياة..."¹.

إن إجراء تركيبة بين الواحد والمتعدد، او الخصوصي والكوني، دون سابق تمييز او سوابق ثقافية جوهرية في الاتصال، امر معقد للغاية في ظل التمازج والعوامل المؤثرة والمتأثرة، يصعب فعليا تمييز جوهر ثقافي واستقلاله، بالرغم ان الموضوع هو الانسان بذات، التركيبة البيولوجية والفيزيولوجية وعلى ذات الارضية الواحدة، الا ان الاختلاف والتنوع يضمن السيورة لهذا المنشأ الاحادي والابعاد المتنوعة ثقافيا.

قد لاحظنا ان تلك الدراسات المتعلقة بنظم القرابة والنظم السياسية وتنظيم الادوار الاجتماعية والسلوكية داخل كل كيان ثقافي، وطبيعة التكوين الشخصي والنفسي للانسان على مر تاريخ الدراسات الانثروبولوجية واستفردت بنمطين امومي وابوي /بطيريركي / ملكي وقبلي /... هذه المصادر المختلفة للتكوين التاريخي الثقافي للانسان الواحد بابعاده المتعددة والمختلفة، ما سر هذا الاختلاف؟، وكيف يدار على وجه التنوع وحيويته؟، هنا مكن الحبكة الثقافية، فمن السهل ادراج جوهر ثقافي وعزله في خانة الخصوصية، او الايمان بوظيفية المجتمع الكلي على الثقافة، او تمريره الى مستوى الكونية والهيمنة به، لكن ملاحظة الابعاد الاخرى المتناغمة بين الخصوصي والكوني وبين المحلي والعالمي بين الواحد والمتعدد بين الجوهرية والمفتوح على التنوع امر في غاية التعقيد للظاهرة الانسانية في حركاتها اللولبية:

" كان بواز وقبل كل شيء باحثا لا يكل في ثقافات الهنود والاسكيمو وكانت نظريته تقول انه على الاثروبولوجيين الامتاع عن وضع نظريات، فهو يرى ان كل ثقافة هي نتاج تاريخ عارض

¹ نيكولا جونيه، بين الكوني والخصوصي، البحث عن البدايات-طبيعة الثقافة-تشديد الهويات، ترجمة اياس حسن، دار الفرق، دمشق سوريا، 2014، ص 192.

لا توجد قوانين للنمو، انما فقط عمليات مفردة، بواس اذن ينتصر للزرعة الخصوصية...وما يستخلصه كروبر ان التنوعات الثقافية هي التي تميز المجتمعات¹.

ان اطروحة "بواس" مميزة في كونها اسست لفكرة النسبية الثقافية واثرت هذا على تلاميذته والجيل اللاحق بجعل كل ثقافة تعبر عن خصوصيتها، فهو لا يشغله الكل الشمولي وما تنزع اليه اي هيمنة ثقافية، كما ان تلميذه كروبر وسع ذلك من الاطار الثقافي الى الحيز الاجتماعي واعتبار ان خصوصية "المجتمع" ككل هذا الكيان اصله مميز بالتنوعات الثقافية المدرجة فيه، بقي الاشكال اذن هل الخصوصية هي خصوصية معزولة او انها موجودة في حلقة دائرية للتفاعلات؟، اعتقد هذا ما ذهب اليه بواس والجيل اللاحق من بعده، في اعتبار الخصوصية الثقافية وليس الانغلاق الهوياتي وهناك فرق، لان الخصوصية تضمن مصدر التنوع، فالتنوع الديناميكي او الذي استقر تاريخيا هو في الاخير منزع خصوصي، الخصوصية تضمن التنوع ولا تعارض بينهما/، بالرغم من ان النسبية لم تعد اليوم هما معرفيا ثقافيا لكن نشير الى المصادر الثقافية والانثربولوجية لذلك، ان النقطة الضبابية تكون في الانغلاق على الهوية، لم تكن الخصوصية تتجه الى المطابقة بل بالحرية الطبيعية للمنشأ الثقافي وهذه هي العلائقية بين الخصوصي والكوني، ان عزل المجتمعات هو عزل للثقافات والعكس صحيح ويصبحون اكثر هشاشة امام اي حركة كونية في الجوار، يعبر العالم الانثربولوجي "روجيه باستيد" قائلا: "التثاقف انه ظاهرة كونية ومكونة للثقافات، وعليه لا توجد من جهة ثقافات نقية مقابلاخرى هجينة، كلها على درجات من الاختلاط هناك غالبا اتصالية بين ثقافتين على تماس مديد اكثر مما توجد بين حالات مختلفة لنظام ثقافي بعينه"².

التثاقف ايضا هو بعد من ابعاد التنوع الثقافي في حركية دينامية بين الخصوصي والكوني ، يشير "باستيد" الى اهمية هذا الدور الحراكي للثقافات في كون قيمة التواصل الثقافي ما بين الثقافات امر واقع وضروري لمجريات التثاقف او المثاقفة على سواء ، تكمن الاشكالية في هذه العلاقة بين عناصر القوة المؤثرة في التثاقف وخلق التابع او المقاوم لهذه الثقافة ، يكون التابع متخوفا او قد وقع كنظام ثقافي في عملية التجريد الثقافي *Déculturation* ويكون حال المقاوم للتثاقف في خانة *Anticulturaliste* وكما سبق وان راينا ان هذه الحالات تعبر عن القصور الثقافي الذي لا يستوعب الخصوصية الثقافية كمصدر للتنوع بل يعترض انطلاقا من

¹ نيكولا جونييه، المرجع السابق ، ص ص، 196، 197.

² المرجع نفسه ، ص 288.

قرار هوياتي ، فإذا لم يتطابق يتعرض كله هذا الى الرفض والاقصاء والانغلاق اكثر، كما ان حتى المعرفة الانثروبولوجية لم تسلم من هذا ووقعت في مصيدة النضال الثقافي المعرفي مقاوما او تابعا مسلوبا كلية غير مستوعبين لمصادر المساواة والقوة الثقافية التبادلية، لذلك يركز ريفيرا وجيمس كليفورد العلماء الانثروبولوجيون المعاصر على ضرورة قبول الديمومة النشطة للحراك الثقافي واعتبار التقاليد والعقليات والدوغماتيات مجرد تمثيلا من قبل التاريخ وليست التاريخ نفسه، انه ذات الاتجاه الذي ذهب اليه ادوارد غليسيان وتطورت معه نظرية ابعده من التثاقف الى اعطاء اولوية للثقافات المزيجة او المختلطة او المولدة créoles:

" اليوم لم يعد يستخدم هذا المفهوم عمليا بل يتكلم عن احتكاك ثقافي عن التبادل الثقافي عن تهجين ثقافي عن خلاسية عن مولدية créolisation الثقافات من اجل الاشادة الى الصفة الاختلافية لهذه الصيرورات"¹.

ان علاقة الخصوصية والكوني او الوحدة والتنوع تظهر جليا من مقارنة ثقافية لظاهرة الهجرة والتقرب من تلك الجماعات المهاجرة والمنضوية على نفسها والدفاعات الثقافية التي تجربها عبر الاستراتيجيات الهوياتية، وتوقع بنفسها في خندق الجماعات الاقلية او الاثنيات المهمشة، ان المهاجر هو الذي يختار وضعا ثقافيا بعينه بحيث يكون خلال العملية الخصوصية غير من كفاية في التعامل مع التبادلات الثقافية الحاصلة، يرجع في ذلك الى طبيعة تكونه احيانا خاصة الفرق الاسلامية المهاجرة او التي تعد اكثر تنظيميا لجماعاتها بالمهجر، في حين تتاح الفرصة للاخرين بلعب دور اكثر مرونة وفهم هذا الاختلاط الثقافي، يتيح لنا الاختيار التفاعلي الرمزي (interactionisme symbolique) فهم هذا التباين: " في نقد الفكرة القائلة ان الثقافة مثلها مثل ارث موجود في ممارسات الافراد ويمنحهم معنى شكل مسبق... فقد قِيموا فكرتين: من جهة يمكن لثقافة جديدة ان تولد من علاقة اجتماعية معينة، ومن جهة اخرى تكون هذه الثقافة قيد التحضر بشكل يومي من خلال التأثيرات الجماعية والفردية"².

إن الهجرة في قلب اشتغال هذا الاثر والمنجز الثقافي من خلال عمليات وممارسات سلوكية يومية، مهما كانت بسيط او مركبة فهي في الاخير تنوع من المشهد الثقافي وتزيد من حدة ووتيرة التعدد، يكون الحيز الخصوصية سعيا الى تثبيت نفسه ضمن العام او الكلي، فالعلاقة ليست صدامية بقدر ما هي تفاعلية، حتى لو اتخذت موقفا سلبيا يعد ذلك من خلال علاقة

¹ نيكولا جونييه، المرجع السابق ، ص470.

² المرجع نفسه ، ص286.

تفاعلية الزوج به وصهره في الثقافة ككل، ان الحديث عن وشاح امرأة او تحجبها وهي مسلمة او عربية مهاجرة مقيمة او لا جئة، مهما كان هذا الحديث سلبيا فهو دخل حيز المداولة والتبادل والبحث عن معرفته وفهمه، ما يلبث مستقبلا حتى يكون ضمن النسيج ككل، هذا فضلا عن ان يكون لدى البعض سلوكا خاصا لا يعني كلية النساء.

ان العلاقة بين الخصوصي والكوني في الحلقة الجنسية او الجندرية او النسوية لا يمكن بحال من الاحوال اعتبارها في خندق واحد بل بالعكس تجارب مشيدة باختلافها اللوني والطبقي والعرقى والانتماء الاثني والا ستكون التراتبية والمركزية عنوانها الاخير، وهذا الذي وقعت فيه التعددية الثقافية كنزعة تعترف فقط بالدور السلبي للتعدد في خلفية منتصرة للمركزية في احتواء الاختلافات والخصائص الثقافية.

للخصوصية عبر الهجرة مطلب واضح من خلال الحركة الهجرية هي جعل التشكيلات الثقافية اكثر استقلالية بعيدة عن اي استلاب واختزال مركزي سلطوي، كما انها تقترب من التوزيع المتوازن لممارسة اي سلطة مهما كانت وتفنيد اي نزعة مركزية قومية او عرقية او جوهرية هوياتية.

" مبدئيا التفكير على مستوى التعددية الثقافية للهوية يشير الى التفكير الانساني للهوية في شكل المضمون والتبادل مع اوساط انسانية اخرى... الهوية ليست منغلقة على نفسها وموضوع مقترن بالفرادة أو الأحادية والعزلة لكنها بالضبط حوارية جدلية تتطلب عنصرا المناقشة(تشارلز تايلر).."¹.

أ: ثقافة أم ثقافات.

إن التنوع الثقافي في صلب العلاقة بين النوع البشري والثقافة ككل، وفي محصلة التحولات والتغيرات الطارئة على الخصوصي والكوني، لذلك تكون حلقة الثقافة متوسعة على نطاق شاسع من الثقافات باحثة دوما عن جماعات تكيفية لذلك او مجسدة لهذه الاطراف الثقافية، يتخوف الكثير من اطروحة التنوع الثقافي لذلك ينزعون الى ابراز سياسات الهوية او الانتصار للتعددية الثقافية كمذهب ثقافي يخفي روح قومية او عرقية ما، مثلما حدث مع الالمان - والفرنسين والكنديين وغيرهم- يعترفون بمساحة الممارسات الدينية والمعتقد لكن لا يؤمنون انه سيكون يوما دينا للمجتمع الالمانى ككل ويبرزون في ذلك نظريات وجهود سياسية للهجرة والهوية الوطنية للدولة الامة:"

¹ MEIDAD BENICHOU. Le multiculturalisme. Edition bréal.paris.2006.p 13

" اننا حين نحاول جعل الثقافة مكانا هادئا للتعاظم والاتفاق توجد فيه العلاقات الاجتماعية ضمن الاشكال الثقافية من الاتفاقات التي لا يعترض فيها احد، فاننا نتمسك بشكل من فقدان الذاكرة الجماعي، الذي ننسى فيه ان المعرفة كلها مزودة في تواريخ اختلافاتها في حقل الخصومات الاجتماعية"¹ يقول بيل هوكس وبيتر مارك لارين.

يمكننا تبسيط الفكرة اكثر مع كون المهاجرين قادمين من مجتمعات مختلفة اي قادمين من " الكل" المختلف عن الكل المقابل لهم ، هذا المقابل يحتوي ايضا انسجة ثقافية مختلفة، يكون في الحياة اليومية اكثر تمازجا ولا تكاد تكون الحدود السياسية او القومية او الايديولوجية ثابتة او جوهرية بالاطلاق، يسعى هذا الى اعتبار ان غنى الذاكرة الجمعية لا يكون الا عن طريق ترك هذه الحركة الثقافية في الاستمرار ولعب ادوار اكثر مرونة بين الفاعلين الاجتماعيين:

" يعمم الناس غالبا خبراتهم وتجاربهم المحلية ويشكلون صورة البلد ومكانتهم فيه، هذا يفسر كيف يتشكل الشعور بالقومية...من خلال اتحادات الاحياء والنوادي الرياضية والاتحادات التجارية والفروع المحلية والجمعيات الخيرية والغرف التجارية ونستطيع ان نفعل ذلك عن طريق ضمان تمثيل كاف للمهاجرين...يعكس هذا التنوع ويجعله طبيعيا"².

يوضح بذلك عموما ان الثقافة ليست موروثا احاديا ثابتا بل هي ثقافات مشيدة ونشطة في الفضاءات الاجتماعية المختلفة والعابرة في حالة الهجرات التي تاخذ اتجاهات عدة ومشارب ثقافية متعددة، فالثقافة ليست مجرد ذاكرة تاريخية نستدعيها وقت التصرف، بل تتكون هذه الذاكرة الجمعية من التنوعات والاختلافات الحاصلة لتعود في مرحلة ما الى دعم هذا التوزيع الثقافي المتنوع، والذي يقف امام هذه الليونة في اعادة التوزيع الثقافي هو الانا الجمعي والذاكرة المتصلبة والمنغلقة بمنطقها الهوي، كما انها استراتيجية سياسية متمركزة حول ذاتها وافكارها التي تتوهم ايديولوجيا ان لها مبداء الافضلية او التميز المطلق في حين كشفت البحوث الأنثروبولوجية المعرفية خاصة تلك التي قدمها "ادغار مورغان" ان المعرفة ممتزة داخل البعد البيولوجي والنفسي والتاريخي، اي علاقة بين النوع والتنوع والمجتمع ؟.

حين نقرب من النوع البشري نلاحظ حواف المعاني التابعة لهذا من البيولوجي الجنسي والفيزيولوجي الجسدي، والروابط الثقافية لتجسيده وتوظيفه بقوة في الواقع الاجتماعي، بالاطافة

¹ خالدة حامد، غيش المرابا، فصول في الثقافة والنظريات الثقافية، منشورات المتوسط، ميلانو ايطاليا، ط1، 2016، ص 189.

² بيكو باريك، سياسة جديدة للهويات، المبادئ الاساسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، ترجمة حسن محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2013، ص150.

الى الفسحة الكونية السانحة في لعب دورها على نطاق التبل والتحول، هذا الجسد الذي تربطنا به علاقة حميمية او خاصة ليس في تعريفاته واستراتيجياته (للهايبيتوس) الى معنى اخر عن اختراق هذا الخصوصي، لنعود في الاخير الى كشف العلاقة بين الخصوصي والكوني او الداخلي والخارجي، المساحات افقية اكثر منها عمودية في هذه العلاقة وبالوان تجارب حياته مختلفة في ترك هذا الجسد حرا او تطبيعه او ترك الخصوصي يعبر الى حيث يريد؟.

تزداد حركة الهجرة وتتطرد معها الاسئلة حول النوع والتنوع والمجتمع ككل في علاقة تداخلية وجدلية احيانا كون المجتمع تغير موقعه وتحرك هذا الجسد المهاجر بعيدا عن اشراطه الاولية الخصوصية ليعبر ويشيد بها مع الاخرين امثلة ثقافية مختلفة، تكاد تكون التمثيلات والتصورات عائمة والممارسات غير مستقرة وانما تتسم بالتكتيك والروح الاستراتيجية، يحاول فليب ديريبارن (PHILIPPE DIRIBARNE) الاقتصادي والانثربولوجي الفرنسي ان يوضح هذه العلاقة بالانتقال من الثقافة الى الثقافات ويعالج الثقافة والتنوع معالجة حيوية امبريقية من حيوات الناس انفسهم: " في صلب نفس الثقافة تحصل التجارب والوضعيات العادية على معنى لكونها ترتبط بنفس المشهد المرجعي، ولكن ذلك لا يقتضي ابا ان نحصل على نفس المعنى من طرف الجميع-من الواحد الى المتنوع تنوع الهايبيتوس-...ثقافة ام ثقافات تتاثير حياة المجتمعات بمفهوم الثقافة لانه يثير طفيليات اسطورة المجتمعات المسماة حديثة، الا ان الانوار كانوا واعيين بتعدد الثقافات ولم يحاولوا ابا التخلص من التعدد..."¹.

يبدو ان "فليب" يحاول تعرية الخطاب الايديولوجي المتمركز حول ذاته خلف مقولة الثقافة وانها ليست على قدر من المساواة مع غيرها هذا الخطاب منطوي في الأخير على مقولة المجتمعات الحديثة، أو التي مستها الحداثة دون غيرها، وهذا جانب غير صحيح امبريقا، فهذه مجرد اساطير مشيدة عن الرفعة والدونية وصد امكانات ثقافية اخرى، ان الثقافة ظلت مفهوما راسخا في علم الاجتماع الدوركامي والوضعي، واعتبرت انها كيان مسبق للفعل وتجاهلت الدور الرئيسي للفاعل ووجوده ، فالثقافة مجموعة من الممارسات تشكل واقعا او تبنيه بالصيغة المراد تحقيقها غير ن انها ليس سالفة الذكر والوجود، وهذه النقطة مهمة جدا في تفسير ظواهر ولواحق الهجرة بحيث مقولة الادمج او الاندمج تنطوي على افكار مسبقة ونظريات ثقافية واجتماعية تؤمن بالكلية البنيوية والوظيفية ولم تراعي تلك العلاقة المتداخلة بين الجزء والكل،

¹ فليب ديريبارن.التفكير في تنوع العالم، ترجمة محمد الهاللي، دار توبقال، الدار لبيضاء المغرب،1،2011، ص 17.

يؤكد ذلك "جون دانييل رينو" (J.D.REYNOUD): "... في هذا على الفعل معارضا في ذلك دوركايم، ليس ضروريا كما كان تنصيب وعي جماعي كمكان للقواعد بل يجب بالاحرى تحليل الكيفية التي تخلق بها القواعد بواسطتها تتغير او تلغى اي تحليل للسيرورات... ليست القواعد متعالية على النشاط الانساني بل انها على العكس من ذلك نتيجة له"¹.

ان "فليب" و"رينو" يبتعدان عن المنهجية الفردانية الصرفة ويؤكدان على رؤية التداخل ما بين الثقافات والمجتمعات، لكون الفعل والقواعد عمليات متحركة يعكس كلاهما الآخر ويحركه حسب التموثق والتشكّل المراد، فلا يكون التشارك الكلي الى ممارسة فعلية في ذلك وليس امثالا كليا للقواعد او الهيمنة الكلية للمجتمع، اي ثقافات وسلوكيات متكررة او غير متكررة تقوم ببناء هذا الواقع الاجتماعي او الانساني الكلي.

يذهب ايضا في هذا السياق "غيدنز" في تعبيره عن التفاوض بين القواعد كمورد والفعل في هيكلية بنائية للواقع الاجتماعي، بشكل متزامن بين الفعل والقواعد، لا يكون ذلك حلا اشكاليا ابستمولوجيا للعلوم الاجتماعية وحسب، بل رؤية المساحة التي يتلاعب بها الفاعلون الاجتماعيون بالموارد واعادة تثبيتها وتدويرها، بطريقة ذاتية وغاية جماعية، عابرين في معاشهم اليومي، وهو ذات الامر الذي ارى فيه المهاجر انه في هذه الزاوية بين المورد والفعل وليست الحاجة الى الاندماج الى عود الى العقل الجمعي الدوركايمي واسطورة القواعد الكلية الثابتة وهي التي جعلت الباحثين ينظرون للمهاجر كونه امر سلبي غير فاعل، ومع العلم ايضا انني ابتعد درجة عن المنهجية الفردانية الصرفة لنوضح مقاربة "غيدنز": "الفاعلين الواعين بوجودهم قادرون على فهم ذلك وتقديم اسباب وجيهة للقيام بما يقومون به، انهم يتحكمون في الاطار الهيكلي لما يوجهون فعلهم في الوقت نفسه الذي يعيدون بناءه اثناء القيام بالفعل وبالتالي هم لا يخضعون للاطار الهيكلي الذي يعملون بداخله وفي فعل التحكم ذاته.. يملكون القدرة على تطويره..."².

ان الثقافة بالمفرد لديها مرجعيات كبرى وطموح مهيمن على الافراد تريد بذلك التحكم في المعاملات على مرأى مباشر وكلي، في حين حياة الناس اليومية وسلوكياتهم التشاركية والاتفاقية والتكتيكية توضح القدرة على تمرير وتحليل شفرات سلوكية بعينها باسلوب التواصل والحوار ودعم التفاعلات والتكيفات التصرفية لذلك، معروف عند غيدنز تجاوزه للجزئية والنظرة

¹ فليب ديربيارن، المرجع السابق، ص104.

² المرجع نفسه، ص105.

الكلية على حد سواء ويركز في تحليلاته أكثر على اللغة والمعنى المشترك بين الافتراضات القبلية والقدرة التواصلية في النظرية الانبثائية أو الهيكلية التي تقترب من معرفة الفاعلين بمواردهم أو وقواعدهم السلوكية والطريقة والاسلوب الذي يديرون به وضعية ما أو سلوكيات معينة تكون الدورة بين القواعد التي هي موارد اساس العملية للفعل اليومي ومنتهى تشكل القواعد تاركا في ذلك مساحة للفاعل وخالصة فعله كمنتوج القواعد تلك.

يترتب على ذلك ايضا انتاج واعادة تفاعلات اجتماعية، هي بعيدة بزواوية ان عن اطروحة "بورديو" الذي يولي اهمية للبنية الكلية في الانتاج واعاد الانتاج، لكن غيدنز يميل الى اعطاء قيمة للتفاعل ما بين الافراد والقواعد في التشكيل الهيكلية مما يعني تنوع الهابيتوس ويصبح الانتاج واعادة الانتاج ايضا يعتمد على تلم المساهمات المتنوعة المدرجة بداخل البنية الهيكلية فهي عميلة بناء وليس بنية وطبعا هناك فرق:

"يسمح اطار التفكير بفهم اشكال الاستمرارية في حياة المجتمعات التي ترتبط بميل الفاعلين لاستمرارية والمثابرة في انجاز ما انجزه الى حدود تلك اللحظة"¹.

نحن نعلم ان الثقافات المشكلة هنا قريبة من الاجتماعي اكثر من الثقافي بعينه، كما انها تولي اهمية للنظام (بورديو) او سلسلة الهيكلية والانتظام (غيدنز) يحاولان عبر هذه التطويرات والانتقادات للتفاعلية والنظرة الجزئية اعطاء نظرية اوسع، الاولى تنتقد هيمنة ثقافية عاملية والاخرى تراعي تراكيب بين الجزء والكلية بين الفعل والفاعل والقواعد المسكونه كلها بالاغلبية الاجتماعية والواقع الاجتماعي المادي، ينحو "دلثاي" بعيدا قليلا عن هذه الاجتماعيات ليتقرب الى روح الثقافات كمعنى بعيدا عن منطق الممارسة والمبنى منتهاها الى ضرورة المعاني التي تفرزها السلوكيات اليومية يقول: " ان الفرد يجرب ، يفكر ويتصرف دوما في دائرة مشتركة ولا يفهم الا من خلاها"².

يمكن ان نميز بين تيارين الأول: يركز على الوضعيات والاحداث والممارسات، والثاني يركز على المعنى الانساني الذي يسمح بالتواجد المرن، او شبكات المعاني التي يؤلفها الافراد والجماعات، ان النظرة الاولى قد لا تشمل كلية الثقافة او تحاول جاهدة الى تصنيفها رقيقة وشعبوية وجمهارية وفرعية في الحين المعنى يجعل من الثقافة ممتزجة ولا يبتغي افرادها غير الشعور بالوجود وفهم السلوك المناسب لهذا كله، المعنى مرتبط اكثر بتخلل الاختلاف وتنوع

¹ فليب دريبارن، المرجع السابق ، ص108.

² المرجع نفسه ، ص109.

الوضعيات والاحداث والاتجاهات، يقترب المعنى ايضا من الانثروبولوجية الثقافية الرمزية الذي حاول من خلاله دلتاي افهامنا شبكات المعاني الثقافية للفاعلين انفسهم، "أليس دلتاي" قريب من تفسير حياة المهاجرين اليوم بالخصوص، كونهم يبحثون عن معنى لوجودهم اكثر من البحث عن تصنيفات مادية او وضعية بعينها ، فلو كانت الوضعيات والاحداث هي غاية كيانهم الاجتماعي والثقافي لاكتفوا بوظيفتهم وعملهم هنا لاعادة انتاجها، لكن يبدو الأمر أعمق ثقافيا. صحيح أن تيار المعنى قريب من السوسيولوجية الفينومينولوجية كونه يتجنب المشترك القبلي أو المجتمع المهيمن في كليته فاتحا باب المبادرة للجماعات الفرعية بتنوع التمثيلات الاجتماعية، وإن الأمر الأهم هو أسلوب تكوين دلالة تسمح بالتموقع اكثر من معرفة مسبقة (بيار بورديو الدوكسا) يكون الغرض ليس التجمع والتكثف بل التعارف على التميزات والاختلافات التي تفتح الفضاء الاجتماعي والثقافي على احتمالات غير متوقعة واكثر دينامية.

المعنى والرمز والتنوع والتمثيلات تجعلنا نرى ان الثقافات عوالم غزيرة من تولّد المعنى وهذا العالم ما هو الا تصورات كثيفة جعلت (غيرتر) يعول على التاويل الرمزي، وجعلتنا نرى في موضوع الهجرة منفتح على الثقافات في سياقات متعددة للفاعلين وسلوكياتهم اليومية: " ادعو الثقافة المجتمعية La culture societale بالاهتمام اساسا بالافعال الممارسة كلغة مشتركة والمؤسسات الاجتماعية واكثر من ذلك العقائد الدينية المشتركة للجماعات والعادات والتقاليد واشكال الحياة الخاصة"¹.

نختم هذا العنصر بما ذهب اليه "جون بيرترس" بالتقرب من التكامل الانساني ودينامكيته الذي يوضح عن مشتغل الثقافة والحضارة ما هو زخم من التداخلات والتشبيكات بحيث يضرب مثلا اجساد النساء على انها وجه من التفاوض حول الحدود، من الهجرة الى مسابقات الجمال الى النقاب والحجاب يوضح ان المزيج الكوني هو اثر تكون في هذه الاجسام بسيطة وسطحية لكنها عميقة تعبر عن الخبرة المتعددة في تفاعل اجسامنا مع الاخرين ويضرب ايضا مثلا عن تهالك اطروحة الدولة الامة امام ظاهرة الهجرة الكونية التي يرى فيها الباحث على اننا كلنا مهاجرون:

"اما في الوقت الراهن فان الطريقة المسلم بها في النظر الى الهجرة هي وجهة الدولة - الامة...ما فائدة بناء الدولة الامة للهجرة باعتبار ان الهجرة موقع رئيس للابداع الثقافي

¹ MEIDAD BENICHO. Op.cit. p49.

والتحضر... ولو نظرت الى الدور العميق للهجرة والتواصل ما بين الثقافات والتاريخ الاقتصادي فما الذي بقي للسياسات الحالية¹.

ب: الهوية ومسألة التعددية الثقافية

لقد فهمنا مما سبق اهمية الثقافة في مقابل الهوية، وعرفنا ان الحراك الكوني اليوم على جميع الاصعدة كاسح ومتسارع ومتداخل، لكن تظل بعض الخنادق الفلسفية والسياسية تطمح الى الدفاع ولا تتخلى في ذلك مرة كما شهدنا في قالب الدولة-الامة ومرة بالتعددية الثقافية وباطروحات مشابهة لها تخفي النبرة القومية او الهيمنة الامبريالية.

اعتبر "تري ايغلون" من خلال مؤلفه "مشكلة الثقافة" هذا ضرب من الانعطاف التاريخي، يفيدنا هذا الجانب في استقرار الدول والمجتمعات المستقبلية للمهاجرين في التعاطي مع المسألة الثقافية والهوية الوطنية، كما حدث مع المهاجر الجزائري الذي رفض توصيل طلبية طعام ليهودي بفرنسا فقررت الوصاية المدنية والسياسية طرده من المجتمع الفرنسي والدولة ككل²، هذا الاحتراز يكون دوما مشكلا ثقافيا للبعض يندرج في الاسلوبية المستبقة من سياسات الهجرة والامن المجتمعي³: "يجوب المهاجر العالم مسافرا اليه كذلك العالم يسافر الى المواطن العالمي ولا يسع المهاجر العودة الى الوطن بينما المواطن العالمي لا وطن يقصد اليه، اذا كانت الهجرة هي الشكل الشعبي للتعددية الثقافية فان النزعة الكوزموبوليتالية هي صيغتها النخبوية"⁴.

لا يدخر ايجلتون (TERRY EAGLETON) جهدا في تقديم النقد لكلمة الثقافة وادراكه لحجم الانعطافات والتواءات في التلاعب بالمعاني والاصطلاحات التي تقوض قيمة الاختلاف والتنوع الحاصل وتعرية الخطاب الامبريالي والسخرية منه واعتبار التعددية الثقافية منظوية على روح الراسمالية متعددة القوميات توهن الثقافات عن طريق عولمتها، فهي لا تقيم وزنا لا للهوية ولا للثقافات بل تريد دوما احتكار سياسة ممارسة الحياة الخاصة والعامية على حد سواء يقول:

" الراسمالية متعددة القوميات تريد ايضا العزلة والحصر الذاتي، وتقتلع الرجال والنساء من ارتباطاتهم التقليدية وتوقع هويتهم في ازمنا مزمنا، فانها ترسخ عن طريق رد الفعل ثقافة التضامن الدفاعي...حتى نرى انماط السياسات الثقافية التي لم تكن لتلائم هذا الاطار، ناهيك

¹ جون نيدرلين بيترس، العولمة والثقافة المزيج الكوني، ترجمة خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2015، ص 58.

² انظر، الملحق، ص 459.

³ انظر: خطاب خطاب، الهجرة الدولية ومشكلة الامن المجتمعي، بحث في سبل دعم المواطنة وترسيخ قيم التعايش الثقافي، مجلة ربحان للنشر العلمي، دمشق سوريا، العدد، 15/28 اكتوبر 2021، ص ص، 278/264.

⁴ تري ايجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2005، ص 87.

عن السياسة الجنسية... ولكن حيث تتناطح الكوزموبيتالية مع النزعة المجتمعية المحلية الاولى ذات هوية ضئيلة للغاية والثانية ذات هوية وفيرة جدا...¹.

تكون اللعبة هنا واضحة في ابراز الحاجة الملحة الى السياسة الثقافية وسياسة الهوية وبالتالي ادراج سياسة المهاجرين ضمن تحويرهم وليس نيل اعتراف فاعلية تنوعهم واختلافهم الثقافي من خلال برامج الادراج أو الاندماج التي من خلالها تعزز نظرة القصور وان بهم عيوب ينبغي قولبتها بشكل موضوعي لغوي وجنسي في العمل والتوظيف والترقية او حتى ممارسة المهنة السياسية داخل المناخ الاوروبي او غيره، تكون الهوية مسالة امن مجتمعي والثقافة متجهة الى حاجة ماسة الى خطاطة سياسية جيو بولتيكية تصارع كما وضح ايغلتنون وجه الصراع بين: "الاهلانية Nativism و سياسة الهوية والناشئة الجديدة والاصولية الدينية والقيم الاسرية والتقاليد والطائفية...فهؤلاء اطراف صراع الثقافة"².

لقد ابتدع الاكاديميون كثيرا والفلاسفة ايضا والمناضلين السياسيين والاجتماعيين من بعدهم، اطرا لمعالجة هذه المسائل كان آخرها - بعد التعددية الثقافية - بروز التعددية الثقافية الليبرالية خاصة كما سنرى في الفصول المتقدمة كلا من التجربة الكندية ل: ويل كمليكاو شارل تايلر و جيرار بوشارد: "انهم لا ينطلقون من حواشي المجتمع وهوامشه ليستطيعوا تقديم الاقليات كعلامات يجب دمجها في نواة السلطة المركزية، بل كعوامل فاعلة ومستقلة...يرفضون الاصاله الجوهرية اي الهوية بوصفها وحدة قومية ثابتة، الهوية من وجهة نظر متعددة ومتغيرة اساسا بمعنى حصيلة تغيرات متنوعة وتمايزات دائمة متعددة الاشكال...ان تعدد المراكز الثقافية ليس طرفاه افراد وثقافات متحجرة بل افراد ومجتمعات مرنة تتقبل التاثير المتبادل"³.

ان مسالة الهوية اليوم من بين اعقد المسائل المطروحة وتقترب ايضا من مشكلة اجتماعية او دولية اذا ما قوبلت بظاهرة الهجرة العابرة للحدود والثقافات والقوميات، هذه النقطة التي تجعلنا نفهم اننا نتشكل يوميا وبصفة متسارعة على جميع الاصعدة ليس فقط للتغير والتحول بل يكاد يكون المشهد الهوياتي والثقافي غير واضح وغير محدد كلية ، كما ان التاثير المتبادل هو المشهد الغالب في ذلك يجعلنا نقتررب من فكرة مهمة جدا هي اننا بعصر جموع الهويات المتداخلة وليس الهويات المتعددة، فهناك فرق جوهرى بين الاطروحتين: اذا تكون الاولى

¹ تري ايغلتنون، المرجع السابق ، ص88.

² المرجع نفسه ، ص89.

³ درويش شايفان، الهوية باربعين وجها، ترجمة حيدرنجيب، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 2016، ص76.

حركاته غير محددة مسبقا وغير قابلة للتصنيف هدفها التجمع بشتى الاختلافات والانواع ولا تراعي في ذلك اشكالا اما الثانية فلغتها بينة تعتمد على التصنيف والتجميع تحت غطاء التعددية التي تخفي رسمة بحد ذاتها دون غيرها يعني كمي وليس كفي، يميل الكم الى التمييز ويميل الكيف الى مقدرة وامكانية التمايز .

المحور المهم في الهجرة من كل هذا مراقبة اساليب الثبات والتحول متابعة اساليب جموع الهويات وليس الهويات المتعددة، اي يكاد يكون المسلمين والمسيحيون كمهاجرين مقتربين من بعضهم البعض داخل نطاق جغرافي بعينه، لكن هذا ليس اعتراف او تبادل ثقافي يحسن اعادة توزيع الكفاءة الثقافية فيما بينهم ولا يعبر وجودهم كاعدا وتصنيفات اننا بدولة ديموقراطية تحترم الاختلاف والتنوع بل يكون مجرد عدد يغلب على عدد اقل .

ان المهاجرين المسلمين يميلون الى تشكيل وحداتهم الاجتماعية والانضواء تحتها كتقافات فرعية بغية تامين الوجدان النفسي والاجتماعي لهم ولاسرههم ومستقبل ابنائهم، فهم يطمحون في ظل الدولة العلمانية الى استغلال مفهوم الحرية في المطالبة بتشريعات تربوية (الكتب الدراسية ومقررات المناهج التربوية المتأسلمة دون المتأورية) واسري وشخصية (تشريعات تتعلق بالزواج والطلاق والميراث نحو اسلمتها) تحترم ديانتهم، لا يكون هذا ابدا انفتاح ثقافي او مشهد جموع الهويات انه يعبر عن النزعة التعددية الثقافية للهوية المتعددة -وليس احترام التعدد الثقافي وهناك فرق - في شكلها السلبي، الذي ينطلق فيه كل جسم اجتماعي الى خلق استراتيجيات المقاومة والدفاع وبالتالي ضبابية الاعتراف الحقيقي والتعايش الحقيقي ناهيك عن فشل في بناء الهوية المواطنة لهذا المجتمع او في بعدها الكوني .

يطمح المسلمون الى نشر معتقداتهم وليس ممارستها وحسب كما يطمح المسيحي الى استحواذ على اكبر مشهد سياسي وثقافي للهوية الالمانية القومية والوطنية، وهذا شكل من النزاع لم يكن بحال نقاشا ثقافيا من كلا الجانبين مدركين كيف يحول ويختار ويتصرف كل فريق بشكل فردي وجماعي الى تكتيكاته التخندقية والانغلاقية، والرغبة الخفية لاحكام السيطرة الاحادية بشتى الطرق والسبل والالتواء على القيم مثل: الحرية والتسامح والعيش المشترك .

اعتقد ان المسألة المهمة في علاقة الهوية بالثقافة والهجرة، ليست النزوع الى الإزدواجية والاعتراب او التمزق، فاليوم نشهد موجات ثقافية اوسع واشمل وعابرة وبينية ومتداخلة توجهنا الى الرؤية الاتية: فهم السبل منشأ هذا الخلل الثقافي في سياقات ثقافية مختلفة التي تحول دون الاستفادة من حركة الهجرة، اي السؤال هو مالذي يحول دون تجاه المشترك الانساني؟ ما الذي

يعيقنا امام الهوية بالتعدد وقبول الغير؟ لماذا التطرف من جهة المهاجر والتعصب من جهة المستقبل؟، ليست الهجرة هي محو لهذا وتعبير عن الواحد في المجموع والمجموع لاجل الواحد؟، ان البحث في الاساليب والحفر في المنشأ الثقافي امر في غاية الضرورة ليس باتجاه التمزق وانما في اتجاه فهم الصورة الكلية للثقافة، التمزق والاعتراب والتصادم والنزاع منتشر بالتعصب والتطرف.

الجدل الديالكتي والحراك الثقافي الهجروي هو تعبير ثقافي وليس ثقافوي كما يعتقد البعض، لاننا كبشر نشترك ذات الصناعة التي هي الثقافة، " الحياة البشرية متعددة بصورة لا تتفك عنها بالمعنى الذي تكون فيه المجالات المختلفة للحياة مستقلة بدرجات مختلفة وتصنع مطالب مستقلة، فان الهويات المختلفة لا يمكن ان تكون تابعة لاي من هذه المجالات...والسياق هو الذي يقرر ان الهويات لها علاقة بهذا المجال...وهذه الهوية هي التي تفرض علينا السلوك المناسب لذا من الافضل ان نقول باننا مجموع هويات وليس هويات متعددة"¹.

ان اتجاه الاندماج ضمن اشكالية الهوية والثقافة يعبر على ان "هوية ما مكتملة" أو منجزة كلية ينبغي الانضواء تحتها والاعتراف بقوتها الحركية الاجتماعية والسياسية لها، لذلك يطالب المهاجرون بالاندماج عوض الالتفات الى التكيف الثقافي-(ليس هو التكيف)- الذي يحطّ المسؤولية لكلا الطرفين على تحسين معيشتهم الاجتماعي اليومي فيما بينهم وهذا ما ندعوه بالكفاءة الثقافية، لذلك ارى دوما ان الاقتراب من الاندماج قاصر في تفسير الظواهر التابعة واللاحقة لعملية الهجرة نفسها، الوطنية والقومية والاممية والنزوع الاسلامي في المهجر الى الكلية والمطلق في التعامل مع الغير كلها ازمان ثقافية بالأساس، ما زالت لم تستوعب بعد رسالة الهجرة الحقيقية، كدور ثقافي نتشارك فيه بناء الهوية وتشيد الثقافة، عبر سياقات وانساق مختلفة ومتنوعة، ببعدها الحيوي والتموي.

يلجأ البعض من الباحثين إلى استوارد مصطلح سياسة الهوية او سياسة الهجرة او جمعهما مع بعض في التعامل ببدأ الاندماج دون ادراك انه عملية قسرية في الاخير، فهل نحن بحاجة الى سياسة الهوية؟ وهل المجتمعات المستقبلية بضرورة الى ذلك؟، يحاول ايغلتنون تقديم اشارة تحليلية الى ذلك بقوله: "ان مفارقة سياسة الهوية ان المرء بحاجة الى هوية لكي يشعر بانه حر في التخلص منها، والشئ الوحيد الاسوأ من ان يكون للمرء هوية هو الا تكون له هوية على

¹ بيكو باريك، المرجع السابق، ص49.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الاطلاق ولكن ما هو مرفوض اكثر هو الا يكون في اي من الحالتين، سياسات الهوية شان جميع السياسات الراديكالية هي نافية لذاتها... ان اكثر سياسات الهوية عقما هي تلك التي تزعم ان ثمة هوية تامة النضج تقمع هويات اخرى¹.

التأكيد على الهوية المكتملة كنموذج للاحتذاء به ضرب غير واقعي وليس منطقي وهو اسلوب النفي والاقصاء والتهميش كما ان سياسات الهوية دائما في علاقتها بالمهاجرين كمثال تلغي حيوية مصادر الاختلاف والتنوع كما اننا نقع في فخ اللامساواة وغياب العدالة في ذلك كحق مضمون للتنوع الثقافي ككل، هذا البعد الذي نهمشه كثيرا. وسعت تجربة المجتمع الامريكي في تعامله مع الاعراق باتجاه العدالة اكثر من المساواة، لكن تبقى تجربة متقدمة عنا نحن الشعوب المهاجرة الى اوربا عموما التي تجه نحو مبدأ المساواة مثل: كندا، -وسنرى في تجارب متقدمة في الفصل الرابع-.

كنا قد حاولنا بسط قضية الهوية والثقافة وما لحق بها من قضايا ونظريات وابعاد، كما انه على المستوى الهوية الاجتماعية اقر " نوراييل" من خلال مراقبته لبعض التجارب الهجرية خاصة الجزائريين بفرنسا والاعتماد على تفاسير عبد المالك صياد وتطوير جانب منها، اذ تفيد كلا من " ازدواجية مزمنة" او "ازدواجية عابرة" كنه الاصطلاح الذي اخذ على عاتقه مسألة التدامج التطويعي في شقيه: " النحن التطويعية" و"والنحن الجماعية"، ارتكز هذا التفسير على تحليل وضعيات سياسة الهجرة والاندماج ونقد الهوية الجوهرية والتعمق في اساليب الجماعية التي ينتهجها المهاجرون، كما انه اعطى اعتبار لتلك اللحظة التي يشعر المهاجرون فيها بانهم خانوا مجتمعهم او ثقافتهم او هويتهم الشخصية والتي سماها " القطيعة البدئية" وان كانت هذه الحالة بالنسبة "للحراق" قد بدأت مبكرا في مسقط رأسه بعرض البحر، يقر "نوراييل" ان الجيل الاول، الثاني في مسارات الهجرة المكثفة والمشاركة قد عبر عن هذا في حين الجيل الثالث ميال الى التجدد في الحياة.

"...يعرف المهاجر القادم من وسط جماعاتي الى عالم " تطويعي" قطيعة كبرى ولانه يتعرض للوصم يتوجب عليه ان يتعرف عبر استراتيجيات هوياتية تجمع غالبا بين التمرد مع الامتثال، الادائية مع الانطواء على الذات،...دخول عالم تدامج تطويعي... تتمكن بنات الجيل الثاني غالبا بدعم من امهاتهن من ادارة الانفصال التدريجي عن الشرنقة الاسرية واجراء القطيعة..."¹

¹ تييري ايغلون، المرجع السابق، ص89.

¹ كلود دوبار، ازمة الهويات، تفسير تحول، ترجمة، ردة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص ص 331، 333.

يحاول "نورايل" توضيح هذه التحولات والتغيرات بين العملية التطوعية والجمعية ضاربا مثلا بادوار الاناث والعلاقات الاجتماعية لابناء المهاجرين من الجيل الثاني في اطار اسلوب حياة تطوعي تؤمن فيه بشريك الحياة وليس مجرد زوج وتحقق ذاتها دون اية ازدواجية مزمنة بل عابرة وغير خانقة، لذلك يرتكز على الازمة الهوية التي ترافق مسار الوجود ويفرق بين الازمة CRISE وازمة crise هذه الظاهرة التي تكون بسبب المعايير الجماعية المثبطة أكثر، وما بين الخبرة التطوعية الشخصية مع مجريات الحياة، لذلك يعتبر فرقا جوهريا بين ازدواجية مزمنة او متزامنة ويفسح المجال للمبادرة الشخصية، في مخطط ناتج التبادل بين لاسرة التقليدية والاسرة الجديدة، بين ادوار المرأة القديمة والحديثة بين الهيمنة البطيريركية والنزوع النسوي الانثوي والنجاح الشخصي واعتاقهن في حياة حضرية مفتوحة الاحتمالات فلم تعد النسوة تشكلن جوهر البيت بل ايضا جوهر لذواتهن، التي خلاصها بقوله "الهوية التأملية" يلخص حقوق الافراد وامل الاجتماع وليس الجمعنة المثبطة لعزيمة الفرد.

هذه ليست هوية شخصية انطوائية بل ذات متحركة في عوالم ثقافية ترحح كل من توهم انه ثابت او متسلط، لا نريد بذلك ان تكون السوسيولوجيا حبيسة التصور الجماعاتي ولا الانوي المنفرد، بل اقتصاد هوياتي تطوعي، ففي الهجرة ومجالها ليست سوى عملية انعكاسية ومراجعة استبطانية للعمق الثقافي والاجتماعي الذي نعيشه ككل، يقترح "فرانسوا سنغلي" منطقا عمليا لهذا: "اننا نستطيع تقديم رد ايجابي على هذا السؤال لكن بشرط، التقدم في توضيح ما هي هذه "النحن التطوعية" والفارق بينها وبين "النحن الجماعية"¹.

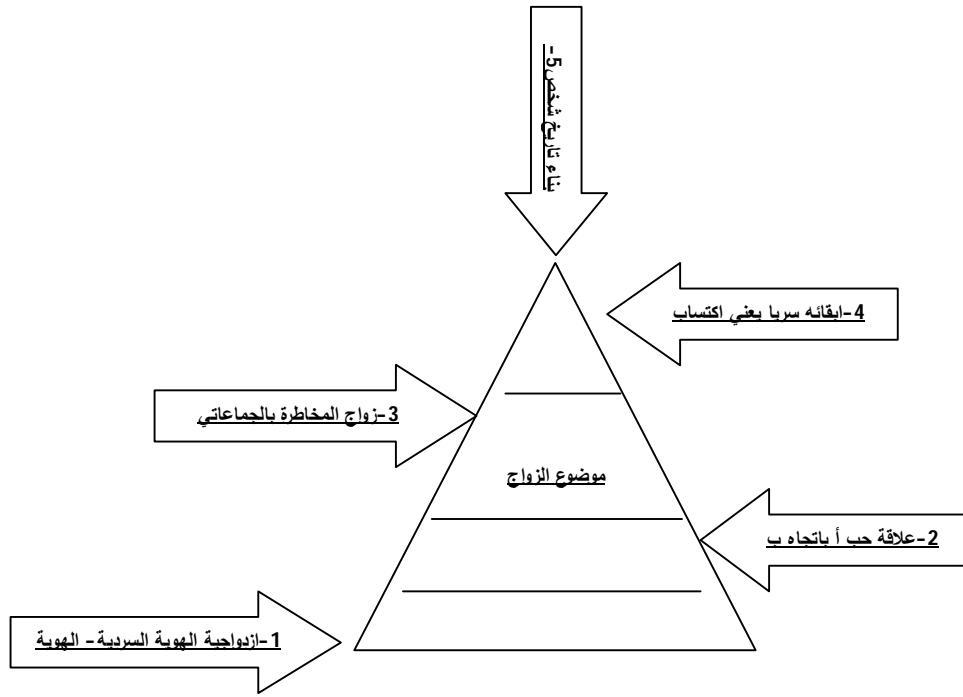
اذا يكون الرابط التطوعي اكثر استقلالية ومدعوما بالمساواة والعدل، حيث يكون الانطلاق من الداخل الى الخارج ومن الخارج الى الداخل في علاقة تفاعلية تبادلية بين الذات والمجتمع، مثلما اقر "هربرت ميد"، الرابط التطوعي مرن مرونة التشكيلات نفسها واقل هشاشة وقابل للتجدد من افينة الى الاخرى بحيث يخصب التنوع اكثر، فالهجرة لا تعكس المعتقدات والقيم والمعايير المتصارعة، بل أيضا الخبرة والتجربة التي تكشف سعينا لقيم التشارك والتعايش بشكل يومي بسيط ومعقد في اشكاله، يعزز هذا ايضا جون دانيل رينو JEAN DANIEL REYNOUD بقوله: "يتشكل الفاعلون بوصفهم افراد عبر النشاط الجماعي والتفاوض على قواعده، انها نشاطات جماعية تزداد تنوعا وتخلط العام بالخاص"¹.

¹ المرجع نفسه، ص338.

¹ المرجع نفسه، ص340.

مثال يوضح ذلك - الشكل من اجتهاد الطالب - رقم (02):

النتائج المتبادل المحض للفاعلين يعرفان بهويتها الشخصية (02):



4- أبعاد ديناميكية التنوع الثقافي

علينا الانتباه مما سبق على ان الابعاد الثقافية مقولة ليست جوفاء او مجرد ابدال لثقافة ذاتها بل هي معاينة معاصرة لحجم التوسعات الشاسعة في فضاء الثقافة ومجال الهجرة (الفعل الثقافي وابعاده)، بالخصوص هذا المجال الذي يعمل على مولدات الاختلاف ودعم المساهمات الثقافية والاجتماعية المتنوعة تاخذ في الحسبان البعد والانعكاس في مראيات الذوات والثقافات والسلوكات اليومية، التي توضح العملية الدينامكية، بحيث تفتح على البعد الثالث فما اكثر وليس الانتصار لاحد الاقطاب او الجهات، كما نقدم نقد اجتماعيا وثقافيا الذي مفاده: ان النمو

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

والتطور والتقدم للتنوع لا يسير في شكل الاتصال الخطي بل حركة لولبية دائرية تكشف عن التوسع الأفقي للتنوع فهي تحمي مصادر الاختلاف في الأخير.

يسعى "فليب البرسون" وفريق من الباحثين مثل : "تشوك دايك وكلاريك دايك" الى تبني والدفاع عن الهويات كما قلنا في مجموعها وابعادها الدينامكية للتنوع في معالجة قيمة لعلاقة الهوية والثقافة والمجتمع وهو توجه جديد ومعاصر يحظى بالترقب لما ينجز وما يحويه من ظواهر عدة: " التنوع الحقيقي مسألة عدد وتوزيع الابعاد ذات الصلة من الناحية الدينامكية داخل مجموعة سكان او كل اجتماعي...انه في اي موقع اجتماعي نموذجي سوف يميل الافراد الى ان يكونوا قابلين للتغيير على اساس هذه الابعاد، وان هذه الانساق الاجتماعية تتنوع على نحو قابل للتغيير والمتعة تحدث عندما نرى امكانية التغيير للابعاد والتنوع المتغير متفاعلين دينامكيا"¹.

ابرز كلا من العالمين تشوك وكلاريك اهمية الروح الدينامكية للتنوع التي تعنى بمولدات الاختلاف وتجسدها على ارضية الواقع الاجتماعي في كل كتضافر عبر ابعاد تمس الهوية والمجال الثقافي، فهناك تعدد في ابعاد التنوع، فالطبقة والجنس والجنس والتشئة الاجتماعية والمصادر الثقافية والعلاقات الاجتماعية المجسدة لهذا هي بمثابة تشابك الانواع Multifarious اكثر من كونها تنوع عام Diversity ، كما ان انماط التنوع والتشكل يتمان من خلال مساهمة الافراد والانساق الاجتماعية والسياقات الثقافية والسلوكية لذلك فالابعاد هنا تساهم في التنوع وتستفيد من حضوره بالمجتمع وما بين الافراد، يبرز من خلال ذلك اهمية التواصل من حيث تفعيل الاختلاف وحسن اعادة توزيعه وتقدير موازين سلطته والاعتراف بالكل المساهم في ذلك داخل حيز بسيط او مركب هنا او عابر تكون الاساليب التفاعلية ومحصلاته اهم من اي مورد بذاته، لا يهمل الجزء ولا يعول فيه على الكل يكون المزج والاختلاط سمته.

ان الاحياء السكنية للمهاجرين ما بين الهويات او تلك الممارسات والانشطة المختلفة عن الانظار او الشخصية مع العرب وغير العرب افارقة وغيرهم، هم يشكلون نسيجا اجتماعيا متنوعا سمته الهجرة، وان كان كل فرع يحاول اعادة صياغة ذاته حسب التموثق بالبعد الثقافي القادم منه واعادة توزيعه هوياتيا او ثقافيا الا انهم في الأخير يتفاعلون فيما بينهم في العمل والنادي الرياضي وباقي المساحات والحقول الاجتماعية مشكلين بذلك ابعاد وتقاطعات جديدة

¹ تشوك دايك وكلاريك دايك، الهويات الابعاد الدينامكية للتنوع، من كتاب فليب البرسون، التنوع والمجتمع، المرجع السابق، ص101.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

فيما بينهم لغويا وجنسيا وعلائقيا يكون التواصل الاداة الجيدة كما انه يعبر على ان الثقافة منتج مهم في تداوله بينهم اكثر من كونه انتماء او هوية بذاتها، عملية الخلق والابداع التي يبتكرونها فيما بينهم توحى باهمية الفورية والانوية في التواصل، هذا التواصل الذي سيكون ممتدا على الابعاد وقيمة جوهرية للتنوع ودفع وتيرته الدينامكية: " حسب منظر علوم الاتصال باتيسون في الانثروبولوجيا و غوفمان في علم الاجتماع و فاتسلافيك في علم النفس فان الانسان لا يفعل وانما يتفاعل ولا يتفاعل مع عمل ولكن مع تفاعل الاخر وسلسلة هذه التفاعلات هي التشكيل للرابط الاجتماعي... فضلا على كون الوجود الانساني ثري فهو غني بانماط التواصل"¹.

وان كنت لا احبذ النمط في التواصل بذاته الا بقدر ما يعتمد على الابعاد وزيادة منعكسها بكافة الاطراف والالوان، -عوض نمط احادي والرابط الاجتماعي- من خلال رابط بعينه بل يفضل الاعتناء بالقيمة والامكانية الطوعية في كل ذلك، تكون دلالة على الاستيعاب الثقافي اكثر من كونه اسلوب ميكانيكي، فنحن نشير في الاخير الى التنوع الدينامكي.

ان الابعاد الثقافية في سلسلة الهجرة ومسارها تعبر عن حقيقة الترحال للانسان المعاصر و حقل التفاعلات وابعاده ثري بدرجة التوسع ليشمل كل اعضاء الحقول المجاورة والمتاخمة له، ان حالة العبورة تعبر عن هذا البعد، هذه الابعاد الثقافية لا تكون كلية اجتماعية Holist ولا نفسي منحصر، بل هو تفاعل عبر انماط متعددة تكون مصبوغة بالتواصل واكثر تغيرا، يضرب في ذلك "سويبو" مثلا عن "القانون" وكم هو مسالة مهمة من التحليل خاصة في سوسيولوجيا الهجرة وكيف يتلون بابعاد الثقافة والحاجة الماسة الى التعامل مع التنوع الثقافي:

" يستوجب التشجيع الذي يكون فيه القانون مجال تاويل يدلي كل فيه بدلوه، ولان ذلك وحده من شأنه ان يسمح للانسانية في تنوعها اللامتاهي ان تتوصل الى الاتفاق على القيم التي تجمع بين افرادها وهذا السبيل يفترض ان تعديل دول الشمال عن اللجوء دائما وفي كل مكان الى فرض تصوراتنا الخاصة وان تتخرط في مدارس الاخرين حول عمل مشترك يهتم بالتساؤل للانسان عن ذاته"¹.

هذا البعد القانوني الانثروبولوجي للانسان وثقافته يعبر عن قيمته من خلال مسارات الهجرة وفي التعامل معها، على الصعيد المحصور للدراسة، ونستطيع تعميم وتوسيع ذلك البعد

¹ آلان سويبو، الانسان القانوني، بحث في وظيفة القانون الانثروبولوجية، ترجمة عادل بن نصر، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2012، ص 224.

¹ آلان سويبو، المرجع السابق، ص356.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

القانوني لادراك القيمة الانحرافية الثقافية لديه كبعد ثقافي وليس مجرد مواد دستورية او لوائح تنظيمية، فهو في الاخير منعكس ثقافي، قد يكون في حالة الهجرة اكثر تحيزا لقيمة علمانية او قومية ويفشل عن التعبير عن البعد الانساني للانسان ذاته كمشارك ومهمة واحدة في الاخير، لانه محل الاتفاق والجمع لهذا التنوع والابعاد والذي يعوزه دوما المرونة والتفتح.

يعترف المدخل الديناميكي بمواقع هذه الثقافة في التفاعل لذلك ينتقل مباشرة الى ايعاز التدخلات المتضافرة بوصفها مرتكزات الابعاد الثقافية وتقويتها وتجنب فحاح عدم الاتفاق والخلافية التي تبرزها الى السطح دوما تلك الهويات المتصابة او النزعة العنصرية او اي ايدولوجية قومية لان: "الهوية حسب رؤيتنا الدينامكية هي مسألة طارئة بمعنى علينا فهمها وفقا لتاريخها وموقعها، هناك حدود مكانية وزمانية للدرجة التي تجعل فيها الذات الهوية ثابتتين، وهي تتغير مع الزمن والبيئة المحيطة، لذلك فالذوات والهويات ليستا امرا فطريا، فلا احد يولد ولديه اما ذات او هوية فهما تظهران للوجود بالتفاعل في الواقع"¹.

هذا النص يلخص حركة الهوية ومعناها الحقيقي من خلال التفاعل بين حلقتي الفعل والتنموقع والتشكل النهائي لهذه الحلقة في الوجود الاجتماعي، ان الحديث عن هوية المهاجر في راي يولد من التوقع والصيغ الحمائية (كالجمارك) ولا يسمح بالتحليل بالنفوذ كما انه يصيبنا بالكسل والقاء الاحكام فورا بانه صراع مزدوج وتمزقات حادة او التوقف مدة من الزمن في نطاق الثوابت، المهاجر ليس يحمل ثقافته ويتدرع بهويته، هو يتأملها لحظة اخراجها، ذات الامر في المقابل الالمانى او الاوروبى او الفرنسى او القومى او الوطنى ، انها لحظات تأملية بيدي فيها اكثر من طرف مقدرته على قيادة وتنفيذ الاتفاق فيما بينهم.

ان المهاجر يشكل هويته وينطق بها ويفعلها ويخرجها الى الوجود في اللحظة ذاتها التي يفعل مقابليه ذات الامر، فقط اضيف اليه صفة المهاجر، او الغريب او الاجنبي لا يكون وصما بذاته، بل بالعكس فاحص وكاشف بتعبير " زيمل وشوتز" انها امكانية ومقدرة على حسب استراتيجيات بناء واقعيته ويوميته، فهو يعترف بالتغير وقت تمديد هذه الهوية ومصادرنا خارج الضفاف ومتى يقلصها استراتيجيا لصالحه، فان ظهر هذا للبعض انه تمزق واغتراب مزدوج نكون بذلك قد لغينا القيمة الدينامكية وتولد ابعاد اخرى، انها حالة عبور وقتي وحسب يعيد المهاجر فيها ترتيب بيته، بالطريقة نفسها التي يقوم بها رئيس حكومة او حزب ترتيب انجذته

¹ تشوك دايك وكلارك دايك، الهويات الابعاد الدينامكية للتنوع، من كتاب فليب البرسون، التنوع والمجتمع، المرجع السابق، ص 103.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

السياسية تجاه الاسلام والمسلمين، فحاجته الى الخطر تجعله يزيد من ذلك لرفع الاقتراع او تخفيض تلك الحدة والمناداة بالخطاب التشاركي والتعاوني لتهدئة وضمان الامن والاستثمار الخارجي والمقدرة الاقتصادية والحاجة الماسة الى البعد الديموغرافي والالية الولودة لهذه الفئة(الخصوبة ورفع معدلات الولادات).

حسب الهجرة المسجلة للمهاجرين اناث وذكور ومن كافة الاعراق والشعوب، نلاحظ امكانية تشكّل ثقافي هوياتي مختلف، ليصبح المعنى بالجمع هويات وثقافات، انه المدخل الديناميكي.

فتكون المرأة المسلمة المحجبة عبر جسدها لا تشكل الكل الهوي الاسلامي ومرجعيتها(مسلمات ايزيديات ايرانيات سنة شيعة دروز...)، كما انها لا تقع ضحية السلطة الذكورية والابوية بالاطلاق، فهي في الوقت ذاته تشكل سمة من سمات المهاجرين المسلمات قد لا نراها الا في لحظات ارتقاء خطاب شعبي او يميني متطرف او في حالات الهيمنة البطيريركية المختزلة لوجودها وحضورها التفاعلي، دون ادراك منا الى الحراك النسوي والابعد المسجلة ثقافيا وهوياتيا من خلال اختراقها لعالم السياسة والهوية السياسية واصبحت مكونا لمحاميات (المحامية الجزائرية من عنابة¹) و رئيسة حزب (حزب الخضر لالمانيا)، ويدافع عن المرأة الالمانية وليس العربية والمسلمة وحسب.

ان المشهد السياسي والاقتصادي والتربوي تغرّ بحيث اطروحة الاعتماد على اعادة الانتاج لم تعد ذاتها لان مصادر الدوكسا والهابيتوس والحقول اخترقت من شتى الثقافات، وهذا ما يوجهنا الى تبني اطروحة التنوع الحيوي وفعاليتها.

"ان الالتزامات المتماثلة لابعاد الهوية في لحظة ما تأتي..، سوف يتم اختيار التحالفات والولاءات بطرق مختلفة"².

ادفع بالموضوع اكثر نحو القيمة الدينامكية للتنوع من خلال ابعاد الثقافة وتشكّل الهوية المرئية والغير المرئية، لأتوجه بعمق نحو فهم تقاطعات وتداخلات ما بين الطبقة والجنس والعرق والانتماء، ليس كرجبة وحسب بل لادراك البناء الواقعي للاجتماع الانساني اليوم، فذواتنا اصبحت تتشكل من خلاله، نحن لم نعد مأسورين في قوالب مسبقة جاهزة، فنحن نتشكل بابعاد مختلفة وبطرق تكتيكية متعددة حتى داخل النسيج الاجتماعي الذي يظهر على انه منسجم.

¹ <https://youtu.be/q402019aXoc> المحامية دارين زراري

² تشوك دايك وكلارك دايك، المرجع السابق، ص103

إن المهاجرون العرب قادمون من شتى الدول والاتجاهات نحو المانيا هل يظهرون بهذا الانسجام القومي او العرقي او الديني؟ ام ذابوا كلية في العلمانية والقومية الالمانية من بعد الهجرة وطول الإقامة؟، تراهم يجتمعون ويبتهجون لرؤية من يتحدث لغتهم او من يفهم عليهم لكن سيخالف الامر لو اتجهنا الى الصلاة بمسجد سني او شيوعي، كما ان العلاقات الشخصية والحميمية ستكشف مدى الفروقات الثقافية الحاصلة حول (الجنس والهوية الجندرية) وستتسع مع الطبقة وسكنى الاحياء بالمهجر، يكون المشهد في الاخير غير مستقر الاقلية والاثنية والعرق، التقاطعات والتدخلات بين كل ما سبق هي الابعاد المسجلة في لحظات التفاعل والاتفاق والاختلاف اكثر من كونها هوية ثابتة او تصنيف طبقي او اثني مستقر بحاله.

تلعب الجغرافيا دورها في المانيا في تعزيز قيم التنوع والتعايش الثقافي ، بحيث حدد اكثر من مبحوث هذه القيمة،

" نتاع الغرب ما شي كي شرق" ¹ " العنصرية في الشرق الالمانى بزاف" ².

والمانيا الشمالية "هامبورغ" و"دوسلدورف" تختلف عن باقي المانيا عموما، هي اقرب الى الغرب وجنوبها يختلف ايضا، الجغرافية توضح جغرافيا ثقافية ولغوية مختلفة عموما كما ان المانيا غير معتنية بالحدود كشيء ثابت هي دائمة البحث عن التوسع في حدودها لذلك تركز على القومية والعرق الآري وهذا سبب تخوف جيرانها منها عكس فرنسا تولى عناية فائقة بالحدود الجغرافي وتوسيعها وتثبيتها ذات الامر بالنسبة لسويسرا وايطاليا، (أنظرالفصل الرابع).

" التنوع الثقافي في اوروبا الغربية عاد مرة اخرى في شكل حدث من كره الاجانب والمهاجرين ...المدن الاشهر استقبالا في اوروبا مثل: كولن، هامبورغ، شتوتغارت، فرانكفورت، ميونخ و التي يشكل الاتراك البولنديين الاوكرانيين الفلبينيين، الطوغو والفيتنام والهند اغلبهم... انتقلت في العموم القضية من كره الاجانب المهاجرين (Hetrogenrous) نحو مقارنة تيار تنموي مقترح عكسي لثقافة الانسجام (Cultural Homynization)" ³.

نقترب اكثر عمقا من خلال حراك الهجرة والتنوع الى قيمة المساواة و طبيعة التنوع والاختلاف التي ترفض ان تسوى، ان قيمة المساواة امر ضروري في التنوع للحفاظ على امكانية المبادرة والتطوع في المساهمات الاجتماعية والثقافية، ودرء اي تعارض او اختزال في بناء الاشكال

¹ المبحوث الاول 01 .

² المبحوث رقم 09،01.

³ THOMAS FAIS , cultural diversity and social inequalities. Social reaserche. Vol 77. N 01 spring.2010. p297.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الاجتماعية ومضامينها الثقافية، فالعمل على الانسجام الثقافي هو القيمة التتموية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ف: "علاقة التنوع والمساواة هي اكثر من علاقة بين متغيرين.... فمسألة تهميش الاجانب او كرههم هي متعلقة بالمعايير... مقاربات التنوع يمكن ان ترى بشكل مركز في انبثاق اشكال جديدة من المسميات: العابر للجنسيات، العابر للقوميات...، فالفضاء الاجتماعي ليس بشكل منفرد مع التفاعلات الشبكية المنظمة والجماعات المؤطرة وطنيا، بل عابرا ما بين العائلات والاصدقاء والاعمال والاقارب والمشاركة السياسية والتبادل الثقافي"¹.

تتخذ الابعاد الثقافية حيزها من التنوع الدينامي وتعمد عليه في شكل متبادل يشكّل الحراك الاجتماعي، يكون أقرب إلى البحث بهذا الشكل عن اسباب اللامساواة من ابسط دلالة الجسد أو الجنس للنوع البشري وادواره المجندرة انطلقا الى الكيانات الاجتماعية باحثين عن الانقسامات والتصنيفات الطبقية وغيرها، كلها مترامية الاطراف تستدعي تحليلا منهجيا يركز على الابعاد والعوامل في شكل تقاطعات متعدد ومتداخلة، لانه الوجه الاجتماعي والثقافي البارز في الهجرة، يذكر عالم الاناسة "براين هايدن": "هناك عوامل اخرى تطورت عبر التاريخ لتوسع من دائرة اللامساواة وهو بحث ركز عليه ماركس وجون ستوارت ميل وفريدريك انجلز، فكل البشر يولدون متساون وان العوامل البيولوجية والعنصرية غير كافية لتفسير اللامساواة. فالنخب استخدمت عوامل اخرى من الوسائل التقنية والاقتصادية لخلق اللامساواة"². يكون الاختلاف والتنوع سمة جوهرية وحقيقة للانسان والمجتمعات والثقافات التي تبحث عن مناخها لتبتكر اكثر وتتوسع اكثر معتمدة على حقها في المساواة دون اللجوء الى تسويتها عنوة، التنوع جوهر واللامساواة اسلوب ابتدعه الحاجة السياسية او الاقتصادية لبسط سيطرتها، اذا ما قرنت المساواة والتنوع مع بعض نكون قد حافظنا قدر الامكان على مصادر المجتمع الانساني المشترك واذا ما انصتنا للامساواة نكون بذلك ندمر هذه الخاصية الانسانية.

تتشابك العلاقات فيما بين الجنس والطبقة والوضعية العائلية والمعايير الفردية والاجتماعية والسن والعرق في المهجر من كونها مصدر غنى او سبب صراع ونزاع، والاصل هو ان "الانثروبولوجين يستخدمون مصطلح اللامساواة لاجل توضيح ان المجتمع منقسم الى فرق وخلافات على السلطة والثروة ما بين العائلات والاهالي... ووجدوا ان اللامساواة الاجتماعية مؤسسة على السن والجنس والمعرفة والطقوس... مجتمع المساواة هو مجتمع يتشارك بوسع ولا

¹Ibid ,pp 298.299.

² BRIAN HAYDEN : Naissance de l'inégalité, l'invention de la hiérarchie. Editions cnrs.paris. p p 11.12.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

يراعي اهمية للملكية الخاصة، اللامساواة تتأسس من خلال السن والجنس والوضعية العائلية والمعايير الفردية¹.

المشكلة التي تقف حجرة عثرة امام التنوع ليس في الجنس والطبقة والعرق بحد ذاته، وانما بمدى ارتباطه بالاكراه و السيطرة والتسلط، والتي تقضي الى ابراز اللامساواة، مثلما تكون العلاقة بين الذكور والاناث لا تراعي بعدا بيولوجيا بحذافره بقدر النزاع حول السلطة والتي لا تريد ونها ان تقع لعبة في يد الاناث، فيفقدون رمزية فحولتهم وتراجع بسط نفوذهم الذكوري، ذات الحال بالنسبة للطبقة التي تدعم اركانها، ووسائل القوة وذات الامر بالنسبة للعرق و القوميات، ان فهم مسألة المساواة مهمة في اعادة توزيع التنوع الثقافي ودينامكيته ومحاولة جادة في ضمان امكاناته الحيوية بين الافراد والجماعات الانسانية المختلفة.

" ان المجالات التفاعلية التي تتشكل فيها الذوات والهويات بحيث تتمايز سوف تكون هذه الذوات والهويات ايضا متمايزة على نحو طارئ، فالذات والهوية تتغيران ليس فقط عبر الزمن ولكن بفعل كل شيء بتغيير من حولها ويمكننا ان نتوقع من هذا ان الذوات والهويات سوف تتوزع، فيما سوف نراه في الوقت الحاضر ليكون لباحثيه نموذج جزئي (Fractal patern)².

خلاصة:

هناك قواسم مشتركة ومتباعدة في مفهوم وموضوعة الثقافة، فتارة نشهد اتفاقا ما حول ظاهرة ما في تخصص التاريخ وعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، واحيانا اخرى يصبح المفهوم اكثر حساسية بين الخصوصية والعالمية وبين العام والنخبوي، وهنا قلب كل صياغة مفهومية للاستعمال والتداول، ان موضوعة الثقافة اليوم اقرب الى بينية وتداخل العلوم منها الى التخصصية وهذا للتعود على توليفية تتجاوب مع العابر الثقافي، وبالرغم من هذا ما زالت تتطلب اضافة تعالج القصور المفاهيمي وتغذي الجدل الثقافي فنهاية المفهوم دليل على ان هناك مشكلة ما او بتر للمعنى، لان الثقافة عبارة عن كسر رياضي يقام عليه كلية المواضيع وجزئيتها.

¹ Ibid. pp 14 . 15.

² تشوك دايك وكلارك دايك، المرجع السابق، ص103.

الفصل الثالث: سوسولوجيا الثقافة والبعد الثالث

تمهيد:

نتجه بهذا صوب معالجة اشكالية محورية في السوسولوجيا عموما والثقافية بالخصوص، تلك الجدلات التي قسمت الفرقاء من الباحثين الاجتماعيين بين النزعة الفردانية المنهجية وبين تعظيم حتمية الكلية الاجتماعية، فبرجعنا نحو الاطروحات الكلاسيكية الاولى نقرب من معرفة التطورات اللاحقة لحقل السوسولوجيا والعلوم الاجتماعية، كما نتفحص في ثناياها المعالجة الثقافية تلك التقاطعات بين السوسولوجيين والانثروبولوجيين امام موضوعة الثقافة، كما انه يفيدنا كثيرا في شحذ الادلة والبراهين التي استخدمت في تحليل ظاهرة الهجرة.

1- الذات والموضوع في السوسولوجيا الألمانية

لقد كان للتراث الالمانى والفرنسي الاثر الذي لا ننكره كمدارس ومناهج ونظريات وحقول ابستمولوجية، على باقي الدراسات والبحوث والمدارس الاخرى سواء في المدارس الامريكية(علم الاجتماع، علم النفس، علم الاتصال) او حتى الدراسات الثقافية(مدرسة برمنغهام) والنقدية فيما بعد(الثقافة الشعبية، الجماهيرية)، بالاضافة الى اهم شيء بالبحث هو تقريب كل هذا في ظاهرة الهجرة وكيف عمد الباحثون الى استخلاص اتجاه بحثي بعينه سواء بالصبغة الكلية البنيوية او الوظيفية في اعتبار الهجرة والاندماج عملية لصيقة وكاسحة لافراد لاجل المجتمع ككل او تلك التي صوبت اتجاهها نحو الذاتية والنفسية.

المعالجة هذه سبقنا إليها اعمدة السوسولوجيا الكلاسيكية مثل: زيمل وفيبر ودوركايم ومن بعدهم أيضا، إلى أن تمت معالجة هذه الثنوية في السوسولوجيا نحو بروز نداء البعد الثالث ليس في مزج وانما الاستفادة من هذا التراث والتقدم به نحو ابعاد اخرى مثلما حدث مع "غيدنز".

سيكون الخط المنتظم والتحليل مفروشا على قضية الجندر والهجرة والتنوع وهذا لا يتم فهمه دون ادراك المعالجة الامبريقية السوسولوجية والاطروحات المقدمة لذلك، لا يمكن فهم الاشكال الاجتماعية ومضامينها من غير هذا التعرّيج الضروري على المحاور السوسولوجية الكبرى واثر الفكر الاجتماعي في ذلك، وكيف استدمجت التأثيرات كلها مع بعض.

الثقافة عموما مفهوم سجالي بين السوسولوجيين ومعاني متنافرة منهم من يراها اسلوب حياة ومنهم من يراها سلوك ومنهم من يخذلها في المؤلفات والارشيف الثقافي للنخبة والابرز بجعلها

ثقافة مجتمعية بين ثقافتين مختلفتين، لم تكن لتسعى الجهود السوسولوجية في بواكرها الى الرقبة الواسعة للثقافة خارج حدود المجتمع المحدود.

أ - الذاتية والموضوعية، تراجيديا الثقافة الجسر والباب، جورج زيمل

لزيمل مؤلفات عدة مهمة وان كانت مؤلفاته متنوعة الحقول المعالجة، في الثقافة نعتمد على فلسفة المال او ثقافة المال، وكتاب تراجيديا الثقافة وفي الهجرة: مقالة الاجنبي نص اساس في دراسة الهجرة والرؤية التفاعلية بين الذات والموضع ، الشكل والمضمون:

"يطرح جورج زيمل(1850-1915م) من خلال مؤلفه دلالة المال الثقافية اصر في تناوله مفهوم مأساة الثقافة...حللت الدلالة الثقافية للعملية من كتاب فلسفة المال (1900م)، حيث بين سيمل التناقض الثقافي للمال من حيث مؤسسة اجتماعية تسهم في بروز الفرد في تسوية القيم"¹.

لعل كتابات زيمل المتنوعة والتي شملت كافة البحوث والدراسات والموضوعات جعلها تنتشر في امريكا، وهو كان يعلم ان كتاباته تشهد غفلة في عصره وترحيبا في المستقبل وخارج حدود المانيا بالرغم كونه زيمل لفيبر الا انه امتاز بأسلوبه الخاص وكيف يقتني موضوعات البحث ويكسب بجدارة عمق التحلي وسعة افق التنظير، فلقد جعل موضوع المال وحدة التحليل السوسولوجي الثقافي، لا وبل عماد النظرية الثقافية الزيميلية، فالمال والمؤسسة الاجتماعية والقيم اسهما في بروز الفرد وبدوره شكل هذا التنظيم لتكون تلك العلاقة التفاعلية واضحة بين الذاتي والموضوعي واجاب عن سؤال مهم، كيف اسهم المال في تكوين ثقافة المجتمعات الحديثة؟، مشيرا الى مفاهيم ثلاث: المسافة، الايقاع والتناظر:

"يبرز مفهوم مأساة الثقافة تناقضا آخر، التناقض المأساوي بين الحياة والاشكال...الاهتمام بالتفاعلات وبالاشكال الاجتماعية، ينبغي ان تمر الحياة من خلال اشكال كبرى تعبر عن نفسها، مع ان هذه الاشكال تخنق انطلاقها الابداعي...تتسامى الحياة نفسها وتغترب هكذا في الاشكال الثقافية التي تخلقها بنفسها ويسمح الطلاق بين الثقافة الموضوعية والثقافة الذاتية بالنظر في هذا يتلازم احدهما مع ضمور الاخرى"¹.

المأساة الثقافية -التراجيديا- هنا بشكل عميق بين الضرورة اليها- "ك"مال" او ثقافة المال- وشكلها وبين مضمون الحياة الاوسع والذي يتعسر ادراك كلها، من هذه الضرورة وتكون العلاقة

¹ لوران فلوري، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة نجيب ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2014، ص18

¹ لوران فلوري، المرجع السابق، ص19.

تفاعلية غير صراعية في منطقتي تجاذب يخفي أحدهما الآخر ويبرز بذلك العلاقة بين طبيعة الثقافة كموضوع وطبيعة الفرد وثقافته الذاتية وكلية الحياة في هذا من الأسلوب والسلوك والتمثل فهي: "الطريق الذي ينطلق من الوحدة المغلقة نحو الوحدة المنتشرة مروراً بالانتشار والتعدد، لا يتعلق الأمر بتطور نحو ظاهرة موجودة في بذرة الشخصية كبذرة مهياة فيها كمشروع مثالي"¹. لا يوجد شيء مسبق سالب للارادة الانسانية، كما لا يوجد اشخاص معزولين عن الثقافة، اذن الى اين نتجه؟ انه التفاعل والتشكل للذوات والثقافة من الوحدة الفردية كما وجدت لتكون قابلة للتفاعل والتعرف والتمازج لتنتشر في الاخير وتعود الى البذرة التي تسقيها تلك الثقافة كمحصلة لهذا التواصل والتفاعل بين الذاتي والموضوعي.

فالثقافة ليس تحويلاً جذرياً للذات واعادة قولبتها، بل ان الذات في هذه الحالة تشكل، وكذا نقطة مهمة لا يجب ان تغيب عن نظرنا هي الكيفية التي يتحول فيها الموضوعي الى ذات والذاتي الى موضوعي تلكم هي اساس النظرية الثقافي لزيمل وهو يعالج ايضا تراجميا الثقافة في تلك العلاقة بين تضخم الموضوعي على الذاتي (كتلة المضامين الثقافي) والاشكال الاجتماعية واختبار الافراد في كل هذا.

" ان الثقافة ليست تحويلاً للذات الى موضوع عبر اشكال ... ، الموضوع يتحول الى ذات وهكذا تطوّر الثقافة تعريفها بتوليف الروح الموضوعي، والروح الذاتي...يطور زيمل مفهوماً ديناميكياً عن الثقافة بوصفها انماء ونمو وتحقيقاً للذات من خلال تمثل مضامين الثقافة، عند زيمل ليست الروح بالمعنى الميتافيزيقي بل هو فكر واحد (Geist) هو الفكر الذاتي بالنسبة للنفسانية الفردية، والفكر الموضوعي بالنسبة للانجازات الموضوعية"².

يعتبر في ذلك ان كل تصور حول الطبيعة ليس مطبوعاً في الطبيعة مجرداً بل ثقافة يصنعها الانسان، هذا امر غاية في الاهمية حول الكيفيات المختلفة التي ننظر بها الى الحياة ونستغل مواردها في صناعة اثوابنا الثقافية المختلفة وفي لحظات أو اكثر تفاعلية او تعتمد على التفاعل لتظهر الى السطح، يدعم هذا اتجاهنا في البحث قدما في دينامكية التنوع الثقافي والخروج بعيداً عن المقولات الضيقة التي لا تستوعب حيوية الحياة.

اريد ان اشير هنا الى مسالة غاية في الاهمية هي ان الثقافة عموماً والثقافات الناشئة من خلال التفاعلات تتركز على القيم التواصلية ومحصلتها، كما انني اعول على فهم السيرورة الثقافية

¹ محمد شوقي الزين، الثقافة في الازمنة العجاف، المرجع السابق، ص 493.

² لوران فلوري، المرجع نفسه، ص ص 19، 20.

للحياة الاجتماعية لدى الافراد عموما بين الذاتي والموضوعي والمهاجرين من زاوية التفاعل واساليبهم وكيفياتهم السلوكية.

يعتبر المهاجر او الاجنبي او المغترب اكبر دليل على هذه العملية فاذا كنا نعتبر اجانب على الثقافة، اي الثقافة الموضوعية، فالمهاجر ايضا لديه ثقافته الموضوعية، واذا كان للذات حضورا في المجتمع الالمانى فكذا الذات المهاجر محمولة ومجتثة باحثه عن اراضي ثقافية صالحة لزراعتها، المهاجر هنا حلقة الوصل بين الذوات والمواضيع الثقافية، وهو اللون الذي لا لون له بين الالوان، لكن يساعد نفسه وغيره على ادراك كنه التصور الذاتي والموضوعي عبر رحلته تلك، فكم من غريب واجنبي وسط موضوعية ثقافته وكم من خارج عنها مستوطن تصبح الكلمات الثنائية اكثر استعارة عن وضعيات وليس حقيقة بذاته واضحة الحد بين الذاتي والموضوعي، فقد يكون المريض الالمانى بمستشفى يعامل معاملة مستهجنة ويهمش لسنه او عجزه، في حين يعامل ذلك المهاجر الشاب بلباقة وضيافة وحسن استقبال وما بينهما لا يميز ذلك الاجنبي والغريب والعادي، اذن المهاجر هو الوسيط الكاشف عن مآسة الثقافة فعلا.

لا يمكن الحديث سوسولوجيا عن الاندماج دون امان ثقافي للثقافتين، كما لا يمكن الحديث عن ادماج المهاجرين ونحن نخفي حقيقة التفاعلات والتداخلات بين الذاتي والموضوعي، بين الزائر والضيف والعاير والمرتحل دوما، الادماج مقولة تؤمن بوضوح الحد بين الثقافة المهيمنة دون غيرها وتؤمن بالهرمية والتراتبية في حين الاتصال الثقافي واساليب الحياة تتوسع وتفتح دوما وتحب المنطق الجدلي للتقدم وتنتفي اوجه الاختزالية والصراعية لطرف دون آخر اكان ذاتيا او موضوعيا.

" ان الثقافة تولد من التقاء عنصرين لا يحتويانها الروح الذاتية وابتكارات الفكر الموضوعي.. فلا الذات هي حاملة للثقافة وانما تحمل انطباعات وافكار ولا الفكر الموضوعي هو حامل للثقافة وانما ينطوي على ابتكارات وابداعات تتحدث عن الثقافة عندما يجتمع هذان العنصران في عملية دينامية متبادلة"¹.

هل الثقافة بهذا جسما مجردا مفارقا للذوات والمواضيع؟، لا ليس هذا الاتجاه انها وليدة التفاعل الدينامي بينهما وتتوسع بهما وعبرهما لا يمكن احتوائها او حملها كلية، يعني ذلك جذريا سبب اهمال سوسولوجيا زيمل في البداية، لم تكن لتحمل الموضوع القومي الالمانى على عاتق

¹ لوران فلوري، المرجع السابق، ص 21.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

الأفراد، لم يكن للحجة العلمية أدنى برهان في ذلك بقدر الأسباب السياسية والأيديولوجية والثقافية نفسها التي كانت تحيز للشكل القومي المهيمن، الجو الاجتماعي والمناخ الثقافي المبكر في التنوع بأمريكا جعل علماء مدرسة ومنهجية شيكاغو ويولودون منه الكثير ويستفدون منه وهذا سبب شهرته في فرنسا وأمريكا أكثر من ألمانيا.

يبدو أنه من حيث مسألة الهجرة قد اتضحت الرؤية بين الذين يركزون على الاندماج لأنهم يؤمنون باحتواء الثقافة كلية Holist متناسيين قيمة التفاعل بين الجزئيات الاجتماعية وكيانها وعبر مضامين مدرجة الذات والمواضيع المحينة محليا والعبارة دوليا.

أريد أن أزيح كما أزلت تجارب المهاجرين هذا اللبس، وأجمع بين المنظور الثقافي والمنظور التجريبي أكثر، أن الاندماج اليوم يبتعد بعيدا عن واقع التفاعلات والتواصل والحوارات الثقافية الواعية والغير واعية بين المجموعات والأقليات والاثنيات والثقافة المرسمة والثقافات الفرعية لاتجه نحو التشكل وتفعيل المضامين ورسم أشكال اجتماعية تتماشى وما يفرزونه من تحديات متفاعلة.

مما لا شك فيه أن الثقافتين تتأثر وقت الهجرة وأكثر من ذلك تصبح مقولة الثقافتين مجرد نقطة استدلالية، وفي الواقع هنا أكثر من ثقافتين وأكثر من مجتمع متخيل ومتصور عائم في سلسلة من الرمزيات والتخييلات والتصورات.

يكون دوما الاندماج أو الإدماج قسريا أنه يعبر عن الجوهر الكلي المختزل للآخر، معبأ بالأمنية والضمان من الاختراقات بنزعة شمولية عرقية أو قومية أو عقائدية أو أيديولوجية تهمشية والزج بالأفراد في تصور أكثر شمولية وهيمنة، في حين الحياة اليومية بسيطة من التفاعل والارتجال قريبة من التكامل والاستيعاب والتكيف.

من خلال مسارات الهجرة المتنوعة والعبارة نكتشف أن النسيج الثقافي يتجدد ويعاد تشكيله على حسب مساهمات هؤلاء الأفراد وتبادلاتهم الثقافية إذ يكون المجتمع الألماني مر بتجربة هجرة وافدة وطاردة في آن لكن تجربتهم مع البولنديين ليس هي نفسها مع الأفارقة، تجربتهم مع الصينيين والأمريكيين تختلف، والمهاجرون هم أنفسهم يختلفون، فليس المراد أحكام القبضة على الثقافة فهذه هي أسباب الإزمات والصراعات وإنما الأقرب إلى التعلم في أسلوب الحياة المشكل في بينهم وكثيرا ما يكون بارتجال وعفوي وتلقائي: " أن زيمل يدرك بأن الألماني يتكامل بغيره

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

ويتغذى بنقيضه، فهو كقوة حضارية متجسدة في الأشكال الثقافية... يعنتي بالآخر ويحاوره... هذا المثال فيه استيعاب العناصر البرانية لتدعيم الحواضن الجوانية"¹.

تحاول المضامين الثقافية التاريخية الاختفاء عبر أشكالها الاجتماعية المعاصرة، وهي في الحقيقة مكونها النفسي والاجتماعي والثقافي فردا وجماعات، ان المانيا مثلا لا تستطيع انكار المكون الثقافي النازي لها؟، كما انها لا تمثل كليته اليوم، هذا المكون قد يعاود الظهور ان توفرت له ذات العوامل العنصرية والاقصائية(القومية الرمزية)، في شكل حزب او ممارسات جماعية اوفردية عنيفة او حركات نضالية لوحدة المانيا وحماية العنصر الالمانى، وهذا المكون اليوم يخضع لنقد ذاتي-ذاتي، لاجل احتواء القوة الحضارية الالمانية وامكانها من مقدرة الاحتضان والاستيعاب للغير كما يحدث مع المهاجرين، تكون الحركة الدينامية اذن تفاعلية بين المضامين الثقافية والاشكال الاجتماعية.

" ان اشكال الاجتماع ليست ايدا خالصة النماذج للتفاعل القائم بين الافراد... فكل الظواهر الاجتماعية تحتوي عدد كبير من العناصر الشكلية... فليس هناك صراع خالص في الحياة الاجتماعية مثلما ليس هناك تعاون خالص فالاشكال الخالصة بناءات ذهنية"².

يلخص هذا الكثير من الجدلات السوسيولوجية بين الفرد والمجتمع، الهوية والثقافة، وكل المسائل الاخرى التابعة لها وما برز الى الافق من خلال التعامل مع مسألة الهجرة من توافقات واحتلافات اقضاءات او استوعاب ناجم عن هذه العلاقة، يكاد يكون هنا تصور المجتمع غير موجود فعلا الا في البناء التصويري او التخلي، فالموجود والعملي ليست النماذج القبلية انا الاساليب التفاعلية،": يستبدل جورج زيمل مفهوم المجتمع الواسع بحيث يشمل ما هو بشري لمفهوم الاجتماع(Sociation Vergesllxchaftung) الذي يقصد به الشكل الذي يكتسبه التفاعل القائم بين الافراد... عبر الاشكال والمضامين..."¹، هناك شكل توضيح اقدم فيه تقريبا كل المفاهيم لزيمل، الشكل الذي ادرجته في الوسط تفصيل دقيق وجب مراعاته فليس العلاقة فقط ثنائية بل تعبر عن الفرصة والمكانة التي يفعلها الافراد بغيت التجسد الاجتماعي والحياة الاجتماعية التي لا تتوقف عند طرف ذاتي او موضوعي بل في المرونة التفاعلية بينهما" التشكلى " هذا الذي يضمن مصدرا من التنوعات، هناك نص يقدمه زيمل يعود الى 1909م حول

¹ محمد شوقي الزين، الثقافة في الازمنة العجاف، المرجع السابق، ص 504، 505.

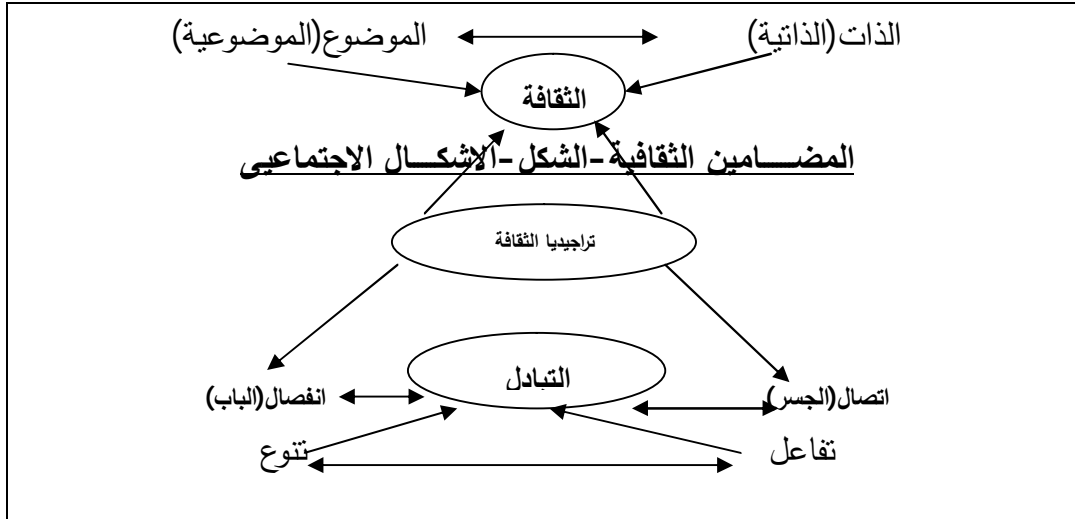
² جورج زيمل، الفرد والمجتمع، المشكلات الانسانية للسوسيولوجيا، ترجمة وتقديم وشرح، حسن احجيج، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2017، ص32.

¹ جورج زيمل، المرجع السابق، ص 27.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

"الجسر والباب" قدم فيه تحليلاً للحيثية الاجتماعية فهو يؤكد على أن: "الحياة الاجتماعية حركة لا تتوقف عن تعديل بعضها البعض، وهذه العلاقات على شاكلة الجسر الذي يربط بين صفتين"¹.

هذا الشكل الذي يلخص النظرية الزيملية للثقافة (من اعداد الطالب): رقم (03)



يلتقي نص الجسر والباب مع نص الاجنبي فهو يعبر عن قنوات التواصل والتفاعل، ما بين المضامين الثقافية والاشكال الاجتماعية، كما ان العلاقات بمثابة الجسور الممتدة للتواصل، وفي ذات الوقت مواقع تتقطع وتتفصل، يجد الفرد نفسه حقيقة داخل الثقافة بهذه الصورة بين الجسر والباب بين الالفة والغربة، فإن الاجنبي قريب من تعبير المهاجر الذي نجد احساسه ، انه لا يعبر عن انفصال كلي او تواصل كلي وما بين الاعتراف والنكران يكون اسلوب الحياة المعتمد العبور مشكلا علاقة وروابط وجسور اخرى، " الناس لا يستطيعون ان يقللوا من الاشكال الاجتماعية... فكل الاشكال عناصر ضرورية لانتاج ثقافة معينة فهي تقدم اطار للروابط الاجتماعية وتحسن الغنى الفردي والجماعي، فهي الاساس الحميم لحياتنا الشخصية، بل كذلك لكامل الحياة في المجتمع"¹.

نبرة الحياة والحيوية الاجتماعية منتهى المقصد الثقافي لدى زيمل يشير الى فهم تلك الموانع وتحفيز تلك الاتجاهات المرنة والسلسة والمستخلصات الاجتماعية داعما الجسم الاجتماعي ككل بالفعل المتبادل الذي تكون فيه التأثيرات الفردية والموجة الاجتماعية مرتكزة على جملة من الدوافع المختلفة كالغرائز والمصالح والدين والعمل والتنظيم واللعب، انها كلية مشتركة بين

¹ فليب كابان، جان فراسوا دورتييه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية، اعلام وتواريخ، ترجمة اياس حسن، دار الفرقد، دمشق سوريا، ط1، 2010، ص ص، 71، 72.

¹ فليب كابان، جان فراسوا دورتييه، المرجع السابق، ص 74.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

المضامين وهذه الاشكال المتحركة بصفة دائمة والافعال التي توحد جملة الافراد بوحدة مجتمعهم.

ان الاشكال الاجتماعية مفهوم محوري وضروري في النظرية السوسولوجية لما يعتمد فيه على المتصل الدائم، كالعائلة وغيرها او تلك الاشكال المبنية مسبقا من التضامن والتقاليد (Formantes) والاشكال التي تكون في اطارها العام او الفضاء العام كالمدرسة والقوانين والتدين وتلكم تصبح هنا تشكيلات مؤكدة (Conformations)، ان الاشكال الاجتماعية ميالة نحو الانفتاح على التشكيلات وبالتالي لها قابلية التنوع والتعدد بالرغم من وحدتها او نمطيتها يقول زيمل: " ان الشكل الاجتماعي هو الموضة، تكشف بشكل افضل...دينامية الاجتماعي في شكل الحياة من بين الاشكال الاخرى كثرة يسمح بان يجتمع في فعل موحد الميل الى المساواة الاجتماعية والميل الى التمايز الفردي اي الى التنوع"¹.

ب: الثقافة لدى ما كس فيبر.

بالرغم من التقارب الزمني بين زيمل وفيبر الا ان هناك اختلاف بين الاطروحة السوسولوجية عموما والثقافية بالخصوص، يركز فيبر سوسولوجيا في تناوله موضوعة الثقافة على ضرورة ازالة المفهوم السحري أو الحالة السحرية عنها واحلال رؤية عقلانية للفعل الاجتماعي، هذا الفعل وحدة السوسولوجيا ومنتهى عمليات تفعيل العقلنة او الفعل المعقلن، لم تكن الدراسات الاقتصادية وربطها بالروح البروستنتانية الا تعبيرا عن هذا، ولقد كانت هناك نظرة محورية ثقافية تعبر عن المركزية الحدائثة الاوروبية باختياره العقلانية والروح الراسمالية.

لا يراعي فيبر اي معنى للثقافة من غير هذه الرؤية فعل -عقلانية-راسمالية: "اما نقد الثقافة (Kulture kritik) والتشاؤم الثقافي (kulture pessimismus) للذات يريان في هذا المسار الغير العقلاني والهدام لهذه الحياة البسيطة، وانفلات فوضوي للدوافع لكنهما يلاحظان ايضا حركة معاكسة خطر معادلة الفروق، خطر سام ناتج عن ازالة طعم تلقائية الحياة ووفرتها"¹.

هناك دلالة أخرى بخصوص الثقافة، نابعة من عمله الاخلاق البروتستنتانية والروح الراسمالية الذي هو سؤال الثقافة من مركزية الحدائثة الغربية في شكلها العقلاني وهذه الدلالة الثقافية مهمة

¹ المرجع نفسه، ص73.

¹ لوران فلوري، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، المرجع السابق، ص17.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

في كشف كيف تآثرت السوسيولوجيا التحليلية لظواهر عديدة من زاوية اعتبار نموذج واحد للعقلنة والباقي لا يشكل تشاركا عقلانيا، بل هو اما سحري او تقليدي.

ان الفهم والاحاطة بالمستوى الفردي والعقلاني هذا داخل العقل الثقافي الاوروبي هو مدلول تاريخي ثقافي وحرآك سوسيولوجي قائم على التفريق بين المجتمعات المتحضرة من دونها، من مركزية اوروبية وهو الذي وفر مساحة اشتغال معاملة الاخر بالدونية والنقص والتخلف، وللإشارة الى هذه العملية سنكشف كيف ان المهاجر بممارساته وسلوكاته سيكشف عن هذا الطرح الذي لم يعد يمت بصلة الى عقلانية احادية بل افعال عقلنة ومتوضعة اكثر وهذا طرح نقدي مفتوح ليس على عملية عقلنة منفردة بل مساهمات عقلانية وثقافية حاول فيها فيبر على مراحل وافترضات تبني الفعل العقلاني.

سؤال الفرضية الاولى 1910م التي تقوم على كون خصوصية العالم الغربي في العقلنة وراح يبحث فيها في كل حقول النشاط الاجتماعي والديني والقانوني والاقتصادي والمدنية والسياسية والفنية: "محاولا تجنب فخ الوقوع في المركزية الاوروبية الاثنية والعرقية، فحاول دراسة الواقع الاجتماعي مستعرضا الرباط الذي يجمع بين سلوك الافراد وبين البنى الاقتصادية والاجتماعية والمؤسسات السياسية و اعتمد موقعا مضادا للتطورية... وكان يشدد على التعددية السببية..."¹. بتقسيمه الثلاثي المعروف لاشكال السلطة العقلانية والتقليدية والكارزمية يوحى هذا بالمقدرة التصنيفية لطبيعة السلطة في المجتمعات الانسانية كما اني ارى انه بالرغم من هذا التمييز والتفصيل الى ان انتصاره للعقلاني على باقي الاشكال الاخرى وبناء النظرية السوسيولوجية يعد ملامسة للمجتمع الاوروبي وبالضبط التكوين الالمانى، العملية متكاملة بين المصدر الروحي او الفكري والثقافي والديني والشكل الاجتماعي او المؤسسات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يكون سلوك الافراد فيه مبينا على اهداف اكثر عقلانية من كونها استغراق في الشكل المادي او الانتماء لطائفة دينية او سياسية ما.

السؤال الثاني: المادية والروحانية تداخل العقلاني واللاعقلاني

"يتجنب فيبر مقولة الصراع وانتصار جانب المادي على الروحي، والروحي على المادي، فهو يرى ان كلاهما يصنع السلوك ويمنحه الشكل والمعنى، فالاديان تنتج عادات

¹ لوران فلوري، ماكس فيبر ، ترجمة، محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص ص، 36، 37.

وطبائع (Ethos) أي انساقا من الحالات تطبع بطابعها وجهة الفعل وهي قادرة على صياغة علاقات اجتماعية في حدود ما تصنع نظام الحياة يشكل بدوره سلوك الفرد الحياتي"¹.

ان الذي يقربنا اكثر من المدلول الثقافي لفيبر، هو عملية التفاعل بين السلوك الفردي والنموذج الانساني او الثقافي والاجتماعي لذلك، اذ يعتمد على مقولة الايثوس فهو يرشدنا الى المعايير والقيم المستبطنة التي لا تسيطر على الفاعل وانما يمارس فعله العاقل لتجسيده في حركة الحياة فالعلاقة بين البنية والوظيفة لا يكون لها معنى دون الفعل المعقلن لهذا الفرد، علاقة داخلية وخارجية تشكل اطراف ثقافة المجتمع الحديث والنموذج الثقافي لدى فيبر.

هذا النموذج الذي يريده اكثر تعميمية ويتعارض نوعا وكما مع ثقافات اخرى، الا ان ما يمكن الاعتناء بها ثقافيا وسوسولوجيا لدى فيبر هو الصيغة التداخلية الامبريقية ما بين العقلاني والغير العقلاني في الفعل نفسه والتي تسمح برؤية المجال الثقافي السلوكي المرن بالحياة الاجتماعية خاصة بين المقدس والمدنس، بين الديني واللا ديني، بين الدين والتدين، كما وسبق وان ادركنا انضمام الجمعات المهاجرة المسلمة بالمهجر الالمانية كجالية تحاول عقلنة فضاء اجتماعها اكثر من كونه منتمية كلية للدين الاسلامي وهو ذات الامر لدى الاحزاب المسيحية او اليمينية تتعامل مع الهجرة وتؤجج الحاجة الدينية لكسب اصوات مثلا لتتركها فيما بعد الاستعمال والقصد في غائية الافعال لم يعني امتثالا كليا وانما طوعية معقلنة أكثر عملية.

" الوجود المتزامن للعقلانية واللاعقلانية داخل المجتمع وفي السلوك الفردي.. ان جزءا اساسيا من الدراسة التاريخية يقوم على رصد انبثاق العقلاني، من صلب اللاعقلاني وعلى تبيان ان اللاعقلاني يشكل مصدر العقلنة"².

نستفيد من هذا ان السلوك الفردي هو حصيلة تظافر وتشكل عوامل مفارقة لطبيعتها بالرغم من ذلك يتشكل الواقع المحمل بالاسس ومعايير، لم تكن لتدل الا على تشابك اهدافها وهو ذات الامر من خلال سلوك الافراد المهاجرين يستمدون من مصدر هويتهم وسلوكهم من الدين ويستبطنون ذلك لاطهار مجد من خلال ممارسات معقلنة وبطرق قانونية لارساء مؤسسة دينية او بناء عائلة مسلمة عن طريق ادراج احدهم للاسلام او ان الدين شرط من شروط التوافق فيظهر ذلك التداخل بين العقلاني واللاعقلاني ليشكل ثقافة .

¹ لوران فلوري، ماكس فيبر، المرجع السابق، ص37

² المرجع نفسه، ص39.

السؤال الثالث: هرمونية الثقافة، الثقافة والموسيقى - فيبر

يتساءل البعض ما وجه الارتباط بين الثقافة والموسيقى؟، وما علاقة كل هذا بالجنس والهجرة والتنوع؟، الاحجية في المدلول الهرموني لها، والاقتراب من التجربة السوسولوجية الموسيقية الالمانية والمكونات الثقافية الممزوجة والتي اكتشف فيبر انها متعددة المشارب الثقافية بالرغم من شيوع النموذج الموسيقي الالمانى كبتهوفن الذي مزج بين الفوائد النمساوية والجرمانية والاوروبية، والاساليب الانثوية والذكورية في التعبير والخلفية الطبقية، فكل مقطع موسيقي مزج بروح ثقافية نمساوية وجرمانية واوربية وطبقة برجوازية، اعتقد ذات المقصد الذي ذهب اليه نوربرت الياس في ثقافة البلاط.

" يشكل التصور الذي يرى بان الثقافة الموسيقية الالمانية هي المسيطرة في عالم الثقافة وان لا شئ يمكن مقارنته مع هذه الموسيقى الالمانية... كان البيانو حتى زمن فيبر آلة موسيقية خاصة بالنساء فهو ضروري بوصفه آلة مصطحبة بالنسبة الى الغناء الذي تلتزم به قبل كل شئ العناصر النسوية من اعضاء الاسرة... ثقافة الاغنية"¹.

الحاجة التعبيرية للثقافة من خلال الآلات او الغناء او الادوار الجنسية في ذلك، او تلك المعايير الطبقية خاصة البرجوازية سيطرة على المجتمع الغربي والاوروبي بالخصوص، حاول فيبر توضيح مسالة متعمقة في علم الصوتيات الموسيقية انها ليست تكويننا اوروبيا او جرمانيا خالصا متجنبنا الهيمنة الاثنية او العرقية للزعة الاورو مركزية للحدثة مراعي التطورات لمسار بروز الاصوات الجديدة، لقد حلل بهذا العمل التعبيرية البرجوازية من الحفلات الموسيقية والاثاث البيوت والقطع الموسيقية والآلات الموسيقية مشيرا الى الطبقة والجنس والثقافة الموسيقية ككل.

ج: نوربرت الياس (NORBERT ELIAS) - الثقافة وسؤال التحضر

اذا كان سؤال فيبر عن المشروعية الحدائثة والعقلانية فإن "الياس" اقترب اكثر من العمليات التاريخية والنفسية والاجتماعية للتحضر الاوروبي ففي مؤلفه عملية التحضر يبرز:

¹ ماكس فيبر، الاسس العقلانية والسوسولوجية للموسيقى، ترجمة حسن صقر، المنظمة العربية للترجمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص ص 43، 45.

"كيف ان العمليات التي تجري على مدى قرون طويلة لتطوير البنية الاجتماعية قد احدث تغيرات في البنية الشخصية والفردية، اذ اكتسب الناس قدرة اكبر على ضبط النفس وصار سلوكهم اكثر تمدنا"¹.

ابرز "الياس" من خلال جهده "الاسطوريغرافي" والتغير والتحديث الذي حدث عبر مؤسسة الدولة كمنجز حدائي تحضري اوروبي وكذلك مراعاته لتلقائية التحديث للعقليات والحظوظ الفردية: "...الظاهرة بين التجانس الاجتماعي ما بين الفرد والمجتمع والدولة، تشير لفضة التحضر الى التغيير وتلقائيته واسسه التنظيمية ايضا، التي تاخذ بعين الاعتبار الانشطة وكبريات النموذج المؤسسي للدولة التحديث للخط الظاهر بين التجانس السوسولوجي للدولة والتجانس النفس-فردى-(La sociologie de l'état et la psychogénese de l'individu)-².

اذا كنا اليوم نتساءل عن الاندماج واليات انتاجه دون فهم هذه العلاقة الحضرية التي نمت وتطور فيها الانسان عبر نمودجه وانشطته التلقائية التاريخية والنفسية والاجتماعية، لا يمكننا بحال من الاحول الخوض في نقاش الدولة والوطن والوطنية والهوية المواطنة لادماج المهاجرين والاعتراف بهم ضمن هذا النطاق الالمانى او الاوروبي دون فهم الاجزاء التحضرية المفصلية لذلك، تكون التجربة مبدئيا على هذا الاساس الحيوي من عملية التحضر الغير متكافئة ما بين الضفتين والثقافتين والمجتمعين وهذا عنصر مهم ان فهمها واستوعبها قللنا من حتمية فشل التكيف.

إن التكوين التاريخي والنفسى والاجتماعي متباين جدا بيننا، عن الذي موجود في المانيا او اوروبا، فطبيعة التكوين الثقافى "البيلدونغ" له اثره في فهم حدود المجال العام والخاص والمسافات الاجتماعية التي تعبر عن قيمة التحضر النفسى والعلائقى والتنظيمى والمؤسساتى التي تتركز بلا شك، أيضا على مفهوم الادوار الجنسية والهوية الجندرية والطبقية والثقافية وعلى درجات التمدن أيضا كون الجاليات يستقرون في المدن والفضاءات الحضرية.

إن فشل برامج ادماج المهاجرين يعزى الى غياب الفهم العملياتي الكلى لسيرورة وطبيعة تكوين وغض الطرف في كل مرحلة تكوينية، لا اريد الرجوع الى جدل الثنائية او التمرکز في علامات التحضر الاوروبي من دونه، وانما مراجعة مشاكل الادماج ودعوة الى العناية بالمساحة الثقافية وتنوع مجرياته السلوكية في الاشكال الاجتماعية والمضامين الثقافية وانماطها الاساسية، يشغل

¹ ميشيل مان، المرجع السابق، 1994، ص 222.

² SOPHIE CHEVALLIER ET JEAN MARIE PRIVAT. Norbert elias vers une science de l'homme. Edition cnrs. Paris.2004. Pp. 121.122

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

التحضر اليوم تحولات وتغيرات تؤثر على عملية التحضر وتتأثر بها¹، وهذا الذي يجعل احد المهاجرين تبني نمط تحضري والافتخار به وكسب ما تمرره رسائل هذا التحضر لذلك يقول عنها "إلياس" عملية تحضر في اشارة الى امكانية التغيير، هذا التغيير الذي يمس الادوار والهويات ككل.

" ان تطور آداب السلوك كما يوضح الياس ما كان ليحدث دون تدجين المحاربين وتحويلهم الى نبلاء في البلاط (La société de cour) الحب والحرب واداب المائدة والسباحة وقواعد النزاعات لم يعد الامر متعلقا فقط بتطبيق قواعد اللباقة وانما الوصول الى الضبط الذاتي لكل واحد (Auto psychogeness et Auto controle) خاصة فيما يتعلق بالاحتكاك الجسد والجنس والعنف"².

اذن مفهومي تلقائية الضبط الذاتي والانسجام التلقائي نفسيا وسلوكيا هما مدلولان اعلم من الاندماج، اذ يركز على البعد الثقافي العملي بينهما من ابسط سلوك اجتماعي وشخصي الى تلك الروابط والعلاقات الاجتماعية ما بين العائلات او الجورة او في العمل التي تعتمد رباطا قوية ومرنا يرتكز على الضبط الذاتي والتلقائي اكثر من كون الثقافة استهلاكية وتكرارية، فالالمان اكانو اناثا او ذكورا فسلوكياتهم اليومية عبر الزمن اليومي ككل ليلا او نهارا في البيت او الحديقة او العمل، سنجد ان هذه ليست مجرد قواعد (Codes) وموارد ثقافية واجتماعية جامدة، بل يسعى الافراد الى الموازنة بين المتطلبات النفسية والاجتماعية مستخلصين الخبرة من التلقائية في التعامل وادراك المسافات العلائقية يقول ادوارت تي هول العالم الاناسي الذي اخذ تجربة مهاجر بالمانيا: "يشعر الالمان بحيزهم الخاص كامتداد للانا العليا... في تعبير Le bensraum الذي من المستحيل ان يترجم لانه يلخص الكثير واستخدمه هتلر كرافعة نفسية فعالة لكي يحرك الالمان من اجل النصر... بالمقاربة مع العرب فان الانا العليا للالمانى مكشوفة بشكل استثنائي وسيبذهب الى ابعد حد ليحتمي مجاله الخصوص... في المانيا ابواب مزدوجة لعزل الصوت"³.

هذه التفاصيل هي التي تجعلني اقترب من اطروحات "إلياس" في سلوكيات الالمان والابعاد التاريخية-النفسية-الاجتماعية، ومن ادوارت تي هول في الجزئيات اليومية للمسافات الاربع،

¹ انظر: خطاب خطاب، الهوية الثقافية في البيئة الحضرية، مقارنة جندرية للتمثلات والممارسات اليومية، وقائع المؤتمر الدولي والمنشور بكتاب جامعي المركز الديمقراطي العربي، ببرلين المانيا، 2021.

² فليب كابان، وجان فرانسوا دوروثيه، المرجع السابق، ص 182.

³ ادوارت تي هول، البعد الخفي، ترجمة لمين فؤاد اليحي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007، ص ص، 183، 184.

الالمان يغلقون ابوابهم من الخارج لكي لا تتسرب خصوصيتهم الى الخارج ويرفضون ايضا تسلل ذلك الخارج الى حيزهم الخصوصي، الالمان ايضا يعتنون بأبواب الغرف مغلقة لأنهم يرون الباب المفتوح للغرفة دلالة عدم النظافة وعدم الانضباط السلوكي للشخص: "الالمان لا يحبون الضجيج ولا يحبون سماع صوتك ايضا بالداخل"¹.

اذا كان "زيمل" يقدم لنا اسس التفاعل والتبادل بين الذات والفرد والمواضيع لفهم الثقافة فان "الياس" يسير في ذات الاتجاه غير انه يبذل الذات بالفرد والموضوع بالمجتمع بلغة مماثلة اكثر لمعالجة عملية التحضر التاريخية والنفسية للفرد، هو قريب ايضا من فيبر ويبدو ان هناك تطوير سوسيولوجي خاص عمد الى فهمه جيدا، لا تخلوا النظرية الزيملية والالياسية من الديالكتيك وتنوع وخلق التعدد بين "الهم" و"النحن" والذي يعد عمله في صميم علون الانسان: "هناك ايضا مفتاح لفهم العلاقة بين المدنية والطبيعة البشرية، تصبح عملية التمدن ممكنة حيث يصبح بالامكان وضح التحكم الذاتي لشخص ما في علاقات الكائنات والامور الاخرى وبالتالي تصنيفه على مسارات مسبقة التحديد باختلافاتها وانعكاساتها والياتها الموروثة ولكن ليست بمقادير متساوية"².

ليس الفرد والمجتمع مقولات نهائية لدى "الياس"، انهما مسار تشكل يرتكز على الابعاد الثلاثة التي طرحها وعبر آيتي التلقائية والضبطية السلوكية والعمليات السلوكية المؤكدة لذلك (Conformity)، وسيكون المهاجر قيد هذا المنظور وضمن هذا الحيز الذي يتعلمون فيه بشكل يومي هذه الاساليب ويبدعون في اختياراتهم السلوكية بالحياة فهم لا يبقون كمهاجرين مغلقين لمدة طويلة كما ان الالمان لا يسيرون باتجاه التخوف تفرض عمليات التحضر المعقدة قبول انواع مختلفة لافراز ونشر انواع جديدة وروابط اجتماعية جديدة دوما خاصة في المدن مثل فرانكفورت، هامبورغ، دوسلدورف، شتوتغارت ويكون مثال حضور مباراة كرة قدم لدربي BVB الذي يعيشه الجماهير الشبابية والتياربية هنا وهناك دليل على الذوبان والتماهي مع بعضهم البعض.

" يجب ان نعرف ان المجتمع هو نحن كلنا مع بعضنا البعض... من شكل العيش المشترك الى شكل آخر، لم يكن مخططا له من اي هؤلاء الافراد... هذا المجتمع الذي نكونه جميعا والذي لم يرده احد ما ولا خططنا له، ليكون كما هو عليه،... الا لان العديد من الاشخاص والافراد

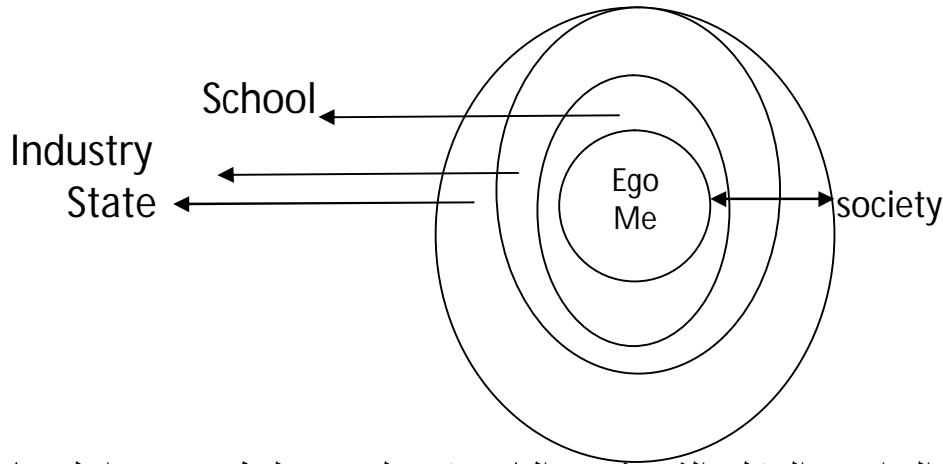
¹ المبحوث المدعو ماليك جرمانى على قناة اليوتوب. <https://youtu.be/BviXYouOTQ>

² نوربرت الياس، مجتمع الافراد، ترجمة هاني صالح، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2014، ص 94.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

يريدون شيئاً ويفعلون ما يريدون"¹، ندرك من هذا أهمية الانفتاح على التنوع والتعدد وروح المبادرة، كما انه يكون في لحظات ذلك الكيان الاجتماعي، ما يعني ان سؤال الهوية هنا اعمق وقريب من التشكل وبعيد عن المنجز النهائي، فالافعال الفردية والاجتماعية تتشارك لبناء الهوية، والمهاجر ليس هامشياً او مضطهداً هو عنصر حيوي يعبر عن هذه العملية التاريخية والنفسية والاجتماعية: " في مفهوم التوازن الأساسي لعلاقة بين الانا والنحن وهذا ما يشير الى ان العلاقة بين هوية الانا وهوية النحن لدى الانسان الفرد ليست علاقة ثابتة دوماً، بل هي خاضعة ايضاً الى تغيرات نوعية، هذه الابواب التي تبقى مغلقة طالما يتصور المرء انساناً آخر كما يتصور نفسه خالية من النحن"².

الانسان الأوحد ليس موجوداً ولا يمكنه ذلك مهما تخندق خلف مفاهيمه البراقة من الحفاظ والثبات والاحتماء بالابعاد التي تحكمه، تعد الثقافات ذاتها والتنوع اساس تكوينه وديمومته عبر مسارات تفاعلية من الجزء الى الكل ومن الكل الى الجزء في حركة دائرية تاريخية ونفسية واجتماعية يكون المهاجر فقط رحلة اعادة بعثها بصورة وبعد مختلف، يوضح الشكل الموالي ما اقتره نظرية نوربرت الياس³: رقم (04)



المجتمع يخترق كل الدوائر الشكل الذي قدمه الياس في تلخيص لنظريته، وتداخل ما بين الحركة الجوانية والخارجية، وضمن ابعاد التحضر وما يخص كل بعد والفرد والمجتمع. لقد حاول الياس كثيراً من عدة جوانب التوصل الى مقارنة منهجية وكذا رؤية مبنية على الواقع الاجتماعي لدراسة المجتمع والثقافة، مقارنة اكثر اناسية حضرية، مزاجاً بين النظرية

¹ نوربرت الياس، مجتمع الافراد، المرجع السابق، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 14.

³ NORBERT ELIAS. what is sociology. Translate by stephen menell and crae morrissef. clombia university press. new york. 1970. p14.

الدوركايمية والفيبرية ومستقيدا من اطروحة زيمل التفاعلية، ووصل الى براهين تثبت عملية التكامل بين الانا والنحن، فالمجتمع والفرد يتشكلان تزامنيا لذلك يركز على التشكل او العملية التاكيدية " الكونفورمية" فاذا كان زيمل يركز على تفاعل الذات ومنتوج الاشكال الاجتماعية Les formes فإن "الياس" يتجه الى التشكل التجانسي النفسي (psychogenesis) والاجتماعي (sociogenesis) الترابط فيما بينهما تاريخيا الا ان هذا يوحي دوما بالتميز خارج المجتمع الالمانى ويضعف من امكانيات التنوع المكثف ولا يستوعب الكليات العملية الثقافية العابرة والمختزقة لهذا المجال لذلك برزت الحاجة في المدارس التاريخية الامريكية الى التاريخانية ليس بالزمن القبلي وانما بالتزامن الانى لعمليات التواصل الثقافى وتشكيله.

" لقد سطر الياس في عمله عملية التحضر على اهمية فعل التنشئة الاجتماعية والثقافية لافراد والقيم الاجتماعية والنماذج الثقافية والكيفية التي تحولت بها الصورة العالمية (التحضر الاوروبى) بكل بساطة هي معايير ومخرجات او منتجات تطبيقية لثقافة الافراد (الممارسة) فالثقافة والحضارة تتأسس على اسس امبريقية للتطور التاريخي"¹.

هذا الملخص لمفهوم الثقافة والحضارة وعملية التحضر الاوروبية، والتي جعلنا نفهم طبيعة البواطن القومية للمجتمعات الاوروبية وتطورها تجاه الآخر، مثل: اسلوب الحماية والدفاع عن الهوية، بالاخص المجتمع الالمانى، تفيد التجارب ان العمليات الثقافية المتجانسة والمتكاملة بين ذوي الاصول الاوروبية وغير الاوروبية بدأت تشكل مجتمعا مختلفا.

"ان عملية التحضر بمرور الوقت يتكرر في التولد النفسى للمعايير الحضارية في تنشئة الفردالتكوين التلقائى (Auto diciplinaire) يرفض الياس قضيتان: اعتبار الحضارة تطور خطي تاريخي ويرفض الى استنساخ تجارب التحضر فالتشكل والترابط (Dependance Configuration) عمليتان وليست نظام"².

هذا النقد مهم وصحيح في المقاربة الامبريقية الداخلية للمجتمع الالمانى، لكن يبقى النقد يقدم البدائل المتسعة أكثر، كما لا ننسى ان الياس هو اول عالم اجتماع ادرج مفهوم الهابيتوس وليس "بورديو" واستخدمه باسلوب يجمع فيه بين المعرفة الاجتماعية والسلوك، كما اننا نعلم انه في الفلسفة اقدم عند ارسطو، ادرج الياس مفهوم الهابيتوس والذي قصد به المعرفة الاجتماعية المدمجة في شبكات التكامل وهي رواسب بمرور الوقت واستخدم ايضا مفهوم المصفوفة او

¹ SOPHIE CHEVALLEIR ET JEAN MARIE. Op.cit.p109.

². Terms clés de sociologie de Norbert elias.www.cain.info.revue.2020.06.14 a 15.14pm.

التأكيديّة/التكوينية (Configuration) ¹المكونة للأفراد والمجتمع بين توازن القوى وقيود المنافسة الاجتماعية.

يعني ان المجتمع ليس اكثر من الفرد لا يمكن عزله عن سلاسل الترابط والتشكل التي يشارك فيها بمنط علائقي، اجراءات الافراد تعتمد على بعضها البعض ولأجل الجميع، ان نسيج العلاقات التي تتكون منها المجتمع يشبه اللعبة وان الحياة الاجتماعية مترابطة ، تستقر احيانا في توازن القوى تتم الردود بينهم في تعديل اللعبة من حين لآخر.

2- الكلية الموضوعية للثقافة (السوسيولوجيا الفرنسية)

من المهم جدا ادراك مغزى المعالجة السوسيولوجية للثقافة وكشف الخطابات المبطنة حول قضية التنوع داخل المجتمع فالمقترّب السوسيولوجي الثقافي هو بحث في امكانية دعم المجتمع في شكله المتنوع وليس شكله المحدد بتصوراته المعزولة عن الحركة التغييرية العالمية. كما انه يعد تمهيدا ايضا لمعالجة قضية عميقة تخص الخطاب السوسيولوجي نفسه الذي ظل لفترة طويلة مذكرا غير ابه بالمنجزات الانثوية.

إن هذا له علاقة مباشرة بمصطلح الجندر وسندرك من اين اتى هذا التحيز المعرفي والمنهجي و كيف اثر على باقي التحليلات والتفسيرات فيما بعد، فلا يمكننا باي حال من الاحوال التقدم في انتاج معرفة رصينة دون التنويه لهذا ونحن نبحت في الجندر، فلا يكفي مجرد استخدامه بل تقديمه كأولوية نقدية للفكر الاجتماعي في مرحلة معينة.

يفيدنا ايضا هذا البحث في كشف مدى اهتمام السوسيولوجيا بالتنوع داخل المجتمع - هذا التنوع المجتمعي الذي هو تجسيد للتنوع الثقافي -، فهل سوسيولوجيا الثقافة تدعم توجه التنوع؟ وكيف عالج كبار علماء الاجتماع مثل " دوركايم ومارسال موس وبيار بورديو هذا؟، وهل يمكننا اليوم باطروحة التنوع الاجتماعي الاعتماد على مقولة الانتاج واعادة الانتاج؟ يعني هل تتسع للتنوع ام تختزله في بعد اجتماعي واحد؟.

أ: إميل دوركايم، ثقافة المحاكاة والتعبير الجمعي

لقد كان السؤال الاساسي لدوركايم في مؤلفه الاشكال الاولية للحياة الدينية (1912م) البحث في مصدر الدين الذي كان تعبيرا عن المشاعر الجمعية، من هذه النقطة بدا التفكير في الكلية الموضوعية الثقافية والهة المجتمع كتفسير سوسيولوجي وظيفي حتمي او كحقيقة اجتماعية مثلما ذكر في مؤلفه الانتحار (1897م) يكاد يكون الانسان كنوع وفرد مغيب وهوسالب يستهلك

¹ ANDRE DUCRET. le concept de configuration. Www. Journal open edition.org. à 2020.06.15 09.10am.

الثقافة ولا وجود له الا باعتراف الهة المجتمع : " يتحدث دوركايم في القسم الثالث من كتاب الاشكال الاولية للحياة الدينية عن منظومات التحريم والممنوعات، كما يبرز شعائر المحاكاة ومبدأه بالنسبة لطبيعة التكيف التي تستند على مبدأ الشبيه ينتج الشبيه"¹.

قام العديد من الباحثين من التحذير من مقولة المجتمع، العقل الجمعي، المشاعر الجمعية، الذاكرة الجمعية، تلكم الكليات الثقافية المهيمنة وهي تعمل بالنسبة لهم كصمات امان النظام الاجتماعي برؤية وظيفية حتمية، واعتبر ان فكرة الاندماج برزت من هنا في سوسيولوجيا الثقافة التي يدافعون فيها عن: "المقاربة الاجتماعية الثقافية حسب ما يقول دوركايم التي تركز على استهلاك السمات الثقافية، ذلك ان البعد الجمعي للثقافة هو الذي عن طريقه يتم التكامل الثقافي، فالنظم الاجتماعية ذات خاصية الزامية تفرض نفسها على الافراد وتجبرهم على طاعتها وهذه الخاصية مستمدة من المجتمع في العقل الجمعي"².

ان مفهوم الثقافة والسلوك الاجتماعي المرتكز على عملية التشريط الثقافي (Condition cultural) ترجع جذورها الى هذا المنطق الدوركايمي الشمولي للمجتمع والتنشئة الاجتماعية للذكر والانثى والمؤسسات النازمة لذلك الالتزام او الزام ثقافي لكل فرد وهي معبأة بالاكراه السلطوي لاغية روح المبادرة والاختلاف، من هنا برزت ايضا رؤية المهاجر ممزقا معوزا الى الاندماج من قبل النسيج الاجتماعي والهوية الجمعية والمؤسسات الاقتصادية والسياسية لمشروع الهيكلية واعادة هيكلته على هذا الاساس من فترة لاخرى، يكون ظاهريا او مرحليا المهاجر بحاجة الى الاندماج والزامه بهوية ما وجماعة ما، او قد يلجأ هو الى ذلك لكن لا حتمية ولا نظامية في ذلك انه زمن عابر وليس تزامن مزمّن، قد تكون طريق التعلم للغة وطلب العمل وشروط الاقامة والتجنس احدى اهم مظاهر اكراه السلطة الملزمة له، لكن هذا لايلغي امكانية حصول عليها خارج الشكل الاجتماعي المحدد سلفا، زواجه بالمانية وتوثق عقد الزواج بالدنمارك ثم العودة الى الديار الالمانية وضمان الاقامة¹ الا عيب فردية وتفاوضات مع النظام وليس التزام وسلب كلي.

¹ المؤلف لصاحب الموقع، الثقافة المفهوم والاشكالات www.boockstore.dohainstitual.org/2020.06.21/16.00pm

² الثقافة المفهوم والاشكالات، الموقع نفسه.

¹ المبحوث ماليك جرمانى موقع القناة نفسها.

الهجرة تعبر دوما عن الدينامية وهي ليست مستقلة عن المهاجرين الذين يشكلونها كظاهرة، لذلك الاعتماد على الثقافة كالزام وشرط مسبق لم يعد يجد نفعاً امام اتقان هؤلاء فن اللعبة الاجتماعية والكيفية التي يفاوضون فيها الرواسب الثقافي.

ان مقولات مثل المنطق الجندري ايضا تنضوي تحت ستار الثقافة السالبة كانه متسق ومنظم ومكره دوما الا ان المواقع والوضعيات والمواقف تكشف اننا ندرك عمل الفاعلين على تبني مكان وزمن الانساق الثقافية وليس الثقافة في كليتها. يستخدم دوركايم مصطلح المحاكاة L'imitation ويرى ان: "المحاكاة في قلب كل مجموعة اجتماعية واحدة تخضع جميع عناصرها الى تأثير سبب واحد او حزمة من الاسباب المتشابهة...مجموع العمليات التي تتجم عنها هذا الائتلاف...لقد اعطي اسم المحاكاة الى الحاجة التي تدفعنا الى ان نخضع انفسنا في موضع الانسجام مع المجتمع الذي نشكل جزءا منه فنحن نتقيد فقط لانه يمتلك لذاته السلطة الاجتماعية"¹.

هذا هو بوتق النظريات الادماجية اللاحقة واحد الاسباب التي تجعلنا نشابه ونعيد المشابهة بين الفينة والآخرى وكاننا مهوسون بالفناء في هذا المجتمع، الذي هو ليس خارجا عنا طبعا فقط نتوهم ذلك كآلهة تتحكم وتسيطر فينا متناسين انه مجرد جموع من الافراد نسعى الى ابراز ذواتنا فيه وعبره، تعبر المحاكاة دوما عن اقضاء الفعل كجوهر وانما هو مجرد عملية تشبيه لما يقره المجتمع الموجود طبعا كجوهر وتجسد واقعي وحتمي ولا يملك الافراد الى التنفيذ والاحتذاء بشكل نموذجي او في اعادة الانتاج:

" ان المحاكاة مجموع عمليات الاتفاق والمشاركة الوجدانية فهي محاكاة متبادلة ما بين افراد جميع المجتمع، يمارس الافراد علاقات قوة التأثير، كما أن المحاكاة فيما يحاول الافراد الانسجام والتضامن مع المجتمع من خلال تبني الافكار العامة كالموضة والاعراف ومجموعة التقاليد بغية التكرار"¹، تكاد تكون علاقة الحياة والانسان شبه مية لا يملك الى النسخ والاستنساخ، او مجموعة مسوخ بشرية منتشرة تتكرر هنا وهناك، ان الفرد والمجتمع علاقة حيوية وليست بهذا الشكل الميت، ان المحاكاة لا تكون للتشابهة قد نكون نؤدي دورا على المسرح لكننا لسنا نحن المسرح، انها محاكاة كلعبة وليست تثبيت وتجميد الحياة الاجتماعية،

¹ اميل دوركايم، الانتحار، ترجمة حسن عودة، الهيئة السورية العامة للنشر، دمشق سوريا، د.ط، 2011، ص ص، 126.127.

¹ المرجع نفسه، 128.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

يؤكد دوركايم على ان المجتمع ليس من صنع الافراد ابداء، يؤمن باستقلاليته ومفارقته عن الافراد ويسعون اليه كرجبة في الانسجام والشعور بالوجود:

" اننا ننقل ذلك الشعور الجمعي (La conscience collective) الى نفس الطفل ولا شك ان هذا الاندماج بين الفرد والجماعة يتم الى حد بطريق تلقائي... غير ان تلك العملية من الاهمية بحيث لا يمكن تركها تحت رحمة الصدفة وانما على المدرسة تنظيمها بطريقة منهجية"¹.

ان فكرة الهوية والثقافة لا مكان لها الا في الية الكسح الاجتماعي من قبل سلطة المجتمع على الفرد التي لن يكون فيها الفرد متمتعا باستقلاليته ومجرد خاضع.

يرفض دوركايم المبادرة الفردية بالاشارة الى الصدفة، ويؤكد على الحتمية الاجتماعية، ويفرد مصطلحين لذلك عبر اليتي التضامن العضوي والالي لحماية النظام الاجتماعي، لقد خضعت اعمال "دوركايم" لكثير من النقد على يد ريمون آرون وجينيفر ليمان، اعتبر ريمون ان النزعة الوظيفية المسكونة بالفزيولوجية والبيولوجية الطاغية على تعبيرات دوركايم: مثل التضامن الالي هو المعطى الاولي للتعاون والتضامن والانسجام بين الافراد والهيئات الاجتماعية وهنا تكون الثقافة مشتركا تميل الى الاشتراط، اما بالتضامن العضوي ظهر مع تعقد المجتمع الصناعي فتحولت فيه الثقافة الى منتج قابل للاستهلاك ايضا: " حين كان الامر يتعلق بقضايا النوع الاجتماعي فان النزعة البيولوجية التي بنى عليها ريمون آرون واخرون كانت دائما حاضرة لدى دوركايم لدرجة ذهب فيها الى القول بان تقسيم العمل في المجتمعات الحديثة قد عزل الرجال عن النساء وهو ما ادى الى ازدياد حجم الرجل ومن ثم ذكائه وانكماش مخ المرأة وتراجع مستوى ذكائها"².

يرى الكثير من النقاد امثال "جان فرانسوا ليوتار" و"جورج بومنيز" ان درس دوركايم السوسيولوجي ينتظم مجمله بطريقة توضح هيمنة الرجل على المرأة وفكرة المجتمع شكل من اشكال الواحدية unicity كما ان الهوية الوطنية والقومية اخذت تفقد مصداقيتها بالاخص تلك الترسيمات والتخطيطات المسبقة لسياسة الهوية: " هذه السلطة او المرجع الخارجي تتمثل في الهيمنة للذات الاوروبية (Eurocentrique) ورفضها للاخر والتمركز حول العقل (logo centrique.logocentrisme) ودحضها لما يخالفها وتركزها حول

¹ اميل دوركايم، التربية الاخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2013، ص28.

² جينيفر م. ليمان، تفكيك دوركايم، نقد مابعد بنوي، ترجمة، محمود احمد عبد الله، المشروع القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، 2013، ص28.

الذكر (phalloyocentrisme) وتهميشها للانثى والتمركز على الصوت (phonocentrisme) وابعادها عن الكتابة بحجة ان الشكل غير صاف من الكلام¹. نستفيد من هذا النص القيمة النقدية ليس لاعمال دوركايم وانما ايضا من المنجزات اللاحقة التي حذت حذوه والانتباه لضرورة المستجدات الثقافية والتنوعية ومساحة المبادرات والامكانيات المفتوحة، ان ضرورة تفكيك الحتمية تدفعنا قدما للخروج من التعارضات الثنائية (Opposition Binaires) وتتحاشى فعالية احد القطبين الى رؤية اكثر من بعد او بعدين نحن مفتوحون على ابعاد كثيرة جدا.

ب: مارسال موس (MARCEL MAUSS) الفعل في كليته وثقافة الهبة والتبادل

ان عمل "موس" حول الهبة من بين الاعمال المحورية في تاريخ السوسيولوجيا والانثروبولوجيا والتي ركز فيها على ثلاثية الاخذ، العطاء، واعادة العطاء، اي التبادل واشكال التعاقد، هذا التبادل العنصر المهم في العلاقة بين الثقافة الانسانية والممارسات الاجتماعية: " يذهب آلان كابي إلى اهتمام مارسال موس بالهبة او اقتصاد التبادل املته النزاعات الاقتصادية النفعية السائدة عبر التاريخ، كانت مقالة الهبة ضد هذه النزعة، ليس الانسان حيوان اقتصادي او كما سماه جاك غوديو " الانسان الواهب" والقانون الهبوي لموس ما زال فاعلا في هب.خذ.رد²."

إن الفعل الانساني او الفعل الاجتماعي حقيقة برمته، يرى من هذه الكلية القائمة على التبادل والعمليات الضمنية المستدمجة والاهداف المرجوة، لذلك من الاشكال الاجتماعية والرموز والاساطير وجعل المجتمع اكثر تذكية في مقابل نزعات اختزالية او صراعية، ان الانماط الثلاثية للتبادل تسمح بفهم الثقافة وطبيعة علاقة الفرد، المجتمع. المجتمعات فيما بينها. "تبادل الهوية قد مر بثلاث مراحل تطويرية حيث انتقل من لزوم الهدايا الشامل وتبادل يربط عشيرة باخرى مثل المجتمعات التي لديها نظام البولاتش او نظام اخر مشابهة يكون فيه التبادل تعبيرا عن التنافس او الصراع..يكشف بوضوح العلاقة بين انماط التبادل والبناء الاجتماعي"¹. اريد من خلال هذا ابراز رؤية الفعل الاجتماعي في كليته وهو ارتكاز سوسيولوجي مهم، الفعل ليس منفصلا ولا مجردا وليس محدد او فرادانيا كلية انه منهج يحوي ظاهرة الهجرة/المهاجر، اذا

¹ جينيفر م. ليمان، تفكيك دوركايم، المرجع السابق، ص 36.

² نابوكي كاسوغا، الواقعية الاجتماعية، ترجمة عبد السلام فقير، www.Mouminoun.com 2020.06.23./18.31pm

¹ عبد الله عبد الرحمن تيم، المدرسة الانثروبولوجية الفرنسية، مارسال موس نموذجا، www.folkulture.org/ 2020.06.23/04.30 pm

فهمنا كلية الفعل بالهجرة من الجسد الى الثقافة الى واقع المجتمعات المختلفة نقرب من صيغ التبادل اي التبادل الثقافي، العلاقة الجنسية مثلا بين مهاجر بموس مثلا هي تبادل وتنازل وتقديم واخذ برهان مادي معين، توكل هذا العلاقة الى تغليب منطق التبادل، وابعده من ذلك ان العمليات الثقافية للهجرة في شكل التناقص تاخذ بعدها الثقافي الثلاثي بين اعط، خذ واعادة العطاء من الجديد، هذه المبادلة تضمن تنوعا علائقيا مفتوحا على التبادل.

تسائل "موس" عن سبب ارتباط المجتمعات باقتصاد الهبة وكانت الاجابة ذات ابعاد ثلاثية دور العلاقات الشخصية في بلورة العلاقات الاجتماعية، ثانيا تامين العلاقات الاجتماعية لمصلحة، ثالثا اعتبار ان ما يلزم بالوهب كون الواهب ملزما¹.

السؤال المهم من خلال ثلاثية الجندر، الهجرة، التنوع، هل يكون جسد الانثى ملزمة بهبة جسدها في اقتصاد المعيش لما تشتهي هيمنة الذكر؟، وفي المهجر هل يكون المهاجر ملزما بالتبادل الثقافي مع الغير، اليس هناك دوما مساحة توفر ادوار اخرى؟، في الهجرة لا نكون ملزمين كلية في اطار العلاقات الاجتماعية بل نوفر دوما انحرافات عن الالزام وتوسيع تبادل اخر لاغراض اخرى، يمكن القول ايضا ان الهجرة ايضا تاخذ تبادليا ويكاد يكون اقتصادها الممكن فيما بين المجتمعات والدول بالرغم من الحمائية وقوانين السفر والتجنس وسياسات الحاق العائلات: "ان هذه الظاهرة-الهبة- تضيء على نظامين من الظواهر الاجتماعية...اولا ندرك طبيعة العلاقة القانونية التي تنتجها عملية انتقال شيء ما...ومن ناحية اخرى تبين كيف ان هذه الوقائع بإمكانها ان تساعدنا على بناء نظرية شاملة للالزام"².

ان الواقعية الاجتماعية الكلية للفعل مبنية على التبادل في جوهر موضوع الهبة ومعيار الالزام الذي هو في ثلاثية اعط.خذ.اعد العطاء، سلسلة توريد نسيج المجتمع، انه يبتعد عن دوركاييم في الهبة المجتمع ويقرب من اهمية الفعل المتبادل في تحقيق انسجام اجتماعي بعينه، ان من يختارون الهوية والادماج القسري يسعون مبررين حاجتهم الى اقتصاد التبادل وليس الالزام وحسب في التقديم بل في الرد كذلك، كأن نقول للمهاجر قدمنا لك ملجأ فانضم الى كتلتنا الثقافية ومن يؤثرون الثقافة والتنوع يسعون دوما الى حيوية هذا كله دونما اكرام.

¹،الموقع ذاته.

²مارسال موس، بحث في الهبة، شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة المولدي الاحمر، المنظمة العربية للترجمة،توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص56.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

فالمجتمع المستقبل او الدولة لا تهب رعاياها الهوية كونهم عمال او مورد ديموغرافي، هذه نظرة قاسرة توحى بها سلسلة الادمج القسري وتحوي استغلالية عنيفة،" يتوقف غودلييه عند الهبة واشكالها عند الواهب والموهوب عند الهبة: كعلاقة تكافل تساهم في اعادة انتاج علاقة اجتماعية وعند الهبة: كعلاقة تتوق تقييم تراتيبا اجتماعيا واختلافا وتفاوتا وعند الهبة: كاشخاص لهم نفس المقام"¹، ان للهبة رمزية جندرية وجنسية ايضا بين الذكر الواهب والمرا الموهوبة في دراسة موس قبيلة" البولاش،انه يستقرأ "موس" بخلفية ماركسية اي باولوية البنية والصراع والتنافس واعادة توزيع وتصنيف طبقات المجتمع وهو ذات الاتجاه النيو ماركسي في الانتاج واعادة الانتاج.

ج: بيار بورديو والهيبتوس، الراسمال الثقافي والدوكسا

ينصب جهد بورديو السوسيولوجي على الثقافة عملا وممارسة وكان مفهوما بارزا في دراسته نجده يخصص لذلك المجال والحقل والراسمال الثقافي والهيبيتوس ممزوجا بتعابير "مانهايم" حول الاطر الاجتماعية للمعرفة، والتحليلات الماركسية الاقتصادية بالانتاج واعادة الانتاج والنقد الاجتماعي المكرس تجاه الانظمة السياسية التي تبقي عينها على المدرسة كوحدة اجتماعية لضمان اعادة انتاج نفسها، فهل ستكون اسهامات بورديو كفيلة في استيعاب التنوع الثقافي والمجتمعي من خلال ماقدمه؟، وكيف اتجهت دراسات الهجرة ايضا صوبه ناهلة من مفاهيمه مستخدمة اسلوبه بطريقة غير مباشرة لتفسير حراك الهجرة؟. هل نظرية بورديو السوسيولوجية للثقافة كممارسة تتجه بشكل خطي للتنوع؟.

" تشير اعادة الانتاج الى مجموع اجراءات تاريخية، هي في الوقت نفسه مستقلة ومتقاطعة...التعارض بين ذكر/انثى اذا اكتشفنا بهذا المثال سنجد انه موجود داخل الاستعدادات وداخل المؤسسات في الاجساد والعقول في الكلام والتعابير القانونية ويتغير بطريقة جد مختلفة في ارتباط بحقول ومناطق الفضاء الاجتماعي"².

اعادة الانتاج مقولة تحلل موضوعية، فبالرغم من وجود مساحة ضئيلة للأفراد بخصوص التغير والتقاطعات والمختلفة الا ان الغالب من مجموع العمليات التاريخية الاقرار بالبنية الثقافية والاجتماعية والاستعدادات القبلية المحددة سلفا لتصانيف الحقول والمجالات وهنا الاشكال، اذ لا يكون التغير بشكل افقي او متوازن توزيع القوى الا بادارة الرسملة الثقافية والاجتماعية

¹ موريس غودلييه، لغز الهبة ، ترجمة رضوان ظاها، دار المدى، دمشق سوريا، ط1، 1998، ص 186.

² ستيفان شوفالييه، المرجع السابق، ص ص، 46، 47.

المهيمنة، صحيح انه يشير الى التغير الذي نرغب به في تفاسير التنوع وفهمه ودعمه، الا انه ليس منجزا فعليا الا براسمال معين بحد ذاته، يتجه نحو سوسيولوجيا الثقافة الى التميز بين الثقافة الجماهيرية وغيرها من الاشكال الثقافية الاخرى، غير بعيد في ذلك فيما تتبغيه الجمهورية الفرنسية موجها النقد للاله الراسمالية العالمية المهيمنة في الاتجاه الامريكي الذي يسير بتسارع بدون جمهرة محددة بعينها بل تاخذ اشكالا مختلفة وفوضوية:

"جيفري الكسندر الذي يرى بالرغم من اظهار التوازن بين الذاتية والموضوعية الا ان بورديو يميل الى معسكر الحتمية الموضوعية"¹، معنى ذلك انه يشير الى اسبقية محددة منظمة موزعة لادوار الاستهلاك والانتاج في موضوعة الثقافة بالخصوص وهذا يترك احتمالا ضئيلا جدا للحياة اليومية بل ويذهب في الاخير الا انها مجرد اعادة الانتاج لشكل ثقافي بعينه" الاستهلاك الثقافي"، ان دوسارتو ينتقد بورديو بخصوص هذا الشأن:

" يرى ان بورديو يفشل في سطحية فهم العلاقة بين الطبقة والتعاملات اليومية وعلاقتها بالقوة على اساس يومي... في اختزالية ماركسية، مادية الثقافة، هابيتوس الحتمية، ومشكلة التراتبية"².

من المهم ان نفهم مشروع بورديو في السوسيولوجيا عموما والسوسيولوجية الثقافية بالخصوص والاقتراب من الطموحات الفرنسية في ذلك، كما انه وجب الاحاطة باعمال النقاد الجادين مثل: الكسندر وميشال دوسارتو وبرنار لاهير، وهذا الاخير الذي يعتبر استحالة الاعتماد على اعادة الانتاج في التفاسير الثقافية وبترسانة المصطلحات التابعة لها، لكون اعادة الانتاج لا يمكنه الاعتماد على اسلوب ومصدر وشكل ثقافي محدد بعينه، عالمنا الاجتماعي كثير الابعاد وطارئ في التحولات والتغيرات، ان النقد الموجه لبورديو كمشروع سوسيولوجي مهم. يقول بورديو: "الدوكسا اعتناء ضمني وعملي مرسخ في الجسد لا علاقة له بما تصنعه عادة تحت التصور الايديولوجي الذي يحيل كثيرا على لغة الوعي والتمثل... الهيكس الجسدي (hexiscorporel) القواعد التي تسير السلوك الجسدي"¹.

إذا جننا إلى مفهوم: الدوكسا (Doxia) والهيكس الجسدي (Hexiscorporal) واللودوكسا (Allodoxia) والايروودوكسا (E'urdoxa) سنجد ان هذه المنحوتات الفهمية لها جذر واحد المعتقد والشكل النهائي للاتباع، فالدوكسا استعملها واعتنى بها لالتطبيع الجسدي المرسخ

¹ ديفيد انغليز و جون هيوسون، سوسيولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، المركز العربي لابعاح ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2013، ص ص 270، 269.

² ديفيد انغليز و جون هيوسون، المرجع السابق، ص ص 270، 271.

¹ ستيفان شوفالييه، المرجع السابق، ص 46.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

يعتبر الجسد بخلفياته الايدولوجية والتعريفية ضمن البنية الاجتماعية، اذن وضع سالب للذات الفردية، اما اللودوكاسا تشبه حالة الانحراف عن النموذج المعياري او الشكل الغريب، الذي يرغب الفرد فيه بالتعريف عن نفسه خارج ارادة نيل اعتراف هذا النموذج اي خارج التفسير العمومي المشترك بين الناس حول الجسد، -هذه إشارة واضحة إلى اختزال الثقافات الفرعية وتركها مهمشة- تعتبر هذه الحالة لديه تنكر للمتعارف عليه او الاورودوكسا هي العقيد الاولية او النواة الاولى- مستعيرا ذلك من هوسرل - وسنلاحظ انها مترابطة مع الهاييتوس والحقل والراسمال الاجتماعي والراسمال الثقافي والراسمال الرمزي، في رأي منظومة الجهاز المفاهيمي لبرورديو تتكافل فيما بينها للدفاع عن رؤية بنيوية لا تختلف عن استاذة " شتراوس" لكنها فقط بقالب نيو ماركسي.

المهم هنا والسؤال البارز للذين عولوا على تفسير بورديو في الهجرة: هل يمكن القول ان الادوار الجندرية مثلا هي مجرد سلسلة انتاج واعادة انتاج لهذه الدوكسا الاولية؟.

تكشف البحوث العديدة ومن ضمنهم بحثي هذا ان المهاجرين يكسرون القواعد نساء ورجالا من حيث الاورودوكسا ولا يشعرون بالانحراف والتهميش بالعكس لم تعد الحاجة الى ثقافة الجمهور تثير انتباههم بقدر توليد مجالهم وثقافتهم الخاصة وغير ابهين بالمتنزهات الثقافية التي وضعتها هذا المجتمعات سلفا، كما ان التعريفات الجسدية للرجل الاوربي او المرأة لا يهمنه بسط اشراطته الجسدية على الغير فالكل يسبح في الحياة اليومية لغايات أنية اكثر.

يقول احد المهاجرين:

"شوف القاوريات الزين والعقلية وهاهي دير في السالفي معايا وتسلم عليا"¹

" ان نسافر وحدي ونقضي شغالاتي وحدي وراجلي ما يتقلش من اللبسة نتاعي"¹.

اقصد بهذا لسنا الات تنتج وتعيد انتاج هاييتوس او تضمن هذه الاستعدادات، وهي ليست كذلك حالة ازدواجية المعايير لدى الذكر والانثى هناك حلقات التخلي والتغيير التي هي واعية بتغليب الغاية والقصد من الهجرة اكثر من البقاء رهن الاستعدادات والهيكس-جسدي الاول، كما لا يمكن اعتبارها هامشية، اذ اصلا مقولة الراسمال هي التي تعين مراكز الحقول وهامشيتها، المجتمعات تحترق حرقا في التغييرات المتسارعة (Accelerating Change)، الثقافة عائمة

¹ المبحوث ماليك جرمانى.

¹ المبحوثة رقم 23.

وتسمح للجميع بالتعبير واخذ معنى يرشدهم الى العمليات الاجتماعية المرادة كمسارات التزحلق في الرياضة الجليدية الجبلية.

ان الفروقات الذكورية والانثوية ووجه التصارع يفسره بالرجوع الى الاستعدادات المنظمة والمؤسسة والمؤطرة لها وصولا الى الحقول التي تتوزع فيها الا ان هذا واقعا كما عبر دوسارتو يتعارض مع الحياة اليومية وما تفرضه من تحولات جذرية.

بيدع كثيرا في التفصيل "بورديو" ولعل هذا اشكال اخر في عين الباحث عن زاوية التنوع هل هي تسير بشكل دائري واقفي داخل المجتمع وضمن الثقافة ام انها تسير بشكل خطي في الاتصال بنحو عامودي من الاعلى الى الاسفل؟ اعتقد ان بورديو في الاتجاه الثقافي يقول: "ان المرء عن طريق مقولة المجال يتيح لنفسه وسيلة التقاط الخصوصى ضمن العمومية، والعمومية ضمن الخصوصية... ان هذه السيطرة المنتوج الثقافي تاخذ شكل السيطرة البنوية تمارس من خلال آليات شديدة العمومية من قبل آليات السوق"¹.

واضحة تلك القوة الموضوعية للثقافة والمجتمع المسير من قبل عمومية راسمال ثقافي بعينه لا توجد عناية بذات الثقافة دون اعتبار في الاخير للهوية الوطنية وتقديم اولوية الفضاء العمومي على الخصوصى هذا الاخير الذي لا يجد تعبيراً خاصة الا وقت تحوله الى خانة الاعتراف العمومي او يظل مهمشا، واضح التحليل البنوي والنزعة النضالية للثقافة الجماهيرية في الاخير وهذا الذي جعل البعض يرى في حياة المهاجرين تمزقا وهامشية اكثر منها عمليات ترحال ايجابية.

" فان الطبيعة التمييزية جوهرية للانتاج الذي جرى داخل المجال ما تعني ان المرء باستطاعته ويجب عليه ان يقرأ المجال بكامله، المجال يبقى الذي تبني فيه الناس مواقع معينة، من اجل ان يتخذوا موقفا وكذلك مجال المواقع بوصفها كذلك في كل عمل منتج في هذه الشروط"¹.

المجال ايسر من الحقل وهو الفسحة التي يتمتع بها الفاعلون الاجتماعيين، ففي المجال الهجروي هنا طبوع تمييزية وثقافية بالاساس ولا يكاد يكون المجال يقترب كثيرا من الهابيتوس بقدر ارتباطه باللعب والاستراتيجيات لدى "بورديو" لا يعترف بالسير الذاتية للفرد ولا بالامتداد الطبقي بل هو كل هذا في وقت ومكان واحد المجال الفسحة المرنة للاستدماج الا ان هناك

¹ بيار بورديو، بعبارة اخرى محاولات باتجاه سوسولوجية انعكاسية، ترجمة احمد حسان، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط1، 2002، ص ص 240، 235.

¹ بيار بورديو، المرجع السابق، ص 245.

حجرة عثرة قد تتسلف هذا الامل: "على الداخل في الحقل معين ان يدفع ضريبة الدخول حتى يقبل من قبل الفاعلين واللاعبين والضريبة ذات وجهين، الاعتراف والمعرفة فالاولى اعتراف بقوانين الحقل والحفاظ على مصالحه والمعرفة تعني الاحاطة بكل ما يصنع الحقل... فالعامل في حقل من الحقول لا يمكنه انتزاع المشروعية من خلال منظومة الادراك والاستعدادات (الهابتوس) والتي بمثابة القواعد المولدة للممارسات"¹.

ارى ان الحقل يفتح المجال لكنه يعيد غلقه بسبب مشروعية الثقافة دون غيرها وهذه اشكالية ثانية "الشرعية الثقافية" وعثرة اخرى امام التنوع والاختلاف الدينامكي، يعترف بورديو بالاختلاف والتمايز، لكن ليس خارج مشروعية الحقل ذاته والتي يمنحها الفاعلون، لذا احيل الى الابعاد الثقافية التي هي اكثر مرونة وتسمح بالتعدد والتنوع والتقاطعات والمبادرات من كافة الاتجاهات، نموذج اعادة الانتاج يضع وضعيات ومواقع مسبقة تكون فيه الاستراتيجيات ومنافع الفاعلين المعترف بهم والحامين للمعرفة تلك، هؤلاء الفاعلين ومواقعهم لهم غايات وقرارت تصبح في الكلية البنيوية بشكل رتيب يقوض من قوة الطوعية والمبادرة والحركة العفوية للحياة اليومية.

3- سوسولوجيا المركب والمعقد

أ: ادغار موران الكوكبية ومفاصله الثلاث النوع الفرد المجتمع (البيولوجيا، الثقافة، المجتمع)

يختلف "ادغار موران" (EDGAR MORIN) عن "بورديو" و"شترلوس" و"موس" و"دوركايم" والكثير من السوسولوجيين والانثروبولوجيين، في كونه يشغل النواحي المعرفية الثلاثة للفلسفة والاجتماع، والانثروبولوجيا يحاول الاستفادة اكثر من هذه المعارف في معالجة الثقافة والواقع الانساني الداخلي والخارجي المحلي والكوني كمبحث معرفي لنهج الانسانية.

يخرج بعيدا عن الخطابات الدوغمائية والثنائية مؤمنا بالتركيب والتوليفات المعقدة ليس للنظام وانما الانتظام ووحدة الانساق ومرونتها، مركزا على النوع البشري والافراد والمجتمع الثقافات مستدمجا المركب البيولوجي بالثقافي، والاجتماعي بالفرد، والمحلي بالكوني (systematique) يرى انه يجب اعتماد واستوعاب المركب بين البيولوجي والانثروبولوجي والمجتمعي لفهم طبيعة المعرفة المشتركة ودرء التعارض بين الطبيعي والثقافي الفردي والاجتماعي:

¹ عبد الغني عماد، سوسولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكالات من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص 108.

" نجمع بين النظرات الثلاث التي تكشف عن الثالث الفرد، المجتمع، النوع: بحيث يستبعد واقع الفرد واقع المجتمع او واقع النوع البيولوجي احدهما على الاخر...يعرف الانسان انه ثالث. والفرد طرف في هذا الثالث ويتضمن كل واحد من هذه المصطلحات الاخرى، ليس الافراد داخل النوع بل النوع داخل الافراد بفعل جبله اياهم على الثقافة"¹.

للتوضيح اكثر ان مقولة نوع لا يقصد هنا بها النوع Gender/Genre بل النوع البشري، الشفرة الوراثية، البيولوجي والفيزيولوجي، الجسدي، الدماغ، بكل هذا نحمل النوع البشري الى الاستفادة من هذه التراكيب نحو الهوية الانسانية المشتركة التي تجمع بطريقة مركبة معقدة ما بين الدماغ والسلوك والثقافة، المركب المتداخل او المتحاور علائقيا.

"ان العلاقة بين الثلاثة حوارية وهذا يعني ان صفتها تكاملية يمكن ان تصبح متضادة اذ يجمع المجتمع الفرد ويكتبه، يسعى الفرد الى التحرر...ويهيمن النوع على الافراد بارغامهم على التكاثر لكن الفرد لا يمكن ان يتحرر من التناسل في سبيل انانيته وعليه فالثالث الفرد المجتمع النوع متضاد بالرغم من استكمال بعضهم البعض"².

إن سر كلمة النوع مفتاح مهم لفهم عملية تعدد الانواع، كما أنها اشارة مهمة لوحدة النوع المتنوع، وهذا ايضا له علاقة تحاورية دائرية، فتعددت الانفس والتقسيمات والتجسيدات للجسد الواحد والنفس الواحدة، فهناك فجوة او نقطة عمياء ما بين الوحدة والتنوع بين البسيط والمعقد، بين المفرد والمركب، بين الواحد والمتعدد، بين بعد احادي وابعاد متعاقبة ومتوسعة، تلكم الفردية الاختزالية او الاشتراكية عملية فجوة ونقطة عمياء حول هذا التنوع اللانهائي والتنوع الكثيف.

" أي تنوع بيولوجي مذهل لا يحصى على كوكب الأرض...تنوع الاجناس وتعدد الاختلاط...وتختلف الثقافات بعضها عن بعض جوهريا بمفاهيم للعالم واساطيرها وطقوسها المقدسة والديوية...تختلف الثقافات من خلال الميثولوجيا المتصلة بها...ان المجتمعات متنوعة للغاية"¹.

إن اطروحة "موران" ما زالت لم تحظى بالاشتغال المعمق في البحوث والدراسات المتعلقة بالثقافة و الجندر بالرغم من غناها منهجيا وعرفيا، ناهيك الى انه يركز على اهمية الاختلاف

¹ إدغار موران، النهج انسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيئة ابو ظبي للثقافة، الامارات، ط1، 2009، صص، 65، 66.

² إدغار موران، المرجع السابق ، ص 66.

¹ المرجع نفسه ، ص ص، 70، 71.

والتنوع والعلاقة بين الوحدة والتنوع بحجج وبراهين دائرية ومتعاقبة الاسباب والادوار ما بين الابعاد الثلاثة. وتدعم قيمة التنوع الامتثالي والاهمية التداخلية ما بين الابعاد الثلاثة ليس داخليا فقط او مجتمع بعينه وانما في صيغته الكونية، يختلف البشر بعضهم عن بعض وحتى داخل الاثنيات والعرقيات والتنوع النفسي والتنوع الجنسي وكثافة التجسيدات العابرة ايضا والملاحظة في حراك الهجرة، يجوز الاعتماد على هذه الاطروحة التي تعالج المركب المعقد البشري نفسه.

يعالج ايضا اشكالية الوحدة والتنوع يقول: "الوحدة النوعية بقدر وضوح التنوع البشري للعيان، اصبحت الوحدة البشرية اليوم غير واضحة لاذهاننا فهي لا تعرف الا التقطيع والعزل والفصل او بالاحرى في ما يبدو للذهان المجردة وحدة مجردة تخفي الاختلافات...وعليه التنوع في وحدة الحياة"¹، هذا المفهوم المتداخل بين الوحدة والتنوع، فعلا يعد احد اهم رؤية سوسيو-بيو-انثروبولوجي معاصرة لما يجمع فيه عبر هذا الثالوث الذي سنراجع فيه الكثير:

"التوحش البشري مزروع في قلب حضارتنا بالذات التي تنسى علاقات السيطرة والاستغلال والاذلال والاحتقار، التوحش يختصر في كل واحد منا"².

ان هذا من النصوص والفقرات الاساسية التي تفك عقدة التحضر والتوحش وصراع الثنائيات والثقافات فيما بينها الى رؤية عمق تداخل كل عنصر فينا ومشارك انساني يسمح في الاخير الى الاعتراف باهمية الاختلاف والتنوع الذي هو اساس الوحدة اما احادية القطب الحضاري والثقافي من دونه هو سبب الصراع والاقصاء والعنف. لا توجد تراتبية ثقافية الى في اذهان المركزيات، اذن حسب "موران" فان الثقافة تاخذ ابعادا اخرى ولم تكن يوما في نظره حبيسة الازدواجية او الهيمنة: "فهناك ثلاث اقطاب ثقافية اخذة في تفاعلات معقدة (متكاملة، متنازعة، متنافسة) قطب الثنائية الجماهيرية، قطب الثقافة المنقفة، وقطب الثقافة المضادة المتجهة الى الثورة الثقافية"¹.

يشير "موران" الى اهمية بالغة في التصانيف الثقافية وكيف تشتغل بعيدا ان الحقل قريبة من فكرة الشرعية الثقافية في مراقبة اساليب الثقافة نفسها، بأن الرؤية الازدواجية او صراع الاقطاب انبثقت من التربية واسطورة الوطن الام والدولة والاب والاله المخلص والعقائد الدينية في استعارة موفقة بين الامومة الوطنية وابوية الدولة:

¹ المرجع نفسه، ص74

² ادغار موران، المنهج الافكار، مقامها حياتها عاداتها وتنظيمها، ج4، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان ط1، 2018، ص74.

¹ ادغار موران، روح الزمان، النخر، ترجمة انطوان حمصي، الجزء 2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، د.ط، 1995، ص219.

" ان الثقافة توفر نقاط استناد خيالية للحياة العملية ونقاط استناد عملية للحياة الخيالية...تعوض بنا القومية من المدرسة في خبرات الماضي الاسطورية المعاشة يربطها بعلاقات...مع الجسم الكبير الغير مرئي(الوطن)...وابوية(الدولة)...وتقوم الثقافة الدينية على التماهي مع الاله المخلص ومع شراكة الامومية والابوية التي تؤلفها الكنيسة"¹.

إن الذهنية الرجعية المسيطرة تشكلت عبر أبعاد مستدمجة ذهنية ودماغية بيولوجية وانثروبولوجية وهذا المركب الذي يدمج الخيالي بالعملي، والعلمي بالخيالي في بنيات اجتماعية متكاملة ومتنافرة ومتنافسة، مما لاشك فيه أيضا إن الذهنية الميكانيكية، أغلقت الباب لفهم سبب التصلب الحاصل وأغراضه الإيديولوجية الأحادية، ليكون ههما مركز الثقافة ومركز الإنسان نفسه عوض رؤية التبادلات بين الأقطاب.

"ترتبط الحتمية المنظمة للبراديجمات والنماذج التفسيرية الحتمية المنظمة للأنساق الاقتناع والاعتقاد التي...تفرض على الجميع وعلى كل فرد القوة الآمرة والقوة التطبيقية للعقيدة وقوة التحريم النهائية"².

يشير "موران" إلى الثقافة ليست بهذا الشكل أو ما دعاه حتميات قطعية، ركز كثيرا على التداخل ما بين البيولوجي والسوسيولوجي والثقافي في تفسير الظواهر واستيعابها كلية، فليس هناك بعد منفصل عن الآخر كما انه ليس لدى عنصر السلطة الكامنة للبروز والتجسد دون الآخر: "تلاحظ إن مركبا من الأحداث الاجتماعية والعقلية والثقافية تتضافر لتفرض البدهة واليقين وبرهان الحق كل ما يستجيب للتطبع والمغايرة"¹.

إن سلسلة الإنتاج وإعادة الإنتاج متصلبة ثقافيا ولا يمكنها احتواء حقيقة التراكيب المختلفة، إما إن النزعة القومية والعرقية التي سيطرت على الثقافة كانت أحادية المنطلق والغاية واقصائية، يحاول "موران" ابراز زاوية اخرى وحقيقية بين الطبيعة مكون موجود وسابق وبين العملية الطابعة لها، بيت الطبع والتطبع لرؤية المجالات التحوارية التكاملية التبادلية للثقافة والافراد والمجتمعات ليس نظريا وحسب بل من الواقع الانساني والفردى والمجتمعي الاخذ في التشكل: " الشروط والاحداث القادة على تهوين الطبع والتطبع تكمن في التنوعات الفردية من التعبير عن نفسها...هذه الشروط في المجتمعات التي تنتج اللقاء والتواصل وتداول الافكار"².

¹ ادغار موران، روح الزمان، العصاب، ترجمة انطون الجزء 1، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، ط3، 1995، ص13.

² ادغار موران، المنهج، الجزء الرابع، المرجع السابق، ص38.

¹ المرجع نفسه، ص41.

² المرجع نفسه، ص 44.

ان اللقاءات والتجمعات السكانية للمهاجرين والسكنات المفردة والاقامات والغيتوهات والحياة الثقافية العامة واليومية من توفير هذا المجال للتداول الثقافي والتبادل اليوسر والمتوفر والعابر والاذ في اءاءاء ءءولاء وءءرراء فرءية وءماعية وءقافية؁ يعءبر "موران" ان هناك شروط ينبغي مراعتها للءبءال الءقافي:

"ينءء الءبءال الافكار ءوهينا في اشكال الءوغمائية والءعصب هذا ءوهين ينبى الءبءال... يءضمن ءبءال الافكار وءورء مبارزة وءءافس وءعارض؁ يءم ضبط هذا النزاع بقاءة على مسءوى الءوار الءى ءسءبع الءءراء"¹.

الهجرة كءءربة ءوضء مءى الكفاءة الءوارية للءءمع وءقافته وليس ءاكيدا على الءءمية او الءطبيعية؁ فناءء على سبيل المءال بناء مسجد بءولن المانيا بنمء عمرانى اسلامى واوروبى ءءائى؁ يرمز الى الكءير وءلق فضاء اءءماعى ءءينى مءاير يضم معرفة مءءلفة وءءارب مءوع ءءبءال فيما بينها؁ انه فءء لامكانية الءعبير الءقافى الءوارى سواء ما بين الءالية الاسلامية المءعءة الاطىاف او المءءمع الالمانى الءاضن لهءه الءءارب؁ هءه الامكانية يءعوها موران ب: "من ءءمىاء ءقافية الى ءساءاء ءقافية":

" يعجز الطبع والءطبع؁ البراءيغماء؁ العاقاءء؁ الءنمىطاء عن فهم وءوء ءياة ءقافية وفكرية ءءاورية ووءوء ءرارة ءقافية؁ ووءوء امكانية الءعبير عن الانءرافاء... الشرء الاءول للاقامة ءءاور ءقافى هو الءعءء/الءنوع اءءمالى فى كل مكان؁ ذاك ان كل مءءمع يءضمن افراد مءءلفين ءنسبى فكربى ونفسبى وءعوربى؁ اى انهم يبسءعون طرء وءهائ نظر مءبائنة"¹.

ءاءء هءه الءوءكباء النظرية والامبريقية ءرءة عميقة من الءءليل والءفسير والءصوير لعمق الظواهر المنبءة من معالءة موضوعة الجسء؁ الهجرة؁ الءقافة؁ وما يراعى ذلك من صفاءها واسمائها وابعاءهها ككل؁ فلو نلاءظ ان الهوية الءنسبى والمبول الءنسبى ذاء الءوءهائ المءءلفة اءءل المءءمع؁ والءماعة المسلمة والمءءمع ككل وذاء الامر فى الءءارب الءينية الاءرى؁ ان الالزام والاكراه والمءع يلءق ءكوبن اى ءقافة ءءاه الءنس او النوع البشربى الا ان الءعاببر الانءرافية عبرء عن ووءوها ضمن هءا السباق؁ معرف هءا الامر فى الءارىء الاسلامى؁ وءءنا اننا لا نملك ءقافة اءاءية بل ءرارة ءقافية ءوقء علاقاء ءساءاء الءقافة فى اشكال ءقاطعية لبسء هامشية بل ءعبر عن عملية ءقافية بعينها.

¹ المءرج نفسه؁ ص 44.

¹ اءغار موران؁ المءهء؁ الءءه الرابع؁ المءرج السابق؁ ص ص 43؁ 44.

الحوارات الثقافية وتبادل الافكار اثرت كثيرا في تعرف المجتمع الالمانى او الفرد الالمانى الى الجالية المسلمة او العربية وتشكلت منظومة مختلفة بفضل التبادلات والتجارب من الزخم الثقافى الذى يتحرك بيولوجيا وجسديا واجتماعيا عابر بين المرئى واللامرئى ذاك ان الشكل الحقيقى للثقافة هو: "الثقافة هي خاصية المجتمع البشرى تنظم وتتنظم عن طريق العربة المعرفية المتمثلة في اللغة انطلاقا من الراسمال المعرفى الجماعى وهكذا تتجلى التصورات الجماعية والوعى الجماعى والمتخيل الجماعى...الثقافة ليست بنية فوقية ولا تحتية... الثقافة والمجتمع علاقة توليدية متبادلة"¹.

معنى توليدى تبادلى متعددة الابعاد ودينامكى وحيوى لا تكون الراوسب متسلطة وثابتة بل متعرف عليها وعابرة الى الغيرومناقشة في حوار يومى متشكلة متقولة بتجارب وخبرات جديدة محلية وكونية في لحظة لتعود في اشكال تبادل اخرى.

يفيدنا هذا كثيرا في استقراء العلاقة بين الجنس والهجرة والتنوع الثقافى من عمق محاورها واقطابها البيولوجية والسوسيولوجية والانثروبولوجية في شكل متوازن، انه مبحث مهم ومتوسع توسع المعرفة الانسانية ومناهجها، ينتقد "موران" حتمية الثقافة والبيولوجيا وكيان مجتمعي مهيمن على الافراد ومفارق لهم، لذلك يشدد على فشل البراديغمات ومركزا على البراعة الانسانية كروح مفقودة، ما يشغلنا من التفاعل والتكامل والتداخلات المعرفية هي الاقتراب من المنجز الاجتماعى على ارض الواقع من خلال تلك المحاور الثلاثة:

" ان النشاطات لمعرفية لدى الكائن البشرى تبرز من التفاعلات التحوارية بين برمجية تعددية ذات اصل بيولوجى دماغى وبرمجة تعددية ذات اصل اجتماعى ثقافى، وتتضمن كلتا البرمجتين عناصر اضافية وتنافسة تعارضية...انه يتشكل من العملية المستمرة للحلقة البيولوجية الانثروبولوجية الدماغية النفسية - الثقافية"¹.

ما يمكن الاشارة اليه ايضا بخصوص تفصيل الجنس/ الجندر هنا انه حقيقة ليس مقررا بيولوجيا محضا للجنس البشرى، كما انه ليس اجتماعيا خالصا ولا ثقافيا حتميا، يعتبر موران من هذه العلاقة الثلاثية تحليل كل طرف على حدى وفهمه وجمع مركبهما الدماغى والاجتماعى والنفسى والثقافى، و في الاخير تتوضح الصورة الكاملة وتفك الكثير من الجدلات والتحيزات المعرفية بخصوص هذا الموضوع الحساس وهذا يشمل نظريته النسقية الانتظامية

¹ المرجع نفسه ، ص25.

¹ ادغار موران، المنهج، الجزء الرابع، المرجع السابق ، ص 28.

الباب الأول: الجسد وثنائية الطبيعة والثقافة - من المعطى إلى المبنى والمعنى

ككل او ما سماه بالحرف: "متعدد الأبعاد المتلازم"، اذا تنوعت مقولة المعرفة وتكاثرت عندما ننظر اليها لاستطعنا شرعا ان نفترض تضمنا التنوع والتعدد... يجب بالاحرى ان نتصور فيها اشكالا ومستويات عديدة يتقابل فيها كل شكل ومستوى"¹.

من الجدير الاعتناء بهذا الاتجاه في الدراسات السوسولوجية المعاصرة والاقتراب من طبيعة التحولات الطارئة على المجتمع الانساني ككل يجول بنا موران كثيرا عبر مؤلفاته لنجد ذلك الخيط الناضم في مراعاة المشترك الانساني وليس مركزية الانسان من روح الزمان باجزائه عبر على أن: "روح الزمان تتقدم بعد الان في الاتجاهات التالية: قلب علاقة قيم كانت الان دامجة بصورة رئيسة... ظهور وتطور موجتين الموجة الصدمية الثورية والموجة العريقة الاصلاحية، التفاعلات المعقدة بين الاقطاب الثلاثة، توسع وتعمق في ازمة ثقافية... المفاجآت والظواهر المشخصة"².

ان الملاحظ للنوع البشري كجنس لم يعد بتلك الثنائية في الوجود وذلك من جراء الاختراقات التناسلية المصطنعة والمعقدة حولت حتى الجنس البشري نفسه وعمليات مهجنة ومعقدة اثرت فعلا على مجريات بناء الواقع الاجتماعي وعلى الهويات الجنسية والاتجاهات الجنسية واستمر هذا الاختراق في اعادة النظر في الاسس والمعتقدات، كما ان الهويات الجندرية آخذة في التوسع ومن الانثى الى الانثويات من الذكر الى الذكوريات، تمثلات وتصورات وممارسات متشابهة، لي هذا وحسب لم تعد كلمة ثقافتنا ومجتمعين قاعدة واساس تحليلي ابدأ في موضوع الهجرة، هناك مجتمعات وجماعات في المجتمع الواحد في لحظات الزمن العابر للهجرة.: " تنمو انثوية جديدة وحركة انثوية جديدة من منطلقات الرؤية الكالفونية ومنتشرات بسرعة، وموجة صدمة... لموضوع الاسرة والامومة والعمل،... ان التطورات الخاصة بالشبابية والانثوية والنزعة الجديدة ترتبط فيما بينها مع تكوينات سيرورات متميزة ومستقلة في الوقت نفسه بعلاقات تلازم وتفاعل وهي تؤلف بهذا المعنى الوجود المتعدد لصيرورة محولة وواحدة"¹.

يوضح ادغار العملية التداخلية بين الأبعاد الثلاثة:



¹ ادغار موران، المنهج، معرفة المعرفة، انثروبولوجية المعرفة، الجزء3،ترجمة جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2012، ص ص، 22، 23.

² ادغار موران، روح الزمان، الجزء الثاني، المرجع السابق، ص219.

¹ المرجع نفسه، ص218.

4- الثقافة كسيولة وتدفق

انطلق زيخمونت باومان (Zygmunt Bauman) عالم الاجتماع البولندي المعاصر لللفية الثالثة، في استيعاب النظريات السوسولوجية والانثربولوجية وحتى النفسية من وجهة المنجزات العولمية، مقدما نقدا للنزعة المحافظ لدى بورديو في محاولته المضنية لاقامة التوازن امام هذا المد الكوني الكاسح، كما انه لا ينتصر ايضا للهجنة والغلبة للعولمة والا كنا ننتقل من قطب الى قطب وانما يشبه الامر ذاته ما ذهب اليه ابادوري وريتز: " لاحظ عالم الاجتماع البولندي المعاصر ان بورديو كان يحاول الحفاظ على التوازن لمكافحة الثقافة فيما تبين انها تحولت الى سيولة... الثقافة السائلة تتبنى الاعراض بدلا من التتوير والارتقاء بالنفس وان تكون نشيطا مفتوحا غير محدد بهدف، لا تشبع تظل تخلق الحاجات، وتمنع المرء من الاشباع الذاتي"¹.

يحتاج فهم اعمال "باومان" دراسة شاملة للتدقيق اكثر، الا انه في متناول المطالع العادي والباحث لما يعالجه من الواقع اليومي والكوني بالخصوص، وفهم الابعاد الانثربولوجية والسوسولوجية المعولمة، لو نلاحظ من خلال مقولة الاندماج داخل المؤسسات وتنظيم الدولة والمجتمع كما عرفناه لم تعد تجد موطننا للتعبير عن نفسها في الثقافة السائلة العائمة، نحن لا نعيش فقط في مجتمع المخاطر كما عبر عالم الاجتماع الالماني "اولريش بيك"، او مخاطر المجتمع المفتوح من قبله كارل بوبر، بالوضع الذي نكون فيه اقرب الى التماهي والذوبان. لم تعد الطبيعة مقولة مجردة ولا الثقافة كذلك، لا تكاد توجد حدود بين الفوق والتحت، الرسمي والغير رسمي، المحلي او الكوني، نحن مشكلين كريبوليا، من اخلاط ومواقف عابرة لا علاقة لها بالانتمائية، تحطمت فيها امام التتوير او الكوجيتو الديكارتية: " من انا افكر انا موجود الى انا اوسلفي اذن انا موجود"¹، بمعنى السيولة والتدفق سار منطق الثقافة الان السائد بلا اكراه واكثر نعومة ونماء على جميع الاصعدة وسريعة الانتشار والتغير، لحظية عابرة، اخر همها النخبوية ميالة الى ثقافة العيش والظهور المجمعهر، لا تؤمن بالرواسب والبواطن الفكرية والروحية والنفسية، مادية زبئقية اكثر لا وجود لجوهر خالص، الجوهر الوحيد العيش وتحويل حتى العنف والموت مصدرا للعيش وان كان شاحبا من مظاهر الحياة لكن لا يهم مدام يمكن

¹ رقية كمال الدين، زيخمونت باومان، حينما تخضع الثقافة لمنطق الموضة، www.idazat.com/culture.in a liquid.modern، 19:00pm -2020.05.25.

¹ انظر: الزا غودار، انا اوسلفي اذن انا موجود، تحولات الانا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019.

تسليعه وبيعه وتمريه: " لكي يثبت المرء وجوده عليه ان يثبت قدرته على ان يكون شخصا آخر، مثل الحرباء في تلونها،.. اذا اردت ان تتجو من الغرق عليك بالاستمرار ركوب الامواج"¹.
ليس من الواجب علينا الكف والاعراض عن تكلسات الثنائية والارتقاء الى ابعاد اكثر دقة في الملاحظة؟ الم يحن بعد وقت الخروج من، الاصلي والاجنبي، الغريب القريب، الوافد المستقبل، ثقافتان، ان كل هذا عائم في الهجرة وفي المكونات الثقافية المابعد حدثية او حدثيتها الفائقة:
" في عصر الثقافة السائلة تتغير كل المسارات فكل ما هو قطعي يدخل تحت دائرة امكانية التغير والسماح بالاختلاف بحجة التعددية الثقافية، التي تستخدم استخداما مزيفا للتعبير عن التعددية المتحدة، ففي النهاية يتم تشكيل اختبارات القوى المحرومة من قبل القوى الاعظم منها"².

ان الثقافة السائلة او تدفقاتها يعني انه لابقاء لمركزية ترتبط بها بحد ذاتها، انها تمثل الموج والافراد يعتبرون راكبها، يحتاج الامر كله لى مهارة -ليس هابيتوس- دوما في حركة ابتكارية لاساليب الحياة، انها بالنسبة لعلاقة الهوية والمهاجرين موضوع عائم في شتات الثقافات، لا تكون الهوية فيه الى متجولة، المجتمع مجرد متخيل، المهاجر تائه -التيه والترحال ميشال مافيزولي- لا سبيل الى السيطرة ، الامر كله متعلق بالرغبة التي لا تشبع ابدان وانية ولحظية اكثر، جعل الثقافة في ذلك اكثر تبديلا ولا مكان للديمومة الزمنية المتخيلة، اما الباقي من قوميات وعرقيات كهوية متصلبة مجرد اسطورة عنيفة من المقاومة والضدية: "الثقافة في اوربا باحثة عن الاتحاد... لكن حديثا تحولت الامم المتماسكة الى روابط مبعثر مكانيا ومتحالفة معنويا... اثرت الثقافة السائلة على الاقليات واثرت الاقليات على الدولة-الامة والمجتمع على الثقافة"¹.

اعتقد ان الحالة التي تصيب الانسان عموما والمهاجر بالخصوص هي صعوبة التجذر، فلقد تعود الانسان ما قبل الالفية الثالثة على تعريف بجسده الذكوري او الانثوي كل على حدى وتجسده الاجتماعي المكثف والمركز ثقافيا لانتماء بذاته دونما خلط، كذلك الحال في السياسة والاقتصاد، فمن الصعب ملاحظة تلك الامواج التسونامية الهدامة لعقيدته والمكسرة لاعمدة طموحاته التسلطية المتخذقة النرجسية الملغية لغيره، لذلك ينعت كل تغير بالسلب او المؤمرك

¹ رقية كمال، الموقع نفسه.

² الموقع السابق.

¹ الموقع نفسه.

او التغريب، هل في الثقافة السائلة يفقد الانسان الشعور بالامان ام انه بعد آخر من الحركة واعدادة التوازن؟.

" اليوم ندخل عصر فك الارتباط فـنـمـوـذـج البانوبتيك (PANOPTIC MODEL) الذي يهدف الى السيطرة -اندثر-... وتصحيح الحكم الذاتي لتابعيه، انما يجري تفكيكه، انه يفسح الطريق للاشراف والتحكم الذاتيين".¹

المهاجر اليوم ليس مجرد مهاجر بل يعبر الاشياء ويعبر عن حقيقته عن واقعة اجتماعية وثقافية مهمة للانتشار اكثر راض غير ابه بالحمولة كراكب الامواج مخاطر يطفو ويغرق وما بينهما تكون متعة، ان الثقافة بهذا الشكر اكثر مرونة وتنوعا وكما يكون لتجذر وقتا وحيناً فن السباحة والخروج من المجال الممغنط ثقافيا متعاقب في حياته وحياة الثقافة نفسها، الهة المجتمع الساكن التي تسلب الافراد حياتهم وتسدلها بالامان الزائف لم تعد تثير اعجاب الانسان، بل اصبحت الثقافة اكثر شبابية ومصطنعة لبيئتها، هذا اللارتباط واللاتجذر، قد تكون نزعة ما بعد حداثة مبالغ فيها تهدد الهوية المطابقة، لكن ليس هذا المراد، فمن خلال المهاجر وعبر جميع التصورات والتمثلات والمواقف والمنجزات وحلقات العبور ومسارها كشفت أن المهاجرون حاملون وأكثر تمردا.

لا مكان للاندماج في امواج الثقافة وسيولتها الى في ميثولوجيات وطنية او قومية او عرقية او اقلية حالمة ومتخيلة، الذوات اكثر براعة في شغل الحياة والاستفادة من مواردها والتمتع بالمعيش، حركة من التدافع والتولد في محيط شاسع ومنوع.

"... ان المجتمع كيان متخيل لا سبيل الى معرفته ولا سبر اغواره وكان عليه ان يتمثل الى امر الروح الحديثة بأن يحل محل الاله ويتولى وظيفته مدير الشؤون البشرية، في زمننا جاء الدور على المجتمع ليؤكد ان الانسان قد تم تجهيزه بادوات شخصنة كافية لمواجهة الحياة..."¹

خلاصة:

راينا من خلال معالجة الثنائية كاشكالية محورية في العلوم الاجتماعية وكيف جعلت من ثنية الجسد والمجتمع مساحة مست جميع النقاشات والدوائر المعمقة فلسفيا واجتماعيا وانثروبولوجيا لاوضح بالبرهان والحجة والادلة الامبريقية، ومن خلال خبرات وتجارب المهاجرين، اننا على ابعاد متعدد نهملها في صراع الثنوية والقطبية، كما صار من الضروري والعجالة استبعاد مقولة

¹ زيخمونت باومان، الثقافة السائلة، ترجمة حجاج اوجبير، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2018، ص. 56.

¹ المرجع نفسه، ص، 58

الاندماج، الاندماج والادراج فكلها معبئة بالنزعة المعنفة، واحتكار التنظيم الاجتماعي والشرعية الثقافية

خاتمة

وعرفنا كيف تخندق كل فريق بالدفاع والمحافظة في قوالب مفهومي جاهزة غير معالجة ومنتقدة وغير مفتوحة على حقيقة التحولات الكبرى. اثر الخطاب النخبوي على موضوع: الجسد والجنس والجندر، عن رؤية الحقيقة دون تحيزات، واكتشفنا كيف ان الحياة اوسع واساليبها مبنوثة ومنبثقة بين الفاعلين انفسهم. البعد الثالث مخرج معرفي مهم يستوعب النقاشات العلمية والمعرفة حول النوع البشري والمجتمع والثقافة وينحو دوما الى امكانية الفعل والتمايز والتبادل والتعاقب، في حركة مرنة ودينامكية نحاول من خلالها استوعاب دينامكية التنوع وحيوته والانتباه الى امكانية الانسان والانفتاح على الاحتمالات وما علاقة الجنس بالهجرة الا احد اوجه هذا التنوع والتغير.

الباب الثاني

مقدمة:

الجندر يلامس المضمون والشكل في الحياة اليومية، هذا المضمون الثقافي والشكل الاجتماعي في حركة وتماس لكل الحواف والأجزاء ومركز حياة الانسان، ويشكل اليومي حركة التغير الزمني والمكاني، فالجندر هنا يلامس شكل وقائع الحياة يؤثر ويتأثر، ان الهجرة تعد مجالاً لتحولاته الداخلية والخارجية المادية والمعنوية، في حركة استفزازية لكل ثابت و داعمة لكل انبثاق، فأدوار الذكورة والأنوثة، آخذت في التغير نفسياً وسلوكياً، ولعل الأداء والانجاز والاستعراض اليومي للمهاجر، سيكون مختلفاً عما انطلق منه وما وصل اليه، فهو ليس عبر ثقافتين بقدر ظهور أمام اتجاهات وسياقات وابعاد اكثر، وهذا الذي اشير اليه بجندرة فضاء الهجرة والكيفية التي يتداخل بها الجنوسي والنفسي عبر المعيش اليومي وتحولاته، والتداخل الثقافي والعابر بين المحلي والكوني في شكل تواصل ثقافي.

الفصل الرابع: جندرة مجال الهجرة وفضائها

تمهيد:

من المهم معرفة أن الجندر ليس مفصولا عن حياتنا بل هو يتخلل تفاصيلها عبر الجسد والمنطق والمعرفة والممارسة والتمثل، والتجارب اليومية التي تساهم في دينامية هذا المشهد، ولعل ابرز تجربة شهدتها الانسان هي حركة الهجرة وتحولاتها، فجندرة الهجرة (Gendered migration) هي ليست عملية الباس الجندر لظاهرة الهجرة، بحيث انهم عملياتان وموضعاة منفاصلان نقارب بينهم، بل هي فهم لتلك العلاقة وتحليل أبعادها عواملها واسبابها وتفسير ذلك التداخل الممزوج بينها في الواقع الانساني العابر بالاضافة الى تفاعل تلك القيم والمعايير والتصورات باكثر من ثقافة واحدة، كما ان جندرة الهجرة ليست الانتصار لنسوية الهجرة ابدا فهذا مشهد من مشاهد الصراع والتنافس فيما بين النوعين وهو نضالي وسلطوي اكثر منه علمي.

1- جندرة الهجرة (Gendering. Gendered)

هناك فرصة في مجال جندرة الهجرة، لإدراك مساهمة الطرفين في هذه التغيرات والتحولات، كما ان جندرة الهجرة تضم دراسة نسوية الهجرة وليس العكس، ان لحظة الانطلاق والهجرة لكلا الجنسين مهمة، كصدمة اولية للتخلي واخذ تدابير واحتياطات تمهد لحركة اسرع، بدءا بشعورهما ان الادوار والوظائف الاولى للذكورة والانوثة لم تعد تجدي نفعاً، وذلك المكان العابر ايضا الذي يلتقيان فيه في البحر او في المطار ومكان، تبدا فيه العلاقات باخذ تدابير جسدية وهوية ودور للنوع الاجتماعي الذكوري والانثوي، الذي يحركه هنا تصور مسبق عن المجتمع المتوجهين اليه، معالم تتغير وقناعات تتحول تحتاج منا فهم تلك العمليات المحفزة والمرممة والمبتورة، والانتقال من مركزية ذكورية واحدة الى ذكورات، ومن انثوية او نسوية واحدة الى انوثات متعددة، الاتجاهات ومختلفة الاهداف، وهذا طبيعي عبر المهجر بسبب المزاحمة والمنافسة والتخالف الثقافي، والحاجة الى رباط اجتماعي جديد، فيلجأ المهاجرون الى تبديل تصوراتهم وتحسين تمثلاتهم عن ذواتهم والآخر والانطلاق في ممارسات وسلوكيات مختلفة يكون الشكل الهجرة لهم ولغيرهم مليئاً بالصراع والتنافس والتحاور في مزيج كوني.

في بداية القرن 19م وبداية القرن 20 اهتمت الدراسات السكانية الاولى بالهجرة الدولية ووثق الباحثون من خلالها الاختلاف بين الذكور والاناث، واعتبروا الجنس مؤشر مهم على الميل الى الهجرة واكدت ان علاقات القوة الاجتماعية والايديولوجية(العلاقات بين الجنس اكثر اهمية في

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تشكيل أنماط الهجرة، مساواة وتنظيم تيارات الهجرة،" وأثبتت الباحثة أي، جي رافنشتاين (1885.1889)، في بريطانيا ان التنقل يتزايد حسب الجنسين، فالإناث كانوا يسافرون الى مسافات اقصر بينما الذكور الى حيث أرادوا وابتعد¹.

لقد أثر الجنس على الهجرة كموضوع واثرت الهجرة ايضا باتجاهاتها ومسافات عليها، فالإناث يسافرون الى مسافات اقصر، بينما الذكور الى مسافات اطول بناء على المحدد الجنسي، وهذا مترسخ باعتقاد ان الشباب الذكور اكثر حركة وقوة وقدرة من الإناث وهم صبورون ومغامرون يقول باتريك مانينغ: " ان الفكرة القائلة بان الذكور اكثر قدرة على الحركة بشكل طبيعي من الإناث هي فكرة ثابتة في انشائهم وتصنيفهم"².

تركز على دافع العمل فقط دون ابراز عوامل اخرى، وهذه ارتبطت محليا ببعض التجمعات في بريطانيا واوروبا ذلك الوقت، ان لم نقل كان تصورا مشاعا او حركة على المدى القصير والخاص.

إن جندرة فضاء الهجرة تعتبر دمج لفهم تلك السلسلة من العمليات الاجتماعية للدوار والوظيفة دون احداث خلل ما، ما يعني ضرورة مراعاة التجربة للهوية الجنسية عبر الهجرة او الهوية الجندرية بالايخص اكثر مما تحمله ادورا وتمثلات ذكورية او انثوية.

ذكرت كلا من "ليندا جوري" و"فرانسواز تيير" في بحث لهما عن النسوية والجندر في الهجرة على ان علم الاجتماع كان له الدور في ابراز دور النساء كمرئيات في الهجرات وفي بحوث مختلفة... فمن الناحية التاريخية توضح "نانسي غرين" اربع مراحل تاريخية مهم ومساهمة في توضيح مسارات الهجرة التي كانت تخص الانتقال من فرنسا الى امريكا:

"اولا: الانسان المهاجر العامل (1960،1970)، ثانيا: اكتشاف المهاجرين (1970،1980)، ثالثا: دمج الجندر في دراسات الهجرة (1980،2000)، رابعا: الاهتمام بالجنسانية والحميمية (2000 الى اليوم)."³

الفترة الاخيرة من الدراسات هي التي كانت اقرب الى اشكالات الجندر والجنسانية وبرز ايضا من خلالها التيار التقاطعي ، هذا الاخير الذي عاين الطبقة ، والجسد، والاثنية، والتمثلات

¹SUZANNE M. SINKE. Gender and Migration: Historical Perspectives. The International Migration Review
Published By: Sage (Vol. 40, No. 1, Gender and Migration Revisited (Spring, 2006), pp. 82-103 (22 pages
Publications, Inc. <https://www.jstor.org/stable/27645580-at2018/04/13-14.12> am

² LINDA CUORRY FRANCOISE. Femmes et genre en migration. www.cairn info.com.202104.01-10 :15am

³ Op.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والجنس، والممارسات والخبرات، فاستخدام كلمة مهاجر/مهاجرة على هذا الشكل تعد بمثابة تثبيت الفرد ضمن الهجرة وملاحظة التمثلات الاجتماعية والسياسية لهذا الحراك. كتبت الباحثة الفرنسية ماري بيار¹ أيضا بالتفصيل في بحثها حول تجارب الجندر: "اعادة تركيب المعيار وشمل دراسة ايضا للباحثة ساندر هوت (SANDRA HOOT) حول المعيار الجنسي وتحليل الفتاوى الدينية باعتبارها تاويلا دينيا عن المعايير الاجتماعية والثقافية بارتباطها بانتهاك الافراد المعايير الاجتماعية ومدى اندماجهم الاجتماعي في المجتمع المدروس"¹.

تعد جذرة الهجرة من الامور الشائكة، فهذا الكم الهائل من الاتجاهات المتداخلة تاريخيا وسوسيولوجيا ونفسيا، وكم يكون علينا عسيرا فهم الارتباط الحقيقي، بين ما يحدث وما ينجم عن تصورات الواقع كمفهوم ومعاش يومي، يذكر الباحث "جيروم كوردييه": "النوع الاجتماعي في محك العلاقة الزوجية انطلاقا من التغيرات واعادة التركيبات للقيم الذكورية من خلال التساؤل حول بناء الهويات الجنسية وما تتضمنه من ادوار ومكانات وتفاعلات اجتماعية بين الزوجين، - واتجهت الباحثة ليلي الى - ربطه بالفضاء العام او الحصول على مسكن واكتساب ملكية عقارية اما مار بلانش نحو اعادة تركيب الامومة.. القانون السائد في كيبك"².

ما يمكن ان اذكر به هنا من خلال ما تقدم ان جذرة فضاء كعملية تحتاج رصد التحول والتغير والتنوع الذي يدعمه، فقد يكون الحقل متسعا ومستقلا بذاته، لكن ما اركز عليه هو التحولات البنوية من جراء التنوع، فالجندر والهجرة عملية دينامية متحركة في كل الاتجاهات الثقافية والاجتماعية الفردية والمجتمعية في تواصل عابر وكثيف تكون الترسيمات والاشراطات بدأت تتشكل بطرق مغايرة وبتمثلات وتصورات مختلفة وسلوكية وموقفية اكثر، تعبر عن تجاذبات النوع والهوية.

درست الباحثة نادين كاتان (NADIN CATTAN) حراك النساء المستخدمات في المنازل من خلال التركيز على التدفقات الهجرية جنوب جنوب من سيريلانكا الى بيروت، درست اشكال جديدة من حراك النساء...محاولة لتجاوز الثنائيات الجامدة الخاص/العام، الرجل /المرأة، الرسمي/غير الرسمي، العمل/المنزل، الخضوع/الانتهاك"³.

¹ ماري بيار انجيلا واخرون، تجارب الجندر. الحميمة. الهامشية. عمل. هجرة، ترجمة نور الدين
www.journals.openedition.org.insaniyat.2021.03.19.19.03

²Ibid.

³ ماري بيار انجيلا، الموقع السابق.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ما قدمته الباحثة هو ذاته، من خلال اختيار جندرة فضاء الهجرة وله أهمية بالغة ونشوء ابعاد ثقافية اخرى والخروج من كهف الصراع الثنوي، هذا البعد الذي يجعلنا نفهم عدة اشياء منها حركة الهجرة والتداخل الثقافي، وتقاطع المتغيرات والعوامل فيما بينها التي تميظ اللثام عن الثنائيات الكلاسيكية.

لقد اتجهت الباحثة الاجتماعية المتخصصة بعلم الاجتماع ودراسات الهجرة والمقاربة الجندرية " كيم صبيحة" من خلال مقال لها على ان: " العلوم الاجتماعية بما فيهم علم الاجتماع ..لم يكن يهتم كثيرا بالبعد الجندري،... -هذا البعد- مهم في فهم النساء كفاعلات في الهجرة...وذكرت ايضا قصور النظرية السوسولوجية حول النساء المهاجرات كما ذكرها عبد المالك صياد...والذي ذكر ان المرأة المهاجرة في الاطار العائلي كتفسير وسيط لتواجدها كزوجة وابنة مهاجرة الذي شكل تحيز واعتبار الهجرة ظاهرة ذكورية".¹

لقد حاولت الباحثة ابراز موقع ومكانة المرأة من خلال المقاربة الجندرية للهجرة والبحوث الميدانية، الا انها كانت تحت طائل الميل النسوي والترقب ايضا منه، عبر الاعمال الاكاديمية وتجاربهم، وانا ارى ان الجندر مسالة شاملة تضم كليهما على حد سواء، فما الفائدة الانتقال من قطب ذكوري نحو الانثوي او العكس؟، بجندرة الهجرة نتعامل مع العوامل ولاسباب والافرازات معا في دينامية هجرية تكون الثقافات متواصلة ومتضاربة مشكلة واقع يومي.

قدمت الباحثة اهم المعالجة الجندرية من خلال التقرب اكثر من تجارب النسوة المهاجرات بالتركيز على ميرجانه كفاذك (MIRJANA MOROKVASIC) لمقال الطيور المهاجرة من النساء ايضا، واعمال قيليونو فرانسواز (FRANCOISE CRUILLENOUT) من خلال الانتقادات التي وجهت من خلال اخراج المهاجرة من عدم رؤيتها بفكرة اتباعها لزوجها، وكذلك اعمال تيبووادليونتي (TABOADA LEONETTI) و لا كوست دوجران (LACOST) و دغورينا (DGORAINA) و اردزيان (ARDEZIAN) وسيريان فيتارت (SREIFF-FENART) فكل هذه الدراسات حاولت المساهمة في القاء الضوء لوجود المرأة كفاعلة في هجرتها".²

هناك فرق بين الدراسات النسوية للهجرة والدراسات الجندرية، الفرق يكمن في ان الاولى فرع والثانية اصل، فالجندريضم كلا الجنسين من حيث الرؤية وطبيعة توزيع الادوار وبنية السلطة، كما ان العلم بالجندر ليس هو المقاربة الجندرية فالاول فهم ودراسة وفحص ونقد مستمر ومتابعة

¹ صبيحة كيم، نظريات الهجرة، وعلاقتها بالجندر نحو مقارنة جديدة، مجلة آفاق فكرية، المجلد الرابع، العدد 08، مارس 2018، ص ص، 146-161.

² المرجع نفسه، ص 148.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

للجزئيات والكليات اما المقاربة الجندرية تشبه الحاجة الى ادراج تنموي ما، لذلك فالجندر يشير الى اشكالية محورية عموما وعبر الهجرة خصوصا بانه علم مستقل بذاته ام مجرد مقاربة تشغل تخصصات عدة؟.

من خلال دراسة الهجرة وملاحظة الادوار الجندرية برزت تلك الابعاد الثلاثة: ما بين العلم الخاص بالجندر، والمقاربة الجندرية، والنضال النسوي، ان هذا الاخير لا يفيد موضوع الهجرة بقدر ما يستغله لاعادة تموقعه واعتماده النظرية النسوية والنضال النسوي الايديولوجي، والبحث النسوي وهذا يحيد بنا عن الحاجة الاستمولوجية والنقدية لتعرية كلا الخطابين:

" يهتم الاتجاه الجندري كمقاربة جديدة لنظريات الهجرة بعامل التنشئة الاجتماعية للمهاجرة واختلاف ادوارها ومكانتها عن الرجل ومدى تأثيرها على وضعيتها... وتبرز خصوصية تلك المهاجرات التي تصل الى بلدان الاستقبال... بعض حالات ولادة المرأة خارج اطار الزواج، الامهات العازبات التعرض للعنف الجسدي، عدم القدرة على الطلاق، الرغبة في الهروب من القمع الجنسي والتمييز ضد فئات النساء"¹.

هذه المظاهر والوقائع اليومية والتصنيفات والتمييز ضدهن في الحقيقة قضايا متشابكة اذ كيف نفسر العنف الذكوري ضد الذكوري ايضا، والاعتداءات الجنسية والجسدية؟، وكيف نفسر العنف النسوي ضد انفسهن؟، ان اكثر ما لاحظته من خلال استقراء عدة بحوث ان الفجوة تكمن في التركيز على اتجاه واحد وهذا طبعا سواء كان مبحثين عينات، معارف، ونظريات، او حتى صوب وجهة المهاجرين انفسهم بالتركيز فقط على التجربة الفرنسية دون النظر الى حقيقة اجتماعية اخرى، ان هؤلاء المهاجرون يرتحلون كثيرا ولا يستقرون بدولة واحدة ناهيك عن تلك الاتجاهات الهجروية الاخرى التي تشكل اليوم تجربة غنية لدراسة الهجرة، الجزئيات والجزائريين بتركيا والمانيا والسويد وكوريا الجنوبية، كل هذه التجارب وغيرها قد غيرت الكثير بحيث يكون النوع الاجتماعي للمهاجرين داخل هذه الرؤية: المعرفية والاتجاهات والسلوكات والممارسات (K.A.R.P)، نفهم الجندر وتحولاته بأوقاته المرنة واماكنه العابرة بعيدا عن التصلب.

هجرة الجزائريين الى فرنسا لها خصوصية سياسية ونفسية وثقافية وديموغرافية لا تمكننا من فهم تجارب اخرى، لا يمكن باي حال تقارب المهاجرين القاطنين بمرسيليا بتلك التجربة الالمانية او

¹، كيم صبيحة، نظريات الهجرة، المرجع السابق، ص 149.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

التركية او الامريكية، صار من الضروري تغيير النظارات لرؤية اوضح، حاولت الباحثة "صبيحة" اقرار منظور جديدة دراسات الهجرة من خلال ادراج المقاربة الجندرية .

"المهاجرات الفاعلات" الفعل، الفاعل، الفعالية عبر الهجرة وعبر ابعاد ثقافية متقاطعة وغير متجانسة، اراه يحتاج الى اعادة نظر، هذا ليس تقزيم للمرأة والتحيز الذكوري ابداء، بالعكس هو معرفة مدى التجربة الحقيقية، اذ كيف تقول الباحثة في ذات المقال " المرأة المهاجرة عليها ارسال المال باستمرار كواجب اخلاقي" ثم اردفت: " فاطمة 42 سنة قررت الذهاب مع زوجها" رحلت مع راجلي"، فهل هذا تضامن ام انكفاء وعودة الى الحماية الذكورية؟، ما زالت تجربة النسوة تعيد انتاج ذات الانماط والاساليب القديمة، لست ادري كيف ابرزتھن على انھن فاعلات، هل فعل المغادرة هو تفعيل لدورھن وتغوير للتصورات والتمثلات؟، لو كان الحال كذلك لما نطق لسان المبحوثين ب" راجلي" واجب اخلاقي، ترسل المال لاهلها"، كيف نفسر كل هذا والارتباط بالاولي قوي جدا؟.

الفعالية تظهر لما تتغير الصورة والتمثل والمخيال الجمعي، نحو عقد موازنة اجتماعية لتلك المخلفات العنيفة الرمزية والمادية اللفظية والجسدية، تجاه النساء ويصبحن اكثر ايمانا بذوتھن ومنخرطات في بناء وقائع جديدة وعابرة معلنة وليست سرية تعانين فيه من القوانين خاصة دورھن داخل المجتمع المستقبل: " المهاجرة السرية كفاعلة... من تجربة الحياة (Un certain Bagage) المتمثل في مجموعة من السلوكات المختلفة للمعرفة الحياتية والتأقلم مع الوضعيات المفاجئة (Debrouillardise) ومؤهلات فردية (Competantes) هي عبارة عن راسمال بشري تستعمله الحاجة في مشروع الهجرة" القفوزية والشطارة"¹.

حقيقة في الوقت الراهن اصبحت الهجرة النسوية تظهر من خلال الحراك العلمي، والحراك الجمعي، والحراك التجاري الدولي، ما اريد ان اوضحه حتى يصبح اكثر نوعية ان ننتبه الى الغوص في الشكل دون المضمون، خاصة في ظل الهجرة العابرة للقوميات والمزاحمة للثقافات والهويات كسيقات وابعاد وجب ادراك دورها، فملف جندرة الهجرة يضم المسائل الذكورية والانثوية وصفة الرجولة والنسوية، والادوار الامومية والابوية والعلاقات الجنسية والتحولت على مستوى الهوية الجندرية، ويعالج الفجوات السابقة واللاحقة، وهذا الواقع الجديد للمهاجر/المهاجرة هو بعيد عن النظرة الازدواجية وقريب من بناء الواقع الاجتماعي النشط والمتغير.

¹ صبيحة كيم، نظريات الهجرة، المرجع السابق، ص 151.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تشير انشغالات بحوث جندرة الهجرة الى البنى العائلية والادوار المبنية عليها بالمهجر، من حيث الاسرة والعلاقات الحميمة وبالضبط نموذج الممارسة الوالدية والابوية والامومية، وتربية الجنسين وحتى مسائل الطلاق وعوامل وخلفيات الاجتماعية مختلفة ما بين المجتمعات والثقافات في ذلك: "الادوار الاجتماعية المجنسة (Les roles socio sexués) في اعادة بناء النوع الاجتماعي"¹.

هي بمثابة ضبط رؤية لما يحدث بالهوية والادوار الجندرية والوظائف الاجتماعية المجنسة، الذي يفسح المجال على الابعاد الثقافية والتنوعات المدعومة في سياقها العابرة والمتولدة، هي عملية سوسيولوجية تاريخية ونفسية لبناء الواقع الاجتماعي بشكل يومي بين الذكورة والانوثة بين جماعات مختلفة.

تقر كلا من داهندين وماغدلينا روزند² (JANINE DAHINDEN.MGDALENA ROSENDE) على اعتماد المقاربة الجندرية في رؤية الذكر خارج مركز الاسرة، والنساء مجرد ربات بيوت بل عاملات ايضا مبرزة اهمية الشبكات الاجتماعية المتوسعة، والمتدفقة من ذلك ورؤية عواقب عملية الهجرة على اعضاء العائلة والنظر في قرار الهجرة باعتباره هامش التفاوض والنظر في خط الحساب على حد سواء كاجراء يقررن في عمليات الترحيل أو مستقبلات رواتب أو مبادرة تمويل للأموال.

اذا كان الجندر بناء اجتماعي وثقافي على الوجه التالي حسب الوضعية الملزمة له، ووفق تشريط ثقافي يمكن ادراكه داخل الحيز المجتمعي الواحد، فانه عبر الهجرة عملية تعليمية تواصلية وعابرة، لذلك هو بحث في كيف؟ ولماذا؟ ولاي وجهة نهائية؟ مع الاخذ بعين الاعتبار التقسيم العملي للدور والسلطة واعادة توزيعها كمسكب في الاخير.

تشير البحوث الميدانية على ان النساء على دراية اكثر من الذكور من حيث سوق العمل والمهن خاصة الواقع المؤلم الذي يكشف عن العنف الجسدي الموجه لهن في اعمال ووظائف غير قارة، ويكتشف تلك السبل التي تحول بين نهن وبين النجاح الوظيفي لذلك المهاجرات اغلبهن مربيات ومنظفات ومساعدات في دور المسنين: "عن طريق الانشطة او العمل الاسود

¹ LINDA CUORRY FRANCOISE, Femmes et genre en migration.op.cit.

² MIGRATION genre frontieres.frontieres de genre.www.cain.info/revue.date publier.2007 ./2020.04.08-11.15am

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تتفد النساء المهاجرات استتساخ وإعادة انتاج التقسيم الاجتماعي الجنسي للعمل وفي الوقت نفسه تعزز عدم المساواة بين الجنسين¹.

وهذا طبعا في البداية يمس تقريبا الجنسين لكن يبدو ان النسوة يتأثرن به كثيرا هذا فضلا عن تجربتهن بايظاليا التي تكون اقرب الى الاستغلال بالعمل الجنسي. وهنا تبرز الحاجة الى التمكين الجندري (Gender Empowerment) في القضايا الحساسة من العمل والمهن والوظائف والاجور وطبيعة تكوين الاسرة والعلاقة الزوجية والانجاب والتربية لاجيال متعاقبة من المهاجرين وابنائهم.

ان الهجرة تزيد من العبئ على النساء في تحدياتهن تجاه الحقوق والمساواة، فجنردة فضاء الهجرة يكشف ان النساء كونهن كيانات اجتماعية منفصلة او فاعلات بانشطتهن، فحق المساواة والاجور تعبر على الفجوة والنظرة الدونية للمهن المخصصة للمهاجرين والمهاجرات، فلقد غيرت التجربة النسائية المهاجرة بعضا من صورتهم عن ذاتهم في استقطاب الشريك العائلي او الزوج، هو شريك لحياتهم وليس مجرد زوج، كما ان هناك تغير بولوج النساء عالم الوظائف والتكوين، الا ان الصورة العامة لفجوة الجندرية ما بين الاجور لا تمسهن كونهن مهاجرات بل كافة النساء بالمجتمعات الاوروبية.

تذكر احدي المهاجرات من تيارت والمقيمة بالسويد ان زوجها قدم بها شكوة الى مديرية الضرائب دون علمها، حتى اتى احد المسؤولين واخبرها ان عليها القدوم للمقابلة، وهناك اكتشفت ان زوجها قدم شكوى بخصوص انها تعمل على اليوتوب لكن لا تدفع الضرائب المستحقة- (هناك بلدان اوروبية وحتى تركيا تفرض ضرائب على قنوات اليوتوب)..انتهت القصة بالطلاق بالرغم من الرجل سويدي الا انها عبرت قائلة:

"الرجال ما يحبوش المرا تطلع وتتجح في حياتها مهما كانوا"².

¹ Migration genre frontieres.frontieres de gendre.op.cit.

² المبحوثة شاهيناز من تيارت مقيمة بالسويد المدعوة:كارولين.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

وهذا أيضا ما توضحه الاستجابات من الإستمارة المبينة في الجدول:

جدول رقم(01)تحليل مقياس ليكرت الخماسي حول موقف جندي.

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق بشدة	موافق	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الرتب	اتجاه الراي
رايك في جزائرية مقيمة وساعدت احد المهاجرين بالزواج	31 %49.2	/	17 27.0	2 3.2	13 20.6	2.460	1,6047	2	غير موافق
ما رايك في الزواج الابيض/ على الورق للجنسين	35 %55.6	7 11.1%	2 3.2%	9 14.3%	10 15.9%	2.238	1.6036	2	غير موافق
المتوسط المرجح/الموزون Weighted Mean الانحراف المعياري	2.349 1.6041								

الوصف:

في الفقرة الاولى نلاحظ ان الاجابة تركزت بنسبة 49.2 % من اجمالي اجابات المبحوثين "بغير موافق بشدة" تليها "محايد" بنسبة 27.0% ثم "موافق بشدة" 20.6%، ثم "موافق" بـ3.2% ، كان متوسط الفقرة قدره 2.460 بانحراف معياري شكل 1.6047 درجة، و في الفقرة الثانية عبر المبحوثون عن رايمهم بغير موافق بشدة بنسبة 55.6%، ثم تليها موافق بشدة 15.9% ثم موافق شكلت 14.3% ثم محايد، 3.2 % كما يوضح متوسط الفقرة 2.238 بانحراف معياري قدره 1.6036.

التحليل والتفسير:

حسب ما قدمه المبحوثون من هذه العينة نجد ان محور هذه الفقرة المشكل من فقرتين قد عبر عن دلالة معينة تشير الى ان هناك رفض واضح على مستوى راي الذي يتجنب ان تكون المرأة الجزائرية احدى مساعادات المهاجرين كسلوك وموقف مرفوض وهو الامر ذاته باتجاهها الزواج الابيض للمهاجرين الجزائري وللجنسين هذا الرفض يعبر عن موقف جندي متشبث بقيمه وصوره النمطية الاولى مقارنة مع باقي الاراء الاخرى المتوزعة.

النتيجة:

إن حسب المتوسط المرجح او الموزون هو: 2.349 أي اتجاه الراي للعينة تجاه هذه الاراء منخفض(الا وافق).

هذه بعض من التجارب التي تكشف ان الصور التي نعبر عنها بالتحضر الذكوري المثالي باروبا ضرب غير واقعي، والمتخصصون ميدانيا يعرفون ان الايطاليين خاصة من الجنوب

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يقدمون للمرأة كل شيء، إلا أنها تطالب بحرية أكثر للظهور في الإعلام والتسيّد بقراراتها، أمر غير محبذ، بالأخص المهاجرات المغاربيات، ذات الأمر في السويد هناك ذكورية معينة تظهر الى السطح كما فعل هذا الرجل السويدي مع الجزائرية متحججا في ثوب الحماية القانونية ضد زوجته، وليس من هذا المثال، المجتمع السويدي يحمل في ثقافته بعضا من الذكورية، اقصد بذلك لنكف عن الاحكام ونتعمق في التباينات الذكورية والانثوية اكثر:

"ان نظام تصاريح الإقامة مصدر كثير من التمييز وعدم المساواة، المؤسسة فيما يتعلق الناس الاجانب سوا في مجال العمل او السكن او الترقية او الصحة... ويتعارض النوع مع الهجرة ومع النماذج الخطية ويكشف مدى تعقيد اشكال العبور في حين الانشطة تظهر الهجرة في الادبيات العلمية والخطاب السياسي كخط واحد وانتقال من بلد المنشأ الى بلد المقصد"¹.

ان اساليب وانماط الهجرة وانعكاساتها ليست بوضوح ثابت، فالانسان يعبر الحدود ويتنقل وهذا ايضا مكان وزمان مجندر، يقوم المهاجرين من خلاله بناء واعادة بناء شبكات العلاقات في اكثر من مجتمع، نجد ايضا تغذية راجعة لمجتمعات ابوية تندمج مع بعضها البعض ومن مخلفات سياسية معينة كما تجد الحال بالنسبة لاصحاب اوربا الشرقية الذين يسعون للحفاظ على عملهم وروابط بلدهم الاصلي، ذات الامر لدى الايطالين المهاجرين إلى المانيا يحافظون على روابطهم الاولية والامر ذاته عند الجزائريين لكنه يأخذ طابع المناورة اكثر بعيدا عن النمطية والتكرار لتأمين خطوط الرجوع.

في السابق كانت النساء يتصورن انفسهن ضحايا القهر والاستغلال الجنسي مما ادى الى فحصهن فحفا تمييزيا كغرباء (صورة المرأة المتروجة بأجنبي او تلك العائدة من المهجر بعمل لكن بدون زوج او تاخرت بالزواج نظرة وصم) بالمهجر وهذا النهج تغير، فالتحدي الحقيقي اليوم ينشأ من مراقبة نظم التشابك والتحول والتغير لهن ولغيرهن، فهن يرسمن طريقا اخر يحفز فيهن بنات بلدهن اكثر على الهجرة باسلوب ذاتي وخلق عالمهن الخاص بشكل موضحة الهجرة (الجزائريات بتركيا ودبي) لا يسع بعض الذكور الى تقليدهن او التودد اليهن للزواج او الهجرة عبرهن، وفي ذات الوقت ترى بعض النساء الجزائريات المقيمت بفرنسا على ان الحراق رمز الرجولة والفحولة ويستحق الزواج لانه مر بتجارب صقلته وانقطع عن اهله وتعذب بعرض البحر وبين الجبال، فهو فعلا يستحق ان تتزوج به ومضمون، الادوار والتصورات ليست ثابتة،

¹CORINNE DOLLERA. op.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

فكلها تمر بتغيرات وتحولات تجريبية وخبرات تبغي المواقف والتموقع الجيد لضمان مصالحهم جميعا وليس ضمان مصلحة مجتمعهم الاصلي أو المستقبل (أدوار استراتيجية وتكتيكية).

2- سياقات مختلفة للذكورة والأنوثة

في جندرة فضاء الهجرة لا يمكن عزل البعد الثقافي، لفهم وادراك عمليات التشريط، كما ان السياقات المهاجرة لها دور في ترك اثار واضحة على الجنسين كتجربة فردية وجماعية، ما اريد ان اوضحه هنا اختلاف التكوين الثقافي وتنوع سياقاته التجريبية.

هذه السياقات توفر علينا الجدل الدائر بين الشرق والغرب وتقربنا من النقد الذاتي وتتبع طرق الاستجابة اليومية لممارستنا الثقافية، في كثير من القضايا المتعلقة بالقانون وسوسيولوجيا التشريع والتباين الحاصل في الحقوق والواجبات بين المجتمعات، تميظ اللثام ايضا عن التداخلات بين الطبقات والعرقيات والممارسات الجنسانية المختلفة باعتماد تحليل متعدد الابعاد والعوامل وبشكل تقاطعي، نلجأ لهذا لتباين التجارب فمثلا: "النساء الاتراك في سويسرا تخبرنا تجربتهن عن صعوبة في ان يعترفن بهن من قبل السويسريات، ومن مجتمع تركي... هن باحثات عن شخصهن المستقل"¹.

توضح هذه الحالة صعوبة الاعتراف بالمرأة التركية من قبل مجتمعين مع العلم ان الدولة التركية لا تدعم التجنس المزدوج فيرغم من على البقاء مقيمات او عاملات بالمانيا او سويسرا لكن جنسيتهان الاصلية لا يستطعن التخلي عنها.

أ: الجندر في الفضاء الاسلامي

تعد هذه النقاط مهمة في تكوين السياقات الثقافية من الانطلاق الى العبور وتفتح التشكلات اللاحقة له، فكل فرد سواء اكان عربيا له سياق تكوينه وامتداده وبشكل مختلف ما بين المغرب والمشارك، كما ان التكوين الثقافي البربري الامازيغي لدول المغرب من ليبيا الى المغرب ليس هو نفسه وفي المقابل الاوروبي بالرغم من حداثةه إلا أنه ما زال يحتفي بالاختلاف الثقافي الذي يشكل تباينا ثقافيا، وان ابداع في منتج الاتحاد الاوروبي يبقى على ارضية الواقع فروقات جمة.

¹ CORINNE DOLLERA.op.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

فالمقاربة الفينومينولوجية كفهم عملي للظاهرة والاعتناء الاثنوميثودولوجي للجنس والطبقة والنوع والعرق والثقافات الكلية والفرعية، هي باب مفتوح على الاحاطة بمصادر التحليل وادراك الاجزاء التفاعلية فيما بينها والكيفية التي تعبر بها من الانسان الاوحد الى المتعدد من سياق ثقافي بذاته الى تشابكه وسياقات اخرى مؤلفة مزيج بشكل مستعجل وفريد.

كل ما اقدمه الى حد الان هو تجنب للإزدواجية والتعارض بين الاقطاب والايمان بالتشكل وبناء الواقع، وهذا العنصر لا يعتمد على السبق الثقافي بقدر الاقتراب منه في فهم التحولات الطارئة عليه وكذا الاقتراب من منعكس نقدي داخلي مهم من حيث التاريخ السوسيولوجي، والحضور الاجتماعي والتنافس اليومي وتفاعلاته.

من حيث جهود الباحثين بهذا الشأن فاني اثنم واطور في ذات الوقت ما قدمه كل من: امال قرامي، ووفاء الادريسي، مي غضوب، وعزة بيضون، وفاطمة المرنيسي، ونوال السعداوي، ورجاء بن سلامة وكثير من البحوث المعنتية بالنقد الثقافي الداخلي.

بعض ما جاء في بنية المتخيل الإسلامي حول الجسد والجنس والذكر والأنثى، السلطة والخضوع: "عن عمر بن العاص... حيث افتخر قائلاً: "اني والله ما تأبطنني الاماء ولا حملتي البغايا في غيران المآلي"¹.

فقد جمع هذا النص الكثير من رمزية الوضعية الجنسية واثرها الجنساني واضح الدلالة لما تمليه ضرورة تلك العلاقة بين الذكر والانثى والزوج والزوجة البغي والشريفة، فقد نفى عن ذاته كونه ذكرا ان تكون حملته زانية، او اثناء الجماع ان تكون المرأة فوقه، او انه جامع النساء اثناء الحيض (المآلي هي خرقة الحيض)، كما ان العرب معروفون انهم لا يركبون جملا ركبته النساء حديثا حتى يأخذ وقتا معيناً ويبرد (الحار والبارد) تاخذ هذه الصيغة النبل والشرف والحفاظ على مكانة المرأة والرجل، والتدبير الجسد الذكوري ان لا يهتاج بسخونة موضع المرأة من الجلوس. : "تكمّن وظيفة هذا التدبير والتهذيب في تشكيل سلوك الفرد ومدّه بمنظومة قيمية وتحديد نمط سلوكه اليومي حتى تجعله مهيباً للتفاعل مع مجتمعه والاندماج فيه، وتعمل التنشئة الاجتماعية على جعل الافراد حكاما على انفسهم ومن ثم تتعزز الرقابة الخارجية عليهم برقابة داخلية"²

خضع الجسد الى تدبير عبر التاريخ الاسلامي ومس الاملاءات والعلاقات والادوار والوظائف وصور الادراك للذات وللعالم الخارجي وشكل التراث الاسلامي حتمية وسيطرة عليه:

¹ امال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الاسلامية، دراسة جندرية، دار المدى الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 38.

² المرجع نفسه، ص 169.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

" في كتب التراث العربي فإنه يعزى الى البنات في مستهل النشوء صغيرة لا يشتهى مثلها ومن ثم لم تكن محل اهتمام المجتمع، فلم يقص اخبارها بل ذهب عدد من الفقهاء الى جواز النظر الى جسد الصغيرة ومسها لانه ليس لبدنها حكم العورة ولا في النظر والمس معنى الخوف والفتنة"¹.

هذه بعض شواهد التدبير الجسدي وبنية الهوية الجندرية والادوار المذكورة والمؤنثة وعلاقات تبادل الصور المجنسة، يمكن القول ان الفقه قسم الزمن وجنדרه وجعل من السن مجنسا ومشتهى واستمر هذا الى اليوم (بنات متجلببات، واطفال بعباءات) لايرجى من الالتزام بقدر التدجين الجسدي وتطبيعه على هذه الروح الجماعية السلفية، جسد مراقب وموجه اكثر وتزرع فيه الهويات الجندرية بروح فقهية اسلامية مبكرا لضمان المراقبة والتوجيه مستقبلا.

المسألة تزداد تعقيدا في التحليل على مستويين:

1- ما بين الاسلام كنص وبين التجربة الاسلامية متعددة السياقات والطوائف والمذاهب.

2- بين الجندر المتعلق بالنوع البشري والعمليات الانفرادية والجماعية وتلك التجارب المتقاطعة.

وجب اذن في الاخير ادراك العلاقة بين النص ذاته وتطابقه، فليس كل ما في النص يطبق ويشير الى الاسلام كدين، فالتجربة التدنية تختلف باختلاف السياق الثقافي، فلماذا لا نلاحظ هذا في التجربة الاندلسية؟ لعانا ندرك قيمة رؤية الجسد والهوية الجندرية على اساس الطبقة والعرق والجنس وكذا البعد السياسي والمتخيل الاجتماعي.

لقد قسمت ادوار الغلمان وفقا للاعراق تقول الباحثة وفاء الدريسي (جدول 02)²:

العرق	الدور
الهند/القونية	حفظ النفس والاموال
الزنوج/الارمن	الكد والخدمة
الترك/الصقالبة	الحرب والشجاعة
حصبان الصقالبة	الاشغال المنزلية/المناولة

¹ آمال قرامي، المرجع السابق، ص 170.

² وفاء الدريسي، الجوازي والغلمان في الثقافة الاسلامية، مقارنة جندرية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والمركز الثقافي العربي للنشر، الطبعة الاولى، الرباط، المملكة المغربية، 2016، ص 144.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

إن العرق حدد المسافة الاجتماعية بين الغلام وسيدة، ولعب دورا مهما في تحديد الادوار كما ان الغلام وحدة مركزية في فهم المنظومة المجندرة ما بين الذكر والانثى، وكل الاختلافات والوظائف هي نتاج العوامل التاريخية والاجتماعية والطبقية والعرقية والجنسية.

لقد كان الجسد مسرحا لهذه التعابير في التراث العربي القديم، من خلال ثنائية القبح والجمال، الابيض والاسود، السيد والعبد، البغي والشريفة، سيدة القوم والخدم (من الرجال والنساء)، وجاء الاسلام وازاد قيمة اخرى من التراتبية الاسلامية، ام المؤمنين ليس كباقي المؤمنات، زوجة الرسول ليس كالاخريات، المجاهدة والشهيدة، كل هذا يغفل عنه الباحثين في دراسة الهجرة وهو يشكل بعدا اخر من جندرة الفضاء العام والصراعات العنيفة الحاصلة فيه، ويكاد يكون سوق جذب لبعضهن اليوم (العنف والارهاب المقدس، الجهاد العابر للقوميات بسوريا وليبيا)، استغلت هذه النقطة في سياقات صراعية وتنافسية على سلطة ريادة العالم الاسلامي.

ان الجسد الانثوي معبا ما بين الزمن الدنيوي والاخروي، ولا يقل دورا عن الجنس الذكوري، استمر هذا في شكل تدابير الجمال وعمليات التجميل لكن هذه المرة الذكور يزاحمن النسوة في التجميل، واصبحت الهجرة بوابة مفتوحة لهذا واثرت هذا على الادوار الذكورية والانثوية واصبحت اكثر اختلاطا، : " لا ينم تعلق المرأة المفرط بتعهد جسدها واستبدالها في سبيل اظهاره في احسن صورة، فولادتها ليس حدثا سعيدا لذلك تجتهد حتى تنال عطف الناس وسيلتها في ذلك الجسد المعتنى به، وبناء على هذا الشكل من التدبير تبدو مستعدة لتسلم بدننا للزوج مسرحا لتصوراته وموضوعا لتخيلاته وفضاء لممارسته فحولته..."¹.

إنه ذات الامر الذي يجعل من النساء المهاجرات يبادرن بابراز انفسهن: من الاخ او الزوج بلا عمل، هاجرن وتكبدن العناء لا قدم لكم ما عجز عنه الذكور، مطالبين باعتراف ضمني من السلطة الابوية او تراجع السلطة الذكورية قليلا.

ما أشير إليه، ان المهاجرات لم يصلن بعد الى دائرة الفاعلية وجودتها حقيقة، بالرغم من وجود محاولات الفعل الثقافي كهجرة وقطيعة، لكنه غير مكثف وليس مركز للتجسد على نطاق واسع، الحالات توضح انهن اقرب الى رداد الفعل العنيفة تجاه بنى تاريخية متكلسة، والتي عانت المرأة منه و ما زالت، بالرغم من ان الاسلام كدين وكنص واضح، حاول كذا مرة افهامنا ان الفروق لا علاقة لها بالنجاح والفلاح على المستوى الدنيوي والاخروي، يركز النص على العمل

¹ امال قرامي، المرجع السابق، ص 196.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الصالح، ودرء الفروق والنعرات الطائفية والعرقية والطبقية، لكن التجربة الاسلامية للمسلمين كانت توضح فشل استوعاب المغزى المتوازن، الرجوع الى قصة بلال الحبشي مع ابي هريرة حينما قال له ابي هريرة يا ابا السوداء يعيره بلونه رد عليه النبي انك امرء ما زالت فيك جاهلية. جاهلية التفريق الطبقي التي حاول المشرع في القران ان الامر متعلق بالعمل الصالح والتقوى، وهنا ندرك ان التدين ليس هو النص هو تجربة متأثرة بعوامل تاريخية ونفسية وجنسية وطبقية اكثر.

تطول رحلة المهاجرات اليوم الا انهن لا يعرفن الاستقرار في مخيّلتهن الا بالارتباط في علاقة زواج حلال، فالمرأة المهاجرة ما زالت حبيسة "الفالويس" ولم تعي بعد حجم قدرتهن في التجارب المستقلة بالنجاح وفرص العبور في الهجرة.

من المهم ايضا ان بنية مخيلة التراث العربي الاسلامي لم تكن منسجمة كلية في مركزية ذكورية مهيمنة واحدة: "يغفر المجتمع الذكوري عدم التطابق بين الصفات المحددة للذكور مع مميزات الخصيان لانه يخدم مصالح الرجال الفحول، الذين لم يقنعوا بما لديهم من جوارى بيض وسود وغلمان بيض، بل اقتضى بعضهم غلمانا سودا يتعاطون معه اللواط بحثا عن متعة مغاير"¹، اعتمدت الباحثة في هذا في تحليلها على مادة الطبقة والعرق والجنس وتبرز اختيار الغلمان السود بسبب لون الجلد ولين وحرارة في جماعه وزهد تكلفته².

ولم يتجاوب العقل الفقهي تجاوبا منسجما مع القضايا والوضعيات المختلفة بل كان مختلفا اختلاف السياقات الثقافية، فيما شهد التراث الاسلامي في بواكير ظهور الديانة الاسلامية ليس بنفس التداعيات اللاحقة في عهد الخلاقات المتواترة، خلافة بني امية، خلافة العباسيين، الفاطميين، الموحديين وغيرهم، وبروز التيارات الاسلامية المعاصرة، -المخنت-:

"لقد جابهة الفقهاء واقع بين جنسين INTER SEXUES أي الذين لهم عيوب بيولوجية تجعل جسمهم غير واضح ومن بينهم الخنثى، لقد ادى النظام الاخلاقي الحديث (الوهابية، الاخوانية) الى ابراز الثنائية القطبية الجنسي وكبت الالتباس الجنسي الناتج عن البين جنسين والرفض الكلي للعبور الجنسي Trans sexualisme"³.

¹ وفاء، الدريسي، المرجع السابق، ص142.

² جنوبا بولاية ادرار علاقة السود من سيراليون هناك قصة لثلاث شبان يريدون الهجرة الى اسبانيا بقبوا لمدة بهذه الولاية لجمع المال ثم الانتقال اثنين من هؤلاء تعرض للابتزاز وطلب منهم رب العمل الممارسة الجنسية في مقابل بقشيش وفر المهاجران من عنده والغريب انه رجل اسود ايضا؟.

³ رجاء بن سلامة، بنیان الفحولة، ابحاث في الذكر والمؤنث، دار بتر، دمشق سوريا، ط1، 2005، ص20.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

فهناك عملية تاريخية متباينة المشارب تتأثر بها الامدادات الهوية للفرد والجماعة والمخيلة والذاكرة الجمعية كونها عنصر تفاعلي انبثقي لتشكيل الهوية وتعزيز اليات التشريط الثقافي والتأثير على الادراكات والتمثلات والممارسات ان المخنث ليس هو الانثى، هو بين حالتين، فحسب بن سلامة هو: "المخنث غير الخنثى فهو الذي له بالرجال والنساء جميعاً Hermaphrodité بحيث ان هويته الجندرية غير واضحة لاسباب بيولوجية، اما المخنث فهو الرجل له سلوك انثوي يثنى ويتكسر كالنساء"¹.

لقد خضع موضوع المسترجلة، والمخنث، والخنثى، في الاسلام الى كثير من التدبير الجسدي والمعيارية والمتمثلة في مجلسه والقرب منه والبعد (المسافة الاجتماعية) والحركات والسلوكيات لتجنب اي مفسدة اخلاقية، إلا أن المسترجلة لم تلق الوصم كثيرا كما المخنث والتي ترجع الى إن الانثى في حالة مكسب اجتماعي وتراتبتي بالتشبه، وهي بذلك اعلى مرتبة من المخنث، هذا الذي يكون قرينه من النساء مؤنسا ومن الرجال مفسدا.

إن قضية المخنث والخنثى والغلمان لدى اسيادهم بالتراث العربي والاسلامي لاقت ممارسة متسترة لم نكن لنعرفها الا في الثقافة اللغوية الشعرية وتغني الشعراء بحبهم لهم واستمر هذا في بلاط العباسيين والاندلسيين: "اعتبرت آمال قرامي ظاهرة اللواط محاولة ذكورية للمحافظة على استقلال الرجل حتى لا يسلم عنانه للنساء فيتحول الى عبد بايدهن، وكان عشق الغلمان في هذه الحالة كيد ذكوري للحط من هيمنتهم، فتضافرت كل هذه العوامل مع بعضها من اجل كسر النظام الثنائي الذي ثبتته سلطة الضبط"².

كما ان الاسلام في البداية حاربه بشدة وشدت العقوبة الا ان عالم الليل والستر كشف فيما بعد استمرايته دون العلن، ليس الامر جنسي هنا بالقدر البحث عن تلك الاساليب المزدوجة في منطق الذكورة وكان الذكورة تجلد نفسها ولا تجد منطلقا تراتبيا للصعود اكثر غير ممارسة مطقنة مجنسة على الجسد الذكوري ذاته او المخنث سلوكيا.

فهل هذا اخلاص بمنظومة المعايير والقيم الجنسانية والهوية الجندرية؟، هل الذكورة تدنس قدسيته؟ مع العلم ان موضوع السحاقية كان اشد سرية وكتمان ولم يكن هناك اكرهات او ازامات مشددة بالعقوبة، يكشف هذا عاملا مهما تداخل العامل السياسي والاجتماعي والقانوني والفقهية في لعب ادوار بناء المعيارية الجنسية وهدمها.

¹ رجاء بن سلامة، المرجع السابق، ص13.

² وفاء الدريسي، المرجع السابق، ص ص، 152، 153.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

"هذا نظام من البدهيات المعيارية والمراتب الاجتماعية التي تحكم المجتمع باعتباره مجتمعا مقاما على ثنوية جنسية صارمة وعلى مركز الذكورة والتغاير الجنسي-Andro-héroecentrisme".¹

نلاحظ في كل مرة يتعرض النظام الجنس الى الاهتزاز وتلحق به تغيرات بالمنظومة الجندرية، تحاول المنظومات الاولية الحفاظ على مركزيتها الذكورية عبر التدين واساليبه، الامر لا يتعلق بنص الرسالة الا بقدر الحماية والحفاظ على السلطة، يحاول العقل الفقهي الاسلامي تسليط الضوء على الغلظة والشدة والضرب والقوامة والعصمة في حين النص يشير الى قوة موسى ورفقه بالنساء " يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ"² تشير خديجة الى نصره النبي ودعمه وعرض الزواج عليه، واعلانه لحبها، كل هذا يخفيه العقل الفقهي او يقولبه لصالح مفاهيمه المذكورة: "تقسيم المهام بين المرأة والرجل لا يشير الى تفاوت الانسانية بين الرجل والمرأة فالأفضلية بين الرجل والمرأة في الاسلام هو نوعية العمل وليس كميته، وتوزيع العمل في الساحة الاجتماعية ليس من فرض الجنس وانما نتيجة النزاعات النفسية"³.

لا نخفي ايضا ظهور قيمة تراتبية للمرأة الشريفة(من آل البيت) من غيرها من النساء، وهذا في مجتمعنا الجزائري يحمل معيارين الاول متعلق بالجنس(غشاء البكارة) والثاني نهمله وموجود بالجنوب الجزائري(شرف النسب) قد يغضب احد الجيران ان ناديت ابنته باسمها ولم تقل لها"لالة"حتى ولو كنت انت كبيرا وهي صغيرة السن ويعمل هذا المعيار كثيرا بمجتمعهم وضمن ثقافتهم في تحد الاصهار.

ثنائية الشريف/الحرطاني، الشريفة الحرطاني معمقة بالجنوب الجزائري بالاضافة لون البشرية، اما في الشمال الغربي الداخلي تاخذ طابع العروش وشرف النسب لكنها خفت كشرط للزواج مؤخرا.

هذه المشاهد تعاود الظهور حينما تتوفر البيئة الاجتماعية والثقافية المناسبة، والمهم ان ندرك ان هذا يؤثر ويتاثر بعامل الهجرة، التي اليوم تاخذ تزاوجا وامتزاجا للطوائف المسلمة المهاجرة بأوروبا خاصة بعد دخول الاثنيات العربية مثل السوريين والعراقيين بالاضافة الى المغاربة.

¹ رجاء بن سلامة، المرجع السابق، ص14.

² القصص، القرآن الكريم، الاية26.

³ ايكا فوترا وجرمان، الجندر من منظور الاسلام، 11.09.2019. www.reasearchgot.net.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

لقد لعب المهجر الدور الاساس في تغيير المنظومة الجندرية المعمول بها، نفس الامر الذي الذي حدث في تاريخ خروج المسلمين من شبه الجزيرة العربية الى اوروبا، فالمناخ الثقافي المغاير يلعب دورا حاسما في تشكيل ادوار ورغبات اخرى وحركات وطوائف وصراعات التي اعتبرت العمليات الارهابية والعنيفة قائمة على القوة الذكورية الجهادية والهدف من السبي واخضاع الانثى المجاهدة بجسدها لاجل الزمن الذهبي الموعود، مجموع من الاساطير والخيالات المغذية بمنظومة جندرية تقوم على الفوقية الذكورية والطوعية الانثوية، لهذا برزت حركات ايضا نسوية نضالية بالمهجر: " هذه الحركات ما بعد النسوية وجدت شبكة الويب فضاءا للتواصل والتعبير الثقافي المتعدد اللغات، تتسج فيه العلاقات بين غربي المهجر، وغربي دار الاسلام عبر هذه الامكنة الافتراضية يحاول المقصيون من النظام الثنائي التغييري (Bipolaire-hétérosexuel) ان يفتحوا الابواب المغلقة وان يبادروا الى الفعل السياسي كما يحاولون في الوقت نفسه ان يسترجعوا ذكريات التقليد العربي الراسخ في مجال الجندر".¹

الهوية العربية الاسلامية على درجة من التنوع والاختلاف في التعامل ما بين الثنائيتين تدبيرا وتصورا، فكما أن هناك تطرف وتعصب وتزائبية وهرمية، هناك ممارسات حاولت تكسير هذه القطبية، وما بينهما كانت المرأة تصارع هذا وتحاول ان تستوعب ذاتها خارج هذه الثنائية، بالرغم من انه ما زال: "الردع أسرع إلى إمراة ماجنة منها الى مخنث يقطع صلاة الجماعة".²

فالمقدمة والمؤخرة في حرمة الصلاة وبطلانها جعلت الفقيه يشدد على ان لا تأم النساء الرجال ولا تؤذن ولا تقيم الصلاة ولا تجهر بها، لكنهم متهاونين في تسلل مخنث الى صلاة الجماعة، لذلك كانت تجربة السيدة التركية التي بنت مسجدا بالمانيا لجميع المسلمين والاطياف والاجناس عملية هزة العقل الفقهي والمنظومة الرسمية الاسلامية ليس في المهجر، بل في شيوع هذه التجربة لذلك هددت بالتصفية الجسدية عدة مرات³(انظر الملحق رقم 460).

كانت الهجرة باب وفترة للتحويلات ومست جذورا تاريخية عريقة، كما ان اغلب الفتوحات المعرفية والنضالات النسوية والحركات الجنسية الاخرى (L.G.B.T) ودراسات الكوير (QUEER) نمت بالمهجر وكذا شبكات الدفاع عن الحقوق المثلية بشمال افريقيا (N.DEESSES).

¹ رجاء بن سلامة، المرجع السابق، ص23.

² المرجع نفسه، ص25.

³ www.Dw.com-23/12/2021-

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان ما نشهده من تغيب معرفي استطلاعي حول هذه الحركات او هجوم عنيف وتهميش لهذا الواقع الذي ينتشر بنعومة وسلاسة لا يثني من تقدمه، كما ان ردود الفعل هذه هي من قبيل المنظومة الجندرية التي مرت على مجتمعات وثقافات مختلفة، فحتى النازيون الالمان ابان الحرب العالمية الاولى والثانية في دعايتهم الحربية سمو كل يهودي بانه نجس وشاذ وقذر ومفسد وجب تصفيته جسديا من الجذور: "... وهو ما حدث مع الاخوين كراوش (Krouachi) الذين تدربا في اليمن قبل وصولهما الى فرنسا... التحول المفاجئ والراديكالي لعدد من الفتيات الفرنسيات اللواتي ينتقلن من لبس "البيكيني (bikini) ومن شرب الخمر والرقص في الملاهي الى التدريب على استعمال السلاح والتهب ليوم الحسم".¹، هذا وجه آخر من التحولات الجندرية، فليس كل نعت بالتحضر هو من قبيل الابيض والاوروبي، وليست النسوية نضالا من جانب غربي، كما ليس كل منظومة جندرية تؤمن شغف الحياة، فمالذي يحدث من هذا التحول الرديكالي فعلا، مشهد تتخرط فيه النساء الاوروبيات مع الدواش ومنتعة الحرب والدم وجهاد النكاح.

في المهجر يكون الجندر لا جنورا، فيصبح في بيئة ديمقراطية وذات قيم السلام والمساواة والحرية لتجدهن في آلة القتل، وتجدهن هنا في ليبيا او سوريا او تونس هاربات الى ارض مياعدهم الارضية، اوروبا وهن الاوروبيات يبحثن عنها في السماء والدم والعنف: " ان خطاب الجماعات المتطرفة خطاب مؤثر وقادر على الهيمنة على العقول لتماسك بنيته الداخلية القائمة على الترويج ليوتوبيا عابرة للقوميات وللقارات كما يذهب الى ذلك فرها ورواي (Farhard khorokvaat.oleivier Roy) اما سكوت (Scotte Altram) فانه يعزوا نجاعة خطاب الجماعات المتطرفة الى تمكنه من بناء منظومة مقلدة"².

هي منظومة واعدة بالاشباع للرغبات من خلال المتخيل الجنسي والاسطوري المفقود في البيئة الاوروربية، هذه المنظومة تجيش المشاعر الذكورية والانثوية، فالرجال بالاحور والنعيم المقيم، وحتى النساء يغرين بذلك كونهن حظوة النسوة للاسياد الذكور، في استغلال الخطاب الديني الكلاسيكي " وهبت نفسها للنبي"، كل ما اريد ان اعبر عنه ان النظام الجندري ليس ثابتا، بل هو تفاوضي اكثر في ثنايا القضايا المتحولة وادارتها بشكل يسمح باعادة توزيع التراتبية وضمان اسس الهرمية.

¹ آمال قرامي، النساء والارهاب، دراسة جندرية، دار مسكيلاني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2017، ص296.

² المرجع نفسه، ص297.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

لقد ابرزت الباحثة "قرامي" محورا مهما من التحولات الجندرية واضطرابه (Gender trouble) فلافراط في استعمال العنف من قبل النساء ليس الا رغبة في محاكاة الرجال، كما ان الخضوع في مقولة جهاد النكاح هو اشباع اخر للهيمنة الفالوسية و الرغبة الطوعية لديهن، المشاهد متناثرة ومختلفة.

هناك علاقة وطيدة بين الجندر والهجرة ومسألة الغيرية مهمة هي ايضا سواء بين الذكر والانثى او بين المسلم وغير المسلم، وهو ذات المشهد القومي والوطني وكلاهما يتشكلان عبر الهجرة، فحتى تتجح النازية الالمانية الاولى والمحدثه ركزت على مسألة الغير الماني والمهاجر، وهوذات المنطق عند المسلمين التمييز بين دار الاسلام ودار الكفر فقها وعبر الهجرة، انها ثقافة صناعة العدو وتحفيز المخيلات الاجتماعية المهوسة بالعداء والعنف وافناء الغير، تاخذ كل هذه التعبير الثقافية سياقها للتشكل وتجعل من الذات والهوية والثقافة والواقع عملية بناء وهدم. " ونتبين مما سبق ان بناء الذات لا يمكن ان يتم بمعزل عن الاخر وعن المكان الذي يصاغ فيه الخبرات الجياشة، اصف الى ذلك الهوية تبنى بالاساس على الاداء والفعل في الواقع".¹

ب: الجندر في بلاد البربر والمغرب

تختلف المشارب الثقافية والحوادث التاريخية والاجتماعية-النفسية المكونة للانسان المغربي عموما خاصة الدول الحديثة اليوم مثل ليبيا، تونس، الجزائر، المغرب، موريتانيا، كونها منطقة ذات تفاعل حضاري وثقافي زخم، احاول تغطيته لمجرد العناية باليساق الثقافي المكون داخل الهجرة وكذا التصورات التي امتددت عبر التاريخ وللاشارة الى ان التباين في وضعية المرأة والرجل يختلف اختلاف النسيج الثقافي فطبع المرأة البربرية القبائلية ليس ذاته المرأة العربية او الصحراوية، كما ان العربي الغير مسلم ليس هو ذاته العربي المسلم، تشهد النواتج الطقوسية سواء المؤبنة او العابرة، لقد تغيرت وضعية وصورة المرأة البربرية ما قبل التعريب والاسلمة وما بعدها: "وقد كان التحول البربري في البوادي والقرى من صنهاجة وزيانة الى الاسلام...وعلى كل حال فان الرؤساء الاتحادات القبلية الكبيرة للاسلام قد ادى الى نشر الجديدة للساكنة البربرية"².

يفرق الباحث الفرنسي "غابريل كامب" بين عمليتي التعريب والاسلمة الاولى عرقيا والثانية دينيا نجد مثلا على ذلك: خلال موسم حصاد الزيتون نشهد خروج النساء وهذا احد اعمالهن الرئيسية

¹ آمال قرامي، النساء والارهاب، المرجع السابق، ص457.

² غابريل كامب، البربر ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، ص227.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

بالإضافة الى الطبخ والتربية حتى ولكن مسلمات مكانهن في الفناء اكثر، والمرأة البربرية عموما تغير حالهن اصبح اتجاهن اكثر عملا عن طريق الهجرة، لقد ضعف مفهوم الامتياز الشرفي العرقي للنساء القبائليات خاصة المهاجرات التي كسرن نظام "تجمعات"، لعب التعليم دوره في التحول ايضا، فبالرغم من حرمان لمرأة من الميراث ووزنها من تجمعات وحرمانها من اعادة الزواج بعد الطلاق دون اذن طليقها الا انها اليوم فتحت عهدا جديدا: "ان المرأة عند كثير من مجموعات البرابرة في المغرب حق ان تطلب التطلق من زوجها وهي حرية ليست لها وجود في القانون القرآني كما تجد ممارسة اخرى غريبة... اذ يباح للزوج ان يعترض على ان تتزوج زوجته السابقة من جديد وهو اعتراض يسقط بمقابل مادي"¹.

النظام الجندري البربري لا يشبه باقي الانظمة فهو يحوي تجارب ومسميات لغوية ورموز ثقافية خاصة وطقوس متنوعة تجعلنا ندرك غنى المنظومة الجندرية للمجتمع الجزائري بالخصوص، ان الاقصاء الذي يقع على المرأة في بلاد البربر عامة يكون في راي بسببين الاول من مثال الزواج والطلاق مبعثه الحفاظ على الملكية وهذا بعد اقتصادي، اما الثاني فيعبر عن بعد ثقافي رمزي اعمق اذ خلف الملكية للارض والميراث حماية للصرح الذكوري ومخافة فقدان السيطرة اذ تعد مصادر منظومة الجندر لديهم القائمة على ثنائية الهيمنة والطاعة، هذين العاملين لايمكنهما المقاومة اكثر امام رياح التغير القادمة عبر التكنولوجيا او الهجرة، فلقد سجلت تجربة بقرية بولاية تبسة، هذه القرية عروشية شاوية، الولد المتزوج البالغ من العمر 50 سنة قرر بناء بيت خاص وكتابة جزء من الميراث لابنته:

" قال:حنا هنا البنت ما تورش وبوينا ما حبش يخلي العقلية القديمة، ضرورك طورنا وانا لازم

نضمن حق بنتي من ضرورك لخطارس البنت ما تورش عدنا".

ما اريد ان اعبر عنه ان هناك فروق ثقافية مختلفة في التكوين البربري بين الشاوية والميزابين والقبائلين والصحراويين ايضا هناك فروق ينبغي مراعتها وتحليلها بالرغم من احتوائها على ذات الاستراتيجية الجندرية تجاه المرأة الا ان هناك تفاوت سيجعل من التجربة الاجتماعية الحياتية بمطقتنا غنية جدا، حاول الباحث ايضا التفريق بين "القبائل" و"زاوة" وهذ يعزز اقتربنا من فهم البنية الجندرية البربرية:

¹ غابريال كامب، المرجع السابق، ص 379.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

"المرأة ليس لها وضع واحد في العالم البربري كله، لكن من المسلم به ان وضعها فيه دون الوضع الذي يولها اليه القانون القراني، ولكن كثيرا ما بالغ الناس في الحديث عن الطابع الجائر لوضع المرأة البربرية لان تفكيرهم يذهب الى المرأة القبائلية"¹.

ان المجموعات البربرية متناثرة ومشعبة بخبرات متنوعة ما بين بربر الشمال والجنوب، تكون بذلك تجارب النسوة مختلفة ووضعياتهن غير متطابقة، لكل تجربته ولغته، وهذا مصدر اختلاف مهم في البنية الثقافية للمجتمع الجزائري، نذكر كل اساليب الهيمنة ولا نذكر نساء اهليل في الصحراء الجزائرية "بتيومن" قمن ليالي وهن يغنين وينشدن ويرقصن احرار بلباسهن ولونهن وطقوسهن، في الشرق توجد تجارب بنات الاوراس: "تحرم من الارث وتتمتع الارامل والمطلقات في الاوراس بقدر من الحرية ومعظمهن يغدين عزريات.. ويمكن ان تعود لحياة زوجية عادية تائبة دون اقصائها من الحياة الاسرية... كثيرا ما تقيم عند امهاتهم انها لا تجعل على الهامش في المجتمع الشاوي"²، يبقى الحرمان من الارث امر مشترك للحفاظ على تجمعات والارض. في علاقة وطيدة بين البعد الاقتصادي والجندري والاجتماعي.

ج: الجندر في السياق الجرمانى الاوروبى

بعد ان عرجنا على السياق الثقافى الاسلامى والعربى والامازيغى بقى لدينا التقرب من السياق الاوروبى وهنا نكون حددنا الدائرة الجندرية ما بين "الهنا" و"العبر" و"الهناك"، اذا لا اعتبر ان تكون دراسة جندرية او للتنوع الثقافى دون تفحص بواطن هذه الموارد الثقافية وتحليلها وعرضها وليس هذا وحسب، كيف تساهم تلك الاساطير في تغذية المخيل الثقافى والاجتماعى؟، ثم كيف يعاد تشكيلها بصيغ مختلفة عبر الفاعلين؟، لقد ذكر الباحث والفيلسوف الطلائعى "عبد الله ابراهيم" من خلال عمله الفذ في اجزائه الثلاث "المطابقة والاختلاف" والذي يعد من الدراسات الثقافية المعاصرة: "اظهر ابن بطوطة استغربا لا يخفى وهو يواجه العلاقات الاجتماعية غير المعهودة في دار الاسلام ولم يكتف البوصف وانما رفض تلك العلاقات وحكم عليها بالسوء، واثارت حرية المرأة سخطه واستغرب من نظام العلاقات الاجتماعية... فادان الرجال باعتبارهم فاقدين للغيرة الذكورية، وهي العلاقة المميزة للرجولة، طبقا لفهم ابن بطوطة... فالنساء لا يحتشمن ولا يحتجنن ويصاحبن من الرجال ما شاء لهن فلا ينكر ذلك عليهن"³.

¹ غابريال كامب، المرجع السابق، ص 380.

² المرجع نفسه، ص 380.

³ عبد الله ابراهيم، المطابقة والاختلاف، الجزء الثانى، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2017، ص 210.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان هذا التصور الواقعي على أعين الناظر والمعاش مبني على تصور مسبق جسد الحكم قد صدقتها الرؤية الخارجية او الغيرية على وجه المخالفة، هذا الغير الذي له عاداته وتقاليده ومعاييره المجنسة وهذه صدمة ثقافية اولية في علاقة بين وجه المطابقة الاول والاختلاف المقابل هو ذات الامر لدى المهاجرين اليوم بقولهم:

"ياكلوا الخنزير.. يقلعلمهم الحياها علاه ما يحشموش"¹،

هذه التصورات المعززة باساطير منسوجة ووقائع ضبابية تجعلهم يستعجلون في الحكم على الغير وتحديد موقف ومسافة منه، ما بين الحياء والمجون، بين الطهارة والنجاسة وهذا ما زال مترسخ وحاضر في العلاقات الاجتماعية فيما بينهم، : " من المهم ان ندرك دور الاحكام في ترسيخ صور نمطية عن الذات والآخر، فما يقع على نظر واذن الغير المسلم تجاه المسلم هو انسان على حمل دعامة ومنتشدد وعنيف، في حين الواقع ينفي هذه الصورة النمطية كما هو الحال في الخيال الجنسي للمهاجر عن الغرب، الاباحية وسهولة ممارسة الجنس واستباحة اعراض الناس، هذه مخلفات تداخلت فيها عوامل من الطرفين"².

ان الاختلافات حاصلة ووجه المطابقة او المماثلة ليس تماما صحيحا، حتى ولو كان هؤلاء المسلمون او غيرهم من ذات الديانة الواحدة، سنجد الاختلاف التي تخلقه الغايات والاهداف المراد تحقيقها عبر هذا النظام الاجتماعي ومنظوماتها المتعددة وهو ذات الامر لكل مجتمع نقصده بالهجرة معبا بالاختلاف ومنقط بالمطابقة في العصر الحالي.

يجب ان نفهم عدة امور سواء تعلق الامر بنا كمسلمون وكذلك الغرب والاديان فالافعال اليومية والسلوكات المنتهجة ومساحات اليومي تثبت اشياء اخرى حول المنظومة الجنسية، خارجة عن مركزية الذكورة بالمطلق وطواعية الانثى بالمطلق كما اشارت كتب التاريخ الثقافي والاجتماعي، ومثلما حدث مع الراحالة المبكر في اثولوجيته:"فاهل ابولانت مسلمون محافظون على الشرائع ونسائهم مصليات كيف تتالف النقائض فيما بينها؟ يمثل كل ذلك صدمة لابن بطوطة، دونهما الصدمة الثقافية التي مر بها في بلاد الشرق لم يكن مفهوم التعايش والتفاعل بين القيم النصية السماوية والقيم الاجتماعية الارضية..."³.

¹ المبحوث رقم 10.

² عبد الله ابراهيم، المرجع السابق، ص110.

³ المرجع نفسه، ص211.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

اذن هذا مدخل ضروري لفهم مصوغات التصور النفسية والاجتماعية والصدمات الشخصية والثقافية، والكيفية التي تنشأ بها عبر سلسلة من الاحكام لتحويلها الى حقائق ننظر ونموقع انفسنا من خلالها ونصنف الآخرين عبرها في شكل تواصل أو صراع أو تنافس، فالعلاقة بين الفعل ورد الفعل وبنيته وجملة التصورات والتمثلات والممارسات والخبرات تخلق الواقع المعاش. لقد مرّت السياقات الثقافية الاوروبية دون العناية بفهمها وتحليل بنيتها الاسطورية وتخللها حياة مواطنيها، ومن قبلنا واستأثرنا بالحكم عوض الفهم، هناك حقائق تاريخية خاصة بالتكوين الجندري للجنسين وكيف تعاقبت صور مختلفة، يذكر الباحث "موريس اوكندر" كانت الطبقة الهندو-جرمانية مؤنثة اي متعددة وارضية قبيل او تستحوذ عليها العقلية الاحادية ذات المركزية الذكورية في قالب الديانة التوحيدية المسيحية: "ان الاتجاه القائم بين اله التوحيد وشعبه يخبا محنة قاسية للهندو -جرمانين الذين يهيب بهم غربا...، فالواقع ان هؤلاء الاشخاص الذكورين الاحرار بل هؤلاء البشرين الذي سيطروا على الطبيعة دون سائر الخلائق...باتو اليوم مطالبين بالخضوع للسامين"¹.

نحاول ان نقرب من الحضارة الهندو-جرمانية والتحول عقب المزج المسيحي لهم، انها هوية كانت في البدء غير ما هي عليه اليوم، من كونهم المخضعين للطبيعة الى مسيرين من قبل ثقافة الأب هذا التمرکز والترکز حول الثقافة المسيحية سجعلهم اكثر خضوعا: "هذا الزواج بين السامين والهندو جرمانين غير المتوقع الذي يتحول فيه السامي الموسوم بالانوثة انحصار دوره حتى الان باستقبال كلمة الله الى معلم روحي ذي باس ذكوري ينقاد له الهندو جرمانين ويؤدي واجب الطاعة والولاء"²، توالى العمليات الاخصابية الثقافية عبر الدين بتغيير رزنامته واتجاهاته وجعله يقبل منظومة اخرى سامية ذكورته واهية تعتمد لغة انثوية اكثر وتخفف من وطأة التخشن والتصلب.

لقد كان هناك نوع من المقاومة والمدارات حيال التحولات والتغيرات الطارئة التي تشعر النظام الجندري انه يفقد توازنه في سلسلة التحولات:

"إلا ان تركيز غرو (Grou) على رجولة الهندو جرمانين الطاغية لم يحل دون التشدد على المداراة الزوجية التي تقوم على تبادل الدورين الذكوري والانثوي على مدى فترات هذا الزواج

¹ موريس او كندر، لغات الفردوس، ترجمة، جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص 236.

² المرجع نفسه، ص، 236.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

السماوي، فاذا كانت علاقة الله بالعرق السامي على غرار علاقة الزوج بزوجته فذلك لا يمنع الساميين من تادية الوظيفة الذكورية لا حقا اتجاه الهندو-جرمانين...¹.

العلاقة متقلبة تقلب نوازح المركزية الذكورية والانثوية وتتخلل كل طبقة وعنصر، لقد شهدت المسيحية الأوروبية عدة اساطير تغذي المخيلة الاجتماعية والفردية منها: "الاتجاه بين الشمال واليمين، لقد جلس يسوع الى يمين الله، فكان كل ما هو ايمن او ياتي من اليمين حسن الطالع، فالجهة اليمنى هي الخير والضياء وجهة الذكر، والجهة اليسرة الانثى انها الظلمات والشر"².

يتكون تاريخ المجتمع الالمانى وبعض من الدول القريبة منه من الاصول الهندو-جرمانية، فالمانيا التي نعرفها اليوم كانت تعتمد على هذا التاريخ الثقافي المتغلغل في ايسط جزئية بحياتها كبلد ومجتمع، فلمعرفة السلوكات المجندرة ومواقف تجاه الاختلاف والتعدد علينا ان نفهم هذه الامدادات والاساليب التي تحولت بها وتغيرت والكيفية التي تبرز الى الافق وقت الصراع.

هناك دراسة مهم قامت بها عالمة النفسية اورزولا شوي(URSULA SCHEU) ولقد ترجمة الى العربية باصل الفروق بين الجنسين واقيم البحث على المجتمع الالمانى في نهاية القرن العشرين وقالت:"كم هو ضئيل دور البيولوجيا، فالناس كائنات اجتماعية، البيولوجيا اليوم هي ذريعة لتعين هويتهم الجنسية، فالناس المؤنثون بيولوجيا يرون كالنساء والناس المذكرون يرون كالرجال، هذا في مجتمعنا على الاقل المانيا ، هامبروغ اي المجتمع البطريركي"³.

قدمت هذه الدراسة في اطار تحليل وفهم الادوار المذكرة والمؤنثة داخل المجتمع الالمانى قبيل سقوط جدار برلين وضمن مدينة بالشمال الالمانى التي تعد اكثر ديمقراطية وراسمالية من حيث القيم، كانت الدراسة متخصصة بالبعد النفس-اجتماعي-ثقافي ونقد للنظريات البيولوجية والنفسية التي اعتمدت على الفروق دون تفسيرها: "بالمقابل في المجتمع المتريركي اتخذت النساء لانفسهن دورا يعد ذكوريا واعطين للرجال الدور الانثوي، .فما نعتبره اليوم دورا ذكوريا هو دور الجنس المسيطر، وما نعتبره انثويا هو دور الجنس المضطهد"⁴.

¹ موريس او كندر، المرجع السابق، ص 237.

² بيار كانا ناجيو، معجم الحرفات والمعتقدات الشعبية في اوربوا، ترجمة احمد الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1993، ص 312.

³ أورزولا شوي، اصل الفروق بين الجنسين، ترجمة علي ياسين، دار التنوير، ط1، بيروت لبنان، 2010، ص 08.

⁴ المرجع نفسه، ص 08.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ما ندركه من خلال التعرّيج على التاريخ الهندو جرمانى ودراسة الفروق الجنسية وطبيعة المجتمع الذكورى هو ان تاريخ الامس المعبا بالنازية واضطهاد اليهود يعود في شكل النازيون الجدد وضد المهاجرين والاجانب ككل، فما زال المجتمع يحتفظ ببقايا التراث ويفعلها لاغراضه السياسية.

كما ان هناك دليلا من خلال البحوث الميدانى التى اجرىتها ان ابناء منطقة تيارت ذكورا اكثر من النساء يتصورون " الالمان " بانهم فحولة في اضطهادهم للفرنسين:
" لالمان " LES HOMMES"، او تنطق بالدراجة المحلية " الرجالة"، والغريب انها ذات الكلمة ان تعرض لعنف يقولك الالمان عنصرين، هو لا يتناقض بالقدر الذى يحاول ان يتواشج مع عقلية الالمان في الخشونة، مثلا من حيث الاستخدام اللغوي وتقليدهم والتودد الى تاريخهم العنيف لا نهم يقولون اسطوريا عن اللغة الفرنسية لغة " مخنثة" والالمان يحبون من يتحدث اليهم بلغتهم، وانا احب التكلم بلغة الفخر الالمانية او الانجليزية، هناك حزاة تاريخية نفسية تجعل المهاجر الجزائري(تيارت) نوعا يدارى العنف العنصرى ضده لانه ذات يوم كان هدفا ضد عدوه" عدو عدوي صديقي.بالاضافة الحقن المخزون بداخله تجاه ثقافة اخرى.

3- البعد النفسى-الثقافى للجندر والهجرة

تلمس المنظومة الجندرية عموما والمنظومة الجنسية من الجسدية والحميمية والعلاقات والرباط الاجتماعى في الفضاء الهجرى تغيرات وتحولات، معارف جديدة والتعرف على مضامين الثقافات من خلال ممارسة فاعليها، كما ان المدلول النفسى مهم في ادراك الخلفية الشعورية والادراكية وقت التفاعلات وما تعبر عنه تلك الصدمات النفسية التى تتجلى بسبب المنظومتين.
تكون المسافة النفسية والاجتماعية بارزة من القرب والبعد، الزواج والعلاقات العابرة، وهيام ذلك المتخيل الجنسى بهومات جنسية عن بلاد سيعزرو فيها بفحولته المتخيلة ارضا جديدة وفسحة جنسية لا بد من نيلها، تكون الذكورة مندفعة والانوثة حاملة، المندفع يغزو بذكوريته، والحاملة تظن انها لم تعد تمتثل للقيود المسلطة على جسدها.

لكن ليس هذا من قبيل السهل للتجسد، بل هو صدمة اولية تعنى بصدمات النفسية للمهاجر، فكثافة الهوام الجنسى وطبيعة بناء الواقع تختلف تماما، يجد الذكور انفسهم امام القوانين والعقوبات التى تحرمهم وتجعلهم اكثر كبتا، مسعورين باحثين عن قوادى جنسية تسهل درب رغبتهم او الانكفاء على الذات، لان اي غلطة قد تفشل رحلة الهجرة هذه وتودعهم السجن، او تحرمه مستقبلا من التجنس والاقامة كملف قانونى يخصه، وتلك الفتيات العازبات يتذكرن فجأة

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

انهن ان لم يتزوجن باجنبي مهما كان، فإن غشاء البكارة لامحالة مطلوب بين الجالية المسلمة او لحظة العودة، فجأة يصارع الهوام الجنسي مع حمولة المتخيل الاجتماعي في تضارب وصراع: " ما يعانيه المغترب من صدمة وازمة وانقسام في عالمه الداخلي وذاته التي يسيطر عليها الخوف من المجمل من النبذ والطرده خارج المجتمع وما ترافقه من كآبة انفعالية"¹.

انه من ابرز البحوث بهذا الشأن هو ما قدمه الباحث والروائي: " طاهر بن جلون" في مؤلفه اقصى درجات العزلة والكتاب الثاني: لليون وريبكا: التحليل النفسي للمهجر والمنفى²، هذه النقطة السوداء في تاريخ المهاجرين والمهجر المربكة للنظم الاجتماعية وتجعل من المهاجرات بغايا او قوادة جنس ومن المهاجرين مجرمين او يعانون من الكبت الجنسي او البرود الجنسي او امراض جنسية لكلا الجنسين، انها صدمة نفسية تليها صدمة ثقافية قد تغير مشهد المنظومة الجندرية.

إن طبيعة الإناسة ومتطلبات الجسد للمهاجر تجعله يشعر بحالة فراغ وضياح، لحظة بحثه عن حاجياته الاساسية داخل علاقات اجتماعية مغايرة، يلاحظ كيف ان ابناء هذا المجتمع يتحركون بسلاسة وهو قابع ينتظر أو مجرد مراقب من بعيد، هذه اللحظة ليست سلبية بل من خلالها تبرز الاساليب والطرق والتكتيكات النفسية، للتفيس الجنسي ولعب ادوار جندرية تجعله يقلص تلك المسافة بينه وبين هؤلاء الغرباء، بالنسبة اليه: " الهجرة وما يصاحبها من اشكالات نفسية تعمق الشعور بالانفصال والازدواج لدى المهاجر بين محيطه القديم والجديد فيحيا الانسان في صراع بين زمنين وشخصين... المرء لا يعود بعدها ابدا المرا يرحد فقط"³.

يبدأ المحلل النفسي "طاهر بن جلون" بحثه بالتركيز اكثر على لحظة البداية الثقافية وعلاقة الجسد المغاربي المهاجر بفرنسا، يمر من خلال تجارب متنوعة من المغرب وتونس والجزائريين من اجيال مختلفة وعبر مراحل هجرة متباينة: "لا نطلب من اولئك الرجال الذين نقلتهم من ارضهم ومن عائلاتهم ومن ثقافتهم الا قوة عملهم اما الباقي فلا نود التعرف عليه... فيتخذ التميز العنصري العادي تجاه هؤلاء المهاجرين مثلا العنف الجنسي لا يمكن ان يشبع الا عبر الانحراف الجنسي والاغتصاب والجريمة"⁴.

¹ اوس حسن، عرض كتاب التحليل النفسي للمهجر والمنفى، العدد الفصلي 19، شتاء 2022، مجلة عود الند، www.oudnad.net 2021.12.08 تاريخ المراجعة على الساعة 20.09 ليلا.

² أنظر، ليون وريبكا غرينبرغ، التحليل النفسي للمهجر والمنفى، تحرير وترجمة السماري، دار المدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2008.

³ اوس حسن، المرجع نفسه. المرقع نفسه.

⁴ طاهر بن جلون، اقصى درجات العزلة، ترجمة فيصل ونبيلة جلول، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط1، 1981. ص 06.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان هذا الاقرار مكتنز بالاثار النفسية والتاريخية وتأثيره على نتائج الوقائع الاجتماعية عبر فعل الهجرة ونشاطاتها وممارستها اليومية، ويشمل ايضا ان الجسد المستعمر مر بكثير من التطبيعات والاستغلال والتمييز العنصري من الجيل الاول، والتي عانى من المهاجرون جراء تلك الرؤية الاختزالية وكان هذا الجسد العربي او الافريقي ليس الا آلة ميكانيكية للعمل والتي تحتاج الى عملية بسيطة من دمجهم او ترحيلهم حسب الحاجة الاقتصادية.

يجعلهم هذا الشعور دوما مكبوتين ومقموعين جنسيا ولا يعرفون السبيل الى ربط علاقات اجتماعية تسهل عليهم سبل الحياة: "اننا بحضرة رجال ياخذون مبادرة الجنون ومبادرة الامتناع في مواجهة الكبت والحقد والتمييز العنصري، هناك رجال يضطرون الى نفي انفسهم لبيع قوة عملهم ويضطرون من اجل ذلك الى ترك وسطهم العائلي والثقافي والعاطفي والجنسي... يعبر عن فقدان العاطفة... وكبت متصاعد لرغباتهم الجنسية"¹.

يوضح بن جلون البعد النفسي المجنس من خلال الحاجة الجنسية التي هي اساس الحركة و رسوخ واندماجهم والشعور بالتضامن والتعاون الحقيقي مع المجتمع الجديد، البوصلة الجنسانية مهمة في لعب ادوار اخرى وفق المنظومة الثقافية والاجتماعية، المهاجر ليس الة ميكانيكية لسد فراغ وعطب المكنة الاقتصادية بقدر ما هو انسان يحتاج الى ترميم ذاته حتى يشعر بالانسجام مع باقي الافراد، انه مهاجر مصدوم يحاول دوما اعادة تثبيت نفسه والقيام برحلات اخرى، "ان البؤس الذي يتعرضون له... انه بؤس العزلة، ذلك الذي يتلقونه في الشارع في الغرفة في النوم؟... هناك براي سببين لهذا السكوت، اولهما انه من الصعب قياس درجة تعاسته التي تضطره للعيش فضلا عن الجنس والكبت الجنسي"².

لقد شغلت العلاقة الجنسية عبر المهجر عدة مواضيع تشمل الصحة والعمل والزواج والاسرة والتربية الجنسية للاولاد والقوانين، كما شغلت الصحة النفسية والعقلية للمهاجر واشتغل الباحثون كثيرا وعكف الصحفيون كذلك على هذا الاتجاه، الا انني اريد التفكير في حيز الابعاد التجسدية، وبالاخص كي يكون موضوع الجنس الواحد امام ثقافات متنافرة او متصارعة، الجنس يعد جسرا بين الاربطة الاجتماعية وعامل ضخ للحياة، ليس هذا وحسب بل هو ضمان للهوية الجندرية، ويكون سندا للذكورية وللابوية الاسرية، تبرز الحاجة الى معرفة البنى الثقافية

¹ ظاهر بن جلون، المرجع، السابق، ص ص. 08، 09.

² المرجع نفسه، ص 11.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والخلفية الاجتماعية لكل تجربة، والاساطير المنسوجة عبر العرق واللون من الرجال والنساء خلف كل حدث وواقع.

في المهجر يتنفس الانسان او يكبت بسبب المنظومة الجندرية، و قوانين المسافات الاجتماعية المتعارف عليها ضمناً، فالجسم الاجتماعي تتخالف تراكيبه حتى ولو تشابه بثقافة اوروبية. يلعب الجنس واللون والعرق دوره في المخيلة الاجتماعية الاوروبية ذكورا واناثا تجاه هؤلاء القادمين من افريقيا، يعتقد الرجل الابيض الفرنسي او الامريكي ان الرجل الاسود اكثر فحولة منه في العلاقة الجنسية فيكبت هذا الاخير خوفاً منه ويغير نفسياً ويحسده احياناً على هذه الهبة فيتحول خطابه الاستهجاني والاقصائي والعنصري دوماً من هذه الزاوية الجنسية، كما ان الجزائريات المهاجرات اذا تزوجن برجل افريقي بلون اسود يعد وصماً لهويتها الجنسية وبمرتبها الاجتماعية:

"وما صابت ما مدير"¹ يعني كانها بلا حل فاخترته "وصم مزدوج له ولها".

نجد ايضا المغاربة يصورون حياتهم اليومية عبر السوشل ميديا بان الاوروبيات خاصة الدنماركيات والسويديات يريدن ويحبذن الزواج بالعربي، ويشعر المهاجر المصور انه يؤنس جانب نفس-جنسي بداخله يعوزه هذا الاطمئنان، وذلك بمغازلة المخيلة الاجتماعية والتصورات تجاه العرب (الفحولة الجنسية المتخيلة والرجولة)، غالباً ما تكون العلاقات مجرد استغلالهن وجرهن في قضايا قانونية كما عبر المبحوث:

"دخلت السجن بسبب علاقة عابرة ... فقد اخبرت الشرطة عني

بانني اريد اغتصابها ودخلت حينها السجن"².

"لقد كانت هناك محاولة لترسيخ الاعتقاد بان السود والعرب يتمتعون بقدرة جنسية خاصة، الامر الذي حمل الاوروبي على النظر اليهم وكأنه يتحدون رجولتهم الخاصة، ومن هنا ينشأ الحقد..."³، في هذه النقطة بالذات اردت ان اوضح مسالتين مهمتين جدا:

الاولى اعتقد ان الفحولة الجنسية او الحميمية لها علاقة بالمساومة والتفاوض على البقاء مدة اطول او الاندماج الكلي بارض ومجتمع اختاروه هم لانفسهم، نظراً لانهم لا يملكون في البداية

¹ المبحوثة رقم (22).

² المبحوث رقم 09 و10.

³ طاهر بن جلون، المرجع السابق، ص 07.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الا اجسادهم كقوة للعمل و ممارسة الجنس، صورة العمالة والجنس ترجع الى الذهنية الكولونيالية، وهذا عميق في تاريخ تجارة الرقيق أو العبيد من افريقيا والى القارات الخمس. **الامر الثاني** هو ان العنصرية والقومية تجاه الزنوج او العرب او الافارقة عموما لها علاقة بالجنس كمركب ينازعهم فيه ازواجهن التي لا يمكنهن منعهن من اختيار صديق، وادخاله الى البيت، ناهيك عن بناتهن فليجأون دوما الى تشويه الصورة عنصريا، بانهم مجرمون وبلدء ولا يؤمن لهم جانب، في حين الواقع يثبت الكثير من التجارب بالمختلفة.

الامر الثالث: ان خصوصية المجتمع الامريكى اعم واعمق اذ علاقته بالسود تتعلق بالجنس حقيقة والرجل الابيض يدرك قصوره جنسيا وعضليا امام الرجال السود، لكن هناك نقطة مهمة تعنى بالانثروبولوجيا هي ان الرجل الابيض المتحضر يعلم انه كائن بلاستيكي مهجن وضعيف، أمام جسم مازال يحتفظ بقوته الطبيعية البدائية الاولية، لذلك صور السود بكل بداءة وتخلف وربط البيض بالحضارة والتحضر.

اعتبر ايضا ما قدمه الروائي السوداني في عمله: موسم الهجرة الى الشمال¹، يندرج في هذا الخصوص، اجده متشابك مع اعمال "بن جلون" الذي وفر الكثير من المصطلحات النفسية المعبرة: التغلغل الاستعماري، الابداء الاثنية، استباحة الجسد، بؤس العزلة، الكبت الجنسي، استغلال قوة العمل، الاقتلاع، الفارق الثقافي، نظام الابوة، العشيرة الذكورية، السلطة الجنسية، خطورة مطالبة المرأة باللذة، العجز الجنسي، المهاجر ومخيلته، ايقاظ الرغبة، فقدان الام، الوطن الجديد، الصدمة، الشعور بالغياب، الكبت الغرائزي، النقشف الجنسي، المومس، المنفى، المرأة تطالب بالاعتراف، الختان، نظام الذكورة.. هذه من بين الكلمات والجمال والمصطلحات ذات الحمولة الواسعة للتحليل وادراك المعاني وطبيعة واقعا المعاش من بلدان المغرب، فلقد هندس خطابا نفسيا معرفيا عن الهجرة يشكل ويقارب فيه بين الاتجاه النفسي والجنسي والثقافي يقدم لنا مادة خصبة لتحليل النفس-انثروبولوجي للمهاجر.

نعتبر التحليل النفسي يمس المهاجر وغيره، وذلك بغية فك الالغاز الانثوية والذكورية وكيف تتعدد الاساليب في ذلك من خلال فعل الهجرة، فعقدة الخشاء، وعقدة الأوديب، والأنا، والنرجسية، والهوى والرغبة، واللذة، او اللبيدو، هي حالات وانفعالات عبر الهجرة، توضح الهجرة إن الجنس الانثوي له رغباته واهدافه، وقد تكون تعبر الهجرة عن منافسة منطلقا من " حسد

¹ الطيب صالح، موسم الهجرة الى الشمال، دار الجي، بيروت لبنان، ط1، 1998.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

القضيب" ومركزية الفالوس"، كما يكون الدور الذكوري مبني على حماية هذا الفالوس ومركزيته والمبطنة في عقدة الخساء، والانفصال عن الوطن الام، الفطام، فكيف ستكون عملية النمو الفموية كقدرة تعبيرية عن الذات بعد الاقتلاع والفطام عن المنظومة الابوية؟ قد تكون العقدة الاوديبية التي سيحضى بها الكثير لاعادة ترميم واحداث توازن مع القيم الامومية وقيم المساواة بينه وبينها بالمهجر.

لذلك اعتقد ان لإجراء موازنة بين ما طرحه بن جلون في السبعينيات من القرن الماضي وعن تجارب هجرية مجنسة، وبين التحليل النفسي المعاصر وسيرة اللغز الانثوي في الحراك الاجتماعي للمهاجر/المهاجرة بشكل متعدد الخبرات لوقائع مختلفة ومتنوعة وباعداد رمزية اكثر. ان التحليل النفسي ادرجه في هذا المبحث والفصل لادراك اكثر الفروق الذكورية والانثوية ومقاربتها بالزحزحات الذكورية والحركة النسوية عبر سياقات ثقافية عابرة تبرز اهمية اعادة توزيع الادوار و بروز ليس منتج واحد منهما بل متعدد ومختلف كما عبرت هلين دوش تنوع ثقافات الذكورة والانوثة Helene Deutsch.

أ: التحليل النفسي - سيغموند فرويد

هناك نقطة ينبغي توضيحها وهي انه بالرغم من تمركزية التحليل النفسي على العامل البيولوجي والفيزيولوجي لجسد الانسان الا انه لا يتعارض مع القيمة الجندرية للبحوث المعاصرة، في تغليب الجانب الثقافي والاجتماعي وانما المرور من هنا يبرز ثلاث نقاط:

الاولى: معرفية وتشير إلى تأثير البحوث والدراسات بخطاب التحيز الذكوري، ثم كيف حاولت النسوة تفكيك هذا الخطاب عبر الهجرة.

الثانية: ادراك اساليب التحليل النفسي وتطوراته عبر اجيال من الباحثين منذ النشأة الى الوقت الحالي والاقتراب من وضعية المهاجرين.

الثالثة: ادراك تلك التحولات في المنظومة التحليلية النفسية والجندرية بالخصوص عبر المهجر. " ... إن اعتقاد فرويد بيولوجي غريزي ثابت، ما هو الا نتيجة أسباب ثقافية معينة، والكثير مما وصفه من خصائص الطبيعة الانسانية العامة، لم يكن الا خصائص رجال ونساء معيش من الطبقة الوسطى الاوروبية، عند نهاية القرن التاسع عشر"¹.

يشير هذا المقتطف من النص الى عدة نقاط مهمة اولها ربط العلاقة البيولوجية بالجنس، والفروق المحصلة بين الذكورة والانوثة، كما ان هناك نقطة مهمة في ربط الجنس بالتحليل

¹ بيتي فريدان، اللغز الانثوي، ترجمة عبد الله بديع فاضل، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2014، ص143.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

للحالات المرضية والبعد الطبقي، اذن الجنس، والمرض والطبقة، كما انه يشير الى نقد النظرية الفرويدية للتحليل النفسي، الا ان فرويد يرجع اليه الفضل في صبراغوار اللاوعي، هذا الذي كنا نعتقد اننا فقط كائنات واعية نتج معرفة محضة وخالصة وتبين في الاخير ان ما يشغله اللاوعي اكبر واهم: " يرى علماء الاحياء والاجتماع واعداد متزايدة من المحللين النفسيين الحاجة او الدافع الى النمو الانساني بوصفهما حاجة انسانية اولية وهي اساسية كالجنس، وينظر الى الرحلتين الفموية والشرجية اللتين وصفهما فرويد من حيث التطور الجنسي على انها مرحلتان في النمو الانساني تتاثر بالظروف الثقافية ومواقف الاهد بالاضافة الى الجنس"¹.

لقد كانت الحقائق النفسية لدى فرويد ملموسة وملاحظة وحول ان يبرهن ذلك عدة مرات من خلال اعماله العلاجية والبحثية، وكما اشار كاتب سيرته ارنست جونز (ERNEST JONES) الذي اشار الى فرويد من الانثى؟: " الحقيقة هي ان النساء عند فرويد نوع غريب دوني من مستوى البشر توجد فقط على اساس حب الرجل، ليحبين الرجل، ويخدمن حاجاته... كبر فرويد بهذا الموقف الداخل عضويا في ثقافته، لا ثقافة اوربا الفيكتورية، بل والثقافة اليهودية التي يتلو فيها الرجال الصلاة يوميا: " اشكر الالهى على انك لم تخلفني امراة وتتلو المرأة صلاتها في خضوع، اشكرك الالهى انك خلقتني وفق ارادتك"².

هذه بعض المؤثرات المزوجة في التحليل النفسي، فرويد تاثر ببيئته وثقافته كما تاثر التحليل النفسي بذلك، لقد حاول فهم النشاط الجنسي والنفسي والسلوكي للانسان مركز على البعد الجنسي بالاولوية منذ نشأته، كما انه وضع المرأة دون حيز من الاستقلالية لمعرفة ذاتها وهي تدور فقط في فلك الذكر لا تعرف مسارا غيره، لكن هذه الفكرة تثير اسئلة بين مراد الواقع وطبيعة الحقيقة، فهل كتب التاريخ الانساني بقلم ذكوري؟: " اكتشاف الفتاة لخصائصها هو نقطة تحول في حياتها انها مجروحة في حياتها لذاتها بالمقارنة الغير سارة مع الصبي المجهز افضل بكثير وتحتجز شحنة لابس بها في الطاقة وفي نهاية المطاف قد ساهمت تلك الرغبة في الحصول على القضيب الذي تتوق اليه كثيرا في الدوافع التي تجبر المرأة كثيرا..."³.

¹ بيتي فريدان، المرجع السابق، ص145.

² المرجع نفسه، ص145.

³ المرجع نفسه، ص155.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

السؤال هنا هل هذا واقع حياتي انساني مجنس ام حقيقة بالمطلق؟ من الضروري الانتباه لهذه النقطة التي جعلت المعرفة الانسانية في لحظة ما مائلة ومتحيزة.

يمكننا اذن ان نرى العلاقة بين الذكر والانثى هي علاقة بين المركز والهامش، هذه الرؤية المسيطرة على التحليل النفسي جعلتني اعيد النظر فيها كثيرا بدافع وقائع حرية المرأة وتحررها بغية الخروج من شرنقة الذكر التي جعلتها دوما مجرد تابع: "لا يمكنني ان نوضح حسد المرأة للرجل او افتقارها لذاتها على انه مجرد رفض لقبول تشوهها الجنسي، مالم تعتقد المرأة بالطبيعة هي كائن ادنى من الرجل وبالتالي تصبح رغبتها اوان تكون مساوية عصابية"¹.

بالرغم مما قدمته الاطروحات النفسية التحليلية المرتكزة على هذه العلاقة التراتبية، الا انها افرزت الكثير من النقد في سبيل توسيع الرؤية نحو افق ارحب، لان مثل هذه الرؤى الفلسفية والنفسية اثرت على الوثوق بالمنتجات المعرفية والعلمية، والتي تكون فيها العقلانية للذكر والعاطفة للانثى، وهذا تحيز صارخ: تقول (هيلين دوتش) في كتابها سيكولوجية المرأة، 1944م: "مع ادراكي التام لخضوع وضع المرأة للتاثير الخارجي، فاني اغامر بالقول بان الهويات الاساسية مؤنث سلبي، ومذكر ايجابي تؤكد نفسها في جميع الثقافات والاعراف المعروفة باشكال متنوعة ونسب مختلفة..."².

لقد كشفت التجربة المعاشة والبحثية على ان النساء اكتشفن الغموض بالرغم من بساطة التركيبة المشتركة لهن وللنوع الانساني بالرغم ان فرويد كان يحير فيما تردنه، هل الخضوع للذكر او اخضاعه او كليهما؟، كما اعتقد ان الغموض مكنه في تداخل عمليات معقدة من الجنسي والنفسي وليس الذكر والانثى الى تجسدهما التي تحولان تعقيد المسألة لضمان حيز السلطة الذكورية واخضاعهن، "اللغز الانثوي الذي رفعته النظرية الفرويدية الى مستوى الدين العلمي نغمته منفردة وشديدة الحماية ومقيدة للحياة ومفكرة للمستقبل بالنسبة للنساء، وابعدهن احترامهن لسلطة العلم وخوفهن منها عن التشكيك باللغز الانثوي"³.

المشكلة اننا لا نرى التشكل الانثوي الا من خلال ما يسمح به الضوء الاخضر الذكوري، فغياب الاعتراف والاقرار بوجودها التام المستقل هو الذي يوسع الفجوة، قد يبدو الامر صعب من الناحية العملية وسهلا علميا، إلا أن الأمر الصعب هو تضخم الأنا الذكورية بمكاسب

¹ بيتي فريدان، المرجع السابق، ص 157.

² المرجع نفسه، ص 162.

³ المرجع نفسه، ص 167.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

سلطوية يعاد توزيعها دوماً وهو المستفيد من اخضاعها واشعارها بلذة الخضوع عبر لعبة التضحية وتقديم قرابين الارضاء، لعل هذا ما يجعل المهاجرات بعد رحلة طويلة بالمهجر والتلاوت يرجعن الى الدير الذكوري ويعبرن عن استيائهن بأنهن عاجزات عن التقدم أكثر بدونهن، فبالرغم من ولوجهن الجامعات والتعلم والعمل وكسب اجر مادي واستقلالهن، إلا أنهن في أعماق أنفسهن يحن إلى نداء الامومة والأسرة والبيت والانجاب والتربية، ليس كلهن طبعاً لكن هذا مشهد غالب، ويرد عبره نقل تلك العادات والطقوس المصاحبة لهذه الاحداث بالمهجر تقول احدهن:

الغربة مرة في هذا النهار تحتاجي امك معاك في السبيطار"¹.

تقصد وضعية المخاض قبل الولادة او تلك التي تزوجت بدون حضور لعائلتها و مكسور خاطرها اوحى التي انجبت ولم تحظى بطقوس الولادة والفرح بالمولود الجديد.

ب: الذكورة والانوثة من منظور التحليل النفسي

هل يمكن ان تكون الهجرة مخرجا لاعادة ترتيب بيت الذكورة والانوثة من جديد وبشكل يسمح للطرفان بالتوازن؟،يركز التحليل النفسي خاصة لدى فرويد على التهديد بالخصاء والاستلابية السلبية والمركزية الذكورية وحسد القضيب وعقد الخصاء وعقدة الاوديب ويرى في هذا كله على انه:"النقطة الحاسمة في نمو الانساق وفي التركيبة الحضارية لانه رغم المعارضة التي تناولتها من قبل العديد من علماء الانثروبولوجيا وعلى راسهم "مالينوفسكي" في كتابه حول الحياة الجنسية عند المتوحش، كان الرأي السائد بان هذه العقدة شاملة في التكوين النفسي لكل انسان وحسب ليفي شتراوس تشمل نقطة التحول ما بين الطبيعة والحضارة"².

لا ننكر ان بواكر الدراسات الانثروبولوجية انطلقت من التحقق من نظرية فرويد مثلما حدث مع اعمال "مارغريت ميد" و"روث بنيديكت" وما شهدناه من انقسامات بين النزعة النفسية والثقافية الشخصية والوظيفية، واثبتت الدراسات انها وبعد حين توجد مجتمعات لا تمر بالترتيبات التي وضعها فرويد بحذافرها، كما انه بدا لنا نعرف مجتمعات امومية خارجة عن سلطة ومركزية الذكر الذي هو:"... المسماة بالقضيبيية فالوس PHALUS وهي تشمل الطفل والطفلة على

¹<https://youtu.be/mn4-qq5FJyM> 03-29.2022.

² عدنان حب الله، التحليل النفسي للرجولة والانوثة، من فرويد الى لاكان، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2004، ص105.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

السواء¹، اعتقد مشكلة الهوية تنطلق من هذا البعد النفسي الذكوري ، فالهوية عملية مطابقة اي الكل بالتعبير الذكوري مطابق له ومماثل الى حد التماهي .IDENTIFICATION. من الممكن جدا ان نفهم بنية تحول الادوار الذكورية والانثوية معا، بانها حالة من اكتساب وعي بالذات والدور والحقيقة تعبر فيه الهجرة عن هذا المضمون في محاولة يكون فيها الذكور والاناث خارج المطابقة، وقريبين من التكتيكات والتلاعبات بهذه المعطيات، فالتنقل الممزوج بثقافات يخيل للفراد جميعا حرية اعادة البناء من جديد عبر تلك التجارب الحميمة والزيجات، خاصة لما نراه من تحطيم اسطورة السن والجنس فكم من مهاجر تزوج امرأة كبير عليه في السن وانجب معها بغية الإقامة في المانيا² أو أوروبا، وكم من امرأة مهاجرة قبلت بعلاقة مساكنة او تزوجت ولم تلقي بالا للوصم الاجتماعي، وكم من امرأة استخدمت امتياز الاوراق الإقامة والجنسية لجلب شاب صغير عليها والتزوج به، في الحقيقة ان ما يجري على الاناث هو ذاته على الذكور -تهديد الخصاء للذكور والجرح النرجسي للاناث : "السلطة الجنسية هي شان من شؤون الرجال، انه نفوذ الرجولة ذات نفحة اسطورية والمقدرة الجسدية ان فقدان هذه السلطة يعني خسارة الشخص لمركزه الاجتماعي وسبب في مجتمع لا مكان ولا دور لرجل معاق جنسيا..العجز الجنسي خسارة لكل السلطات..."³.

المحصلة الذكورية والانثوية مبنية بالاساس البيولوجي ثم النفسي لادوار مذكرة ومؤنثة، مستخدمة في ذلك ادوات اسطورية ميثولوجية مؤسسة للتاريخ الانساني وتتمحور الفروق بينهما جنسيا، يخضع كليهما "لفالوس" مع الابقاء على المركزية محصنة الا اننا نقول. اذا كانت ادوار الهجرة تتغير عبر المهجر تحت سياسة من السياسات فهو دليل على تعرية خطاب المركزي الذكوري وبروز اشكال اخرى اكثر فوضوية ومهددة للمنظومة الجنسية القائمة على ثنائية ذكر انثى.

ج: التحليل النفسي الرمزي جان لاكان (JEAN LACAN)

لقد ابحر المحلل النفسي "لاكان" في دراسة "فرويد" وفهم جيدا التحليل النفسي الخاص به واستوعب ذلك وتوسع الى ابعاد اخرى، و إلى افق رمزي، كالفن والعلم واللغة مركزا على رمزية الفالوس أكثر من العضو نفسه:" هناك فارق بين بين الذكر والفالوس فاذا كان الاول يشير الى

¹ عدنان حب الله ، المرجع السابق، ص113.

² المبحوث (12).

³ ظاهر بن جلون، المرجع السابق، ص ص، 66، 67.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

عضو تشريحي فإن الثاني لا يعني الا رمزه، فالقضيب عنصر دال وموضوع الفالوس قبل كل شيء هو موضوع من حيث ان طبيعة تكمن بكونه عنصرا دالا يميز الحالة الاوديبية¹.

لقد ابدع في استعمال منحوتة الدال والمدلول اللسانية واخراجها من البعد اللغوي الى النفسي الرمزي واعتماد لغة التفكيك خطابية في فهم البعد الانساني والثقافي، والجنوسة المرمنة وباقي العمليات والادوار المجنسة، نعرف انه انطلق من حالة علاجية لكن لا يثينا عن اعتباره توسع وتطوير لنظرية فرويد،: "الدال (Signifiant) اذن هو التعبير المميز الذي يدخل عملية الاتصال بالآخر وهو ما يكون الذات في بنيتها يعني انها مركبة من سلسلة من دلائل تتشابه فيما بينها وليس لها وسيلة التعبير الا عن طريق الفعل اللغوي"².

لقد توسع وعاء التحليل النفسي اكثر باعمال لاكان ففي مقولة الفالوس يتبدى امر مهم الا وهو دور الذكورة والانوثة لا يحدث الا بعد الخصاء او عقدة الخصاء اذن الفالوس قدرة رمزية ومفهوم مخيالي يعمم على مجمل العلاقة فيما بينهما: "فنحن دون المخيال والرمز لا يمكن ان نفهم حقيقة طبيعة اولوية الفالوس والعقدة الاوديبية"³، لزلنا نتعمق في ابحاث التحليل النفسي خاصة المقاربة النفسية للهجرة وكيف ينظر الجنسين لبعضهما البعض وما ينجزانه وما يشعران به وكل تلك الافرازات الناجمة عن هذه اللعبة الغيرية بين الانثى والذكر التي تتوسع داخل الجسم الثقافي ككل وتتمو بشكل لولبي وتتحرك في ابعاد ديناميكية: "ان ديناميكية التحليل تقوم على اساس العلاقة مع الآخر الكبير، الذي يتجسد بوجود المحلل واذا اردنا ان نفهم ما هية اللاوعي، ما علينا الا ان نكف عما يتحكم بعلاقة الذات بالآخر، وهي كما يؤكد "لاكان" علاقة لغوية... فكل التخيلات والافكار هي تعابير لغوية يتداولها الانسان في علاقته مع الآخر لكي يعطي تعبيرا عن وجوده ورغباته"⁴.

بالاشارة اللغوية الممزوجة بالتحليل النفسي نقترح من علاقة مهمة هي ان المتحدث او المرسل في علاقته بغيره المقابل له لا يتحدث معه بمكانيكية القواعد الصرفية والنحوية، يسير الحديث عفويا والمهم بلوغ الرسالة التي تكون اهم من لغة المتحدث ذاته، هذه الليونة التي يوفرها التحليل تجعلنا ندرك اهميتنا بذواتنا والغير من خلال التواصل والرسائل المررة اكثر من القواعد الملزمة نسمح فيها للمشاركين بتأليف تلك الرسائل والمعاني.

¹ عدنان حب الله، المرجع السابق، ص 130.

² المرجع نفسه، ص 121.

³ المرجع نفسه، ص 131.

⁴ عدنان حب الله، المرجع السابق، ص 120.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يقترّب "لاكان" بنا من اساس العلاقة الدينامكية، وهذا مهم في ادراك العابر والثابت والمتحول عبر الذكورة والانوثة في البناء اليومي لسلوكياتنا، يكون الجسد الذكوري والانثوي قد غير مكانه وثقافته ومجتمعه وتخلل الى وعي ذاته وغيره، باحثا عن تلك التواشجات بينه وبين غيره المختلف عنه جنسيا وثقافيا، يكون اللاوعي هذا مصدوما وقت التعارف بعفوية التواصل والرسائل المنجزة والمعاني المختلفة والرغبات المحققة والمكبوتة، فقد ادرك كل منها كيف يتعامل مع الاخر، هذا الاخر ليس جحيما (جون بول سارتر) دوما - (عبر الهجرة) - هو عقبة ينبغي ادراكها لجمع الذوات في رسالة مشتركة في الاخير "الغير".

الجسد الانثوي والذكوري يحاول موضعه نفسه داخل نظم مغايرة دوما من حيث القيم والمعايير المجنسة والمنظومة المجندرة وتبقى اللعبة الاكثر تعقيدا للتموقع النفسي والجنسي من بين اجناس مختلفة ووجه الاختلاف يعود الى درجات التملك والتسلط .

تسعى الفتيات من خلال العمل وتحسين وضعيتهن الى خلق عنصر جذب ثاني غير الجسد هو الوضعية المادية وحالة الاوراق الثبوتية لتسهيل الانتماء لمجتمع المهجر وذلك ادراكا منهن لمتطلبات الرجل فيحاولن ترميم ذلك النقص لديهن باساليب مختلفة توحى بفهم لمعنى التشريط السلبي الدوني: "... هذا مايفسر ظاهرة معمة اكثر المجتمعات في طريقة التعامل بها الرجال مع المرأة على اساس دوني بقيت اسبابه مكبوتة او الخوف منها: اقصائها عن الحياة الاجتماعية لانها تذكرهم بعقدة الخفاء ... تحول كل الرجال الى جماد ان نظر اليها"¹.

يشعر المركز الذكوري بالتهديد والنظام الابوي بالترزع لوصول الانثى الى مكانة بالمهجر او حتى دخولها خط الهجرة لانه يعلم ان هذا النوع قادر على قلب الموازين النظامية الثقافية وتقريب الدور لهن، فيصورهن دونيا في حاجة اليه حتى خارج اسواره الاولى، عملية استدعاء كيد ذكوري وتحس المرأة انها بدونه لا تستطيع التقدم اكثر فهو يلاحظ انها خرجت لعرض البحر وباتنت مثله بالشوارع منفية او لاجئة او مهاجرة يلاحظ جيدة كيف تدخل مكانا فيتحول الى صالحها، لذلك يحاول ابقائها تحت السيطرة، تقع النساء ضحية التخويف بالسن والزواج والانجاب فيصبحن راضحات لهذا الامر: " فخوف الرجل من استقلالية المرأة عن رغبته يسقط عليها كل الاخطار الناجمة من هكذا موقع فهي المسؤولة عن خروجه من الجنة، في المفهوم الديني وهي المسؤولة عن انتشار الامراض في الاساطير اليونانية (صندوق بندور) وهي

¹ المرجع نفسه، ص116.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

المسؤولة عن الشرف العائلي... وهكذا فكل هذه المواقف تشير ان الرجل يعاني من خطر داهم يتمحور حول رغبة المرأة وموضوعها".¹

ان لغة الخطاب والرسائل واللعبة الاجتماعية القائمة على احتكار السلطة في توزيع الادوار واضحة، يبقى ان نفهم ان الدونية ليست صفة لازمة للنساء بالقدر التي هي حالة خوف الذكر تعمل لاجل السيطرة، لان الانثى تمثل في نظري التعدد والانفتاح والتنوع والذكر يمثل البعد الاحادي، والعقلية الاحادية مسكونة برعب التعدد والتشتت، الانثى تؤثر على الابعاد الثقافية والادوار الاجتماعية ولديها احتمال كبير في القلب الرديكالي للامور الثابتة، لذلك كل الديانات تسعى الى تاطيرها ويسعى القائمين عليها الى اخضاعها تحت سلطة ذكورية ابوية قاهرة ومضطهدة.

المشكلة ان الاناث لم تعي بعد هذا، و ما زالت تكرس اللعبة القديمة بحجة السن والقدرة الجسدية الضعيفة، عامل السن البيولوجي يهددها ويحرمها، فتسعى إلى كيد طلب ارضائه وكلاهما يفهم هذه الرسالة، أما اسطورة القوة الجسدية بدأت تتهاوى حين تعلمت النسوة و زاحمن الرجال في عالمهم المهني، فيبكي الذكور دوما حظهم،: " علاقة الرجل بالمرأة يتحكم بها الوجه المخفي، التهديد بالخصاء هي الرغبة الجنسية أي الإغراء هذه الدوافع تقفز إلى مسرح العلاقة لتخفي ورائها الخوف الكامن فإذا كانت المرأة ناقصة فانها تستطيع أن يعوضها عن ذلك بعلاقة جنسية عن طريق امتلاكها وهذا الالتحام الناتج عن المضايقة يحوان الفارق المههد ولو لبرهة".²

الخوف من الاتحاد والتكامل من الطرفين يبقي اللعبة المذكورة والمؤنثة على حالها كاقطاب متنافسة اكثر منها متكاملة تجاه الادوار والوظائف لان دلالة التصميم البيولوجي الجنسي توحى بالتكامل والذوبان الواحد في الاخر، سعت السلطة والرغبة الى ابراز الفارق والتعميق في فجوته لنيل الفوائد التسلطية اكثر لذلك المرأة تشعر بالاضدهاد والرجل ببؤس التسلط ومشهد مسكون بالخوف بينهما باطنيا، هذا الانقسام قد يؤدي بالطرفان الى العيش بحالة فصام او انقسام الانا (Ich spaltung) واضطراب لا نهائي: " الجنس او الممارسة الجنسية وهذه النفس لانتشار بالرغم من حضور المومس والسبب خلل الهوية الذكورية ذات المنشأ الثقافي الخاص

¹ عدنان حب الله، المرجع السابق، ص220.

² المرجع نفسه، ص 244.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

لان الرجل يفقد المتعة مع مرارة مومس... فهو يبحث عن الاعتراف بكل سلطاته عبر الجنس...¹.

يوضح لنا "بن جلون" عبر تجارب حية كيف ان فعل المقايضة يذل الذكر، وهو ذات الامر تسليع الرغبة الانثوية وجسد المرأة، هو نزاع نفسي للمرأة كونها ارض ومبتذلة اكثر بالرغم من التسويق المجاني لسحرها واغرائها، كما انه يفقدها بالمهجر حلم الاستقرار الاسري، بالاضافة الى تخلل رواسب اللاوعي المرتكز على ثقافات وعادات وتحريمات، تجعل كليها يعاني اكثر مما ينتظم بسلاسة: " يحتفظ الجماع بمظهره الديني لا وبل متقشف والامر يتعلق بالطبع بممارسته المشروعة، هنا يحدث اضطراب بين الصورة المكونة عن المرأة المسلمة التي يصادفها المهاجر في المجتمع الغريب فادراكه للجسد الانثوي وديالكتيكية اللذة عنده اضطرابات من المؤكد ان المهاجر الشمال الافريقي يعتبر المجتمعات الاوروبية اباحية لا يملك الرجل فيها السيطرة على المرأة"².

كثيرة هي الصور النمطية المختلفة والتي يشترك فيها المهاجر كونه ينظر الى نفسه اوالى انثاه من مجتمعه وثقافته ومن مجتمع الاستقبال ايضا في تداخل تلك الهوامات الجنسية المحبوسة بداخله وفي مخيلته بين امرين بسط هذا النفوذ الذكوري او تهديده بمرض جنسي ما:

" فكرة الخصاء الرمزي التي تعبر عن هذه الصيغة يتعين ان نفهمه بأنه نقص مستعصي على اي تعويض نرجسي... من الجنس المذكر لن يكون دون أن يملك، وهي صيغة ما اسماه دوسارتو (DE CERTEAU) تصدع مشيد، انه تصدع على مستوى الوجود ولكنه يحكم محض القضيب للجسد الذاتي لدى الرجل"³.

ينبغي الاشارة دوما الى المساهمة الكبيرة التي قام بها "لاكان" في علم النفس التحليلي، انه مكسب معرفي هام في دراسة الهجرة وجندرته، وكشف الاساليب المنتشرة جراء تلك الخفيات الجنسية وهوامتها والكيفية في لعب الادوار وانقساماتها وكل تلك الاشكال من الصراع النفسي والاجتماعي وكيف لعبت بعدا جوهريا في الممارسة الوالدية ايضا: الامومية والابوة: "المورث

¹ طاهر بن جلون، المرجع السابق، ص 67

² المرجع نفسه، ص 69.

³ مصطفى صفوان، التحليل النفسي، علما وعلاجا وقضية، ترجمة مصطفى حجازي، الهيئة البحرينية للثقافة والاثار، المنامة، البحرين، ط 1، 2016، ص 295.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الأول موقع الأب الاجتماعي ودوره في الموروث التسلسلي العائلي، من حيث المجاز الملتزم باسمه هو السائد في مجتمع ابوي، التعريف عن الفرد نفسه للمجموع التي يتعايش معها"¹. هذا هو الأساس الذكوري والابوي المحوري المهم في مجتمعات تعتقد أنه صمام أمان نظامها الجندري ، إن الأوديب هو شكل السلطة البطريركية وأساسه الفالوس، تلك الرمزية القوية في مخيلة الرجل الذي يسعى عبر الهجرة لاستباق الحدث والزواج من بنت البلاد، أو مهاجرة مع ولد البلاد"² وهذا كله تأميم وتأمين مسبق للسلطة، وضمان لخط الرجعة في التعامل مع مجتمعه الأصلي.

ذات الأمر لدى الاناث تعبر بـ "راجلي"³ حتى مع رجال مغايرين لجنسياتهم وشرطهن في الاسلام ،هو تكريس لإرضاء الاسرة والمجتمع الاصلي، والا اصبحت العلاقات مهددة ومكهرية وتبقى كلمة شريك الحياة مستعصية على التحقيق الحر، : " ان الخصاء الرمزي لا يطال الا القضيب المتخيل، بالنسبة للفتاة يجب ان تدرك انها لا تملك ما لم يكن ملكها سابقا، وبالنسبة للفتى لا تعود حق ملكية القضيب واستعماله الا بشرط الاستغناء عن استمراريته تماهيه ..."⁴ يشير الخصاء الرمزي الى قوة الرمزية الذكورية ليس في عالم الفهوم النفسية وحسب بل في الكيفية التي يدرك بها الفاعلين ان سلم الارتقاء لا يكون الا بطرق العبور من هنا، فالاشباع النفسي ليس لوحده كافيا دون تامين الصور من اللواحق السلطوية والاجتماعية والثقافية والسيطرة على التجارب الحياتية، وجعلها اكثر واضحة بالنسبة للذكور، فالدوران في فلكه يعني إنه يحكم السيطرة بعيدا عن نهج المخالفة، وهذا التهديد الذي يراه في الحقيقة لا يشكل الا تنوع وثناء في العالم الاجتماعي: " تتلخص كل لعبة تمرير النقص لدى كلا الجنسين في التعابير التالية، الشكل الذي نجده في وظيفة القضيب -أو ما يمكن- تسميته العلاقة المجنسة... "⁵.

تكشف ظاهرة الهجرة على الصراعات النفسية والهوية الجندرية والمنظومة ككل، فيستبق احدهما الآخر في تجربة الحياة ،وتكون التكلفة النفسية من الصدمات والارهاق والامراض ثمنا لهذه السيطرة، في حين يدرك آخرون ان اللعبة تغيرت وأصبح الجنسين متكاملين بالاساس

¹ عدنان حب الله، المرجع السابق، ص 137.

² المبحوث رقم : 05،04،03،01.

³ شهيناز من تيارت المقيمة بالسويد المدعوة كارولين: https://youtu.be/Yno_0BmW9sk.

⁴ مصطفى صفوان، المرجع السابق، ص 310.

⁵ المرجع نفسه ، ص 310.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تكاملًا، لكن تبقى هذه تجارب محدودة في سياقات مازالت تركز وتعزز نفسها اجتماعيًا لتكون بمشهد التنوع الفعلي.

تشير عملية الجسنة إلى اعتبار كل ذات بإمكانية الانفتاح على تجارب غير محددة سلفًا تتميز بالتنوع الثقافي الحيوي، كما يحاول التخفيف من وطأة شمولية الحتمية: "المؤسسة الذكورية... تحكم وظيفة القضيبية في تمرير نقص معين وادخل فكرة الأشباع الأول، فهذا الأشباع هو في الواقع نوع من السر، فماذا يعني الأشباع، وكيف بإمكانه استمالة الطاقة الليبيدية وليس بالإمكان فهم وظيفتها إلا باعتبارها تستهدف المادة، انتاج مفتقد جوهريًا. تامين بعض وجود النقص"¹.

العلاقة وظيفية أكثر من كونها بنيوية جوهريّة، تقترب من العلاقات والموضع والرتبة والسلطة وإعادة تقسيم وتوزيع الأدوار، الأساس في ذلك نزاع سلطوي قائم على تخويف وتهديد الجانبين، المشكلة الحضارية والثقافية هنا، واعتبر فهم النوع البشري بشقيه امر ضروري لتجنب تكرار السلطة الطاحنة والخضوع الماكر، فكلاهما يشتهي الرغبة المخفية بحب التملك والسيطرة دون التفاهم والتكامل وتعزيز التفاضل لغنى النوعين وليس العكس، متى سندرك ان معاني المطابقة والثقافة الواحدة المهيمنة مختفية خلف حلقة الفالوس نفسها، ان تنوع النوع البشري يتم اختزاله دوماً انما حضر حكام مباراة لعبة السلطة، "لقد توصل علماء اجتماعيون إلى خلاصة مذهشة: ان تكوني امرأة لم يكن أكثر ولا أقل من ان تكوني انسانة، لكن تخلفاً ثقافياً ادخل في اللغز الانثوي"².

عبر سلسلة الاقتلاع وإعادة التثبيت (المهجر) والتغيرات الكثيرة واختلاط الجنسين والاجناس بزحامهم الثقافي إلا انهما يحاولان في كل مرة تثبيت التجربة المختبرة الأولى دون إعادة النظر في العلاقات المجنسة sexuation، تلك التي تقف حجرة عثرة امام مشروع الهجرة وانجاحه، مازال على الجنسين تغير الكثير من خلال هذا العبور، وان كان الجيل الثالث من المهاجرين عازم على هذه التحولات، لكن تبقى تجارب منفردة يعوزها خلق نسق ثقافي بذاته خارج الانفعال والغضب أو الاكراه، على مجتمعاتهم وثقافتهم لتكون أدوارهم أكثر تنظيماً لترسيخ قيم التغير وابعاده الدينامية المختلفة.

¹ مصطفى صفوان، المرجع السابق، ص 309.

² بيبي فريدان، المرجع السابق، ص 196، 197.

4- الامتداد العائلي وتكوينه بالمهجر (الأدوار الجندرية الوالدية)

ان الادوار الوالدية المتعلقة بالاسرة المهاجرة او في بناء الاسرة بالمهجر، او ما بين المهاجرين انفسهم او المختلطة او تلك العلاقات الوالدية الممتدة من هنا، كلها محاور مهمة في فهم مجال جذرة فضاء الهجرة، فما هو تصور ومفهوم الالاماني عن العائلة؟ كيف ينظر للعائلات المسلمة؟ ماهي طبيعة العلاقات والمسافات فيما بينهم؟ كيف هي تكوينات الاسر المختلطة؟، لفهم الادوار الوالدية المجندرة علينا الاقتراب من الادوار المجنسة، والعمل، والطبقة، والقوانين المنظمة للاسرة، كتشريع سوسيولوجي في عمق استوعاب علاقة النوع، التنوع، الهجرة اكثر.

ان السن كمتغير مهم في تربية الابناء وارتياح المدارس فتصبح العلاقة الترابطية التحليلية ما بين الابناء، الاسرة، المدرسة، يوضح الجدول الاحصائي هذا جدول رقم (03):

القيمة الاحتمالية	معامل الارتباط	قوانين دعم حرية المرأة بالمهجر سبب في فشل تماسك الاسر؟ / حرية الابناء (+18) من الجنسين عائق لتماسك الاسرة بالمهجر؟
0.003	**0.369	

الوصف: نلاحظ من خلال الجدول والقيمة المحصل عليها لمعامل الارتباط سبيرمان ما بين متغير قوانين حرية دعم المرأة وسببها في فشل تماسك الاسرة و حرية الابناء من الجنسين كعائق امام تماسك الاسرة بقيمة 0.003 بدرجة معنوية احتمالية 0.01 مقدره بقيمة 0.003

التفسير والتحليل: ان للمتغيرين علاقة ارتباطية طردية موجبة بين درجة حرية المرأة وحرية الابناء من الجنسين كعائق امام تماسك الاسرة المهاجرة بالمهجر، القوانين تؤثر في اساليب المعاملة الوالدية وتعتبر عقبة امام تماسك الاسرة التقليدية المهاجرة بالاخص المسلمين

النتيجة:

علاقة ارتباطية طردية موجبة وقوية¹.

وهنا نراجع ايضا قيمة اساسية في الاشارة العوامل الثابتة من الممارسة الوالدية الابوية المحافظة على البطريركية، او في استراتيجية تغير احوالها والتخفيف منها وفي العناية بالاساليب التي يمارسها الوالدين في ذلك، كما ان الاشارة الى العمل والمهن المخصص للامهات تلعب الدور البارز في ابقاء على هذا النمط او الغائه من الاسر المهاجرة وتصبح العلاقة الترابطية، نوعية العمل، قيمة الاجر، قيمة اجتماعية مجندرة، فبدون الوقوع في ثنائية النمط الامومي والابوي اعتقد التقرب من الاساليب والطرق المنتهجة من خلال الممثلين الاجتماعيين في

¹ واحدة تعني بقانون القيمة الاحتمالية p-value هي الدرجة المعنوية محددة بقانون 0.05 وتعني علاقة ارتباطية موجبة من الدرجة الثالثة

p-value هنا مقدره على اتجاه اقل من 0.01 وتعني العلاقة قوية**

*** تعني العلاقة تامة عند درجة تساوي +1 أو -1

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الابقاء على النمطين او في تغليب احدهما على الاخر هو الاقرب في تركيبة جندرة مجال الهجرة للاسرة المهاجرة، والكيفية التي تلعب الدور المحوري في بناء الاسرة بالمهجر والتباين بين الاسر المختلطة والاسرة الناشئة من هنا او تلك بين المهاجرين فنكون العلاقة الترابطية الثالثة بين: مركب الدين، القومية(الوطنية)*، العرقية، او بنت و"ولد البلاد": تعتبر الادوار المسندة للنوع والابوة ظواهر اجتماعية موقفية، وبالتالي فانه يتم فهمها بشكل افضل من خلال مقارنة ثقافية بيية تجمع بين البعد التاريخي والسياق اللاحق للهجرة..."¹.

يشير هذا المقتطف من البحث الى اهمية السياق الثقافي(الخصوص/الكوني) الذي يلامس الادوار الذكورية والانثوية معا في بنية الاسرة الامومية والبطيركية، مشكلا تحديا ثقافيا للتكيف فيجعل المهاجرين امام تحديات تمس شخصهم وعلاقاتهم واسرهم تتداخل فيه الابعاد الخصوصية والعمومية المحلية والكونية فيرتد بعضهم الى اعادة تشكيل الاسر نفسها هناك وينحو اخرين الى تبني نموذج المستقبل وكليهما يكون بحالة من الازدواجية مرحليا.

هذه الحالة لا تكون مزمنة بقدر ما هي ضرورية للعب الادوار الجندرية، باسلوب اكثر تكتيتي سبقي، يختار اصحاب الاتجاه الاسر المختلطة خيار اسلمة ازواجهن مع الحفاظ والاقرار بالقوانين الاسرية الاوروبية في تنظيم الحقوق و الواجبات، يتسائل البعض لماذا الدين؟ الدين يوفر ويؤمن سيطرة الاب على الذكور وما يبثه في البيت من خلال تحويل اي معنى الى "العصمة"، ذات الامر لدى الاناث قد لا يشكل اختيار الزوج الغير مسلم مشكلة لكن هو خيار استراتيجي وشرط لاتمام العلاقة، لا يخص الامر فقط شخصهم بل هو تاشيرة ضمان وعبور لضمان تربية الاولاد تربية اسلامية وجعل العلاقة الزوجية "حلال" هذا التشريع القانوني الاسلامي والرمزي اقوى من التشريع الاوروبي العلماني للأسر:

يقول احد المبحوثين: "انا نديها لالمانية بصح ندخلها للاسلام"²

تقول احد المبحوثات: "ما يهمش يكون مسلم بالمطول ونحاول ندخله للاسلام"³.

يقول لامب(SUPER HARKNES): "تختلف الاهمية بالنسبة للوظائف المتنوعة الابوية حسب السياقات الاسرية البنائية الثقافية... فالاب الناجح كما تحدده عملية نمو اطفاله هو الذي

*: اخترت الوطنية والقومية لاختلاط التزاوج على انها عربية او وطنية من ذات البلد او الوطن

¹ عنصر العياشي، عائلات مسلمة من المغرب في هولندا، ديناميات النوع وادوار الابوة في سياق التغير، <https://independent.academia.edu/LayachiAnser>، تاريخ النشر 2017/ تاريخ المشاهدة 2017.

² المبحوث رقم(05): من تيارت

³ المبحوث رقم(21): من تيارت

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يكون ادائه لدوره ملائماً لمتطلبات ومحددات السياق الاسري الاجتماعي... وهو ما ذهب اليه سوبر وكنز فيقسمان النسق الاسري الى ثلاث انساق فرعية متصلة هي: القيم ومعتقدات الأباء، ممارسة الابوة، والاوزاع المادية والاجتماعية¹، تتفاعل كل هذه ضمن سلسلة من الاداءات والانجازات داخل مجال الهجرة ولقد كشفت من خلال البحث دور بعض الاباء من خلال وضع استراتيجية تضمن حجم الممارسة لسلطة الابوة اكانت عائلته معه باوروبا اساسا او انه يتركه ويغيب ثم يعود من فترة لاخرى:

" انا الحمد لله راني مخلي مرتي وولادي في فرندة/تيارت ومن شهر لشهر نجيم ولا حساب المصروف، ما نقدرش نديهم لهيه يفسدوا... شكون الي يقبل بنته ولا ولده كي تكبر تدخل على الواحدة نتاع الليل مع صديقها؟"².

هذه الاستراتيجية تركز على التربية واحترام الاب او الاخ الكبير في البيت او حتى بالمهجر من خلال التركيز على التربية الاسلامية وتحفيظ القران وتعليم اللغة العربية:

" لازم ولادي يقرأو القران ويتعلمو دينهم خير ليهم"³

"تعلمهم في الدار العربية والانجليزية والالمانية.."⁴

العربية لغة القرآن بلا بيها ما يعرفوش دينهم مليح"⁵.

، كلها اساليب احترازية وتأمين للوضعية الاجتماعية الاسرية مستقبلا، لا علاقة للامر بطقس او تشبث بمعتقد بل اسلوب تكتيكي: "اغلبية المسلمين رجالا ونساء على حد سواء لا ينظرون الى الموقع الحالي للمرأة الغربية كموقع يستحق التقليد، مشيرين بخاصة الى المعدلات العالمية للطلاق والحرية الجنسية ، بالمقابل يجري تثمين وابرار الموقع المركزي للمرأة المسلمة في الاسرة والحماية التي تحظى بها وابنائها"⁶.

وطبعا التخطيط لهذا كما قلنا يبدأ مبكرا منذ الارتباط والانجاب، فخطة اسلام الزوج او الزوجة هي توسيع لساحة المناورة الجندرية وتأمين طريق العودة مستقبلا بغية ارضاء الامتداد العائلي الاولي في شكله الذكوري والابوي وتجنب اي عامل من عوامل الاقصاء الاجتماعي او

¹ عنصر العياشي المرجع السابق. الموقع السابق.

² المبحوث(02) .

³ المبحوث رقم(01).

⁴ المبحوث رقم(04).

⁵ المبحوث رقم (20).

⁶ عنصر العياشي، المرجع السابق.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

التصنيفات الغير لائقة، كما ان المساجد والجماعات الاسلامية المهاجرة بالمهجر تعزز هذا الطلب عبر المنابر والتجمعات الموسمية من الاحتفالات الدينية الاسلامية، والتي يجب ان نذكره هنا، ما الذي يبقي هذه الاشكال الاجتماعية على حالها واكثر تمركزا برغم من بعد المسافة عن العائلات الاولى و(الممتدة)؟.

اعتقد ان العملية اعقد من مؤثرات سوسيو مهنية اذ يتعلق الامر بالحي السكني(المجال) الذي يختاره هؤلاء منذ البداية والتجمعات الاسلامية التضامنية التي تشعرهم انهم في موطنهم الاصلي فيبقون على مسافة وفجوة من مؤثرات المهنة والوظيفة، لان اغليبيتهم يستعين بالجمعيات الاسلامية ويستفيد من مساعداتها المادية والمعنوية توفر هذه الحلقة البعد " الجماعاتي" الذي يؤمن هذه الروابط والعلاقات بالمهجر.

كما يوضح ذلك الجداول الاحصائية رقم 04/05/06/07:

الجدول رقم 04):تحليل مقياس ليكرت الخماسي حول محور التنوع الثقافي):

السؤال	غير موافق بشدة	غير موافق	محايد	موافق	موافق بشدة	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتب	اتجاه الراي
العمل مع الاجانب فيه فرصة للتعرف على ثقافة البلد واللغة	00	00	00	63	100 %	5.000	.0000	1	موافق بشدة
تمكنت من اللغة بالمهجر وتعرفت على ثقافته؟	00	00	00	63	100 %	5.000	.0000	1	موافق بشدة
المجتمع الالمانى عنصري تجاه العرب المسلمين؟	36	00	9	12	19.0 %	2.333	1,6559	3	محايد
المتوسط المرجح/الموزون Weighted Mean الانحراف المعياري	اتجاه الراي مرتفع 4.111								
	1,6559								

الوصف

رتبنا الاسئلة بناءا على المتوسط الحسابي، من الاعلى الى الاصغر ترتيبا تنازليا، ونلاحظ ان الاجابة تتوزع في الفقرة الاولى على مستوى الموافقة بشدة بمعدل 5.000 اي بنسبة 100 %، فجل العينة متفقة على هذا الراي، وفي الفقرة الثانية ايضا سجل الموافقة التامة على درجة اولى موافق بشدة بمعدل متوسط بلغ 5.000 اي بنسبة 100 %، الا انه في الفقرة الثالثة اخذ بعض الاختلاف والتوزيع على درجات مختلفة، حيث 57.1 % من فئة موافق بشدة، ثم تليها 19.0 % لموافق بشدة، ثم 14.3 % لمحايد، ثم تليها موافق بنسبة 9.5 % بلغ المتوسط فيه معدل: 2.333 وانحراف معياري قدره: 1.6559 .

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

التحليل والتفسير:

من خلال ما قدمه الباحثون نجد انهم يشكلون رأياً محايداً تجاه عنصرية المجتمع الألماني أي متوسطة وفي ذات الوقت يثبتون ان قيمة التعايش والتنوع تترسخ بداية من متغير (اللغة والعمل مع الاجانب) يكون الراي والموقف واضح بشكل موجب ، فقيمة التنوع الثقافي ككل تتحو حسب راي المبحوثين باتجاه مرتفع بسبب اللغة والعمل للتعرف عن قرب والتعايش مع الغير. وتبقى النسب الاخرى تجاه العنصرية تجارب اقل مقارنة بالاغلبية التي شكلت أكثر من نصف العينة 57.1%

النتيجة:

اتجاه الراي: مرتفع 4.111 درجته حسب الجدول اعلاه ، التنوع يتحقق وفق اللغة والعمل عن قرب

جدول رقم (05): تحليل ليكرت لفقرات درجة الانفتاح حول الجنسين والاجناس المختلفة

السؤال	غير عادي	عادي	محايد	منفتح	منفتح جدا	المتوسط	الانحراف المعياري	الرتب	اتجاه الراي
انسان متفتح من لديه علاقات متنوعة بين اجناس مختلفة؟	1 %4.8	16 %25.4	/	43 %68.3	3 %4.8	3.413	.9611	4	منفتح
مارايك في الذي لديه علاقات اجتماعية متنوعة من الجنسين؟	3 4.8%	37 58.7%	7 11.1%	15 23.8%	1 1.6%	2,508	,9817	3	محايد
المتوسط المرجح الانحراف المعياري	اتجاه الراي متوسط 2.9605 .9714								

الوصف:

يوضح الجدول بالنسبة للفقرة الاولى انه بنسبة 68.3% شكلت برأي منفتح ثم تليها بشكل عادي بنسبة 25.4% ثم تليها بالتساوي بين "غير عادي" و"منفتح جدا" بنسبة 4.8%، بقيمة متوسط 3.413 وانحراف معياري قيمته 0.9611، اما في الفقرة الثانية عبر المبحوثون عن شكل عادي بنسبة 58.7% ثم تليها نسبة 23.8% لمنفتح، تليها 11.1% لمحايد وفي الاخير 1.6% لمنفتح جدا ، وكانت قيمة المتوسط ب: 2.508 وانحراف معياري قيمته 0.9817.

التحليل والتفسير

يعبر محور الفقرتين المخصص للكشف عن درجة الانفتاح من حيث الراي والسلوك للجنسين وبين مختلف الثقافات والاجناس عن قيمة متوسط موزون او مرجح بقيمة 2.9605 ما يوضح اتجاه الراي العام الذي عبر عنه المبحوثون بانه متوسط لايأس به لا هو منخفض ولا هو مرتفع.

النتيجة: لهذه المحور، اتجاه راي متوسط.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

جدول رقم (06) مقياس سبيرمان للفقرة الاولى الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين؟

المجموع	الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين؟		الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين؟
	لا	نعم	
27 %42.9	7 %25.0	20 %57.1	الجنس انثى-زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
36 %57.1	21 %75	15 %42.9	الجنس ذكر-زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
63 100%	28 %100	35 %100	المجموع

القيمة الاحتمالية	معامل الارتباط سبيرمان	الجنس * هل الرجولة تتغير لدى المهاجرين الجزائريين؟
0.010	**0.323	

الوصف:

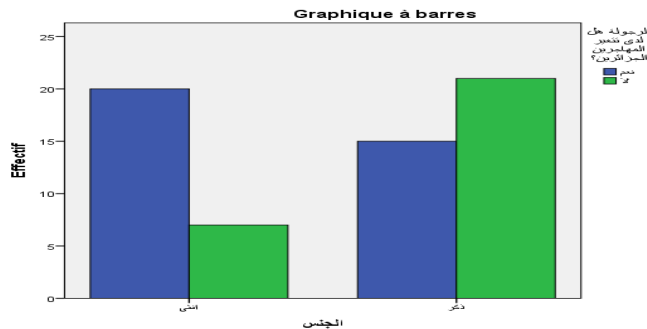
معامل سبيرمان من بين القياسات لقيمة الارتباط بين متغيرين غير كميين وليس البحث عن السببية، كما انه محدد بين قيمة +1 و -1 اي قيمة موجبة وقيمة سالبة ويوضح الجدول الذي بين ايدينا القيمة لمتغير الجنس ب0.323** وقيمة احتمالية مقدرة ب:0.010، مقابل درجة معنوية مقدرة ب:0.01.

التحليل والتفسير:

افتراضنا من خلال هذه الفقرة على وجود علاقة ارتباطية ما بين متغير النوع الاجتماعي والرأي المخصص لمفهوم الرجولة وتغيره بالمهجر لدى الجنسين، القيمة توضح ان العلاقة ارتباطية طردية موجبة حيث شكلت 0.323 .

النتيجة:

الارتباط مهم من الدرجة الثانية المشار اليه بنجمتين اي اتجاه القيمة طردي ايجابي، بمعدل الارتباط متوسط. كما هو موضح في الرسم البياني. الشكل رقم (05)



الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

جدول رقم (07) معامل الارتباط سبيرمان بين متغير الجنس والفقرة الخامسة زواج الجزائريين

المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟

المجموع	الجنس/زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟		الجنس/زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
	لا	نعم	
27 %42.9	16 %66.7	11 %28.2	الجنس انثى-زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
36 %57.1	8 %33.3	28 %71.8	الجنس ذكر-زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
63 100%	24 %100	39 %100	المجموع

المتغير والفقرة	قيمة معامل الارتباط سبيرمان	ليقيمة الاحتمالية
زواج الجزائريين المهاجرين بعضهم مهم لتماسك الاسرة؟/الجنس	0.337**	0.002

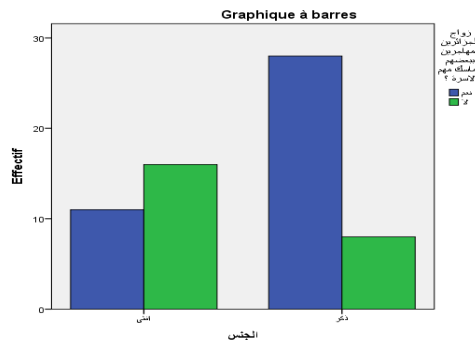
الوصف

من خلال الجدول نلاحظ ان اعلى نسبة الذكور الذين اختاروا الاجابة بنعم مشكلين 71.8%، ثم تليها اجابة الاناث ب: "لا" بقيمة 66.7% ثم الذكور بالاجابة "لا" بقيمة 33.3% ثم الاناث ب"نعم" بقيمة 28.2% وتشير القيمة الارتباطية بقيمة 0.337** *مقبل القيمة الاحتمالية المختارة لدرجة معنوية ب0.05 كانت قيمتها من خلال هذا الارتباط ب0.002.

التحليل والتفسير:

ان القيمة الارتباطية المسجلة لدى كلا من الجنسين بقيمة 0.337** * بنجمتين توضح انها ذات ارتباط طردي موجب قوي مقابل القيمة الاحتمالية ذات الدلالة الاحصائية بقيمة 0.002 ، عند درجة معنوية مقدرة ب: 0.01، ما يعني نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل، اي العلاقة توضح احصائيا قيمة الارتباط اولا بين متغير النوع الاجتماعي وخيار زواج الجزائريين فيما بينهم

النتيجة: الارتباط قوي بدرجة موجبة وكما يوضحه الرسم البياني للاعمدة الاتية: الشكل رقم (06).



الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يمكن القول أن التجربة الألمانية توفر نصيبا من الخصوصية، إذ الجماعة أو المسجد ليست بتلك القوة كما هو الحال في فرنسا أو أمريكا، العامل الرئيس هو الاحياء السكنية وطبقة المنتمين اليها، تحاول الاسر العربية المسلمة ان تتضامن وتؤازر بعضها بعضا، التي تجعل العائلات مع الجورة الألمانية في شكل مسالم تقريبا، بالاضافة الا ان الالمان معروفون باحترامهم للقانون يكفي، هذا لضمان مساحة من الروابط الاجتماعية النافعة والغير مقلقة، الشيء المقلق للاسر المسلمة او الألمانية هو السلوكات العنصرية اكثر، لا يهم معتقدتك اذا لم يشكل تعنيف لزوجتك او جارك. اذ يؤمن بعض الالمان بالتجربة الحية لجار مهاجر مسلم اكثر من صور الميديا.

يؤثر ايضا عامل السكنى الريفية على سكنى المدينة، على لعب الادوار الجندرية، تكاد تكون الساكنة المهاجرة الجزائرية بفرانكفورت او برلين او هامبورغ مبقية على التدين الشخصي كتجربة خاصة، والاهم في الرباط الاجتماعي هو الانسجام مع التنظيم الحضري المدني. يبقى الأمر المقلق للمسلمين هو السكن في مدينة مثل: "درسن" التي تشهد تعنيف جسدي مباشر للعائلات المسلمة.

تختلف الادوار الجندرية ما بين المناطق الحضرية والريفية واحياء المهاجرين المهمشة والاحياء التي تتمتع بالوفرة الاقتصادية والمرافق العامة-الطبقية- على الادوار السلوكية المنجندرة والوالدية، الاحياء المسلمة او العربية تبقي على النظام الابوي وكذا الساكنة بالريف، لكن المدن الحيوية ذات التدفق الثقافي العالي يجد البعض الحفاظ على تصور قليل من الدور الابوي و يتجه أغلبهم الى تبني المساواة والايمان بالعمل في بناء اسر جديدة تحترم القانون الاسري الاوروبي.

الا انه يمكن الاشارة الى البعد النفسي -الاجتماعي ان كل هذه التجارب الحضرية والريفية احياء المهاجرين او غيرهم اسر حديثة او كلاسيكية لا تتطمنن، الا الى العقد الزواج الاسلامي حتى لو توفرت هذه العلاقة على زواج مدني، يحصلون على عمل ويتزوجون وينجبون، لكن لا امان لخط نفسي اجتماعي دون توثيق الزواج شرعيا عند امام مسلم، لا يهم ان كان جزائريا او تركيا او غيره المهم امام مسلم، يحمل هذا الامان اهدافا ثقافية واجتماعية واقتصادية في المستقبل.

هذه الاهداف لا تحقق كلها اذ الطلاق والميراث يحتكره القانون الاسري الاوروبي لنفسه ولا يستطيع توزيع تربية الابناء دون استشارته بالاضافة الى كل الترتيبات، الامر مقلق والصعب

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

على المهاجرين الذين اختاروا بناء اسر بالمهجر متخوفون دوما بالفجوة الثقافية بينهم وبين الشريك، هذا ينم عن غياب للاستقرار وضعف التكيف الحقيقي، يمكننا التمييز بين ثلاثة نماذج مثالية هي: "...النموذج التقليدي والنموذج الحديث، والنموذج الوسيط،.. في هكذا نموذج للحياة الاسرية: تقوم الامهات برعاية البيت العناية بالأولاد، اما النمط الوسيط التي تدافع عنه مجموعة صغيرة من الامهات يتم الحفاظ على توزيع المهام والمسؤوليات عبر الامهات يتوقعن دعما عاطفيا اكبر واهتمام بالأولاد، اما النظرة الحديثة فنجد انهن يقترحن اشراك الزوجين في القيام باعباء المنزل ويتوقعن ازواجهن المشاركة النشطة"¹.

قد لا يكون النمط التقليدي حاضرة بقوة في شكله الاجتماعي، كما لا يمكن استدعائه غالبا الا في فترات العودة، وفي اختيار اسماء الابناء كرمز من يحكم من؟ هي ام هو؟، ان العلاقة الوالدية وتكوين الاسرة تتشكل بشكل مختلف حسب الدور المسند والهدف المرجو تحقيقه، من المهم ان نعرف كل الحالات التي يتخللها ممارسة الدور الجندري وفعله (Doing gender) خاصة بعد الانتقال الى المهجر، لان الانتقال هو زمن المساومة بين الامتداد الاولي او الاصطدام بين التمسك والتخلي، وهنا لا يضيع المهاجر بالقدر الذي يتحلى بتشكيلات هو قادر على ابداعها عبر السياق والمنظومة الجندرية ككل وبشكل مغاير تماما، هو لا علاقة له بالصراع الهوياتي بقدر احلال نفس جديد وتموقع ضمن لعبة يراد بها شكل آخر من العلاقة.

ان المهاجرين اكانو ذكورا او اناث، اختاروا العزوبية او مهاجرين متزوجين تركوا عوائلهم ورائهم، او من اختار زوجة اجنبية او زوج اجنبي وشكّل معا اسرة مختلفة او زواج على الورق وخاصة حالات النساء الكبيرات في السن او الحالات المثلية النادرة لا يهم كل هذا، بحد ذاته الا في اطار جذور التشكل والتمحور، فبناء هويات جندرية مختلفة ومتناقضة احيانا او في حالات اشد تطرفا(مثلية الزواج) هي اما متداد لجندر سابق او اعادة تشكيل هوية جندرية مغايرة بقيم ومعايير مختلفة.

إن مسألة إعادة الإنتاج لا تتعلق فقط برواسب المهاجر، بل ينجم عن تلك العملية الدينامية للهجرة والتنافس والتلاقي، في اعادة ابراز انماط هذا المجتمع واعادة بنائها، او المساهمة في ذات المعايير، ضف الى ذلك تشابك ديناميات افراد وعائلات عابرة للثقافتين(سواء المسلمة والاوروبية او المغاربية)فالمجتمع الالمانى يحمل تنوعا ثقافيا في جميع الاتجاهات والطبقات

¹ عنصر العياشي المرجع السابق.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والالوان والقيم كثيفة الاختلاف والتداخل المحلي والكوني العابر لها، وهذا ما يجعلنا نرصد اساليب التكوين الجندري اكثر من اعادة الانتاج نفسها وذلك بسبب التنوع والاختلاف على مستوى البنية والمضمون والشكل: "وصف عالم الاجتماع الامريكي ادوراد اومان، في دراسة سنة 2010 كيف فقدت المؤسسات الرئيسية تأثيرها على تنظيم العلاقات الشخصية والحميمية... اقترح لذلك اطروحة الفرد بدلا من المؤسسات الكبيرة، هذا لا يعني التحرر من القيم المجتمعية والقواعد... بل هناك مجموعة اكبر من التنوع وهذا يعزز الخيارات الفردية اكثر"¹.

بالطبع ان حظوظ الخيارات الفردية توسعت بسبب تقسيم العمل والسوق العالمية والرباط الاجتماعي ففتحت ابواب امام خيارات مفتحة ومتعددة لتشكيل علاقات اسرية مختلفة (التدفق الثقافي)، لاحظنا من خلال تتبع حياة المهاجرين باروبا: المانيا، السويد، فرنسا، اسبانيا كيف ان النساء المغاربيات عموما يحافظن على امل حلم الامومة: "فعل الوظيفة المكبوتة التي توفرها الامومة للانثى ليست الا فعل ثقافي وتاريخي، انه الانفتاح على الانوثة"².
اعتقد ان الامومة ليست حالة منفصلة عن الابوية من حيث التبادلات الحاصلة في تامين جسر التواصل والامان النفسي والاستقرار الاجتماعي وتميرها عبر قنوات التعاون، يرغب الكثير من المهاجرين الذكور في الاختيار الحسن لزوجاتهم اللاتي يبدن حس الامومة و"البيوتية" وكانها تحمل رسالة رمزية.

كما أن المرأة تضمن حقها في ذلك منه: "الامومة ليست، اما وطفلا انها قصة حياة كاملة ، رغبات شعورية ولا شعورية، وتماهيات، انها سلسلة تستند عليها الذكريات والجروح والافراح والامل، ويمكن للامومة ان تشمل الاب بصيغة وصفها " دولتو (Mamaisé) ب المؤوم (بنية الامومة) دون ان يتداخل ذلك مع وصفه ب (الرفيق) او العشيق او زوج الام"¹، وفعلا هذا ما يحتاجه الزوجان المهاجران، فالزوج يريد ان يكون اكثر من كونه ذكر واب بل ايضا حظه من الامومة العملية ذاتها التي تحقها المرأة من خلاله.

أ: اختلاف المنظومتين الثقافيتين (الامومية والابوية) بين المانيا والجزائر

نادرا جدا ما نجد تلك الدراسات السوسولوجية والانثربولوجية التي تعقد مقارنة ثقافية بنيوية ما بين ثقافة البلدين بالخصوص الادوار الامومية والابوية او مقارنة على مستوى المنظومة

¹ UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, Annette Schad-Seifert (Eds.) Family Life in Japan and Germany Challenges for a Gender-Sensitive Family Policy. Springer edition. Berlin. Germany. 2019. p60.

² جاك اندريه وآخرون، جنون الامومة الطبيعي، ترجمة اسكندر جورج، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع بيروت لبنان، ط1، 2009، ص25.

¹ المرجع نفسه، ص132.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الجندرية، لذلك اردت ان افهم العوامل المتداخلة في تشكيل العائلة والاسرة ضمن الوجه العام والتاريخي، تختلف العوامل السوسولوجية والاقتصادية المشكلة للمجتمع والاسرة، فالاسرة الجزائرية و الالمانية لم تشهد ذات العوامل البنائية لها، لذلك قررت توضيح هذا العامل السوسيو-تاريخي المهم والمكون الاساسي في بناء الشخصية الفردية والروح الاجتماعية. ان الاسرة الجزائرية مرت على نموذج العائلة الكبيرة باختلاف المشارب الثقافية والتي ارتكزت على اساس الابوية للعائلة الممتدة وفي ذات الوقت كانت هناك اسر متأثرة بالموجة الكوليانية وتفجرت وقتها ايدولوجيات متباينة اما لتعزيز الدور المحافظ(الاصلاح) أو الاتجاه الجديد(الشيوعي) دون اغفال القدرة الاستعمارية على اختراق المنظومة القيمية والمعاييرية الجزائرية:"اضفت الحركات الوطنية الاستقلالية بعض الانقسامات المهمة على موضوعة الجندر فقد حملت هذه الحركات عنصرا تحديثيا بارزا، لكنها انسقت في رغبتها الى التمييز عبر السلطة الاستعمارية الغربية، وراء التمسك بعناصر الماضي والهوية وقد يكون هذا التناقض احد المصادر المهمة في تحديد خصوصية علاقات الجندر وتطورها في لعالم الثالث"¹، لما كانت اوربا تعالج نهوضها وثروتها الصناعية وتغير ملامح اشكالها الاجتماعية خاصة دور المرأة، فالسياق السوسولوجي التاريخ للاسرة والادوار المجندر الوالدية التي جعلتنا نتميز بقيادة ذكورية مضاعفة مرجعه الى حقبات تاريخية مهمة شكلت هذه الهوية الصلبة بشكلها الاجتماعي ومضمونها الثقافي.

ان التمييز الجندري القابع في السلوك والمعايير والقواعد هو امتداد لتلك الجدالات في الحقبة الكولونيلية فلقد تسائلت "دنيس كاندوني" الى اي حد كان الخطاب الذي يعلن على انه موضوع الاصلاح للمرأة؟" هو ايضا لاعادة صوغ الجندر عبر تاسيس موديلات جديدة للذكورية والنسائية بهدف تحسين تماسك العائلة النواة، فإن التناقضات والحاجة الى تعريف هوية وطنية اتخذت بعد الاستقلال شكل تمييز نوعي بين نساءنا ونسائهم ادى هذا السلوك وهذا التركيز الى عدم تعريف رجالنا وعدم الاكتراث المسار الذي يتجهن فيه"¹، بالفعل منذ الصدمة الاستعمارية بالاحص على مستوى البنى الثقافية سارع الفاعلون الاجتماعيون الى تمييز انفسهم عن الغرب المستعمر بينهم وبين المستعمر، هذا التمييز الذي سيكون اساسا واعيا فيما بعد للنخب للإعادة

¹ مي غضوب، ايماسنكليز ويب، الرجولة المتخيلة، الهوية الذكورية الثقافية في الشرق الاوسط الحديث، دار الساقى، بيروت لبنان ط1، 2002، ص10.

¹ المرجع نفسه، ص11.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تهيئة واصلاح دور المرأة والاسرة، والمهم ان نعرف ان الوعي الاسري والنسوي او النظام الجندري عموما في هذه المرحلة غير متضح بينه وبين الاخر كلية.

فليست الاسباب والعوامل السوسيو- تاريخية ثابتة، او ذات عامل احادي في التأثير واعادة الانتاج للمنظومة الجندرية، اقصد بالدينامية التي طرحها "توربرت الياس" في التحول والتغير والهيكلة، في الدفاع والمقاومة وبناء الذات ووضع الحدود مع الاخر لكشف ذلك العمق الاثني والسياسي والهوياتي بعد الهجرة، وهذا ظاهر في التجربة الفرنسية: "جرى التشديد في الاعمال الاخيرة على الطرق التي تبني بها الذات المجسنة ديناميا وادائيا في التفاعل الاجتماعي، ولعل الاختلافات بين الرجال وبين التطورات، لما يمكن ان تكون عليه الذكورة كشفت الطرق أكثر فاعلية... للبعد الاثني والجنسي"¹.

هذا التفاعل التاريخي شكل صورتين نمطيتين: صورة عن ذواتنا وعن الآخر نعود اليها في بناء اساليب مغايرة او نقدها او استعمالها اثناء الاداء والموقف بحيث لا تشكل كلية وجودنا بقدر مناسبات الاستعمال.

هناك بعد ايضا مهم يندرج تحت العلاقة الابوية والعسكرية وهي نواة صلبة للعائلة الجزائرية يستمد العسكري قيمته من هذا النظام الجندري ويوسع من قوته ، كما ان العائلة تستمد تلك الصورة القيادية داخلها هناك تزواج خاص بين طبيعة العائلة والبنية العسكرية يستفيد السياسي منها كثيرا، فيعمد على اعادة انتاجها في قوالبه، هذا تصور نخبوي مؤثر على طبيعة المجتمع من الفوق الى الاسفل في تفاعل تاريخي ونفسي واقتصادي واجتماعي متداخل ومتربط العوامل والاهداف، الابوية والتسلط واحادية المنطق السياسي كلها مركزية في ذهن الثقافة والمجتمع من العائلة منذ الانطلاقة الاولى والزواج والمراقبة والمعاقبة...اذن هناك مركز ووحدة العملية التربوية وحشد اجتماعي وسياسي لتتّب هذا الشكل الجندري الاسري وهذه العملية هي نتاج مجموعة من الحيل:"يمكن استطلاع عمل الذكوريات النازعة الى الهيمنة بامعان النظر في مؤسسات مثل الجيش، ...تبيين لحالة التركيبة في سياق الحالي اي صنع ذكورية نموذجية في مثل هذه البيئة، يضيف الى اخضاع رجل على ايدي رجال آخرين بصورة منفصلة تماما عن اخضاع النساء"¹.

¹ مي غضوب، المرجع السابق ، ص14.

¹ المرجع نفسه ، ص 20.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان طبيعة المؤسسات السياسية والعسكرية وتربطها مع النظام العائلي والسلطة الابوية والروح الذكورية والعنف المشكل لها، يوجد ايضا موضوع خضع للتمييز ليس فقط بين الجنس والجندر، بل هناك تمييز بين (المؤمن/الكافر) بين المسلم وغير المسلم وبين الجزائري والفرنسي، بين المهاجر والمجتمع المستقبل ، يكون التمييز على اساس "الختان" الذي كان طقسا حافلا للذكورة (للابوة) والزواج، بريد واضح لوجود الذكورة بحياة النساء ايضا، رمز الطهارة (تعريق الطهارة وتجنسها): "الختان عندي وشم من حيث الاساس انه علاقة قبلية وحتى قومية...¹ ان الختان في الاسلام مثله مثل الاستئصال او القطع ، في الحقيقة انه مسألة تتعلق بتأثير الانتماء الى جماعة... نحن المختئين نحدد علاقة ضم الى جماعة ما".

ب: سياق الامومة والابوة الالمانى

لعب العنف والقوة النازية للريخ الالمانى واضطهاد اليهود في بناء توجه جندي موهوم بتناغمه مع الالمان او متطابق معهم، تعزز وتحرك هذه الوقائع اختيارهم لالمانيا، قد يلجأ الجزائري المهاجر الى فرنسا وهذا اختيار تكتيكي لتوفر شروط قد لا تتوفر عليها المانيا مثل: الإقامة بميلاد الولادة (الارض)، فألمانيا تشترط الجنسية الالمانية للابوين مع الإقامة اثناء ولادة طفل فلا يكفي الولادة على ارضها وحسب، لذلك التجربة الهجرية الفرنسية تحتاج الى تدقيق. لقد مرّ المجتمع الالمانى خلال القرن العشرين بكثير من المتغيرات والتحويلات التي مست الاقتصاد والسياسة والاجتماع والفرد، المرأة والرجل وتقسيم العمل والادوار حتى الوقت المعاصر ممزوجا بالحلم القومي والعرقى الذي شكل الانسان الالمانى وابعاده الثقافية والمسافات ما بين جموع الافراد والاقليات، : "لقد كانت ربة المنزل نموذج عائلي والهيمنة الذكورية نموذج الاسرة في العديد من البلدان الصناعية خلال فترة الحرب العالمية الاولى... فالعائلة النووية تتلقى دخل كاف لدعم الزوجة والاطفال، وما على الزوجة سوى الانخراط في العمل المحلي والرعاية دون اجر... الرجل محمي ببرامج التأمين الاجتماعى الصحي... هذا نموذج الاسرة الحديثة مزيج من الابوية والراسمالية"¹.

ارتبطت المحددات الاسرية للمنظومة الجندرية بالخلفية الاقتصادية التاريخية للبلد، وطبيعة العمل او المهنة وتقسيم الادوار، لذلك برز مفهوم ربة المنزل (Housewifery)، بالاضافة الى ان البنية الالمانية الدينية البروتستنتانية هيمنة على عقلنة دور الجنسين، "نموذج ربة المنزل في

¹ مي غضوب، المرجع السابق، ص 32، 33.

¹ UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, ANNETTE SCHAD-SEIFERT.op.cit.p218.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الاقتصادات التي هيمن عليها الذكور...في ألمانيا ظهر مع وضع تاريخي حيث الأزواج يدعمون أسرهم، وكان هذا النموذج يقتصر على الطبقة البرجوازية والمتوسطة لكنها أصبحت فيما بعد واسعة النطاق بعد الحرب العالمية الثانية وتحقيق الوفرة الاقتصادية"¹.

العامل التاريخي مهم في العائلة الألمانية(الطبقة)فقد لعبت دورا بارزا في تحديد مهام وادوار الام والاب، على عكسنا فقد نشأنا على مفهوم قبلي عشائري وابوي، وتقسيم المهام مبني على الجنس والارض والمهام الجنوسية، وهذا فارق مهم وسياق مختلف في تلاقي منظومتين جندرتين مختلفتين بالاساس، كما ان الاسرة الألمانية شهدت تحولات وتغيرات حتى تسعينيات القرن الماضي من حيث الاهتمام اكثر بالفجوة الجندرية ومعالجتها عبر التعلم والعمل والاجر.

للجنسين(الاسرة وربة المنزل، وصورة المرأة العاملة ودور الامومة) ما بين اطروحات نسوية (Feministe) واطروحات مرآوية (Womenhood): " منذ التسعينات انتقلت العائلة الى نموذج التوازن بين العمل(العائلة،الحياة)، يعرف هذا النموذج Universal bread winner model الى نموذج المعيل العائلي (Adult-worler model) او نموذج المساواة (Equal earner model) هذا النموذج يفترض التكامل الكامل لكل من الرجال والنساء في سوق العمل على دورة الحياة ويجعل النساء على نفس المعايير مع الرجال...يتبع نوع من الرؤية النوع الاجتماعي للمجتمع"².

في الحقيقة ألمانيا كافتحت وهي السبابة للولوج بقوة على راس الاتحاد الاوروبي ومعالجة فكرة المساواة والتوسع فيها من خلال الفجوة الجندرية والاجور والتي مازالت سياستها في سوق العمل تعالج هذه النقطة، لكن طبعا ليس كما هو الحال في مجتمعات العالم الثالث.

تركز السياسة الداخلية الألمانية للشؤون الشخصية على عدة عوامل مؤثرة في توزيع الثروة واستغلال جهد العمل ومهام الرعاية والظروف السكنية للمناطق المختلفة اداريا ما بين الشرق والغرب، ان مبدأ المساواة بين الجنسين عنصر مهم في الذهنية الاقتصادية الألمانية وهذا ما جعل النوع الثاني والنموذج الثاني للاسرة يظهر تكافؤ الرعاية (care giver partty model): "حيث دولة الرفاه ترى الاعمال المحلية من خلال سياسة الاسرة، هذا كان لمعظم

1. UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, ANNETTE SCHAD-SEIFERT.Op.cit.p 219

2. Ibid.p221

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

دول أوروبا الغربية ذات الديمقراطية الاجتماعية، على الرغم من ان هذا يترك اثار عدم المساواة في الدخل والعمل وتهميش النساء في سوق العمل"¹.

لقد اقر مركز البحوث الالمانى (WISSENSCHAFTZENTRUM BERLIN) منذ سنة 2007 اساس من الاندماج الاسري الناجح بالعمل المنظم (stander work normalar) (beitverhathmis) وهذا راجع الى نقطة مهمة في ادراك ثقافة الالمان لربات البيوت والامهات اللواتي يتركن اولادهن لدى المربيات، مع العلم ان اغلب المربيات اجنبيات رومانيات بولنديات، اي مهاجرات في الاصل، ينعت الالمان الامهات الالمانيات اللواتي يذهبن للعمل ويتركن اولادهن للمربيات باسم الام الغراب (Raven mather) وهي اهانة للام التي تسعى للعمل بالخارج وتترك عملها وواجبها تجاه اطفالها:

" في ألمانيا تدعى (Raben mutter)، (Raven mather) وهذا يعني اما سيئة وتعمل غالبا حين تترك المنزل ولا ترعاه كفاية في المجتمع الالمانى حيث كانت المانيا تتحد من جديد وكان ايضا الاساتذة الذين يدرسون الهندسة مثلا يرون المرأة في الصف امر غير لائق اطلاقا.." جاءت ميركل ايضا ببناء الوحدة بين الرجل والمرأة في الرعاية المنزلية والاطفال لكن مازال المجتمع الالمانى في رأي "ميركل" شخصية غير نموذجية"².

إن صورة المعيل الذكري (The mal bread) مهيمنة على الطرفين وان كانت اقل حدة بالمانيا، كرست سياسات عدة هذه الصورة عبر التعليم والعمل وتقسيمه واعادة توزيع الثروة، كما ان هناك عوامل حضرية وادارية تدخلت ايضا لفقدان قيمة المساواة ، هناك فرق بين الولايات الشمالية والجنوبية الالمانية، فالمجتمع الالمانى يضم نساء من خلفيات اجتماعية مختلفة والخلفيات العرقية والمراتب الاجتماعية تعزز عدم المساواة لسيما عبر مسار العولمة وحركات الهجرة: "...ان المدارس الابتدائية التي فحصتها في برلين ونيوكولن (New kolin) هناك فصل كبير في المدارس عالية المخاطر حيث الاطفال الاجانب من خلفيات مهاجرة يعانون في المجمع السكني المحيط بتعليم غير متساوي... هذه المجمعات والاحياء السكنية تؤدي الى الاستحواذ على الطبقة المهيمنة حول كيفية التعامل مع الحياة اليومية تحت ظل ظروف صعبة (ثقافة الفقر)."¹

¹ .UTA MEIER-GRÄWE MIYOKO MOTOZAWA, ANNETTE SCHAD-SEIFERT .Op.cit.p219.

² Ibid.p219 .

¹ Ibid.p 93.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

هنا تكون بؤرة العنف والجريمة والاتجار بالبشر والمخدرات والاعتصاب ، فغالبا ما تركز هذه الجماعات عبر ثقافات فرعية منجزة ومستعجلة لحماية نفسها والتحرك، على ارضية الميدان لتحقيق ادنى رغباتها من خلال المجمعات السكنية الهشة، تاخذ كلمة اسرة منحى مغاير تماما ان البنية الحضرية تعطي اهمية في الفروقات الجندرية هذه الادوار التي غالبا ما تتسع فجوتها. يوضح الجدول ادناه الحالة المهنية والزواج الجزائريين ببعض البعض جدول رقم 08 ، مع الشكل رقم(07):

المجموع	الحالة المهنية/زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة؟		العلاقة بين الحالة المهنية وزواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم لتماسك الاسرة؟
	لا	نعم	
17 27.0%	11 %45.8	06 %15.4	متمدرس-زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة ؟
26 41.3%	07 %29.2	19 %48.7	عامل-زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
18 28.6%	06 %25	12 %30.8	بطل-زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
02 5.1%	0 %0.0	02 %05.1	تكوين مهني-زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة؟
63 100%	24 %100	39 %100	المجموع

معدل القيمة الاحتمالية	معامل الارتباط سبيرمان	الحالة المهنية مع زواج الجزائريين المهاجرين ببعضهم مهم لتماسك الاسرة ؟
0.034	*0.268-	

الوصف:

نلاحظ من خلال الجدول المبين للتكرارات والنسب ما بين الجنسين والاجابات المتنوعة بـ"نعم" او "لا":من خلال الجدول ان الاعلى نسبة مسجلة لدى فئة العاملين بنسبة %48.7 باجابة نعم، ثم تليها نسبة المتمدرسات الاناث بـ%45.8 باجابة لا، ثم تليها اجابة الذكور البطالين بنعم بنسبة %30.8 ثم الاناث

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

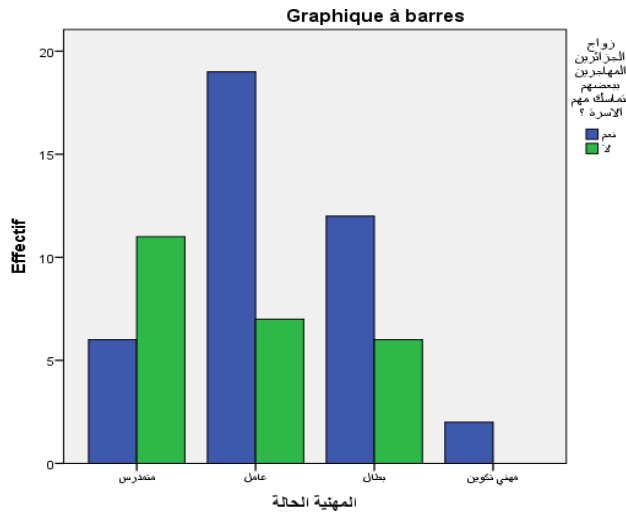
العاملات باجابة لا بنسبة 29.2% وفي نفس الاطار لقيمة لا بنسبة 25% ، ثم نسبة الذكور المتدرسين بخيار اجابة نعم بنسبة 15.4%. وفي ذات الاطار بنسبة 05.1% واخرا الاناث اجابة لا بنسبة 0%

التحليل والتفسير:

تشير اذن القيمة الارتباطية لمعامل سبيرمان المحصل عليه، من خلال هذه الاجابات بقيمة سالبة -0.268^* ومعدل القيمة الاحتمالية 0.034، ما يشير اليه حسب القيمة المعنوية ل 0.05 انها علاقة طردية وارتباط موجب بين الفئة المهنية وخيارزواج الجزائريين ببعضهم

النتيجة:

نرفض الفرض الصفري ونقبل الفرض البديل بموجب العلاقة المحققة لدى مقيا سبيرما بين حد +1 و -1 والقيمة المحصل عليها اقل من القيمة المعنوية 0.05 وقريبة من قيمة -1 بدرجة نجمة واحدة دالة احصائيا على وجود ارتباط عكسي كما هو مبين في المنحنى البياني: الشكل رقم (07) .



خلاصة:

يلعب سوق العمل ونوعية العمل والمهنة دورا اساسيا في ابراز الفجوة الجندرية بين الجنسين، ما زالت النساء المهاجرات في المانيا لا تتوسع ولا تتدرج الى سلالم أعلى في الوظيف، يشغل المهاجرون والمهاجرات اعمال جزئية بدوام جزئي وهذا يزيد من هشاشتهن وابقائهن على ذات درجة التفاوت، كما انه يؤثر على الدور المنزلي لديهن.

تمهيد:

إن جندرة الهجرة لا تعني حصريا النسوية المهاجرة، أو عملية نسونة الهجرة، فالجندر وعلاقته وتصويراته وتشكلاته هي اشملى واوسع بمجال وثقافة الهجرة، النسوية كمقاربة ونظرية للهجرة جزء من منظومة الجندر في الدراسة والنقد والبحث، وذلك لتوضيح الاشرطيات الثقافية وادراك اوجه الصراع والنزاع ما بين المركزية الذكورية المهيمنة ومحاولات التمركز النسوي واضطلاعها في قضايا الهجرة، بمعنى وجب توضيح العلاقة بين الجندر والهجرة والنسوية والاثار المترتبة، بالاضافة الى الافق المفتوح على الترحال او التيه كما دعاه عالم الاجتماع ميشال مافيزولي (MICHEL MAFFESOLI) او بما قدمه الباحث الامركي من جامعة كاليفورنيا، باينت اونوجنو - سوتيلو (PIERRETTE HONDAGNEU-SOTELO) بحثا بخصوص جندرة: "الهجرة ليست نسوية ولا قضايا ربات منزل"¹ بل اكثر من ذلك، -نقصد بالذكورات والانوثات بالجمع والتعدد تلك المحاولات الرمزية خارج الهيمنة الذكورية في التوجيه، فلفظة ذكور بالجمع لا تفي بالغرض، لانها ذات جذر واحد ثقافيا ولغويا، لكن بجمع التفسير أو بالف والتاء، معناه تكسير الانماط الاولى وبروز انماط ذكورية ورجولية وانثوية ونسوية متعددة.

1- الجندر والنسوية

تركز الورقة البحثية على الجنس، الجنسانية والتمايز الجنسي، وتتبع مسار النوع الاجتماعي والهجرة خاصة تلك المجموعات الاثنية من اليهود الروس السالفادوريين والفلبينيين وتحليل تلك العمليات الدينامية خاصة مسألة الترحيل واهم ما قدمت الورقة مشاركة الاخر، هذا الاخر هو الجنس المغاير أو الآخر المختلف عن الثقافتين والديناميات المتولدة عبره: " خلال السبعينيات والثمانينيات شهدت العلوم الاجتماعية التحولات الكبرى للدراسات النسوية وبحوث الهجرة... في التسعينيات ظهرت الدعوة للمساواة النسوية والبحث في علاقات القوة الغير متكافئة بين الرجال والرجال في المجتمع" المواقع والامتيازات المبنية اجتماعية تميل لصالح الرجال"¹.

¹ PIERRETTE HONDAGNEU-SOTELO- Gendering Migration: Not for feminists only and not only in the household

<https://www.researchgate.net/publication/2411689610.03-26-05-2020>.

¹ Loc.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

من خلال ربط موضوع الجندر بالنسوية اكتشفت ان الامر اعرق بحيث الصراع حول مسألة (Androcentric) والتي تمثل الجانب الاجتماعي والثقافي والعلمي والتمييز الجنسي والتي تفرقت فيه النسوية بين النظرية والمقاربة والبحث العلمي النسوي والنضال الحراكي لهن. إن فحص العلاقة علميا وموضوعيا ولكنه ضروري، لفهم العلاقة بين الجنس البيولوجي والجندر الثقافي في ذات الانسان، اشكالا بقدر التمخضات والسياقات الثقافية التي شغلته فخرجت بالموضوعين من حيز الاشتغال العلمي والموضوعي الصحيح الى حيز الانتصارات الايديولوجية، طبعا على حساب الانسان نفسه، ناهيك عن الرؤية الضبابية الغير واضحة بالمهجر حول الجندر والنسوية فتلبسه روح النزاع الايديولوجي اكثر من الاقتراب لجوهر ذات الموضوع، فاردت المساهمة من خلال هذه الدراسة الهجرية لفك ولو جزء بسيط من حجم العقد التي نحن تائهين فيها ومنقسمين بين الرؤية الابستمولوجية والتمركز الذكوري بداخل منتج المعرفة.

ان النوع والعالم حلقة تفاعلية وان الجندر بادواره الذكورية والانثوية هما اساس التكوين العلائقي للحياة اليومية، كما يمكن ان نعتبر هذا اساس الحركة التفاعلية فيما بين، الابنية الاجتماعية ومضامينها المجسدة عبرهما ومن خلالهما، وان الجندر لم يكن في الاساس رؤية شرقية وغربية، ناعمة او خشنة، او حركة نسوية بيضاء مقابل سوداء، انها المرآة التي تبحث عن فهم موقعها الانثوي بالضبط ولا يمكنها ذلك الا من خلال المقابل الذكوري، وهو ذات الامر للذكورة، اذ الاساس علائقي بنيوي وظيفي وسلطوي بالدرجة الاولى، هذه السلطة المركزية المتصارع حولها تحولت عبر سلسلة مترامية ومترابطة في التاريخ الانساني ومتعاقبة بين الاعلى والاسفل والمسيطر والخاضع، المقدس والمدنس، عقلاني وعاطفي، ثابت ومتحول، ملقح ومخصب، اذن ما هي النظرية النسوية؟، وما هي الحركة النضالية النسوية؟ وماذا قدم البحث النسوي عموما؟، ولماذا نذكرها كذات منفصلة عن الذكورة؟، بحيث يكون الذكر دوما موقعا بديها.

الحركة النسوية والنظرية النسوية تأسست من منطق التزامن الجنوسي وتستخدم في ذلك عدة موارد بغيت تحرر من قلاع الابوية والهيمنة الذكورية، اذن ولا بد من التعرّيج على تكوين النوع الاجتماعي-الثقافي، إن الجندر كما عبر كل من لوفين سميث ريدجوي و (LOVIN SMITH

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

(RID GEWAY -) هو: "النوع نسق من الممارسات الاجتماعية وهذا النسق يخلف تباينات النوع، ويحافظ عليها ويعمل على تنظيم علاقات اللامساواة على اساس هذه التباينات"¹. الجندر عملية اكثر مما هو ثابت، وهو مستمر يعاد بنائه عبر النوع البشري، هو تنشيط مستمر في حركة لعب الادوار، هذه الحركة الدينامية تمثلها النساء وتجعل من الذكور اكثر خشية من التحولات التي يبيئها، العلاقة بينهما علاقة: ثابت ومتحول، وما الخشية الذكورية من التحول الذي تشكله الانثى الا تعبير عن اوجه الصراع، المرتكزة على البعد السلطوي، اذا استحوذ فيه الذكور على اكبر قدر من السلطة اصبحوا اكثر ثباتا وتجذرا بشكل افق وعمودي، فبروز الحركة النسوية هو بعد نشط متعدد الاتجاهات تسلط فيه الضوء على الاحتكار السلطوي في اعادة توزيع الادوار الاجتماعية: "يمكننا الآن أن نفهم لماذا توجد سمات مشتركة بين الاتهامات الموجهة للمرأة منذ زمن الاغريق وحتى ايامنا هذه فقد ظل وضعها مع تغيرات سطحية وهو الذي يحدد ما يدعى "طبع" المرأة... يقابلون أحيانا العالم النسائي بالعالم الذكوري ولكن تجب الإشارة مرة اخرى الى ان النساء لم يشكلن ابدا مجتمعا مستقلا..."².

تسعى الفلسفة النسوية دوما للخروج عما صور عنهن من قبل الذكور والاقتراب من امكانيات تشكيل ذواتهن، والحذر من كل ما غرس في اذهانهن على انهن كذلك، وفي الحقيقة كما عبر الفيلسوفين الوجوديين: "يجب التشكيك بكل ما كتبه الرجال حول النساء، لانهم خصم وحكم في الوقت نفسه" جون بول سارتر، كيركغارد: "اي ماساة ان تكون امرأة، مع ذلك فالمأساة الكبرى عندما تكون امرأة هي الا تفهم انها كذلك"³، لم تكن النسوية في الانطلاقة الاولى الى حركة تريد رفع القهر والاضدهاد الممارس عليهن، هي تعبير اجتماعي تزامن وبحوث عدة واوضاع اجتماعية ودولية جعلت من هذه الحركة حاجة في استيعاب الكم الهائل من التحولات.

لقد تزامنت الابحاث الاجتماعية في ذات الوقت مع الجهود الفلسفية المؤسسة للقضية النسوية فنجد عالم الاجتماع الكندي ارفنغ غوفمان يعتني بحثا بالجندر وميشال فوكو تاريخ السلطة والجنسانية وانا اوكلي في بريطانيا الفرق بين الجنس البيولوجي والاجتماعي وجوديث بيترل مشكلة الجندر والدراسات (LGBT) والكوير، ولقد استفادة البحوث الاجتماعية ايضا من

¹ ايمي، أس، وارنون، علم اجتماع النوع، مقدمة في النظرية والبحث، ترجمة هاشمي خميسو، واحمد عبده، المركز القومي للترجمة، الجيزة مصر، ط1، 2014، ص23.

² سيمون دوبوفوار، الجنس الاخر، التجربة الحياتية، ج 2، ترجمة، سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2015، ص385.

³ المرجع نفسه، ص07.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الأطروحات المبكرة للأنثروبولوجيا مثل: " جورج بيتر مردوخ 1900م ومارغريت ميد 1928م وروث بينديكت، وريبت ستولر 1968م.

تداخلت قضية الجندر والجنس والنسوية مبكراً، فمن الصعب ان تكون انطلقت من حيز الصراع والتنافس اذا العلاقة بينهما تواصلية وتبادلية (Relationel)، ان الصراع والتنافس ومحاولة جعل الجندر قضية نسوية هو تطرف نسوي " وجناية نسوية ضد نفسها" كما عبر عصام " جناية النسوية على المرأة والمجتمع"¹، كما ان جعل الجندر قائماً على النزعة المركزية الذكورية المفرطة يحدث خلل بالتوازن العلائقي بينه وبين الانثى ومد حلقات الصراع والتضاد: "في التسعينات اقترحت كل من: جوديث بيتلر وكوسوفسكي وسيدجويك ودونا هاراوي اللائي اصبحن من اشهر اعلام النسوية...فتطرق بتلر الى فكرة مؤداها ان النوع وكل الهويات الجنسية هي مسألة اداء اما سيدجويك فتطرح مجموعة من الاطر الجديدة لتصنيف النوع والطبيعة الجنسية وتتجاوز هارواي مع التطورات التكنولوجية للكائن السيبرنطقي"².

هذه تقريبا اهم المحطات التاريخية للنظرية النسوية، كما ان المؤتمرات الدولية لعبت دورا في انعطافها مثل، مؤتمر القاهرة للسكان 1994م، ومؤتمر بيكين 1995م، التي كانت الوصايا فيه سياسية تمس دور المرأة واعادة النظر في المنظومات الجندرية لدول العالم الثالث، بغية التماشي مع مخطط النظام العالمي الجديد، وضخ دماء جديدة للعجلة الراسمالية، فلم تكن لتعنى بالجانب المحلي للثقافات والمجتمعات، فهمها الكسح لها دون اي مشاورة، تعرض الجنس البشري خلالها والى اليوم الى برامج سياسية وايدولوجية لا تعرف الى منطق الربح والمرابحة. ما يهمننا الهجرة والنسوية ونمط التعالق فيما بينها، فكيف كانت التجربة النسوية المهاجرة؟ وكيف كان عائد فعل الهجرة وثقافة الهجرة النسائية على النسوية؟، فالتقرب من تجربتهن المجنس والمجندة والمعركة امر لا بد منه: " لقد كشفت النسويات الملونات (Feminist of Colors) اوجه التناقض في البحوث النسوية من اشكال القهر، ماريان هيرش وايفلين فوكس بدراسة امتيازات البيض كشكل للنسويات الطبقة الوسطى ومدى عنصريتهن"³.

هناك علاقة وطيدة بين الجنس والاثنية والعرق واللون، فالنسوية السوداء متأخرة من حيث التنظيم وهناك انقسام نسوي/نسوي، وهذا يعني ان اللون والادوار الاجتماعية في الانطلاقة

¹ انظر، البشير عصام المراكشي، جناية النسوية على المرأة والمجتمع، منشورات مركز دلائل، ط1، 2020.

² سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة احمد الشامي، المركز القومي للترجمة، مصر، ط1، 2002، ص94.

³ شاري نابي هيس، بايير باتريشيا لينا ليفي، مدخل الى البحث النسوي، ممارسة وتطبيقا، ترجمة هال كمال، المركز القومي للترجمة، الجزيرة مصر، ط1،

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الأولى للنسوية لم تكن تعنى بالملونات واكتفت بلون واحد، وتحول النضال فيما بعد بين النساء والذكور الى نضال نسوي/نسوي في حراك لم تتضح رؤيته بعد، نظرا لحجم القضايا النضالية المرتبطة بهن بين النقد الماركسي وبين النظرة المأوية، والابقاء على الانثى الخاضعة والتي تهب كليتها للذكر وبين التيار الذي يقوم بقدر كل هذا، وضم أكثر من مضطهد او مغيب واحد وعض الاعتماد على لون وجنس واثنية وعرق واحد ضمننت النسوية المابعد حدائيه كافة هذه الفئات وركزت على عنصر الاضطهاد والتهميش والاقصاء كقيم نضالية.

"ساهمت المرأة السوداء في الخطاب النسائي العالمي، فالمرأة الزنجية تآثرت بلا شك بالفكر الماركسي والاشتراكي الا انها لم تبق اسيرة هذه الانماط الفكرية، فطورت مفاهيمها الخاصة بها فيما يتعلق بقضايا الامومة والارض والحرية... وكان محورها صراع المرأة السوداء ضد سيطرة الرجل الابيض والمرأة البيضاء على السوداء"¹، مازالت المجتمعات العربية لم تحسم امرها من قضية الجندر والنسوية حتى اضيف ملف النسوية الملونة، وهذا تعميم مقصود خاصة على مستوى اقسام البحث العلمي هذا فضلا على دراسة النسوية الملونة المهاجرة في تداخل اثني وعرقي واقلية وندري ونسوي وطبقي: "ان الحركة النسوية صفحتها من اكثر الصفحات التاريخ مجهولية وهذا مع انها توافقت مع حركات تاريخية كبرى اتاحت للنساء التعبير عن انفسهن واحراز بعض الانتصارات"².

هناك نقطة مهمة في علاقة الجندر والنسوية، هو توضيح اهمية الابعاد الثلاثية وهي النسوية كنظرية وكحركة و كبحث علمي نسوي، علاقة بين التنظير والتجربة والنضال الايديولوجي والبحث العلمي، فنقصد بالنظرية النسوية: "تلك الكتابات التي تحاول ان تصف وتشرح وتحلل ظروف حياة النساء ووفقا لشارلوت بينتش فإن النظرية النسوية هي طريقة لرؤية العالم، انها توفر اساس لفهم حياتنا، اما هوكس فيركز على الطريقة التي تنظر بها الى العالم ومن حولنا وداخلنا"³.

لقد ركزت النظرية النسوية على مقارنة نفسها بالرجال لرفض التبعية في الاخير، وحاولت ان ترينا ذاتها وان تعلمنا التوازن والمساواة والتكامل الوجودي، ونقصد بالحركة النسوية النضالية تلك الممارسات الايديولوجية والسياسية لتحرير جميع النساء، الملونات وغير الملونات من

¹ حنفاوي بعلي، مدخل الى نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007، ص115.

² ويندي كي كولمار، فرانسيس بارانكوفسكي، النظرية النسوية، مقتطفات مختارة ترجمة عماد ابراهيم، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2010، ص11.

³ المرجع نفسه، ص20

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الطبقة الكادحة ونساء سويات الجنس وغيرهن، لكنها وقعت في فخ تضخيم الانا النسوي مقابل التمركز الذكوري المفرط، واصبحت هذه الحركة لا ترى نفسها الا من خلال هذا المنظور الصراعى، تقول "بار سميث": "من المؤكد ان تنشأ بهذا الشكل رؤية ثورية نابغة من الارث الماركسي ضد كل اشكال الاضدهاد والتمييز والاقصاء والتهميش وبروز امكانيات متعددة للتمكين من داخل الجسد الانثوي والهيكلي النسوي نفسه"¹.

اعتقد انه من وجهة النظرية النسوية التمييز بين هذه الحدود عملية اجتماعية معقدة، تثبت زخم التجربة المتنوعة والمتداخلة بين جهد التنظير، والعمل النضالي والبحث، علاقة علم وعمل ومعرفة للفكر الانساني وللنوع البشري كوجود.

البحث النسوي متصل بالاساس بالنضال النسوي، فالبحث النسوي يتصدى للبنى الفكرية والاجتماعية والايديولوجيات القائمة على قهر النساء، وتوثيق حيوات النساء وتجاربهن وهمومهن والقاء الضوء على الانماط والتجاوزات القائمة على اساس الجنس، كما إن: "البحث النسوي يعزز تمكين النساء وغيرهن من المجموعات المهمشة وعادة ما تقوم الباحثات النسوية بتطبيق نتائجهن التي توصلت على سبيل تشجيع التغيير الاجتماعي وتحسين العلاقات الاجتماعية للنساء"².

لقد قفز البحث النسوي بعيدا نحو المستوى الابستمولوجي والمعرفي والاكاديمي وغيره الكثير من الصور النمطية، والواقع البحثي للنساء بعدما كان محتشم وعملهن يلقى الاقصاء، انه لمن المهم ان ندرك الدور الحقيقي الذي لعبته النساء في تغيير الرؤية والصور النمطية لهن وللتاريخ وللعلم، فلقد كان البعد الابستمولوجي للبحث النسوي بارزا في تعرية الخطاب الوضعي والمركزية العقلانية: "دعت البير جاجر الى عدم تنقية انفسنا من عواطفنا للتوصل الى شئ من الحقيقة او المعرفة الموضوعية، بل تطالبنا بتوجيه اكبر قدر معين من الانتماء الى مشاعرنا والانصات اليها بقدر اكبر من الاهتمام"³.

فعلا لقد تأثرت العلوم الاجتماعية بهذه النظرة واصبحنا اليوم نشكك ونعيد النظر في البحوث الامبريقية المحككة من قبل علماء الاجتماع الذكور الذين جسدوا خطابا حولها، محككا صوتها

¹ ويندي، كي كولمار، المرجع السابق، ص 20.

² شارلي نابي هيس، بايير باتريشيا لينا ليفي، المرجع السابق، ص 27.

³ المرجع نفسه، ص 27.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

بأعمق الطرق بحجة ان جسدهن او عواطفهن لا تقبل الاتساخ بحرفة الميدان، او ان عقولهن أكثر تعاطفا فلا ثقة في تحاليلهن.

الا انه من حيث الواقع المعاش مازال هناك استغلال وتهميش لهن عبر الجمعنة ورضّ الحشود ضدهن وتغييبهن وعدم الاعتماد الى ما يتوصلن اليه خاصة في مجتمعات تركز على الابوية والذكورية.

ان النسوية عبر الهجرة هي تعبير تحرري نضالي وعملي وعلمي في ذات الوقت، المراد فيه ليس تغير وضعية المرأة وحسب بل تغيير المجتمع وخلخت التصورات الجندرية المركزية. الهجرة النسوية تعبير عن الذات عبر الهجرة، فلم تعد الهجرة فعلا معزولا او تابعا او مقلدا بل يرغب في تسجيل مشاركتهن الثقافية، يخبرننا دوما اننا هنا في عملية المشاركة الثقافية لكن يخضع هذا للمد والجزر او خطوة الى الامام واثنين الى الخلف.

ان العلاقة بين الجندر والنسوية ليست علاقة بين السبب والنتيجة فحسب او بين الشكل والمضمون، كما يجب ان لا نضيع في قضية الاسبقية والاولوية ، ان العلاقة هي المهمة بذاتها عبر السياق الثقافي، فالهجرة هي ظاهرة ضامة لعدة تجارب منها تلك العلاقة النسوية والمنظومة الجندرية يكون كلا الطرفين متأثر بما ينجزه ويختبر الطرف المقابل والتاثير على القيم والمعايير واعادة ترتيب البيت الداخلي دوما، كما ان التحديات ليست على مستوى الهجرة وحسب، بل تاخذ الظاهرة الاجتماعية ترابطا متعدد العوامل ومتشابك، يعنى بمهة البحوث الجندرية والتوجه النسوي المابعد حدائي.

هناك ثلاث مستويات تعنى بها النسوية كما سبق الذكر، النظرية، النضال، والبحث النسوي، كما ان الجندر شغل حيز النقاش بين البيولوجي والثقافي وهنا يمكننا القول ان الجندر شمل الجنسين واكثر كما يغطي كل انواع الاجتماع الانساني وثقافته ما بين الثابت والمتحول المركزي واللامركزي في حركة دينامية.

ان دراسات الجندر والنسوية اليوم امام تحدي عوامل تكنولوجية وسيبرانية، فلسنا نحن فقط من نهاجر العالم ايضا يهاجر الينا فرادى وجماعات ويندفع متسارع، تكون مهمتنا اذن اقرب الى التحليل والتفكيك في متابعة حثيثة للظواهر الاجتماعية المحلية والعبارة المتصلة والمنفصلة، مبرزة سلوكات وتمثلات تزحزحنا بعيدا عن لعبة ذكر وانثى وتنظيم نسوي ضد الذكوري، العالم اليوم يشهد تززع هذه المركزيات، وكانت الهجرة معينها الاول للظهور.

2- التجربة النسوية في المهجر بين التبعية والتفعيل الذاتي

من الجدير الانتباه إلى أن مسمى النسوية لا يعني الانفصال والضدية، بل هو توضيح ضمن فعل الهجرة بالخصوص وثقافة الهجرة بالعموم، لتتقرب من التأثيرات فيما بينهما خلال عقد نية الهجرة والاقامة بالمهجر وحالات العودة ورحالات أخرى ممتدة في سلسلة مسارات الهجرة، هذه الأخيرة التي اعني بها تلك الحالة من الترحال والتنقل الغير متوقف.

ان تجربتهن كمهاجرات مهمة جدا في اكتشاف تلك العلاقة من التبعية او التفعيل الذاتي ما بين تصورهن عن انفسهن وتلك الممارسات في المعيش اليومي وعبر انخراطهن بالتنظيمات والمؤسسات الاجتماعية كالعامل والزواج، فالتجارب المعيشة تكشف تلك العلاقة بين التابع والتحرر، مازالت التجربة النسائية الجزائرية لم تصل بعد الى ذروة المشاركة السياسية، الى ادارة مؤسسات وشركات اقتصادية، اعمالهن ودورهن يقتصر غالبا على المهن والوظائف التي لا تعبر عن الحراك الأولي الذي قمن به.

ان اولى القيود قد كسرت جغرافيا وثقافيا ضد المنطق الابوي الذكوري بالصدمة خاصة كحركات (Haraga) بعرض البحر، ويبقى امامهن تحديين مهمين، الاول مقدرتهن على التعامل مع المنطق الذكوري الجديد ببلاد المهجر، والثاني وقت العودة وهذا يحتاج تنظيم نسوي اكثر ويزور ايضا تجارب ذاتية تسمح لهن بالانخراط الاجتماعي والثقافي للوعي النفسي المشكل عبر المهجر ولعب دور الناقلة الثقافية.

التحديات المشتركة التي تاخذها النسوة على عاتقها غالبا ما تخضع النسوة فيه الى الاستغلال سواء كمهاجرات او هنا بالمجتمع المحلي وادراجهن بنعومة في طاحونة الراسمالية وتسليع اجسادهن وجمالهن وهذا نضال كوني، "...استمرت البنى الاجتماعية والانماط الثقافية للشعب متأثرة بالتطورات في امريكا، هكذا حققت النساء الفيليبينيات مظهر الحرية القانونية والاجتماعية لكنهن في وضع التبعية الذي يميز المجتمعات الراسمالية البطريركية"¹.

لقد كانت الحركة النسوية تعبيراً مندمجا بين التحرر الذاتي والاستقلالية الكونية في نضالهن وافتكاك الاعتراف بذواتهن، وعبرت الباحثة السيرانكية المتخصصة في البحوث النقدية والدراسات السياسية في مؤلفها هذا الى شرح مستوفي للعلاقة بين النسوية وطبيعة مجتمعات ودول العالم الثالث مبرزة: حركة تركيا الفتاة، واصلاح المرأة بمصر والنضال النسوي السياسي

¹ كوماري جايا واردينا، النسوية والقومية في العالم الثالث، ترجمة ضحوك رقية، عبد الله فاضل، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2016، ص 345، 346.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

في ايران ومحاولات افغانستان والاصلاح الاجتماعي والقومي بالهند والتغيرات الحاصلة بسيريلانكا واندونيسيا والفلبين والصين وكوريا واليابان والفيتنام متتبعه محورا تاريخيا مهما منذ نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين: "بعد الحرب العالمية الثانية... لم يكن هناك سوى عدد قليل من المنظمات النسائية غير تلك المكرسة للانعاش الاجتماعي، لم تكن هناك حركة تسعى إلى التشكيك في تبعية النساء... إن الحركات النسوية المولودة من هذه التأثيرات هي الان حركات ناشطة في جميع البلدان الاسيوية... النضال النسوي وتجاربها كما لو ان الوعي النسائي عاد فجأة الى الحياة بعد فترة طويلة من السبات..."¹.

إن الانطلاقة الأولى لم تكن بتلك القوة المزعزعة الا انها كانت مجرد اهتزاز طفيف وخفيف لعرش الذكورة، تشكل هذه الحالة عملية تكرارا في حالة المرأة منفردة اوفي شكلها التنظيمي لدى بلدان حديثة الاستقلال والتي بالرغم من التحولات، إلا أنها مازالت تمارس دور الانعاش الاجتماعي، لذلك من الضروري ان تكون النسوية على درجة عالية من النقد الداخلي والخارجي بغية التقدم اكثر وان نتجنب الحكم على نساء مهاجرات على انهن قد انجزن ما هو مطلوب مازال الوعي النسوي غير كافي لاضاءة الابعاد الاربعة عبر: الهجرة، الذات المجتمع الأولي، المجتمعات المستقبلية، والنظام الراسمالي، الذي يظع قبعة الهيمنة الذكورية على رأسه:

"ان تحليل المجتمعات قبل الراسمالية على يد علماء الانثروبولوجيا وغيرهم من علماء الاجتماع وادّ فهمما للدور الرئيسي الذي لعبته النساء في تلك المجتمعات، اذ اظهرت دراسات كثيرة الدور الاساسي للنساء، لا في اعادة الانتاج الاجتماعي فقط بل وفي مهمة التراكم الراسمالي ذاتها"². من المهم ان تكون الذات النسوية اكثر وعيا لانها تمثل بطبيعتها القوة المحركة لرياح التغيير، واي قصور على مستوى الوعي او التخلف في نقدها قد يجعلها تتكلس ولا تعرف طريقة للنظر بها الى العالم المعاصر والعيش فيه، قد يكون هذا الذكر شخصا، عائلة، مؤسسة، نظام اقتصادي، او سياسي، تلك التبعية التي نجحت كما قلنا في اول خطوة بالهجرة وتسجيل نفسها خارج الهجرة بالتجمع العائلي، الا ان هذه الخطوة قليلة امام تاريخ مليئ بالحيل والكيد الذكوري، تقول "اليزابيث جينوفيز": "ان هيمنة الرجال على النساء تتمثل في لب هيمنة طبقات واعراق ومجموعات اثنية وشعوب معينة، انها تتشابك مع جميع اشكال التبعية... ولا يمكن فهمها بعيدا

¹ كوماري جايا وارينيا، المرجع السابق، ص ص 529، 530.

² المرجع نفسه، 530.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

عنها"، هذا هو التاريخ الذي لم يكتب بعد والذي يجب ان يكتب تقول كومار جايا واردينا (KUMARI JAYAWARDENA)¹.

ان الشكل المادي للحركة النسوية وعدد المهاجرات كما، لا يثبت جودة وجوهر نوعية حياة المرأة فعليا، كما سنرى ذلك من خلال محطات العودة وطلب الاعتراف من الاب او الزوج او تلك المخيلة الانثوية العالقة في برائين الطاعة الذكورية والتي تتخلل حياتهن، ان النسوية ليست بهذا الشكل مضطهدة بالقدر الذي يجب ان تفعل ذاتها عبر فرصة الهجرة وتعي حجم الخطوة كنوع سيعيد ترتيب جندرة فضاء الهجرة ثم سيوزع وينشر ذلك عبر خبراته ومعيشه، بالاختصاص وان التكنولوجيا اليوم تساعد في عملية التسارع النشط، هذا الوعي الذي مازال لم ينضج لعدة اسباب تخص التعليم والوضعية الاجتماعية وفكرة الهجرة ونوعية الشبكة الاجتماعية المنسوجة بالمهجر.

ان النسوية نوع بذاته عبر الهجرة ويشكل دفاعا على النساء ككل تلكم الفرصة التي تذوب فيها الحدود والفوارق لاجل العناية بالذات النسوية، فما الذي يقف امام هذا التفعيل ويجعلها تابعة؟. النسوية فرصة لتعزيز التنوع والابعاد الثقافية والانتقال من مجرد فعل الهجرة الى ثقافة الهجرة، عبر ذاتها التي هي فرصة لجمع الطبقات والاعراق والانثيات والاقليات وجسر عبور لثقافة المجتمع المستقبل وضمه في النوع النسوي. ليست فرصة تضيع هباءا منثورة خلف سراب التبعية الذكورية !.

ان البحث في علاقة جندرة الفضاء الهجروي بالنسوية ايضا مر بثلاث مراحل تاريخية²:

المرحلة الاولى استبعاد المرأة من البحث اي البرامج النسائية (1970-1980) محافظة جنوسية في البحث على المركزية (Androcentric). -وهنا ستحاول النساء الخروج على تقارير الدراسات المسحية الرجالية-

المرحلة الثانية: (1980-1999) تحدد مهمة واهمية موقع المرأة ركزت المشاريع البحثية في الميل الى انتاج نساء فقط صور تجارب هجرية غير فاعلة تتميز بالعديد من الدراسات التاريخية.

المرحلة الثالثة (1999) اعادة اكتشاف النساء المهاجرات منفصلات عن الرجال، تدعم هذه المرحلة الاهتمام بالنساء المهاجرات-ديناميات الهجرة اجتماعيا-".

¹ كوماري المرجع السابق، ص 531.

² PIERRETTE HONDAGNEU-SOTELO. Op.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

في المرحلة الثالثة بدأت النساء تشعرن بنوع من التحرر، ففي الحقيقة انه لمن المبكر الحكم على دور النساء المهاجرات الجزائريات بانهن فاعلات، وهذا ليس من قبيل التحيز المعرفي او البحثي او كون ذكرا، بالعكس هناك تحديات مجهولة لكلا الجنسين ويزداد الامر تعقيدا اذا ربط بعوامل اثنية وعرقية ودينية، فالنسوية هنا نضال مستمر، فالتسلسل الوظيفي مثلا داخل المجتمع الالمانى لم يشهد ذلك التحسن الفعلي لوضعية المرأة إلى اليوم، وما زال الطريق طويل لتقليص الفجوة الجندرية ما بين الذكور والنساء.

إن المجتمع الالمانى والذهني الالمانية للاسر مازالت لم تتخلص كلية من المعيل الذكري ونقش هذا داخل المجتمع الالمانى ما بين 1980م و1990م وهي تقريبا ذات الفترة التي شهدت فيها منطقة تيارت من الجزائر حشود المهاجرين الى المانيا، فبحلول عام 2015: "زادت نسبة عمالة الاناث في المانيا الشرقية على نحو 70% وفي المانيا الغربية هيمن نموذج ربة المنزل ما بين 1970م و1984م وكانت عمالة الاناث لا تتجاوز وقتها قبيل سقوط جدار برلين الا 46.5%".¹

فعلا إن ألمانيا الشرقية متأخرة عن المانيا الغربية إلى يومنا هذا، كما أن هناك تفاوت في الدخل والقوانين المنظمة رغم توحدتهما واثر العامل الاقتصادي والتوجه السياسي الليبرالي على تلك الفجوة الجندرية داخل المنظومة الجندرية، وهذا ما جعل النسوية الالمانية ايضا ترفع تحديا من نوع اخر داخل التنظيمات الاجتماعية ونوعية العمل ودرجة الاجر في تعزيز موقعهن ومكانتهن، نضال اكثر عقلانية تعبر عنه فكرة السوق الاقتصادي والسوق الثقافي العالمي.

ان النساء الجزائريات المهاجرات باروبا لم يتجاوزن الدور التقليدي بالرغم من حصولهن على شهادات عليا او اتمام تكوينهن هناك وحصولهن على ادوار اجتماعية مختلفة وتوفر بيئة وسياق ثقافي مختلف، ارجع في ذلك السبب الى طبيعة التكوين النفسي والاجتماعي الموجود هنا، اذا المرأة الجزائرية اليوم بالرغم من الاصلاحات وترسانة القوانين التنظيمية الا انها معالجة سطحية وغير معمقة يغلب العرف والاجتماع البشري على اي اصلاح كان بالاضافة الى ان النساء مستغلات سياسيا وغير فاعلات في توفير شبكة اجتماعية فاعلة، فالكم الاصلاحى لا يعبر عن النوع، فالجذور الثقافية والاجتماعية على حالها.

¹ UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, ANNETTE SCHAD-SEIFERT. Op. cit. p. 224.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تسعى المهاجرات في البداية الى الاعتماد على مهن ووظائف بدوام جزئي وهذا قد يكسبهن بعض المال لكن يبقيهن تابعات. تقول احدى المبحوثات التي كانت الهجرة مجرد هروب من الفقر: "روحت ندير لافونير لعمرى"¹ اي اجد حلا لحياتي واعادة تاسيها من جديد.

في النسوية والهجرة نراعي ايضا بعد الشمال والجنوب، الشرق والغرب لمعرفة درجة المساواة من عدمها فالتجربة التركية ليست ذاتها البريطاني ودول النروج ليس على مقاس الدولة الاسبانية هناك فروقات سياسية واقتصادية اثرت على التجربة النسوية.

"في ضوء عدم المساواة الاقتصادية والسياسية من الشمال إلى الجنوب ومن الغرب الى الشرق بالاضافة الى تقسي العمل الهرمي في جميع انحاء العالم وفقا للنوع الاجتماعي...إن الهجرة الجديدة من الاناث تقدم ايضا فرصة للهروب من فقر بلدهم الاصلي والعنف المنزلي في كثير من الأحيان"²، هذه الخلفية الثقافية والاجتماعية والاقتصادية هي التي تؤثر على تجربة المهاجرات مبدئيا قبل ادراك تلك الفرصة الممنوحة لهن او التي حظيت بها ذواتهن، تلك الفرصة التي تحولهن من مجرد هاربات او مهمشات ومضطهدات الى راغبات في انشاء ثقافتهم الخاصة بفروعها كمساهمة في السياق العالمي والكوني للحراك الهجروي.

تعد مسألة ارتداء الحجاب للمهاجرات المسلمات من بين القضايا المزدوجة بين التعبير الحر عن اجسادهن وبين اتهامهن بالتخلف او الرجعية واعتقد انه هذا نوع من الالهاء عن دورهن الحقيقي كمهاجرات مسلمات بالاضافة الى الاستغلال السياسي لقضيتهم في ملئ صناديق الاقتراع للاتجاهات اليمينة والشعبوية التي تتغذى التعبئة الايديولوجية.

أعتقد أن هذا تهميش وتبعية مزدوجة تمارسها النسوة ضد انفسهن كما يمارسها الغرياء عليهن، فالمسألة اعمق من اللباس، هذه الابعاد التي تستغل فيها النسوة كثيرا الى اليوم وتتغافل عن قوة العمل ودوره في اعادة هيكلة بنوية لوظيفتهن وادوارهن: "تقسيم العمل القائم على الشراكة في تنفيذ الاعمال المنزلية...كسبت حقيقة اجتماعية واسعة النطاق...فلا يمكن تفسير القصص الخاصة كقضية ناجحة وهذا يعزى الى ثلاث اطراف داخل الفعل اليومي، نساء من خلفيات اجتماعية مختلفة اعراق وطبقات اجتماعية التي تعزز عدم المساواة لسيما في مسار العولمة وحركات الهجرة"³.

¹ المبحوثة: جوهرة يوشي. <https://youtu.be/yH1qQ9E3mto:12/02-2020>

²UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, ANNETTE SCHAD-SEIFERT. Op.cit.p.117.

³Ibid.p.104.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تجربة النساء تبدأ من فعل الهجرة وتشكيلاتها الثقافية مروراً بقوة العمل والمسار الكوني هذه النقاط الجوهرية لنضالهن المغيبة عن نساءنا المهاجرات، لقد كشفت التجربة النسوية الجزائرية الغير منظمة نحو الهجرة وجهاً تلقائياً في التعامل مع الطرق والاحداث، ومن جهة اخرى ان التجارب الذاتية متباينة وهذا راجع لعوامل سوسيو-ثقافية ونفسية.

يمكن القول ان التجربة والوقائع النسوية تكشف على انهن لم يخرجن من دائرة الاضطهاد، بسبب الانطلاق من ثقافة القطيعة والهروب، وهذه اغلب الحالات التي هيمنة في بواكير الانتقال الهجروي، كما في ذات الوقت برزت اتجاهات هجرية شكلت ذوات نسوية مختلفة، تدل على محاولة لفك عقدة الاضطهاد والخروج من صورة سوداوية حول نساء مهاجرات.

في التجربة النسوية لا يمكننا الانفكاك عن: النوع، الطبقة والعرق لا من حيث النظر او التحليل او طريقة التفكير حول الموضوع نفسه او تلك الرؤية من الداخل للنسوة انفسهن بالرغم من المضايقات، و من التحديات لوضعيتهن كانهن، بالرغم من المساومات الاجتماعية حول القيم معايير بطيركية، الا انهن يسعين الا تحقيق النجاح، وتغير صورتهم، الامر المهم هنا التلقائية في التعاطي مع كونهن مهاجرات، لا تميل الجزائريات عموماً الى النسوية المنظمة، عكس السوريين والاردنيين والمصريين المقيمت بالمانيا-اوروبا بل ويستفدون الى اقصى حد من الجو السياسي الديموقراطي باوروبا.

هن يدركن انهن لم يأتين لاعادة نفس الصورة النمطية سواء اناث او كمطلقات او عازيات او متزوجات جئت ليصبحن اكثر رفاه وجودة لحياتهن، هناك تجارب اخرى للنساء الجزائريات ولدن بالخارج يتعرضن الى محاولة للتشويه بانهن غير مسلمات او غير متخلفات او محتشمات.

ايضا النساء الملونات (السود الجزائريين والجزائريات ملف معتم عليه). كونهن افريقيات يكون اللون سيد الموقف، يعتبر اللون تراتبي وهرمي وطبقي، يعتبر دلالة في المتخيل النسوي المغاربي للاواني اخترن ايطاليا انهن بائعات هوى وقوادات جنس، نظرة دونية ووصم يحتاج معالجة مزدوجة في ذهن الاوروبي كما المجتمع الاصلي، شبكات الدعارة استغلت النساء الملونات كثيراً وهذا ملف يتقل كاهلهم، تاتي هذه النظرة ايضا من عمق تجربتنا بالمجتمع الجزائري لما له علاقة بتاريخ العبيد الاشراف، تشويه جعلهن تابعات غير فاعلات على عكس الشقرزات والبيض تكون تحاديتهم اخف، اريد التعبير على ان الانوثة والذكورة لم تعد على تردد وبعد واحد هناك انوثات وذكورات تشكلت عبر ثقافة الهجرة وبالذات بزوغ الثقافة الفرعية ومحاولة فك عزلتها وشيوع تجربتها الذاتية عبر الهجرة.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

بين النسوية والجنسانية ابعاد وحدود تشكلها تجارب الفاعلين من مختلف الثقافات وتوسع من احتمالات التعدد المجتمعي، فليست كل النساء غيريات الجنس في بناء علاقة الزواج وليست كلهن مثليات الجنس والذكور كذلك، كما ان المواقف اليومية المسجلة من التمييز العنصري تجاه المثلية الذكورية تكون على مستوى الذكر والانثى او تكون مواقف الاثنين تجاه المثلية الانثوية سلبية ومعنفة، بالرغم من ان اسباب الهجرة اليوم تتحرك نحو هجرة التحول الجنسي والتحول الجندري وهذا سبب الهجرة، كما ان المجتمعات الاوروبية وعلى راسها هولندا تعتبر التمييز هذا جريمة يعاقب عليها القانون، فما هو موقف الغيريين من المثليين؟، بالاخص حين ادرج مشاهدة المثليين في لقاء الحصول على الجنسية في محاولة تعرف المجتمع المدني والسياسي على المواقف الحقيقية للمهاجرين المسلمين تجاه المشاهد المثلية في الشارع.

الامر اعقد من الاندماج واقرب الى استوعاب الحركة الثقافية للمجتمعات، بالاضافة الى ان هذا المثال يطرح انشغالا جنوسيا كما يطرح التعتن العلماني في فرض منطق المجنس تجاه فئات لا ترضى بهذه المشاهد مما يزيد من حدة انقسام الصفوف المؤنثة والمذكورة اكثر.

النسوية (Feministe) ليست هي المرآوية (Womanist) فان ما تقدمه المرأة عبر الهجرة في نظري جد مهم من جهتين: اولاً ان دراسات الهجرة ليست دراسات لفئات مهمشة ابداً، وهذه الصورة نمطية يجب ان تعالج -المعانة الازدواجية-، اي هنا وهناك، وثانياً: ان النساء ليسوا موضوع علم الضحية كما اكدت ذلك العالمة النسوية "ليندا مارتن": "ان غالبية النشطاء النسويين ينحصر تركيزهم على الطبقات العليا من النساء العاملات حيث تقام كمية هائلة من البحوث والدراسات المتعلقة بالعمل والجنس واتجاه الشركات العالمية... وصراع العمالة المهاجرة... ان الحركة العمالية ومساهمة شريحة كبيرة منها في توضيح دور كل من الجنس والعرق والهجرة في خلق ما يعرف اليوم باسم فئة الطبقة الاجتماعية المتوارثة (Ascriptive class segment)"¹.

ان زخم الحياة والتجربة المعيشة للنساء عموماً والنساء الجزائريات المهاجرات هن عرضة لاقترب اكثر من سيطرة سردية معينة هذه السردية (Narratives) تحاول دوماً النج بهن في منظور قابل للقيادة والسيطرة وتوجههنُ إما إلى حلقة المرآوية (Womanist) كانتى وربة بيت وخضوع في علاقة ذكورية مهيمنة ومختزلة لحقوقهن الجنوسية،الجنسانية وفي الاخير حرمانهن

¹ ليندا مارتن ألكون: النسوية واليسار ترجمة ضحى الهويل، www.elhikmah.org تاريخ النشر: 2020/20.09، تاريخ الزيارة: 2020-12-21.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

من التعبير والاداء الذاتي وهذا ملاحظ عبر فلوغات¹ (Vlogs) المهاجرات، فإن رغبين في التحرر ورؤية معالم ديمقراطية تستحوذ عليهن الارادات الذكورية بكليشيات معينة²، وليس فقط من الذكور حتى بين الاناث انفسهن³، تشير عالمة الاجتماع "جون وولش سكوت" في مقال لها عن التجربة النسوية 1998م:

"يؤسس هذا المشهد وهو يقف حقيقة في وجه التصورات السائدة عن المثلية الجنسية في الخمسينيات باعتبارهم شواذ معزولين ذواتا (subject) انحرفت عن المسار السليم تعطي ادراكا للاجساد المحتشدة كما ونوعا الاحساس بالقوة السياسية"⁴.

الأمر المهم هنا هي الكيفية التي تتحول بها الجنسية او الميول الجنسية والعلاقات الحميمية الى علاقات منمطة، هذه ليست دعوى صريحة او مبطنة للتحل الثقافي والخلقي ابدا كما يشاع بمجرد الاقتراب من هذه الدائرة البحثية الحساسة، ما اريد التعبير عنه هو لحظة الاقتلاع الاولى من المنظومة الجندرية واثر هذه الممارسات على هذه المنظومة من خلال مرايا تعكس هنا وهناك حالات التغير بالرغم من الخوف والقلق المختزن، الاجساد المحتشدة من وهناك تجعله اقرب الى حياة الغيتو في احيائهم وقربين من التستر والسرية لكن هذا لم يدم طويلا هناك حركة من الثقافة الفرعية تتشكل في فرنسا والمانيا وايطاليا وتركيا، منطلق الحشود لا يمكنه اخفاء مبادرات التفرد والعمل الانفرادي عبر المهجر، "انه تحطيم للصمت في المجال العام حول قضايا الممارسة الجنسية حتى يكشف عن شئ ظل قيد القمع...توثيق جهود تلك المؤسسات بكل تنوعها وتعددتها والكتابة عن ما بقي مخبأ ومتوارثا ومن ثم ادخاله الى التاريخ"⁵.

ان هذا النص يقتررب كثيرا من اطروحة "ميشال فوكو" في تحليل الانظمة الجنسية ومزجه بالتاريخ والسياسة والجسد ذاته، - ومافرزته دراسات غوفمان في المصح العقلي توضح اهمية الاساليب الاجتماعية-، وسبل المؤسسة العلائقية المجنسة، هذا راجع الى اداة القمع والسيطرة بالمسمى الذكوري وصفته، كل هذا يجعل من التجربة النسوية اليوم تبرز ردة فعل تعنى بالذات self، أكثر من اهتمامهن بالانا الجمعي في الاخير، يتجهن نحو هذا الاسلوب البسيط

¹ قناة شهيناز المدعوة كارولين، ومونيا هيلالي.

² الملحق حول كارولين (ص470) وملحق بلاصتي في داري ص(466/464).

³ كارولين مع صديقتها مونيا هلال المهاجرة(مونيا من الجزائر العاصمة وكارولين من تيارت بالسويد) <https://youtu.be/RifueR5Zy64>

⁴ جون سكوت، التجربة النسوية من كتاب هدى الصده، النسوية والدراسات التاريخية، ترجمة عيبر عباس، مؤسسة المرأة والذاكرة، مصر، 2015، ص

131.

⁵ المرجع نفسه، ص131..

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

من الحياة يكون اقل مقاومة وحدة مما كان عليه، التجربة الذاتية التي تركز اكثر على تصوير الحياة اليومية، النجاح المادي، والعائقي وتوسيع شبكات العلاقات شرقا وغربا لم تعد الجزائريات مهتمات بعلاقات فقط جزائرية وسعت العلاقات عبر التواصل الاجتماعي ضمنهن الى شبكات اجتماعية تحتضن فكرهن واسلوبهن في الحياة مع العرب وغير العرب:

" قد وفرت تلك التسجيلات مثل مذكرات ديلاي الشواهد على وجود عالم من القيم والممارسات البديلة يكذب وجودها الصور المهيمنة التي تم انشاؤها للعالم الاجتماعي، سواء كانت هذه الانشاءات (Constructions) تمجد التفوق السياسي للرجل الابيض او تماسك النفس ووحدتها او العلاقة الطبيعية الوحيدة لا بد ان تكون من طرف واحد من الجنس الاخر (Hetrosexual monogamy) او حتمية التقدم العلمي والتنمية الاقتصادية"¹.

تبقى مسألة المعيارية حساسا جدا اتجاه الاختلاف والتنوع غير منتبهين للفرق بين المعيارية واللامعيارية، هنا فارق كبير جدا المعيارية تنظيم مماسس وممنهج ويعتمد على سياسة الحشود، التنوع والاختلاف القيمي والمعياري امكانية وجوده والعيش في مساحته لكن لا هدف لذلك بالمعيارية واللامعيارية اما اللامعيارية نفس راديكالي وعنيف وهو ايضا رد فعل في حلقة صراع الاقطاب.

ما نلاحظه من خلال الهجرة النسوية الجزائرية انها تجربة انشاء وقائع ذاتية اكثر من انخراطهن في تنظيمات وهيكل نسوية، انها ذوات تقوم بالترحال والعبور الثقافي ليست دلالة على التمزق الهوياتي والجسماني والتذبذب الجندري بل توازن ومرونة، تفتح الان احتمالات جديدة كانت اولها احداث القطيعة ولو جغرافيا مع كمية التشريطات الثقافية والاجتماعية الاولى، "... دقيقة واسند مطالبه الى السلطة المرجعية (Authority) والتي، التجربة المباشرة للاخرين بات توثيق تجارب الاخرين بهذه الطريقة الاستراتيجية ناجحة بصورة كبيرة ومحددة في ان واحد بالنسبة الى مؤرخي الاختلاف (Historians of difference) وكان سبب نجاحها انها بقيت تعمل وفقا لقواعد تسمع بالتشكيك في السرديات (Narratives)"².

فهلا اعتنينا بتاريخ الاختلاف والتنوع وابتعدنا عن تواريخ الانشقاق؟، المسألة المهمة من خلال التجربة النسوية للهجرة، ليس لكونهن هاجرن، وان الهجرة حكرا على الذكور بل لكونهن يكتسبن قوة الاقتلاع وقوة الغرس، قوة التقبل والاصلاح والتغير هذا هو مكنها، اعتقد ان لفظ التمكين

¹ جون سكوت، المرجع السابق ، ص 132.

² المرجع نفسه ، ص 133.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ينبني على قوة سردية تاريخية للاضطهادهن كما ان التجربة مساحة نفسية واجتماعية وسياسية واقتصادية تجعلنا نراها على حقيقتنا، لكن النساء لسن على هذا القدر الواعي فقد يهرعن الى تكرار اخطاء الماضي والمضي نحو شعارات لها علاقة بالتجربة في عوالم اجتماعية مهاجرة:

" تحدد هذه الدراسات موقع المقاومة (Resistance) بوصفها خارج الانشاء الخطابى لها (Discursive) كما تقوم بنشئ (To Reify) مفهوم الفاعلية البشرية على اساس انها من الخصائص المتصلة في الافراد، وبالتالي تنزعها من سياقها، حيث تعامل التجربة بوصفها منشا المعرفة فإن الرؤية الذات تصبح قاعدة متينة من الشواهد التي بني عليها التفسير... بصياغة اخرى تقوم الادلة القائمة على التجربة باعادة انتاج الانساق الايديولوجية..."¹

ان الهجرة تجربة تسعى الى تعرية الخطابات المهيمنة تلك السرديات الذكورية التي تحاول اخفاء التنوع والاختلاف في كل منعطف هجروي، فالمهم هنا ليس اعادة الانتاج لنفس الادوار والوظائف، بل بالعكس انه صمت النساء الذي يعزو تلك الصور النمطية وهيمنتها والابقاء عليها بدون قوة التأثير: " او ما يدعى بالعارفة التاريخية (Historically contingent) اي التي لا تحدث من منطلق الضرورة المنطقية ايا كان، من الممكن ان تسير تاريخيا على نحو اخر وبالتالي لا تصلح للتعميم"².

من خلال التجربة للمعيش اليومي تكشف ان النساء المهاجرات يسعين بوعي او بدون وعي الى احداث تغيرات مباشرة وغير مباشرة على مستوى الابنية الثقافية محتكرين ثلثية النوع والتنوع والاختلاف، جاعلين تلك الهرمية والمركزية على الاقل قيد الشك، "إن التراتبية والانشقاق قد بدأ...، فان النسخ تستطيع دائما عن تبتعد عن النموذج وان تخون الجوهر اكثر وان تتزلق نحو المسخ، وان هذا سيكون مهما، مهما كانت التحديدات بيولوجية او ثقافية او اخلاقية... انهم يجعلون الوحدة المثالية للنوع الانساني مسلمة ويدخلون هذا النوع في الوقت ذاته في اختلاف مع هذه الوحدة"³.

بهذا العنصر نبتعد عن لحظتي جمود تجاه المرأة، تلك اللحظة الاولى المركزية الذكورية وتوابعها، واللحظة الثانية النسوية ذاتها في استعارة قوالب فهم المرأة خارج نسقها، هاتين اللحظتين تنسياننا دوما، انها ومنظومة الجندر تتحرك في سياقات ثقافية مختلفة ومتنوعة

¹ جون سكوت، المرجع السابق، ص ص، 133، 134.

² المرجع نفسه، ص 134.

³ سيلفيان اغاسانسكي، نقد المركزية حدث الاخر، ترجمة منذر عياش، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، د.ط، 2014، ص 141.

تنتظر فقط لحظة تكثفها للتجسد بذواتها العابرة، حركات وضربات متسارعة من التحول الجذري للمنظومة.

3- ذكورات وأنوثات زحزحات ثقافية وتقاطعات متفرعة

إن ما نعتبره على وجه البداهة لا يبدو كذلك وأن الحاجة الى النقد الاجتماعي والثقافي هو الحرفة المميزة للسوسيولوجيا والانثروبولوجيا اليوم، فلا شئ يبدو كما يظهر، فالدراسات الهجروية ذات الاتجاه الخطي في تحيزها المعرفي والمنهجي والنظري، تركز على مهاجر بعينه ذكر او انثى، هنا او هناك، مقيم او غير مقيم، مستقر او رحالة، كل هذا لا يسعف علاقة الجندر والهجرة وزخم التنوع ابداء، صف الى هذا ن المهم العلاقة اكثر من اركانها الممثلة تلك الارتباطات العلاقية هي التي تؤثر على الاركان الممثلة لها، العلاقة محل النقاش والتحليل، محل الدينامية التحولية، محل الثقافة والاجتماع، تقريبا ناخذ كلية الابعاد والعوامل المرتبطة فيما بينها دون عزل او اقصاء قد لا يزيدنا الا تعقيد وضياح.

ان الحوادث الاخيرة والتحويلات الاجتماعية المعاصرة والثقافة العولمية وتقاطع العوامل وتشابك الانواع توحى باتساع دائرة الاختلاف، كما ان الاساليب والكيفيات تذكرنا دوما بامكانيات مفتوحة الاحتمالات بان لا يبقى شكل العلاقة الجندرية ذكر انثى كما هو.

نشهد اليوم تمردا ذكوريا على المركزية الذكورية، واصبحت الدراسات الرجالية المعاصرة تعنى بالرؤية الجليلة ليس للذكر بل ذكورات وازمة رجولة وصراع قيمي ومعيارى داخل المركزية نفسها، ذات الامر كما شهدنا لدى الاناث هنا مشاهد الانوثات، وهذه ليست معزولة او مسلوبة التأثير او ان اختلاف لا يرقى للتنوع بالعكس هناك شقوق عميقة جدا تعبر ان المركزية الاولى لا تحقق اشباعا نفسيا ولا امانا اجتماعيا ولا ضمانة اقتصادية ولا حتى حصانة سياسية سلطوية في الحياة.

إن التحول الجندري (Trans Gender) ارتبط كثيرا بالهجرة وليس كل بحث هو جاد في ادراك هذه الحالات، هناك خوف وتعتيم وتحاشي لهم و شكّل للباحثين قلقا معرفيا ومنعكسا سلبيا في إدراك عمليات الانتظام الجندري ككل.

يلجأ بعض الراغبين او المرشحين في الهجرة الى الاختيار بين اللجوء الكنسي او اللجوء الجنسي¹ خاصة الراغبين بالرحيل الى كندا وفرنسا هو تخطيط شذني ملها لافكر هل هم فعلا

¹ المبحوث(17):فرندة/تيارت العمر 48. متقاعد جيش مرشح للهجرة.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يعلنون انتماء ما ام انهم يتلاعبون لحظيا بهوياتهم التي لا تسمح لهم بالانتقال الى الضفة الاخرى؟ كان الجواب يشمل كل هذا، و غرابة في المساومة الذكورية لذاتها والتفاوض حول هويتها سواء فعليا او مجرد مخطط للهروب لحظي. تقول "فرانسواز ايرتيريه": "إن أول ما لفت انتباهي هو غياب دراسة منهجية منتظمة عن الرجولة بمعناها الحقيقي، فكان الرجل هو المرجع النهائي حتى انه غير مجدي الحديث عنه، لا نتحدث مباشرة عن الرجل، عن مرحلة النضج النشطة لذلك يمارس المهام والمسؤوليات والسلطة في ظل النظم التي تحدثنا عنها... عمر الرجل هو الثقب الاسود والمرجع النهائي، فهل نتساءل عن سر هذا الطمس الغريب"¹.

اذا كان للمرأة لغز وجب فهمه فان للرجل غطاء وجب كشفه، وهذا ما يجعل اي خطاب شرعي محل شك لان احتكار السلطة والحفاظ على المركزية هو منشا الصراع والتستر على توجيه الضوء بالسؤال والبحث عن هذا الصنم الذكوري، هذا القابل للتفتت والاهتراء لحظة المغادرة والترحال والانخراط بعوالم ثقافية واجتماعية اخرى.

ان الصمت يجري حول الذكور المهاجرين وتتشقق الاعين وتنتفح حول النسوة كثيرا، هذا حس جمعي مجندر ومتحيز، لاننا لم نستوعب بعد انها عملية للنوع البشري ككل وان العلاقة بينهما مهمة جدا في تصحيح منظور علائقي وعملي: "لعلنا بالنظر نظرة اكثر امعانا الى ممارسات مؤسسات الهيمنة الذكورية وخطابها نستطيع اقل تقدير ان نكتشف من هذه الطريقة وسيلة للجدال بقوة بان الهوية الذكورية/الرجولة هوية متعددة دائما وان تعدديتها تبدي صورها من خلال التفاعل مع صيغها الاكثر جوهرية وهيمنة"².

ان الصمت والجوهرية والهيمنة والمركزية والبداهة حول الذكورة هم مجموع حصون المركزية الذكورية في شكلها البسيط والمفرط وذلك عبر سلسلة من الطقسة والتصلب، الا اننا في الوقت الحالي انتهجت الدراسات الجندرية المتخصصة اسلوبا اكثر تفكيكا وتحليليا وطرح الاسئلة والتشكيك في المنجز الذكوري: "يقول آر دويليه كونيل (R.W.CONNELL) ان الجندر اسفر عن تقارير حول تنوع الهويات الذكورية بوصفها علاقات اجتماعية منظمة ومتواشجة، تواشجا عميقا مع تاريخ المؤسسات والبنى الاقتصادية، ...، يلفت الانتباه الى علاقات القوة اللامتكافئة بين الرجال واحيانا بين الرجال في سياق ثقافي مؤسسي واحد"³.

¹ فرانسواز ايرتيريه، المرجع السابق، ص 275.

² مي غضوب، المرجع السابق، ص 110.

³ المرجع نفسه، ص 91.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

لعل هذا سر التخوف من مصطلح الجندر وحساسيته، لانه يكشف الستار عن حجم الاختلاف والتنوع والتفاوت في الحيز الذكوري نفسه مبرزاً تلك الصور النمطية في المخيلة الجمعية التي تخفي منطق المخالفة، فهل الذكورة المفرطة اقتنعت انها تريد العيش لذاتها والتخلي عن اسباب تعاستها في إرضاء ومغازلة مركزية متخيلة؟.

تشير الباحثة "عزة بيضون" الى العلاقة بين المركزية الذكورية المهيمنة/او ذكوريات بلا مركزية وفي الحقيقة هو تفعيل لما ارادت الدراسات الانثروبولوجية والسوسيولوجية التوجه اليه منذ البداية: "يرى ايستهبوب (EASTHOPE) ان الذكورة في ازمة... ما عاد بمقدور هذه الذكورة ان تكون غير منظورة (Invisible)...، وبأن مجرد الكلام عنها يشكل تهديداً للاسطورة المحيطة بها، وان اختار بعضهم ان لا يخضع لسطوة هذه الاسطورة المبنوثة في التعبيرات الثقافية، لا يسعهم العيش خارجها تماماً بسبب هيمنتها الشاملة وانتشار تأثيرها"¹.

يشير هذا الى نقطتين مهمتين: الأولى ان الرجال لا يستطيعون العيش خارج الهيمنة الذكورية وان أبدوا استيائهم منها، والثانية انهم لا يشعرون بالاشباع فيولد شعور الامتعاض والبحث عن متنفس خارج الهيمنة المفرطة، هذا واقع يعبر عن تصدع وازمة داخل المركزية الذكورية، ليس هذا وحسب تساعد هذه التحركات والانشقاقات على بروز ادوار ذكورية لا علاقة لها بالهيمنة بقدرة تفاهمها اكثر بينها وبين الانثوية مبرزين بذلك ابعاد ذكورية خارج المركز، تكون الهجرة عاملاً مساعداً ودعم لبروز هذه الاشكال لتعود النتيجة في الاخير بشكل ايجابي على مروونة المنظومة الجندرية لتساعد افرادها على الانتظام وليس مجرد قبول الانتظام اي بروز المساهمات الفردية والخاصة لا محالة في الاخير.

تحاول ايضا الهيمنة الذكورية لعب دور التعقيم على تلك الاشكال وجعلهم غير مرتين كما عبر "ايستهبوب"، وهذا له علاقة بكف استقطاب النسوة لهؤلاء، هو ليس نوع من التهديد بقدر احكام القبضة على المنظومة الجندرية المتمركزة حوله.

تشير ازمة الذكورة الى فكرة مهمة ان لعب دور الذكورة والانوثة المنمذجين ليسا سوى افتراض يمكن التلاعب به وهذا ما يزحزح الذكورة من مكانها، لذلك تشدد على الطقسنة والتشريط والترسيمات من اللغة الى السلوك ومن الجماعة الى الثقافة، فعبر المهجر تتسارع الوتيرة ويزداد الضغط بفعل الكثافة الحضرية والتدفق الثقافي العالمي وشيوع التجربة الحرة الذاتية وتقهر

¹ عزة بيضون شرارة، الرجولة وتغير احوال النساء، دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي، بيروت لبنان، ط1، 2007، ص30.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

النموذجية كنمط للعيش: "إن أزمة الذكورة تتمثل بانهايار بعض اهم قوائمها بمكانة المعيل الحصري، مثلا لم يقابلها تقدم فعلي في دور الشريك الاسري الذي فرضه، تبدل مكانة النساء وادوارهن والفخ الذي يجد الرجل المعاصر نفسه فيه، يتمثل بكونه غير مهياً لخسارة مكانته وادواره التي منحه اياها تماهيه مع الذكورة الابوية، وهو لا يملك في الوقت نفسه الدافعية لتبني الادوار الجديدة التي نجمت عن شراكة جديدة مع النساء"¹.

يركز "هوركس" على أمر بالغ الاهمية ان الذكورة بحد ذاتها تعطب الرجال ولا تعود صالحة لهم في مقابل مواجهة مصيرهم او مصالحتهم التي قد لا تؤمنها الذكورة سواء على الصعيد النفسي او الاجتماعي وهذا يظهر من خلال الحياة اليومية او المعيش اليومي بالمهجر يضطرون الى التبدل او التخفيف وتأمين وجودهم وتحقيق رغباتهم التواصلية، كما يشير "هوركس" الى الازمة داخل النظام الابوي نفسه وليس من الخارج: "ان بذور الازمة في المراحل الاولى من اختلال التنظيم الذي انتاب المجتمعات الصناعية والذكورة التي كانت ثابتة وملموسة بدأت تتعرض للاهتزاز"²، فيمكن القول أن أزمة المركزية الذكورية المهيمنة راجع الى هؤلاء المنتسبين اليها الذين يبديون في اول فرصة مللهم او تدمرهم منها كونها اصبحت اكثر قسوة عليهم فيتحولون مناضلين ضدها مثلما حدث داخل النسوية اي ابتعدوا عن المطابقة واصبحوا اكثر اختلافا: "فالذكورة المناضلة هي تعنيف وتدمير لها وحين يكره الذكور النساء فانهم يكرهون ذواتهم"³.

تمر الذكورة والرجولة اليوم بتحولات جذرية وذلك نظرا لانها لم تعد توفر ذلك الامان والاستقرار الكفيل للرجل، والمنظومة الجندرية في مهمتها لبناء الفحولة والرجولة عبر العمليات الطقوسية وموارده الثقافية ومؤسساتها الاجتماعية، فلم تعد بذات القوة والتاثير اذ يبدو ان الدفع بعجلة السير نحو النموذج الاولي اصبح ضربا من المستحيل يقول دانيال ويلزر (DANIEL WELZER LANG): "كان تعلم الرجولة والفحولة لفترة طويلة نتاجا لمجموعة خاصة اليوم وعلى الرغم من بعض التراجعات، الرجولة تفقد السيطرة الذكورية شيئا من قوتها وتبقي نماذج هوياتية جديدة تنتظر التعريف"⁴.

¹ عزة بيضون، المرجع السابق، ص 31.

² المرجع نفسه، ص 31.

³ المرجع نفسه، ص 35.

⁴ دانيال ولزر لانغ، بناء الذكر، حوار اجرته مارتين فورنييه، من كتاب الفرد والجماعة والهوية، لمؤلفته كاترين هالبيرل واخرون، مرجع سابق، ص 101.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الذكورات المشتتة اليوم خارج المركزية الاولى تسعى الى التسوع في العلاقات وتحقيق حياة افضل وذات جودة والسماح بالذاتية اكثر في التعبير كما انها تريد نسج علاقات مع الاناث اكثر سلاسة وتفاهم وتطمح إلى الانفتاح اكثر، فلسفتها الذات واسلوب حياة خاص. ف: " الايعاز بالفحولة هو ايضا مولد للمعاناة لدى الرجال، اضطر الرجال طيلة قرون الى اخفاء احساسهم وعدم الشكوى"¹.

السبب النفسي مهم وله علاقة بالوضعية العاطفية المكبوتة لدى الذكور والتي كبدهم خسائر جمة اولها الاحتراق من كثرة الضغوط كما ان البنى الاقتصادية البطريركية لمجتمعهم لم تعد بذات الاستقطاب مع شيوع الفرد عوض الجماعة وبالإضافة الى السيولة التكنولوجية التي وفرت تجارب اوسع ومتداخلة ثقافيا: " مع اندثار نموذج الفحل اظن اننا سنشهد تكاثر نماذج...نحن اليوم بصدد عملية تعدد للنماذج وجعلها مستقلة او ذاتية تعبر الزايبيث(ELIZABETH BADENTER) في كتابها(XY.de l'identité masculine) عن مخاوفها من تصاعد نموذج الخنثى(Androgyne) اعتقد ان العكس هو الذي سيحصل عندما يتلاشى نموذج الفحل وتتطاير اجزائه في الهواء سيتدرك المجال المكان لنماذج ذكورية وانثوية متعددة"².

السؤال المهم من اكثر عرضة للتهديد هل الذكر ام الانثى ام المنظومة الجندرية ككل؟ هذه الضربات المتكررة والتي زعزعت بنیان الفحولة والرجولة وهزت اركان الذكورة والابوية، اعتقد انها ستعمق اكثر في اعادة بث موجات متكررة من التغيرات تمس ادوار الجندرية ووظيفتها وتغير وجه المعايير والنظم والقيم الحاكمة لها بالاخص وان هذه القيم والمعايير لم تعد بتلك القوة التنظيمية المغلقة بل اكتسحتها عوامل خارجية ايضا اكثر كربولية(مختلطة)، يرى كوكين ان ازمة الذكورة مرت بعدة عوامل جعلتها تبرز الى السطح:

" أولا: تداعيات العولمة الاقتصادية وتأثيرها المباشر على الانظمة المحلية والهيكلية، ثانيا خرق المجال الاسري، هذا المجال الذي خص الرجل الذي يمارس فيه سلطته المطلقة...بتقدم المرأة في التعليم وتزايد ظاهرة تقاسمها والرجل العبء لاعالتهم يسلب هذا الاخير حصرية وظيفية الاعانة هذه فحسب ثالثا: الصعود الانساني وتأثيره على الرجولة رابعا مع هجرة الرجال..."³.

¹ دانيل ولزر لانغ ، المرجع السابق ، ص102.

² المرجع نفسه، ص106.

³ عزة بيضون، المرجع نفسه، ص ص 44،45.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

هذه العوامل الأربعة مهمة في فهم وكشف اسباب الازمة الذكورية من الاسباب التفاعلية والاقتصادية والعولمية وتكشف حقيقة الاساليب المتنوعة تتنوع الثقافات ذاتها والنوع الانساني، فقد لعبت الهجرة دورا في ذلك وعبر الحروب ايضا واستغلت طاقتهم الذكورية ونقلت الكثير من الثقافات خارج اناسها المعهودة وابرز عامل الخروج للعمل وطبيعة الاجور ذلك الخل على مستوى الاسرة فاصبحت العلاقة محكومة بمنطقيين انثوي وذكوري عوض منطق ذكوري لوحده وكذا بروز سياقات جديدة بسبب العولمة كل هذه العوامل العلائقية والمحلية والاقتصادية والعولمية اثرت على مستوى البنية الاولى للفحولة والرجولة.

" يرى وايتهيد ان التنوع الحالي في تعبيرات الرجولة الجديدة... والنماذج المتناثرة للرجال العاديين، الرجل الداعم للنسوية، او المنتسب للحركة الرجالية المناهضة للنسوية او الشيخ المسلم او رب المنزل او الملحد الخ... كل واحد من هؤلاء هو حقيقي في السياق الثقافي الذي يعيش فيه، لكن احدا من هؤلاء لا يسعه التقاط جوهر الذكورة المعاصرة على نحو مجرد"¹.

ان العالم الاجتماعي اليوم ككل يسير على خطى السياقات وليس النماذج الاولية، حسب السياق وتضافر قوى الاجتماع تتشكل تلك العلاقات وتسير من سياق الى آخر بشكل مرن، وهذا مهم في ادراك حجم التنوع والاختلاف الحاصل، في السياق لا تبرز تلك العلامة الكلية المهيمنة والمركزية في السياق ليس كل شيء فوضوي بل هو حركة متداخلة ومتضافرة العوامل والاسباب لتشكيلها، السياق هو وفرة للتنوع الثقافي، ان فكرة النموذج الفحل هي ذات اسطورة الحتمية البيولوجية للجنس البشري، انها تتهاوى في خطاب اللامركزيات:

" ان مفهوم الذكورة المتداولة قد صنع على مثال الرجل والعرق الابيض من الطبقة الوسطى، فيما تاخذ الذكورة لدى الرجال من العرق الاسود ومن المثليين او من الطبقات الدنيا معاني وتضمينات مختلفة، ما يجعل الكلام عن الذكورة بصيغة المفرد غير دقيق وغير ملائم للواقع"².
تبين الجداول الاحصائية التغيرات على مستوى تصور الرجولة والمرأة المهاجرة:

¹ عزة بيضون، المرجع السابق، ص51.

² المرجع نفسه، ص49.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الجدول رقم (09):الراي حول المرأة المهاجرة:

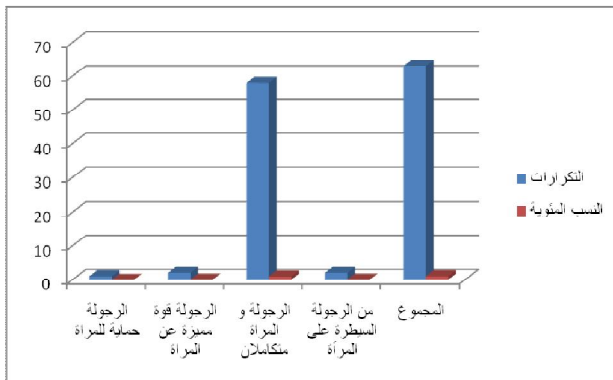
المتغيرات او الفقرات	التكرارات	النسب المئوية
تهاجر مع احد افراد عائلتها	21	33,3%
عيب مكانها في البيت	2	3,2%
لا نجاح للمرأة في الهجرة	4	6,3%
من حقها ان تهاجر	36	57,1%
المجموع	63	100,0%

يوضح الجدول والرسم البياني ان موقف المهاجرين من الجنسين تجاه المرأة المهاجرة كان ايجابيا حيث سجلت النسبة الاعلى بقيمة 57.1%، اي المهاجرون يكونون رايا ايجابيا تجاه المرأة المهاجرة بقيمة اعلى من النصف. مقارنة مع الموقف المهار بشرط ان تكون رفقة افراد العائلة وبسبب ضئيلة عن تلك النظرة القديمة تجاه المرأة المهاجرة. هو موقف يعبر عن الاشارات الجندرية وانعكساتها الموقفية والتعبير ان اتجاه الراي الذي نستنتج انه غالبا ايجابي.

الجدول رقم (10): حول تصور الرجولة

المتغيرات او الفقرات	التكرارات	النسب المئوية
الرجولة حماية للمرأة	1	1,6%
الرجولة قوة مميزة عن المرأة	2	3,2%
الرجولة و المرأة متكاملان	58	92,1%
من الرجولة السيطرة على المرأة	2	3,2%
المجموع	63	100,0%

يوضح هذا الجدول مع الرسم البياني ان مفهوم الرجولة اخذا اعلى نسبة بقيمة موجبة مشكلة 92.1% من راي ان الرجولة والمرأة قيمتان متكاملتان، اي ليس ذات فروق وفجوات عالية بينهما، انها القيمة والنسبة الاعلى ذات الاغلبية مقارنة بالمواقف السلبية ذات الاتجاه القمعي ضد المرأة. الشكل البياني رقم (08)



لا يمكن بحال من الاحوال التخلي عن التقاطعية كمقاربة ومنهج، في ادراك الابعاد الثلاثة للنوع والعرق والطبقة، للتقرب من ازمت الذكورة والانوثة عبر الهجرة كظاهرة اجتماعية اشد ملائمة

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

للحركية بعوالم ثقافية مختلفة، لا وجود للذكر بالمفرد ومركزه، وهو ذات الامر للانثى، تكون الادوار عبارة عن مواقف يومية وغير ثابتة تتسم بالادائية اكثر من كونها امتثال للنموذج بذاته. المفرد والمركزية هي اعطاب الزمن الذكوري الأول الذي لا مكان له بعالم معلوم وتتداخل في الابعاد المحلية والكونية واكثر كيرولية انثروبولوجيا تتوسع المساحة الثقافية وتتلون بالوانها نوعها البشري وتتشكل المسافات الاجتماعية سوسولوجيا لتكون الادوار الذكورية والانثوية مجالا للعب الرعب، في مجال الهجرة تكون الصورة على هذا الحال، الهجرة مجال لرصد مونوغرافي واثوغرافي من خلال تلك الوقائع المجسدة والشبكات الاجتماعية الداعمة والتشكلات الثقافية، يحاول اهل الاختصاص دوما التقرب من عمق التحولات والتغيرات ومراقبة امواج التنوع في محيطها الثقافي الاوسع دون اهمال لاعماقه واجزائه المكونة له.

"اكتشفنا من خلال دراسة اكااديمية قمنا بها حول الرجولة ومسالة العنف ضد المرأة في الجزائر طبيعة نشات الشباب التي تبدو هشة وغير متجانسة الامر الذي لفت انتباهنا الى طبيعة انتاج وتشكيل هوياتهم الذكورية ليصبحوا مغاوير وكانهم برحلة غزو مستمرة يمارسون خلالها عنفا ضد الذات وضد الاخرين وبالاخص ضد النساء"¹.

اقترب الباحث من علاقة مهمة بين الجندر والعنف في سياق الهجرة الغير شرعية كما أشار الى العنف على الذات والاخرين وبالاخص النساء، مرجعا ذلك الى التنشئة الاجتماعية والابعاد الثقافية الموروثة حول الفحولة والرجولة، في حين وفقت الدكتورة "كيم صبيحة" كما اسلفنا في تدوين وتسجيل تجربتهن لكن جانب الصواب في اعتبارهن فاعلات، وما بين الراين نرى ان هناك صمت عن تجربتهن من قبل الذكور واعلاء صوت نسوي دون مبرر وتضخيم لدورهن وهذا كله تعبير عن ازمتي الانوثة والذكورة دون امعان النظر في الحركية الذكورية والانثوية بالجمع لا بالمفرد وبالمتحول لا الثابت.

المهجر فضاء ثقافي يستحم فيه الجميع وعلى الذكورة والانوثة دوما عبر التواصل الثقافي والتفاعل الدينامي اليومي تغيير وجهات النظر، واعادة بناء استراتيجيات وتكتيكات لا رغبة في الاندماج بقدر متعة التلاعب واحراز سيولة ثقافية لمعيشهم، تكون الادورا مبنية على اداء و مواقف واتجاهات وترميم،:

¹ زيان محمد، ازمة الرجولة والهجرة الغير شرعية، مجلة اضافات، بيروت لبنان، العدد 43،44، صيف-خريف، 2018، ص 177.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

"اولا تتمثل بالضرر اللاحق للرجال جراء جعل المثال المرسوم لتحقيق ذكورتهم عزيز التحقق باعنا على الشعور بالحرمان...ثانيا ضرورة العمل على اعادة انشاء الذكورة فتمثل بتراجع بدايته الى اخضاع النساء في ايامنا المعاصرة ولا ننسى ان ذلك الاخضاع هو المكان الالم...صعوبة اخضاع النساء في الواقع المعاش صدر احباطا"¹.

فالمسألة عبر الهجرة هي سؤال سوسيولوجي من نوع آخر حول الاسس والمصادر الاولى النفسية والثقافية التي تهيئ ظروف التنافس والصراع او تلكم السياقات البارزة حول التكامل والعيش المشترك، تاخذ العلاقة الجنسية بين الازواج في المهجر بمبدا شريكي وشريكتي تكون السلوكات اكثر عقلانية بينهما ويعني الفاعلين بذلك الجانب المادي والرمزي لتكون المصلحة اهم من ضمان سلطوي بذاته انه نمط الشراكة الربحية، بالاضافة الى الميل المعقد الا الاحترزات الاستباقية في العلاقة والمتطرفة في الحسابات المعقنة.

ناخذ على سبيل المثال علاقة بين مهاجرة تيارتية² بالسويد مع زوجها السويدي وراء كل عملية انجاب تعيد خياطة غشاء البكارة ، ما الذي يعنيه كل هذا؟ وكيف هي علاقتهم الزوجية والحميمة مع زوجها؟ ولماذا انجبت؟ ولماذا تخيط؟ اليس بناتها دلالة على الزواج ام انها ستصدرهم الى مكان ما وتعود بحثا عن زوجها كونها عزباء؟ وفعلا طلقا واخذت بنت معاها وهاجرت الى تركيا ثم دبي للاقامة هناك، بالرغم من دولة السويد توفر افضل المبالغ المالية للمطلقات وبناتها مع السكن والايجار، فهل من تمسك بالبعد الاقتصادي في التفسير؟، وما الذي يشكله هذا الغشاء من سلطة في مخيلتها ومخيلتهن الى درجة الهوس؟ وهل جنى الذكر على نفسه الويلات جراء تقديس ما لا يقدر؟ اسئلة كثيرة ومقلقة للبحث في التحولات والازمات الانثوية والذكورية على حد سواء.

علاقة الذكور الشباب بالنساء الكبيرات في السن ايضا مبحث جندي يجعلنا نعيد النظر في الكثير من احكامنا الجندرية وتصوراتنا الاولى مهتمين أكثر بهذا الاستعراض:

" ما يهمني الا بغات عجوز المهم الورق "³

عادي علاقتنا على الورق نهار ندي وراقيا متعرفني ما نعرفها هي علابها وانا علابالي"¹.

¹ عزة بيضون، المرجع السابق، ص ص، 60، 61.

² شهيناز المدعوة كارولين https://youtu.be/Yno_0BmW9sk

³ المبحوث رقم(12) مهاجر الى المانيا.ظاهر المدعو nana من فرندة مقيم بالمانيا.

¹ المبحوث رقم(20) مرشح للهجرة.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

"وتبعا لتحول اوضاع المرأة وتراجع معدلات الخصوبة وتراخي ماسسة الجنسانية في المغرب حيث تتمثل ازمة الذكورة في المغرب بالصعوبات المالية التي تواجه الرجال وخسارة الثقافات البطريركية للهوية الذكورية... ان الكاتب يرصد تعريفا جديدا للذكورة يتمحور في المدن والعاصمة خاصة... وبتفاهم زواجي عميق في اطار اسرة نووية ديموقراطية"¹.

هذا ليس في المغرب وحسب بل هو مشترك بين بلدان المغرب خاصة تونس والجزائر لكون البنية الثقافية نفسها ووجهة الهجرة ذاتها والتحويلات الطارئة على المجتمعات لعبت دورها في ابراز مقدرة الفاعلين الاجتماعيين في اختيار حياتهم بحرية اكبر مما كانت عليه، تلك الاساليب الاستراتيجية ساهمت في تفكيك البنى المتكلسة وادراج وجهة جديد من لعب الادوار في سياق تزامم وتناقل عابر للثقافات: "الدراسات العبر ثقافية (Trans-national) هذه الازمة تتعلق بالشعور بفقدان السلطة التي وفرتها لهم معايير الذكورة التي تربو عليها وحيث استعادة هذه السلطة مجددا تفترض الخضوع لمعايير خاصة بالمجتمعات الجديدة لا يملك هو شرط حيازتها"²، هذا واضح من حيث التدفقات الثقافية الكونية كما ان اساليب المشاهدة والتحركات السلوكية اليومية تساهم في تمريرها وتجسيدها وقتما سمحت الفرصة الامر الذي يجعلنا دوما نتجنب الثانية في التفسير واعتماد جهة دون اخرى وتغليب منطق الابعاد بدءا بالبعد الثالث.

4- أدوار جندرية للمهاجرين العائدين بين الحتمية الاجتماعية والنسبية الثقافية

ان العودة من المهجر لها عدة اسباب وعوامل مختلفة باختلاف حالة المهاجر واسلوب حياته بالمهجر، فعودت النازحين واللاجئين ليست حال المطرودين او الذي اضطرتهم ظروفهم الشخصية او العائلية على العودة، ولا تلك التي تكون في المناسبات والعطل، الا انه يمكن اعتبار لحظات عودة المهاجرين في المناسبات امر جد مهم في معرفة الحنين من الترحال الدائم، من الازدواجية والمعاناة نحو مخططات واستبقات للعودة التي تتم على مستوى المخيلة ونوعية الاداءات بالمهجر التي تحضر لهذا الموعد الاجتماعي واعادة هيكلة المسافات الاجتماعية وتطير حيزها الجندري.

تتأثر الادوار الذكورية والمؤنثة بلحظات العودة تلك، وتعبّر دوما على ان المهاجر يظل مهاجرا ويحمل تلك الصفة الغرائبية، وتبقى الممارسات للدوار الجندرية لباسا يجب اعادة تفصيله بمجرد نية العودة، يبرز الذكور حاجتهم الى نيل اعتراف عائلتهم بهم على الصعيد المادي وما

¹ عزة بيضون، المرجع السابق، 64، 65.

² المرجع نفسه، ص 45.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

انجزوه ثم العائلي واختيار زوجاتهم و تربية ابنائهم، كل هذا معبر مهم لبقاء العلاقة موطدة من خلال جسر العودة والمغادرة وضمان اكبر قدر معين من الثقة والتفاهم بين العائلات .

إن المهاجرين يجدون انفسهم اليوم ممزقون في لحظات العودة المبكرة اكثر من لحظات المغادرة، ويسعون الى اخفاء الاساليب التي توحى بسيطرة المرأة "الزوجة"، وتحاول عائلاتهم مبكرا تزويجهم من " بنت البلاد" قبل ان يتفاهم الوضع،والا تكهرت العلاقات مستقبلا خاصة مع شيوع تجارب الزواج باجنبيات والتفكك الاسري اللاحق بهم.

وما بين اللحظتين والموقفين يكون المهاجرون الوسيط المثالي في التضامن مع ذواتهم وابرار ابعاد اخرى يسايرون فيه مجتمعهم الاولي، تبرز في هذه اللحظة تكتيكات معينة ترمم العلاقات وتمد جسور التواصل لانهم يعلمون انهم بوضعية مختلفة ليس فقط بين عالمين بل هي ذوات تهيم في ترحالها وعبورها وتتقن المرور جيدا.

الفترة الزمنية للعودة مهمة جدا في ادراك مدى الاقتراب من السلطة الابوية والذكورية الاولي فكلما طالت المدة اكتشف الاهل والاصدقاء حقيقة العلاقة بينهم ومدى التحولات القائمة، فيعمدون الى تقسيم فترات العودة متحججين بضغط العمل او بالمصروف المادي في حين انها تعبير على ابقاء المسافة على حالها لتجنب اي اشارة للوصم، بالاخص المناطق الريفية او الشبه حضرية، ان سبب العودة له علاقة بالعوامل الاقتصادية والمالية واعلم ان اغلب المهاجرون لا يملكون مشاريع ضخمة بالمهجر او وظائف سامية، الا انني اشير الى ان اختيار الفترات والمناسبات قبيل التقاعد مثلا: في تمرين خفيف على مدة طويلة فيما بعد للتعريف بحالهم وينمط حياتهم الخاص، اذن مكان وزمان العودة مهم، ان رصد هذه اللحظة هو ادراك للعملية الثقافية والسلوكية معا.

-الادوار الجندرية وقت العودة

من خلال ملاحظتي لمجموعة من المتزوجين بالاجنبيات والمتزوجات بالاجانب والعزاب:
أولاً: هناك فئة من الذكور والنساء لا يباليين بما تتعتم به مجموعاتهم الاجتماعية من البلد وهؤلاء من طالت مدة اقامتهم وتحصلوا على اوراق واصبحوا يفتخرون بعاداتهم وحياتهم ولا يهتمون باي وصم او نعت.

ثانياً: المتوازنون في افعالهم منذ فترة الهجرة ما بين قيمهم والعادات الاوروبية فحياتهم تكون على نمط واحد سواء هنا او هناك لا يبقينهم في المهجرالى اقتناص فرصة التقاعد والعودة، تجدهم يحضرون سكناتهم ومشريعهم هنا اكثر ويوكلونها الى اصهارهم او عائلاتهم.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ثالثا: العازبين لا يظهر عليهم ذلك التغير في الأدوار الا في مواقف مثل سؤال الامهات "وينتى تتزوج" اي متى تتزوج ولا "شا تخير البرانية ولا بنت البلاد" مع حرص عوائلهم والتأكيد على تجنب البرانية فهي غير مضمونة الاستقرار الاسري في نظرهم ومعتقدهم.

رابعا: النساء العازبات الطالبات والمهاجرات للعمل والذين يميلون الى الزواج والبقاء في المهجر يميلون الى الحفاظ على القيم الاولى، اغلبهن يملن في التزوج بالأتراك أو كبار السن من ابناء البلد الفرنسي او البريطاني وقله من تختار الجزائريين المتحصلين على اوراقهم الثبوتية هناك.

خامسا: ان وقت ومكان وطبيعة العودة وحالة العائد تلعب دورا مهما في لعبة الأدوار الجندرية واخفائها، العودة فترة زمنية ومكسب للمهاجر سواء من الناحية النفسية او المادية او العلائقية بحيث تكون عملية التفاعل جد مهمة في نقل الثقافة، هو يمتص الرحيق من هنا و هناك، فتكون رحلة الترحال والهجرة وسيطا وناقلا جيدا للثقافات ومبرزا لحيوته الذاتية في اختيار اسلوب الحياة ونوعها، هي يختبر ويجرب بطرق واساليب مختلفة ليكشف عن طبيعة المجتمعات ويسقط كل التكهنات على تمزقه وعجزه، سواء كانت انثى او ذكر، فإن عملية المناقلة الثقافية حاصلة واعادة ترسيم المسافات الاجتماعية في كل لحظة عودة وتغير الصور والانماط السلوكية المجندرة لمجتمعه الام، محاولا نقل معايير وقيم اخرى تغير لا محالة منطق الانجذاب من المحلي الى العالمي ورسم علاقة جديدة بين الذكر الانثى، لقد تربينا في مجتمع يبتهم لذلك العائد القادم من فرنسا او المانيا معبا بالهدايا وتعز علينا هذه الهدايا وصاحبها، وهذه ليست صورة مادية وحسب بل ايضا ترسيخ لهذه الثقافة المهاجرة واحداث التغيرات اللازمة والفخر بما هو قادم ومتدفق من هناك.

سادسا: المهاجر العائد ليس ناقلا للثقافات وحسب من منظومة الى اخرى بل هو كاشف ومستكشف في آن واحد او يكون احيانا دليلا سياحيا لزوجته في تعريفها بثقافة اهله ومجتمعه الاصلي، كما اخبرني المبحوث(10) من بلدية ببيان مصباح دائرة بوشقيف- تيارت خاض تجربة الهجرة، حراق الى المانيا ثم هو الان يقيم في فرنسا في صيف 2018 جاء مع زوجته وهي متواضعة ورحبت بفكرة الاسلام وتعلمت تقاليد الطهي وجلست مع اهله طيلة عطلة الصيف بالرغم من انها اخبرتهم انها بنت مدينة وكانت دوما مزهوة بالحفلات الليلية، الا ان ذلك لم يمنعها من قبوله كزوج وانجاب الاطفال والصوم في رمضان حتى. هذه الحالات توجي دوما بالتعويل على مراقبة سلسلة التداخل الثقافي والتكيف والتكشف فيما بين العلاقات خاصة على مستوى الادوار الاجتماعية المجنسة، المهاجر وسيط مثالي ما بين الثقافات.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

سابعاً: العائدات من النساء وهن مع أطفالهن او مطلقات بدون اطفال يعانين من القسوة والوصم حتى ولو كانت وضعيتهن المادية جيدة، بالعكس يكن اكثر عرضة للاطماع سواء هنا او هناك، تتدرج النظرة المعنفة تحت خوف المنظومة الجندرية من شيوع هذه التجربة من مهاجرات مطلقات لانهن يصبحن اكثر اغراء جنسيا ومحمررات من عقد وكبت ابوي وذكوري معين، العلاقة العنيفة هي رد فعل عنيف من الذكورين عليهن لانهن لا محالة سيغرن بسلوكاتهن المتحررة الكثير مما تعتمد عليه خطة الاخضاع الذكوري.

ثامناً: وهذا مهم جدا ما بين النقطتين الاخرتين ومن خلال ما سبق واما الانفتاح على التحولات والتغيرات الثقافية الكبرى الصورة الثقافية الكبرى (Big Picture) سنعالج فكرة العودة، العائد، العائدة كمهاجرين، فتحت ظل كثافة التحولات وبروز عوامل مغايرة ويفضل التجربة الذاتية كاسلوب حياة عوض اتباع نماذج معينة ومنمطة، تصبح العودة غير واضحة تماما واكثر ضبابية واقرب الى الترحال والتهيه منها الى العودة، وما ذكرناه لا ينافي بل ما هو موجود وقابل للتغير والتحول مستقبلا.

ان المهاجر العائد وبادواره الموازنة والمناقلة، يعبر لنا عن المكان الذي بلا مكان، والزمن بلا زمن (مارك اوجيه) منطلق اللامنكة¹، في ظل الحداثة الفائقة هو الغالب وهذا باب مفتوح للعلاقات، تاخذ دوما صبغة الترحال والتهيه، وسوسيولوجيا يمكن التعبير من خلال عدم استقرار المهاجرين انفسهم، بالرغم من وظائفهم ومسكنهم وزوجاته يتجدهو تعودوا على الترحال ثلاث سنوات باسبانيا تسع سنوات بالمانيا، ثم ينتقل الى قارة اخرى مثل امريكا ا و اسيا وهكذا انها رحلة مستمرة من التلاحق والاستكشاف الثقافي لا وجود لهوية نموذجية الا المرتحل والمتسكع او المتشرد الهائم كما عبرنا في الفصل السابق.

كلها افعال وثقافات تعبر على المقولة الجوهرية للمجتمع لم يعد له لزوم في ظل تداخل المجتمعات، كما ان الثقافة منفردة لم تعد كذلك هي اكثر تداخلا وتباينا وعبورا تكون استراتيجيات الفاعلين والممثلين بعيدة عن التقليد المحاكاة ومؤمنة بالتجربة الذاتية، العلاقات والمجتمع تجسدت مخيالية: " مقولة المخيال هذه من زاوية تتجاوز الاختزالية العقلانية مفسحة المجال لنسق حركي منظم للصور التي تتخذ معنى يفضل فيه علاقة التفاعل الداخلية وفاعلية

¹ انظر مارك اوجيه، اللامنكة، مدخل الى انثروبولوجيا الحداثة المفردة، ترجمة ميساء السيوفي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018، ص77.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

النسق وواقعيته في آن، لأنها تعتبر اداة للدخول في علاقة تفاعلية مع الكون من خلال فعل بناء وحيوي¹.

تاخذنا "فالنتينا" الى قيمة مهمة في فتح باب سوسيلوجيا المخيال وتساعدنا في الخروج من منطق الثنائية الموضوعية والذاتية وتجعلنا اكثر اقترابا من سلسلة الهجرة والعودة وجعل المنظومة الجندرية مبنية على اساس الصورة والخيال والمخيال الفردي والمخيلة الجمعية القابلة للتحول والتغير والمصاحبة للامكنة والازمنة المختلفة عبر الاداء والمواقف.

الحتمية البيولوجية والحتمية الثقافية والحتمية الاجتماعية بهذا الشكل قيد الشك والنقد على الاقل من خلال عملية الترحال والتهيه للمهاجر، اصبح المجتمع مجرد متخيل (Cornelius castroridis) تبنى وقائعه².

ففعل العودة وحال العودة تعبير جلي على ان المجتمع اليوم بتركيبته ما هو الا متخيل مدعوم بقوة الخيال اكثر من كونه وضعية جامدة وعلاقات نموذجية، ففعل الهجرة وثقافتها يعبران دوما على ان المهاجر ليس ممزقا ومزدوجا بقدر اعتباره وسيطا مثاليا يخبرنا عن نسبية الثقافة نفسها: العائد/التائه،العائد/الترحال، العائد كشخص متعدد الادوار ليس له دور واحد نموذجي،العائد والعلاقات العابرة/التبادل الدينامي، العائدون والتحويلات المجتمعية.

غرائبية العائد تلك قيمة اجتماعية علائقية(زيمل)مهة في المحاكمة والتفاوض الاجتماعي كوسيط مثالي(شوتز) لان افعاله وممارسته وحالته الغير قارة تشكل عنصرا وسيطا وفي ذات الوقت تهديدا لتلك القيم والمعايير المترسخة التي تبغي الابقاء على النظام الاجتماعي بعينه دون مساس بالادوار الاجتماعية والجندرية ، انه عنصر غريب يلفت النظر ويستقطب التقليد وجمع العناصر تلك التي شذت او انحرفت او تلك التي تسول لها نفسها الاقلاع معه للهجرة او التعبير خارجا عن النظام والبنية الاجتماعية المستحكمة.

الانسان مجبول على اتباع الغريب وتقليده والمهاجر يشكل هذا الحافز لبقيت افراد مجتمعه لينحو نحوه، كما ان العائد بحاله تعبير عن ذلك التيه او الظماً اللانهائي للترحال كما عبر "مافيزولي".

¹ فالنتينا غراسي، مدخل الى علم الاجتماع المخيال نحو فهم الحياة اليومية، ترجمة عبد النور وسعود المولى،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1،2018، ص 16.

² انظر: كورنيلوس كاستور ياديس، تاسيس المجتمع تخيلا، ترجمة ماهر الشريف، دار المدى، دمشق سوريا، ط1،2003.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

إن العودة ظاهرة لها عدة غايات وسمتها اقرب الى الشخصية والفردية منها الى الجماعي تتأثر في ذلك المعايير والقيم والاجتماعية وتكون العلاقات الجنس والادوار الجندرية بعيدا عن سلطة الاكراه قريبة من التفعيل الذاتي، يستدعي كل هذا تحليلا فينوميولوجيا وانثربولوجيا لقوة التظاهرات المختلفة التي تتجه نحو الخيال الاجتماعي وتذكيره وتهز قوى تلك الجماعية: " ذلك حال ما يتصل بالجماعية (Communautarisme) واليومي بالحاضر وطبعا بالمتخيل في مختلف صيغه يتعلق الامر هنا بهذه الثقافات التي من المفيد تحليها في لحظة غدا المستعجل فيها مع افلاس القضايا الايديولوجية الكبرى"¹.

امر بالغ الاهمية تعلمته من رحلة البحث هذه ان لا مساحة موضوعية بيني وبين الباحث وموضوع البحث، فهذه طموحات حاملة بعيدة عن لحظة الان التي عانت السوسيولوجيا كثيرا دون لحكام قبضتها عليه، فتجد نفسها في التاريخ او التوقع حين تصطم بلحظة الان، وببراعة الممثلين او الفاعلين الاجتماعيين بداخلها، الباحث والمبحوث علاقة تكاملية يذكي كلاهما الاخر.

اذا راينا العائد بهذه الصورة من خلال عالم المهجر وعالم المسقط سلاحظ عبر العلاقة الثنائية والميكانيكية وهي ذات منشأ تخيلي حكم لفترة البحث السوسيولوجي الهجروي، الا ان الحقيقة المهاجر مستكشف ذاته معبرا عن عوالم وفي ذات الوقت موضوع الاستكشاف، مزعج للانظمة الاجتماعية بغرابته متانس بما يحمله وينقله، اجتماعي في تفاعلاته وخبراته اليومية.

يحاول المهاجر العائد في فتراته المتقطعة الى على ان هناك شئ ميكانيكي وثابت ينبغي تغييره ويكون هو مركز الاحتكام، ما بين الثقافتين والمجتمعين واكثر، مغيرا في ذاته ومعبرا ومخاطبا ذواتا اخرى في حراكه الدينامي هذا بين الاقلاع والوصول، العودة الى الوطن والرجوع الى المهجر ام منتقلا بعيدا عن كلاهما في رحلة مغاير يكون اليومي مفتاح ومدخل لرمزية العبور ومرونة الترحال في رحلات وجولات ثقافية ممتزجة لامكان للنظام ولا مكان لقيم ومحددات قبلية وابرار تلك الامكانية والمقدرة ليس فقط الذاتية بل حتى للثقافة انها مجرد محصلة لعلاقة تواصلية تفاعلية وفناء تلك الحدود الوهمية والهشة التي جعلت الانسان مغيب عن حاضره مسلوب المقدرة على العيش فيه بحرية.:" انه شاغل شعبي يمكننا الان مقاربتها بصوفي آخر المعلم ايكهارت (EKHART TOOL) الذي يعتبر ان الانجاز الكامل يتمثل في المرور من

¹ ميشال مافيزولي، تأمل العالم الصورة والاسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، المجلس الاعلى للثقافة والمركز القومي للترجمة، الجزيرة، مصر، ط1، 2005، ص 24.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الإمكان الخالص إلى الراهن الأبدي تلك القوة الطبيعية للحظة الابدية وذلك ما سعيت إلى تعينه من سنوات مضت في ما سميته تأمل العالم¹.

نص بالغ المعنى والقصد في تغير أساس الاشتغال الأنثروبولوجي والسوسيولوجي، مرتكزا على الحاضر من خلال المراقبة وليس مجرد الملاحظة، في علاقة يغلب فيها ثقافة التأمل للباحث أو تكون الثقافة ذاتها تأملا، يؤسس عالم الاجتماع مافيزولي إلى رؤية ذكية وثاقبة وواعدة في آن، لا يكون المهاجر فيها ممزقا ومزدوجا، بل في الحقيقة يجسد تجربة الناسك المتأمل في أحوله وأحوال ما سبق وأحوال باقي المجتمعات، في رحلة العبور تلك، التي تتداخل بين الأزمنة والإمكانة والثقافات.

فلحظة العودة وصورة العائد تخرجنا من حركة البندول بين الماضي والمستقبل، بين الإقلاع والوصول وتمكيننا من أبعاد التنوع والتعدد في لحظة الان ونرى بوضوح كيف ان: "العلاقة بين الحياة والحاضر فكلاهما قد تم السكوت عليه في غالب الأحيان أو الزج به في تلك البديهية التي تعتبر حاصل تحصيل بحيث لا ضرورة للتظير لها"².

الصورة أسلوب الحياة، النوع التجربة الذاتية، اليومي، كلها مداخل ودعوة صريحة للعناية بالحاضر وملاحظة تلك الأكرهات والالزمات على الجسد والتصورات والتمثلات الجنسية/الجنسانية والجندرية والمتلاعبة بمصير الجوهر الحقيقي للحظة الحاضرة، يكون المهاجر مجسدا لكل هذه الأبعاد ومعبرا عن مصير التائه ليس بالمعنى السلبي بل هي أقرب إلى صفة لا اسم: "ان لا يكون المرء مستشرفا شيئا ما إنما يكون مستوطنا في ما يؤسس الوجود الجماعي وشكله، ثم ان الانغماس في الحاضر وحده الحاضر ما يوحدني بالآخرين لعيش هذا الانغماس انها ماثرة متميزة من فهم التشديد على الكيفي وتعليق الزمن والشعائر بمختلف أشكالها والعوائد والتقاليد..."³.

فعل العودة يعبر عن بروز تلك الأساليب الحاضرة والمبتكرة مستغلة كل إمكانات للعيش والاندماج في سحر اليومي ومحيدة لكل التزامات محددة للسلوكات القبلية المرتكزة على الزمن والمكان الطقوسي والتقليدي، يدعم "مافيزولي" الرؤية التفاضلية الحيوية (Vitalisme)

¹ ميشال مافيزولي، المرجع السابق، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 15.

³ المرجع نفسه، ص 15، 16.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والقربية (Proximité) وهذا ما يجعل مقارنته حيوية في استقراء الظواهر الاجتماعية المعاصرة، كما انها اقرب الى الهجرة والمهاجر العائد.

اعتقد ان موضوع الهجرة هموما والعودة بالخصوص هي حرفة اجتماعية نعيد بها ترميم بيتنا الداخلي وتغير تلك التصورات والتمثلات ونصقل بها خبرانا الواسعة ونراجع اعمالنا ومباحثنا الاجتماعية بعيدا عن اي توجه ثنوي والعناية اكثر بالاساليب واليومي والحاضر: "والى هنا والان والى النزوع الى المتعة الاجتماعية، هو بالضبط ما يكشف لعبة الصورة... بهذا المعنى فاللاوعي بمختلف المكونات هو الوسيلة المثلى لادراك الواقع، ان ما يمنح نفسه للعيش في ازدهار الماساوي واليومي".¹

فما كان غريبا ولا معقولا ومستثنيا يكون هو حجر اساس لبناء الواقع الاجتماعي.

ان الافعال والممارسات الاجتماعية والفاعلين الاجتماعيين والمهاجرين عموما تشير في الفترة المعاصرة الى تغليب منطق الامكان وتجريب الذات واختبارها دوما والابتعاد عن الاشرطات الملزمة او الرغبات السلوكية الكونفورمية، فالحيز الممكن والمسموح يسمع لهؤلاء بالتعبير وتفعيل ذواتهم وتجريبها واكتساب متعة العيش اكثر وهذا هو المطلوب لحياة اجتماعية متعددة الصور ومنعكسة الابعاد المختلفة في مرايا الوجود: "ان الرغبة في الترحال صارت الية دفاعية وضربا من المقاومة الرخوة لقيود الإقامة الجبرية وما يصاحبها من قرائن كالشروع في عمل (الجهد المنظم) وانتظار الانتاجية (التعلق بالغد والمستقبل) وما يطبع كل ذلك من رتابة عيش خانقة"².

يزرع العائد بهجة فهو يتدخل من خلال هذه الصورة والمنفذ كي يزيح عن كاهله اكرهات المجتمع ويخفف من وطأة الثبات والرتابة الاجتماعية ويعيد تشكيل اشكال اجتماعية اخرى اكثر سلاسة بشكل اكثر حيوية هنا وهناك، يلعب العائد او المهاجر دوره الابدي من الترحال والتهيه غاية حيوية لم تكن سلبية الا في مراحل معينة لكن لا تعني كلية التجربة والمعيش: "ان التيه معطى انثروبولوجي لا يقل اجتماعية عن كل ظواهر الاجتماعية الاخرى، انه معطى يعاود الظهور بعيدا عن صخب الكلام المنمق وقريبا من الحكمة البشرية العامة التي تخترق الازمنة تحت اشكال متعددة"¹.

¹ ميشال مافيزولي، تأمل العالم، المرجع السابق، ص 31.

² ميشال مافيزولي، في الحل والترحال، عن اشكال البيئة المعاصرة، ترجمة عبد الله زارو، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط. 2014 ص 06.

¹ المرجع نفسه، ص 06.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يعتبر "مافيزولي" التيه والترحال مخرج بعيد عن اي علاقة ميكانيكية تربطنا بالوجود والحياة والمجتمع، هو ليس معنى سلبي بل هو وجه الاناسة الاجتماعية للحياة بمضامينها واشكالها المتعددة والمختلفة والعبارة، كما انه لا يتواشج مع الهوية الجامدة والثابتة او الانظمة المتصلبة يكون التيه هو الاجتماعي ذاته (Sociabilité) بطريقة مختلفة وعميقة تماما كما يفعل السائحون في الواقع او في المجال الافتراضي، لذلك يكون المهاجر هنا تعبيراً عن هذا التيه وما ادواره المجنسة الا شكل من اشكال المؤانسة بين الذاتي والمحلي والكوني في ثقافات مختلطة: "يتعلق الامر هنا بمسعى استثنائي ابعدهما عن الفرد المعزول، إننا هنا ازاء لا شعور جمعي ولقد سميت هذا مركزية جوفاء تفعل في اعماق مجتمع يجهد نفسه لان يكون عقلانيا وضعيا ومزيجا من القيم النفعية والمادية لكن ينبغي الا يغرب عن باننا ان الاحلام الاقوى هي دائما التي تتجاوز الاشخاص والافراد"¹.

المهاجر العائد هو شخص "حالم" ليس بمعناه الفانتازي بل يروج لخياله ليكون يوماً مخيالاً جمعياً، هو ليس تشظي انه مقاصد الترحال والسياسة هذه الحالة تخلق الاجتماعي (le social) التي يبحث فيها النظام والمهاجر الى علاقات الانتظام حسب السياقات المختلفة، ان العملية الجندرية تسعى الى حشد الافراد وجمعهم تحت غطاء الهوية الجندرية، لكن الرحلة بعيدون عن هذه القوالب الجاهزة مستعدون دوماً للارتجال حسب المواقف.

يكشف الرحلة او المهاجرون العائدون عن حالة من المقاومة بشكل ناعم لحالة التسمر الاجتماعي والتصلب الانفرادي في مقابل كل هذا يساعد التيه على المبادرة الشخصية في التعامل داخل الحياة نفسها: "انه بصدد تكسير الاقنعة والحدود ومعها الحواجز الساييسية والايديولوجية والمهنية والعاطفية والثقافية والتعبدية الايلة الى انهيار بالكامل لا احد يزعم القدرة على امتصاص زخمة الحركة والغليان هي بكل الرؤى"².

لذلك يدعى المهاجر بالغريب والاجنبي، ذلك المتفحص والكاشف عن ذاته وعن غيره بالمقابل هنا وهناك، انه يغدو ويروح في محيطات ثقافية اوسع يتاملها ويختبرها ليبرز حبكتها الخاصة، فالاعتناء بالحركة الدينامية هو الوجه الحقيقي لمجال الهجرة في عوالم قد تعولمت شئنا ام ابينا، يكون المجتمع ليس مهما بقدر التضامن لبناء واقع وبيئة تدعم امالهم واحلامهم، يصبح الاجتماعي اكثر طواعية للتشكل والبناء من كونه ملزماً .

¹ ميشال مافيزولي، في الحل والترحال ، المرجع السابق ، ص 15.

² المرجع نفسه ، ص ص ، 23، 24.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

هذه الحالة التي عبر عنها "مافيزولي" بالتيه في علاقتنا بالعالم تكون اكثر مرحا ولعبا بشكل مستطرد بين جميع العوالم والعلائق.

يمكن ان نقول ان للمهاجر مقدرة ترتكز على المكر المتخيل الذي يجانب اي ثبات ويرحب بالحركة والتحول دوما، لا وجود لارضية ثابتة ما كائن فقط للعيش من اجل الوجود وحسب (Ex-sistence) كما عبر مافيزولي بالحركة والقطيعة والابتعاد او الانصراف.

" ان النزوع الى التيه...باندفاعية هجراوية تحت اصحابها على تغير المكان والعوائد والشركاء املا في معايشة الاوجه المتعددة للشخصية البشرية على الارض وتواصله مع الاجنبي والغريب الاجنبي والغريب يهيكلان البنية الاجتماعية ويفكان الغازها"¹.

خلاصة:

الاندفاع للهجرة اساس كينونتنا الاجتماعية، وتذكرنا دوما بتلك العلاقة الغريبة بين ان نهاجر ونرتحل ونتيه ويتيه كل هذا فينا، ويهاجر ويرتحل الينا العالم في ذات الوقت، كمثال عبر الفضاء الافتراضي، هذه الحالة التي تشبه السير في مرايا متعددة الانعكاسات توجب علينا فهم ما يجري من سرعة التحولات والتغيرات عبر سياقات ثقافية مختلفة يبرز الفاعلون فيها عدة تكتيكات للممارسة للعبة الاجتماعية الموجهة اليهم في الحياة اليومية.

¹ المرجع نفسه ، ص ص 46،47.

تمهيد:

أهمية الحياة اليومية وجوانبها العادية، الحدود والاطارات وكل الانشاءات والاستعمالات والاستعارات المنتجة والمستهلكة تبرز من خلالها لتعبر عن تلك الاشكال الاجتماعية والتشكيلات الخاصة، والمضامين واعادة صياغتها عبر ادوار وتكتيكات مرنة، ما بين الفرد والمجتمع والثقافة والفضاء الذي يسبحون فيه، يخرجنا اليومي من ابراجنا العاجية ومنظوراتنا المتكلسة ويوجهنا الى العمق الاجتماعي، وانه من بين الفلاسفة الاجتماعية الذين اشتغلوا على الابتكار "دو سارتو" بدقة نقدية وسوسيولوجية يليه "هنري لوفيفر" و"غوفمان" و"جارفنكل" لمدرسة شيكاغو و"شوتز".

1 - سوسيولوجيا الحياة اليومية (Daily life. Everyday life)

كان "دوسارتو" حساسا كثيرا تجاه ميادين العلوم الانسانية التي تغلب عليها المنطق الكمومي وحاول كثيرا التوجه الى الدراسات الخيالية والمخيلية والتداولية المنفتحة على الزمن الحاضر وسياقات الاداء، مشيرا الى أمر بالغ الاهمية: "الثقافة اسلوبا للحياة وليس مجرد فرع معرفي او تثقيف كمي يفسر هذا اهتمام دوسارتو بالحياة اليومية لانها حياة ثقافية بامتياز، لا تجعل من الثقافة مجرد فضول فردي او جماعي، ليس فقط تكديس للافكار والمعلومات بل طريقة في تشكيل الذات وفن العيش المشترك وفق رؤية جمالية وجودية"¹.

ان الثقافة تفاعلات وممارسات عملية تتجلى من خلال تلك المجموعة من الاجراءات الفردية والجماعية في معيشها اليومي بذواتنا واغيارنا وتداخل تلك الاعراف عبر الازمنة الثلاث. ان ما يجعل اليومي مهما هو تفحصه للعادي ونزغ غطاء البدهاة وتسليط الضوء على التكتيكات والاستراتيجيات: "العادي في الحياة اليومية للبشر هو الفريد او النادر او الغزير من التجارب والممارسات، الشيء الاستثنائي الذي يعكس فريدة الابتكار ولطافة الخلق والابداع، فهو يتكرر كل يوم لكنه كل يوم في شان جديد وتجربة مختلفة ترتبط بالسياق التداولي وبالملايسات والمغايرة..."¹.

¹ محمد شوقي الزين، الغسق والنسق، مقدمة في افكار ميشال دو سارتو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، دار مدارج الوسام العربي، الجزائر، ط1، 2018، ص79.

¹ المرجع نفسه، ص80.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

هناك علاقة مهمة بين العادي الذي يغفلنا بحركة لاشعورية ولا ارادية لكن يوقد في ذهن الباحث الكثير من الأسئلة التي تثير الوعي، العلاقة اقرب فيه بين الكلام وفعل الكلام وكيف تكون تلك المنعكسات والتغذية الراجعة المتكررة الا انها الاسرع يوميا عبر الاداء والانجاز ، تماما ما عبر عنه مايكل بولاني (MICHAEL POLANY 1891-1976) المعرفة الضمنية البسيطة الملازمة لنمط الممارسة المنجزة¹.

استعير من "مورلوبونتي" مرآة العالم ونرى كيف يتداخل الانا مع الغير والداخلي مع الخارجي يشكلان معبرا معرفيا وتكون جملة الاداءات والانجازات الاجتماعية اليومية للفاعلين الاجتماعيين عبارة عن تكتيكات وتوليدات استراتيجية يستخدم فيه الحدس المعرفي والتلقائية: "...في جميع الحالات تغدو المعرفة الضمنية مشتركة بين الفاعلين الاجتماعيين ايا كانت رتبهم او مكانتهم في السلم الاجتماعي يتجلى العادي اذا كاصل جميع الاجراءات والممارسات... وتشكل السيولة التي تتميز بها الافعال البشرية يصطلح دوسارتو على اسم التكتيكية في مواجهة الخشن او الصلب الذي يطلق عليه اسم الاستراتيجية"².

لذلك فالعفوية تشمل رؤية تناظر وتمائل لتلك القواعد والالزامات والتشكيلات الاجتماعية الفرعية والسيولة التدفقية الثقافية التي تجري عبر الانظمة والامكنة من خلال الممثلين الاجتماعيين بشكل مباشر او غير مباشر، ان "دوسارتو" قدم مفتاحين مهمين لفهم حياتنا المعاصرة واليومية بالخصوص عبر المقدرة التكتيكية والسياسة الاستراتيجية للحياة نفسها بين المتصلب والمخشوشن.

"ينبها موريس بلانش إلى... ان اليومي الذي يشدنا بات مبتورا اذا ما اقتصر على مجال حياتنا الضيقة واذا لم يضم داخله تجارب الاخرين... فلا مجال لاختصار اليومي في عالمنا الذاتي الضيق ولا مجال لاستبعاد البعيد من خلال استقراب العادي وتاصيل القريب لان ذلك سيختزل معنى اليومي العميق ويحصره في حدود العادي المجاور"³.

هذه نقطة مهمة حول مفهوم العادي واليومي لدى كل من "بلانشو" و"دوسارتو"، هذا العادي الذي هو ليس عادي ابدا بالرغم من تكراره الا انه يعبر عن الحياة نفسها وتجدها، هناك اوجه الشبه بين العالمين في الانطلاقة الانبعاثية اليومية وتجنب التعميمات والتصنيفات الطبقية

¹ محمد شوقي الزين، الغسق والنسق ، المرجع السابق ، ص83.

² المرجع نفسه، ص 84.

³ فتحي التركي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر، تونس ط1، 2009، ص59.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

المسبقة كأحكام جاهزة، كما قد بينا الكثير من الفروق بي ضيق الذاتية وكلية المؤسسات التنظيمية في سلوكات الافراد، فالعادي واليومي ليس مجالا لاحدهما بل يتجاوزهما بشكل منجز وادائي: "يعني اليومي اذن كل ما يظهر في العالم في شكل تكرار ومعاودة فهو ليس فقط محيط الحياة العادي والمعروف بل فترة تأسيسية تستوعب كل الاحداث والافعال لتعطيها نمطا موحدًا، فاليومي يضم كل الاشياء العادية كما يضم ايضا كل ما سيجعل الاشياء تتحول الى عادية"¹.

توفر الحياة اليومية امكانية لتوضيح الابعاد وغناها بالتنوع كما يمكن رؤية البعد الثالث عبر التلقائية في حقل منصهر وممارسات نشطة تحوي اهمية التجربة فالادائية والاساليب والافعال كلها: "تؤسس الممارسات التي بموجبها يعيد المستعملون تملك المكان الذي تنظمه تقنيات الانتاج السوسيو-ثقافي"².

يركز "دوسارتو" على اجراء الابتكار اليومي والاداءات والممارسات اليومية ويهتم بتلك الشكليات المركبة (Formalités) وحيز المماثلة والتناقضات بالواقع اليومي يلقي الضوء على الطرق والاساليب التي تفرزها القدرة التكتيكية والاستراتيجية لبعثرة التعبئة النظامية الحاصلة طبعًا من خلال مجريات الحدث التي توحى بحيل الفاعلين وابتكاراتهم ضد ادوات الانضباط والمراقبة: "توضح اجراءات التفاعل اليومية التي تتعلق ببنيات التوقع والتفاوض والارتجال"³.

من خلال هذا التعيد لاهمية اليومي ندرك كيف يتحول المشروطون والمستهلكون للثقافة الى منشئها، انه النشاط الثقافي وعبر مواقع عدة وبطرق مختلفة من خلال سعي الفاعلين وجل ممارساتهم اليومية ذات الاسلوب التكتيكي ضد اي شكل من اشكال الهيمنة والفرار من حيز هامش العادي، فتكون بذلك سمة المجتمعات المعاصرة التي يحاول افرادها الافلات من اي منظومة والتمتع بحيوية اليومي ولحظاته حسابات تلوى الاخرى بين بلاغة الفاعلين ومجاز الانظمة: "ابتكارات تواصلية ليست ملكا لاحد المحادثة هي مفعول مؤقت وجماعي من الكفاءات في خلق ادارة الامكنة العمومية واللعب بحتمية الاحداث لجعلها معيشة"¹.

ان اللجوء الى الابتكار في الحياة اليومية اعتقد هي سمة الانسان ذاته (Homo faber) هذا الانسان الذي يبتكر ما يخصه ليعيش ويستمر، الحاجة الى الابداع وما ينجزه خلال الحياة

¹ فتحي التركي، المرجع السابق، ص 61، 62.

² ميشال دو سارتو، ابتكار الحياة اليومية فنون الاداء العملي، ترجمة وتعليق وتقديم، محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011، ص 25.

³ المرجع نفسه، ص 28.

¹ المرجع نفسه، ص 37.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

اليومية، فكل معطن ومخفي مركزي وهامشي كله بلحظة الان، نعيد صياغة ما تحصلنا عليه وتميريه بكيفية و أسلوب خاص يجعل حياتنا سهلة وممتعة لفتح باب التجربة والاختبار وخلق ابعاد اخرى او سع من تهيش اليومي وتذيريه او حصره في كلية استهلاكية وانتاجية، انه اليومي الحالة التناقضية الاستعجالية لكليهما ومتجاوزهما في أن.

" اشكال اعادة امتلاك النسق المنتج كما تبديها ابتكارات المستهلكين تهدف الى مدواتيه او علاجيه للاجتماعات المتدهورة وتستخدم تقنيات الاستعمال المتكررة (Réemploi) حيث يمكنها استكشاف اجراءات الممارسات اليومية... تطوير سياسة الدخيل".¹

إن المجال اليومي هو تلك الصراعات بين المنتج والمستهلك، المادي واللامادي، بين الانسان ونفسه وهذا النظرية التي ارتكز عليها لوفيفر في فهم اليومي والياتة: " إن الواقع باجمعه كل واحد وكثير معا، مبعثرا ومتسقا وهو يتفتح على مستقبله اي على غاية وفي اللحظات لا يمكن أن نجد غائبة خارجية خالصة و داخلية خالصة توافقا او اصطداما ميكانيكيا".²

هي ذات الحركة الدينامكية الجلية والخفية الشكلية والضمنية غائبة وقصدية ومتداولة عبر افعالنا المفردة والجماعية ترمي دوما الى التخلص من تلك التكلسات والنزعات الفئوية والجماعوية في رحلة اكتشاف الذات، هذه الاخيرة التي تتخطى الفوضى والانتظام وتعيش مبعثرة وتعيد تركيب كما سماه "لوفيفر" الانسان الشامل ذاتا وموضوعا عبر النشاط التكتكي:

" التكتيك هو مجموع حركات وعمليات تهدف الى نتيجة معينة ... بوصفه كذلك منشئ المنتج او تحديدات المنتج ولان التكتيك يتشكل فهو نتيجة وهو لا يكون واعيا في البداية بل مراحل تالية حيث يمكن ان يوصف وينتقل بالكلام".³

ان الممكن والمسموح به عبر التوجيهات والاكراهات بالنسبة للوفيفر ليس كلية بل هي ايضا محاولة للاكتشاف من خلال السماح لبروز التكتيكات كانشطة متوقعة وهذه الحرية ستكون حدث اكتشاف الذات الا ان درجة الوعي بها لا تكون كافية في المرحلة الاولى الى حين انتظار تعميمها: " في البدء يمكن القول بان الوعي كان منحصر داخل الشيء داخل نتيجة الفعل داخل الشكل الموضوعي المعطى للمنتج... فنحن نكتشف ماذا نكون في ماذا نفعل".¹

¹ ميشال دو سارتو، المرجع السابق، ص40.

² هنري لوفيفر، المادية الجدلية، ترجمة ابراهيم فتحي، افاق للنشر والتوزيع، مصر القاهرة ط1، 2018، ص127.

³ المرجع نفسه، ص150.

¹ المرجع نفسه، ص151.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

بالرغم من سيطرة الرؤية الديالكتكية الماركسية إلا أن النشاط اليومي يوحى بالابداع والادائية لكل تلك التفاعلات والتجمعات والتشتت والمناقلة، هناك نقطة ابرزهما "غوفمان" وهي توهم البعض خلال الحدث اليومي واستعابه بأن ممارسات البعض تنحو الى الانتصار للبنية الكلية او النظام، إلا ان ذلك صحيح بما سماه "الاغفال المذهب": "هذا الموقف لا يعني تجاهل الاخرين كليا ولكن يعني امتناع الناس عن اقتحام حياة الاخرين وانماط سلوكهم المعتاد في وضع معين"¹.

من مهام السوسيولوجيا اليوم والانثروبولوجيا النقدية ادراك المعيش اليومي، بهدف التركيز على: تبين اشكال التفاعل الاجتماعي وتوضيح اكثر لمظاهر اعادة تشكيل الواقع وتبين فرص التوقعات المنتظرة والمدركة وهنا تكون الاساليب البارزة هي المقصد لكي نرى بوضوح الاختلاف والتنوع من مصادره، يصبح الجسد ليس مادة مطواعة للثقافة وليس المجتمع جوهرًا ثابتًا للدراك المباشر، فالانشطة الانسانية اليوم لا تعترف بالحدود من حيث علاقة التاثر والتاثير ما يعني كم هائل من التحولات والتغيرات المتسارعة في الحياة اليومية، يستشهد جيدنز بما سماه مجتمع القهوة (Café Society): "من المعروف ان جيدنز قام بتفسير وجهة نظره الاجتماعية بالاشارة الى كيف يكون حال شخص يشرب قدحا من القهوة فيجد نفسه محاصرا بمجموعة معقدة من العلاقات الاقتصادية والاجتماعية التي تمتد عبر العالم"².

وهذا يعني قيمة حجم التداخل للشبكات التواصلية المكثفة التي لا تكون ثابتة تحت اقدامنا وان فهم مدخل الحياة اليومية هو اعادة لبعث التصورات والتمثلات في شكلها الاوسع، مستوعبة معطيات الحياة البسيطة والمعقدة، يكون الانسان المهاجر في حالة تدفق معلوماتي ومعرفي وثقافي واتصالات مكثفة تجعله ممزوجا ومختلطا داخل عملية الصهر النشطة للتفاعلات اليومية. مخترقه جسده وهويته ومجمعه وتمثلاته وثقافته عابرة بشكل كرويلي.

2- الهجرة مجالًا للتفاعل والتكشّف (من الأجنبي والغريب إلى الوسيط المثالي)

من الاهمية ادراك الاساليب المتولدة عبر سلوكات المهاجرين من خلال تفاعلاتهم اليومية ومراقبة تلك الاشكال وهي تتشكل من خلال تجارب متوسعة وخبرات متنوعة، تكون تلك العلاقات تعتمد على لعب ادوار ضامة ومشتتة فردية وجماعية عبر المجال الاجتماعي الهجروي.

¹ مأمون طربية، علم الاجتماع في الحياة اليومية، قراءة سوسيولوجية معاصرة لوقائع معاشة، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2011، ص22.

² لاري راي، العولمة والحياة اليومية، ترجمة، الشريف خاطر، المجلس الاعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2017، ص226.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان الهجرة هي فرصة للاستكشاف الذات ومن خلال صبر اغوار الثقافات والمجتمعات والاحتكاك المطول بها، كما انها حالة من الكشف التي نعرف من خلالها ذاتنا وغيرنا ومجتمعاتنا وثقافتنا عن قرب وبطريقة مختلفة، يكون هذا المهاجر احيانا كالمحقق من ذاته والمحقق في ذات غيره كاشفا عن عيوب ومزايا اجتماعية، عملية اوسع من تلك التي يقوم بها الباحث الاجتماعي في تحقيقاته الميداني كون التجربة مباشرة وغضة ودون سابق احكام، يتقلد المهاجر هنا وعملية الهجرة اتجاها وطريقة موجبة مهما كانت نوعية الهجرة.

تكون مسألة الهوية غير مزعجة كفاية الا بالقدر التي تتحول فيه الى تمثيلها بمسارح الحياة اليومية المتعددة والمختزقة والمتداخلة، فالاقرب هنا ليس اللعب والسياسة، وركوب الموجات واعتماد مוזات مقلدة ومحاكاة اجتماعية مؤقتة في طقوس العبور او التواصل، الا انها ليست فارغة او مجوفة، في كون ما يحدث من تفاعلات غير واعية تدفعنا الى تكتشفات ادراكية واعية تصبح الثقافة ليس منتوجا كليا بقدر محصلات التواصل لتعود في الاخير لعملها وتأثيرها على الوعي الفردي والجمعي.

الهجرة هنا بمثابة "خطاب" هذا الخطاب المختلف والكاشف عن الذات في كل فرد مهاجر ومستقبل حتى خطاب يصارع للدوام كما هو قبلي سابق، وخطاب تحرري يرفض حالة الركود ومخططات الهوية الثابتة متجه بشكل فوري نحو التعدد والتنوع طامح في تفعيله واستقراره بانساقه الثقافية والاجتماعية.

تكون الادوار المجندرة والاداءات على شكل خطاب يحتاج الى التفكيك وفهم تلك القيود المتشابكة حول إرادة الانسان نفسه.

اعتقد ان ما قدمه "شوتز" في مقالته عن "الاجنبي" وقبله "زيمل" عن "الغريب" ومقالة "الجسر والباب" مهمان جدا، وهو نص اساس في تحليل مبدا العلاقة بين المعتاد والغريب، بين العادي والمتجدد، ونرى كيف أن خطاب الغيرية يختلف عن خطاب الاخرية، فالاول ينحو نحو غرابة مستدعية للتعدد والتشارك والثاني الى اقامة الحدود والفواصل وفي الوقت ذاته هنا سيولة ومرونة في خطاب الهجرة الذي يعتبر المهاجر فيه كاشفا لهما ومعبرا خارج الصراع الثنائي ومحورا اي منطلق للتصادم في الاصل، ادراك اهمية الخروج من عنق الزجاجة المتطاحنة حول الثنائية، او مهمة كشفية ثالثة للمهاجر يبغى من خلالها افهامنا ان الثقافة اساسا مبحثها المعاصر "الكريولية"، كما سنعرف بالتفصيل في الفصل الموالي، ومنه سنبرز اهمية هذا البعد

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

من خلال شبكة علاقات المهاجرين وما تحويه افعالهم وثقافتهم وتأثيراتهم على انظمة الفعل والممارسات السلوكية وفهم مغزى الاجنبي والغريب والوسيط المثالي.

الاجنبي عند زيمل مهم لفهم تلك العلاقة الارتكازية ما بين غريب بالوضع أو عند الانطلاق: "... لا يوجد أجنبي إلا بطريقة تتعلق بالوجود لمجتمع يولد فيه شعور بالاجنبي... هناك في مجتمع مغلق محصن من الجميع والتدخل الخارجي ليتم التخلي عنه... الاجنبي هو شخصية التي نمتلكها... الشخص الذي وصل اليوم والذي سيبقى غدا مسافرا محتمل بطريقة ما"¹ بالنسبة لزيمل الاجنبي هو موقف محدد مسبقا وهو طابع لوجود معين داخل الجماعة ويقصد بموقف طابع تلك الحقيقة داخل مجموعة معينة ويظهر الاجنبي في ابعاد مختلفة ومفاهيم وقواعد مقابل الشخصية العامة (المضامين الاجتماعية) والوضع المرافق له والاساليب والطرائق التي نستقبل بها هذا الاجنبي (شكل العلاقة وامكنتها)، ويشدد زيمل على الاجنبي شخصية نملكها كلنا من ابسط عملية تربية او تنشئة الى ادب الضياف والسلوك مرورا بالاحكام والقواعد والمعايير الاجتماعية الاكثر تعقيدا في حالة المهاجر: "انه مرتبط بمجموعة محددة مكانا او مجموعة تثير الحدود لكن موقعه في المجموعة هو شكل اساسي...، انه قد تم ادخال سمات خاصة به هو، اي منهما لا يمكن ان يكون" موقع طابع". فانه يؤكد على القيمة الحاسمة لهذه الحقيقة على موقف الاجنبي، لان هذا الموقف سوف تحدده بشكل اساسي موقع الشخصية منذ البداية"².

يرتبط مفهوم الأجنبي ويظهر من خلال المجموعة دون ان يكون منها فالكينونة هنا صبغة وجود كلي تسبق وهذا ما لا يمكنه ان يجسده في البداية بسبب تلك الحدود التي تضطلع بها الثقافة مع المجتمع، فالمهاجر والاجنبي سيكون امام هذه الخطوط العريضة والحدود يتاملها جيدا في كيفية العبور من خلالها، لحظة الاقتحام والعودة من جديد عملية من الفصل والوصل الذهاب والاياب عبر امكنة وازمنة مختلفة خلفا خلفه صدمات وهزات ارتدادية يكون وضعه اما تهديدا او انجازا.

JOAN STAVO-DEBAUGE, GEORGE simmel. un étranger jamais pleinement arrivé Georg Simmel : un étranger jamais pleinement arrivé et toujours en partance. <https://www.academia.edu/2021:-06-06-11-11am>

2 JOAN STAVO-DEBAUGE, GEORGE simmel l'étranger-disgressions sur l'étranger. <https://www.academia.edu/-06-06-2021:11-11am>

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

بالنسبة لزيمل الاجنبي هو شخص وليس فرد، مرن ومتعدد الادورا لعوب ايضا وينتمي الى مجموعات لكن ليس منها، ينتقل من مكان لآخر (التيه والترحل)، هو شخص لا يملك تاريخ تلك الجماعات والثقافات التي جعلت حدودها اكثر عقلانية، هو ليس بدخيل ولا منبوذ وغير مقبول كلية، مهمته ادراك ذاته وجلب صفات جديدة للمجموع، زمنيا هو لا هنا ولا هناك هو " الوسيط المثالي:" هو الجسر الرابط بين مجموعتين (بين نفسه والعالم) انه اكثر حرية في حكمه واقل تورطا في الأعراق والعادات والتقاليد نثق به، هو قاضي جيد"¹.

من هنا تبدت لي فكرة المستكشف والكاشف، كاشف عن ذاته ومستكشف لغيره حراكه الهجروي هذا عملية كشفية وتعريية لخطابات متسلطة وازاحة تلك الحدود الوهمية، اذ ليس هنا مآسة للهجرة، المآسة صورها الرافضون للاجنبي وللغريب عنهم، اولئك المتفوقون، المهاجر الغريب هو مد لجسور التواصل بين الثقافات ووضعية ملهمة وفتح لاحتمالات اخرى:

"ان الدراسة البارعة التي كرسها زيمل حول الجسر والباب 1908م يتحدث فيها عن تناقضاتنا وخلافاتنا وحريرتنا وحريرتنا وتجوالنا والسلطة الحقيقية ان الثقافة لا تكفي لتجنب الصراع...كان شغفه الفهم ونشر فكريا دائريا والى في كل لحظة جسرا بين الاشياء لا يربطها شيء لتحديد ما يجمعنا ويفصلنا عن كثر الامكان"².

يلعب الشخص دورا مهما ضمن سلسلة افعاله اليومية والتفاعلات المنجزة في تغير تلك التكلسات الثقافية، يشير الى ان الثقافة ليست كقبيلة بفك النزاع والصراع مثلما يحدث تماما لدى المهاجرين بحمولتهم الثقافية كما ان خطط السلام والامن المجتمعي ليست كقبيلة ذلك الشيء المهم والقيّم هو العملية التفاعلية الحية في شكلها الدائري والافقي ومعرفة ان العملية كما رمز لها بين جسر وباب يكون المهاجر فيها لاعبا لدور الوسيط او القاضي الذي نثق فيه اثناء توصل تلك الذوات والتقاء اكثر من ثقافتين، فهو فعلا كاشف لهذه الجموع البشرية والثقافية. " مغادرة البلاد تعني بالنسبة للكثير بين هجر جزء من الذات، يصل الاجنبي وهو يعلم ما يتركه وراءه ولكن يجهل ما ينتظره في هذا السياق، يمكن للاجنبي ان يثق فقط في النموذج الثقافي لحياة المجموعة التي ينتمي اليها وهو نموذج يختلف بالضرورة عن نموذج البلد المضيف"¹.

1 JOAN STAVO-DEBAUGE . Un étranger jamais pleinement arrivé Georg Simmel : un étranger jamais pleinement arrivé et toujours en partance.op.cit.

2 MOUNIRA ZERMANI. ALFRED SCHÜTZ : l'étranger et sa compréhension du groupe d'accueil .
<https://www.researchgate.net/06.06.2021-14.12.am>.

1 MOUNIRA ZERMAN.op.cit.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان النموذج الثقافي لدى شوتز ليس مكانا للجوء او الهروب من وقع ما، انه مكان للمغامرة، وان المهاجر بصفته غريبا واجنبيا هو يفصح عن رغبته في اختبار الحياة، وعدم الكفاية بما هو جاهز ومقدم من الهمة المجتمع، او ما تدعو اليه آلهة السوق الثقافية، يكون المهاجر مكونا لمحتواه الثقافي ومفعلا لارادة افعاله ومستفيدا من موقعه "لا هنا ولا هناك"، او كما عبر شوتز في ترتيب "احتياطي الخبرة" و "الفكر الحالي" والوصفة"، التي عبر فيها عن سياق ثقافات والتي يحاول المهاجر من خلالها العمل على تفسير عالمه او مخططه الخاص بارضية الميدان،:" يمكن ان تتبنى نموذج ثقافي جديد يتفق مع ماندعوه اليوم الاطار الملائم، التعامل مع نماذج التفاعل وليس الشاملة التي تستلزم من خلال شبكة معارفه الخاصة حول العالم والثقة بالآخر من خلال منحه الثقة كما يعبر عنها زيمل ثقة العمل المتبادل".¹

توضح لنا الرؤية الميكرو-سوسولوجية أهمية الكيفيات التي يقدم بها الافراد انفسهم وتكون من خلال الهجرة كثقافة تصورا ظاهريا عن قيمة الوعي المفعول اثناء التشابك مع العالم، فهو ليس تفاعلا مفرغا من الوعي او لا يعود بفائدة برغماتية على الانسجة الاجتماعية والمضامين الثقافية بل بالعكس، هو بعد ظاهراتي يعزز الفعل الواعي بما يقدمه عن ذاته ويصوره ويظهر عبر التبادلات التي تكون تكون مفعمة بحيوية الحاضر وقوة المبادرة الذاتية ومنفذا بين الذات والعالم،:" هناك اربع رؤى عن الفن المسرحي، الذي يستعير صورة المسرح لتحليل كيف يقدم الناس انفسهم للحياة اليومية، ومنظور جارفينكل الذي يركز على الاجراءات التي يتتبعها الناس في تجميع واعادة تركيب حياتهم اليومية، ومنظور فينومينولوجيا " شوتز" وتوماس لوكمان " لتحليل وتركيب وعي الحياة اليومية، واخيرا منظور هنري لوفيفر الذي يدرس تناقضات الحياة اليومية"².

من المهم ان ندرك هذه الابعاد التفاعلية المحسوسة والرمزية والضمنية والواعية باشكال تبادلاتها، ذاتا بذات ومجتمع بمجتمع وثقافة بثقافة عبر تيار الحياة اليومية الذي يعزز بروز الاساليب والطرائق في التصرف واجراء السلوكات المناسبة.

ان الدراسات الاجتماعية للهجرة (Sociological studies migration) تعنى بالواقع اليومي وافرازاته عبر شبكة التفاعلات اليومية ومن ثم تصبح فكرة الانتقال ليست مجرد حركة شخص

¹ Ibid.

² جون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة احمد عبد الله وهناء الجوهرة وآخرون، مجلد 1، المشروع القومي للترجمة، الجزائر، مصر، ط1، 2000، ص ص، 677، 678.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

وحسب بل سلسلة متراكمة من الرموز والمعاني التي تتطوي على اختلافات وفروقات في التنوع وشبكات ممتدة وقصيرة وعلاقات عرقية واثنية متباينة تتجاذب فيها القوى الاجتماعية اواصر الالزامات ويعيد الافراد من خلالها تراكبهم الخاصة، لذلك ابتدع مفهوم الموقف والسلوك: "... ان وصف الموقف معناه اننا نخلقه في الوقت نفسه... تتمثل المهمة الحقيقية لعلم الاجتماع في تحديد القواعد التاويلية التي تأسس عن طريقها احساسنا بالنظام وليس الانخراط فيه، في تاسيس انعكاس لهذا الاحساس... عملية التمويه (Glossing) تمثل نموذجا لنوع اجراء تفسيري... التمويه يعني في الحياة اليومية تجنب القضايا الخلافية..."¹.

ليس ببعيد عما اقترحه مافيزولي في الترحال، ذات الاشارة التي اعتمدها التيارات السوسيولوجية المرتكزة على التفاعل والتبادل الاجتماعي ومراعاة الجزئيات اليومية، ان الهجرة هي تعبير عن هذه الصورة الثقافية والاجتماعية للفاعلين التي تلخص هشاشة الانظمة وقوة الانتظام والوعي به، لا مجرد الانخراط والتسليم الكلي له، انها الحالة التي اتفق فيها مع فليب كوركيف حول انظمة الفعل: "كانت فكرة البناء الاجتماعي في سياقات عديدة فكرة مجردة بحق وتذكرنا هذه الفكرة خصوصا بالامومة ومعانيها... ان التقابل بين الجماعي والفردى لا يجعل من البنائية علاجا لهذه المشكلة اذ ان القطبية والفردانية سرعان ما تظهر ماثلة امامنا"². ان الاجنبية والغرائبية توحى بالابتعاد عن المقاربات الوظيفية والبنوية والاقتراب من اليومي والتفاعلات والمنجزات والتراكيب، تكون حاجتنا ماسة الى تحليل انظمة الفعل والمواقف والسلوكيات من تلك المعولة على كليات وعموميات شاملة ومختزلة، نحن عن طريق الهجرة نراقب تلك الاساليب الانبثائية للفعل وليس بنيته القبلية، لذلك يركز "كوركيف" على انظمة الفعل والفعل المتموضع: "هذا العلم انما هو باجسام مزودة بمهارات وهي تواجه الاشياء في صميم مجريات الفعل، ذلك انها لا تتناول العلاقات الاجتماعية حصريا من زاوية الراوبط بين الاشخاص وحسب وانما تتضمن التأقلم مع الاشياء ايضا"¹.

هذه الادوات والنظريات والمقاربات لعالم متسارع في التغيير تساعدنا في ادراك اساليب وكيفيات المعيش اليومي للمهاجرين اذ تكشف التجربة دوما انها تدعم خيارهم وتجاربهم وبقابلية لكل جديد في اطار تقاطعي تبغي هذه الممارسات خط خطاظة سياقها الثقافي ، بعبارة اخرى مجال

¹ جون مارشال، المرجع السابق، ص90.

² فليب كوركيف، علم الاجتماع الجديد بين الجماعي والفردى، ترجمة احمد حجاجي صقر، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص140.

¹ المرجع نفسه، 143.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الهجرة يعبر حقيقة عن ثقافة الهجرة وليس مجرد الفعل، معنى ذلك الادوار الجندرية والممارسات السلوكية قائمة على فهم الفعل وموضوعه وتوقعه وادراك الموقف المناسب اكثر بكثير من اعادة انتاج معينة بذاتها او التزام بهوية بعينها او ثقافة بحالها انه كل هذا في تجارب م موضعة ومشكلة ضمن المعيش اليومي.

3- الجندر أداء وانجاز وتركيب واستعراض بالمهجر

اوجه دفة البحث من خلال هذا المبحث الى اهمية اعتبار الجندر اداء وانجاز واستعراض وتشكل وتراكيب ووعي منظم بشكل توليفي بين الجزء والكل، وصولا الى التراكيب الهيكلية والتجربة الانسانية للهجرة.

ان المهاجر وهو ينوي الاقلاع من منطقة الى اخرى (الاقطلاع والمساومة) بدا يعي ان تصوره وتمثله للعالم او المواقع الجديدة قد تغير (التفاوض) هذه الحالة التي لا يمكن للحمولة الثقافية الاولى او الاحتياطي الاولى ان يساعده كفاية في فهم العالم الجديد بوضعيات ومجريات مغايرة.

قد لا ينكر المهاجر كلية ما تلقاه من مجتمعه، كما لا يقبل أي شيء، بل يعيد تركيبه ليسهل المرور والوصول والتواصل وبلوغ المنفعة، هنا تفهم طبيعة الاقلاع والعودة وطبيعة الهجرة كعبور مستمر في سلسلة من الاداءات والانجازات والتشكيلات والاستعراض، كما يفعل الاناث عبر ارتدائهن الحجاب كرمز نسوي مجندر بحذف وتركيب على حسب اللعبة والوضعية المقترحة، يمكن ان يتخلى عنه ويمكن استعماله كورقة ضغط للمطالبة بالحقوق او سببا للنزاع اذن هو مجرد رمز يؤدي على نحو مطلوب ومرغوب من الفاعلات، ذات الامر عند الذكور مثل الابقاء على اللحية كرمز ديني وجمالي، و في ذات الوقت يصعب التميز بينهما في الاستعراضات اليومية الجمالية والطقوسية التدنية كطبقات رفيعة.

ان جندرة فضاء الهجرة في مراقبة وملاحظة على نحو رؤية كل ما بيدعه الفاعلون والكيفية التي يجعلون من جسدهم اداة للدور بطريقة واعية في الاتصال مع العالم الخارجي، ولما نقول ووعي نقصد مبدأ الاداء بين المعيارية واللامعيارية بين القيمي والكمي واللاقيمي والفعل الاستراتيجي المنظم للفاعلين داخل مجالات ثقافية متباينة.

الصورة المهمة هي رؤية التواصل والتفاعل الذي ينجزه الفاعلين المهاجرين، أكانو ذكور أو إناث أو حتى خارج الثنائية- العبور الجندري- وكل ما تفرزه سلسلة التفاعلات اليومية من تنافس وانسجام وتشكلات،: "Do gender" استخدم في المنهجية

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

الشعبية (Ethnomethodology) الانجاز والاداء هذه العملية يتم وصفها بشكل مختلف على انه انجاز استطرادي للهويات الجنسية، الانجاز يشير الى ان الناس من خلال لغتهم والسلوك من اظهر هويات مسبقة كنساء ورجال في مواقع وثقافات محلية معينة¹.

يوحي مفهوم الانجاز الجندري الى ممارسة وعملية حيوية متحركة لا تنتهي وهي عملية نشطة ومستمرة للمنخرطين فيها، تدل على قدرة تعطيل التركيبات المعيارية للهوية الجنسية او الهوية الجندرية، وهنا يمكن ان نستعير لفظة جد مهمة كما عبر غيدنز "الوكيل" او الوكلاء الاجتماعيون في اللعب بالقواعد والتمثل واتمام دوره البناء الهيكلية داخل النسق الاجتماعي ورؤية الروابط بين الانثوية والنسوية تشير الباحثة "ليا" ايضا الى الفرق بين الانجاز الانثوي والانجاز النسوي، فهما مزدوجا للذكورة اولا: ".مثل انجاز في الوضع المحلي والهوية الجنسية كبناء استطرادي مؤقت... وثانيا باعتباره نظام ممارسات نظام اجتماعي اكثر تجريدا وبناء او ايدولوجية طريقة المجتمع لربط ممارسة معينة بالجنس في السياق المحلي للتفاعل سبيني الرجال انفسهم كرجال، من خلال اتخاذ او مقاومة البنى الاجتماعية او الايدولوجيات المعيارية حول ما يجعل الرجل اكثر ذكورية (الانخراط في الصيد مقابل الطهي)"².

النقطة الاشكالية التي اهتم بتوضيحها ان لحظة الانصياع للصورة النمطية هي بحد ذاتها غير مفيدة، وان وجدت في حد ذاتها تطلبت عملا مزدوجا لا يراد اعادة بنائها بقدر استغلالها حسب الوضع، كمثال على ذلك: الحجاب والزي الاسلامي بالمهجر لا يراد اعادة بنائه بقدر التلاعب به حسب الغرض الفردي أو الاجتماعي، لذلك نركز على السياق الذي يتبدى اكثر من خلال العيش اليومي بالمهجر، والذي يجعل المهاجرين بين ثنائية احتياطي الثقافة المحمولة، وعفوية الانخراط في المجتمع المضيف، يفرق هنا غيدنز بين الثنائية (Duality) والازدواجية (Dualism): فالثنائية الاعتماد المتبادل بين الفعل والبناء لان السلوك الانساني ليس محكوما كلية بالقوى الخارجية او بالارادة الحرة الفردية والكلية والازدواجية تسلط احد على الاخر الارادة الفردية او البنية الكلية صفة الارادية والجبرية"¹.

من المهم بما كان ان نقترح من جذور النظرية التفاعلية الرمزية ونفسر تلك التفسيرات المعاصرة نحو ما اتجه اليه غيدنز التشكيل البنائي، لذلك فان المقاربة المسرحية التفاعلية

¹ LIA TITOSSELETTI, Gender and language theory and practice. Routledge published firste. 2013. New york. p61.

² ibid. p61.

¹ ميشيل تشيرتون وان براون، علم الاجتماع النظرية والمنهج، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2012، 335.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

تقترح: "اننا جميعا ممثلون نقدم اداء جيد للانوثة او الذكورة، اننا نعرف ما هي السيناريوهات المجندرة، بمعنى نعرف كيف تؤدي دور المرأة او دور الرجل لكن لكل واحد منا ان يؤدي هذا الدور بشكل مختلف قليلا"¹.

تستند هذه الرؤية على نظريات هربرت ميد² والنظرية الاثنوميثودولوجية حول الجندر، بوصفه انجازا والتي جعلت جوديث بتلر تتحو نحو الاداء والانجاز، هناك خيطا ناظما يمكننا رؤيته ولمسه من "زيمل" و"ميد" و"غوفمان" و"جارفينكل" الى الحركات النسوية وغيرها تستند على تلك الرؤية في حراك دينامي بين العقل والذات والمجتمع، ومن اللغة الى السلوك، ومن الكلام الى افعال الكلام: "طريقة التفكير في التوقعات الاجتماعية وكيف نتعلمها كما يقترح ان طريقة تصرفنا تتأثر بتصورنا لما يتوقعه الآخرون في وضعيات معينة"².

ان اهم شيء في لعب دور مجندر هو التوقع واكثر دقة مما يتوقعه الآخرون عني وما اتوقعه من نفسي، إلى علاقة مع الآخرين تكون مرتكزة على التواصل بناء على مرشحات ثقافية معينة للانخراط والانسحاب وتكون العملية بالنسبة للمهاجر على هذا المنحى.

تتجلى الادائية (Performativity) في ابراز عدة نواحي تبادلية وتفاعلية من اللغة والسلوك في سياق ثقافي واجتماعي مختلف تجعل من المعايير والقيم اقل تأثيرا: "... في السبعينيات والثمانينيات، تميزت هذه الفترة على يد بينلولي ايكرت (1942) مقارنة الموجة الاولى والقائمة لدراسة تنوع اللغة... وفي هذا السباق كانت التعميمات الحتمية على غرار النساء تقول هذا والرجال يقولون ذلك، هي القاعدة (نموذج الذكور والاناث القادمين من ثقافات مختلفة)"³.

ان الذي تعنيه هذه التوجهات والتي برزت فيه "بتلر" ان الادائية للجنسانية والجندر والحياة الجنسية ناشئة في عروض الحياة اليومية الاجتماعية بشكل تفاعلي، يعني هذا ايضا ان الذكورة والانوثة لا يمكن تصور وجودها كبناءات سابقة ومنتقلة نكسبها فقط او نتمثلها مباشرة، فهي بتحليل لغوي لنظرية افعال الكلام ليست سوى تعبيرات تشكل من خلالها هويات جنسانية عبر الكلام والفعل الاجتماعي، كما يراد بذلك رؤية ما قدمه غوفمان الطقوس والطقسنة الانثوية والذكورية التي نستخدمها بشكل اداتي حسب التوقع الثقافي ضمن حيز وموقع معين.

¹ ارفغ غوفمان، البناء الاجتماعي للهوية الجنسية، المرجع السابق، ص10

² المرجع نفسه، ص 11.

³ ميشيل تشيرتون وان براون، المرجع السابق، ص335.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

" تعد الطرق التي نتحدث بها مع بعضنا البعض جزءا مهما في كيفية انشاء الهويات الجنسية... لا يوجد شيء مثل الهوية الجندرية خارج الطرق التي يتم تكوينها على انها اجتماعية"¹.

إن الأداء أمر ملح وجب تحقيقه ، وانجاز تلك الادوار الجندرية لاتمام حلقات التفاعل فهو ليس مقترح وطلب يمكن تأجيله، يسعى بذلك المنجزون عبر الجندرة استقبال سبل الایعاز والاعتراف المتوقع وتثبيت التجارب الفردية والجماعية في نسق قابل للتفسير، اتاحت الادائية فهم سبل النزوع والایعاز والدوافع والاتجاهات والمواقف خلف كل فارق اجتماعي وثقافي مما اضعفت اي تحيز جمعي او ثقافي لتمرکزات هوية.

" من خلال تبني اجراءات روتينية خاضعة مثل الاذعان للاخرين واستخدام سعة منخفضة ونبرة صوت عالية وامساک اجسادهم بطرق تشير الى صغر حجمهم او انسجامهم، قد يتحضر المتحدث باداء الاستعارات الثقافية الحالية للمرأة الخاضعة لكن استخدام الاجراءات الروتينية يبرز ايضا في الوقت المناسب، إما الحفاظ على ما كان معياريا او تغييره والتنازع عليه"².

تتيح لنا الادائية نظرة واسعة حول فعل الاداء وصفته الادائية فالاولى تعبر عن حالة من ابراز لطقوس معينة بشكل يومي او تشكل السمة البارزة لاثبات المعايير او نفيها، يظهر هذا جليا في طقوس الانوثة والذكورة، كما ان نظرية الاداء (Performative) او الادائية وان كانت تختص باللغة والجنس في الحياة اليومية الا انها كانت موضحة لتخللها قضية الجندر والرغبة الجنسية والممارسة الحميمية، ان التمييز بين الاسم (Performativity) و صفته (Performance) هذه الصفة التي قد تكون علاقتها الطقسية ضعيفة وتبقى مجرد اداء يومي متكرر، لقد كانت كلا من الباحثين ديورا كاميرون (Deborah cameron-1958) ودون كوليك (Don khulick 1960) من بين البارزات بهذا الشأن حول النظرية المنهجية للاداء في اللغة والجنس: "وأهم شيء يمكن الاستناد اليه تلك المقاربة المهمة حول مسألة الهوية والتي توسعت فيها الباحثات منذ 2003، فهما يميزان بين (Identity) و (Identification) فالاول شيء نشط وواعي والثاني هو اللاوعي ولربما العمليات النفسية المتضاربة يمكن فهم أهمية التمييز جزئيا"¹.

¹ MIRAIM MEYRHOF. Gender performativity. <http://www.online.librarywilly.com> at :2020-05-06-12 :30am.

² ibid.

¹ ibid.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

إلا أن "بثلر" رفضت أي شعور مسبق بالهوية فعلى حسب نظرها كلا الباحثين تورطاً بوجود هويات وتشريطات مسبقة مؤثرة على أداء النشاط الجنسي، إن الرغبة مع الجندر عنصران حاسمان في كشف خيوط القوة والسلطة بشكل مركزي.

من المهم أيضاً أن نفهم أن الأدوار الجندرية ليست بمعزل عن سياقها الاجتماعي ونقصد بذلك أنها تجربة أدائية تتكشف من خلالها الجنسيات والأدوار وهذا ما يشكل تكاملاً معيارياً.

إن الأداء عبر الجسد له علاقة وطيدة بالجنس والهوية والدور الذي تلعبه في تقديم ذاتنا مع الفضاء الاجتماعي كمسرح للعرض اليومي، ويمكن أن تكون هذه العروض الأدائية جماعية وفردية مختفية وظاهرة في استخدامنا اللغوية وتعبيراتها اليمائية، ويؤهل نجاعة الأداء ليصل إلى ذروة انجزاه على حسب التجسيديات (مارسال موس)، إن مفهوم العرض أو الاستعراض يرتبط بالعضوية إلى حد كبير للفاعل الاجتماعي داخل الجسد الاجتماعي يقترح شيشر (SHECHAR): "إن العروض توجد فقط كإفعال وتفاعلات وعلاقات لنرى العديد من جوانب الأداء"¹، بالإضافة إلى مفهوم الأداء أصبحنا نعتمد العرض الذي يتطلب جملة من الموارد والقواعد وتفعيلها عبر الروابط والعلاقات الاجتماعية، الاستعراض الجندري يوضح قيمة علمية تفيد أننا لسنا كلية محتمين ببيئة ونظام اجتماعي معين، كما أننا لسنا منفردين ومعزولين بأفعالنا ذكورا وإناثا أفرادا ومجتمعاً، ثقافة وثقافات في الأخير، إن سلسلة الأداء و الانجاز و العرض و التركيب تعمق مدلول التفاعل عبر قنوات المواد والسلوكيات المقررة لذلك والوضعيات المهيئة لبروزه، يقدم جون ميتشل (JOHN MITCHELL) توضيحاً بخصوص هذه النقطة: "الأداء يحتاج إلى جمهور لكن يمكن التخفيف منه في الحياة اليومية، غير أن الممارسات اليومية السلوكية عائد من الجمهور، ...، إلا أن هناك تميزاً مهماً يجب فهمه بين الأداء الأكثر استثنائية للاحداث المسرحية الطقسية وما هو في العروض اليومية الأدائية والعروض الاستثنائية للأدوار"¹.

من خلال هجرة الذكور والإناث نكتشف أنه ليس كل سلوك هو تعبير عن الهوية الجندرية المكتسبة قبلاً، فهناك ممارسات واستعراضات ارتجالية لا تمت بصلة إلى ما هو مكتسب بدءاً باللباس واللغة وسلوك بغية تفعيل أدوار معينة ضمن سياق معين والحصول على أهداف معينة لإدراك هؤلاء الفاعلين أو الممثلين الاجتماعيين المسافة بين المنظومتين الجندريتين، لا توجد

¹ MARINA ABRAMOIC. Architecture .body and performance in the ancient eastern world. www.broun.edu2020.12.31-11.13am.

¹ Loc.cit .

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

مطابقة كلية لما سبق ولا ما هو متحصل عليه او معروض امامهم في مجتمعهم الجديد، يتضمن الاداء والاستعراض فنا ومخيلة بارعة في التلاعب بخيوط النظام والانتظام بقواعد ايسر،: "تنتج الادائية سلسلة من التأثيرات المقصودة، اولا نتصرف و نتحدث بطرق تعزز كوننا امرأة او رجلا ، نحن نتصرف كما لو كنا امرأة او رجلا، شئ موجود منذ البداية، في الواقع هو تأثير يتم بنائه واعادة بنائه باستمرار، يمكن ان ينتج عن الاداء الجنساني تأثيرات معينة في الاخرين يتوافقون معنا او يقبلوننا او يحرموننا او نشعر بالصدمة والاشمئزاز"¹

لفهم سلسلة الاداء ودوراتها التمثيلية والسلوكية والصور المطبوعة في ذواتنا وعن الاخرين، فالاداء الجندري يعزز صورة او بينها وهذا امر بالغ الاهمية في بيئة بالمهجر، فالآخر الملاحظ والمشاهد ليس سلبي بل يتفاعل مع ما تقدمه عن ذواتنا وما نطرحه من تعريفات تتحول عنده الى موافقة او نفي قد تتاثر بسوابق فكرية وشعورية، كما ان العملية الجندرية مثلا للتفاعلات بين المهاجرين وبالاخص تجربة الجالية المسلمة بالمهجر لا تتحو باتجاه خط واحد بل هي عروض مختلفة تغير من بعض الصور النمطية والاحكام المسبقة.

"يتعلق الاداء ايضا بالتمثيل والتجسيد في الوقت الحالي ويفترض نوعا معيناً من الاختبار لذلك هو مختلف عن الادائية، لان الادائية مستمرة وينتج عنها تأثيرات معينة"².

4- الجندر والطقسنة العابرة (اللاعب والوكيل القواعد والموارد والاستثناء)

إن الجسد هو الذي يجعل الفضاء يتكلم عبر مكوناته ومكوناته واداءاته للأدوار الموكلة اليه لتجسيده بالعالم الاجتماعي، تركز الدراسات الثقافية اليوم عموماً على العلاقة بين الجسد والتجسد والفاعلية والاستعراضات اليومية في الفضاء العام مما يبرز حتمية التنافس والصراع والتناقض.

من خلال التوسع للبحث الذي قمت به ميدانيا وتحققت منه نظريا تبدي لي من الضروري التفريق بين الاداء عند غوفمان و الانجاز لدى غارفينكل و الادائية و الاداء لدى بيتلر و الممارسة والموضوعة عند بورديو و السلوكية و التصرف عند الانثروبولوجيين وصولاً عند التأثير و التدخل لدى جينز.

نتشابهك حقيقة فيما بينها وتقريباً تأثرت بفلسفة اللغة ونظرية افعال الكلام، على نحو كبير في بروز هذه التطورات المفاهيمية المعالجة لوقائنا الاجتماعية المعاصرة بالخاص الجنس

² MARINA ABRAMOIC ibid.

² Ibid.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والجندروباقي الظواهر الاخرى الاكثر تعقيدا في شكل تلك العلاقة المتبادلة بين القواعد والموارد وتدخلات الفاعلين الاجتماعيين تثير المطالب الحثيث للنقد او استخدام النظرية الانعكاسية،: " ان الاداء هو صلة الایماءات والوضعیات الجسدية والملفوظات مصادقة مهمة اذ من خلال الاستجابة يتم التاكيد على وجود الحركة الاولى اذ انهى تكتسي معنى"¹.

يؤكد هذا المعنى المعرفي السوسولوجي على ان الاختلاف الجنسي والهوية الجندرية لا يراد بها تحليل الادوار الرجال والنساء تمايزا بنيويا او على حسب التعزيز للدافع البيئي الوظيفي، بالعكس انها اطار عام للتفاعلات الجندرية وكاننا نذهب لذات التساؤل التي ذهبت اليه اورزولا شوي، عوض الاعتماد على الفوارق الفردية المجتمعية او التفاوت الجنسي وجب العناية بسؤال مالذي جعل التفاوت اصلا يظهر او كما عبر "غوفمان" عن التفاعل بينهم:

" قدم لنا التحليل الذي اجراه غوفمان نظرة مختلفة نوعا ما الى البنية الاجتماعية، اذ لم تعد هذه الاخيرة واقعة اجتماعية بالمعنى الدوركامي، اي اكرها خارجيا، بقدر ما اصبحت اداء وانجازا جماعيا متفاوضا عليه ومن ثم يمكن تحديده كيف يعرف الرجال والنساء وكيف يؤثر على التفاعل"².

تصبح مقولة البنية مجرد محصلة للتفاعل وليس العكس، وغوفمان كان حريص على توضيح معنى الاطار العام وتقديم الافراد انفسهم والكيفية التي يعرفون بها عن انفسهم والتوقعات المراد تحقيقها، فحسب غوفمان الاداء كله لصالح الاطار العام هذا الاطار الذي شبهه كثيرا باطار الصورة والشخص معنى الصورة، فهل هذا عود الى بدء البنيوية الكبرى؟.

يعني اللاعبون جيدا هذه اللعبة المعيارية لصالح النظام العام وللواقع المعاش، ولذلك يوضح كيف تكون التجربة مبنية على مفاهيم وطرق وتنظيمات تسهل انزالها وتموضعها على ارض الميدان(المجندر مثلا)، فالاطار هو حيز التوجيه والتجربة وتمير التصرفات والسلوكات الموجبة لمتانة التفاعل والوعي به.

ان المهاجر يوضح لنا من خلال خبرته انه يفهم ويتمعن جيدا في كل اطار يرتحل اليه وما المطلوب منه سوى اتقان لعبة الاجتماعية بداخله، وكلما توسعت خبرة الهجرة وطالت المدة اصبحت بإمكانه التأثير على هذا الاطار والتدخل فيه(غيدنز) دون التنازل الكلي او القبول

¹ ارفع غوفمان ، البناء الاجتماعي، المرجع السابق، ص17.

² المرجع نفسه، ص18.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

والتماهي الكلي (ممثل) لذاته ومكتسب لمعارف جديدة تؤهله لادراج السلوكات والتصرفات المناسبة.

تتوسع امكانية الفاعلين للتدخل المعياري هذه الفسحة التفاعلية تجعلهم لا يخرجون عن اطارهم الجندري الاول ولا ينخرطون كلية في اطار مغاير، بشكل بعيد عن الازدواجية وقريب من الثنائية المتناغمة بين القواعد والموارد والسلوك يكون لدوره اما لا عبا او وكيلا داخل حيزه الجديد المهاجر لا يمكن تاطيره كلية (سلبية الاندماج) بل هو قابل للمشاهدة والتأمل الشخصي والجماعي لذلك الاستعراض (Display)، يوضح غوفمان بالتفصيل في كتاب (الجندر في الاشهار)¹ كيف انه: "يتم انتاج الجندر عبر علاقة غير متكافئة وكيف نجعله يبدو طبيعيا، بسبب الطريقة التي تعرض بها جنسنا بفهم الجندر انه ترابطات الجنس القائمة ثقافيا وتعرف الاستعراضات (Displays) على انها احداث تشير الى الهوية والمزاج والقصد والتوقعات والعلاقات الخاصة بالمثلين"².

اضرب بذلك مثالا لكي نفهم الاستعراض وعمق تفاعليته ، ان فعل البكاء ليس تعبيرا دوما عن الحزن والفرح، كما اننا لا يمكن اعتماده معيارا للصدق، هو عملية ادائية واستعراضية اكثر، يكون اذن التعرف على الاستعراضات مع الاساليب والكيفيات التي يبديها المهاجرين وبيتكرونها ويتوصلون اليها لانجاح علاقاتهم هي النقاط التي ينبغي التركيز عليها واطهارها.

يعرف المهاجرون بأنه اكثر حنكة مما سبق متأملين في شخصيتهم وشخصية غيرهم في ثقافتهم وثقافة غيرهم فرادى وجماعات متداخلين ومتفاعلين متأثرين ومؤثرين، لقد انتقلت عبر سلسلة البحث من اسطورة انشاء علاقة بين مهاجر جزائري والمانية، من الجميلات الشقروات نوات الأعين الزرقاء التي كانت احد هوماتهم الجنسية ومرتكزاتهم للهجرة ، الى فهم ان علاقتهم اليوم في التشابك مع الالمانيات ليست بهذا اليسر، بل تحتاجون الى تطوير خبراتهم ومعرفتهم بالجنس الانثوي الألماني، وفعلا وجدت جزائريين يشرحون بالتفاصيل ومقيمين هناك بالمانية لمدة اكثر من تسع سنوات، عن الكيفية التي تتجه في اقامة علاقة جادة وللزواج بالالمانيا والتعمق في افكارهن وطموحاتهن وما الذي يجذبهن او يتفرهن من اي رجل كان بالاخص المهاجرين القادمين من بلدان المغرب.

¹ ERVING GOFFMAN. Gender Advertisements. first published. Harper. new york. 1979. p57.

² ارفنغ غوفمان، المرجع السابق، ص ص، 20، 21.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

ان اللباس وتسريحة الشعر ولغة الكلام ومفرداتها الالمانية الرومانسية ووقت الافصاح عن نية العلاقة والمسافة في الجلوس واداب الذهاب الى المطعم او الكافيتريا او ممارسة الرياضة بالنادي او الذهاب للتنزه بالغابة كله هذا يجريه المهاجر للتقرب والتعريف بنفسه والتودد اليهن ومحاولة التناغم معهن عبر سلسلة طويلة من الاستعراضات.

ان مفهوم الرجولة والفحولة عند الالمانيات مقتصر على الوسامة والاناقة وحسن السلوك وقوة الفكر والفصاحة الالمانية ونوعية اختيارك للمفردات بعناية اثناء الكلام، كما انهن اشد نفرة من تلك الاجساد الموشومة والمشحونة بالعنف والجريمة وثقافة الغيتو، كما ان اي حركة مبكرة عن التودد الجنسي يعد اعلانا عن فشل العلاقة، تحب النساء الالمانيات امدادهن بالصدق وانك لست كالحشد الذي يفكر اسفل من الملابس الداخلية، هن يرين هذا حاصل تحصيل كما انه علامة على ضعف الرجولة وان الشخص لا يتحكم في نفسه.

في المطعم ان بادرت هي بالدفع وسمحت لها بهذا يكون علامة قوية على مفهوم الشريك وان رفضت تكون العلاقة واضحة انها مسيطر عليها من طرف واحد ويكون سبب النفرة. المسافة الشخصية والحميمية في الاستعراضات اليومية داخل علاقة الزواج والصدقة حساسة جدا تجعل التامل الشخصي لخبرات المهاجرين تتوسع عبر الميديا لتكون تاملا جماعيا واستعراضا جماعيا يراد به رسالة للمهاجرين والراغبين بالهجرة الانتباه له، بما يعني التجربة الهجروية والجندرة والجنسنة عموما تحركت فيها الخبرات ذات المستوى الشخصي الى المستوى الاجتماعي(غيدنز الفرق بين التأمل الشخصي والتأملية الجماعية).

مفهوم الحب والزواج والعلاقة مع الالمانيات يختلف عن النساء الاوروبيات، كما ان صورة العرب المهاجرين تؤثر في كل هذا، مما يجعل مهمة الاستعراضات حذرة: "ان الاستعراضات الجنسية عروض اتفاقية مؤسسية رسمية وغير رسمية، واحيانا اختيارية، تتسم ببعض الاستعراضات بالجدية بينما بعضها الاخر ليس حيويا، ان الاستعراضات الجنسية اتفاقية لانها تحمل افكارا واسعة الانتشار حول معيار الانوثة ومعيار الرجولة"¹.

ان الاستعراضات يحكمها منطق التفاوض والتنازل، في بعض الاحيان يكون هذا التنازل عند الذكور اكثر منه عند النساء المهاجرات، كما يكون التفاوض واسعا لديهن، نرى تلك المساومات حول اللقاءات وفضائها وازمنتها وامكنتها، مثلا: الليل في ذهنية الذكر حكر عليه وزمن

¹ ارفنغ غوفمان، المرجع السابق، ص 22.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

مجندر وحساس جنسانيا، خاصة لما تكون المرأة تعمل بالمستشفى، ناهيك عن عدم امكانية تجولها ليلا او عرضة للتنمر والقدح في ذواتهن، لا يمكن للمرأة استخدام الزمن هذا الا باذن او تصريح ذكوري اب او اخ او زوج والتفاوض حوله، هكذا كانت التنشئة الاجتماعية للمهاجرين بمجتمعهم الجزائري فكيف سيكون حال زوجته في ضيافة اصدقائها جيرانها احبابها او رفقتها في حفل او الدخول متاخرا ليلا؟.

من خلال المهجر اكتشفنا عبر حالات عدة من زواج الذكور الشباب من نساء كبيرات بفارق عمر اكثر من سبع او عشر سنوات بالاضافة تلك الاستعراضات والتفاوضات حول تنازل الذكور عن صرح ذكورتهم المهيمنة الى الخاضعة(غيدنز) في العمليات والاداءات اليومية خاصة بقبول ما تفرضه الزوجة الاوروبية على المهاجر الجزائري انها عملية اسميها **ارجاء التنازل** لفترة، هو لا يجعله معلقا او قلقا حتى يظفر بما يريد وهي كذلك،" نحن نتبع السيناريوهات التي تضع معايير الجندر المتعلقة بما يجب ان تكون عليه طبيعتنا باعتبارنا نساء او رجالا... ليس هناك هوية جندرية... بل هناك جدول زمني لتصوير الجندر... الجندر شيء نفعله وهو جزء من الممارسات المتفاعلة مع الاخرين".¹

يلعب الزمن عنصرا حيويا في شدته وضعفه من خلال الفضاءات المتداخلة والمجنردة.

نحن ندرك تلك العمليات التي يتسامح فيها الذكور للاناث في التعبير عن ارائهن او الخروج للقاء الاصدقاء او ان تكشف عن جزء من جسدها أو شعرها، الا انه يكون اكثر حرصا بدرجة سنها فهذا لا يكون مهما عند الشيخ او الشيخة، أو أن ترى امه المسنة تلقي التحية على جارها ويتجاوزان اطراف الحديث، ان المهاجرين ايضا يمكن اعتبارهم يخضعون لهذا الزمن التصويري المتفاوض عليه والمرجئ احيانا اخرى، فلا يهمه زوجة اجنبية او كبيرة في السن وهي كذلك تسقط بعض الشروط والاعتبارات الا انه يشير الى التناغم وفق لغة التوقعات.

يوضح "غوفمان" عبر: العلاقة المطقسنة، أوالمطقسنة المفرطة، ودعم الوالد للطفل والملاحظة والغزل، عكف غوفمان على اظهار تلك الملابس الطقوسية والمضخمة في حياتنا، بحيث يشغل مفهوم الانعكاسية المؤسساتية تلك الفروقات البيولوجية بين الرجال والنساء لتبرير التفاوت واللامساواة بينهم وجعل تلك الفروق مرئية، في حين تشير علاقة الوالد بالطفل الى طقس سيثبع جانب الرجال وتوقعات الاناث، تلك العلاقة بينه وبينها عود الى هذه لنقطة التي تتوقع

¹ ارفنغ غوفمان، المرجع السابق، ص23.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

منه الحماية والدعم وتكرس هذا الاتجاه كما سبق وذكرنا المرآوية وليس النسوية، ويتجه مفهوم الملاحظة والغزل أيضا الى بروز جانب التفاوت بين الجنسين والتي تلزم الرجال بالقيام بادوار معينة تجاه النساء، كما ضرب مثلا عن انزال القبعة، او كما كان يظهر عندنا الرجل امام المرأة في كل شيء يجسد ذلك الاحترام والحماية، هذه تقريبا كل الابعاد الثلاثية التي حاول ابرازها في كذا مؤلف وبالاخص الجندر والاشهار (Gender advertisements) الذي بين فيه مظاهر الطقسنة: " الانوثة، التلاعب التحفظ، الجلوس خلف الرجال، والاستعداد للخضوع والابتسامة، ووضع اليد على الفم (Flood-out) والاستجابة العاطفية (Emotional respon) والطفل والدمى..."¹.

ترتكز الابعاد الثلاثة على الاستعراض والسلوكيات وطقوس معينة لتوضيح ترسيم الانعكاس المؤسسي الجمعي بين الجنسين، وخلق تلك الفوارق في منظومة الهوية الجندرية عبر عدة مناسبات ومواقف ومافع اجتماعية يعاد تكرار هذا بين الاخ واخته، في المراحل العامة، في الحافلات واماكن الجلوس وحتى في العلاقة الحميمة وغيرها، فالجندر والسلوكيات اليومية المأسوسة والغير مأسوسة، لا يرجى بها الدفاع عن اطروحة البنية الكلية بقدر استعراض نفسها خلال التفاعل اليومي وطقوسه المعبرة عنه والتدخلات التي يثيرها الفاعلون الاجتماعيون ، يبرز من خلال ذلك التفريق بين الفئة الجنسية والطبقة الجنسية، ففئة الذكور لا تعني اللعب الخشن سلوكيا وحضوره بجسد الذكر بل هو محفز من داخل ذلك الجسد(العقد الضمني) بين الجنسين، لا تكون البيولوجيا اثرا في ذاتها كفئة جنسية بل ما يفعله بها هؤلاء الافراد المنتسبين اليها، ووقت التفاعل يميز لنا بين بعدين مهمين في السلوك الجندري: بين سلوك مأسس ومطقس وبين سلوك استعراضي استثنائي: "استخدم مصطلح الاداء كي اشير الى مجمل النشاط الذي يقوم به فرد من الافراد في فترة تتسم بوجود مستمر امام مجموعة معينة من المراقبين ، ويكون له شيء من التأثير على هؤلاء المراقبين... ، وعلى نحو عام وثابت ليعرف الوضع لأولئك الذين يراقبون الاداء والوجهة، اذا هي الادوات التعبيرية العيارية التي يستخدمها الفرد عن قصد او غير قصد..."¹.

¹ ERVING GOFFMAN. Gender advertisements.Op.cit.p57.

يقصد غوفمان ب(Flood-out) او (فيضان-خارج) بشكل حرفي تلك الاستجابة التي تحاول فيها الاناث تغطية فمها عند الابتسامة او الضحك كطقس.

¹ ارفع غوفمان، تقديم الذات في الحياة اليومية، ترجمة نادر ديب، دار معنى للنشر والتوزيع، ط1،(دون ذكر البلد)2021، ص39.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

يعتمد "غوفمان" مفهوم الشخصية والشخص أكثر من الفرد، وذلك إيمانه بدور تلك الاقنعة والتلاعب والخداع في انتظار عملية موافقة للجمهور وتوقعه الصحيح بفعله داخل حيز التفاعلات اليومية، لذلك يبرز أهمية الأعداد للواجهة التفاعلية: "يمكن ان نتخذ مصطلح الواجهة الشخصية للإشارة الى العناصر الأخرى في الأدوات التعبيرية، تلك العناصر التي تتطابق مطابقة وثيقة بينهما بين المؤدى نفسه... يبحث عن التوقع وقد ندرج الملابس، الجنس، العمر، الخصائص الانثوية، الحجم والنظرات هيئة الجسم، انماط الكلام، تعابير الوجه، ايماءات الجسد، والخصائص العرقية..."¹.

يبرز مفهوم الواجهة الشخصية أو الشخص ولذلك للاقترب من المساهمة الذاتية أكثر كون النظرية التفاعلية تركز على البعد الجزئي وليس الكلي في التفاعل والتواصل اليومي بين العابر والاني، كما ان كل سلوك يحتاج الى عتراف ليكون قابلا للاداء والتكرار والتفاهم حوله وبه، كما ان الاقنعة وطقوس تلك الواجهة المشخصة لا يعني ان الممثلين الاجتماعيين لا يستغرقون في تلك الادوار بل العكس، ما يقومون به ليس لاجل الواقع، بل هو منشا الواقع وبنائه، بين الأداء وزمنه ومنتهاه.

الأداء الجندري الانثوي مثلا في رمزية ارتداء العجار والحايك²، كانت بعض النساء المتزوجات بتيارات اذا كانوا داخل الولاية يحافظون عليه كونه مشاع بينهم ولو انتقلنا الى مدينة "سيدي بلعباس" يحدث العكس فينزعه كونه غير متعارف عليه يصبح هذا الاداء تمييزا بين الاستعراض والاستغراق أو التعمق والتجذر فيما نقوم به: "من المعروف ان الاشكال التفاعلية للمراقبة الاجتماعية عبر الاماكن العامة قد تكون غير ملائمة.. فالافراد يمكنهم التوصل تماما الى الاعتقاد بانه كذلك وينتج عن ذلك الاحساس بعدم الامان في الفضاء العمومي الا ان ما اريد دراسته هو العلاقة الخاصة التي تقيمها النساء مع تلك الظروف"³، ان الفعل او الاداء له وجه ما يؤمن به الشخص وما يتلقاه من الآخرين وعلى وجه التلاعب يشير الاول الى محمل الجد والثاني أهمية الانطباع أمام الغير: "لكي يغدو نشاط الفرد مهما للاخرين لا بد له ان يعي ذلك النشاط على نحو يعبر فيه اثناء التفاعل عما يرغب في اصاله، والحال ان الفعل المؤدى

¹ ارفغ غوفمان، تقديم الذات في الحياة اليومية ، ص41.

² ملحق صورة الحايك في الحرك وفرندة مع الامان ص461.

³ ارفغ غوفمان البناء الاجتماعي للهوية الجنسية، المرجع السابق، ص91.

قد يحتاج إلى أن يعبر عن قدراته المزعومة لا في اثناء التفاعل وحسب بل لانه يفعل ذلك أيضا من خلال لحظة التفاعل،...¹.

انها سلسلة من الاستعراض والتفاوض والتدخل بين حيثيات الاجزاء والكل بين المعيارية واللامعيارية بين القواعد والموارد يكون الاشخاص وسطاء مثالين فيها، يعبر غوفمان من خلال مؤلفه تقديم الذات في الحياة اليومية 1956م داخل حيزها المسرحي اليومي ليتعمق اكثر في بحثه اشهارات الجندر وتحليل الابعاد الرمزية التفاعلية للاداءات اليومية، اجد ايضا في تتابع البحوث السوسيولوجية وبالاخص تلك التي قدمها غيدنز لاستوعاب كلية التحولات والتغيرات خاصة تلك التي يقوم بها المهاجرون عبر السياحة والتنقل التي ولا بد ان تتخلها تلك التغيرات حول طقوس جندرتهم وفعالهم المؤدية الى اسلوب جندي دون الاخر (الخيارية):

" تؤكد نظرية التشكيل لاجتماعي على انه في الوقت الذي يكون فيه المجتمع خارجا بالنسبة لافراد والذي قام هذا المجتمع بتشكيلهم فان ابداعهم الذي يتم من خلال افعالهم هو الذي يعيد انتاج هذا المجتمع وهي الافعال التي تغير ذلك"².

لكي نفهم العدة الاصطلاحية لدى غيدنز ونقترب من فحوى مشروعه السوسيولوجي ونقارب في ذلك بينه وبين معطيات التحولات الجندرية للمهاجرين علينا الاقتراب من مفهومه للقواعد والموارد والبنائية وليس البنوية، والتدخلات والتاثيرات (Agency) تلكم هي الهيكلية بين: " القواعد العامة التي هي الاساليب الروتينية التي تشكل التفاعل اليومي وهي تتسم بالحركة ...، اما الموارد فهي ضمن الممكن اعادة انتاجه او تغييره عن طريق الفعل الانساني والموارد هي الوسائل التي بها يتم تعريف البنية المادية والبنية الاجتماعية للمجتمع..."³.

خلاصة:

ان عملية جندرة الهجرة ليست نسونتها ولا تذكرها هي كل هذا من العمليات المعقدة والمركبة للفاعلين الاجتماعيين وادوارهم بمواقعهم المعقدة وللمجتمعاتهم وثقافتهم يكون الاشخاص وسطاء اجتماعيين، ويكون المحمل على السياق الثقافي او الاجتماعي اكثر من الثقافة والمجتمع ككتلة جامدة بذاتها، التداخل بين الجزء والكل هذه العلاقة التوليفية التي تبرز اهمية معاشنا اليومية

¹ المرجع نفسه، ص 47.

² ميشيل تشيرتون وان براون، المرجع السابق، ص 326.

³ المرجع نفسه، ص ص ، 332، 333.

الباب الثاني: الهجرة والحياة اليومية أبعاد الممارسة والتجربة الجندرية

وتتسع الى لإمكانيات اخرى اكثر من المجتمع الواحد والشخص المفرد، وتنتفح على كمية من التدخلات والتأثيرات العابرة كما ضربنا لذلك مثالا سبق وان شرحناه عن مجتمع القهوة.

خاتمة:

ان الرؤية النفسية التحليلية مطلب حثيث ومهم في ادراك الشفرة الجنسانية والعمليات المؤسسة للهوية الجندرية فيما بعد والعلاقات الوالدية بين الابوة والامومة وامكانية مشاهدة نماذج وعلاقات اسرية خارج هذا المشهد الثنائي القديم.

تعبّر علاقة الهجرة والجندر الى ضرورة ابراز انظمة الانوثة وازمة الذكورة من خلال تلك الممارسات والاساليب التي يفصح فيها الجانبان عن ذكورات بالجمع وانوثات بالجمع نراعي فيه حجم الخروقات للمنظومة الجندرية الاولى، تبرز عملية جندرة فضاء الهجرة ان فعل الهجرة ليس فعلا معزولا دون تاثير بل فعل الهجرة اليوم اصبح ثقافة الهجرة، وجسد مجالات عدة واستند في ذلك الى تكتيكات واستراتيجيات الفاعلين الاجتماعيين، يكشف اليومي عبر الهجرة سلسلة التوريد والنقل لتلك الحمولات والاحتياطات الثقافية المحلية والكونية كلها منصهرة ومختلطة في شكل تواصل اكثر كيرولية ننتقل فيه من بعد وقطب واحد الى ابعاد مختلفة تعبّر المحلي الى الكوني والعكس فما هو التنوع الثقافي الدينامي؟ وما افق الهجرة من خلال هذا المنظور الحديث؟.

الباب الثالث

مقدمة:

الانسان المعاصر اليوم لا يعيش في مناطق معزولة، بل هو ضمن كثافة من الاتصال الثقافي ولا يمكن ان يكون خياله وفعله معزولين عن الكونية، هذا التشابك والتركييب يجعل من الهوية الثقافية مفهوما ضمن الثقافات والاجتماع الانساني، وعوالم اجتماعية متقاطعة، مشكّلة فسيفاء كونية قد لا تاخذ دوما منحى ايجابي او سلبي لكنها تتشكل بطريقة مختلفة، وما الهجرة إلا مجموع عمليات متداخلة بين الوحدة والتنوع بين الجمع والمفرد بين المفرد والمتعدد عبر سلسلة من التواصل الثقافي والسلوكية والاحتكاكات اليومية، والمحاكاة والمماثلة لتلك العلاقات بالوظائف الجماعية، لهذا بالضبط سيكون هذا الفصل بابا مفتوحا لرؤية افاق التنوع والتعدد وامكانية ومظاهر ونتائجه من خلال هجرات متقاطعة ومجتمعات مفتوحة على كل هذا الزخم المعلوماتي والمعرفي والثقافي والرهانات المرتبطة بمسالة الهجرة الدولية والعبارة للقوميات.

تمهيد:

ان صفة الفاعل التي اطلقها "غيدنز" باسم "الوكيل" لها معنى مختلف عن الفرد الفاعل وهي اقرب الى الذات، فلا توجد عقلانية او استقلالية تامة عن المجتمع في ممارسة الافعال كما لا يوجد رضوخ واستلاب كلي للابنية الاجتماعية (الموارد)، وما بين القواعد والموارد ابتكر غيدنز مفهوم الوكيل الاجتماعي او العون الاجتماعي الذي يقوم على التأثير: (Agency) يوضح غيدنز ثنائية البناء ليعكس الطريقة التي يؤثر بها الافراد في الابنية ويتأثرون بها مثل التنبؤات العوائق القدرة والتدخل التامل النقدي (الانعكاسية للتغذية الراجعة)¹

1- الهجرة من منظور كوني-محلي (Glocalization) أو في افق الكريولية (Creolisation)

"لقد اعتنت الدراسات السوسولوجية والانثروبولوجية الحديثة بالبعد الثالث المابعد-حدائي او في شكل الحدائة الفائقة، وهو جهد نظري وتفسيري يساعدنا على فهم العلاقة المتداخلة بين المحلي والكوني عبر ثلاثية الجندر والهجرة والتنوع الثقافي، فالجندر حسب التشكل البنائي لغيدنز هو: (Structural perspective) "... يعمل على صعيد البنية المصدرة (Micro) حيث يقوم بتشكيل التفاعلات بين الامكانيات والتوقعات لدى الاشخاص لكنه ايضا واحد من اشكال البنى الاجتماعية الاعم".² (Macro)

يلخص هذا العلاقة بين المعطيات القاعدية المعيارية وما بين الامكانيات والمقدرة للفاعلين في تأديته وتغيره، بمعنى جملة الاستفادة من الموارد المادية والاجتماعية واللغوية والثقافية والاجتماعية والكيفية التي نبتكرها لمجريات السلوكات اليومية، فالقدرة الطابعة لهذه الابنية تختلف من مجتمع لآخر، ومن منطقة الى اخرى، فهي ابعد من النظرة البنائية الوظيفية "لتالوكت بارسونز" عن المجتمع، فالفاعل الفردي الواحد هي هيكلية وتشكّلية وعابرة اليوم اكثر من ذي قبل تبرز اهمية البعد الدينامي.

من حيث التجارب اليومية والميدانية، أدركنا كيف ان تلك المسافات والابعاد متداخلة بين الكوني- المحلي عبر فعل الهجرة، بين "الاحتياط الثقافي" وفضاءات موسعة للتأدية الجندرية ومن خلال المجال الهجروي ذاته، نتعرف على المقدرة الفردية والجماعية في تغير ذواتها

¹ ميشيل تشيرتون و وان براون، المرجع السابق، ص335.

² عزة شرارة بيضون، الجندر ماذا نقول؟ الشائع والواقع في احوال النساء، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2012، ص 77.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

والتدخل في تغيير وجه تلك المجتمعات التي تستقبلها او حتى بعد العودة من هذه التجربة لتصديرها مرة اخرى.

يسعى المهاجرون الى الاقتصاد في بعض الموارد وتوليد قواعد سلوكية تخصهم في حركة نقلهم وتعارفهم ما بين الثقافات واحراز نسق اجتماعي وثقافي جديد يخصهم بين ابعاد اثنية وعرقية توحى بأهمية التجانس والاختلاط والهجنة، اكثر من تلك الرؤية المنقسمة ما بين محلي خالص أو كوني محض.

تشير الدراسات حول المجتمع المحلي وتداعيات العولمة بأخذ البحوث المتداخلة والقضايا المتشابكة بين رؤية محلية مستوطنة و هيمنة عالمية معولمة، فلقد سعى علماء الاجتماع وعلى راسهم رونالد روبرستون (ROLAND RBERSTON) في ثمانينات القرن الماضي من جامعة هارفارد إلى معالجة هذا التداخل :حاول حينها على مبدا انهيار الثنائيات مثل العالمية والمحلية الخاصة من خلال مصطلح (Glocalisation)الذي يقال انه اكتشف من اليابانية (Docha kuka)وهي مبدأ تكيف تقنيات الزراعة مع الظروف المحلية¹.

يعتبر مصطلح (Glocalization) اشارة واضحةلالاهمية المتزايدة للمستويات القارية والعالمية تحدث جنبا الى جنب زيادة بروز المستويات المحلية والاقليمية، تظهر الميول من التجانس والمركزية، نحو اتجاه عدم التجانس واللامركزية" يواكيم بلاتر"، يشير مصطلح المحلي-كوني الى التأثير المتكيف والمتوازن لتوزيع السلطة والاستفادة منها على الوجه السياسي والثقافي والاجتماعي، لان الطبيعة القطبية الثنائية بين المحلي-الكوني منفصلان دائما على طبيعة صراعية يحاول كل طرف منهم الانتصار لمركزيته على الاخر.

لقد حاولت ايضا الدراسات الانثروبولوجية الاولى التركيز على الثقافات المحلية وطبيعتها في بوتقة الحضاري والكوني للرجل الابيض، ثم انتقل العمل الانثروبولوجي لبلدان نفسها الى استقرار محليتها ومحاولة الدمج بين ما تركه المخاطب عنها، ذلك الاخر الات من مكان بعيد حاملا تحولات جذرية على المستوى الابنية الثقافية والاجتماعية وهي اليوم تحاول -هنا وهذه المجتمعات- عبر النخب العلمية والاكاديمية اقلمة وتوظيف محلية الدراسات لكن يبدو ان الاشكال تظل دائما بين المحلية (Localism)ودراسة المحلي.(Localisation)

ان النزعة المحلية تفوق وانغلاق على الذات على عكس المحلي،إن المنطق العبر ثقافي والتداخل والتواصل هو الذي يحكم علاقتنا الاجتماعية وسيولتها (السوق الثقافي الكوني)،

¹Loc.cit.what is glocalisation in sociology. <https://www.thehindu.com/> AT18/04/2017-Revision time-2021-02-03

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

"عرف ستوكر (2007) المحلية الجديدة على انها استراتيجية تهدف الى نقل السلطة والموارد بعيدا عن المركزية...ضمن اطار متفق عليه للمعايير المحلية...بالنسبة لمورفين(2004) فهي سلسلة لتحسين المسائلة الديمقراطية وتقويض محلي وانتاج مقاربات مشتركة¹."

يشير الفارق بين المحلي والمحلية في علاقة الاولى بالطبيعة التشابكية والمتضافرة فيما بينها، في حين النزعة المحلية كنزعة تعدي لاوسع لكافة الابعاد الاقتصادية من العالمي الى المحلي وهذا ما يراه كل من هانيز(2000) وشومان(2000) في لعب دور العولمة اتجاهها لصالح المحلي في عملية توطين واقلمة لكافة الابعاد وطبعا هناك اوجه من التداخل بين المحلي والمحلية وتفاعلا، فان تمتع السكان المحليون بقدر اكبر من السيطرة على مواردهم واصولهم وصناعة القرار المحلي والملكية المجتمعية في ذلك من ابرز نقاط التشارك.

ناتي الان الى فهم العملية والعلاقة بين الكونية والعولمة (Cosmopolitanism-Globalisation) اذا كانت المحلية والمحلي نزعتان، فإن الكونية أوالعولمة ايضا نزعتان وتاثيرت الثقافة كثيرا بهذا المشهد في تشكلها وتحورها: استخدمت كلمة الكونية (Kosmopolitos)والتي هي مشتقة من اليونانية لوصف مجموعة واسعة من وجهات النظر الهامة في الفلسفة الاخلاقية والاجتماعية والسياسية، الجوهر الذي تشترك فيه جميع الاراء العالمية بغض النظر عن انتمائاتهم، مواطنون في مجتمع واحد، وانكار الالتزامات خاصة تجاه اشكال المحلية².

ان طموح الكونية هو الغاء للخصوصية، تكون الهويات المراد تحقيقها اكثر مواطنة ، في حين تسعى العولمة الى اهداف اخرى بالرغم من الحدود ولغة الحمائية والاختلافات الكبيرة:

"(1990.wriston.1997.creider.1995.guéhemo.1990.alman.Julius).يكتبون عن بزوغ اقتصاد مالي متكامل مع التركيز على الاسواق المفتوحة وانهايار الحدود القومية...وحراك راسمال المعلومات والبشر والمعاملات العالمية والاهمية المتزايدة لمؤسسات متعددة الجنسيات والمؤسسات العابرة للحدود والقوميات الى جنب المضامين الثقافية العميقة"³، اذا كانت الكوزموبيتالية تلغي الخصوصية وتسعى الى المشترك الانساني، فإن العولمة هدفها الغاء جميع المركزية قابلة للتوجيه(النظام العالمي الجديد).

¹ FRED PEARCE.localism-or-localisation-defining-our-terms www.transitionculture.org/2010/07/30/ /30 Jul 2010 revision time.2021.02.01.11.01am

² ERIC BROUN.POULINE KLEINGEHD. Cosmopolitanism.www.ploto.stanford.edu.revision time oct.17.2009.at2022.02.02

³ بول هوير، المرجع السابق، ص11.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

من الواضح جدا كتلة الرأس مال الكلي إلى أين تتجه وتتراكم، فالعلاقة بين الحدود المحلية والكونية الخصوصية والعالمية، تبدو اكثر وضوحا لما تعالج من ظواهر شتى من التفاعل والتبادل الثقافي، المتكافئ والغير متكافئ، المتجانس والغير متجانس، تحت اطر قومية اقليمية دينية صناعية سياسية اقتصادية ثقافية بالعموم:" ذلك ان الافراد والجماعات والمجتمعات سيكون لها ثقافتها وتواريخها التي حتما تشكل طبيعة تفاعلها مع الجوانب المختلفة للعولمة وتعمل على توليد استجابات متنوعة"¹.

ان العلاقة بين المحلي عبر مرجعياته الثقافية والاجتماعية للافراد والجماعات و العولمة الثقافي بالية الاكتساح، تجعل طبيعة الاستجابات مليئة بالصراع والنزاع، وتبتعد بنا عن حقيقة التكوين الثقافي وطبيعة الثقافة نفسها التي منشاها الحقيقي التعارف والتلاقح والتداخل العابر والبيني بين القريب والبعيد، فسمه الصراع تاخذ مناحي اخرى، والثقافة كما عبر عالم الانثروبولوجيا الحضرية السويدي(.ULF HANNERS1996):" انه يصور بدقة التنوع الثقافي والتعدد وامتزاج اللغات والابتكارات باعتبارها توجيهات مستمرة على نحو اوسع، اذا كانت عمليات التعولم تولد قدرا كبيرا من المغايرة او اللاتجانس داخل الثقافات كما يدعي منظروا الهجنة فان ذلك يضع كل المجالات المعرفية امام تحديات تحليلية واضحة"².

تسعى الدراسات الثقافية الحضرية والهجرية الى اعتماد مفهوم ثقافي اكثر مرونة يعنى بالحركات الثقافية النشطة بالابعاد المتعددة وبالخرجات الثقافية المتنوعة، وذلك من خلال ما ابرزته الانثروبولوجيا الثقافية والاجتماعية المعاصرة على يد هانيرز السويدي واريكسون(ERIKSEN) النرويجي وويلسون(WILSON) وفاغنر(ROY WAGNER):" فإن الثقافات دائمة التغير وبعاد تخلفها كجزء من عملية مستمرة، فإن الثقافات تغذيها مؤثرات داخلية عدة...كذلك تتشكل بفعل قوى خارجية وبالتالي فهي ليست كيانات متجانسة او منفردة او محددة بل انها بالاحرى تقوم بعملية مراكمة وتاخذ عن تقاليد اخرى اشكال الهجرة العالمية"³.

وتذهب تلك المساهمات السوسيولوجية والانثروبولوجية إلى مراعاة الثقافة بطريقة مختلفة وتراعي فيه المساهمات المحلية والكونية، الثابتة والعبارة، كما انها تتجه في ذات الخط التي توصلت اليه الاثوغرافية الامريكة المعاصرة لجيمس "كليفورد وماركيوز" لحركية الثقافة، هذه

¹ بول هوير، المرجع السابق ، ص 11.

² المرجع نفسه، ص - ص، 60،59.

³ المرجع نفسه ، ص - ص 60،61.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

العملية التي حولت الثقافة الى اسلوب حياة لمعيش يومي غير مستقر وضمن تدفقات غير منتهية تكون الهويات فيه ابعد عن التحقق وقريبة من الذوبان ويصبح الاله الثقافة كاسلوب حياة: " لا بد للنظر الى الاماكن باعتبارها مواقع للقاء مواقع اقامة وسفر بالاضافة الى ان مفهوم الثقافة باعتبارها سفرا ينطبق ... على تدفقات الصور والافكار والاصوات والرموز والاشياء التي تجوب الكرة الارضية عابرة للحدود القومية جيئة وذهابا... ان الثقافات في حالة حركة قد تطورت لتصبح طريقة مفيدة للتفكير (روجيك واورى (ROJEK AND URRY)"¹.

اصبحت الحدود وهمية وغير مفيدة، خاصة لخروقات الفاعلين فيها بثقافتهم وادوارهم واستراتيجياتهم، هؤلاء الفاعلين افراد وجماعات ومؤسسات اجتماعية وقوانين وسياسات، فالصورة نسبية للوطن وتحولت وابتغت سبلا من التواصل والاشراك الفردي والجمعي، تصبح الثقافات بالجمع، لا بالمنفرد، واسلوب حياة ووسيلة، وليست مجرد غاية، يعتبر الممثلون والفاعلون الاجتماعيون ذلك مفيدا لتغطية اساليب حياتهم المختلفة للتعايش والمرور بسهولة في الحياة اليومية، مفعلين قدرة الانسان على الاختيار ضمن سياقات مختلفة، خاصة تلك التي يشكلها المهاجرون من خلال تجاربهم: "الترايط العميق والمشاركة بين اعضاء المجتمعات المختلفة لا يعني نهاية الهويات الدينية والاثنية، على العكس يمكن انحصار او تراجع التجمعات المحلية القائمة على الاشتراك في عقيدة معينة... يمكن ان يؤدي الى انبعاث جماعات دينية مختلفة...وهنا نجد ان الهوية لا تؤسس على مجرد الاشتراك في نبرات تعاونية...ولكنها تؤسس علاقات متخيلة يقيمها الناس عن بعد دون مواجهة"².

ان النزعة الكونية والحياة اليومية، للشعوب والثقافات المحلية والفرعية المتداخلة، عبر فضاءات متعددة وعلاقات اكثر احتكاما بشكل يومي، تمس جوانب عدة من ابسط اشكال "الانا" و"الاخر" الى "النحن" و"الهم"، وتكون هذه الحدود مجرد متخيل في ظل عالم معلوم، يملك كل منا عوالمه الخاصة ويسافر من مكانه، ويزوره العالم كله في بيته، لذلك حقيقة نحن كلنا مهاجرون نفعل فقط اساليب سياسية للتفكير في الحياة بشكل اسرع ومرن: "ان العلاقات الكونية اليومية قد لاتسير في الغالب على نفس النمط من الافكار الفلسفية المجردة...وان كانت على درجة كبيرة

² بول هوير، المرجع السابق، ص 61.

² آصف بيات، الحياة سياسة، كيف يغير بسطاء الناس الشرق الاوسط، ت: احمد زايد، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014، ص 379.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

من الأهمية، يشكل الرجال والنساء العاديون من خلالها عوالم مشتركة ومختلفة ويحاولون ان يعيشوا ويتربطوا ويتفاعلوا سويا على مستوى الحياة اليومية¹.

إن الحركة الدينامكية للأمكنة تدعم اللغة الجماعية والكونية المتعددة والمختلفة والمختلطة ويكون الواقع غير جاهز بل هو قابل للبناء وإعادة البناء معتمدة على المقدرة الخيالية والمخيلية وتكون الاشكال الاجتماعية ومضامينها الثقافية ابعدها من حيزها الجغرافي مترامية الاطراف هنا وهناك وما الهجرة الى احد تعابير هذا التأثير، يكاد يكون حريا بنا حننا الاعتناء بالثقافة كابعاد ومنتج تواصلية يدعم الاسس المتنوعة والتعددية في تشكيلها.

إن البيئة الحضرية اليوم عبر ما نشهده في المدن العالمية الكبرى تشهد ذلك التشظي والتفكك والفوضى، فالمهاجر الذي اختار برلين كمدينة كوزموبوليتية يكون امام كم هائل من الاختلافات الايديولوجية والعرقية والاثنية من شرق المانيا الى غربها ومن شمالها الى جنوبها. تكون التجمعات السكانية تدمج المهاجرين وغير المهاجرين الاغنياء والفقراء، غيري الجنس ومتعددي العلاقات الجنسية، المؤمن والملحد في تفاعلات مكثفة، لا تبقي للانتماء اي تأثير: "الديناميات الاكثر حساسية في التفاعلات المجتمعية...والطرق التي تتفاعل بها مع بعضها البعض او الهويات التي تندمج وتختلف في الوقت نفسه في المشاركة في عوالم حياتية متصلة تخبرنا بلحظات العيش المكاني"².

ان العمليات الدينامية للتنوع الثقافي والاختلافات الثقافية للسياقات المتعددة التي تنظم افعالنا وتعيد تركيب منظومات افعالنا المتوقعة وغير متوقعة هي على توافق مع النزعة الكونية، كما انها لا تعني بذلك تعددية، بل تعددي، فالاولى حركة توزع الفرص على حسب درجة التأثير وتسمح بمرور الاجزاء والكليات، لكن التعددي منتج لممارسات ثقافية غير خالصة على وجه التحديد كما سماها آصف بيات في مؤلفه الحياة سياسة.

أ: الهجرة وتوزيع الثقافات المحلية وتنشيط الممارسات التكاملية.

الهجرة عملية نقل ثقافي وصهر في آن واحد، يكون المرشحون لذلك مستدعين عبر الشخصي والمحلي، الى اشخاص ومحليات اخرى ترسم في الاخير صورة تكاملية مختلطة، يسعى كل طرف الى تكييف استراتيجياته وخطته ليصبح ذلك الخليط تعبيراً على تداخل المحلي ضمن سيرونة كونية اي علاقة محلي-كوني(Glocalisation) يوضح كل من ريتشارد و

¹ آصف بيات، المرجع السابق، ص 377.

² المرجع نفسه، ص 391.

روبيستون (R.CIULIANOTTI AND.R.RBERTSON) في دراسة مهمة حول المحلية والكونية من منظور الهجرة لأولئك المهاجرين الاسكتلنديين المشجعين لفريقهم الرياضي بامريكا وكندا: " نحن ناخذ بعين الاعتبار النقل الثقافي لهويات مؤيدي فريق شركة (Old firm) في امريكا الشمالية ، نفحص كيف يعيد انصار الفريق من المهاجرين تضييف الاخرين وتكون عمليات الاستتساخ الثقافي طويلة الامد في غرس الثقافات المحلية وتنشيط التهجين، تكون العلاقة بين المجتمع والجماعة بذات العلاقة بين المركز واللامركز (Gemeinschaftlich.Gesellschaftlich)"¹.

هذه من بين الدراسات المميزة التي عنيت بتلك العلاقة الاجتماعية والثقافية العابرة للمحليات، يحاول من خلالها ابراز روابط المقربين وتجميعها وبنها في المهجر يكون التجميع والبت استدعاء من خارج اصوار المحلية ونشرها من جديد، هذا التمرير يوضح كيف تكون العملية المحلية-الكونية تظهر لظاهرة الهجرة وافرازتها من خلال دور الفاعلين عبرها المعتمدين على قيم التواصل،: " يصبح الضغط العولمي والقومية المبتذلة(ببيليج 1995) اكثر فائدة في وصف كيف تحاط الجماعات الاجتماعية باستمرار بدلالات يومية للاختلاف العرقي والثقافي الاكثر عمومية كما هو الحال في الطعام واللغة والجنس والفئات الشعبية وبالتالي استفزاز الاستجابة للتنوع كما يمكن ان يولد انعكاسية"².

وضحت هذه الدراسة اهمية العلاقة بين اعادة تموقع المهاجرين وتصنيف الاخرين عبر السياقات الثقافية المختلفة، كما وضحت هجرة الاسكتلنديين الى امريكا الشمالية، مبينة كيف اعاد المهاجرين صياغة هوياتهم العرقية والادوار وادائاتهم المختلفة التي يمثلونها هنا وهناك بين مجموعتين (OLD firm) (Nasc)، فكما ان الهجرة تستلزم علاقات اكثر ودية مع بعضهم وفي ذات الوقت تمتاز بالتنافس وانشاء هويات مستقبلية تحت ظل (Glocal): "يشمل (Glocalization) ايضا البناء او اختراع التقاليد المحلية كاشكال الخصوصية تحت تعبير ان هذه العملية مماثلة لمفاهيم اختراع الثقافة، اختراع التقاليد، ابتكار المتخيل"³.

نقترب الان من طبيعة الهجرة من هذا المنظور الحديث عبر العمليات الدقيقة والكبيرة في توليد الاربطة واعادة صياغتها اجتماعيا في امكنة مختلفة، بحيث تلغي تلك الشروط والحتميات

¹ R.CIULIANOTTI AND. R.RBERTSON.Glocalization.globalization and migration .international sociology.vol 21n02.02006.p 172.

² ibid.p186.

³ibid.p171.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الثقافية الاولى وتعتبر عن منجر هوياتي وسلوكي مختلف، يستطيع المهاجرون رسم خطاطة خاصة بهم في الواقع، ما بين الامتداد والقطيعة والاتصال والفصل مبرزين عبر التواصل انماطاً جديدة في ظل توفر هذا التمازج بين المحلي والكوني: "العلاقة بين العالمية والمحلية هي سبب احياء هويات ثقافية محلية في اجزاء مختلفة من العالم، فنحن نحاول ان نرى المحلية نفسها تشكلت عالمياً وقد اضاف جورج ريتزر معنى اخر فائض الحاجة الى العولمة في اشارة الى النمو"¹.

يعتبر "ريتزر" على ان العولمة لا معنى لها الا ان العلاقة المتداخلة بين المحلي والكوني هي الاساس في طرق التهجين وبث الاختلافات الثقافية والتنوع اكثر، ان الكونية والمحلية هي ضم لجزيئين او اكثر كما يمكن للانسان قبول احدهما او كلاهما في سياق عالمي: "ان العديد من الثقافات الاخرى والظواهر العالمية ليست موجودة بمكان معين في نفس الوقت فانه يمكن القول ان العولمة الثقافية والكونية والمحلية تحققت من خلال الشركاء الاجتماعيين في انتاج معنى مشترك تتناسب فيه عوالم مختلفة على نطاق واسع من منظور استكشافي تكميلي، او التوسط بين الثقافات المحلية المختلفة"².

ان ممارسات المهاجرين عبر الهجرة مثال واضح لعلاقة البعد المحلي والكوني وعبر التفاعلات ضمن حشود مختلفة، حيث يكون التفاعل بين المنظومات المهيبة وانظمة الفعل عبر شبكات محلية وكونية هذا النوع او النموذج التواصلي ليس عالمياً بالكامل ولا محلياً بالمطلق فهم منخرطون في شبكات اجتماعية تواصلية مع بعضهم البعض، فحياتهم كما عبر اريكسون ليست عالمية بالكامل ولا محلية بالكامل، ليست موطناً اصلياً او تابعاً، هي مزيج بين موقع الانطلاق ومكان الوصول ولا نقول هذا الا استعارة للتوضيح فالامر اعرق دلالة الكوني- المحلي، "الهوية الثقافية هي قضية رئيسة بين العديد من المهاجرين او الشتات من الداخل والخارج والاقليات او من خلال مناشدة الحقوق الفرية والتغير والاختيار التي وصفها غيدنز بانها مجتمعات ما بعد تقليدية، التقاليد لا تفعل ذلك ولكن يتم اختيارها بوعي ذاتي كبدايل"³.

يشير "اريكسون" بذات المنحى تقريبا الذي اقره زميله "هانيرز" عن الهوية الثقافية المعولمة والكيفية التي تكون فيها الجماعات متطابقة ثقافياً، وبالرغم من اشكالها التقليدية، الا انها تولد

¹ HABIBUL HAQUE.KHONDKER.Globalization as globalization evolution of sociological concept. Bangladesh e-journal of sociology.vol.1n02.july2004.

² THOMAS HULLAND. E.Small places.large Issues an introduction to social and cultural anthropology.second edition.ploto press london.2001.p300.

³ THOMAS HULLAND .E.Small places.Op.cit.p303.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

وتتمو انواع جديدة ومختلفة، عبر مسار كوني ومحلي ذهابا وايابا، يصبح الافراد بشبكاتهم الاجتماعية العابرة تعبيراً عن فضاء ديناميكي للتنوع الثقافي عوض الزي الموحد ثقافياً. قد تكون مثلاً بعض الممارسات والعلاقات او الحنين دلالة واضحة على تملك اللقطات المكانية والزمانية المترامية على سياقات ثقافية مختلفة، الحالة النشطة التي يتشكل الثقافي والاجتماعي بهم وعبرهم:" يكون التنشيط الجنسي بين المهاجرين، الجنس، الشعور بالاغتراب، اعادة غرس الشعور بالاستمرارية مع الماضي والامن الوجودي والامن الشخصي...الا ان التنشيط يمثل نوعاً وجهاً من العملية فقط، من الواضح ان العمليات التي تلهم في بعض الاحيان التنشيط ولكنها تؤدي ايضاً الى العكس عدم اليقين والتناقض..."¹.

يصبح الناس جزءاً لا يتجزأ من الشبكات الاجتماعية المتغيرة بسرعة وفي شكل سيولة ثقافية كما عبر "باومان" لا غية اليقين الاجتماعي وتعزز اللائقين، وهو الشرعية الوحيدة او كما شهدنا في اطروحة "بادوري" عن التدفق الثقافي، كل هذا ينسجم مع اهمية التنوع الثقافي في توسيع افاقنا ومقاربة قيمنا ومعتقداتنا وانماط حياتنا المختلفة:"يسمح لنا بالمشاركة في الحوار ويساهم في مزيد من خلق المعتقدات وقيم عالمية ولغة جماعية للمواطنة... .. وطبعاً هناك فرق بين التنوع الثقافي الديناميكي والتعددية الثقافية، فالتعددية الثقافية تنزع باسم التسامح والاحترام والاعتراف الى نزع الصفات الذاتية لكل ثقافة وترى نفسها على تضاد مع الكونية كما اوضح ذلك عالمي الانثروبولوجيا تيرنس ترورنر ومالك كنان (KENAN MALIK.TURNER1993)"².

إن العلاقات الاجتماعية والسياقات الثقافية تكشف عن الطرق والاساليب التي تتوسط الابعاد كلها بشكل نشط وينتج الناس من خلالها تصوراتهم ويبرزون ذواتهم على المدى المتكافئ والغير متكافئ، فالهجرة بوتقة الانبعاث والتجليات من مختلف الازمنة والامكنة.

ب الثقافة المحلية-الكونية

إن التنوع الثقافي ليس مجرد فصوص متناثرة بل هو تجسيد عملي وضم لمختلف الانسجة وتفرعها تجعل الافراد كما المجتمعات دوماً في حالة من الحيوية، لذلك ومن خلال ما سبق ندرك الهجرة الدولية والعابرة للقوميات لا يمكن الزج بها في الصراعات الازدواجية بل هي اقرب من وجهة نظر التحليل الى تبني مقول (Glocalization) والكربولية هذه الأخيرة ليست

¹THOMAS HULLAND .E.Small places.Op. p304.

² THOMAS HULLAND .E. Engaging anthropology the case for public presence.bery editorial offices.first published. Oxford uk.2006. p 44.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ترف فكري او ثقافي بل حقيقة اجتماعية وثقافية معاصرة:" التنوع الثقافي في زماننا الحالي نجده في المكان الواحد والشخص الواحد وليس فقط في المجتمعات والاماكن المختلفة، الفرد الواحد يمكن أن تتعدد بداخله الثقافات واذا اردنا على وجه الدقة نقول ان الشخص الواحد يمكن كرولتة(Creolization) بمعنى يكتسب اكثر من ثقافة واحدة"¹.

تصبح المضامين الثقافية والاشكال الاجتماعية والافراد لديها تلك القدرة على التبرعم بسرعة، واحتواء جملة من الاختلافات، تشبه في ذلك ايضا عمل النحلة المتنقلة من الف زهرة وبتلة انها لا تعترف بالاتجاهات والامكنة كثيرا الا بمنتج ممزوج في الاخير، يكون المهاجرون بهذه الحال مع تلك التجربة من القطيعة والالتصاق من هنا والى هناك، يحمل المهاجرون جوازا سفر او اي شيء يثبتهم الى انتماء ما لكن عبورهم اقوى واختراقهم اوسع للمجالات والحدود يكون المشهد بينيا ثقافيا:" بالتوازن مع هذا التطور فإننا جميعا نحاول البحث عن منطقة بينيةInterface تتعايش وتتداخل وتختلط الثقافات ويسهل التواصل ونحاول البحث عن لغة مشتركة يمكن استخدامها للتعبير عن التشابه والاختلاف في حقول التواصل العالمي"².

إن مصطلح الكريولية صحيح منشأه امريكا الجنوبية ومبحث لغوي يدل على تلك الحالة التي ولد بها الأمريكي بالجنوب بالقرب من المنطقة المتحدثة الإسبانية³، إلا أنها تقر وتكشف عن حقيقة ثقافية ولغوية وسلوكية لإدراك البعد البيئي في تشكيل كل هذا:" كلمة كريولية اذ يصاحبها احساس غير مريح وغير مبهج عندما نبني تفكيرنا على الاعتقاد بأن اللاستقرار الثقافي هو الحالة الطبيعية، و أن الإضطراب والتغير هو الذي يجب تجنبه، ولكن وقتنا الحاضر وأكثر من أي وقت مضى هو أن الجوانب الثقافية هي التي تتأثر، وبالتالي فإن الدينامكية أو الحركة والتغير هو الوضع الطبيعي والمتوقع بالتأكيد"⁴.

نتعمق اكثر في اختيار دينامكية التنوع الثقافي عبر تتبع ظاهرة الثقافة نفسها، و من خلال الهجرة والتشكلات الاجتماعية، مركزين على اتجاه التنوع بين المحلي-الكونية والكريولية في أفقها الأوسع المفسرة لكل حلقات التوقع ومواقع الإنسان المعقدة، فهي ليست أبنية مسبقة ولا

¹ توماس هيلاند اريكسون، مفترق طرق الثقافات، المرجع السابق، ص 341.

² المرجع نفسه، ص 342.

³ تم توثيق كلمة كريولية لأول مرة باللغة الإسبانية عام 1590 بمعن ولد اسباني في العالم الجديد، في السبعينيات من القرن الماضي، استخدمه اللغويون للإشارة إلى الإصال اللغوي بطرق متنوعة من قبل علماء الانثروبولوجيا وعلماء الاثنوغرافيا، الذين يعملون على التكيف المتعدد ثقافيا في مجموعة واسعة من السياقات. للمزيد اطلع على www.oxford.com

⁴ توماس اريكسون، المرجع نفسه، ص 50.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

نقاط ارتكاز واضحة وثابتة، يدفع خيار الكريولية إلى الإبتعاد عن الوصف السلبي للهجرة وادراك حقيقة ما يحدث فعليا، إن الهجرة والهوية هي تعبير عن التجوال والترحال والتحويلات وبحث عن شروط الإمكان دوما وتحققها على أرضية الواقع.

الهجرة والتنوع الثقافي علاقة دينامية من التفاعل والتبادل والامتزاج وينشأ عبر هذ حقول متنوعة للتواصل وتفضي في الأخير الى حيوية الحياة اليومية نفسها والذي نشهده هو مشكلة ادراك هذا وعدم الاعتراف بها إما تخوفا أو إيمانا متصلبا بهويات متوقعة لا تريد رؤية ما يحدث فعليا.

"لا يوجد مجتمع في العالم، كما ان افراده شعبا مرجانية، فحسب القديم يموت ويحل محله الجديد او يتفاعل بأسلوب المجال الكهربى كافراد تتبادل التأثير...اسلوب التفكير المبني على الشعب المرجانية...يصبح الوافدون للنرويج يمثلون دائما بالنسبة لنا الاخر، ولما لا وهم قد انفصلوا عن اماكن هي اصلا موطنهم الاصلي...وفي كثير من المواقف سوف نكتشف ان المشترك بيننا وبين مهاجر مسلم اكثر مما نجده عند جارنا النرويجي"¹.

يشير "إريكسون" إلى زاوية مهمة من خلال تجربة مجتمعه النرويجي مع المهاجرين المسلمين وفي استعارة الشعب المرجانية تلك، وهو يقر ان المشترك والمرغوب في معرفته ما بين النرويجيين والمسلمين صار اكثر فيما بينهم، ان التواصل ما بين الجموع والافراد عبر ثقافات مختلفة ومن خلال الهجرة يوحي بأننا لا نقدم أنفسنا في لحظة بأننا مزهوون بإمتلاك جسد ولغة وهوية وأوراق ثبوتية، بل لا يكون لذلك معنى دون اشراك غيرنا فيه، وتعريفهم عنها وتعرفنا إليهم، وهذا ما يسعى اليه المهاجرون بعيدين عن الترددات القطبية التبادلية الكهربائية قريبين من نمو شعب ثقافية، بفضل حركة حديثة تصبح مسألة الهوية ضمن ابعاد هويات وثقافات أخرى تتشكل بالمشابهة والإختلاف:" فالهوية تولد وتنمو فقط عندما يوجد آخرون في المقابل سواء كان ذلك الاخر يختلف عنا في العمر او لون البشرة او اللغة او الدين او اي شئ لكن هناك هوية يمكن ايجادها(الدولة) وهوية يمكن بقاؤها خاصة وفردية...هناك هويات تعزل الهويات الاخرى وتضع حولها سياجا مثلما تفعل الديانات والقوميات في كثير من الأحيان"².

ربما يكون مفهوم الكريولية غامضا أو لا يعترف بالتمايز والتناقض والصراعات والحدود، أو مقلق للمتمسكين بهوياتهم التقليدية والمتخوفيين من التغيير، بالعكس، فما تثبته حركات الهجرة هو جزء يسير من تغيير المشهد الثقافي ككل، فالصراع والتنافس المفضي إلى النزاع يعني

¹ توماس اريكسون، المرجع السابق ، ص37.

² المرجع نفسه ، ص ص ، 53،54.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

غياب الكفاية الإدراكية لأهمية التنوع كمصدر حيوي للحياة نفسها، الصراع مركزه الأنا، هاته التي تدافع بشراسة عن حدودها، وتريد دوما إبقاء أعينها هناك، الصراع هو رؤية الحدود وتقنينها مع الآخر في كل مرة، للاستغلال السلطوي وليس التفاهم على توزيع معين، الصراع والنزاع يجعلنا دوما نغض الطرف عن الخطوط الطويلة والعريضة المتداخلة في تكوين جيناتنا وبنيتنا الالسنية وانعكسات شتى الأبعاد، اذا لا وجود لجوهر نقي، فالهجرة حركة دائمة تتخطى الحدود وتمرين على العيش المشترك،: "إن الفرق بين أسلوب "هذا" أو "ذاك" وأسلوب "هذا" و"ذاك" فرق أساسي ومهم من حيث أسلوب هذا أو ذاك، يخلق تباينا حادا، بينما أسلوب هذا وذاك يخلق منطقة رمادية لهذا الانتقال التدريجي الناعم..."¹.

هذه الطريقة تدعى **كيتا وكامي**² هذا أو ذاك او هذا وذاك الاولى "كيتا" والثاني "كامي" ويمكن اعتبارهما بـ "نحن" وهذا نقلا عن اللغة الاندونسية ودراسة تمت تعالج تلك العلاقة التواصلية والانفصالية، يمكن اعتبار اتجاه من يرى الهجرة مشكلة ودور المهاجرين المازوم على انه يعتبر العلاقة قائمة بين هذا او ذاك بينما يتجه الاتجاه الثاني المرن وذو تغير تدريجي ناعم على علاقة بين هذا وذاك.

ان تجربة المهاجرين في المانيا تضم خبرات مختلفة ووضعيات مختلفة فاذا كانت تركيا وهي الجالية الاكبر بالمانيا تفرض على ابنائها عدم الازدواجية الجنسية فان الجزائريين يتمتعون بالجنسية المزدوجة، هذه العلاقة تسهل علينا الجمع بين الجنسيين في بلد مثل فرنسا في حين ان الاتراك ليسوا اقل كفاءة في التكيف بالمانيا وانما هذا قانون للبلدين يرفض ازدواجية الجنسية، الفصل شكل دوما نقطة رجوع وعودة اكثر من تشكيل مساحة رمادية وقد يكون الجزائريين الذي يتخلون عن جنسيتهم الأولى وأدوارهم في الجنسية الالمانية قلة فلذلك مهما طاللت المدة يلجؤون الى بلد يعترف بازواجية الجنسية كفرنسا.

العالم اليوم ليس بتلك الرؤية المتناظرة (Analoge) لذلك عنون اريكسون مؤلفه بمفترق الطرق (Cultural rood cross)، كمهة ثقافية مستعجلة لما يحدث حقيقة بعيدة عن صراع الاقطاب، ان البحوث الانثربولوجية المعاصرة، سواء فيما قدمه اولف هانرز حول القضايا العابرة (Trans- national families) والانثروبولوجيا الحضرية او فيما سبق لدى "ارجون ابادوري" في التدفق الثقافي من حيزها الاقليمي (Geography post territorial) تماما كما

¹ توماس اريكسون، المرجع السابق، ص55.

² برتران تراودك، علم النفس الثقافي، المرجع السابق، ص120.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

اشار "زيخمونت باومان" او معالجة "غيدنر" للنسبية الحيز الاجتماعي (Space relativising) او العيش المؤقت كما دعتة (ANH NYGA LONGNA).

إن على أي أساس يتم التواصل؟ ووفق أي منظور؟ وما الذي ترمي اليه هذه الجهود؟ ان كل هذا تأكيد على تجاوز القطبية التقليدية اولا، ثم من الضروري الاقتناع ان الثقافة اليوم هي تواصل واسلوب حياة وطريقة عيش وتفكير تنزع الى التغيير عبر تقوية مصادر التنوع والاختلاف وشحن الهمة المعرفية اتجاه التحولات المجتمعية الحاصلة وتغيير مفردات الفرد والمجتمع: " ان (Social system) والمطار والفنادق تختلف عن المجتمع المحلي (Local community) وهي لم تصمم لتصبح نظاما اجتماعيا له صفة الدوام والاستقرار، انها تتميز يتدفق البشر من خلالها... لا يمكن اعتبارها مختبرا اجتماعيا (Sociological laboratory) او كونا صغيرا (Microcosm) وهذا يعني ان الثقافة المطار الفندق بانية على مدى زمني لكن ليس لنفس البشر الذين يحملون في طياتهم ثقافات مختلفة"¹.

اذن اصبحت اللغة والتعبير، الجسد والعلاقات، الافراد والمجتمعات، الثقافة والاقليم المتباعدة هنا وهناك تسري بطريقة اكثر كريبولية (Creolisation) وتكون العولمة هنا بمثابة تلك المادة اللزجة لتسريع اجتذاب الثقافات المختلفة و الزج به في أتون التجربة الحيايتة اليومية، اللغة الوحيدة المتحكمة في هذا المنطق التواصل والتفاعل والغاية المرجوة ذلك الجديد المحصل بصفة تلقائية من العمليات المنصهرة بداخلها، تصبح الثقافة بالجمع (Cultural impulses) لا بالمفرد ومهتمين باللقاء (Cultural encontres)، والحركة اكثر بشكل ركوب الامواج حتى لا نغرق كما عبر " زيخمونت باومان" ومضطرون لذلك، جاءت الهجرة في هذا السياق المتغير، لتكون اكثر تعبيرا عن هذا المشهد العالمي والجديد.

2- الإثنية والأقلية والعرقية بالمهجر

من بعد ان كان هناك تأريض للعمليات الثقافية على المستوى النظري والمنهجي والاصطلاحي حول ثلاث مظاهر، المحلية، الكونية، الكريبولية، نقترب من الجانب الظاهري اكثر للهجرة في التماس هذا الابعاد العابرة والمستوطنة، الصراعية والهجينة، بين عدة ثقافات.

المهاجر منخرط في تيار كوني ومساهم بذلك، كما أنه ميدانيا وعبر لقاءاته البسيطة واحيائه السكنية وجيرانه المختلفين، فهو وان اختار المانيا لكن لا يمنع ان يكون جاره صيني او

¹ توماس اريكسون، المرجع السابق، ص 347.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ندونوسي او تركي او هولندي مسلم وغير مسلم، ما يعني ان الاختلاط هو المنطق الثقافي الحقيقي الموجود وليس العكس.

إن تجربة الهجرة مشحونة بعدة تحديات وفرص للأفراد وللمجتمعات المستقبلية، جماعات وتنظيمات، في علاقات رسمية وغير رسمية تحاول التكيف والاستيعاب مع التركيبة العرقية والاثنية، والاقليات هذه الصورة التي تمس بالخصوص المجتمعات الانسانية اليوم، قد لا تكون بالشكل التصنيفي الثابت بل تكون بشكلها الرمزي ايضا.

ان البعد الرمزي اليوم لمفاهيم الاثنية والاقلية والعرقية اكثر بروزا وقوة حضورا من كونها مسميات فقط، ولهذه الرمزية كما شهدنا في بعد تعريق الجسد اكثر من الجسد العرقي نفسه، اليوم نعيش جسدا معرقا، علاقات اثنية، وهذا له اثره السلوكي في حياتنا اليومية ما بين النوع، العرق، الطبقة والثلاثية الاثنية والعنصرية والاقلية، ليس هذا وحسب، بل سنرى عبر الهجرة تصبح هذه المسميات متشابكة ولا يسعنا الا ادراك المعنى جملة اكثر من فهم كل بعد على حدة، كمثال قد نجد الاقلية تضم المهاجرين بحي سكني بالمانيا، لكن هذه الاقلية المستبعدة بحي "غيتو" تضم اعراق واجناس مختلفة وانتماءات جنسية مختلفة وادوار جندرية متباينة وطبقات متميزة.

هناك كتل التجمع والتفرق، وممارسات مختلفة تمس الجانب الاجتماعي والقانوني والثقافي بشكل متكيف او تناقسي، ترابط وتضامن، ذوبان الحدود والفوارق، هذه الاشكال هي سمة الاجتماع الانساني عبر الهجرة وليس الانسجام بلغة واحدة كما كنا نعتقد، (الانسجام سبب خلق الازواجية).

حتى بين المهاجرين من ابناء البلد الواحد بالمانيا نلاحظ عليهم لحظات الالتئام ولحظات الافتراق، فانتمائهم للبلد الواحد والوجهة الواحدة لا يعني انهم متضامنون بالانتماء الجماعاتي هذا تصنيف كلاسيكي لا يتماشى مع المعطيات الجديدة للتداخل الثقافي، كما ان نعت المانيا انها دولة قومية بشكل عنصري في قالب واحد لا يمت للحقيقة الكلية بصلة، ما يعني ان المجتمع الالمانى والثقافة الالمانية والانسان الالمانى مشكل من خليط انساني مشترك.

هناك محددات ينبغي توضيحها:

- 1- الاثنية والعرقية والاقلية وترتيباتها بالمهجر.
- 2- البعد الرمزي لاعراق والاقليات والاثنيات بالمهجر.
- 3- التصادم والتقارب فيما بينهم اثناء الهجرة (التطرف والتعصب).

4-مسألة الدولة-الامة والقومية(القومية الالمانية الرمزية).

5-الافرازات المحصلة جراء كل التفاعلات والتقاطعات البيئية للثقافات.

" أصبحت الهويات العرقية والقومية ميادين للتجارب بعد التدفق المستمر للعمال المهاجرين واللاجئين إلى أوروبا وشمال افريقيا، مما أدى الى انشاء اقلية عرقية جديدة ودائمة في هذه المناطق"¹.

ان معرفة التركيبة العرقية والاقلية مهما جدا لفحص تشكيلة الشعوب كما عهدت ذلك الانثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية في كشف الروابط ما بين الجماعات، التي تتحو دوما نحو التمايز الثقافي فيما بينها وبين الآخرين وما بين الوحدات الصغرى كافراد والوحدات المتوسطة من جماعات والمؤسسات الكبرى، ونلاحظ ايضا كيف إن جل المسائل متشابكة بين مسألة العنصرية والتعصب والتطرف والتمايز لتوسعة وعاء التنوع ويكون التمييز شكلا سلبيا لتصنيفه: "إن الجماعات التي تظهر مختلفة عن الاغليات او الجماعات المهيمنة قد تكون اقل عرضة من الجماعات الاخرى للاستيعاب ضمن الاغلبية قد يكون هذا صحيحا كذلك بالنسبة لجماعات الاقلية من سيطرة غير كافية للغة المهيمنة...في كلتا الحالتين تصبح هويتهم العرقية مكانة لازمة جانبا منسوبا لشخصهم لا يمكنهم التهرب منه بصورة تامة"².

اذن ما الذي تعنيه الاقلية في مقابل الاغلبية؟ هل يعتبر المهاجرون الجزائريون كمثال اقلية امام المجتمع الالمانى؟ واذ كانت الاقلية كتلة من الاعراق والطبقات المتنافرة فكيف يمكن جمعهم تحت غطاء الاقلية؟.

تظهر مشكلة الحدود مرة اخرى حين نضيف الى الامكنة والمسافات والصفات معنى المهاجر، لنعتبر الحدود اداة مميزة لجماعة دون اخرى، لكن هل لهذا كل القوة والثبات؟، يلجأ المهاجرون الى عملية استقطاب وتمايز لتميز انفسهم ثقافيا في مرحلة ما، تكون اللغة واسلوب الحياة احد ابرز المواقف فيما بينهم، ليس لمسألة الاندماج هنا اثر اكثر من تلك المتعلقة بروح الجماعة العرقية او الاقلية او الاثنية،هناك دراسة اقامها "مويرمان"1965م توضح كيف تسعى الجماعات الى تعريف نفسها عرقيا: "عندما سأل افراد"اللو" عن خصائصهم النموذجية اشار الى السمات الثقافية التي كانوا يشتركون فيها بالحقيقة مع الاخر، جماعات جيرة عاشوا في تفاعل

¹ توماس هيلاند اريكسون، العرقية والقومية، وجهات نظر انثروبولوجية، ترجمة لاهاي عبد الحسين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت، د.ط،2012،ص10.

² المرجع نفسه ، ص 16.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

قريب مع جماعات اخرى في المنطقة...أجبر "مويرمان" على ان يستتج ان احد ما يعتبر من جماعة اللو بفضيلة الاعتقاد وتسمية نفسه على انه من اللو وبالتصرف بطرق تعطي مصداقية لكونه من اللو"¹.

اذن الصفات الثقافية الاولية او الثقافة كموضوع سماها مويرمان بالفئة الثقافية السلبية لتحديد الجماعات العرقية، فأبرز كيف تكون جماعتان متماثلتان ثقافيا لكن مختلفين، كما ان الحد الأدنى المهم في المسألة هو الجانب العلائقي وليس خصوصية هذه الجماعات وهذه سمة الثقافات اليوم بعد سياق توصلها اكثر من مميزات جوهرها العرقي او الاثني.

ان التركيز على الاسلوب هو فهم الكيفية التي يلجأ اليها المعرّقون والاقليات والاثنيات الى تطويع تلك الصور النمطية وامدادنا بتلك اللقطات المخلة بالمنظومة العقائدية والعرقية المندسة في بنى الهوية الاولى، لقد عبر عنها "روبرت بارك"بقوله: "ان العرقية والهويات الاجتماعية على وجه العموم نسبية والى حد ما ظرفية كما كتب ميتشل يمكن للفرد ان يتصرف كقبلي في بعض الظروف وك-ابن مدينة في مدينة اخرى"².

يجب الانتباه الى هذه النقطة بين القبيلة والقبلية بين التصنيف والتمظهر والاساليب المتغيرة بداخلها وعبرها، بين الامتداد وطرق توظيفها، التصنيف ليس ذو معنى بذاته الا بقدر التفاوض حول مكتسبات الهوية الاولى: "نحن هنا امام مفهوم مرن للاقلية والاثنية والعرقية، فلم تعد بالشكل البيولوجي والاجتماعي او انها امتداد ترابي او عرقي ثابت، بالعكس هناك حركة دينامية متغيرة"³.

رمزية الابعاد الاثنية والاقلية والعرقية التي يسعى الافراد الى خلقها في مواقف معينة للتواصل او لجماعة وحدودها الثقافية المتخيلة، تكون عبر التفاوض حول مبادئ هويتها.

تسمح الهجرة عبر الحركات والديناميات الى توضيح اهمية اسلوب التعريق اكثر من العرق في حد ذاته كما يسعى الالمان في ذلك عبر اللغة مثلا، ليس المسألة كما كانت عليه تعصبا عرقيا بقدر محاول المانيا نفسها للحماية من الاستبعاد والاقصاء واللغوي فتسعى الى زيادة اهمية التبادل والتواصل اللغوي باللغة الالمانية.

¹ توماس اريكسون، العرقية والقومية، المرجع السابق ، ص 26.

² المرجع نفسه ، ص 53.

³ خطاب خطاب، ثقافات مختلفة وسياقات متعددة، مقاربة انثروبولوجية للاقلية والاثنيات العربية المهاجرة باوروبا، مجلة ربحان للنشر العلمي، سوريا العدد 17، ص 17-27 تاريخ النشر: 2021/12/09.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

فالمواقف الاجتماعية التعبيرية بين الجيران الالمان والعرب في الريف هي ليست ذاتها بالمدينة، كما ان القوالب الجاهزة والصور النمطية للمسلمين والمهاجرين والالمان ليس نفسها، ان استخدام مقولة اسلمة اوروبا او اسلمة المانيا، هي مجرد دعاية تستغل المنطق الهوياتي والجماعاتي السياسي المتصلب، تعبيراً عن لعبة سياسية واجتماعية، "ان مجمل المشاكل المتنازع عليها بين الافراد والجماعات غالباً ما تكون مختزنة بين الانتماء داخل مسألة الهوية او الانسان يسلم نفسه جملة وتفصيلاً الى مصادر هويته دون اخضاعها لعملية البري والتجديد والابداع لان الهوية ليست ثابتة وليست اسسها خالية من العيوب...الهوية تكمن في ذلك التحايل الذي تعلبه الذاكرة لتجنب النسيان وحيلة التطابق وتجنب المغامرة الفردية..."¹.

إن المسألة اليوم متعلقة بطبيعة تكوين الجماعات والافراد، وتشكل تلك الأشكال الاجتماعية وجوهر تلك المضامين الثقافية، وكل الابداعات التي تتجز، ليس من قبيل تكرار تلك المشاهد وتلك المستقبلات الثقافية واعادة ممارستها على ارض الواقع لتأمين حيز وحقل ثقافي معين وحسب، تجنباً لعمليات الاقصاء والاستبعاد ان الرؤية المشتركة للهجرة والنوع والطبقة والعرقية والاثنية والاقليات والعائلات المهاجرة والفيض السكاني بالمانيا على سبيل المثال يوضح كيف نحن بحاجة الى لمس تلك التجارب الجديدة والحقائق المقبولة عن كمية هائلة من روابط الاختلاف والتميز بذات القدرة على التكامل والتداخل فيما بينها، يشير "اوموت اوزكرملي" من خلال عمل ميداني قام به: "الاثنية والقومية لا تمثلان حقيقتين مقبولتين بل بنيتين اجتماعيتين وسياسيتين وهما من ابتكار النخب التي اعتمدت على مواد شوهتها حيناً واختلفتها احياناً من ثقافات الجماعات التي ترغب في تمثيلها من اجل حماية ما تمتع به ولاكتساب ميزة اساسية واقتصادية لها ولجماعاتها"².

ان الحديث عن الاقلية والاثنية والعرقية مجتمعة في مجال الهجرة وشتات المهجر جعلنا نغنى بفكرة الحيز والسلطة، فالمسألة كونها على مستوى هرم الدولة وبنية المجتمع المستحكمة موجهة اكثر مما هي مناقشة، فلقد تغير وجه المانيا كبلد في اختبار شخصيات عربية ومسلمة ومهاجرة على راس هرم السلطات ومؤسسات الدولة الالمانية كبرلمنيات وعمدة بلدية.

¹ خطاب خطاب، الهويات المتداخلة في الفضاء المتوسطي، مقارنة ثقافية في نسق التحولات، مجلة ربحان للنشر العلمي، سوريا، العدد16، ص 216-240، 28.11.2021.

² خطاب خطاب، ثقافات مختلفة وسياقات متعددة، المرجع السابق، ص22.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ان الهجرة مؤثرة في الطبيعة التكوينية للثقافات والاقليات والاثنيات، كما ان المهاجر بذاته يلعب دورا مهما بين هذه الروابط القومية والعرقية والاثنية، فهم مؤثر ومتاثر في ذات الوقت اذ نعتبر ان العلاقات الجنسية او الزواج والانجاب والعمل وفي المؤسسات الرسمية والضامة لهم ستكون على مرأى مباشر من التعامل مع هذه المعطيات وافراز روابط اجتماعية مختلفة واعتماد منظور ثقافي مختلف، ذلك الرباط الذي يوحى احيانا بالهشاشة او من جراء التهميش وتغليب النزعة العنصرية او العرقية تجاه اثنيات واقليات مهاجرة.

هذه الحركة العابرة توحى ان المهاجر او الانسان في وقتنا المعاصر يتسم بهذه الصفة التي تجعل مبروره بين وعبر الثقافات تنفي اي جوهر ثقافي وفي ذات الوقت لا مكان لكلمتي وفد ومستقبل الى في شكله الصوري، اقصد بذلك ان الروابط الاثنية والعرقية لا معنى لها الا في شكلها الرمزي فهي تتذبذب وتتقلب وتتغير وفقا للظروف وعوامل الزواج المختلط والهجرة كما عبر اموت اوزكريميلي¹، فهو بهذا يفند اطروحات الجوهر النقي والتجانس الثقافي المطلق ووحدة مجتمع سابقة، لا يوجد هذا اليوم، بل العلاقات تعمل وفق اساليب تسعى للتماسك والاتحاد في شكل فسيفسائي ومتغير أكثر مما هي عليه وحدة المجتمع وجوهر متسامي، وهذا يتواشج مع النظرية المقدمة حول المحلية والكونية والكريولية، وهو ما يجعلني اعتبر المهاجر وظاهرة الهجرة عموما عملية وسيطة تربط ما لا يتخيل ربطه وتفرض ما لا يمكن توقعه: "تزداد الاقليات ترابطا وتماسكا عبر الزمان والمكان ويمكن ان تتشكل من خلال روابط جديدة داخل السياقات الاجتماعية، ففي الهجرة على سبيل المثال تتشكل نظرة اثنية جديدة تربط بين الموطن والمهجر... يمكن للترابط الاثني ان يوفر شعورا بالامن جسديا ونفسيا"².

يعتبر المهاجرون المعرقون والمشككين اثنيات معينة بالمانيا يعانون من تلك الصور النمطية المرسخة في اذهان "المجتمع المستقبل" ضدهم تماما مثل ما تفعل حركة "بيغيد"، والمنظمات الغير حكومية والاحزاب السياسية للتخويف من المهاجر او تخوينه وذلك عبر التشويه وتعزيز تلك الروح التي تذكى العنصرية في المانيا بطريقة نوعا تعتمد على (The ethnic revival) واستغلال هذه الفكرة بغرض الامن المجتمعي أو بما دعاه "أنتوني سميث" بالمحركات اللاعقلانية (Mythomoteurs)، والذي نظر كثيرا للقومية والاثنية الرمزية وهذه من بين المشاكل

¹ اموت اوزكريميلي، نظريات القومية مقدمة نقدية، ترجمة معين الامام، المركز العربي لدراسات السياسات والابحاث العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص167.

² ليو ايان، العنصرية والتعصب العرقي من التمييز الى الابداء الجماعية، ترجمة عباس عاطف، و معتمد كرم، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة ط1، 2015، ص187.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

التي تنبثق عن عدة اسباب منها، ذود المفكرين عن فكرة بناء الامة في اطار الدولة الامة و تامين حدود الانتساب والدفاع عنها:"ان المفكرين الذين يدافعون عن القومية الثقافية هم من بناء الامة لا يقلون عن اولئك الذين ينطلقون من فكرة الدولة المستقلة ذات السيادة من الناحية السياسية"¹.

ان الرمزية العرقية والقومية توضح اهمية العناصر الثقافية كجزء مهم في بناء الواقع الاجتماعي بالقدر نفسه للقوة التنظيمية، كما انها تشير الى اهمية استعاب هذا الواقع واعادة توازنه: "تتضمن فكرة الأصل المشترك في الزمان والمكان وهذا يعطي المجموعة العرقية إحساساً بالقرابة الوهمية،، ذكريات تاريخية مشتركة، بما في ذلك الأبطال والأحداث وإحياء ذكراها، عنصر واحد أو أكثر من عناصر الثقافة المشتركة، والتي لا تحتاج إلى تحديد ولكن إعادة، وتشمل الدين والعادات واللغة، الارتباط بالوطن وليس بالضرورة احتلاله المادي من قبل المجموعة العرقية. فقط ارتباطها الرمزي بأرض الأجداد، كما هو الحال مع شعوب الشتات، الإحساس بالتضامن من جانب بعض الفئات العرقية على الأقل"².

فالمهاجرون على وجه التحديد ينشطون في استجلاب كل الاختلافات والانتماءات من اجل شعور جماعي معين وتأمينه داخل المجتمع الذي اختاروه وبنفس المنطق سيجلب ابناء المجتمع المستقبل رمزياتهم الاولى دفاعا وتامينا لوجودهم المعهود، الا ان هذه الحالة لا ينبغي التوقف عنها تشبه حالة من عصف جهاز المناعة ما يلبث الاثنان ليتعرفا على بعضهما البعض ويدرك ان جرّ تلك الحمولة رسالة واستدعاء لرموز القوى التاريخية للدفاع ليست سوى حالة طارئة وهي طبيعية للتعرف، الامر الذي يجعل من المهاجر صورة مهددة ومن المجتمع المستقبل مدافعا هو استغلال النخب بكافة اشكالها لصالح طرف دون آخر.

ينبغي ان نفهم ان اطروحة الرمزية العرقية والقومية مسألة متعلقة بالخيار اكثر من الانتماء والتكرار والمحاكاة ينطبق في ذلك الدراسات الثقافية التي تخصصت في تفسير الهويات القومية المهجنة وعملية استهلاك مفردات القومية في الحياة اليومية، تنفي الرد على ما كانوا يدعونه بسرديات حول الامة القومية،"...قام الباحثون المتخصصون في رصد التعامل اليومي من

¹ انتوني دي سميث، الرمزية والعرقية والقومية، مقارنة ثقافية، ترجمة احمد الشيمي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014، ص 54.

² شريهان حوامدة، المجموعات العرقية والهوية العرقية في الأنثروبولوجيا، <https://e3arabi.com>، تاريخ النشر: 2021/12/25 تاريخ المراجعة، 2022/01/24.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

مفردات صناعة الامة القومية (Every day Nationhood) والتهجين الثقافي ببث حياة جديدة في المشهد بالتركيز على المعتقدات والاذواق والانشطة القومية...¹

تسعى الرمزية الى ادراك اهمية الاختلاف والتخفيف من حالة الهيجان القومي والعنصري والاممي الذي لم يعد ينفع الا في خيالات متعصبة، الرمزية تسهل ابراز الروابط المنسجمة بين الاختلافات في أنشطة الحياة اليومية، اكثر من التعصب لانتماء معين بذاته، ان الرمزية تنفي الجوهر النقي كما انها ظاهرة تمس اي معتقد وايدولوجية بائدة، تحاول تجديد نفسها من خلال رموز واحداث مغايرة، اكثر تشعبا في تعقيدات الحياة الاجتماعية، لذلك تفكيك الرموز وتحليل المعاني مهم في استدعاء فكرة الرمزية القومية او العرقية، بغية فهم التركيبات الثقافية المختلفة في المجال الهجروي وكيف يتم التلاعب بكل هذا.

ان المهاجر اكان عربيا او اسيويا او افريقيا ذكرا او انثى، اصبح يشكل نسيجه الاجتماعي وانساقه الثقافية، ما يعني أن الاهم في هذا مدى المساواة وتجنب اي شكل من اشكال الاقصاء (Social exclusion): "يشير الاستبعاد الى انه يعتبر الفرد مستبعدا اجتماعيا عندما يرغب في المشاركة في النشاطات المقبولة بوجه عام في المجتمع ولكنه لا يتمكن من المشاركة والتي تفرز صور ونتائج لبعض الافراد والجماعات الحرمان (Deprivation) وهو حالة فقدان القدرة (Disempowerment) وهذا الاستبعاد هو الحال التي تتحول دون مشاركة الفرد او الجماعة في النشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية بمجتمع ما"².

تتداخل وتتقاطع العوامل والاسباب في بينهما داخل مجتمع تعددي يضم الكثير من الاطياف الاجتماعية المختلفة، كما ان ابعاد النوع، الطبقة، العرق مسالة حساسة خاصة في فضاء العمل والمهن والزواج اكان هذا بين المهاجرين انفسهم او عبرهم او خارجا عنهم.

المجتمع الالمانى تختلف حلقاته التاريخية في معالجة موضوع العرق والقومية ونكاد نكون لا نزاعي في التجربة النازية، المانيا بلد يضم ثقافات الشرق والغرب وتجربتهما معا، اكيد مر المجتمع من تجربة تاريخية مريرة تجاه نفسه مع فكرة النازية لكن لا ينفي هذا ان نرى تجارب أخرى بعيدا عن الاحكام.

¹ انتوني سميث، المرجع السابق، ص246.

² هدى احمد الديب، محمود عبد العليم محمد، الاستبعاد الاجتماعي ومخاطره على المجتمع، مجلة اضافات، بيروت لبنان، العددان: 31، 32، 2015، ص210.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

خصوصية الثقافة السياسية الالمانية لا تركز على الدين والامة اكثر مما تركز على العرق والقومية، يعني المانيا تتوسع دوما خارج حدودها الجغرافية، كما ان هذه التركيبة الثقافية تجعلها دوما حساسة تجاه العنصر الغريب وتتعامل معه بحذر شديد، لذلك برامج الهجرة تركز على العمل وضخ دماء ديموغرافية جديدة اكثر من الاعتناء بالتبادل الثقافي مما افقرها في احتواء ثقافات مختلفة وسيطرة مشهد النازيين او النازيون الجدد على ثقافة الاقصاء والاستبعاد وخلق اللامساواة مما يفقرها من حيث الخبرة في معالجة التنوع الثقافي واختلافاته.

لا تتعلق العقلية الالمانية بالوجبة الدسمة للثقافة اكثر من حمية التفكير الاقتصادي لديها وهذه روح العقلية الالمانية كما ان الثقافة اهم لديها من البعد الحضاري كما سبق وان عرفنا لن هذه الثقافة اشد تعريفا وترميها بدينها القومي الايديولوجي الوحيد.

لا يعني هذا اخفاء امكانية التعايش والتداخل الثقافي وانما اشرت الى اهم نقطة في تركيبية المجتمع والدولة والثقافة الالمانية حتى تقترب من خصوصية العنصرية والعرقية في ابعادها الرمزية اكثر بالاخص في فهم تجارب الهجرة ومعالجتها بشكل ادق.

3- التعددية الثقافية والدولة القومية بمقابل مسألة الهجرة

سنحاول في هذا المقام الاعتناء بالجانب المؤسسي من خلال ظاهرة الهجرة فاذا وضعنا تلك الاسباب والاسباب والعوامل الحقيقية وراء العرقية والاثنية والاقلية، وكذا مشروع الحدثة الفاتحة او فكرة الدولة- الامة والقومية والعرقية، فما نحن الان نعالج مسألة المهاجر/الهجرة في شكل ولوجه عالم المؤسسات وكيف تكون وضعيتهم ومستقبلهم؟ وكيف يكون تصور المجتمع والدولة؟، وكيفية تدفق وتيرة التنوع وتستبدل احيانا عنوة باستتساخ تجارب، كما حدث في كندا التعددية الثقافية او فرنسية حول التداخل الثقافي بدلا من عفوية التواصل الكريولي للثقافات.

ان مسألة الهجرة دوما كانت تعالج حاضرا منبعثا بمزيج متداخل من القضايا والعوامل والاسباب الجزئية والكلية، ولهذا ابتكر المنظرون سياسات الهوية؟، فالتعددية الثقافية جاءت مساهمة لاركان الدولة القومية والدولة-الامة وبرزت في بيئة عالجت خبرات الهجرة الدولية، فالمانيا في الفترة المعاصرة شهدت تحولات سياسية وثقافية واجتماعية كبيرة، وحتى التركيبة السكانية- خاصة بعد (جائحة كوفيد19)، تغيرت بضخ دماء جديدة ممزوجة بروح عربية وشرقية مسلمة- ان الابعاد الاربعة: السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية هي مداخل كبرى وركيزة اساسية في ادراك الصورة الكلية للهجرة وبنية المجتمع التعددي.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

التعددية الثقافية كنظرية لها علاقة مباشرة بالشؤون الفردية والاجتماعية للمهاجرين والمجتمعات الحاضنة لهذه الفئات على صعيد: العمل والمهن والوظائف وقضية المساواة في الحقوق والواجبات، فمشكلة المهاجر وعلاقته بالسكان الاصليين طرحت بشكل انثربولوجي مبكرا في مجتمعات تدعي هذه الخصوصية كأستراليا وكندا وذلك معالجة لفكرة توزيع السلطة، كما ان ظروف الزواج والقوانين المنظمة للعلاقات الشخصية والاجتماعية كما سبق واشرنا الى تلك التشريعات القائمة على ابعاد اجتماعية قد تراعي بعدا قوميا او خصوصية تنظيمية معينة تعني فقط بما يدعى الشؤون الاجتماعية للمهاجرين في معاملات تسعى الى الاعتراف ضمن البعد السوسيو-تشريعي المشترك بينهم في الفضاء العام او الخاص.

ان الاسر المهاجرة والتي شكّلت اسرة مع الالمان، فعلى اي اساس ستعني التربية للاولاد وعلى اية قيم ومعايير؟، وهل ستكون التثنية الاجتماعية والاسرية والمدرسية متساوية دون فواصل وحزازات ثقافية واجتماعية؟. يوضح الجدول الاحصائي هذا رقم (11):

معامل الارتباط بين الحالة العائلية * موقفك من الاقامات السكنية مختلطة الجنسين؟

القيمة الاحتمالية	معامل الارتباط	الحالة العائلية * افضل الاقامة بالاحياء التي تتواجد فيها الجالية العربية
0.027	*0.279	

الوصف:

يوضح هذا الجدول القيمة الارتباطية لمعامل سبيرمان المحصل عليه ما بين الحالة العائلية وخيار الاقامة بالاحياء المتواجد فيها العرب المهاجرين بقيمة *0.279 مقابل القيمة المعنوية ل0.05 المحققة بقيمة 0.027.

التفسير والتحليل

القيمة الارتباطية تثبت على وجود علاقة موجبة بين الحالة العائلية وخيار الاقامة بالاحياء العربية التي يتواجد فيها المهاجرين العرب ، ارتباطا موجبا بدلالة نجمة واحدة.

النتيجة

ارتباط طردي موجب بدرجة منخفضة.

هنا تكون مسألة التنوع الثقافي والتعددية الثقافية أكثر حساسية بالنسبة "للمجتمع المضيف"، فحرية التواصل ودينامكية التنوع تبرز سياسة الهجرة وسياسات الهوية لتعيد تنظيم أشكال السلطة الاجتماعية، لخلق توازن بين الرغبات الاممية والقومية والاعتراف بحيز صغير او

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

هامش حرية للمهاجرين، فتبرز عادة تلك المنازعات قد تقشل اطروحة التعددية الثقافية او السياسية للهوية، لانها تزج باسهم ثقافية بنسب معينة دون السماح الى التواصل الفعلي. لقد عمد "عبد المالك صياد" و"نواريل" إلى الاهتمام باثر الازدواجية والاعتراب والوجه المتعددة للمهاجر في التجربة الفرنسية وبرزت معطيات مهمة او مفاتيح اصطلاحية تحليلية تعنى بهذا الشأن والتي تعبر عن الانتماء المتعدد والاجتثاث من الجذور وهذا على حسب دراسة لا تمثل كلية التعددية لكن جانبا منها:

" يسمح مثال الهجرة المدروس على مدى ثلاث اجيال بفهم الطبيعة العميقة للزمات الهوية ومعناها المزدوج... امام انتقال من الجماعاتي الى التطويعي، يعرف المهاجر القادم من وسط جماعاتي الى عالم تطويعي قطيعة كبرى، ولانه يتعرض للوصم يتوجب عليه ان يتصرف عبر استراتيجيات هوياتية تجمع غالبا التمرد مع الامتثال، الادائية مع الانطواء على الذات"¹.

يبرز "صياد 1987م" الكثير من اعماله هذا الرؤية المتعلقة بالازدواجية والاعتراب المزدوج بالضبط، واعتماد منطق "تاجماعت" واعدة بثها في تحليل ثنوي بين التطويعية والجماعاتية في حياة المهاجرين، يرى ان هذه الازدواجية لا تفك الا عبر الاجيال او تخفف من حدة الصراع، فالجيل الاول والثاني من المهاجرين ليس هو نفسه الجيل الثالث، خاصة بفرنسا كونها شهدت هجرات ممتدة عبر الزمن، تم ذكر الجماعة ايمانا ببنية ذات اولوية واسبقية، ذلك المنطق الجماعاتي المرتكز على الامتدادا من مجتمع الاقلاص، اما النمط التطويعي لا يظهر ولا يعزز الا عبر أنشطة اكثر عقلانية لكن لا تتحقق غالبا بين الجيلين الاول والثاني، لكن الجيل الثالث يمكنه تحقيق ذلك التداخل الثقافي واستعباه.

الشيء الذي أكدته اني لا انتافى مع اطروحة "صياد" في تحليل التجارب الميدانية للمهاجرين، لكن اريد ان اوجه نظر الباحثين الى التسارع في التغيرات والعناية بتجارب مغايرة، اكثر عناية بالتنوع والتعدد، فالجيل والاجيال كمقولة تحليلية كلها تركز على اولية الثقافة على الفرد واعتبارها مجرد محاكاة وتقليد والامكان باسبقية المجتمع على الفرد، الازدواجية برزت من هنا سوسولوجيا وقد عالجت هذا سابقا.

يميز نواريل بين ازمة كبرى واخرى صغرى (CRISE) (crise) وتساعدنا في معالجة ثلاثية التعددية الثقافية وسياسة الهجرة وسياسة الهوية: "...القطيعة مع المعايير الجماعاتية المستبطنة

¹ كلود دوبار، المرجع السابق، ص331.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

بوصفها ملزمة "أزمة كبرى" نادرا ما تستطيع تجاوزها دون امتحان الازدواجية الكلية، ان بناء الهوية الشخصية في اطار تطوعي اصلا سيرورة يمكن تجاوزها ازمته الحتمية دون الكثير من الازدواجيات لكن حتى في اطار اسلوب الحياة يسيطر فيه التطوعي ويكون الاختيار الحر لشريك غرامي امرا يصعب إجراءه دون آية ازدواجية عابرة على الاقل¹.

إن علاقة التعددية الثقافية بالهجرة علاقة نقدية ومعالجة مستبقة ومبكرة لفهم ما الحاجة الحقيقية فعلا، بالاضافة الى نقد اي تسرب ازدواجي متصارع، ودعم في الاخير عبر ظاهرة الهجرة والتجارب لمعاصرة للتنوع الفعلي (Multivers) دون اي انقسامات، وضرورة ان الازدواجية هي ايمان حتمي بالتواصل الخطي في حين التجارب توضح حالة عابري نحو المشترك الانساني في الاخير.

اذن هل المهاجر يعاني من أزمة ازدواجية؟ ام نحن الذي نعيش أزمة ثقافية لا تريد ادراك الوضع الفعلي ونلبسها للمهاجر من خلال صراعنا الهوياتي؟ مسألة غاية في العمق للمشكلة الثقافية، يبرز الكثير من المنظرين سياسات الهجرة وسياسات الهوية وذلك كاجراء تنظيمي يعبر ان أزمة ثقافية حقيقية بين تلك الانقسامات والصراعات، في حين الهجرة طريقة واسلوب حيوي وتلقائي للتفاعلات الدينامية ليس اسهم ثقافية وحسب لا حياة ثقافية متنوعة وواحدة: "التعددية تفرض اليا في هيكلية الدولة ضرورة سيطرة احد القطاعات الثقافية...وهي تستلزم التنظيم الغير ديمقراطي لعلاقات الجماعات وينطوي هذا المفهوم على تصنيف ثنائي..اذ يتكون صنف من المجتمعات مندمجة تتسم بالاجماع الرأي والتجانس الثقافي ويتكون النصف الثاني من مجتمعات منظمة تتسم بافتراق الرأي والتعدد الثقافي"².

يشير (A.LYPHART) الى ضرورة فهم طبيعة المجتمع التعددي، هذا المجتمع الذي يراه على انه قطاعات او كما اشار ذلك هاري اينشتاين الانقسامات الاقطاعية، وهذه الانقسامات هي التي تسعى عبر الدولة الى اعتمادها اداة واضحة لاهدافها السياسية ذات الاصل التعددي الثقافي، فالثنائيات الثقافية والتمايزات الاجتماعية تتداخل في حيز التنظيم وتصبح طموحا للتعددية الثقافية فتبرز الفرق بين الارادة الحرة للانسجام والتلقائية التنوع الى محاولة التعددية الى اختزالها، المجتمع التعددي هو حيز ثقافي واجتماعي ايجابي يضم جميع الاطياف على

¹ كلود دوبار، المرجع السابق، ص333.

² آرنيت لبيهارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة، حسن زينة، منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية، بيروت لبنان، ط1، 2006، ص37.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

عكس رؤية التعددية الثقافية التي تحاول عبر الدولة ومؤسساتها التنظيمية و ومنظريها السياسيين احتكار سلطة التغيير والتوزيع للتنوع الثقافي نفسه.

اختلفت التجارب في التعاطي مع الاختلاف الثقافي والتنوع، وكانت التجارب متباينة من الشرق الى الغرب ومن الشمال الى الجنوب وما بين تجارب غضة واخرى مستوردة الا اننا يمكن القول انها تركزت حول التعددية الثقافية عموما بالرغم من اختيار بعض الفروقات النظرية بين العابر-الثقافي والبيئي الثقافي- والتداخل الثقافي وهذا الاختلاف راجع الى طبيعة تكوين المجتمع وتجربته في التعاطي مع التنوع الثقافي.

تختلف بريطانيا وامريكا عن فرنسا والمانيا وعن كندا واستراليا في تجربتهم مع التعددية الثقافية وبالاخص مع المهاجرين حول الاندماج، والاندماج القسري وفيمن يعزز التعددية الثقافية الليبرالية كندا واستراليا، ومنهم من يعزز التعددية الثقافية في شكلها المحافظ ومن من انتهج التداخل الثقافي كفرنسا والمانيا وقبل ان نتعرف على هذه التجارب علينا ادراك اهمية الفرق بين التعددية الثقافية كنظرية وبين التعدد الثقافي، -المجتمع التعددي بنبرة التنوع الثقافي-:

" المجتمع الذي تعيش ضمنه مختلف قطاعات المجتمع جنبا الى جنب ولكن بانفصال داخل الوحدة السياسية الواحدة وهذا مفهوم ضيق نوعا ما لانه لا يتضمن التمايزات الاقليمية، اما المجتمع التعددي فهو مجتمع فيه اختلاط جغرافي واجتباب اجتماعي متبادل" انه بالمعنى الادق خليط من الشعوب لانهم يتخالطون ولكن من دون تداخل وتضام(اندماج).¹

أحاول أن أبين الفروق النظرية المهمة، وكيف برزت الحاجة الى التعددية كنهج ثقافي وسياسي أو في سياسة الثقافة وتدبيرها:

اولا: الاتساع الجغرافي والتنوع الثقافي لهذا البلدان.

ثانيا: التقسيمات الإدارية الفيدرالية أي لا مركزية التسيير.

ثالثا: مشكلة السكان الأصليين.

رابعا: الهجرة الدولية العابرة للقارات.

خامسا: العولمة والتعددية الثقافية كحاجة ماسة.

لقد توسعت تجربة ونماذج التعددية الثقافية ومسائل التسيير الاجتماعي والسياسي تجاه الاختلاف الثقافي مذ بدأت حركة الاستعمار والتهجير وابادة السكان المحليين، ولعل كندا واقليم

¹ آرنيت ليههارت ، المرجع السابق، ص35.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

كبيك نموذج لهذا الانشغال بما تشمله من السمات والعوامل التي ولدت الحاجة الى التعددية الثقافية كما أبرز فلاسفة وعلماء اجتماع يشتغلون على هذا وتجربتهم تتمحور حول القضية الكندية واصبح نموذج يرجى تقليده في اوروبا بالاخص المانيا وفرنسا ومن ابرز منظريه ويل كمليك، جيرار بوشار، تشارلز تايرلر.

يعبر "كمليكا" عن التعددية الليبرالية بقوله: "سوف اتمسك بمصطلح التعددية الثقافية على الرغم من قصوره... فقط على سبيل الاختزال لمفهوم شامل يغطي مساحة واسعة جدا من السياسات التي تبنتها وطالبت بها انواع مختلفة من الجماعات الثقافية العرقية بما في ذلك الاقليات والمهاجرين والجماعات الوطنية والسكان الاصليون"¹.

كما يلجأ الى مصطلح التعددية الثقافية بالضبط الاتجاه الليبرالي لما لمسه من تباين في معالج قضية الاقليات على مستوى الكندي والاختلافات الثقافية، ولاحظ "كمليكا" تباين تلك المعالجات للاقليات والمهاجرين عبر العالم، فبريطانيا تستبعد المهاجرين من حيز الاقليات والنمسا ايضا لا تعترف بحقوق اي اقلية الا اذا شكلت بعدا تاريخيا كما ان السلوفنيين لا يعترفون ويرفضون قطعا استخدام السكان الاصليين، اما المانيا فلقد لاحظ انها تستعمل لفظة الشعب بدل الامة وفي امريكا برز التنوع العرقي وحقوق المجتمع والمواطنة المرتكزة على القيم الدستورية، هذه التباينات والاختلافات في استقراء الاختلاف الثقافي عموما والتنوع بالخصوص جعلت "كمليكا" يرى ان النهج السياسي الثقافي للدولة الكندية يتجه في فهم التعددية الثقافية الليبرالية التي يراها نضوجا سياسيا وثقافية لاحتواء التنوع، - لكن هل ينجح هذا؟-، وان سياسات الاعتراف بالهويات ودعم التنوع يمكن ان توسع الحرية والحقوق واضعاف الهرمية والتراتبية العرقية والعنصرية.

ولعلاج هذه المشكلة تلجأ كثير من الدول والنظم في نظره الى توسيع سياسات تلمس التربية لتعزيز التداخل الثقافي وبرامج التبادل الثقافي والحوار الديني العمومي اكثر ومحاولة معالجة الصراعات من جذورها.

يركز "كمليكا" على النضج السياسي والوعي السياسي اكثر مما يركز على قاعدة نشوء الافكار والثقافات والمجتمعات وهذه نقطة ضعف بحيث يغيب عن ناظرنا الخصوصيات والتركيبات الاختلافية وقدرة الفاعلين الاجتماعيين في خلق مساحات ثقافية تساهم في التنوع الفعلي، ففي

¹ ويل كميليك. التعددية الثقافية، سير سياسات الدولة الجديدة في التنوع، ترجمة امام عبد الفتاح امام، ج1، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 2011، ص ص، 34، 35.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

رايه لا يملك المهاجرون والاقليات بعد الاعتراف الى الانخراط في الجسم السياسي والثقافي الشرعي للاغلبية.

هذه الرؤية تحاول تنظيم التنوع في فضاء التعدد مع الحفاظ على الحدود وهذا يقوض من قوة التنوع ولا يسمح له بالتاثير على الاغلبية، يصف كملিকা جانبا آخر من التجربة الغربية للتعددية الثقافية:

" ان احد اسباب فشل المجتمع الدولي في معالجة هذه المخاوف بشأن مخاطر التعددية الثقافية الليبرالية هو انه لم يوجد انتباها كافيا الى الطريقة التي عولجت بها تلك المخاوف في الغرب وبقدرة حصلت التعددية الثقافية على جذور غير متساوية في الغرب...مما سمح للامم الغربية بان تصوغ سياسات عرقية بطريقة تستطيع حماية وتنمية قوية الديمقراطية... والامن الاقليمي"¹.

لا يرى كملিকা التعددية الثقافية حلا سحريا الا ان النية خلف التعددية الثقافية برزت الى السطح في احكام قبضتها بزى ديموقراطي علماني وتحرري لا تريد بذلك الى توفير نفس لسياسة الثقافات في اطار الفضاء العام تنظيمه وافراغ القاعدة الاجتماعية وبنيتها الثقافية من مواردها المتنوعة مع العلم بتكريبه العرقية والاقليات من المهاجرين والسكان الاصليين.

يشهد على ذلك "ستيفان ديون" في بحث قدمه حول اقليم كيبك" النزعة الانفصالية تطل براسها من جديد-الدروس المستقاة من اقليم كويبيك في كندا:" لتفسير الانفصال اتصيد للمدخل ثلاث مشاعر اساسية:1 الخوف من الشعور بالوهن او حتى التلاشي كجماعة لها تمّوها الخاص اذا استمرت في دولة اتحادية،2 الشعور بالثقة بان الجماعة سيكون اداؤها جيدا او افضل حين تتفصل عن الاتحاد..3 الشعور بالرفض وهو شعور بان الجماعة ليست موقع ترحيب في الدولة الاتحادية لذلك ترى الحل في الانفصال عن الجماعات"².

لم يتخذ "ديون" مصطلح الشعور بالتعبير النفسي الخالص بل يقصد بذلك الحركة النفسية الاجتماعية المتخللة لابعادها الكلية وتعبير عن خشية الكثير من الدول من هذه الظاهرة الانفصالية مثلما حدث في اسبانيا اقليم كتالونيا وغيرها، لذا فنهج التعددية الثقافية استباق لتجنب التمزق الاجتماعي والانقسام السياسي، ولقد عبر عن هذا عالم الاجتماع والفيلسوف اليكس دي توكفيل:" ان الحداثة سوف تؤدي الى الامتزاج الثقافي بين الشعوب وستعمل على

¹ ويل كملিকা، المرجع السابق، ص 39.

² ألبرت برتون، القومية والعقلانية، ترجمة امينة عامر واخرون، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2006، ص203.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

تشجيع احلال قيم متطرفة محل الاختلافات وعندما تذوب الاختلافات بين الجماعات الانسانية فإنهم يتذكرونها بحنين... ان الاختلافات الثقافية تخفت كحقيقة سوسولوجية لها وزنها وفي الوقت نفسه التي تبرز فيه كيانات ثقافية تمثل انشطارا سياسيا... وهذا تماما ما حدث في كندا...¹.

يثير التنوع الثقافي جدلا واسعا وتصالبا زمنا مع التعددية الثقافية في نقاط تشكل الصراع اكثر من التوافق لكون تلك البنى الثقافية لم تعالج كفاية مع بعضها البعض وخارج كيانها السياسية والجغرافية كل هذا افقر المجال العام والخاص من رؤية ابعاد التنوع الثقافي الحقيقية بعيدا عن تلك الاصوليات المتطرفة والايديولوجيات المتعصبة، لاننا لم نعمل بعد القيم المساواتية حقيقة سواء عبر الهجرة والمهاجرين او حتى داخل النسيج الاجتماعي المتنوع،" تتمثل ضرورة البحث عن تنظيم التنوع ونحن عنا نشدد على التنوع بدل التعدد لكوننا نريد ان نصل الى التنوع الي تتم فيه عملية تحييد لعناصر الصراع التي يمكن ان يثيرها التعدد ان تنظيم التنوع يحتاج الى دراسة معمقة في مكونات المجتمع ومحاولة ايجاد تلك العناصر التي تساعد على تثبيت الاستقرار ورعاية الحقوق والمصالح وحفظ الكرامات بين القوى الاجتماعية كافة"².

يثير الباحث ضرورة التنظيم المتنوع للتنوع الثقافي فعوض الاتكال على الطبيعة الثقافية المتنوعة يتوجب البحث عن السبل لتعزيز التعايش داخل النسيج المتنوع ذاته متجنبنا فواصل ارادات التعدد الثقافي الحاصلة، وذلك لاعتباره اننا مجتمعات جنوبية متوسطة حاملة وقابلة للصراع والتماثل وافناء الغير .

تثير قضية التنوع الثقافي والتعدد اشكالية عميقة في معرفة الثقافة اليوم والمجتمعات وما اختياري للهجرة الا أحد تعبيراتها، فهل ستكون المجتمعات مجرد متخيل في ظل التدفقات والتخالفات والتقاربات الثقافية كما عبر "ريتزر"؟، هل ستكون المسألة التنوعية دوما هي استنزاف لهذا أمام حتميات معيارية وقيمية هرمية وتراتبية؟، لماذا توجه اصابع الاتهام للهجرة والتنوع الثقافي على انها مهددان للتماسك الاجتماعي؟، في الواقع هناك هناك نوعان من التنوع الذي علينا التعامل معها،"...ولهما الناس يعتبرون متعددي الابعاد وعلينا ان نعطي اهتماما للامرين تعددية الابعاد ولعمق الانقسام ...ربما يسميه الناس بكونهم متعددي

¹ ألبرت برتون، المرجع السابق، ص235.

² يوسف بن الغياثية، في الفصل بين الدين والثقافة مدخل الى تنظيم التنوع الثقافي، مجلة عمران، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، عدد، 06 خريف، 2012، ص219.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الانواع(Multifarious) اكثر دقة من اطلاق كلمة تنوع(Diversity) اي نمط للتنوع سوف يتشكل من خلال ابعاد الافراد لذلك بان الامر الثاني هو التنوع الحقيقي مسالة عدد وتوزيع الابعاد ذات الصلة من الناحية الدينامكية داخل مجموعة سكان او كل اجتماعي"¹.

إن مسألة الأبعاد المتنوعة وإعادة توزيعها داخل النسيج الاجتماعي وابتغاء الاغناء الثقافي اكثر والحياة الاجتماعية ككل تجعلنا نقرب حسب الباحثين نقرب من (Sociality) ونبعد عن مفهوم (Collectivity), (Community)، كما انهما ابدعا حقيقة في فك العلاقة بين التنوع والابعاد الثقافية واعادة توزيعها وتمكين التنوع من تحقيق حيوته الفعلية بعيدا عن اي مقارنة سوسيو-تاريخية للبنية؟ أو أي اختزال شخصاني للهويات الدينامية لتقادي اي رؤية خطية للتنوع:" ان اقرب ما يسميه النموذج غير الخطي التفاعلي ان التراث الخاص بالنزعة الذرية له علاقة بالقصدية(Intentionality) والعمدية (Sionality) والاول مجموعة التعقيدات حول التفاعل (الذات/الموضوع) والثاني عليه ان يتعامل مع فشل/امكانية الاستبدال للمرادفات الظاهرة، بعبارة اخرى موقع غير الخطية الرئيسية في محاولة اللغة التوائم مع تفاعلنا متعددة الابعاد مع العالم"².

تتقرب الرؤية الغير خطية سوسولوجيا من النظرية الهيكلية، فلا يوجد خطأ واحد للتطور كما لا توجد جهة متمكنة على اخرى في التأثير والتوجيه(ماكرو/ميكرو) لذلك اعتمادا الابعاد الثقافية اكثر من الارتكاز على نشوء الهويات التي تعتبر بالنسبة لهم نشوء طارئاً هنا والان برؤية اكثر حضورا والان، تماما كما دعى الى ذلك "مافيزولي"، ان الابعاد السوسولوجية والانثربولوجية متغامتان في معالجة هذا الموضوع الحيوي:" ان هذه الابعاد ليست دائرتين متعامدتين وليست اسهامات مستقلة للمسارات خلال فضاء الهويات، هناك قوى موجهة ودفع وجر في كل بعد من الابعاد لكن الفضاء يطوى ويتمدد في مسار التفاعلات المتعددة...نحن مواقع معقدة ولسنا مواقع بسيطة لخصائصنا الاجتماعية ذات الصلة واي محاولة لرسم حدود حول الناس في اي بعد سوف يهدد بحدوث ما جدوى له"³.

ان الهجرة دفعة قوية لمراقبة الفاعلين الاجتماعيين داخل المجتمع والدولة وهم ايضا فاعلون خارج اسوارها(state actor-non) (الفاعلون من غير الدول) متفاعلون بشكل ديناميكي

¹ تشوك دايك وكارل دايك، المرجع السابق، ص101.

² المرجع نفسه، ص102.

³ المرجع نفسه، ص107.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ويومي، هذا لا يقتصر على حالة الهجرة، بل يشمل طبيعة حياتنا المعاصرة بأوجهها المتباينة لذلك ادعى البعض بسياسة الهجرة والآخر بسياسة الهوية بغيت معالجة هذا التذكير الاولي بأهمية التنوع الثقافي الذي جاء على شكل ضيف.

4- العيش المشترك والتكيف الثقافي

إن طرق العيش والتعايش والتكيف والتكيف، تعددت واختلفت بتعدد الاوضاع نفسها لدى المهاجرين في حياتهم اليومية، كما تنوعت تلك الابعاد والامتدادات الثقافية والموجات المهاجرة العابرة للقوميات لم تكن دوائر الهجرة متقاطعة بشكل عامودي بل ايضا بشكل افقي وبؤر تجمع وتشتت، ذهاب واياب من اوسط فعل الى ابعد حدود الفاعلية داخل الفضاء العمومي والخاص هناك مثال احاول عبره ابراز الكثير من المسائل في العيش المشترك والتماسك الاجتماعي والتكيف الثقافي، هو محاولة توثيق الزواج خارج المانيا لدى جارتها الدنمارك¹ تكون الرحلة صباحا والعودة مساء.

إذن ما الذي تعنيه كل هذه الاجراءات الالزامية للزواج بالمانية او الماني؟ ما الذي يرمز اليه المهاجرون باستراتيجية توثيق الزواج بالدنمارك للعودة والعيش في المجتمع الالمانى؟، قد يظهر فعلا بسيطا لكن يكشف عن درجة الكفاءة الثقافية لدى الفاعلين ولدى الثقافتين؟، يشير الى عمق اطروحة الاتحاد الأوروبي؟، المهاجر كشاف، يستوعب تلك القوانين ويحاول ان يتمرن يوميا ليحسن من سلوكياته التي تسمح له بالعيش المشترك.

إن هذا المثال يوضح الكثير من الابعاد الثقافية وكيف ان المهاجرين قادرين على الاستفادة من بعض القوانين خارج الحدود والغاء تلك المعوقات امام تكيفهم وتناغمهم مع متطلبات الحياة اليومية بالمهجر، انها اجراءات التكيف الثقافي بينهم وبين غيرهم.

إن أهمية التكيف الثقافي تظهر في فحص كفاءتنا الذاتية والثقافية والجماعية والمؤسسية حتى في علاقة بين "هم" و"نحن"، انها كما عبر الفيلسوف المهاجر البلغاري "تريفيتان تودروف" مقدرة على الحياة المشتركة يبحث عنها ذلك الراغب في هجرته وليس الراغب عنها: "فلنكن موافقتنا منوطة بنا، ولنتخلص من كل الارتباطات التي تربطنا بالآخر ولنحمل عل عائقنا القدرة على العيش وحدنا بدرايته وان نعيش كما يحلو لنا"².

¹ المبحوث مالك جرمانى،القناة نفسها.

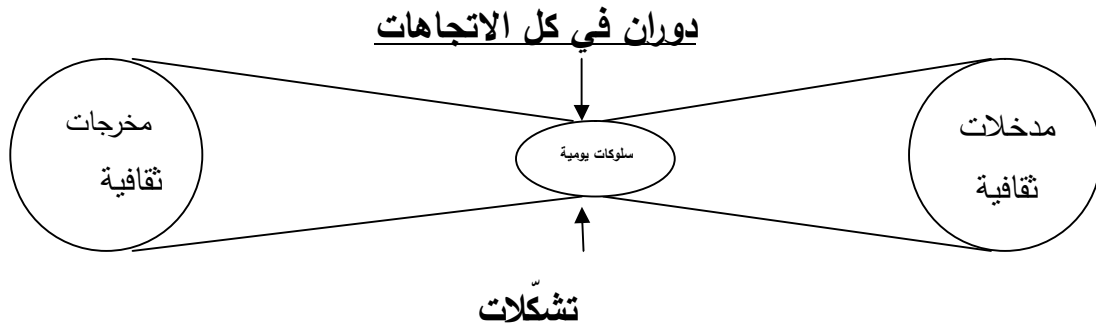
² تريفيتان تودروف، الحياة المشتركة، بحث انثروبولوجي عام، ترجمة منذر عياشي،المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب،1،2009،ص14.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

هكذا كانت الادائية والانجازية ليعبر المهاجر مع حبيبته صباحا في الدنمارك ويعود مساء بصفته زوج، انها تعبير عن قوة الذات وهشاشة الحدود والقوانين بالرغم من انها تعترضه الا انه يبرع ويتفنن في استوعابها وتكيفها وفق خطاطته.

تطرح ثلاثية الهجرة والتكيف الثقافي والعيش المشترك مسألة اخرى في أغوار الابعاد الانثروبولوجية النفسية، التي تخلفها حلقة الآخريّة بين "الانا" و"الآخر"، هذه العلاقة التي تحتم علينا اعادة النظر في المجتمع والجماعات من زاوية بناء للمصلحة فقط ام انه تعبير عن الممكن المتخيل؟، ذلك الذي لا يمكننا التعبير الا به وعبره دون ذوبان، ان فن الحياة المشتركة يعالج هذه العلاقة واسسها بين الذات والمجتمع: "فاذا جعلت الاخر اداتيا تماما واذا اختزلته الى دور المزود بالذائد المباشرة، فاني احرم نفسي بهذا من الهبات الفائقة غير المتناهية التي لا يستطيع ان يمنحني اياها واما من منظور سياسي تكون الانانية مؤسفة في حين ان الغيرية او التضحية بالذات امر مبتغى"¹.

الآخريّة ليس هي ذاتها الغيرية، فالاولى حالة فصل والثانية حالة وصل، الاولى تتناغم مع التعددية الثقافية واطروحاتها المفصلة، والثانية تدعم التعددي والمتنوع ، بحيث يكون المعيش اليومي دائرة تكثيفية وتحقيق للذات المفردة والجماعية اي بيننا، كما اوضح في هذا الشكل: الذات والمجتمع والثقافة في الحياة اليومية (من اجتهاد الطالب) رقم(09):



فالدائرة التي بالوسط تعمل من خلال مدخلات ومخرجات الحركة الثقافية والاجتماعية، والوعي بدرجاتها التي يزيد من كثافة تذبذبها عبر التواصل وعلاقة الافراد والجماعات، فالقمع تعبير عن حالة الفصل الانانية، او الآخريّة او سياسية او اقتصادية، والتي هي عائق ما يلبث ان يزاح عبر ما يوفره اليومي، وفن الحياة المشتركة وسلوكات الفاعلين، تعبيرا عن كثافة التنوع الثقافي والتداخلات الثقافية من هنا وهناك، تكون الهجرة حلقة وصل والمهاجر الوسيط المثالي

¹ تزفيتان تودروف، الحياة المشتركة، المرجع السابق ، 224.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

بها، ولا يقتصر هذا على الهجرة يمكن توسعته واعتباره حراكا ثقافيا ديناميا يشمل ظواهر اخرى اكثر غيرية وتوصلا،" ان الثقة التي لدينا بذواتنا تولد الجزء الاعظم من الثقة التي لدينا بالآخرين"¹.

تاخذ حركة الهجرة جانبيين مهمين في البداية بين ثقافتين ثم يتوسع الوعاء حسب الخبرات والتجارب، كما ان دوران التواصل بشكل افقي وعمودي يوحي باهمية العيش المشترك والتكيف والاستعاب بـ غية التكامل اكثر من التفاضل، يبرز فيها الطرفان مقدرة على الامتزاج والوصول الى تفعيل تلك الابعاد الثقافية، فكلاهما يشاركان في صوغ حياة مختلفة كالنساء والرجال مراهقين وشيوخ، مسلمين ومسيحيين، مؤمنين وملحدين، فالمجتمعات الحاضنة ليست تستفيد من اليد العاملة والدماء الجديدة فحسب، وليس المهاجرون كل حياتهم عمل، بالعكس الواقع المعاش يكشف نسبة الوعي بالذات ومعرفة الغير تزيد كثافة المعرفة لتصبح الثقافة عونا على تشكيلها معا:" ان المهاجرين يحفزهم الطموح والدينامية كخصائص فريدة لكل الوافدين الجدد حيث يتميز بروح المبادرة والقدرة على الابتكار، بطريقة غير مباشرة، يؤدي المهاجرون خدمة خاصة للسكان الذين يستقبلونهم على اراضيهم عن طريق اختلافهم ويسمح المهاجرون للسكان الاصليين بالتعرف اليهم من الخارج عبر نظرة الاخر"².

الهجرة ظاهرة في صميم اشكالية العيش المشترك اذ تكشف دوما هذه المقاربة عن قيمة التأنس والهدف الانساني كحقيقة للنوع البشري واقامة علاقات اجتماعية جديدة ومتكيفة مع مجموعات مختلفة تحيد بنفسها عن الخوف والتعصب والصراع والاختناق، النسيج الاجتماعي اكثر تفاعلا وتقاطعا وتنوعا لا يحتاج الى ترسيمة الحدود والدفاع عنها بقدر قيم الاحترام والفهم للذات والغير، بوسعنا تعلم التفاوض وسياسة التحوار للبقاء على وحدة التنوع مع الوحدات والمساهمات عبر ظاهرة الهجرة العابرة للقوميات والدول،:" بدل الخوف من الاخر يجب التشبث بالتفاوض لانه جوهر النوع البشري وذلك بحثا عن الحوار والاخذ بعين الاعتبار البعد الزمني الماضي كما المستقبل"³.

¹ تزفيتان تودروف، الحياة المشتركة، المرجع السابق ، ص199.

² تزفيتان تودروف، تأملات في الحضارة والديمقراطية والغيرية، ترجمة محمد الجرطي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة قطر، د.ط، 2014، ص81.

³ المرجع نفسه، ص172.

أ-الهجرة والتكيف الثقافي:

القيمة الحقيقية للعيش المشترك بين فئات المجتمع المتعدد المتناسك لا تتحقق دون الالمام بجوانب ميدانية نلمس جوهرها في الحياة، هذا الجوهر الذي يسير على خطى التكيف مع تلك التدفقات الثقافية العابرة للاقاليم، او الوافدة تلك من المهاجرين في عملية تحفيز واذكاء للمجتمعات بعيدا عن اي صراع ونزاع الذي هو الاستثناء وليس اصل الموائمة البشرية.

" إن التربية والتكيف الاجتماعي مكونات لا غنى عنهما لاية ثقافة، ولو نظرنا الان الى هذه العوامل وتأثيرها المتبادل والمتنوع فسوف يلمع حالا وانه لاوجود لاي ركود، فالثقافات في حالة تدفق مستمر وهي تتغير وتتطور بشكل تدريجي غالبا"¹.

فمن غير المجدي التوجه بخطى ثابتة دون نقد تلك المصادر المتصلبة والعوامل والاسباب التي تزيد من تكلس الثقافات، الصراع تعبير عن منطقتي احادي يستولي عبر عدة مناطق واجزاء ثقافية بشكل اناني وهستيري في نفي الآخر وتدمير ذاته ونكران قيمة وركيزة تكيف الثقافات.

ان الخبرات الاجتماعية للمهاجرين، تمس الحياة الجوهرية والمادية، وهذا كله الثقافة كاسلوب حياة، وان اشكال اللامساواة والتنازع في طريقة توزيع السلطة، والنزوع نحو تأمين المخاطر الخارجية للثقافة لا يكون برسم الحدود والدفاع عن الهويات متخيلين انها قلاع محصنة، بل بالعكس يكون عبر التمرس اكثر واستوعاب كثافة الاحتكاك والتغيرات بشكل يومي، ان: "تكيف الناشئة اجتماعيا، اذا اراد المجتمع الاستمرار ويجب على الناس في هذه الامور المتنوعة ان يواجهوا انفسهم بحيث يكون سلوكهم متناسقا مع بعضهم البعض، وغير ذلك فان تماسك المجتمع سوف ينحطم، ويجب ان يطورا تصورات متطابقة حول معنى اسلوب سلوكهم حتى ينجح هذا التناسق"²، وهذا ما رميت اليه بالضبط وان تكون الهجرة دوما فرسا لنا جميعا لادراك كل هذا.

تعالج مسألة التكيف الثقافي طوارئ واستجابات التدفقات وبرز اشكال الانقسامات الاجتماعية التي يواجهونها، فالهجرة تزيد من حدة هذا الحراك لذلك يكون التكيف الثقافي والسلوكي مطلوبا للتماسك الاجتماعي، هذا التماسك لم يكن بمنطق دفاعي الا وفشل في اشكاله التحضيرية

¹ هارالد مولر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتغتون، ترجمة ابراهيم او هشيش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص ص، 56، 57.

² المرجع نفسه، ص 55.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الخطية المسبقة انه ايضا تعبير آني لحظي نتأمله فنسلكه وليس نتبعه عبر برنامج معين استعجالي لمعالجة ظاهرة الهجرة مثلا.

الهجرة حراك ثقافي واجتماعي ممتد عبر تجارب وخبرات متنوعة وتشابكات ثقافية تري ان تكون اكثر كفاءة، فالمقدرة الثقافية على التكيف مع جميع المستجدات مطلب حثيث على تحسين الاداءات السلوكية اليومية الفردية والجماعية الرسمية والغير رسمية، وكما شهدنا في تطوير نظرية "هوفستيد" والابعاد السداسية لها.

لقد اشتغلت الكثير من الدول مثل فرنسا وبريطانيا وامريكا والمانيا على فكرة الكفاءة الثقافية وتعزيز قدرات التكيف الثقافي وادرجتها على سلم اهتماماتها الاقتصادية والتنمية في حين تلقت دول الجنوب والعالم الثالث تصورا سلبيا عن التكيف ولم تفرق بينه وبين مشاريع التكيف الثقافي الذي هو نوع من التشريط الثقافي لمجتمعات اخرى على مجتمعات ودول العالم الثالث. -مثما شهدنا في مؤتمرات الجندر العالمية بكين والقاهرة وغيرها -.

هذا التكيف الثقافي الخارجي هو برنامج مسطر يرجى استهلاكه فقط دون معالجة بنيوية وثقافية دون الالمام بمساهمات المحلية-الكونية، التكيف الثقافي اكراه خارجي وادماج قسري للمجتمعات في نظام وتصور عالمي لا يبالي بالمقدرة الداخلية، في حين التكيف الثقافي هو عملية جوانية داخلية فردية وجماعية محلية وكونية في مسار ما بين الثقافات والشعوب على قدم المساواة طبعا وما هو متناسب مع القدرة الثقافية لذلك وبالاحتفاظ بخصوصية خطوات بلوغ الكفاءة الثقافية.

لقد استقبلت كل دولة وعملت كل ثقافة بشكل مختلف عن الاخرى تجاه عمليات التكيف الثقافي ، فالمانيا منذ العشرينات من القرن الماضي كانت تعاني من سيطرة الفكر النازي العنصري عليها وكانت لا ترى الا الالمانى الابيض والاري وتسخر وتعنف غيره غير آبهة به وكانت تتأى بنفسها عن اي ثقافة تحاول التزاوج معها وتتعت غيرها بانها ثقافة منحطة وغير المانية (Undeutsch)، الا ان الوضع بعد سقوط جدار برلين تغير بشكل دراماتيكي واصبحت المنظومة الالمانية قد استوعبت علاقتها مع الاخرين ومع الثقافة الغربية، اليوم وعبر هجرة السوريين بكثافة اليها صار اللغة العربية لغة رئيسية في التحدث والترجمة ولافتات الاشهار وفي المطاعم والمقاهي والمدارس¹، لقد تغيرت المانيا كثيرا بالرغم من عودة النازيين الجدد ورفض ما تقدمه السياسات الاحتوائية والعقلية الالمانية الجديدة وتغير الوجه الثقافي عموما.

¹Loc.cit.www.Infomigrants.com

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

إن أهمية التكيف وكفاءة التفاعل الثقافي ليست هي ذاتها مصطلحات الاندماج (Integration) والتماهي (Assimilation) التي هي أكثر توقعاً ثقافياً (Repli communautaire) وتكون هوامش ثقافية -عبر منطقتها الشمولي (Marginalisation)-، أسعى إلى التكيف الثقافي لمراعاة استراتيجيات المهاجرين وغيرهم في التفاعل والتواصل وإنشاء ثقافتهم الخاصة ضمن الثقافة العامة.

"العوامل المحددة لكل استراتيجية، منها ما يتعلق بخصائص المجتمع المضيف كتكوينه الاجتماعي.. والاتجاهات الأيديولوجية السائدة ودرجة انفتاح أفرادها على الثقافات الأجنبية، ومنها العوامل التي تتعلق بخصائص الشخصية للفرد المهاجر نفسه وموقفه المبدئي من ثقافته ودرجة انفتاحه (Atitude interculturelle) ومستواه التعليمي وبنيته النفسية وأسباب هجرته وطموحه"¹.

إن الحاجة إلى التكيف الثقافي أعمق من التكيف الاجتماعي، بحيث الأولى تسعى إلى تعميق البحث في المدود الثقافية الأولى، وما حوته منذ نقطة الانطلاق إلى وقت الوصول، وهي ذات المعالجة لثقافة المضيف، في شكلها المتعدد طبعاً، يكون بعض المهاجرين أقرب استراتيجياً من التكيف الاجتماعي في سلوكياتهم من التكيف الثقافي وهو ما يجعلهم قريبين من (Bricolage Identitaire) الترقيع الهوياتي أحياناً في محاولة التوفيق بين: "الهوية الأم والهوية الثقافية للمجتمع المضيف وهوما من الأساليب التي يسعى إليها أبناء المهاجرين من جميع الثقافات"².

التكيف الثقافي هو فحوى العملية الدينامكية للابعد والتنوع كوحدة مجتمعة في حيز مفتوح على التحولات والتغيرات، التكيف الثقافي يساعد الجسم الاجتماعي على إعادة النظر وفقاً لما تمليه ضرورة السلوك المنجز أثناء عملية التواصل، إن التكيف يساعد على جعل المصادر الثقافية أكثر مرونة ومعالجتها بشكل تلقائي عبر السلوكات والممارسات والمنجزات اليومية، تكون الثقافة محصلة التواصل المتجدد: "العملية الواعية التي يحاول بها الأفراد والجماعات أن يتلائمون مع الأوضاع المختلفة التي يوجدون فيها وأن يتمكنوا من تغيير سلوكهم"³.

¹ خطاب خطاب، التنوع الثقافي وفاء التفاعل الثقافية، مقرب لتكيف الجماعات المغاربية المهاجرة بأوروبا، من كتاب جماعي لاجتماع المؤتمر خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الاصاله والمعاصرة، دار النشر المركز العربي برلين المانيا، 2021 ص 146.

² عزام امين، التكيف الاجتماعي والهوية العرقية لدى الشباب من اصول عربية مغاربية بفرنسا، حين يكون العنف استراتيجياً هوياتياً، مجلة عمران، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، عدد 4، 2017 (7-31) ص ص، 11-12.

³ المرجع نفسه، ص 26

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ويشير كلا من جينيفر ج. ودليل، ودون برنس، على أن: "التكيف الثقافي هو توفر الإرادة على معرفة الثقافات المختلفة وفهمها والعمل الفاعل وسطها وتتطلب القدرة على التكيف الثقافي ان تمكن النظر في الاصول الثقافية...وان تتوقع مواجهة الاختلافات الثقافية وان تتعلم بنفسك المزيد عن الثقافات المختلفة وان تتعلم من تجاربك الثقافية"¹.

إن الهجرة هي تجربة ثقافية حيوية بكل ابعادها وتحدياتها ومعطياتها، فهي عملية اماطة اللثام عن التحيزات والتجريدات الغارق في الازدواجية والتقاطب مهاجر او مواطن اوروبي، هي عملية تريد ان نعترف بقيم الثقافات المتعددة ومساهماتها الفاعلة عبر المهاجرين، الهجرة حقل ثقافي متوسع دوماً ومتكشّف على القدرات الثقافية والتواصلية ما بين الافراد والجماعات والمجتمعات، تحدي ما بين الثقافات: "ان الكفاءة الثقافية محصلة التفاعل واساسه، وفي ذات الوقت فهي عملية متبادلة وهذا ما يجعل الحيز الاجتماعي والثقافي لافراد اساس اختارهم اليومي...لكفاءة التفاعل الثقافي الصلة الرابطة بين الثقافة الاصلية والثقافة الواردة كما انها الاداة الفعالة للتشكل الثقافي الجديد سواء بين المهاجرين او المضيفين، وهذا لا يتم الا عبر اليات معقدة من اللغة والتمثلات والممارسات اليومية"²، من الناحية الاجرائية اكثر يمكن ان نوضح ان بنية التكيف الثقافي وعماد التفاعلات الثقافية ما بين الثقافات تعمد في الاساس على ما ذكره الباحث "مبارك الرشيد" من خلال هذا الجدول(12):

خصائص مراحل تشكل الكفاءة- بين الثقافية لدى الفرد³

المرحلة	التعريف	النظرة للثقافات الاخرى	شعار المرحلة
الوعي الثقافي (Cultural awareness)	المرحلة التي يكون فيها الفرد مدركا الثقافة الخاصة وهويته الثقافية وينكر وجود اي ثقافة اخرى مختلفة	ينكر وجود ثقافات اخرى غير ثقافته ويتميز الفرد باعتداده الثقافي	ثقافتي هي الثقافة الوحيدة والحقيقة في هذا الوجود
المعرفة الثقافية (cultural knowledge)	المرحلة التي ينظر فيها الفرد من خلالها خارج حدود ثقافته الخاصة فيكون ملما بخصائص الثقافات الاخرى ويتميز بكونه مصدرا للاحكام	يقر الفرد بوجود ثقافت اخرى كما يبدأ بملاحظة الامور المتشابهة والمختلفة بين ثقافية والثقافات الاخرى	ثقافتي افضل من الثقافات الاخرى. لا استطيع تقبل ا لاختلافات الثقافية

¹ جينيفر ج. ديل، برنس، تنمية القدرة على التكيف الثقافي، ترجمة روزان ابراهيم، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 2007، ص39.

² خطاب خطاب، التنوع الثقافي وكفاءة التفاعل، المرجع السابق، ص147.

³ مبارك الرشيد، وآخرون، الحساسية بين الثقافية كمؤشر لتحديد مستوى الكفاءة بين الثقافية لدى الطلبة الدراسات العليا في كلية التربية، جامعة الكويت، 2019، مجلة التربية، الاسكندرية مصر، العدد02، (2019) ص 23.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ثقافتي ليست افضل ولا اسوا من الثقافات الاخرى	يشعر الفرد بالتعاطف والاهتمام تجاه الاختلافات الثقافية فيحترمها ويقبلها ويتعامل معها بسعادة	المرحلة التي يحمل فيها الفرد وعيا كاملا بوجود اختلافات جوهرية بين ثقافته والثقافات الاخرى ويتميز بكونه غير مصدر للاحكام	الحساسية بين - الثقافية (inter culturalyral sensitivity)
---	--	--	--

هذا الجدول يلخص تقريبا جميع التصورات التي نمر بها بالعموم في حياتنا كما انها مقارنة موفقة لمعالجة ظاهرة كالهجرة والتقرب اكثر من مستوى الوعي والسلوكات، يوضح التكيف الثقافي والتفاعل الما- بين ثقافي وفق المنطق الاجرائي، على كثير من الابعاد النفسية والانثربولوجية الثقافية والاجتماعية المؤسسية والتنظيمية والتي تنطلق من التصورات والتمثلات والتنشئة ومنطق تشكيلات الرباط الاجتماعي والعلاقات -بالاخص داخل المهجر، : " لاجل بناء مخطط التكيف الثقافي وجب الاعتماد على منطق عملي وعلمي صريح يمس الاتجاهات الثلاث:الاول بنية الاسرة والقيم التربوية(من الجانبين المهاجرين والمستقبلين) والاتجاه الثاني المدرسة الكفيلة بزرع قيم التكيف والتفاعل الكفاء...والاتجاه الثالث ادارة التميز الفعلي للمهاجرين والمستقبلين في الفضاء العام(معرفة حدود التواصل وامكانياته"¹.

خلاصة:

إن طبيعة الهجرة اليوم تثير بعدا مختلفا يتسم بالخليط الثقافي ما يستدعي اولوية لمقاربة (MIXED MIGRATION)والذي نراعي فيه حجم التداخل بين المحلي والكوني والفردى والاجتماعي في صيغه المختلطة والعبارة مما يوحي تارة بمظهر الصراع وتارة بمظهر التناغم والانسجام والتوسع في تجارب ثقافية يؤثر فيهما كلا الجانبين على بعضهما البعض خلال عمليات القبول والرفض.هذه العمليات التي تستوجب عناية بالسلوكيات الفردية ومعالجة للمضامين والخلفيات الثقافية، لاجل استوعاب هذا الفيض من الهجرات المختلفة والمتنوعة العابرة للثقافات.

¹ حطاب حطاب ، التنوع الثقافي، المرجع السابق، ص149.

الفصل الثامن: مظاهر التنوع والتعدد الثقافي بمجال الهجرة

تمهيد:

يتجه المهاجر من بلد الى بلد ومن مجتمع الى مجتمع يغامر مرة بكونه مقتلعا(حراقا) او بكونه سائحا، تائها، رحالا، يتكسب هويته عبر المعيش اليومي ويتلاعب بكل مورد متحصل عليه ويفقد قوة كل امكانات التشريطات السابقة او المعروضة امامه، ان المهاجر ينظر اليه على انه لا يستطيع تجاوز عتبة المستوطن/طالب الإقامة والجنسية، ينظر اليه من المجتمع الناتج لهذه الادوات القانونية والسياسية انه ناقص الثقة ولا يعول عليه في الكثير من المسائل هناك مسافات وحزازات ما تتصور مشكلة الخصوصية والكوني في علاقة تبحث دوما عن مخرج للتنفس للتواصل الحقيقي.

هل المهاجر مستوطن فقط؟، هل هو معلق بصفة الغرابة والاجنبية؟، هل فكرة الواجب للمواطن والمواطنة تمكنه من النضوج بهويته السياسية والاجتماعية؟، المسألة اعمق من طرف الاندماج دوما والمسألة متعلقة بالفعالية بنوعية وجود الحياة (Quality of Being) هذه النوعية مرتبطة بمقدرة رؤية داخل جهاز الدولة وطبيعة المجتمع

1- المهاجر المستوطن/المواطن

من غير المجدي ان نبحث عن كفيات او وضعيات وابعاد ثقافية دون بلورتها داخل حيز اشتغالها، كما لا يعني هذا الحد من مقدرة ديناميكية للتنوع، بالعكس الرؤية التي من خلالها تكون الدولة والمجتمع متماسكا مستقويا دوما بروح الجماعة الضامة للفراة والابعاد المختلفة. يسعى الكثير من الفلاسفة الالمان المعاصرون رواد الجيل الثالث لمدرسة فرانكفورت الى معالجة هذه القضايا عن كثب بما يسمى- المانيا القومية الاوروبية- ككل في بعد فلسفي اجتماعي يحاكي هموم ومشاكل الانسان المعاصر على راسهم، "يورغن هابرماس" عقلانية الفعل التواصلي واكسل هونيت "لاطروحة الاعتراف.

للمهاجر تعبير مزدوج عن المواطنة منذ المغادرة الى الوصول، لان فعل الهجرة غالبا ما يعبر عن الفشل الذي حصل في الاندماج الوطني الحقيقي بموطنه الاصلي يتبعه حالات الانتقال والترحال هنا وهناك بحثا عن ملاذ يعبر عن الانسان في الاخير، كثيرة هي مظاهر الفشل الروح الوطنية المستدمجة وهوية مواطنة حقيقة للهجرة للجوء وللعبور عبر مناطق القرار تشير الباحثة الجزائرية كيم صبيحة عن هذا بقولها:

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" فئة عريضة من الشباب الجزائري خاصة منهم اللذين يعانون مشاكل اجتماعية الذي يشعرون بالاغتراب عن الواقع بسبب التحولات السريعة التي يشهدها المجتمع الجزائري باعتبارهم ضحايا لفشل مشاريع تنومية متعاقبة..."¹.

اساند الباحثة في الراي التي تشير به الى الهشاشة الاجتماعية التي يعانونها قبيل الرحيل والمغادرة ، كما انني لا اساندها في سبب الهجرة في البطالة والبحث عن العمل " باغي نعيش" كونها تصريحات متسرعة نحو الثراء والقضاء على البطالة، بل العكس هناك مناخ معيش اوروبي يسمح للبطالة منهم فك الحرية والتنفس، لان بعضهم يقبل مهنة طباخ او مساعد في مقهى في اسبانيا ويرفضها بالجزائر، فهل بسبب فارق مالي او نوعية العمولة فحسب؟ بل هو اعمق وهو الذي جعلني احث على البحث في المناخ الثقافي، الذي يستفيد منه المهاجر، إلا ان الهجرة تعبير في المجتمعات الجنوبية او المتوسطة عن فشل بقايا هويات سياسية ذات معايير المواطنة لذلك تكون التعبيرات سلبية كالتي توجهت اليها الباحثة "الحرقه" العامل المتعلق بالبعد السياسي الثقافي، لذلك برز مفهوم "الحراق":

" يحرق اوراقه الوثائق الرسمية كأنه رجال هائم على وجه الارض فصورة الحراق تتحد في طريقة العبور لاجل الوصول..."².

هناك مثال اوسع به فكرة الوثائق الثبوتية لاولئك المهاجرين الجزائري الذي "حرقوا"³ الى المانيا عن طريق تركيا واليونان يتركون وثائقهم في تركيا عند افراد جزائرين مقيمين هناك و لا يحملون هذه الاوراق مخافة البوليس الحدودي على اليونان او تركيا او سلوفينا او المانيا، اي " مشكلة البصمة"، لما يتمكن منهم البوليس فانهم يبصمون لكن بدون ورق ثبوتي يضمنون استمرار الفرار لا يعودون الى طلب هذه الاوراق حتى يضمنون بقائهم باحد البلدان الاوروبية للتاقلم اكثر هي حالة تعبر عن ارجاء واستراتيجية ايضا.

لدينا موقفان من الهجرة الغير شرعية تجاه الاوراق الثبوتية: الاولى قطيعة نهائية ويكون الشخص بدون هوية والثانية خطة ارجائية، كما ان جواز السفر والهجرة يعبر عن وجه آخر لطبيعة الدولة والقوة الدبلوماسية للجواز السفر فهل يتخلى الالمانى او الاماراتى او الامريكى

¹ كيم صبيحة، البعد الانساني لظاهرة الهجرة الغير شرعية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الاجتماعية، الجزائر، مجلد4، عدد7، 2018، ص02.

² المرجع نفسه، ص03.

³ المبحوث بلال المدعو هلال، <https://youtu.be/tH2TmW02jv4>.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

عن عن جوازه اذا ما هاجر؟ هذا بعد سياسي- ثقافي وجب التنبه اليه ويكون عامل جذب للمهاجرين ايضا.

تشير الهوية الوطنية ومسألة المواطنة والجهاز السوسيو-سياسي المستدمج من اعلى هرم الدولة الى ادنى رتبة بالمجتمع، عبر ظاهرة الهجرة الدولية اشكالا جوهريا ما بين النصوص القانونية وشكل الدولة وتشعب الافراد بها، بهويتهم الوطنية والشخصية السياسية للمواطنة، يرجع تاريخ الهجرة للدول الجنوب المتوسطية الى ظاهرة سلبية عموما، لما تعلق الامر بالحرب والبطالة والازمات السياسية، لكن يبدو ان هذا المشهد يؤثر سلبا على ظاهرة الهجرة التي يراها بعين الريبة، فالجزائر بلد ومجتمع مازال يعاني من اشكالية الشرعية وضعف التوازن بين التضامن العضوي والالي داخل المجتمع،: "فالدولة التي اصبحت بفضل تقسيم العمل المتزايد باستمرار عضوا متميزا عن المجتمع تجد نفسها اذن من الان فصاعدا فوق كل شيء... يؤدي اذن تقسيم العمل العادي للعمل دفعة واحدة الى بناء الدولة وتحرير المواطنين"¹.

هذا الجهاز في نظر دوركايم له علاقة بين التضامن العضوي والالي ما بين المستوى الفوقي والسفلي في مكسب الشرعية يولد ذلك ظواهر مختلفة، كما اشار الى ذلك ماركس وهو على العكس من دوركايم حالات الاغتراب والاستلاب بسبب تقسيم العمل غير ان دوركايم يثبت انه: "بينما تتورم الدولة وتتضخم للتوصل الى حصر الافراد بشدة دون ان تتجح بذلك، فان هؤلاء لغياب روابط بينهم يتدحرجون فوق بعضهم بعضا كما لو انهم جزئيات لغياب القوى التي تمسكهم وتثبتهم وتنظمهم"².

لا ننكر أن الجزائريين المهاجرين الى المانيا يعانون من هشاشة سياسية على مستوى تعريفهم الايجابي على المواطنة، بل كل مرحلة مفصلية من تاريخهم ترميهم بعيدا عن استوعاب المناخ السياسي العالمي، كما ان المجتمع الالمانى عبر تاريخ ايديولوجية العرقية القومية جعلته يتاخر في مثيلاتها مثل ببريطانيا وامريكا عن استوعاب المواطنة والكوننة وهذين المفصلين يجعلان من رحلة المهاجر ككاشف لنقاط ضعف هذا المفهوم وهذا الواقع الذي يحتاج إلى تاسيس واثبات ان المهاجر الجزائري والمغربي او العربي (يمكننا توسيع هذا الحكم) من خلال تجارب الهجرة والبحث عن المواطنة الحقيقية والواقعية وفحص اطروحات المواطن العالمي يكشف دوما عن مسالتين في غاية الاهمية الاولى: (1) تخص بلده المنشأ الذي هو ممتد في القبلية والطائفية

¹ برتران بادي، بيار بيرنيوم، سوسولوجيا الدولة، ترجمة، جوزيف عبد الله وجورج ابي صالح، مركز الانتماء القومي، بيروت لبنان، ط1، د.ت، ص15.

² المرجع نفسه، ص15.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ونبذ الآخرين، فهو مهاجر جزائري يريد الوصول الى المانيا او فرنسا مثلا، لكن ترفض حكوماته ان تكون على ارضها مهاجرين، هذا الرفض يولد حالة تناقض تعبر عن بعد سوسيو-سياسي شيزوفريني.

التعبير الدقيق هو ضعف الهوية الوطنية والمواطنة عموما، في ذات السباق يكون اثناء مراحل الانتقال اذ يصارع للاجل الحصول على رتبة مستوطن متحصل على شهادة اقامة دائمة او جنسية في غالب الاحوال وصعبة التحقق لعدة اسباب شخصية وقانونية، لكنه في هذه الحالة لا يتمتع بكامل الهوية (المواطنة): (2) لان هذه الدول مازالت تراه كما عبر عن ذلك عالم الاجتماع الالماني "هانز هيرمان" -المقيم بامريكا وشاغل استاذ جامعي بولاية لوس انجلس- حول التوظيف الامثل لرأس مال صورة ما، تجعلنا دوما نضع المهاجر الباحث عن الاعتراف التام به بينهم، وتبرز الدولة تخوفا كبيرا كما المجتمع من هذه الظاهرة، والتي تهدد نسيج المواطنة: "اصبحت الهجرة الى حد كبير هجرة المتسكعين المعتمدين على الاعانات الاجتماعية الذين لا يزيدون بل يخفضون متوسط مستويات المعيشة"¹.

يحاول "هانز" التركيز على مقولتي الاندماج والادماج القسري على ابعاد تحليلية ثلاث: الثروة، والرفاه، والملكية، خاصة هذه الاخيرة التي تشكل نقطة مهمة في كشف ضعف المواطنة لدى المهاجرين والذي يعلمون بذلك انهم لا يمكنهم امتلاك بيت او قطعة ارض دون وثائق او سيرة سلوكية جيدة، مسألة الملكية والايجار والضرائب والتوغل في ممتلكات الافراد الى صياغة المواطنة في عمق الممارسات اليومية، اذ يشير التملك الى مؤشر ضعيف للمهاجرين كونهم تعودوا على ملكية الرجل للمرأة وملكية الارض والسكن، خاصة اذا كانت الدولة لا تعزز هذا النظام يصبح تواجههم في البداية اكثر صعوبة في الالتئام الاجتماعي والثقافي.

ان التملك احتراز مسبق والطريقة التي يتم من خلالها ليست مجرد معاملات قانونية ان هذه الدول تحترز تحت غطاء سياسات ادماج قسرية: "بيدو جليا في ظل هذا السيناريو ان لا يوجد لما يدعى حرية الهجرة بل يتمتع العديد من مالكي العقارات الخاصة المستقلين بحرية قبول او استبعاد الآخرين من ممتلكاتهم الخاصة..."².

هذه المسألة غاية في الحساسية وركيزة اساسية، في بلوغ نضج وعي المواطنة كهوية سياسية واجتماعية نابغة عن تطور البعد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، لا يرغب

¹ هانز هيرمان هوبا، الديمقراطية الاله الذي فشل، ترجمة ايمان معروف، منشورات تكوين، الكويت، ط1، 2019، ص219.

² المرجع نفسه، ص 222.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

المهاجرون البقاء مطولا في شقق جماعية للكراء¹، بين السود الافارقة او مختلطة الجنس بالرغم ان هذا وضع ملزم وقسري هذه الحالة توسع من دائرة التمييز وتضعف من الانتماء والتمكن من العملية الاجتماعية كلية، قد تجعل البعض يختار احياء مهمشة او ذات مواقع مليئة بالاجرام والاتجار بالمخدرات وغيرها، كما تبرز التراتبية الطبقية والتمييز العرقي: " ان وجودهم ينطوي على تشويه ذي شقين فيما يتعلق بالميل الطبيعي للشعوب نحو اقامة علاقات مع الاخرين: اولا لا يمكن للمواطنين استبعاد الحكومة الضرائب من ممتلكاتهم الخاصة، يخضعون لما يمكن ان يسمى الاندماج القسري...ثانيا من اجل ان تكون قادرة على التدخل في الممتلكات الخاصة لمواطنيها"².

هناك امر يعزز المقدره الاستراتيجية لدى المهاجرين الجزائريين يقوم احد المهاجرين بتصوير حلقات بالادلة عن التفاوتات الفيدرالية في الضرائب سواء السكن السيارة النقل في السوق والاغذية مبينا الفروق بين كل مقاطعة إدارية داخل الاتحاد الاوروبي، عرض هذا الموازنة هي رؤية اكثر عقلية من المهاجرين ونشر الوعي للمرشحين بالهجرة ليكونوا على دراية بهذا الوضع، المهاجر اليوم اكثر تحضيرا وتاملا واختيارا أيا كان حراقا او بصفة رسمية³.

للضرائب علاقة بالمواطنة كهوية سياسية وعلاقة عميقة كتقافة وسلوك، فلا يخفى علينا السلوك الجزائري وذهنيته تجاه سداد الفواتير، كما انهم لا يطمئنون لسكنات الايجار يبحثون عن الاستقرار والتملك اكثر، وهذا لا توجد له مكانة بالمجتمع الالمانى العقلاني والصارم، اي خطأ قد يهدد بالمبيت في العراء، في السويد ان كراء الشقق لا يسمح لك بتغيير لون غرفة دون تصريح من المالك؟⁴، كل هذه الظروف والعوامل لها علاقة بضعف الهوية والنضج كمواطن مما يجعله ايضا عرضة للتفتيش عن بلد اوروبي آخر يضمن له هذه المستحقات النفسية والاجتماعية والاقتصادية(الرحالة).

أ-تجربة المواطنة في المجتمع الالمانى

هناك اذن علاقة سوسيو-تاريخية وسياسية جعلت مفهوم المجتمع وطبيعة تكوين الدولة وتفاصيلها المؤسسية تظهر بشكل دون آخر موضحة هذه الفوارق فيما بعد، بحيث يكون من الصعب على المهاجر ادراكها في المراحل الاولى، وهذا ما يجعلني اوضح مفهوم المواطنة.

¹ المبحوث 01.

² هانز هيرمان هوبا ، المرجع السابق، ص 224.

³ روابط قنوات مالك وبلال وامين دحدوح.انظر الموقع السابق الذكر.

⁴ رابط قناة مونيا. <https://youtu.be/6yq1NLLMkac>.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

يأتي المهاجر الى احضان خصوصية الشعب الالمانى، هذا الشعب لذي عانى كثيرا من ويلات النازية قبلها من ظلمات واضطهادة وتاريخ مليء بالنزاع العرقي والقومي، هناك بنية سوسيو- تاريخية لا ينبغي اهمالها بل مراعاتها مثلما قدم "الياس" في تحديد ما يجري حاليا: "اصبحوا كاناس ساءت سمعتهم غير آمنين فيما يتعلق باظهار التزامهم العلني بأمتهم والمناقب الالمانية... فهناك اغلبية من 52% من اولئك الذين اجريت معهم مقابلات في استطلاع جري كانون الاول عام 1988م، كانون الثاني 1989م في المانيا الغربية ترى في النظام النازي العلامة الفارقة في التاريخ الالمانى مقارنة مع تاريخ الامم"¹.

يحاول عالم الاجتماع الالمانى "مينش" من جامعة بامبرغ الالمانية، بسط مفهوم المواطنة لدى الشعب الالمانى والحكومة الالمانية، خاصة لما تمثله ضرورة الفترة الراهنة من سياقات مختلفة ثقافيا وعولميا والتعرض لفكرة الدولة الامة، امام هويات تحتاج سياسات مختلفة تتطلب مواطنة لكن باي صيغة في ظل الجذور التاريخية المؤثرة البنيان الاجتماعى الالمانى، ليس هذا فحسب فالامر الطارئ والمتناقض يرغب الكثير من المهاجرين الجزائريين دوما ذكر المناقب الهتلرية النازية ضد اليهود وضد فرنسا وفي ذات الوقت ينعتونهم بالعنصريين تجاه اي تصرف يعنصرهم كمهاجرين من قبلهم².

من المهم ادراك هذا ومعرفة الفروق بين المانيا الشرقية والغربية الى اليوم بالرغم من السياسات الموحدة بين الالمانيتين عبر عدة برامج واصلاحات عميقة، ان المانيا تحاول وخاصة في فترة ميركل تغيير الكثير من معتقداتها السياسية والمعاملة مع الغير.

يرجع مينش سبب فشل المواطنة بالمجتمع الالمانى الى احد الاسباب القانونية والتاريخية:

" لقد كان قانون المواطنة الالمانى الذي يعود الى قانون عام 1913م حتى اصلاحه عام 1999م هو قانون رابطة الدم (ius sanguinis) يمنح حق المواطنة فقط الى الاولاد الذين يولدون لابوين المان... لم يكن حق المواطنة يمنح نتيجة الولادة على الارض الالمانية او نتيجة الاقامة في البلد لعدة سنوات"³.

طبعا على عكس الدولة الفرنسية وبلدان أخرى التي كانت تقر فقط بمدة الاقامة عوض قانون رابطة الدم، ولقد تغيرت المانيا بعد الاصلاحات، الا انه ينبغي أن نعلم ان هذا القانون مكون

¹ ريتشارد مينش، الامة والمواطنة في عصر العولمة من روابط وهويات قومية الى اخرى متحولة، ترجمة عباس عباس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، ط1، 2010، ص115.

² عدة مبحوثين.

³ المرجع نفسه، ص ص، 138، 139.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

نوعي للقومية الالمانية، سواء على مستوى السياسي او الاجتماعي، كما ان التجربة السابقة ببرنامج هجرة العمالة اثر كثيرا على جعل الرؤية ضبابية غير واضحة تجاه المهاجرين واللاجئين، كما سبق وان حدث مع التجربة التركية (هجرة عمالة) بالاضافة إلى أن البلدين لا يدعمان فكرة الجنسية المزدوجة، وهذا اضعف المواطنة وجعل المهاجرين اقرب الى المستوطنين،: "يتمتع الاجانب بكافة حقوق المواطنين الالمان ما عدا الحقوق السياسية... فان الهوية الالمانية والفكرة الالمانية عن الامة لا يؤثران على موقف السكان الاصليين من الاجانب.. كما ان تدني مستوى الثقافي الذي تم انجازه كلما تزايد الاتجاه السياسي الى اليمين في حين كلما ارتفع مستوى الحرمان النسبي كلما ازداد التعبير عن المواقف السلبية تجاه الاجانب.."1.

المعاملة الالمانية للمهاجرين ليست سواء، تكشف التقارير الداخلية ان سياسات الهجرة تصنف وفق الاعراق، ففي تقرير وثائقي حول هجرة والاجرام وضح ان المغاربة عموما والافارقة مبالون الى العنف والاجرام، وانهم يد عاملة غير نشطة وكسولة خاصة الجزائريين، في حين الاتراك والسوريين والصينيين والرومانين عمال نشطاء، وهذا منذ فترة 1970م الى غاية نهاية 1999²، الفكرة المهمة أن المعاملة الالمانية قائمة على الفروقات العرقية وفشل المواطنة.

إن حقوق التجنس ليست على قدم المساواة داخل المانيا والاتحاد الاوروبي الامر الذي يجعل المهاجرين في حالة ترحال داخل الاتحاد الاوروبي يقيمون سنة أو سنتين في بلد ثم ينتقلون الى بلد آخر باحثين عن وضعية اجتماعية واقتصادية احسن:"اذا كان الحق في الحصول على الجنسية في اساسه متاحا لا يعني ان تمنح بغير شروط لجميع الاشخاص الموجودين على اراضي البلاد، فهذا يعد خلطا بين العام والكوني، ويلغي التمييز بين رعايا البلد والأجانب، بين المجتمع السياسي والمجتمع المدني على ارض الواقع ويعيد طرح فكرة جماعة المواطنين(الشرعية السياسية)"3.

يسعى "تايلر" في نقد المواطنة بمفهومها الكلاسيكي عبر تلك الفصوص من الاختلافات الثقافية دون مراعاة الحيوية الفعلية للتنوع داخل النسيج الاجتماعي والسياسي، لانه يرى ان فكرة المواطنة على موقف مضاد للتنوع اذا ما جابهته في شكله الاثني والعرقى لذلك يلجا هو الى

¹ رينشارد مينش، المرجع السابق، ص 140.

² تقرير رابط الوثائقي. https://youtu.be/5M_-9itVrTI

³ دمنيك شنابر، كريستيان باشوليه، ما المواطنة، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2016، ص 188.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

التعددية الثقافية في محاولة للتوازن بين الفضاء العمومي والفضاء الخاص، والسؤال المهم هنا هل كان يعني الفصل بين العام والخاص تعزيزا للديمقراطية الاحادية؟ وهل يكفي الاعتراف؟ " هناك نوعان من السياسة العامة... النوع الاول بواسطة تشريع خاص في تطبيق المساواة بين الجميع.. وهو ما يعرف بسياسة تساوي الفرص (Equal opportunity) وتركز هذه السياسة على امتداد الدولة الحامية (Pastoral state)..النوع الثاني اجراءات نصاب محددة او تمييز موجب (Fair shares policy affirmative actions.Reverse discrimination) تمنح من خلالها حقوقا مخالفة للقانون العام للجماعات"¹

النوع الثاني طبق في امريكا وما زال إلى اليوم يشهد تطورا كما سنشهد عند "فرانسيس فوكوياما"، أما النوع الاول الذي هو مجرد مساواة شكلية لا تؤمن بتفعيل ابعاد الاختلاف والتنوع والمساهمة الفعلية لتحقيق المواطنة ما يبقي المجتمع دوما في حالة انقسام وصراع. تثبت هذه الأخيرة ضعف قيمة الاعتراف، لذلك يجد المهاجرون عموما والمسلمون أنفسهم الى الايمان اكثر بجماعتهم وقوانينهم التنظيمية الخاصة اكثر من تلك التي تقرها الدولة، كالزواج والطلاق والميراث، هي ليست حالة من الازدواجية بقدر ما هي: " ان الفرد من خلال حديثه او مزاجه المناهض للماسسة الاخلاقية...يبيرر سلوكه باحتياجه لان يزدهر شخصا ويكون حكم ذاتي مستقل الارادة ويعني بهذا انه كنوع من التعويض، تسببت تفتت المصادر المعيارية التقليدية في تنامي لجان الخبراء الاخلاقيين أو الحكماء الذين يتم انتقائهم تحت مسميات مختلفة..."².

هناك الكثير من الممارسات سواء الفردية او الجماعية المدنية او السياسية تجاه مسالة الهجرة والمهاجرين توضح انها لا تعدو كونها حركات شكلية تجعل من المواطنة في ثوبها الكلاسيكي غير كافية في استيعاب هذه الظاهرة العابرة للدول، فالحقوق الفردية والجماعية للمهاجرين والاثنيات والعرقيات امام نظام الحكم لم تكن لتنتل قيمة المساواة والعدالة، ناهيك عن حريتها الثقافية: "يورد تايلر (CHARLES TAYLOR) مثلا عن سياسة الاعتراف ، التأسيس لسياسة الاعتراف ينصب نقدهم على سياسة استيعاب الجماعات التي انتهجت بام المواطنة...التي مؤداها بشكل تسلطي ضمان الدمج الاجتماعي والسياسي للمجال العام-محل تكوين المواطنة

¹ دومنيك شناير، كريستيان باشوليه، المرجع السابق، ص 260/259.

² المرجع نفسه، ص 257.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

وممارستها بواسطة الاتحاد/المساواة/الشمولية ويتم ذلك بتهميش الانتماءات الدينية او التاريخية الخاصة وعلى المدى الطويل يتم تدميرها"¹.

ما بين العام والخاص كمجالين محددين داخل اطار الدولة الحديثة، تلعب السياسات دورا بارزا في الجمع بين الهويات في قالب عمومي موحد وتوسيع ذلك الوعاء بالتعددية الثقافية ، وهنا تكون المشكلة التي تركز على الشرعية السياسية والاجتماعية، ما بين البناء التحتي للدوار الاجتماعية واختلاف المنظومات وما بين الشرعية السياسية واحتكار السلطة، المهاجر معلق ما بين المبادرة بثقافته وانتماءاته الخاصة وبين اجبارية الانخراط في العمومي المشترك والمتفاهم عليه.

المسألة شائكة وأخذت من منظور الهجرة بعدا اخر جراء تلك الوفود المختلفة ثقافيا والراغبة بممارسة خصوصيتها ، يرجى دوما منه الانضمام الى الجماعاتي (Communautarisme)، هناك تنوع لغوي واختلاف في مفهوم الواجب والحق وطرق التمثيل والمشاركة السياسية وبينه العلاقات الشخصية والاجتماعية، فالدولة الالمانية مثلا لا يمكنها ان تكون محايدة كلية لانها تسعى الى توحيد الثقافة بفكرة تقوية العمومي على الخصوصي، والابقاء على مسافة الاعتراف به كضيف متواجد ما يلبث ان يندرج تحت الشرعية العمومية: " يمكن للمواطنة ان تمارس بشكل مثالي على المستويين تحت-قومي (Infranational) وفوق - قومي (Supernational) والرابط بين الامة والمواطنة ليس منطقيا وانما تاريخي غير انه حدث تاريخي لا يمكننا القول بانعدام أهميته أو معناه"².

نستشف من خلال أطروحة المواطنة أن مفهوم الامة،الدولة، المواطن ،الفرد، المهاجر، ليست مفاهيم مجردة او حدود واضحة كلية ومفعلة بشكل تلقائي وعفوي تلعب التراكيب التاريخية والدينية والايديولوجية دورا كبيرا، ولا يمكن للمواطنة كفكرة كونية أن تصل إلا إذا استوعبت الحلقة الاخيرة من الدرس ، هذا الدرس الذي يرتدد على هيئة اشكالية المهاجر او الهجرة وما تحمله من تحديات عميقة على المستوى البنيوي الثقافي الغير متحاور فعليا او هناك حوار طرشان يحول بيننا وبين الوصول الى المشترك الفعلي الذي نساهم في بنائه وليس من طرف واحد:" متخيلنا الاجتماعي في اي وقت بعينه امر معقد، وهو يشمل على حسب التوقعات

¹ دومنيك شناير، المرجع السابق ، ص288.

² المرجع نفسه، 298.

العادية التي تكون لدى كل منا اتجاه للاخر، وعلى نوع من الفهم المشترك الذي يمكننا من القيام بالممارسات الجمعية التي تصنع حياتنا الاجتماعية"¹.

انه لمن المهم ادراك هذا الجانب من سولة حياتنا المتخيلة اجتماعيا ، امر يخفف من وطأة فكرة الازدواجية وصراع الحدود ومن تصلب القواعد والمعايير امر يجعلنا لا نتوسل الاعتراف كثيرا بقدر معرفة حقيقتنا اكثر بشكل واضح وما المهاجر الا مرآة عاكسة لهذه العلاقة المأزومة.

2- الخصوصي والعمومي والكوني (البحث عن الاعتراف)

تشمل كل جماعة ومجتمع ثقافة وافراد جملة من النقاطات الفكرية والسلوكية والمعرفية في اطارها الرسمي والغير رسمي، منشأة روابط وعلاقات مماسسة وغير مماسسة في اطارها الخصوصي والكوني، العابر والمستقر مفتوحا على العمليات المتداخلة والبيئية، في البداية كان الاشتغال على التفاعلية وعلاقة الذات بالمجتمع ثم تطور الامر لعلاقات المجال والثقافة والعناية بالتنوعات الحاصلة ثم توسعت دائرة المعالجة من المحلية الى الكونية والعكس بشكل جعل من الحدود امرا واهيا وفي ذات الوقت ابرزت علاقة الخصوصي والكوني كاشكالية محورية للتشكل الفردي والثقافي.

أ: الخصوصية والعمومية

من الناحية النظرية والتحليلية هناك نظريتان مهمتين بهذا الخصوص، الاولى متعلقة بالفعل التواصللي ليورغن هابرماس (JÜRGEN HABERMAS) واشكالية الفاعلية التواصللية (L'agir Communicationnel) والثانية باكسيل هونيت اشكالية الاعتراف (Reconnaissance): " ان هابرماس يعتبر الفعل التواصللي ينتج عن العلاقة التفاعلية التي تربط شخصين على الاقل داخل العالم المعيش وفي اطار توافقي بينذاتي وسيكون التفاهم بهذا المقضى هو العملية التي يتحقق من خلالها اتفاق معين على اساس المفترض الادعاءات الاصلاحية المعترف بيها بالاتفاق المشترك"².

ان البيئة الاجتماعية وتركيبية الافراد والمناخ السياسي والمجال الحضري والمديني الذي اساس باوروبا له خصوصية في تلك العلاقة بين المجالين والتي تطورت بين الجدل الديني والسياسي الى نتيجة بناء الدولة الحديثة، وهذا مبعث "هابرماس" في الانخراط العقلاني والتواصل الذي يتم

¹ شارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2015، ص36.
² عز الدين الخطابي، حوارات الثقافات، بين الكونية والخصوصية، مقاومة فلسفية انثروبولوجية، مجلة رؤى تربوية، العدد 28، ص 120، (د.ت) (د.ذكر البلد).

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

بالتفاهم والتبادل ويلغي كل مظاهر الشخصية ويعزز الارادة العامة:"لانه تعبير عن مصالحهم المشتركة، مما سيؤدي الى انخراط كل الاطراف في العملية التواصلية، فمبدأ الكونية يقتضي تبادلاً شمولياً للأدوار يدعوه "ج. ه. ميد" بالتبني النموذجي للدور (Role taking ideal) او الخطاب الكوني القائم على الحجة (Universal discourse)".¹

يؤكد هابرماس على المقدرة العمومية في احتضان الخصوصية، هذه النزعة واضحة (Consensus) والتي تشكل عائقاً اما حيوية المبادرة الخصوصية وتقويض الامكانيات الاختلافية، هذا فضلاً عن التنوع الثقافي يحاول "مانفريد فرانك" (M.FRANCK) تقديم معالجة للتنازع والتعارض والاختلاف مركزاً على مبدأ الحجاج:"ان الاجماع والخلاف مترابطان ولا يمكن أن ينشأ نزاع من حيث المبدأ الا عند وجود سعي حقيقي نحو الاجماع، فالنزاع يستوجب حضور الشيء نفسه في الازهان بالنسبة للطرفين المتنازعين...".²

إن المهاجر الذي يواجه لغات وثقافات مختلفة، يجد نفسه امام خيارين: فاما ان يتخلى عن هويته وينخرط في ثقافة غيره، بإعتراف واتفاق، واما بنسج هوية لا هي مرتبطة بالاولى ولا متماهية مع الآخر، يعتبر هابرماس الاتجاه الاول تعبير عن الازدواجية وصراع حول صلاحية المعايير والقيم ويبدو ان افق التفاهم والتبادل غير واضح، يوضح المفكر الامريكي جون راولز (J.RAULES) هذا بقوله:" الاجماع عن طريق الاتفاق يقدم تاويلاً ممكناً للفكرة التي مفادها ان لكوني والخصوصي يقتضيان بعضهما بعضاً"³.

هذا اللقاء والتداوت نتج عنه ظاهرتان ثقافيتان يكون فيهما المحلي بحاجة الى الكوني والعكس، بذات الاسلوب والكيفية للمناقلة الثقافية المتعددة ينجم عن ذلك ظاهرة التثاقف والمثاقفة كما ابرز ذلك عالما الانثروبولوجيا "باستيد" وبلانديه" حول حسابات الافراد وما تقتضيه الكيفيات والتفكير والتصرف.

إن هذا الجديد الوافد او المهاجر او الضيف يعبر عن علاقة تطرحها قوالب الهجرة حول الخصوصي والعمومي او الكوني والخصوصي ليس من التجريد بقدر تلك الممارسات اليومية والابعاد الثقافية للسلطة والتوزيع والادوار والصور التي تمنحها عن انفسنا والحوار الضمني السلوكي خلال الممارسات اليومية التي يتشابه فيها الحدان، يتعلم الاطراف هذا تلقائياً في

¹ عز الدين الخطابي، المرجع السابق، ص120.

² المرجع نفسه، ص121.

³ ستيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة محمد جديدي، منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص ص، 86، 87.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

المجال الميداني يحفز ذلك رغبة لدينا بالبحث الامبريقي والاقتراب من معرفة: "الجدل والنقاش بين النشاط (Poiésis) والافعال (Praxis) والوضعيات (positivisme) وعبر معالجة اداتية للغعل التواصلي (Manipulation instrumentale) والاتفاق التواصلي (Entente communicationelle) الذي يعد هدفا وغاية للعقلانية"¹ أنها فعلا سياسة المشترك الذي يحاول من خلالها الفاعلون الفهم ثم الانخراط والاداء الجمعي بحيث يعترف كل منهما بالآخر في حقل تواصلي والتي تعكس المقدرة المعقلنة والامكانية لتوظيف ما هو مبطن في السلوك او الحقيقة التواصلية، يحاول "هابرماس" تجاوز ايضا نقطتين سلبيتين في السوسيولوجيا الأولى الاتجاه الوضعي والمنغلق على الذات التي يراها انها ركزت على اداتية التفاعل لا وعي التواصل، يحاول هابرماس الاقتراب من سوسيولوجيا الحاضر من خلال هذه النظرية: "يقودونا هذا الى فكرة السوسيولوجيا تفضل الافعال والتفاعلات الواقعية ضمن سياق التجربة العادية، بدلا من معالجة الوقائع بوصفها اختيار يشكل التفاعلات اللسانية من خلال وضع سيعد القصدي والتواصلي للحياة الاجتماعية في المقام الاول"².

ما يقره "هابرماس" يبدو عقلانيا ومنطقيا من حيث الحجة والبرهان وحتى ما نشهده او ما تحتاجه الامة الالمانية من خلال تشريح الفضاء العمومي والفضاء الخاص والعلاقة العقلانية بينهما، لكن ولا بد ان لدرجة العقلانية والمعقولة حدا تبلغه ولا يمكنها بلع وهضم كل المساهمات الاخرى الراغبة في التوسع والانفتاح اكثر، كما انني اريد التركيز على الخروج من منطق المعالجة المزدوجة العقلانية واللاعقلانية والانتباه الى ما اشار اليه عالم الاجتماع "فيبر" لا عقلانية العقلانية والممارسات المعقلنة والانتباه الى هذه المساحة الرمادية من حيث المعيش اليومي الذي تذوب فيه هذه الحدود ، كما ان "هابرماس" ينتصر ليس للموضوعية وحسب بل للعمومي في تسير شؤون المجتمع وبناء الدولة وهذا يلغي امكانيات الانفتاح على المبادرات الاخرى وتفعيل نشاط التنوع، لان فكرة الاجماع والشرعية السياسية وما هو متعارف عليه ومتفق عليه يجعل الباقي في الهامش، يحاول عالم الاجتماع والفيلسوف الالمانى من ذات الدرس "اكسيل هوني" معالجة هذه الفجوة:

¹ ستيفان هابر ،المرجع السابق ،ص66.

² المرجع نفسه ، ص66.

ب: الاختلاف والاعتراف (اكسيل هونيت)

" ان نفهم الطابع المؤسس للحريات الفردية، فنحن لا نعرف اين توجد هذه الحريات ولا كيف يمكن لها ان تتحقق الا عن طريق الاعتراف المتبادل، فبدلا من ان نفهم العلاقات المشخصة والاقتصاد والسوق وارادة الديموقراطية ما من حيث هذه التي تتضمن الحرية الاجتماعية ام لا يجب النظر في الاشكال المؤسسة لها..."¹، يتعمق "هونيت" كثيرا في بواطن البناء للعقل الثقافي وادراك مصادرها المعيارية والقيمية للحرية والاجتماعية، بأن يكون ليس التفاعل والتبادل فحسب شكلا لها بل اعترافا متبادلا لتحقيق قيمة التواصل وليس العكس، فالحياة المشتركة توحى باهمية الوعي المشترك بالذات والمجتمع ومقدار وامكانية وفرص كل واحد منهما:

"اشكال التفاعل غير الخطابي اي جميع التعبيرات الاشارية والرمزية والجسدية للتفاعل الاجتماعي، لا يمكنها تهيمش الصراع الاجتماعي... فالاجتماعي حسب هونيت لا يتشكل من علاقات العدالة والمواطنة والتفاهم والحوار فقط، بل ان للصراع الاجتماعي ابعاد فكرية وجسدية ورمزية التي تفرض على الانسان مسائلة المفاهيم الثقافية المسيطرة والتشكيك فيها"².

المسائلة مهمتها اليوم اكثر من ذي قبل، وما يقوم بها المهاجرون سواء قصد ذلك ام لا هو المسائلة والتشكيك في العمومي، التشكيك في ذلك الاحتكار للشرعية، ليس بشكل فوضوي بل بحث مفتوح حول الذات والمجتمع (ميد) للتشكيل المشترك وليس قبول المشترك، ذاك هو الاعتراف المتبادل في غنى عن سؤال المساواة لانه يعمل بشكل معترف وعادل، هذا ما يشير الى هونيت في تعميم الاعتراف وليس تعميم العمومي وسطوته لانه يرى ان العقلانية تلغي الخصوصية، والصراع ليس سلبي عنده لبناء المجتمع وليس بشكل فوقي ونخبوي بل يومي ومشارك للاجتماعي تجربة واختيار واختبار (التجربة الذاتية بين مختلف الجماعات).

يحاول "هونيت" تطوير نظرية الفعل التواصلي والابتعاد درجة عن الاداتية والاكراهية ويقترّب من النشاط الواعي للانسان مركزا على نموذج الاعتراف بالتذوات، هي ليست انتصار للنزعة الخصوصية وانما التقليل من خطورة الموضوعي والعمومي لتجنب فخاخ الاغتراب والاستلاب والنشيوء والاداتية ويرى ان التنشئة الاجتماعية وزرع بذور الاعتراف وادراك ان المجتمع والآخر عملية من التفاعل الرمزي لتشكيل الذات والعقل الجمعي وتشكل الوعي الاجتماعي والثقافي موضحا نماذج للاعتراف التذواتي:

¹ دحماني حنان، نظرية الاعتراف كبراديجم لتغيير المجتمع، اكسيل هونيت نموذجا، مجلة دراسات، الجزائر، العدد 06، المجلد 08، ص ص، 225، 256.

² المرجع نفسه. ص 227.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

المستوى الأول: هو الحب والثقة بالنفس: هذا ما يربط الفرد بنفسه والمجموعة.

المستوى الثاني: فرض احترام الذات هو قانون سياسي باعتبار الفرد عالمي له حقوق وواجبات

المستوى الثالث: التضامن والتقدير الاجتماعي والاحساس بالقيمة وتحقيق الذات من خلال اعتراف متبادل.

إذا حاولنا مقارنة هذه الرؤية على المجتمع الألماني في علاقته بالمهاجرين، سنجد أن المستويات تخضع لزعزعة أو لإحداهن، لذلك يضع شرطاً لنجاح هذه المستويات أي الجدل الديالكتيكي لأجل الاعتراف هذه العلاقة بين الذات والمجتمع، بين الخصوصي والعمومي بين والخصوصي والكوني، لكن هناك اسئلة تحتاج إلى معالجة، فهل سيكون هذا مجرداء، ام سيجد صدى امبريقيا؟، هل يكفي الاعتراف المتبادل لإكساب قيمة وفعالية للذوات والفاعلين داخل المجتمع دون تهميشهم واقصائهم؟، من يملك سنن الاعتراف للتبادل؟، وهل يضمن الاعتراف المتبادل حجم التنوع الثقافي في الأخير؟.

تشكّل الهجرة مساحة واسعة وتشكلات خارجة عن صراع الاطراف، بحيث يكون دوما المهاجر بحالة الوسيط المثالي حقيقة، فالهجرة حركة يسعى المهاجر عبرها لاعادة ضبط العلاقة بين العابر والمحلي بن الخاص والكوني، الرسمي والغير الرسمي، يحاول "الآن باديو" وصف تلك الحالة عن صراع الجواهر والثقافات: "...، يعني استحالة ان يكون الكوني نتيجة لتشكّل ترنسدنتالي، تجاوزي، ويفترض وجودات مشكلة، على العكس ففتح امكان كوني هو الشرط المتين للوجود ذات مشكلة في المستوى المحلي الذي يتشكل في الكوني والكوني يحدد في آن معا نقاطه الخاصة كأفكار ذات اعادة التجمع الافتراضية وبدا يكون الكوني هو الدال على المحلي كذات وعلى الكوني كإجراء لانهائي"¹.

هذه الحجج والبراهين التي تدعم اطروحة الابعاد الثقافية والتشكل للاساليب الفكرية الثقافية وتجنب صراع الجواهر الممتدة والمسبقة وجعل الملاحظة عملية مراقبة لذلك التشكل اللانهائي عبر الذاتي والكوني وليس فقط الذات والمجتمع كدائرتين محدودتين، ما جعل فيلسوف الاختلاف "باديو" يعتبر كل كوني مفردة او فردية وكل كوني يتولد من حدث غير ملتزم بالخصوصية:

¹ الان باديو، سلافوي جيجيك، الفلسفة في الحاضر، ترجمة بيتر انغلمان، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص 36.

" يكون الكوني نفسه قرار حول امر لا يمكن تقريره مثال المهاجر الغير شرعي، الكوني صيغة تضمنية والكوني احادي المعنى وكل فردية كونية تبقى غير قابلة للالتزام او مفتوحة والكونية ليست سوى الانشاء الدقيق لتعدد وتسامي اللانهائي"¹، تماما ذلك الذي عبر عنه مافيزولي الضماً الانهائي في حالة التيه والترحال.

ج:امكانات فردية ومجتمع مفتوح(هوام المتخيلات)

اعتبر ان ما يحدث خلال الهجرة بكل انواعها هو مدخل نحو فهم حركة التغيرات والتحولات واكتشاف ان المسائل الثنائية بائدة وحاد الوقت للاعتناء اكثر بالمساحة المفتوحة الاحتمالات ولانهائية التشكل ومتعددة الابعاد، مما يعني علينا على الاقل العناية بالمتخيلات الاجتماعية اكثر وفحصها دوماً، فهي تشكل حياتنا ورموزنا ووجودنا:" يشدد اندرسن على الكيفية التي تم بها التمهيد للمعنى الجديد لانتماء الى الامة عن طريق فهم جديد للمجتمع في ظل التزامن، المجتمع باعتباره مكونا من الحدث المترامن للحوادث الكثيرة التي تتسم بها حياة الافراد في كل لحظة"².

ان المجتمع والفاعلية الجمعية للافراد لا تتم بشكل عامودي أو دائرتين متعاقبتين، فقط بل هو اشتغال واجراء زمني ومكاني في جميع الاتجاهات، حركة دؤوبة من التطوير والتغيير، تصبح الاحداث والسلوكات اهم في تعزيز وتثبيت ونفي اي معنى فردي او جماعي، هذا الذي اراد ان يبرزه "تايلر" من خلال مصطلح مجتمع النفاذ:" وهذا يصف ما يمكن ان ندعوه باسم مجتمع نفاذ مباشر، ذلك انتقلنا من نظام الروابط المشخصة التراتبي(القبلي.الملوكي) الى نظام مساواتي غير شخصي اي عالم شاقولي من النفاذ عبر توسط المجتمعات نفاذ مباشر افقي"³.

اذا حاولنا تبسيط تلك العلاقة في مفهوم الدولة او القبيلة او الذكر والانثى كرمز للسلطة تعد بتلك الاشكال والصور الذهنية المنمطة او الطريقة المعيارية، والقيمة الاولى التي تركز هذه المنظومة والهويات، بل تعتمد على الحدث، الاجرائية، الوعي، السلوك، وحتى الدولة والمجتمعات تحتك بدول اكثر ومجتمعات اكثر خارج حدودها يجعلها من الصعب السيطرة على حركة التغيرات، المجال الهرمي التراتبي لا يكون الا في مخيلتنا ما يلبث ان يجد نفسه امام تحديات التزامن الحركي لفرض اسلوب آخر من التعامل، يوضح هذا الفيلسوف الالماني "بيونغ

¹ الان باديو، سلافوي جيجيك، المرجع السابق، ص ص 37،38.

² تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية، المرجع السابق، ص 181.

³ المرجع نفسه، ص 182.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

"بقوله عن " المجتمع الشفاف" ويقصد:" ان يجد الانسان نفسه في مكان خارج هذا النظام حيث يكون له رأي مختلف، ان التواصل الشفاف هو التواصل الذي يمارس عملية التهيئة والتسوية، انه يؤدي الى التزامن والنمطية ويقضي على الآخرية (OTHERNESS) ويحدث نوع من المطابقة القهرية بين الذوات بهذه الطريقة تستقر الشفافية داخل النظام السائد"¹.

يقترّب بنا "بيونغ" من وصف حقيقة علاقاتنا ومجتمعاتنا اليوم في التواصل وبناء الواقع من خلال حياتنا اليومية وتلك الاستعارة الموفقة مجتمع الشفافية، التي يرى بها باعين ناقدة فاحصة حالة المجتمعات اليوم، يمكن اعتبار المهاجر والهجرة اليوم حالة من النفاذ المباشر المزدوجة سواء كنا مهاجرين او حين تهاجر تلك العوالم إلينا، يكون الاجتماعي تشكلا مرنا ومتزامنا ونافذا في كل المستويات بالتمريرات الثقافية السلسة، لا تكون هناك أي مشكلة عند الاخر او غرابته الا في تواصل مرئي وشفاف، ابتعدنا هنا كثيرا عن ثنائية عالم الاجتماع الالمانى فرديناند تونيز (FERDINAND TONNIES). (Gemeinsscheft und Gesellschaft) وصار الرهان اكثر على الشفافية وجودتها داخل نظام يؤمن ابعده من الاختلاف والتمايز بالنفاذ والشفافية والتحول اكثر (Gleichschaltung)².

فتلك الممارسات اليومية التي سوف نراها عبر الحياة الاجتماعية ومسافاتها وابعادها سواء للمجتمعات عموما او عبر حركة الهجرة، سنلاحظ تلك العلاقة الشفافة والنافذة، تكون المساحتان متعرضتان للاقتحام والتحول أكثر، اكان الامر ذاتيا او اجتماعيا واعتقد ان هذه هي اللغة المسيطرة والصورة الاقرب لعالمنا المعاصر، لا توجد جذور مسبقة هناك محاولات للتجذر والتثبيت وحسب في النظام الازدواجي الاول، الذي لا يريد ابصار التموق، ولا التزامن ولا الحدث، ولا ذلك الامتداد اللانهائي للأمنكة، يعبر عنه اريكسون بقوله العالم المحموم او الاحتراق (Overheating the world).

يركز "اريكسون" على ثلاث نماذج محورية في التعبير عن الاحتراق العالمي، البيئة والاقتصاد، والهوية، من خلال توليفة سياسية واثنوغرافية واثنولوجية مستدمجا الموارد الاجتماعية والتاريخية المحلية والعالمية الريفية والحضرية، و التحول المتسارع (Accelerating change) يعبر عن تمزق النظام وتشتته او في اعادة تكوينه:

¹ بيونغ تشول هان، مجتمع الشفافية، ترجمة بدر الدين مصطفى، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب، ط1، 2019، ص08.

² المرجع نفسه، ص16.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" الهوية ضمن هذا التسارع المحموم شكل الهوية المعاصرة للإنسان والثقافة في بعد تواصلية مختلط (Creolization)¹، فكيف يصنع الافراد اجتماعهم ويؤمنون وجودهم من خلال هذا التسارع والحراك العالمي المحموم؟.

3-المسافة الاجتماعية والأبعاد الثقافية بالمهجر (The proximity/la proximité)

يتأسس المجتمع من جملة الروابط والعلاقات والتفاعلات المشتركة في ساحات اجتماعية متداخلة ومتباينة، الحركة فيها مكشوفة ما بين الشخص والمجتمع وحاصل الاجتماع بشكل صريح وضمني في اشكال وهياكل منظمة وغير منظمة، تعتمد لغة التواصل هنا على استقراء حدسي اكثر وخبرة تعزز تلك الادراكات والسلوكات لكل تلك المعاني عبر تلك المسافات التواصلية، يكون المهاجر قد ادرك هذا مبكرا في مجتمعه وحتى ولادته بالمجتمع الجديد كحدث ييدا في ادراك هذا خاصة بين الزوجين الذكر والانثى بين المدير والموظف بينه وبين جاره، ويتعلم ماذا تعنيه علاقة ومسافة وكيف ينجح نفاذه بهذه العلاقات الى مجتمعه الجديد.

يتطلب هذا البحث تعزيزا ميدانيا على الاراضي الالمانية ومشاهدة السلوكيات الا ان هذا لايمعني من المجازفة واعتماد تجارب سابقة للمبشرين او علماء خاضوا تجربة بالمانيا مثل عالم الانثروبولوجيا الامريكي "ادوارد تي هول".

هناك علاقة قيمة بين ما طرحه وطوره "هوفستيد" و"تي هول" في استقراء العلاقة بين المسافات الاجتماعية الاربع والتنوع الثقافي، لما تمليه من تشابك ثمين لثلاثية الجندر والهجرة والتنوع الثقافي.

ان الشغل الشاغل للمسافات هو ادراك الحيز الاجتماعي والفاعلين والممثلين بحيث تكمن اهمية في حاصل التواصل للثقافة من التفاعل والتبادل الثقافي اليومي،" ان كلمة بركسيميكس (The proxemix) هو مصطلح جديد ابتكرته المشاهدات ذات العلاقة المتبادلة ونظرية استخدام الانسان للحيز كتصور متخصص للثقافة...ان الاتصال يشكل جوهر الثقافة"².

يريد بذلك توضيح الانماط التواصلية للاشخاص عبر ثقافات مختلفة وادراك الاسايب الواعية والغير واعية في جميع مناحي الحياة حول المنزل والسكن والمدن واستخدمات الانسان للحيز.

¹ THOMAS.HEYLAND.E. Overheating.an anthropology of accelerated change.ploto presse.first edition.london.2016.p27.

² ادوارد تي هول، البعد الخفي، المرجع السابق، ص14.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

"فاننا اذا اخذنا مظهرين بروكسيمين احدهما: البنية الثقافية وهو سلوكية متجاوزة من ماضي الانسان البيولوجي والثاني قبل ثقافي وهو فيسيولوجي وفي الحاضر بدرجة كبيرة الثالث المستوى الثقافي المحلي وهو الذي تتم فيه المشاهدات البروكسيمية"¹

ان العلاقة التفاعلية التبادلية بين شخصين او مجموعتين تظهر من خلال هذا البعد الزمني والمكاني للحمولة الثقافية وتفعيلها حاضرا اثناء الاتصال، وعلى سبيل المثال يدرك المهاجرون الجزائريون في اوربا عموما والمانيا بالخصوص ان القاء التحية دون الاقتراب من الجنس الاخر سلوك محترم لكن القاء النظر وايحاءات غير لطيفة لهن قد تؤدي بهن في السجن² او اعتباره تحرشا جنسيا، خاصة وان المهاجرين لا يميزون في البداية ويغلب عليهم هوام جنسي يحرق تلك المسافات ظنا منهم ان فتيات هذا المجتمع مباحات.

يفيد اعتماد التحليل البروكسيمي على اظهار الثابت وغير الثابت الرسمي وغير الرسمي اثناء التبادلات والتفاعلات اليومية وادراك العملية التزامنية (Synchronic) للاحداث والتعبيرات السلوكية اثناء التواصل.

مما لمسناه من خلال التجربة الجزائرية من منطقة تيارت نحو المانيا ان اكتساب اللغة الالمانية يساعد في ادراك المسافات الاربع، وتلعب دورا حيويا في ذلك داخل تكوين الجماعات والعلاقات المتعايشة (Structuration)، ان مكون اللغة مهم في فهم بنية المسافات، كما انها وعاء الفكر ووعي السلوك وامكانية حيوية للتعبير عن التنوع والاختلاف وادراك اهميته: "واللغة تعرف تنوعات من هذه المستويات الثلاثة: التنوعات الاجتماعية في تعالقتها مع الزمر الاجتماعية والتنوعات المكانية التي تعالقتها مع المكان والتنوعات التاريخية في تعالقتها من اصناف الاعمار"³، هذه الابعاد تشكلها وتعبّر الهجرة من خلالها مخلفة ورائها تفرعا وتنوعا داخل اللغة والحيز المكاني وعبر السلوكيات والطرائق المتعددة في التواصل وادراك المعنى للحيز الاجتماعي عبر بعد حميمي وشخصي واجتماعي وعمومي، ولكل من هذه المستويات اطار رسمي وغير رسمي وتقني هذا الاخير بعد ثالث سيجعل من الثقافة تتشكل خارج تلك الثنائيات الكلاسيكية براي "هول" تتأثر الثقافة بالمستويات الثلاث:

¹ ادوارد تي هول، البعد الخفي، المرجع السابق، ص139.

² مبحوث من مدينة بوشقيف دخل السجن بقضية كهذه بفرنسا

ومبحوث من مدينة تيارت ايضا تعرض لقضية محاكمة من طرف فتاة المانية ودخل السجن.

³ لويس جان كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد ياحنين، دار القصة، الجزائر، ط1، 2006، ص85.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" ان الاندماجات الرسمية وغير الرسمية والتقنية ... عندما يسيطر احدهما فان الثلاثة جميعا تكون موجودة في اية حالة مفترضة"¹.

يحاول "هول" بهذا التحليل للمسافات وتوضيح تلك المستويات الى ابراز قيمة مهمة خارجة عن تلك الرؤية الثنائية للسلوك في الاطار الرسمي وغير الرسمي، او واعي وغير واعي، وثقافة معلنة وثقافة خفية(رالف لينتون) او بين ثقافة ضمنية ومعلنة(كلودكلوهن)، بل هي ثلاث انماط لتشكل الثقافة: رسمي وغير رسمي وتقني.

ان المسافات والانماط ومنظومة الاسترسال والاستقبال ومجال البركسيمكس وخصوصية كل ثقافة تساهم في بلورة ان الثقافة اجراء اتصالي ومحصلة، تصبح العلاقة بين النوع والتنوع في تراكيب وسياقات متداخلة، فعبير الهجرة يؤثر كل منها على الاخر من ابسط دور للذكورة والانوثة الى اعمق علاقة ممكنة اجتماعيا عبر مخزون التواصل اللغوي والسلوكي للتشكل الاجتماعي في الاخير(Social constructivism)يمكن ان يكون الجندر هنا فيما بين هذه المسافات والثقافات:"هوية مطورة بشكل غير مباشر تدعم الادائية مندمجة في تشكيل مقولات هوية اخرى ويقضي الوصف مقارنة غير احادية للنوع وعلى العموم لا تفترق ادوار النوع في المؤسسات والسلوك الاتصالي للرجال والنساء عند بعضهما فادوار النوع تنتج ويعاد انتاجها وتحين عبر أنشطة مختلفة ومرتبطة بسياقات خاصة في التواصل"².

ان اللغة تعزز التواصل بنوع من الانواع على حسب التشكيلة الاجتماعية، فاللغة الانجليزية مثلا لا تعتمد كثيرا على الفروق الجنسية كما العربية، فاذا كان المهاجر يميل الى كسب مسافة اجتماعية ستكون عبر اللغة المختارة وتمثل ما الذي ترمي اليه في هذا البعد الاسترسالي لنظام التواصل.

تشمل انظمة التراسل الاولية عاملا حاسما في تشكيل المسافات وتقريبها او ابعادها، كما توضح كفاءة الفاعلين وثقافتهم في ذلك وعبر ادراك الوحدات التفاعلية من الاتجاهات والمواقف والموارد لذلك والثنائية الجنسية والزمن والتعلم واللعب والدفاع والانتفاع من استخدم كل هذه الموارد، كما لخص ذلك تول، هذه اللحظة التزامنية التواصلية تكون من خلال المهاجر عبر منظومتين مختلفتين في أنظمة التواصل والاسترسال(primary message systems) هذه

¹ ادوار تي هول، اللغة الصامتة، ترجمة لميس فؤاد اليحي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007، ص88.

² فلوريان كلوماس، دليل السوسيو لسانيات، ترجمة، خالد الاشهب وماجدولين النهيبي، المنظمة العربية للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2009، ص276.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الانظمة تخلق الفوارق وتتكيف فيما يمكن اعتباره رجوليا من جهتنا هو عند الالمان عنف وما هو عندنا انثوي وخنوئي هو عندهم لباقة واحترام:" انه خطأ فادح ان تفترض ان السلوك الذي يتم مشاهدته في الناس مرتبط بوظائف الاعضاء، فالسلوك الذي يبديه الذكور في ثقافة ما يمكن تصنيفه سلوك انثوي في ثقافات اخرى، جميع الثقافات تميز بين الرجال والنساء وعادة ما يصبح تصرف محدود مرتبط باحد الجنسين فانه يسقط من قبل الجنس الاخر"¹.

فإذا اراد الشخص مثلا فهم التحولات والتغيرات والتي يدركها المهاجر كونه جهاز الاستشعار الثقافي، فعليه ادراك المستويات الرسمية والغير رسمية، والكيفية التي يتلاعب بها ضمن التجربة اليومية، إذا كان يريد الارتباط بعلاقة رسمية المانية او مهاجرة بلونية بالمانيا، انها عمليات تسريع التكيف:" المظهر الكاذب الذي يقدمه الناس الى العالم والذات التي يتوازن وراءها ان استخدام المظهر الكاذب ملهم بحد ذاته انه بينت اهمية ادراك المستويات التي يجب اختراقها"².

يمكن ان نلاحظ هذا على مستوى من التفاعل بحقل الهجرة يمثل الاوروبيين مظهرا ديموقراطيا كاذبا يعززون بذلك مسميات عمومية، وهو امر احيانا مبالغ بغية استخدام مسافات آمان تجاه المهاجرين، وذلك مثلا مجسد في الاقامة السكنية للمهاجرين التي تحولهم الى معازل ثقافية، وهذا ايضا من خلال الاماكن المشبعة (Sociopetal) والاماكن المستبعدة (Sociofugal) يميل الناس في الاولى الى ثقافة الالتقاء، مقاهي، نقل، حافلات، مطاعم في الاقامات، تشير المسافة الاجتماعية الى تنظيم خصائص مثل العمر والجنس والاصل العرقي والنوع الاجتماعي في التفاعل...للمسافة الاجتماعية بعد الغرائبية وعدم المساواة، الغرابة التي تشير للوصول الى الميدان مثل فقدان الثقة والارتباك من الغريب (المهاجر مثلا) ويشير عدم المساواة الى علاقة القوى وبالتالي عواقب سلبية للتفاعل.³

يشير هذا الى البعد الغير متكافئ على مستوى الواقع في بنية انظمة الاسترسال وبناء المسافات واسلوب التواصل لكن ليس من الضروري دوما ان يكون البعدين ثنائين بهذا الشكل يعني يمكن فهم الغرابة واللامساواة التي يعمد اليها الممثلون الثقافيون القريين (السكان الاصليين) والبعيدون (المهاجرين) الى التحكم في صيغة التواصل وبناء المسافات وذلك ما يجعلنا نرى ان:

¹ ادوارد تي هول، اللغة الصامتة، المرجع السابق، ص57.

² ادوارد تي هول، البعد الخفي، المرجع السابق، ص144.

³ FRANCOIS BONNET. La distance sociale dans le travail de terrain: compétence stratégique et compétence culturelle dans l'interaction d'enquête. Genèses. V4 2008. N.73p57-74.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" لانماط البروكسيمية بالنسبة للأشخاص من ثقافات مختلفة بهدف مزدوج: أولا اللقاء الضوء على انماطنا غير الواعية...وثانيا لتوضيح الحاجة لفهم بين ثقافي محسن...تؤكد الانماط البروكسيمية في مفارقات صادقة لبعض الاختلافات الاساسية بين الناس"¹.

يوضح الجدول(13) الاتي الانماط التواصلية²:

مواقف رسمية تجاه التغيير	الوجدان الرسمي	الادراك الرسمي	-التعلم الرسمي
مواقف غير رسمية تجاه التغيير	الوجدان الغير رسمي	-الادراك الغير رسمي	- التعلم الغير رسمي
مواقف تقنية تجاه التغيير.	الوجدان التقني	-الادراك التقني	-التعلم التقني

يوضح هذا المخطط اهمية فهم التداخل البيولوجي والفيزيولوجي والثقافي بين الوحدات الصغرى والكبر مشكلة المسافة والانماط والتواصل العملي ما بين الابعاد، توضح دراسة للباحث قسطنطين وآخرون حول المقاربة لتجارب المهاجرين والاثنيات والمسافات الاجتماعية مبرزة اهمية هذا المخطط: " تلعب تجربة الهجرة دورا مهما في بناء المسافة الاجتماعية، فالميل الى التعاون مع الممثلين من ذات الدين يكون قويا وذلك لما تسهله الصورة النمطية المشتركة كما ان التعليم والسن والجنس والاجيال مهمة في معرفة تغير وضعيات المسافات موضحة عبر تكوين الصداقات وشروط الاقامة السكنية"³. توضح هذه الدراسة نقطة مهمة جدا في ارقام المسافات الاجتماعية والاجيال والمهاجرة مع ابنائهم بحيث تتاثر المسافات بالبعد الثقافي وعبر كل جيل.

-الألمان وترتيب الحيز

يقدم الألمان أنفسهم ويتعرفون حدود المسافات بشكل ثقافي مختلف عن البريطانيين والامريكين والفرنسين وغيرهم، إن الألمان: " صارمون جدا بشكل مفرط وغير مرنين ورسميون...يعتبر تغيير كرسيك انتهاكا للمعايير في المانيا...لذلك يضعون راسي ثقيلة حتى لا يمكن تغير مكانها فالاثاث الخفيف لعنة"⁴.

هذه حقيقة واقعية للمجتمع الالمانى وكشفت ايضا البحوث والمقابلات التي اجريتها ان الالمان ينزحون من الصوت الصاخب في المنازل وربما ان كان جارك المانيا ورفعت صوت

¹ ادوارد تي هول، البعد الخفي، المرجع السابق، ص177.

² -، اللغة الصامتة، المرجع نفسه، ص92.

³ KONSTANTIN KUZMIN. LARIZA PETRASA.dimitry.popov.migration and social distance.various ethnic groups percevived by the ural's schoolchildren and their parents.2015.12.04-www.ide.journal.org.

⁴ ادوارد تي هول، اللغة الصامتة، المرجع نفسه، ص ص،187،188.

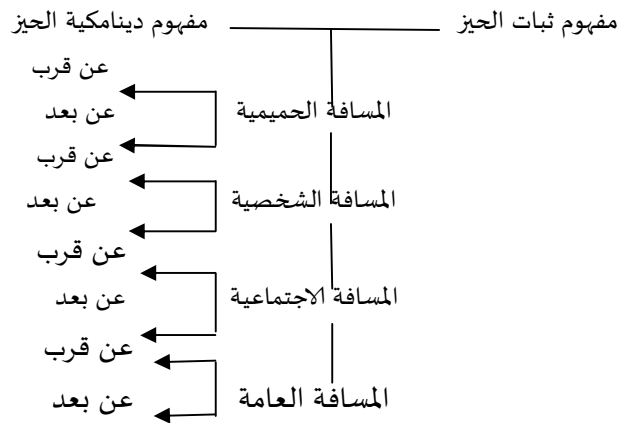
الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الموسيقى عاليا او صرخت بجواره، قد تجد الشرطة امام بيتك، إن الصوت واداب الحديث والنظام من أهم العوامل المرنة للتواصل مع الالمان بصفة أعمق، إن الالمان يغضبون من انتهاكات المكان: " تعلمت من تجربتي انه في عين الالمانى كنت وقحا بشكل لا يحتمل حقا، لقد كنت في ذلك الوقت داخل المبنى وتطلعت عندما استطعت ان ارى الداخل، بالنسبة للالمانى ليس هناك فرق بين ان تتطفل على فناء منزله وان تكون داخل غرفته"¹.

وكما سبق وان اشرت الى السكنات التي تركها الالمان في نهاية 1990م كعلامة واضحة بتيارات تعبر عن هذه العقلية الباب المزدوج وعزل الصوت.

الباب وحده انخرط وتواصل مع الداخل والخارج مع الغريب والاليف بين التنظيف والمتسخ وتلك المسافات التي تلعب دورا في نجاح بلوغ الرسالة والتواصل وبين فشل المعنى من اي رسالة، اعتقد وجب البحث بتكتيك حول الحيز الدينامي ما بين الشخصيات (Situational personalities) احسن من البحث في الاندماج.

ان الشكل هذا يوضح العلاقة المتوترة بين الوسيلة والمسافات بين الثبات والحركة والمنافسة بين الانواع ضمن الحياة اليومية: رقم(10)



من خلال تجربة هجرة الجزائريين الى المانيا اردت دوما التعبير عن الاشكال الثقافي، وعن اهمية التنوع الثقافي وتدخلاته عبر الوحدات الصغرى والكبرى، واعطاء اهمية لهذه المسافات المجسدة سلوكيا عبر النوع والعرق والطبقة، مركزا على تحليل التغيرات عبر المسافات الاجتماعية (Analyse Changes and Continuities in Long-Distance): " عندما يلتقي شخص الماني بشخص من بني جلده وبيرومان صفقة تتطلب الثقة فلن يكون لطرف الآخر الالمانى موضع شك الى حين، لان عائد راسمال الالمانى مرتفع مؤقتا وبطبيعة الحال

¹ ادوارد تي هول، اللغة الصامتة، المرجع السابق، ص181.

فان مستوى المانيتهما الموضح التي يستخدم فيها الشخص الاخر تعبيرات المانية يبدو وكأنها يسري على كل مظاهر التعامل بينهما كما يبرز على المناسبات الاجتماعية الالمانية¹. ان العرقية ليست معيارية لكنها تتأكد من خلال المواقف اليومية وتختلف وتتباين لندرك بذلك حجم الابعاد الثقافية والاثنوغرافية للانماط الثلاثة كما تشير المسافة والثقة الى لعبة الاخفاء والاطهار وتعبير عن قلق الغريب والمساواة في الوصول الى حيز التواصل ، المسافة الاجتماعية اليوم مفتاح مهم في ادراك التحولات التي مست السلوك والادراك الانساني خاصة بعد الجائحة .

4- التجربة الاسلامية الالمانية (سوسيولوجيا التعصب والتطرف)

من الضروري توضيح لماذا اخترت هذا العنوان التجربة الاسلامية الالمانية، لانها لا تمس تجربة المهاجرين وحسب، بل ايضا تجربة الالمان انفسهم مع الاسلام والمسلمين، كون المسعى اشكالي في معالجة مساحات التنوع الثقافي، والمجتمع الالمني لم يعرف تجربة اسلامية واحدة بل تجارب مختلفة ومحاولة ايضا لتقرب اكثر في بواطن التعصب القومي، والعنصرية والتطرف الديني، في حركة دائرية بين ظاهرة الهجرة العابرة للحدود وما استقر داخل المجتمع، هذا الذي تركيبته الاثنية والثقافية ونمط عيشه معقد ومختلف وبالتالي ستكون هناك انعكاسات وتمظهرات مختلفة، "المانيا بلد الاستعداد ليتقبل اي تحول او تبدل جديدين...وفي الصميم الامر فانها على الرغم من عشقها للنظام الا انها بلد ثوري"².

المجتمع الالمني والشعب الالمني والدولة الالمانية مساحة بلا حدود ليست كالأمة القومية الاوربية الأخرى مثل: الفرنسيين الذين يعتزون بالحدود والوطنية، لالمانيا وعي وغريزة خارج الحدود الطبيعية والجغرافية ومتطلعة دوما الى وحدة اللغة والثقافة والوعي الفكري الروحي المنسجم، تجعل التركيبة النفسية للالمني تعبيراً عن تلك الحالة للبحث والتأمل في الغابة السوداء التي ابدعت فكراً المانيا حاد الطباع والافكار، يخضع لتأثير شرقي وغربي في آن واحد هادئ وصاحب قوي ولا يبدي ضعفه محاط بالاسرار ولا يريد التكشف كثيراً، يقدر العمل والوقت والنظام.

من المهم الاقتراب من الرجل والمرأة الالمانية، ومن تلك الموجات التدينية والروحية، من ذلك الفكر والمحور العنصري بين الجرمانين والاليسيون والسلاف، هذه التركيبة التي يراها جيرانه ان

¹ البرتون واخرون، القومية والعقلانية ، مرجع سابق، ص 104.

² اندريه سيغفريد، روح الشعوب، ترجمة عاطف المولى،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر ، ط1،2015،ص103.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

مهدة لحدودهم، كما انها تتعش التنوع بداخله، ان الالمانى: " يحيا حياة روحية جادة وعميقة وان كانت مضطربة، والمقصود بالحياة الروحية متحررة من كل تضامن مع الحركة والنشاط التي تتركها السياسة، وهو شعور شبه صوفي يميل الى الحلوية ووحدة الوجود والاتصال الحميم مع الطبيعة..."¹.

الطبيعة والتأمل والروحانية ليست هي نفسها الدين والتدين عند الالمان، الدين عندهم أمر طارئ، -معرفة الغابة السوداء وعلاقتها بالفكر الالمانى-، ما يجعل التعبير عن الكينونة اكثر من حالة تنظيمية للدين، يحينا الكاتب هنا الى التركيب النفسية والاجتماعية للالمانى.

لا اقصد بفهم الالمانى وروح الشعب الالمانى بالعودة ادراج التاريخ، بل في التقرب من الكيفية والاساليب المبتكرة للمعالجة اليومية بداخل المجتمع، وما يتلقيه من خبرات مختلفة وتجارب تدينية مغايرة تماما عن التي عهدنا واستدمجت في نفسيته وذهنيته وثقافته وجعلته يكون بموقف او اتجاه معين، علينا ان نبحث مثلا كيف يؤثر الحجاب في فرنسا ولا يشكل ادنى صوت في المانيا؟، علينا ان نقرب مما يعنيه ان يكون الدين والممارسات موجود لكنها لا تمثل المانيا، يعرف الساسة والمجتمع ان الاسم موجود لكن لا يمثل المانيا، لا يمثل الشعب والقومية والعرق الالمانى، هذه العلاقة محورية في فهم محددات وعوامل نجاح التعايش والتماصك ما بين الشعب الالمانى والمهاجرين، المسألة ليس لها علاقة بالاندماج بقدر استوعاب الطرفين اساليب الحياة والمعيش اليومي وطريقة الحشد الالمانى في بنیان العلاقات الاجتماعية والتفاعل مع التجارب الدينية المختلفة.

ان النسيج الاسلامي بالمانيا متعدد بين المغاربة والافارقة والاتراك والمشاركة والاندونوسين وغيرهم، وكذا ضم المجتمع لاطياف وعقائد وملل اخرى بالاضافة الى المسيحية و الشباب الغير مؤمنين بهذا كلية، المانيا ليس لديها مشكلة مع المعتقد كخصوصية او امتداد كوني او عابر على اراضيها، المشكلة في اختراق مقدسهم العمومي الذي يرونه اهم شيء ومرتبب بالامن النظامي، لذلك يسعون دوما للحفاظ على هذه المساحة، لا تشبه تلك الطريقة المعلمنة عند الفرنسيين بقدر حفظ النظام ومصوغات علامات النضج العرقي والقومي لشعبهم وثقافتهم، هناك منجز وعلامة المانية ينبغي ان تكون مميزة ومحفوظة.

¹ اندريه سيغفريد، المرجع السابق، ص105.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

هناك حوارات تجرى في البرلمان الالمانى وفي منصات التواصل، ما بين ممثلي الاحزاب الالمانية حزب المسيحي الديمقراطي والعرب المسلمين الممثلين للحزب الخضر بألمانيا، نقاشا حول هل يمكن ان يكون الاسلام ديننا لالمانيا ام هو مجرد دين يمارس على اراضيها، تؤمن الكتلة من الاحزاب انه مجرد دين لكن لايرقى لان يحكم الدولة الالمانية¹، المسلمون بنظرهم يعيشون تحت كنف المانيا وليس العكس:"ان وحدة هذا الشعب لا تكمن في الرباط الذي يشده الى ارض ما كما هو الحال في فرنسا بل في وعيه او في الاقل ارادته في ان يشكل عرقا متماسكا له لغته وثقافته واحساسه بوحده²."

المشكلة تكمن في الاعتراف خارج النزعة العرقية والقومية الالمانية وان كانت في شكلها الحقيقي او الرمزي، يتحمل جملة من التناقضات للخصوصية الاثنولوجية، فاذا كان الشعب الفرنسي على وجه المقارنة يمثل الفردانية والثبات والاستقرار فان الالمان يمثلون روح الجماعة الدينامية- ولعلنا هنا نتعرف على مصادر اطروحة هابرماس وهونيت من جذورها-:" (الاول) الفرنسي يمثل وجهة النظر التماسكية الثابتة و(الثاني) النظرة الدينامية المتغيرة، ويرى الالمانى في المتحقق والمنتهى ما هو كامل ولعل هذا الشيء كامل ولكنه حينذاك لا يعد قابلا للتحويل في نظره، وبالتالي فهو ميت من دون نفع في حين ان الدينامي على العكس من ذلك يمثل بالنسبة اليه جوهر الحياة نفسها"³. جدول(14) يوضح مسميات المانية وجوهرها⁴:

Ur.echt.rein	المصدر العميق للاشياء
Sturm.und draong.kraft.freude	شعور القوة المرتبطة بفكرة الشباب والمرح والقوة
Woden.enturcklung	المعنى التصوفي للتطور
Shuindel.tief.choos.problematisch	الفراغ والغموض وخيرة الروح
Shadenfreude.gotterdammerung	السادية
Heim.hiemlich.gemeit.gemutlich	رقعة العواطف
Tuchtig.fleissing.ernst.grundlich	صفات المثابرة او الجدية
Wirtschaft.sachlich.sochichkeit	الموضوعية وفهم معنى الاشياء ذاتها
Geist.selle.stimmung	روح الاشياء والشعور الصوفي
Gemeinschaft volk.	الضمير الجماعي(الشعب)

¹ Loc.cit.www.Dw.com

² اندريه سغريد، المرجع السابق، ص104.

³ المرجع نفسه ، ص118.

⁴ المرجع نفسه، ص127.

نلاحظ كيف ان البناء السوسولوجي ارتكز على خصوصية الموضوعي والذاتي والعقلانية والارادة المؤمنة بروح الجماعة والشعب اكثر من المواطن، كما ان هذا الجوهر يرى السياسة تناقض ونفاق، يؤمن كثيرا بالعمل والبعد التقني والحياة النفسية والفكرية المتصوفة بمزيج لا ادري وطبيعي، مشكلة الكينونة الالمانية ككل، جعلت هذه التركيبة مادة دسمة للتفكير والتفلسف والمعالجة الاجتماعية للدين مبكرا كفير وزيمل وماكس شيلر لنغمة الدينية (Undnusikalisch) كما عبر "زيمل": "الظاهرة الدينية بوصفها بعدا متصلا بوضع انساني يواجه لا معقولة العالم لكنه بعد يتخذ اشكالا شديدة التنوع"¹.

هذا التنوع كما شهدنا يحتاج جوفا موسيقا خاصة من الباحثين السوسولوجيين لادراك الخبرة المتنوعة والاسلوب الخاص في ارادة التدين لهذا الشعب كما ان للعلاقة بين الجوهر الديني والاقتصادي نصيب كما ذكر فيير بين البروتستانتية وشكل الاقتصاد والدولة في اشكالية الحدائة والدين، بين الارادة الفردية والروح الجماعية: "يعرف فيير اطروحته الفهمية من خلال الظاهرة الدينية قابلة للفهم اي ملاحظة ومفهومة وليست فهما تعاطفيا حدسيا او ما زميله جورج زيمل فيرى بقوله البارز ان نموا لدلالة الدين في وجه مجتمعات ذاتية التمايز"².

معروف لدى زيمل مناهضته للمذهب الوضعي واقارره بتشكل المجتمع من خلال نوات متفاعلة دون ابراز قيمة كلية للاكراه وكان يركز على الذاتية عموما انطلاقا من خصوصية هذا المجتمع والفرد الالمانى بروح مليئة بالتعدد والتنوع، يرى ان وحدة الشعور الديني³ (Des religeosen emphindens) في حراكها داخل هذه المجتمعات بالجمع.

بهذه الرؤية الدينامية والحركية للتفاعلات والاحتكاك بين الذاتي والموضوعي بين الروح الجماعية والارادة الفردية تجعل الرؤية بارزة من خلال التواصل والتفاعل عبر عمليات الجمعية عوض مجتمع او دين حاف، يكون التركيز على الخبرة والتجربة من خلال الاساليب والطرق المتنوعة، وتحليل العلاقة بين اي حساسية او قبول ديني معين يكون من خلال هذه العلاقة وليس من خارجها واسقاطات نظن انها مشابهة: "ينبغي هنا ايضا ان ندرك جيدا ان الانسان الديني لا يوجد في الواقع في حالته الصرف، شأنه في ذلك شأن الانسان الفتى او العملي بما

¹ دانيل هيرفير وجان بول ويلام، سوسولوجيا الدين، مقالات كلاسيكية مترجمة يوسف طاهر الصديق، هيئة البحرين للثقافة والآثار، البحرين K ط1، 2018، ص96.

² اندريه سغريد، المرجع السابق، ص168.

³ المرجع نفسه، ص168.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ان الانسان الملموس هو في آن ذاته شخص فني وعملي وديني وفق درجات وتركيبات شديدة التغير¹.

ب: التجربة الاسلامية

السياسة الالمانية منبثقة من الاشكال الجوهريّة والمعزولة ومن حس مرهف بالحياة تحت اي دين في شكل دينامي، لذلك لا توجد حساسية تجاه المسلمين كفرنسا، الا وقت اصطدام هذا المجتمع بهجرة جهادية مسلحة اخترقت مجاله، لم يكن ليترك تلك التجربة الحميمة مع المسلمين على اراضيه ليصد الميديا كامريكا مثلا، تغيرت نظرتة مع المعاملة المباشرة بشكل جوهري، لان النظرة المتخوفة لا تمثل الا 1% بالمئة من مجموع سكان المانيا.

لاقت التجربة الاسلامية تركية الصوفية المبكرة في المانيا صدى حسن من وضعية المسلمين المهاجرين فيما بعد: "لقد نجح المسلمون الالمان وخاصة الاتراك في اقامة بيئة اساسية مفيدة لاقت استحسانا من قبل جميع اعضاء المجتمع الاسلامي...على ان انماط التفاعل بين المجتمعات الاسلامية والمجتمع الالمني ككل تاخذ اشكالا مختلفة تتطوي على تعايش احيانا وتوتر احيانا وصراع احيانا"²، تاخذ كلمة صراع عند الالمان قوام الجدل والحراك الاجتماعي بمعناه الايجابي اكثر.

لقد سجلت المانيا ظاهرة استقدام العمال المهاجرون عقب الحرب العالمية الثانية وكانت الجالية الاسلامية التركية اولا عام 1961م ثم المغرب 1963م ثم الجزائر 1971م ثم تعاقبت دول اخرى كانت هذه الفترة الغنية التي سمحت بتكوين اثني متنوع للمسلمين على اراضيها، دون ان ننسى ان مسالة الاسلام كدين وتجربة سابقة في التاريخ، لقد حاول العمال المهاجرون هؤلاء في التحرك داخليا من الريف الى المدن: "تجربة الهجرة الداخلية (Internal migration) بحيث كان العدد الاكبر للمهاجرين المسلمين...جربوا الانتقال من بيوتهم الريفية الى المناطق الحضرية...وهذا يعني ان اكثر المسلمين المهاجرين نزحوا من مناطق ريفية وخلفيات تقليدية وتلك حقيقة اثرت على طبيعة الاسلام في المانيا"³.

لقد كانت التجربة اكثر تنوعا بالرغم انها في البداية كانت بشكل فردي كما حدث ذلك مؤخرا مع السوريين وتغير وجه النسيج الاجتماعي والافق الفكري الالمني تجاه العمال الضيوف التي

¹ دانيال هيرفير وجان بول ويلام ، المرجع السابق، ص 178.

² شرين ، تي، هنتر وآخرون، الاسلام الدين الثاني في اوربا، المشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي الجديد، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاير ط1، 2016، ص، 78.

³ المرجع نفسه، ص78.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

كانت فكرة في البداية قد اضعفت مقدرة التفاعل، اصبح هؤلاء يفكرون اكثر بلم الشمل وليس كل لاجئ ومهاجر تتوفر فيه هذه الشروط مما قدي يطيل الإقامة بالمانيا ليجد نفسه في الاخير يعود ادراجه او يبدأ من نقطة البداية وتطبيق إتفاقية شنغن.

ان الابناء ودور الرعاية والحضانة بعدما كانت ترعاه كنائس اصبحت اليوم المانيا تحوي دور عاية للابناء المسلمين وذلك بسبب ارتفاع نسبة المسلمين ورفض البعض منهم ان ترعاهم ايدي غير مسلمة وبالاخص الوالدين، يوضح الجدول الاتي التركيبة العددية والعرقية للمسلمين بالمانيا وتطورها(جدول15)¹:

عدد المسلمين في عام1999	عدد المسلمين في عام1998	عدد المسلمين في عام1989	البلد الاصيلي
71.500	58.500	23.500	افغانستان
12.107	10.500	300	البانيا
17.186	17.700	5.900	الجزائر
167.690	316.000	---	البوسنة والهرسك
116.446	107.000	81.300	ايران
51.811	16.700	4.900	العراق
54.063	54.700	30.100	لبنان
81.450	81.900	61.700	المغرب
38.257	36.900	19.700	باكستان
8.350	8.300	3000	الصومال
64.270	26.400	24.300	تونس
55.600	16.400	-----	الجمهوريةان التركمانستية

من خلال هذا الجدول الموضح للتنوع الاثني والاقلية للمسلمين بالمهجر ندرک حجم التأثير المختلف للخبرات المختلفة التي مورست داخل المجتمع الالمانى، بمذاهب وطوائف و فرق اسلامية متعددة،: " فنوعية الاسلام سواء للمهاجرين او الالمان المسلمون كلهم ينتمي الى الاسلام السنني يشكل نسبة 2.5مليون مسلم منهم 125 الف مذهب شيعي، بالاضافة الى الطائفية الاحمدية ب60الف ومجموع المسلمون الالمان حوالي ثلاث ملايين مسلم و400الف مسلم يحمل الجنسية الالمانية اغلبهم اترك يمثلون 80%¹.

¹ شرين ، تي، هنتر وآخرون، المرجع السابق، ص80.

¹ مسعود الخوند، الاقليات المسلمة في العالم، دار النشر العالمي، بيروت لبنان، ط2، 2006، ص172.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

حقيقة المذهبية والطائفية الاسلامية بالمجتمع الالمانى لا ننكر تعددها واختلافها لكن المهم إدراك أن التشكيلات من الجمعيات والتنظيمات لا تخضع لسيطرة وزارة الدولة الام على العكس من فرنسا مثلا التي تتصارع فيها وزارة الدولة الام على حيازة المكان وسببت انقسامات داخل المجتمع الاسلامي، كما التنظيمات الأخرى مثل: الهيئات التركية اخذت طابعا مدنيا واقتصاديا اكثر منه سياسي، (المجلس الاسلامي الاعلى، والمجلس المركزي للمسلمين بالمانيا، والاتحاد التركي الاسلامي وتخضع باقي) الاجهزة للمراقبة، التجربة الاسلامية التركية تميزت بانها غير مخضعة لسلطة كهنوت معين بحد ذاته واذا كان هذا يمثل للبعض نقطة ضعف فهو يشكل بعدا مختلفا:" يرجع الميل الى اعتبار الانتماء الى الاسلام يشكل ضغطا...هي غياب الهيئة الكهنوتية...فلا توجد سلطة تكره المؤمنين على الخضوع لاي امر... لان غياب السلطة المؤسسية هذا ترك وفقا لدرجة النضج والثقافة الدينية المجال الواسع امام بعض الادعاءات والاحكام المسبقة"¹.

نتجه المانيا الى تعزيز التجربة التركية الاسلامية على اراضيها، لانه حسب الخبرة والتجربة رات ان هذا المنهج كفيل بضم الاطياف الاخرى والتي يتماشى مع اطروحتها الديمقراطية وتوسيع هذه التجربة وضم البنوك الاسلامية تحت جناحها، كخطوة متناغمة في تنظيم المجال العام اكثر وتماشيه مع القوانين التنظيمية والسياسية العامة.

المشكلة تكمن على المستوى الرسمي في غياب مساحة تعايش بين المؤسسات الاسلامية التركية وباقي المؤسسات الاخرى، على عكس من الواقع وتجربة المهاجرين فيما بينهم اذ نجد ان الاتراك والمغاربة والسوريين والعراقيين مندمجين او بالاحرى يشكون تجربة اسلامية متناغمة في المناسبات والاعياد والافطار الصباحي والغداء والذبائح ويتقنون فيهم اكثر من غيرهم من الألبان مثلا ويبقى للجزائريين ايضا محلاتهم ومتاجرهم واغراضهم الخاصة التي يتسوقون منها بكثرة ويفضلون الذبائح المغربية اكثر من التركية"².

يستفيد المسلمون كثيرا من المناخ الديمقراطي والتعايش الا انهم يطمحون للكثير وهذا الطموح الذي تسعى المانيا الى تهذيبية وعدم التفكير في ورقة المهاجرين والتوسع الناعم لاسلمة المانيا هذه فكرة تسعى المانيا الى التعاطي معها في حدود الممارسات المستقلة، او مراكز تحت المراقبة لا اكثر ولا اقل لكن هذا لا يمنع المسلمين الالمان انفسهم من التعاون مع البقية في

¹ دومنيك شوفاليه واخرون، العرب والاسلام واوروبا ، ترجمة ايمان حجاج، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014، ص214.

²المبحوث امين دحدوح ومالك جرمانى، انظر موقع القانونيين السابقين.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

توسع النشاط مستقبلا، تخوف المانيا من الفرق المتطرفة والعنيفة والجهادية المعاصرة التي تخترق مجالها عبر المهاجرين وخاصة تلك الفكرة المهددة لانقسام المجتمع "دار الاسلام ودار الكفر" "الجهاد المقدس" السلفية الجهادية الالمانية" التي شاعت في الالونة الاخيرة.

في ظل هذه التغيرات والتحولات يسعى المجتمع الالمانى افرادا ومؤسسات امنية الى استوعاب واعادة ضبط مبدا الهجرة والوفود واثر هذا على التحاق العوائل بابنائهم وازواجهم وابنائهم المهاجرين: "... هدفنا هو فهم ممارسات المفاضلة (Diffrentation) التي يستخدمها المسلمون على المستوى الفردي...، لا يفهم الناس الهوية الان على انها بنية، لكن على اساس عملية دينامية متحركة... من الاوفق ان نتحدث ان تشيد الهوية (Identity) لا الهوية المطابقة (Identification)،... ان الطرق التي يعرف بها الفرد نفسه بطرق متعددة الابعاد وعرضة لان تتغير وتتطور مع الزمن¹."

هناك مطابقتان تظهران الى السطح الاولى لها علاقة بالرؤية التقليدية للمسلمين ومستوى تعاطيهم مع المتغيرات بالمهجر، والثانية الذهنية القومية والعرقية التي يتعامل بها المضيف مع الوافدين فيصبحون مجبرون على برامج الادمج القسري واحتواء تجربتهم الدينية مثلا برؤية ديمقراطية او تلك المطابقة العنيفة والمتطرفة للعرق والقومية التي ترى بعض الفئات والحركات ضرورة عدم الاعتراف بهؤلاء على اراضيها تماما كما حدث مع اليهود، الان توجد حركات النازيون الجدد ممتدة من بولندا الى المانيا: "الهويات المتوقفة: تشير الى العمليات التي تحدث عندما نخوض ثقافة ما تحديا لكي تعيد تقوية نفسها من خلال مواجهة ثقافة اخرى... كما يذهب نيزار السيد وزملاؤه الى ما هو ابعد من تلك "التخوم" والامكنة الثالثة" التي نتقابل عددها من الثقافات والمورثات.. لم تعد هذه التخوم متفرقة تستقر بين ساحتين ومحددتين... لم تعد تحتل هوامش الحد الخارجي... اوروبا المسلمة قد تكون التخم الجديد".²

تعلمنا من خلال الهجرة امرا جد مهم هو ان المنجز والنهائي والجوهري والخالص النقي لا وجود له الا اذا رغبتنا برؤيته عمدا في خيالنا، الافراد والمجتمع والهويات تؤدي بشكل يومي وحركي ومتغير، الثبات يعني التأهب للصراع والتطاحن والانقسامات، انه من الضروري ان يدرك الطرفان (المهاجر والمضيف) انهما يساهمان في عبور هذه الثقافات ليس على السطح

¹ عزيز العظمة، ايفي فوكاس، الاسلام في اوروبا التنوع والهوية والتاثير، ترجمة وتقديم احمد الشمي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2011، صص، 109، 110.

² المرجع نفسه، صص 103.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

وانما التغلغل اكثر على المستوى البنيوي عبر تفاعلاتنا وتواصلنا لازمنة وامكنة مختلفة، ما يبقى هو درجة التباين في القبول والرفض ومحاولة كل منها على فرض نظرياته ورؤاه على الاخر في محاولة ليست نافعة الا اذا لاحظا تشكل تخوم بابعاد ثلاثية وليس ثنائية.

ج: حركة مناهضة للمسلمين(بيغيدا)وسلفية المانية

ان المجتمع الالمانى تغير كثيرا ولم تعد تلك الصور النمطية مستحكمة على المنظورات النظرية المنهجية الكلاسيكية، تنوع النسيج الاجتماعى واختلقت اساليب اعاده انتاجه من قبل الافراد او المهاجرين، و من كل هذه الخليط الثقافى والاجتماعى الطبقي والعرقى القومى والوطنى.

التركيبية الاثنية والعرقية مهمة جدا في تكوين اساليب جديدة في التواصل، كما انها عنصر حيوي للمجتمع الالمانى المعاصر، شهدا المجتمع الالمانى سلفية اسلامية مقابل نهوض حركات النازيون الجدد، يجد المسلمون المهاجرين انفسهم وابنائهم منضوين تحت المسلمين الألمان، والالمان انفسهم يناهضون هذه الحركات، انه ديكالكتيك اجتماعى مغاير تماما، كما القومية الالمانية ليست وحدها تحتكر الولاء بل توجد قومية تركية عابرة يميل اليها الملاين من الاتراك الالمان، تخوم وحدود متداخلة عابرة ومحلية، دينية وعقائدية وايدولوجية جعلت الانسان الالمانى والمهاجر عموما مرتبطة بكثافة التواصل والتخلي عن القوالب الجاهزة والتعامل بتلقائية اكثر مع التحولات الدينامية والمتسارعة، اصبحت الهجرة مثيرة لانفعال النازيين الجدد ومنعشة للسلفية الالمانية نفسها، لا يمكن البحث عن الاندماج بقدر رؤية ذلك التعايش الفسيفسائي ليس فقط بين المسلمين بل بين المسيحي العربى والمسيحي الالمانى نفسه، يعلن اتحاد الكتاب والناشرين الالمان عام:"2011" ان الكاتب الجزائرى الفرنكفونى بوعالم صنصال يحصل على جائزة اتحاد الناشرين الالمان، يمكننا ان نطرح العديد من التخمينات حول الاسباب التى دفعت اتحاد الناشرين الى منح اهم جائزة المانية الى كاتب لا يملك اهمية كبيرة فى تلك السنة"¹.

ما الذى يعنيه هذا؟ انها السياسة فحسب؟ ام سياسة الحياة الالمانية نفسها؟ يختلف الامر بين المنظور الكلى كرؤية مستقبلية للمجتمع الالمانى وعلاقته مع الاجانب والمهاجرين والتنوع الثقافى وبين الافعال السياسية، لقد اعلنت "ميركل" بعد لجوء السوريين الى ارضها بالالف انها بلد المهاجرين وان الاسلام ينتمى الى المانيا، رحب الحزب الديمقراطى المسيحى(CDU)

¹ ستيفان فايندر، خطاب ضد الاسلاموفوبيا فى المانيا والغرب، مناهضة بيغيدا، ترجمة رشيد بوطيب، منشورات منتدى العلاقات العربية الدولية، الدوحة قطر، ط1، 2015، ص19.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

بالفكرة واشتعل غضب حركة بيغيدا(PEGIDA) سنة 2014م وتوسعت الحركة لتستقوي بجارتها بولندا وانطلقت من مدينة "درسدن" الالمانية ، المدينة التي بها مهاجرون كثر ويعانون من السلوكات العنصرية والاجرامية الى حد التصفية الجسدية، ليست هذه المدينة وحسب بل ايضا:فورتسبورغ، لايبزيغ، ، كولونيا ، هانوفر .

كثيرة هي الاحداث المتباينة التي حدثت تلك الفترة و قسمت المجتمع والدولة بين رغبتها في احتواء الوضع بالتعددية وبين ترك التجربة غضة لمعرفة كفاءة المجتمع وثقافته في احتواء هذه التحولات مع توجيه وتنظيم بسيط واحترام للقوانين، لقد كان اللاجئون يبيتون في العراء ومعهم المهاجرون الجزائريون ، كان المبيت بالعراء يعني الموت فحرق كذا مرة الفاعلون من نشطاء "بيغيدا" خيم المبيت للاجئين .

في سنة 2014م حدث امر ببولونيا ليلة راس السنة، محاولة الاغتصاب من طرف مهاجرون مغاربة(تونس، والمغرب) وبعض السوريين، مما عزز فكرة طرد الاجانب لدى الحركة وليس هذا وحسب ترى الحركة ان بقاء هؤلاء لا ينفع المانيا بل يدمرها، مستغلين في ذلك اي سلوك وتعميميه .

النسيج السياسي والايديولوجي بألمانيا يشكل حالة انقسامية وشيزوفرينية حسب "فايدنر"، بحيث يعزز احكام العنصري ويقبل المعتقدات، يحاول عزل وتهميش الحركة، ويضمن الحواجز مع المسلمين، واذا حاولنا استوعاب وجه المقارنة مع البريطانيين(الطبقة، والعرق) او امريكا وحراك(CAN'T BREATH)(الملحق ص469)يؤكد تباينا واختلافا وكل يتعاطى مع الاجنبي والغريب بأسلوب مختلف، لكنها تعبر عن صعوبة وازمة حقيقة في استوعاب التنوع الثقافي في مجمله على جميع الطبقات: يدعونا الباحث فايدنر الى اعادة النظر في تصوراتنا عن ذاتنا والعالم لانه غير كافي ذكر حركة بيغيدا وتلك التصورات العنصرية الجديدة والمستحدثة: " الامر هنا يتعلق بسلامنا الروحي...، انه لمن المستحيل تجاوز ظواهر في المستقبل مثل: المذبحة التي ارتكبتها برايفيك في الثاني والعشرون من يوليو 2011 بالنرويج او عملية القتل التي شهدتها محكمة في درسدن في الوجد من يوليو 2009 او عمليات حرق سكنى اللاجئين او سلسلة القتل التي ارتكبتها مجموعة من النازيون الجدد تسمى الخلية اليمينية المتطرفة(NSU)"¹.

¹ ستيفان فايدنر، المرجع السابق، ص22.

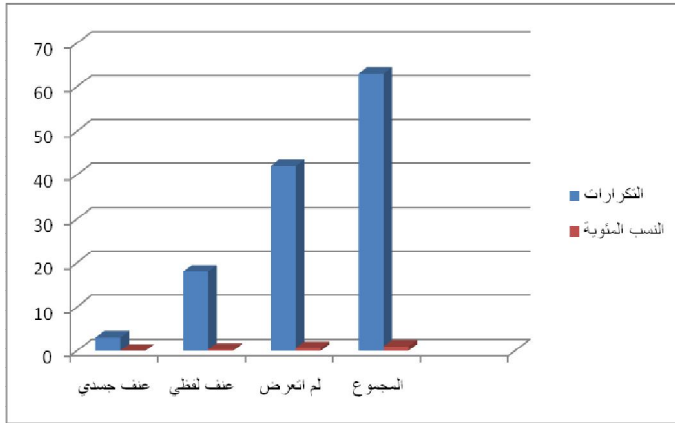
الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

يكشف الجدول الاتي ظاهرة العنف وانواعه الممارس من قبل الالمان ضد المهاجرين:

الجدول رقم (16): التعرض للعنف بالمهجر

المتغيرات او الفقرات	التكرارات	النسب المئوية
عنف جسدي	3	4,8%
عنف لفظي	18	28,6%
لم يتعرض	42	66,7%
المجموع	63	100%

ان هذا الجدول يعبر عن محور مهم للتعاشيش ما بين المختلفين ثقافيا ومن خلال الممارسة السلوكية على المهاجرين من قبل الالمان اذ تعبر القيمة الاعلى بقيمة 66.7% ان لا احد تعرض لعنف جسدي او لفظي وهذه نسبة لا يستهان بها توضح ان العلاقة اكثر من النصف ذات دلالة موجبة للتعاشيش وانه لا توجد ممارسات عنيفة. مقارنة بالعنف اللفظي بنسبة 28.6% وعند جسدي ضئيل بنسبة 4.8%. كما هو مبين بالرسم البياني: الشكل البياني رقم (11).



يبين الشكل ان نسبة العنف متفاوتة، لكن ادركنا أن مرجعه الى عدة اسباب وتزامانات مختلفة، وتجارب مهاجرين منفصلة على حسب الموقع ونوعه، لكن عموما هناك تغير للمجتمع الالمانى، كما سندرك الاسباب الحقيقية والقابلية للتحويل الاجتماعى الالمانى وادراك من يقف حول العنف؟.

ان مظاهر العنف لها مولدات نفسية وثقافية وايدولوجية وتزيد الهجرة من تسارع وتيرة هذه الاحداث، خاصة الغير منظمة والتي يحتاج اصحابها الى الكثير من العناية والتاهيل، يكون تفاعل مجتمعي متكافئ ولتخف تلك الحدة العنيف، ان المجتمع الالمانى لا ينتظر كثيرا الحكومة لتوجيهه، انه ذاتي التعامل مع القضايا، في حركة الهجرة تعامل الالمان بتعلم اللغة العربية وتعليم الالمانى للاجئين فتح المدارس والمكاتب لتسريع التعريف بانفسهم، هناك عائلات تبنت اطفال يمينين ومسلمين ومسيحيين عرب، هناك زواج وعمل، توجد سمة التلقائية والذاتية

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

في التعاطي مع الاوضاع المفاجئة والاستثنائية، ان المشهد العرقي ليس مسيطرا بل هناك تفهم ايضا لهذه الاثنيات والاقليات،: "ان التعميمات والاختزالات لا تساعدنا على الفهم فمواجه الارهاب الاسلامي تتطلب نهجا مختلفا تماما عن ذلك الذي سعى الى تكوين غيتوهات للمهاجرين وما صاحبه من ضعف عملية اندماجهم، ان المشكلتين معا، الارهاب وفشل عملية الاندماج مرتبطتان باسباب اخرى لا علاقة لها بالدين الاسلامي"¹.

ان ظاهرة التعصب والسلفية هي ظاهرة تمس الفكر والسلوك الانساني لا علاقة لها بدين معين دون آخر، السلفية ظاهرة عالمية، تمس العقائد والايديولوجيات ، انها انثربولوجيا تعني عبادة الاسلاف، رفض اليهود معاملة النازين، واليوم يرفض المسلمون وغيرهم معاملة النازيون الجدد، جذر المشكلة الدوغمائي عرقي اكثر منه ديني بذاته، لا يسع المناقشات الحوارية للنخب ومن اعلى ان تجد حلا اذا لم نستغرق ونستفيد من الجو الثقافي المتنوع الذي توفره الهجرة ميدانيا، هناك مؤثر ايضا بين المسلمين الالمان (German muslims) والمسلمين الغير الالمان والذي تجنسوا فيما بعد، المشكلة اعمق.

لقد كان للهجرة دور في نشر الاسلام وبالاخص من ابناء المهاجرين الجيل الثاني والثالث، كما ان انتشار حركات عالمية اسلامية كحركة التبليغ ساعد مبكرا في انتشار الاسلام وحركة اسلامية سلفية بالمانية تنقسم بين الجهادية والعلمية، هذه الاخيرة هي الاكثر من حيث العدد: "مع الهجرة المتزايدة لافراد العائلات وتزايد الحاجة الى تعليم ديني وبنية تحتية تساعد المسلمين على حفظ هويتهم الدينية والاثنية والثقافية...في حين كانت الهجرة المرتبطة بالعمل هي الظاهرة الاكثر انتشارا في منتصف السبعينات اصبحت الهجرة المسلمة منذ ذلك الوقت اميل الى اللجوء السياسي"²، من المفيد التركيز على:

اولا: تمازج وتفاوت حول الاثنية والعرقية معينة بذاتها فهنا مسلمون المان ومسلمون ليسوا المان والمسلمون غير مجنسين ومن طوائف مختلفة يمثلون اقلية اخرى.

ثانيا: التجربة الالمانية عبر هذه الجماعات جعلتهم يكونوا ميل من حيث المنهج المعتدل الذي يمتاز به هؤلاء عن تلك الغير الالمانية، فالسلفية الالمانية ليست على وجه واحد، هناك امتداد مشرقى ومغربى ومحلي الماني خاص.

¹ ستيفان فايندر، المرجع السابق، 28.

² نينا فيدل، صناعة سلفية بالمانية، ترجمة محمود طه عبد الوهاب، منشورات مركز انماء سيدون، بيروت لبنان، 1، 2017، ص 29.

ثالثاً: إن الحركات النازية الجديدة والمتطرفة يرفضون كلية الاسلام والمسلم حتى ولو كان من عرقهم.

خلاصة:

تفحص مسألة الهجرة دوما تلك العلاقة بين الخصوصية والعمومية، المحلية والكونية، السلبية والجهوزية، والقابلية لمجرد التجنس والاقامة، الى الفعالية بالحياة دوما كعضو اجتماعي فاعل بحيوته وواجباته بعيدا عن تصنيفات سابقة دينية او عرقية، وعن جو سياسي ايديولوجي متعصب، المهاجر هو باحث كاشف عن ضعف تلك الاطروحات الجوفاء كالمواطنة والكونية، الهجرة بهذا الشكل تكون مبحثا في الاعتراف بالغير، هذا الذي يسمح للمهاجر ببناء ذاته من خلال غيره، والغير من خلال هوية مشتركة ووطنية، وفي الاخير دون ان يكون للجنس او العرق والطبقة او الانتماء او اللون او العرقية او الاقليمية اي تاثير سلبي بل بالعكس، فالمكون الثقافي الهويوي والروح الجديدة لابناء المهاجرين منسجمون مع هذا الطرح، فهو عامل ضامن ومنتفس في ذات الوقت يضمن امنهم النفسي والثقافي والتربوي، بعيدين عن أي قصور، فمن خلال ما سبق نلاحظ تلك الازمة السياسية والاجتماعية التي ابرزتها الباحثة عن السلفية الالمانية، لكن الامر اعمق في مشروع نقد ديني او ايديولوجي معين بذاته، والمهاجرون المسلمون في حاجة الى اثبات ذواتهم وكفائتهم الثقافية والتفاعلية.

تمهيد

من خلال حلقات البحث والنقاش والتحليل السابقة، وذكر واستدلال بكل الحوادث والادلة والممارسات والتجارب، تبرز الحاجة للباحث كما الواقع الى تبني حل عملي منظم وموحد اكثر لهذا الروابط والتفاعلات مع كيانات ثقافية واشكال اجتماعية مختلفة والتي تعد الهجرة احد اهم حلقات التنوع الثقافي والتعدد، وهو الذي يدفع بالموضوع عند القدامى كما المتأخرين الاسراع الى ضرورة الاندماج وضمان التماسك الاجتماعي، لاجل ذلك نظر الوظيفيون والبنويون كثيرا الى حاجة بناء اجتماعي موحد يكون فيه الفعل الاجتماعي ضمن هذا الاطار، وهنا برزت قضية الشمولية Holisme وانشق الفردانيون عن هذا النهج في العلوم الاجتماعية مفعلين الاتجاه العقلاني والممارسات المعقلنة والارادة الفردية.

1- الهجرة و سوسيولوجيا الاندماج

ان الحاجة الى سياسات الاندماج بالهجرة لهو متأت من هذا السياق الطويل للجدل بين رؤية سوسيولوجية معممة Macro والجزئية Micro -المنهج الذري- وكان من الصعب التوفيق، لان كل عملية توفيق كانت جهدا توليفيا اكثر منه حل للمشكل والرؤية الجديدة.

ان الرؤية الحيوية للتنوع والمجتمع التعددي اعتقد لا تحتاج نظرية بحالها او انموذج بل هي بحث حثيث ومتجدد يراجع كل التراث النظري والمعالجة الامبريقية لما ستوفره من رؤية التقاطعات والابعاد الواسعة لملاحظة المعيش اليومي، الانساني، المتشابك والعابر، وذلك للعناية بالمبادرات والتجارب المتداخلة للمجتمعات المعرضة لهذه الاختبارات، فاختياري لمعالجة النوع والتنوع الثقافي لم تكن حصرا على الهجرة وانما مرعاة لنموذج يستحق المعالجة واعادة النظر في كثير من المسائل السوسيولوجية والانثروبولوجية.

صحيح ان الحدود الدولية والرسوم والحماية والجوازات والقوانين تقوض من عزيمة الحركة الحرة كما انها تورث حكما سياسيا واقتصاديا واجتماعيا يتضمن برامج الاندماج وسياسات الهجرة والهوية والسعي بهذا الاتجاه، ونلاحظ بداية من مطلب اللغة(الالمانية) والعمل والوثائق الرسمية من الاقامة والجنسية، تثير الهجرة حفيظة الباحثين بعجالة الى تبني هذه الفكرة في كل زاوية يتعلق الامر فيها بالبحث في الاندماج او الادماج او الاجراءات وتعددت المسميات:

"لا يخلو منهج المؤيدين للاندماج من الجدارة والاستحقاقات والاهمية، فالمجتمع لا يكون متماسكا الا اذا تقاسم اعضاؤه المعتقدات والقيم الاساسية،...المدافعين عن الاندماج يطالبون

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

بدرجة الوحدة اكبر من الممكن او الضرورة¹، هذا الاستحقاق المعرفي والعلمي والواقعي جعل من الباحثين يركزون كثيرا على اطروحة الاندماج مهمشين الحياة المشتركة والتقاطعات والانعكسات والابعاد والعمليات الثقافية والمبادرت الفردية والبناء الذاتي والجمعي معا(التداوت)وفرضوا نوع من الرؤية تعتمد على الازدواجية وصراع الازدواجية والقوع في منظور "الهنا" و"الهنالك" بدون الالتفات "هنا" و"هناك" فواصل حادة ومنقسمة دون ادراك عملية الوصل، هذه العلاقة الاخيرة ضرورية جدا في ادراك كلية التواصل الثقافي ومحصلته، رؤية الاندماج تعلي من شان الانقسام بالرغم انها تسعى في اتجاه الدمج في شكل مفارقة.

الاندماج الذي يراد فيه الهجرة يرجع الى اعتبارات سياسية كما عبر عالم الاجتماع الفرنسي هوغ لاغرانج في مؤلفه (Le déni des cultures): "ففي مثال الجمهورية الثالثة لم يكن الاندماج مدركا بوصفه ايعازا كما هو الامر اليوم، بل بوصفه عملية طويلة من التنشئة الاجتماعية تتضمن وجهين: يتعلق الاول باستدخال المعايير والقيم التي تفرض نفسها على الجيل في كل مجتمع، ويتعلق الثاني بالتشارك في الحياة الاجتماعية العامة وباشكال الوصول الى الوظائف العامة والخاصة والوظائف السياسية وباختصار انه اندماج المدني"².

يشكل الاندماج بهذا الوصف الصفة الاولى التي عبرنا عنها بعلاقة الدولة والمجتمع بالمجال العام، عبر برامج اندماجية لكافة اطراف المجتمع، لكن بهذا الشكل تضمن تعسفا وايعازا بالمنع المحدود كما اشار "لاغرانج" كما ان الاندماج والاندماج يبقى قاصرا لعدة اسباب، ففي رايه هناك عقبة هوية الدولة الامة امام الكوزموبايتالية ومشكلة الهجرة بحيث ان: "الاندماج الثقافي للشباب المتحدرين من الهجرة لا يعني اندماجا كاملا، لان الابعاد المختلفة والاقتصادية والسياسية والثقافية ليست مترابطة بصورة طبيعية"³.

في هذا السياق الحدائي المقاوم داخل الجسم السياسي للدولة الامة او الدولة الوطنية للتعدد الثقافي وللتنوع بروز اشكال فرعية من الثقافات الناشئة الحرة، لم يعد للاندماج ذلك السحر والقوة والطلب بروح من التماثل خاصة في مجتمعات ما بعد الوطنية لان الاندماج يوفر عبر عمليات التطابق والكونفورميا ميذا من الاجتماع والجموعية وموقفها السلبي من المبادرات الذاتية والعبارة لذلك يقتصر على: " القيم المتعلقة بالتربية والسلوك المواطني والتربوي والاندماج

¹ بيكو باريك، المرجع السابق، ص135.

² هوغ لاغرانج، نكران الثقافات، ترجمة سليمان رياشي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر ط1، 2016، ص324.

³ المرجع نفسه، ص325.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الاجتماعي والتغير الى تعميم النمطية السلوكية في مجتمع وثقافة الاستتباع "conformisme"¹.

اطروحة الاندماج تسير بشكل نموذج معياري اكثر من ملاحظة الاستثناء ومبادرات الفاعلين ويكون المجتمع ساكنا ودفاعيا ومنغلقا، وافرده اكثر ميكانيكية وبيروث برمجيات لافراده عبر مختلف السياسات للهجرة والهوية، كما نبحت: "الاندماج القسري والاستبعاد القسري المتعلق بسياسات الهجرة طابعا مختلفا بشكل متوقع بمجرد ان تكون الحكومة مملوكة ملكية عامة"².
يبرز الاندماج الاجتماعي دوما اشكالية بين العنف المشروع وحجم المساواة مخفا اشكالا انسقاميا عبر القطاعات الاجتماعية التي ترى دوما تهديدا للاندماج الاجتماعي ونظامه، هذا النظام الذي لم يعد موجودا الى في حالة الانتظام والفوضى واعاد البناء بشتى الطرق، يحاول لاغرانج ابتداء اصطلاح يعنى بالادراج اكثر من الاندماج بقوله: "تتوفر المجتمعات المابعد وطنية والمتعددة ثقافيا ضد الانغلاق والمماثلة"³.

الا أنني أرى أن الإدراج مبني على خلفية سياسة الهوية والبحث اللانهائي عن الضبط مفرزا هذا الاخير اشكالا اخر بين الاعتراف والتنوع عددا او تحفيز عمليات التنوع الثقافي حقيقة: "ان الاندماج يمر اولا بتأكيد الجماعة قبل ان تتوزع الجماعات في المرحلة التالية وتخسر من تجانسها...افضى نجاح السير نحو المساواة استلابا سياسيا قويا للمهاجرين من اصل افريقي من ان يصبحو فرنسيين"⁴.

لم يئن كثيرا الادراج عن الاندماج، وان كان يتضمن فسحة للتعددية الثقافية، في مجتمع مليء بالمهاجرين وشيوع نموذج اللادولة المابعد الديمقراطية، لكن سياسة الهجرة وسياسة الهوية استمرت ونمت في بيئة تدعم هذا التوجه ونوع التجربة مع المهاجرين لكن لم ترقى بعد الى تلك المعالجة الحيوية للتنوع الديناميكي وحراكه، هناك الكثير من الجدل بين الانقسام والتجانس والاستيعاب والتكامل:

¹ احمد بعلبكي واخرون،جدلية الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والامة في الوطن العربي،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر ط1،2014،ص42.

² هانز هيرمان، المرجع السابق، ص 228.

³ هوغ لاغرانج، المرجع السابق، ص328.

⁴ المرجع نفسه،ص328.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" استيعاب المهاجرين ليس عملية بسيطة وسلسلة كما يتصور المناصرون لفكرة الاستيعاب، فالانسانية التي تتم استيعابها في المجتمع لا تكون متاكدة تماما متى اصبحت مندمجة بشكل كامل وما اذا كان المجتمع وافق على اندماجه فيه".¹

يصعب الاحتواء الثقافي والاستيعاب لمجتمع مع كتل من المهاجرين هي بذاتها غير متجانسة، كما ان المهاجرين انفسهم ليس لديهم مقدرة على التكيف مع افرادهم من الثقافات المجاورة في مقابل مشكلة المعايير والاشكال الاجتماعية، لذلك ينظر الى مصطلح الاستيعاب بضابيه ويلجئ البعض الى التكامل: " المهاجرين يتم تشجيعهم على ان يصبحوا جزا لا يتجزا من المجتمع، لهم نفس الحقوق والفرص وعليهم نفس الالتزامات مثل باقي افراد المجتمع، لكن عندما يتم فحص الموضوع بعمق نجد ان التكامل له عيوبه ايضا فهو يتضمن اسلوبا معيقا للدمج المهاجرين في البناء الاجتماعي السائد".²

ان سياسات الهجرة هي وجه آخر لسياسة الهوية بهذا الصدد كما ان هذه الاخير تعبير عن التخبط تجاه اشكالية التنوع الثقافي امام وجه الهجرة، فهي ازمة، اي: اعتراف لمن؟ وكيف؟ وكلها نظرة تطرد تخوما وتستبين حلولا امام اهتراء المنظومات الجماعية.

لقد عبر صراحة المفكر السياسي "فوكو ياما" من خلال مؤلفه الجديد: الهوية. الحاجة الى الكرامة وسياسات الاستياء، وبالرغم من ان هذا العالم تشكل منهجا في التعامل مع التنوع الاثني والعرقى والايمان بالحركة الدينامية المتغير وتتابع تحولاتها، تكون الهوية بناء متجدد متكامل وليست مكسب والمشكلة تكمن في مقدرة الخارجي على التكيف، كل بما يقدمه الداخل "الذات والمجتمع" احتكاك مستمر للاعتراف والحاجة اليه، كما يعتبر سياسات الهوية وانبثاقات عن معالجة اشكالية الجماعات المهمشة وعلى راسها المهاجرون: " ان سياسات الهوية باتت تهدد تماسك الدول الديموقراطية الليبرالية بسبب استدعائها عدة قضايا مثيرة للجدل مثل الحاجة للاعتراف، الهجرة، الكرامة والعلاقة بين دوائر الانتماء القومية والدينية والاثنية... بسبب مخاوف الجماعات من التماهي في الآخر وفقدان الخصوصية، والخوف من هيمنة الجماعات الاخرى على مقاليد السلطة".¹

¹ هوغ لاغرانج، المرجع السابق، ص136.

² المرجع نفسه، ص137.

¹ مايسة مروق، قراءة في كتاب الهوية، الحاجة للكرامة وسياسات الاستياء. www.tipyan.com تاريخ النشر، 2020/10/08، تاريخ المراجعة، 19/02/2022، اب17:51. مساءا.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

يحاول المفكر الامريكى بعث روح متكاملة عبر سياسة الهوية ودعم اكثر للاعتراف في سبيل امكانية التواصل والعمل الجماعي المشترك، و فهم السلوك البشري ودوافعه، عبر اعادة بناء الهوية الوطنية بصيغة مشتركة تتعايش مع قيم الانتاج، مرتبطة اكثر بمبدا المساواة متجنباً في ذلك اي استقطاب لفئة دون ارى وموجها في ذات الوقت نقداً للديموقراطية الليبرالية ومعتمداً في ذلك على قيمة الكرامة التي نغفلا عنها كثيراً (Thymos) وحقيقة اننا من خلال الهجرة ودراسة حيثياتها ضمن تشابكات مجتمعية مختلفة نغفل عن الكرامة ونميل الى فكر اداتي اكثر: "يميز فوكو ياما ما بين شكلين: الثيموس (Megalothymia) والتي تعني الرغبة لدى الفرد في الحصول على الاعتراف بانه الاسمى والاكثر تفوقاً وويدل ذلك على مجتمعات ما قبل الديموقراطية قائمة على التسلسل الهرمي... فنظرتهم لبقاي المجتمع على انهم اقل شأناً... ذلك الشعور يدعى (Isothymia)"¹.

تعتبر الديموقراطية في نظره عملية وحركة صاعدة من المجتمع الى على الهرم وليس العكس، وتكون الكرامة ليس مطلباً بل تجسداً انسانياً في الاخير يعلن الفرد خلالها على ارتباطه بجماعة ما، الاعتراف ليس مطلباً حوارياً بل نشوء تفاعلي يجعل الاحترام المتبادل قيمة لبقائهم مع بعض، تتعتبر هذه المعالجة الحديثة للمجتمع الامريكى وما حدث مؤخراً لاحتوائه ظاهرتين سوسيو سياسيتين: الاولى حركة السود والثانية صعود الشعبية بالاضافة الى ملف المهاجرين يعتبر فوكوياما هذا منحى لا بد من انتهاجه.

-الاندماج ورؤية منهجية لمدرسة شيكاغو

هناك ارتباط وثيق بين سوسيولوجيا الاندماج في علاقتها بالتحضر والهجرة، وشغلت مبكراً اشكالية التنوع الثقافي والتحضر والهجرة، في المدن الامريكية الكبرى مثل نيويورك، وشيكاغو وميتشغن، وهذين المدينتين معروفتين بسكانها المهاجرين خاصة السود، ولعل دراسة الفلاح البولندي ل "وليام توماس وفلوريان زنانكي"، كانت من اهم الدراسات في لتراث السوسيولوجي الحديث، اعتنت الدراسة بمشاكل الاندماج والتناقف والتفاعل والتحضر، لمجتمع متعدد الاعراق والاجناس في عودة الان الى محور الاستيعاب والتكامل، ضمن سوء التنظيم واعادة التنظيم مبرزا اهمية الوقائع الاجتماعية: "سوء التنظيم واعادة التنظيم وهما العمليتان الاجتماعيتان اللتان

¹ مايسة مروق، الموقع نفسه.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

تسمان في البداية حياة الافراد قبل ان تتحول الى نمط عيش جماعي يهمن على كل المجال الحضري، وهذا الانشغال بمسألة الاستيعاب وانصهار المهاجرين في مجتمعهم الجديد¹. ركزت اطروحتهما على علاقة البولنديين بمجتمعهم الجديد امريكا وسبل التنظيم واعادة هيكلته داخل الاشكال الاجتماعية الجديدة مستعرضا بعدا اثوغرافيا متعلق باحترام الدراسة المونوغرافية المفصلة والوثائقية والمسجلة بشكل يومي وتحليل مضمون تلك الوثائق، نالت هذه الدراسة عن الخطابات الكلية واستوعبت مبكرا السوسولوجية الزيميلية بامكانية تلك السلوكات الاجتماعية في بناء المجتمع وليس مجرد الغرائز وتلك الاختلافات بين الجنسي والعرق متجهة بكليتها الى البعد الثقافي في الاخير.

هذا الطرح يغري البحوث الاجتماعية المعاصرة في ضرورة انتهاج معرفة الاساليب والخطابات والكيفيات والسلوكات اكثر من اي تكسب ثقافي قبلي، مما يعني الاتجاهات والمواقف هي ركيزة بناء الوقائع الاجتماعية، لقد اصبحت هذه الوقائع تطورا واستعاب أكثر لما قدمته السوسولوجيا التفاعلية على يد "ميد" و"زيميل" لكن في شكل متطور ومنوغرافي اكثر.

علاقة الهجرة والتحضر أوسع من علاقة الاندماج، لانها تعنى بالمواقف الفردية والقيم الاجتماعية والمعايير المؤسسة على البعد النفسي والاجتماعي هذه الابعاد التي تقر امكانية التنظيم الجيد من عدمه،" ان الموقف (Attitude) هو عبارة عن مجموعة من الافكار والانفعالات التي تتحول من الزمن الى استعدادات ثابتة عند الفرد وهي التي تسمح له باصدار لرد الفعل امام نفس المثيرات وبطريقة مماثلة دوما².

ان الموقف هو تعبير على امكانية الفاعلين الاجتماعيين لاغيا تلك البنى الكلية والخضوع لها ليس من حيث الانسلاخ الكلي للقيم والمعايير بل هو اسلوب وابداع كفي وتكتيك واستقراء لتوظيف ما هو مناسب فعلا وممارسة، يكون الفاعل اكثر تخطيطا للفعل وبلوغ المقاصد، هو ليس مجرد تفاعل بل هو وعي بتلك اللحظة الاجتماعية للحدث والوضع والدور بغية شحذ السلوك المناسب في المجال الثقافي الانسب له، الواقعية الاجتماعية (Fait social)، تعبير ضد النزعة الوضعية (Positivisme)، الوقائع الاجتماعية تطور لعلاقة الذات بالمجتمع اكثر من كونها اشكالا ومضامين، ناهيك عن عدم ايمانها بكلية البنية ووظيفتها، الموقف عكس الوضعية وتكون التراكيب الاجتماعية حاصل التفاعل ويعتبر الاندماج حاصل تحصيل

¹ عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسولوجيا التحضر، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2016، ص101.

² المرجع نفسه، ص102.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

البحث عنه واكثر ديناميكية ومنتجه في اكثر من خط:" كل سلوك ذاتي التحديد يكون مسبقا بحالة من التفحص والتداول وهي الحالة التي يمكننا ان نطلق عليها تعريف الوضعية(Definition de stituation)¹.

تاخذ الواقعية على عاتقها كل اجراءات السلوك والمواقف في سلسلة متماثلة وغير متماثلة عبر التفاعل والتبادل،يكون مجال الهجرة غير ثابت كلية، من خلال علاقاته وشبائه المنسوجة والغير متوقفة عند المحددات الاولية، مع امكانية لخلق معايير وقيم جديدة وابرار مجالات اخرى بفعل عامل التحضر ايضا:"ان سيرورة التحضر تغير بشكل عميق المنطق السائد، اي انها تغير العناصر الكفيلة بانتاج مفعول الشرعية، وذلك مع اشارة مشاعر الفرد وتعبئته حولها،...ننتقل من منطق التوحد والانسجام والتراتب الى منطق الاختلاف والصراع من اجل المساواة"².

إن التحضر كأسلوب عيش ومجال ثقافي بذاته جعل من مفهومي سوء التنظيم واعادة التنظيم عملا معمقا ودالا على العلاقة الثقافية والتسكالية للهويات كما ان المهم ليس النظام او التخوف من الفوضى والتمزقات بقدر اعتبار هذه العلاقة بين الهجرة والتحضر وسوء التنظيم(Désorganisation social) واعادة التنظيم(Réorganisation) الحالة والعلاقة الطبيعية لذلك وتكون القيم الاجتماعية والمواقف الفردية مفاهيم اجرائية اكثر من كونها نظرية انه ملاحظ ابريقيا:" السيرورة التي من خلالها وبها يتم الاندماج والادماج والانصهار والعودة الى السواء اي العودة في نهاية الامر الى التنظيم(L'organisation)³.

ان عملية التنظيم ومجالات الانتظامات الثقافية والتحضرية ليست هي ذاتها نظرية او براديجم النظام البنائي للفعل، الاولى اكثر حيوية وعناية بالميدان القريب من حركية الظواهر وتغيرها، يكون الخلل المبدئي مثلا للمهاجر او للمجتمع في علاقته بالمهاجرين ليست حالة (Anomia) بالمطلق اي هو مجرد سوء تنظيم ما يلبيث ان يدرك الفاعلون مواقفهم المطلوبة في استقرار الابعاد والاجزاء وينحون نحو سلوكات معينة حتى يستقر الامر عن التنظيم المراد داخل حياتهم الاجتماعية المختارة.

¹ عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو، المرجع السابق، ص104

² عبد الرحمان المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجي التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، فاس، المغرب، ط1، 2015، ص33

³ عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو، المرجع السابق، ص110.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

"يمكن القول عن...تجميع المعلومات يرتبط بمدى ارتباط امتداد بيئته الثانوية، ان سيرورة هذا التركيز تعتبر إحدى أهم مظاهر سيرورة التحضر، التغيير الذي يحدث في الحياة الحضرية يتم من خلال الاتصال والتواصل، ان الوقائع...وتحركات الاشخاص...والافكار..و المبادلات الثقافية... تعتبر المدن مراكز تتنوع فيها المبادلات بين مختلف الثقافات"¹.

ان المرحلة الاولى لدراسة الاندماج حول ظاهرة الهجرة والتحضر لطوماس وزنانكي كانت مفتاح لتوليد مبادرات ومقاربات اخرى تحاول فهم التسارع الحيوي للمجتمع الامريكي-(ان دراسة المجتمع الامريكي مهمة في فهم التحولات الاخرى بالعالم كون امريكا اثرت كثيرا على المجتمعات الاخرى وتاثيرت هي ايضا)- بالخصوص مدينة "شيكاغو" و"ميتشغن" واحتضنت ثلاث علوم مهمة الانثروبولوجيا والاثنوغرافيا وعلم الاجتماع، وعرف ابناء هذه المدرسة كيف يستغلون هذا التراث العريق، اذ لا يمكننا ذكر الاندماج والهجرة دون مراعاة مقارنة الثقافة والمجال عبر البعد النفسي والسوسيولوجي والبيئي، لروبرت بارك (ROBERT ERZA PARK)، تلكم المقاربة المجالية للنشاط الانساني وفهم العلاقة بين النظام والبيئة (Order ecology)،:"يعتبر البعد الاخلاقي الضابط ومفهوم التفاعل أساسيان في اطروحة "بارك" اذ يرى ان العلاقة بين الانسان وليس الفرد مع المجتمع تكون من منظور مزدوج للمنتج البيئي والاساليب البشرية المبتكرة بداخل عملية(Process)²."

يركز بارك على العملية في نشاطها بروح اكثر براغماتية ويوظف مفهوم الايكولوجيا للمجال الحضري والهجروي والكيفية التي تتشكل بها المجموعات داخل المدينة وكلية شبكة العلاقات التي يعتبرها فسيفساء وليست وحدة متجانسة:"تعود استقلالية هذا الترتيب للظواهر الى التشابه البيولوجي الذي تم افتراضه جزئيا..الى وجهة النظر التي تؤدي الى تبني الواقع الاجتماعي من خلال اخراج الانتظامات الخارجية للوعي الفردي"³.

ان الاهمية والمخرج المهم الذي طرحته المعالجة الايكولوجية عبر ثلاثية المدينة والتحضر والهجرة وهذا المجال النشط بمختلف فروعه وانواعه الثقافية والاثنية، يظيف بارك مفهومين مهمين بنفس الطريقة التي عالج بها طوماس سوء التنظيم واعادة التنظيم تقدم بارك في رؤيته للمجال اكثر عبر مفهومي الاستخلاف والتوازن:

¹ عبد الرحمن المالكي، الثقافة والمجال، المرجع السابق، ص25.

² JEAN- MICHE CHAPOULIE.Ia tradition sociologique de chicago.edtion seuil.france 2001.p125.

³ Op.cit.pp.126.127.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" الاستخلاف (Succession) ومفهوم التوازن (Equilibre) يتعمل بهدف ايجاد اساس لدراسة الهجرات استخلاف جماعة لجماعة اخرى على ارض معينة هو استخلاف ثقافي (ليس جغرافي او ديموغرافي) اما التوازن انه عدد معين من الناس لا يشكلون مجتمعا الى اذا كانوا منظمين لنفس المجال"¹، يلعب المهاجر هنا دورا مهما جدا في التجديد واعادة التوازن لذاته وللمجتمع الذي استخلفه وامنه على ذلك، وتكون مسؤوليته في جعل ذلك المجال اكثر توازنا وليس العكس.

ان الرؤية الاندماجية ذات الخصوصية الدينامية للمجتمع الامريكى والنزعة البرغماتية جعلت من الجهود (طوماس وبارك) تفك ذلك الحلق الاندماجي الكلاسيكي بين البنية والوظيفة غارقة في الازدواجية والبست المهاجر رداءها، ان مقولة المجال وظاهرة المدينة ومتغير التحضر مفتاح مهم لرؤية تلك العلاقة بين الادوار والقيم والاساليب وطرق التفاعل بين جموع السكان: " ان مقولتي **التنافس والاستيعاب** لدى "بارك" بهدف الفهم لاليات **التكيف والتوزيع** وتقسيم العمل ومراحل الضبط الاجتماعي للعلاقات المشتركة، فالمنافسة هي العملية التي تنظم المجتمع..."². نلاحظ هنا ان الهجرة اخذت طابعا ايجابيا للفرد والمجتمع، ويحاول عبر المقولتين توضيح تلك العلاقة بين العرقية والاثنية والضغط الحاصل جراء الصراع المبني ونظريته في ذلك التوزيع، فاذا كان غير متساوي اثر على المهاجرين وهو هنا يعالج الاندماج عن طريق الاستيعاب من وجهة تقسيم الادوار والهامشة للمهاجرين التي يعانون منها جراء التمييز العنصري او العرقي، بعيد عن الازدواجية والاندماج يفضل "بارك" مقولة الاستيعاب والتوسيع المتساوي لادراكه الوضعية النفسية للمهاجر عبر مقولة **الشخصية المقسمة** هذه الحالة التي يقول عنها: " الهجرة التي تعتبر حالة **ازمة سيكولوجية** ولكنها ازمة ايجابية لانها تجعل من **المهاجر المحرك** الافضل لتقدم الحضارات"³.

نظرية المجال والبيئة والتحضر جعلت من البحث السوسيولوجي قريب من المنزع النفسي والسلوكي والثقافي واعطاء اهمية لدور الهجرة سواء لنضوج الافراد او تطور المجتمعات يكون التنافس والصراع محركها والانقسامات حاصلة لاجل هذا لتعين مقدرة الافراد وكفاءة الثقافة وقوة المجتمعات بدءا من اعتبار المدينة كمخبر اجتماعي:

¹ عبد الرحمن المالكي، مدرسة شيكاغو، المرجع السابق، ص 134، 135.

² ALAIN COULAN. l'ecole de chicago. que sais. je ? 5. editions. paris. 2020. p38.

³ المرجع نفسه، ص 146.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

" تستند في النهاية الى نظرة سوسيولوجية وفي المدينة اصبحت الديناميكيات الاساسية للسلوك البشري اشكالية واعية وبالتالي مرئية في المجتمعات الاكثر تقليدية، فان الشبكة الاجتماعية للعلاقات لم تكن مشكلة بل حقيقة، شبكة التوقعات المعتادة انتجت اي عمل مشترك كان ضروريا للحفاظ على النظام"¹.

ان الباب الذي فتحه "توماس" و"بارك" في تاريخ علم اجتماع الهجرة والتحضر بخصوص معالجة فريدة للتنوع الثقافي وحراك المجتمعات ومقدرة تفسيرية مواتية لتشكيل الظواهر اليوم بشكل اكثر ابداعا، كما سنلاحظ ذلك في التداخل الثقافي والثقافات الفرعية وانثروبولوجيا التواصل، تغيرت النظرة للثقافة والهوية عبر المجال والبيئة لتكون اكثر تجولا وتشردا وترحالا وتواصل مكثف فردي وشبكي لعالم متسارع بشكل يومي.

2- التداخل الثقافي والثقافة الفرعية بالمهجر (من المعازل إلى شيوخ التجربة الذاتية)

تعتبر المجتمعات الجنوب متوسطة اليوم غير مدركة لقضايا التداخل الثقافي ولا توليها اهمية الا حين تصدم مباشرة بالتهديدات التي كانت تاتيها عبر النزوح، والهروب من الحرب والتنظيمات الارهابية العابرة للحدود، فتتسارع خطواتها الى البحث النفسي والتربوي وتفعيل برامج الحوار الا ان هذا لا يجدي نفعا في شكله الطارئ ان لم ننتبه لذلك ونعالجه بالنقد الداخلي لبرامجنا وتربيتنا وقيمنا ومعايرنا عموما حول انفسنا ومع الغير، وما الهجرة الى فحص لهذا التداخل الثقافي بين دول الشمال و الجنوب المتوسطي.

لقد برزت الحاجة الى مشاريع التداخل الثقافي لمعالجة التعدد بالتنوع الثقافي وذلك لتوسع حراك الهجرة العالمي، واستحقت انظمة التسيير السياسية والاجتماعية برامج معمقة تعنى بهذا في شكل ابعاد من اطروحات الاندماج، خاصة فيما يتعلق بالاحكام والصور النمطية، التي تكون بامس الحاجة الى فهم وادراك هذا البعد لما له علاقة مباشرة بالجنس والعرق والطبقة ومعرفة سبل توزيعها داخل مجتمع غير متكافئ او منسجم ثقافيا ككندا او امريكا او المانيا او غيرها ويتعرض لزعزعات ثقافية عبر المهاجرين الاكثر اثنية وعرقية،: " هذا النهج هو استجابة كيبك لنموذج الحكومة الفيدرالية والتعددية الثقافية وتستند فلسفة التداخل الثقافي الى فكرة المساواة بين الثقافات وعلمنة المجال العام(تقرير ريتشارد بوشار وتشارلز تايلر 2007)"¹.

¹ FRED.H.MATHEWS.Quest for an american sociology.Robert e.park and the chicago school.mc.gill-Queen's university press.montreal.london.1977.p121.

¹ SAMUEL PROULX.CHENARD.interculturalism.www.canadiane.encyclopedia.ca.22.01.2022.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

برز التداخل الثقافي بسبب التباينات الحاصلة والثقافات المختلفة التي اختارت حيزا اجتماعيا للتعيش في حراك محلي ودولي واقليمي بحثا عن المساواة بين الاثنيات والاقليات ومعالجة التطلعات بقالب معلمن أكثر.
التداخل له اهداف منظمة مثل¹:

1- الاندماج الاجتماعي الذي هو عملية عالمية على جميع المواطنين والمكونات المجتمع وليس فقط المهاجرين.

2- يستند الى مبدا المعاملة بالمثل بحيث يتشارك الافراد القادمون والمجتمع المسؤولية ذاتها

3- الدفاع عن اطروحة التداخل هو شكل التعددية الثقافية في الاخير .

4- التعددي(Pluralism) هو موقف الاحترام للتنوع بصرامة ولا يمكن تجزئته.

5- التعددية(Multiculturelle) هي خيار عام يتوافق مع جميع النماذج.

6- يمكن وصف التعددية الثقافية والتداخل الثقافي بانها دعوة تكاملية من حيث انها تاخذ بالحسبان ثقافة الاغلبية.

ان المتفحص لهذه النقاط يدرك اهمية موضوع الهجرة في التجربة الكندية في علاقتها باطروحتي التعددية والتداخل الثقافي، وسعيهما الى احتواء المجموع الكلي للمجتمع والمقاطعات الفيدرالية، تكون اشكالية اللغة في المجتمع الكيبيكي ذات خصوصية بين الناطقين بالفرنسية والانجليزية والجماعات المهاجرة، فمبدا المساواة والمعاملة بالمثل يمكن ان يحل الاشكال للقاطنين والمهاجرين ويصبحون مواطنين كنديين مزدوجي اللغة، الا ان النقطة الاخيرة تعبر عن صراع التخوم بينهم، اي بين الاقلية والاغلبية ، تكون الاقليات والاثنيات مرغومة على قبول شرعية الاغلبية وهذا يلغي التداخل الثقافي، ووجه آخر محافظ على الاندماج في ثوب التعددية التي تحافظ على تقسيمات المجتمع،:..هذه لعلاقة محددة من حيث التفاعل ام التوتر والانقسام؟ وليكن ما يكون لا ينبغي للمرء ان يستبعد امكانية وجود طبقة متجانسة هيكلية وثقافيا باجماع جوهرى حول نموذج مهيمن والتوفيق بين الثقافات¹.

لا يمكن الحديث عن اطروحة التداخل الثقافي دون فهم الشق الثاني من البيان الكندي(2007) الذي اشترك فيه "جيرار بوشارد" و"تايلر"، وان كانت اطروحتهما مختلفتان الا

¹ GERARD BOUCHARD.what is interculturalism ? un text publié dans livre negociating diversity.identity pluralism and democracy. pp.191-222. Bruxelles.p.i.e. peterlang.2014.p02

¹ GERARD BOUCHARD. The making of the nations and cultures of the new world.translated by : Michelle weinroth and paul leduc broune.mc gill-queen.university press.montral.2008.p17.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

انهما ملتفتان حول التداخل الثقافي والتعددية الثقافية، وتغليب المنطق العمومي اكثر في معالجة اشكالية التنوع الثقافي، من بينها علاقتها بالمهاجرين، تايلر يركز على روح الجماعة والمشارك والحرية كقيمة مشتركة ومعترف بها في حين يعلي "بوشار" اكثر من جانب المسؤولية والواجب وتجنب الحريات الغير معقنة واطهار التمايز: "علينا ان نعرف ان الناس يحددون انفسهم على نحو تباعي عملي تام لقيم كلية(على سبيل المثال ام اكون كاثولوكيا وشيوعيا وليبراليا الخ، ان الجماعات التاريخية تقدم انواعا اصلية من الممارسات وعادات وطرائق غير منشئة بذلك بنية عملية تميز الاشياء الاكثر اهمية من تلك التي هي دون ذلك"¹.

تظهر قضية التعددية والهوية والتداخل الثقافي لدى "تايلر" الى نظرة مزدوجة تراعي حرية الافراد وقوة الانتماء والاعتراف في ذات الوقت، مما يوحي ان الجماعات المتميزة الغير منسجمة مشكلة لنسق الوجود كما المهاجرين بل في النفوذ وتغليب المنطق العملي للهوية واشاعة انماط ثقافية فلا يكفي الاعلان المقر لهوية او جماعة ما دون جلاء تواجدها، يدعو في ذلك الى ان الخير في رايه ليس مسألة فلسفية وحسب بل هو الجمع المشترك المعترف به ويفرد لذلك مصطلحات جديدة، "التمايزات النوعية(Qualités distinctives) والتقويمات المهيمنة(Evaluations fortes) وتصورات الخير المكونة(Biens constitutifs):" تشكل فكرة التمايزات النوعية كتصور وتعريف للخير دوافع قوية حيث يكون في الواقع التعبير عن خياراتنا وميولنا وحدوسنا العلمية، يمكننا ان نعي الدور الذي تؤديه التمايزات النوعية في سياق الحياة اليومية، فهي قبل ان تصاغ تقوم بالدفع الى ما هو مهم من حيث القيمة والاحترام"².

ينبغي ان نعي جيدا ان صفة النوع هنا والتمايز ينبغي ان تكون ذات نوعية فهو ليس مجرد تمايز وليس كل نوع يرقى الى مصاف اعتباره تنوعا ثقافيا مما يعني ان فكرة المشترك المعترف به و العمومي هو الذي يضيف صورة التمايز النوعي على الانواع كلها كما ان الخير في الاجماع الاجتماعي وهذه تعتبر مسألة مزدوجة بين الوحدة والتماسك وبين تفويض الحرية وبالتالي العودة الى خندق التعددية الثقافية.

المسألة المهمة في تعريف لعبة الانخراط والانصهار في كلية خاصة عبر الجماعات المهاجرة ونشوء الثقافات الفرعية وانتشار تجارب فردية ومعيش مكثفي بمنظور شخصي وذاتي، هل

¹ سايد مطر، التعدد والاختلاف في الانظمة الليبرالية الغربية، مدخل الى دراسة اعمال تشرلز تايلر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2015، ص64.

² المرجع نفسه، ص64.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

يمكن ان يكون تصور الخير العمومي على انه عملية اقصائية؟، هل يمكن ان تكون برامج التعددية والمنظور التداخلي مجرد حفاظ على مركزية معينة في توجيه الجماعات التاريخية وبنى الهوية؟، لا يمكن غض الطرف عن هذه النقطة كما انه يكون واضحا تجنب الثقافات الفرعية ومحاولة اعادة تحويلها للعام او تهميشها، فالتعددية والتداخل محسومة سلفا بهذا التصور: "بضبط ما يجب فعله (Devoire-etre) مع ما هو كائن انثربولوجيا (Tree) ضبط الوحدة والتكامل حتى الانصهار"¹.

هذه مشكلة التناقض بين التمايزات النوعية والتنوع الحيوي بين المشاركة واسلوب الحياة وبين الخير المشترك، التصورات العليا السائدة (Hyberbiens) والنخبوية لا تراعي الا هامشا من الحياة الفعلية للاختلاف، يلخص هذا في اشكالية الاحادية الثقافية المتعددة (الواجب والسؤولية المشتركة لبوشارد او الاعتراف برؤية تايلر): "في صياغة مقننة لاطروحة التي تدعم التعبير عن العلاقة بين الحرية والثقافة ويفترض بخلف تشارلز طايلر وهابرماس وكمليك ان الحقوق الثقافية تبرر انطلاقا من ضمان مسارات الحريات الاخلاقية بالنسبة للجميع ويفرض هذا النوع ان يختار كل واحد اهدافه عن طواعية"²-يقول امارتيا سن (SEN AMARTYA).

ان التبرير المنهجي للحقوق الثقافية هو بروز لهيمنة سياسية لهوية احادية المنشأ والغاية، لا تعتبر التنوع غاية وجودية، فليست المسألة ميكانيكية حق وواجب ومسؤولية، ومجرد تعبير دون احداث مكونات محركة ووجودية داخل المجتمع وتتابع تحولات وتغيرات بعينها، وهذا احد اهداف الهجرة، المهاجر ليس عضوا سلبيا يستقبل وحسب وتجمع شتات المهاجرين ليس كتلة معزولة، تكون حالة الهجرة عموما موردا حيويا للتنوع وتجاوز لتلك العلاقة واجب وحق والتعمق اكثر في الحياة الاجتماعية اذا اردنا فعلا ان نكون انسان اجتماعي، لا ينفع انتهاج مواطنة احادية محددة ثقافيا او على مبادرات تتجه نحو مواطنة مشتتة والتي تكون سببا مباشر وراء انفصال وحكم ذاتي داخل الكل السياسي¹.

-الثقافة الفرعية بالمهجر-

ان تعبير الثقافة الفرعية (Sub-culture) داخل الثقافة المعهودة كان نكرها امرا مقلقا فما بالك اذا كانت بالمهجر وعبر المهاجرين انفسهم امام ثقافات بالجمع ومختلفة وتتنافس لبلوغ وزن

¹ سايد مطر، المرجع السابق، ص 65.

² باتريك سافيدان، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2011، ص69.

¹ سايد مطر، المرجع نفسه، ص ص، 70، 71.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

اجتماعي معين، لقد تشابك المفهوم بين الثقافة المضادة والفرعية هناك من يعتبرهما جوهرًا واحدًا تجاه الثقافة المهيمنة، انتشرت هذه المسميات عند حركات الهيبين والفنانين بالغرب الأمريكي ثم توسعت لتشمل طوائف أخرى وأجناس وجنوسات مختلفة وكل جمع اجتماعي لا يمت بصلة إلا ما تمليه الثقافة المهيمنة.

الثقافة الفرعية تعبير متطور عن الاختلاف والتنوع الثقافي وان كان البعض يريد ان يزج به في الهندسة الاجتماعية والسياسية بين لعبة الشعور والسلوك لاحتراز مقدرة على التمسك دون تقلت الثقافة الفرعية تفعيل ونضج ذاتي يجمع بين اسلوب الحياة والنمط المختلف، تميل عناصره الى العيش دون العناية بالقواعد العامة مبرزين لغتهم واشاراتهم وكيفيات التواصل الخاصة يشتهب الحال بالتكل الهجروي للجماعات بالمهجر كحالة نفسية وثقافية خاصة بالتجارب الذاتية:

"ان الابداع في المجال الثقافي لا يمكن ان يتحقق ويزدهر في بنية ثقافية معزولة ومنكمشة على نفسها، وانما هو على العكس من ذلك، يجد هويته وخصوصيته في تضافر العناصر المختلفة عن بعض وفي تفاعلها"¹، ان الثقافة التي نراها منسجمة وكلية ومهيمنة ولديها اساليب الجمهرة والتجمع هي في الاخير محصلة التعاون بين الجذور والفروع وهي ايضا محاولة سابقة للتجذر يدين فيها الاصل والفرع لبعضهما البعض عبر امكانية التبرعم والتجذر والتلاحح والمناقلة والتمازج، فالثقافة الفرعية لا تصارع وان كانت تعبر عن اعتراض للهيمنة:"الاسلوب في الثقافة الفرعية يحمل اهمية التحولات التي تتعارض مع عملية الكونفورميا والتطبيع مع المعيارية (Normalization) فهي ايماءات وحركات نحو خطاب الذي يسمى الاغلبية الصامتة والتي تتحدى مبدا الاغلبية واسطورة الاجماع...مهمتنا تتبع خرائط المعنى التي تعيد تقديمها بشكل غامض التناقضات ذاتها التي تم تصميمها لعلها او اخفائها"².

ان الثقافة الفرعية مسألة مهمة عموما وتتبدى اهميتها عند المهاجرين في الاسلوب الذي تجتمع فيه الجماعات وبما تؤمن به وما تتجزه، كما انها توجهات جندرية وميول جنسية وملونين سود واقلية واثنيات وتوجهات سياسية ذات ابعاد مختلفة:" تتمتع الثقافات الفرعية الاساسية براس مال ايديولوجي لتحديد المعيارية للمجتمع...ان المجموعات الثقافية الفرعية تلقي بضلالها على

¹ عبد الرزاق النواي في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،الدوحة قطر، ط1، 2013، ص109.

² DICK HEBDIGE.subculture meaning of the style.routledge.london.2002.p18.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

تلك الموجودة على الهامش في المعاملات بين الثقافات كما ان المجموعات الثقافية الفرعية الاساسية المهيمنة ايدولوجيا هي الاكثر وضوحا للاجانب"¹.

اذن هناك دور للهجرة بتشكيل الثقافة وان كانت غير محصورة بها، تسعى الجماعات المهاجرة الى التعريف بتقاليدهم وبانفسهم وهذا جانب منها كما انهم ينخرطون في جماعات فرعية او يشكلونها تتفق جميعا على وضع فواصل اما الانصهار الكلي بالجمهرة العامة، يمكن ان يراها البعض ضربا من العزلة وليس التميز: "...في تحليله المعمق لا ينكر ديديه لابيروني(DIDIER LAPEYRONNIE) اهمية الخاصيات معتبرا المعزل هو جملة من العلاقات الاجتماعية ونمطا خاص من العلاقات تتميز بانها منه واليه، وهو يؤكد بقوة ان الافراد المحشرون في معازل ومحكومون بالصمت على الصعيد السياسي"².

هذا الفصل والاحتجاز يميل الى الحدود الاثنية والحساسية من الاجانب والمهاجرين والتخوف من مبادرات حراكهم مستقبلا، تاخذ الثقافة الفرعية دوما فضاء احتمالات متعددة التجربة فان كانت سوداء او بيضاء مثلية جنسية او متعددة، جماعات مهاجرة او جماعات ابناء البلد يضيف "لاغرانج" مثلا عن تلك العلاقة بين السود والبيض وبين الثقافة الابوية القادمة من شمال افريقيا: "...، ان صورة المعزل تحمل فكرة الفصل والاحتجاز، نحن عمليا امام جماعات قادمة من افريقيا السوداء تسكن احياء حساسة من حيث الحراك الاجتماعي في كثير من احياء الهجرة يتعلق الامر بثقافات فرعية بطريركية وليس بثقافات فرعية متمركزة حول الام والذكورية وتعبير المعزل غامض لانه في الوقت نفسه يشير الى الفصل الاثني"³.

ان غزارة مخيلة الافراد والجماعات المهاجرة كفيلة نسج روابط متولدة دوما عن تلك الخصوصية الثقافية وتتشكل من خلال المواقف المتمسكة اكثر بقيم التحرر من اي شكل هيمنة معين، مبرزة لغتها ولهجتها وايماءاتها وفن وسلوكياتها الخاصة في التواصل والتواجد بداءا بجسمها ثم جسدها قم هويتها الجندرية ومرتبتهما الطبقية الى شيوعها في هلام افتراضي حتى.

تعالج الثقافة الفرعية عند المهاجرين علاقة تكيف مع الثقافة الكلية، اما سياسات الانتخاب والانتقاء الثقافي المدمجة والتي تعاود البقاء في مخيماتها المنعزلة عما يحدث حقيقة على ارضها، تكون عبر المستوى الفرعي الثقافي ادراك منشأ الثقافات وتنوعها ونقرب من الميز بين

¹ ANDRIAN HOLIDAY.martin hyde and john kullman.inter-cultural communcation.Routledge.London.Newyork.first published.2004.p97.

² هوغ لاغرانج، المرجع السابق، ص 248.

³ المرجع نفسه،249.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

(culture) و (Culture) بان المسألة لا تعدو عن امكانية مرشحة لنشوء روابط اجتماعية بعيدة عن منطق التذير والشمولية، الثقافة الفرعية رسالة مبدئية للتعبير عن الثقافة المهيمنة وشارة عن امكانية العيش المشترك بالرغم من الاختلاف وتقاسم السلطة واعادة توزيعها وان كانت بعض الثقافات لا حاجة لها في ذلك فيما بينها الا بقدر ان تعيش الحياة نفسها. لا يمكننا بحال من الاحوال نكران الفوارق، لانها عملية سابقة التداخل الثقافي في كل ما نفعله ومنتصوره ويستحيل بقاء جوهر نقي بحاله، نحن انواع نسعى الى التواصل في الاخير وتشكيل فكر ومعرفة وثقافة.

المهاجرون والثقافة الفرعية ليست تخنقات ومعازل الثقافة الفرعية منبعها من اناس مهاجرون اعتمدوا الفن والطبخ وطريقة الحديث واللباس والتوجه الجنسي والطبقي والسياسي والعرقى، كتعبيرات وتشكيلات اجتماعية تؤثر في اعادة صوغ الفضاء العام والخاص وانه ليس بهذا الحد الفاصل بقدر ما هو تعبير عن ضعف هذا المنظور في احتواء الدينامكية والصورة الكلية العابرة بين الثقافات وبين المحلي والكوني مختلطة بشكل سريع تحولها من فرع الى ذوات فاعلة في ان تكون ثقافة شائعة يقلدها الجميع وفي حركة دائمة للتغير تلك الاقنعة والموضات، يكون شكل الثقافات عبر المهجر او اليوم عموما موضوعة او ركوب الامواج كما عبر "باومان".

3- أنثروبولوجيا الهجرة والتواصل الثقافي (Homo faber and full connections)

لن استعراض ظاهرة الهجرة من زاوية الهامش ودد دوما استياء ونظرة سلبية عن المهاجرين والهجرة عموما، هذا الاتجاه مازال يؤمن بفكرة النظام والبنية الكلية والوظيفية، ولا يرى إلا بعدستها وتغذيتها الراجعة، هذه الرؤية تدافع عن النظام وتماسكه وصلابته بأي شكل كان، لكنها لا تدري انها تخضع نفسها الى التفكك.

تحاول الانثروبولوجيا والاثنوغرافيا المعاصرة الى الاعتناء بـ (COLLABORATIVE ETHNOGRAPHY) ومن خلال فعل وثقافة الهجرة تؤكد هذه العلاقة: "لا يمكننا تقييد حريتنا دون اشراك الاخرين في سياق حياتهم اليومية والواقعية، بناء على هذه العلاقة التعاونية بين الاثنوغرافي ومحاوريه تقوم بانشاء نصوص اثنوغرافية، من المؤكد اننا نمارس التعاون بشكل او بآخر... قد نلخص التعاون الاثنوغرافي في المقاربة الاثنوغرافية والتي تؤكد بشكل صريح على التعاون"¹.

¹ LUKE ERIC LASSITER. The Chicago Guide to Collaborative Ethnography. University of Chicago Press, USA, 2005, p16

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

قيمة التعاون، منهجيا يشير التعاون الى الاشتراك الى التواصل وليس الاتصال من بعد او اتجاه واحد، تكون الابعاد من الذات (Self-fulfilling) والعلاقات (fulfilling relationships) والخبرات والتجارب (fulfilling experience)¹ ومناقلتها وتكثيفها وتطويرها (full-connection)، لم يعد الباحث على منبر والاخرون ينصتون، بالعكس هو ينصت ويتعلم ويتحول من الملاحظ الى الملاحظ ومن المخبر الى المختبر وتتسع وتتضح التجارب عبر تلك العلاقة التعاونية التي يساهمان كلاهما في بناء معرفي وكذلك المهاجر ليس تلميذا يستهلك ويستقبل، بل يشارك في العملية الاجتماعية والثقافية؟. "منتوج النص... يضع هذا نموذجا للتبادل، استجابة متبادلة... يعني هذه المشاركة المتبادلة والمستمرة في كل خطوة من هذه العملية"².

إن هذه القيمة تحاول معالجة تلك الفجوة بين الباحث والمبحوث بين هنا وهناك، بين القريب والبعيد وبين الفرد والثقافة، لقد ركز "بارك" في بحثه المجالي للهجرة عن المثيرات (Stimulations)، هذا المفهوم كان مهذا لقيمة التواصل الغير خطي، في العلاقات والتشكل البيئي (افراد ومجتمعات) لصالح المجتمع المفتوح: "من الحركة الذاتية (Locomotion) انتج التنقل المكثف،... كان من المقرر قياس التنقل ليس فقط من خلال تغيير الموقع (Locations) ولكن من خلال عدد وتنوع المحفزات (Stimulations) التي يستجيب لها الافراد، تغير الحركة المكانية (Spatial movement) والتنقل المهيمن اجتماعيا بشكل اساسي... بقدر ما يعملان كمؤشرات لقياس جهات الاتصال..."³.

يمكن موافقة ما سبق حول التعاون والتواصل ومن خلال المثيرات والمواقع والحراك المكاني واعتباره مناسبة لرؤية فعل وثقافة الهجرة عبر المجالات المتنوعة، انها حركة تحفز بعضها بعضا وتجعل مقياسها الاساسي الدينامي، وابعاد متعددة معتمدة على اي مصدر للتنوع مشيرة الى التحولات والتغيرات، كما تبرز اهمية المواقع اثناء التنقل وتشكل هويات جديدة تركز على المعابر والتداخلات والتخلق باللقاء والتعاون دوما.

إن انثروبولوجيا الاتصال وسوسيبولوجيا الاتصال عاجلة هذه العلاقة بين السير في اتجاه خطي او دائري متعاقب، محاولة استوعاب التحول والتغير، الداخلي والخارجي والكيفية التي تبرز بها

¹ THOMAS HULLAND .E.Small places.large Issues.Op.cit.

² LUKE ERIC LASSITER. Op.cit.p17.

³ FRED.H.MATHEWS.Op.cit.p144.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

تلك العوالم والطرق التي تشكل بها الجماعات ويتخيل بها المجتمع، كل هذا آخذ في التوسع والتعدد ولا يسعنا الى مراجعة منظوراتنا واعتبار هذه الحالة محركا للبحث والفهم دوما.

أ: سوسيولوجيا الاتصال والهجرة

ان البحوث الالسنية وسوسيولوجيا الاتصال اليوم توسعت، كما احاول في هذا الاتجاه التقرب بموضوع الهجرة الى هذه الدائرة المعرفية والمنهجية كمعالجة مفتوحة على الجندر والتنوع الثقافي متجاوزا تلك التفسيرات الخطية(التلغراف) ما بين المرسل والمتلقي،- هذه النظرة اليوم التي لم تعد بهذا الشكل-، اثار هذا الموضوع كل من عالم الاجتماع" شتاتون و ارن وليفر: " وقد كان نموذجا اقرب الى التفسير الرياضي للظواهر وميكانيكي وحاسوبي مثل الا تورينغ(ALAIN TURING) وجون فون نيومان(JOHN VON NEWMANN) "... تقيس كل الظواهر الثقافية او الاعتبارية التي توصل المرسل بالمتلقي"¹.

المهاجر يكسب معارف ومعلومات وفي ذات الوقت يتواصل عبر رسائل وعلاقات من ثقافات ومعارف مختلفة تولي دوما تلك العملية من الاضافة والحذف وجعل حدث الهجرة اكثر امكانية ومرونة لاعتماد تلك الرسائل واعادة ارسالها وتوليدها بين الحدث الهجروي وسلسله الاحتمالات. ان السلوك التواصلي مبحث قريب وحاضر في جملة التفاعلات وحجم الفعالية لكل الاطراف وادراك الاساليب المتنوعة كما انه يذكي الرسالة التي نمررها عبرنا وللغير والعكس كذلك كحدث مثل الهجرة، تكون الرسالة والمرسل والملقي علامة فارقة في فعل وثقافة الهجرة من حيث ادراك الابعاد والانواع والتوسع بعيدا عن اي مقارنة خطية ترجعنا ادراجنا.

الاتصال والرسالة معنى يدل على قيمة وقدرة الانسان المبتكر، هذا الانسان الذي مازال يبتكر الى اليوم اساليب عيشه وانماطها انه الانسان(Homo faber): " مشروع هومو فابر ينصب تركيزه فقط على مدى امكانيتنا بان نكون اسياد انفسنا، نقف جميعا في الحياة الاجتماعية والشخصية ضد التقيد... تعلمنا هذه التجربة التواضع...نقر بوجود ما يتجاوزنا ونحترمه لكن لا نستطيع اي منا الاستمرار في الحياة ككائن سلبي دون ارادة، بل علينا محاولة شق الطريق الذي نعيشه"¹.

اليوم وفي عالم معلوم وبلا مكان محدد تكون سلوكياتنا وطرقنا هي الدلالة لرسالة العيش بفن الابتكار، هذا الانسان الذي ابتكر الاجتماعي في لحظة ما، تكون التجربة الشعورية والانخراط

¹ اريك ميغري، سوسيولوجيا الاتصال والميديا، ترجمة نصر الدين ليعاضي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018، ص175.

¹ ريتشارد بينيت، في مواجهة التعصب، التعاون من اجل البقاء، ترجمة محسن بحري، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2016، ص11.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

السلوكي في حدث ما وعبره وما يفضيه في الاخير صراع محموم بينه وبين ذاته وغيره، لكن بشكل مثير لنشاط الحياة، ليست الهجرة الا وجها منها، او كما يطلو للبعض اننا كلنا مهاجرون والعالم يهاجر الينا، دائرة كثيفة لا يمكن بحال من الاحوال ان يعبر الاتجاه الخطي في التواصل على استيعاب:" ان الانسان باسبقيه الاتصال على كل شيء لا يعني ابدأ الجنوح نحو النزعة الاختزالية او السببية البسيطة، بل هو بالاخري دعوة مضاعفة، دراسة ردود الفعل المعقدة في اتجاهات دائرية من البحث"¹.

لقد تقدم النقد والبحث في تاريخ سوسولوجيا الاتصال وبرزت مدارس اخرى ونظريات تجاوزت الاتصال الخطي، فالاتصال الخطي يرفض التنوع والتعدد ولا يمكن اعتباره الا ملئما لمركزية ما، وهذا ما جعلنا نعتقد لفترة بفكرة الاندماج دون التعمق اكثر في فحواه، وهوتاماً يثري البحوث المعاصرة النفسية والانثربولوجية حول تنبي التواصل والسلوك في التحليل ورؤية الظواهر، تماماً كما فعلت مدرسة بالو التو بكالفورنيا -امريكا.

لقد سمحت هذه الاخيرة من خلال دراسة سلوك التواصل البشري عبر مفاهيم مهمة مثل: الاكراه المزدوج(Doublebind, double contrainte) والايجاز المفارق(injonction paradoxale) والتي عززت ان النظام يكون تلقائياً(Be automatic) ورفضت الازدواجية والخطية ومن النظام ولاجل النظام، وعولت على الاتصال والسلوك وبثت بروح اللامركزية، في البحث النسقي وتجنبت التعميمات الكلية.

ان السلوك لا يتمثل الى القواعد كلية، بل هو استخراج واستقراء للقواعد واعاد تركيبها بطرق مختلفة وتميرها برسائل متعددة وعبر مجالات مختلفة، يعتبر سلوك المهاجر هنا تعبيراً عن جملة من الادوار المشتتة والوضعيات المختلفة يكون الاتصال مجرد تسوية للسير في مساحة العيش وسد الفجوات عبر التبادلات والتفاعلات، يعبر عالم اللسانيات "دان سبرير": "الربط بين المعتقدات والتمثلات والمؤسسات وتقديمها كاثار عامة لالات التفكير"عدوى الافكار"(la contagion des idées) الملائمة، الاتصال، والمعرفة.(la pertinence. Communication et cognition) وكان الهدف من هذا الربط تقديم نموذج مبتكر من وصف الثقافة بواسطة العدوى"¹.

¹ اريك منغري، المرجع السابق، ص188.

¹ المرجع نفسه، ص192.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ان الموائمة او الملائمة هي سلوك انخراطي تمثل جزئيا وكلها حياتنا اليومية عبر تلك التكتيكات والاستراتيجيات، مثلما يحاول المهاجرون فعل ذلك عبر امكنة مختلفة وخلال تجاوزها ايضا معبرة عن لامركزية تلك الاحداث وبروز سياقهم الاجتماعي والثقافي الخاص بهم.

يؤكد ج. باتسون من خلال بحث قام به حول Navan والذي يعتبر تحولا في تاريخ العلوم الاجتماعية والثقافية، متاملا تلك السيرورات الدينامكية الشارحة للتحويلات الاجتماعية:

" في سنة 1942م درس باتسون في مؤلفه (Balinese character photographie analyses) لتحليل دقيق ورصين للتفاعلات بين الافراد ولا سيما الاشكال الغير لفظية... عبر التواصل كنسق من الرسائل موظفا شكل الحلقات (boucles) التي من خلالها تزود طاقة الاستجابة عند المستقبل... ليس عبر تاثير عنصر المسبب (Declencheur) حيث تكمن اهمية مفهوم التغذية الراجعة (FEED-BACK)¹.

لقد توضحت اهمية هذه البحوث والمنجزات النفسية والاثولوجية، كدعوة الى الانتظام وطرقه وليس النظام، النسق التواصلية اكثر من الاتصال الخطي، ان التواصل يدعم العملية النشطة للحركة الدائرية، ليس بشكل نظري بل تقريبي اكثر للوقائع المعاشة.

لا يمكن اعتبار المهاجر مستهلك للثقافة بشكل سلبي، كما لا يمكن اتهامه بالازدواج والانقسام والضياع في سبيل رؤية تشاؤمية، الهجرة الدولية اليوم احدى تعبير العوالم المتناثرة هنا وهناك، الهوية والوطن والمكان والزمان يسير في شكل انشاءات يومية عبر سياقات مختلفة وليس حقائب ثقافية او احتياطات مدخرة ننتظر القفز بها عبر التخوم.

لو نلاحظ كيف تتم الهجرة الى المانيا عن طريق تركيا والكيفية التي يمكنون بها هناك وهو يخططون ويعملون ويتصيدون الفرص للصعود الى اليونان وعبر سلوفينيا والبنانيا والمجر وصولا الى الحلم الالمانى او الايطالي، كيف يتم بناء العلاقات من كل عرق ونوع وثقافة، وكيف يبيتون في الكنائس والمساجد ويتلقون مساعدات من الذكور والاناث المسلمين وغير المسلمين، رحلة تعبر على ان العلاقات تتشكل بشكل عابر ولحظي تفعل فيه كل مقدرة سلوكية على الاتصال دون اللجوء الى حزاة ما.¹..فالتواصل سيرورة دائرية بحيث تحدث كل رسالة تغذية راجعة (feed-back) لدى المخاطب (L'interlocuteur) ولا يختزل التواصل في الرسائل اللفظية، ان لكل سلوك اجتماعي فئة تواصلية، ويتحدد التواصل من خلال السياق الذي

¹ ادmond مارك، مدرسة بالو التو، مدرسة التواصل، ترجمة عبد العزيز السراج، مجلة علوم التربية، المغرب، العدد 37، 2008، ص ص، 93، 94.

¹ المبحوث المدعو هلال انظر رابط القناة السابق.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

يؤطره تبني العلاقة بين المتخاطبين حسب نموذجين كبيرين هما: النموذج التناظري (symétrique) والنموذج التكاملي (complémentaire)¹.

في النموذج الاول تكون العلاقة مثبتة ومتماثلة ومتباينة، اما النموذج الثاني متاقل مع السلوكات المختلفة بين الفرد والغير يمكن ان ياخذ المنحى الاول تنازلي والثاني تصاعدي اكثر.

ب: أنثروبولوجيا التواصل المكثف (مجال وثقافة الهجرة):

يفعل المهاجرون توجهاتهم المتعددة والمتنوعة عبر سياق الهجرة، فقرار الهجرة وتوجهاته الممكنة وكثرة السياحة والترحال والتنقل وعدم المكوث في موقع واحد وزمن واحد وتوسع الشبكات وتعالقها هنا وهناك يجعلنا نشبه الحالة بـ (Zapping)، هذه الحالة بين المشاهد والتلفزيون واداة التحكم بالرسيفر منتقلا من حالة الى اخرى، لا يمكث المهاجر بسبب العمل او الزواج اليوم، انه حقا في حالة ترحال، وهو اسلوب عيش، لان التنقل هو الذي يشعره انه موجود واكثر حيوية، تفرز هذه الحالة نوعا جديدا من العلاقات وتستمد قوتها من التواصل المكثف.

هل المهاجرون اليوم عبارة عن تجمعات كثيفة وخفيفة (كالسحابة الالكترونية) تتجمع وتفعل معلوماتها المخزنة بداخل ولا موقع محدد لها؟ تتجمع وتفترق عبر حراك هجرات متنوعة ومتعدد ثقافيا وسيلتها وقناتها ورسالتها، فهل نكتفي بالعلاقة اللغوية في الاتصال؟، أم أننا نرقى الى الوعي بالتواصل؟، بحيث يكون الاجتماعي ليس مجرد تمثّل وتصوّر او انطباع نؤديه بل وعي له ورسالة وغايه في فضاء عائم،: "تتفصل هذه الانظمة عن آليات العنف الرمزي تجاه تنوع الاعمال والاذواق الاخرى، فهذا التطور يعود الى عدم التجانس المتزايد في الاوساط الاجتماعية الحركية الاجتماعية للهجرة، العمل، البطالة، التنوع، اشكال العائلة... ان المجتمعات المعاصرة المتعددة ثقافيا أكثر فاكثر تحرم على نفسها التفكير في الاختلافات المطلقة وتحفز على تجنب مشاكل التراتبية وتشجيع الانفتاح والاحترام"¹.

مسألة اللغة والتواصل والسلوك والنفاذ الى قاعدة الثقافات المتعددة والمتنوعة ثقافيا، تبرز اشكالا محوريا ولصيقا بفحوى التنوع الثقافي في مجمله، بين اعتبار الاتصال اداة او غاية بين التعبير الأدوات والبراغماتي، وتعبّر عن اشكالية جوهرية بين اعتبار تفاعلنا مبنى ذو معنى تنوعي او

¹ ادmond مارك، المرجع السابق، ص95.

¹ اريك منغري، المرجع السابق، ص267.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

معطى أحادي الاستخدام والتوجه، اللغة وجه ثقافي وسلوكي واستعمال يومي، يخفي الكثير من التجنس والتجنر والتثقف، وبناء المحتوى الاجتماعي الذي نريد وبالكيفية والطريقة المناسبة. ان المهاجر الذي يحاول تكلم الالمانية او الانجليزية يتواصل بشكل رسمي وغير رسمي أمام عتبة الباب لمسكنه الكثير من التخوم المجاورة والمتداخلة، يرد على هاتفه باللهجة الجزائرية ويجيب ساعي البريد بالالمانية، انها مقدرة جزئية نتغافل عنها يمكن ان تكون إمكانية أكثر من لغة مزدوجة، انه المعنى للوسيط والفاعل في آن: "انه لا يوجد تشخيص متبادل بين الناس دون لغة، فلا يجب ان ننفي المغزى العلائقي للغة التي لا تغير معنى خارجا عن النفس، دون شك من وجهة نظر ظاهرية فان اللغة هي الفاصل المفروض على الافراد لا يخرج هدفها عن الرابطة ..."¹.

الاجتماعي نشكله من الاساس العلائقي، هذه العلاقة كلما كانت متكافئة وغزيرة التجربة المتنوعة كانت اكثر تفتحاً، تكون الهجرة عبر ادوار المهاجرين اغناء لهذه القيم المجتمعية وجعل العلاقات ليس مجردة او التزام معين او حتى طرائق معينة بل هي تعني ذلك، قدم الباحثان "غريغوري باتسيون" و"يرغن" بحثاً مهماً من خلال مؤلفها المصنوفة الاجتماعية للطب النفسي (Communication.the social matrix of psychiatry) 1951م، يعبر كلاهما عن قيمة الأثر أو التأثير: "لا يتعلق التواصل فقط بارسال رسائل لغوية سريعة ومقصودة، يدمج التواصل كما هو مستعمل من منظورنا مجموعة من العمليات التي عبرها يحصل التأثير والتاثر المتبادلين بين المتواصلين"².

ان مقولة الثقافة تواصل أو إتصال لا يعني ذلك مجرد امكانية النفاذ الى القاع الثقافي كتجنر محاذ للجذور الاولى ، بل هو فتح لفرصة متكافئة بشكل تلقائي دور الحاجة الى منظمات الحوار، فالعملية التواصلية كفيلة بهذا "التبرعم"، كما انها تعنى بالحاضر اكثر عبر المواقف والسلوكيات المتبادلة لقوى التأثير، هذا عملياً موجود على مستوى اللغة والسلوكيات اليومية وليس مجرد رجاء طوباوي، ولتقرير هذا نجد تعبير "باتسيون" يقدم الشرح عبر مولود السياق الثقافي او تلك السياقت التي نعيشها اكثر من المجتمع والتزاماته او من تشريط احادي للثقافة: "يمكننا

¹ اندريه جاكوب، انثروبولوجيا اللغة، بناء وترميز، ليلي الشريني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2002، ص189.

² ايف وينكن، انثروبولوجيا التواصل، من النظرية الى ميدان البحث، ترجمة، خالد عمراني، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين ط1، 2018، ص61.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

اعتبار السياق مصطلحا شاملا يدل على كل الاحداث التي تعين للهيئة وسط مجموعة الامكانيات التي يمكنها ان تقوم فيها بالاختبار"¹.

يعني هذا خطوة مهمة في اننا اليوم-عبر الهجرة وعبر التحولات المجتمعات وانبثاق العوالم الهجينة والمختلطة)-نعيش لمجرد ذلك السياق الذي نبرزه بشكل لحظي وننتشاركه عبر سلوكات ومواقف معين، هنا وعي بالاتصال والحاضر والتواصل عبره.

ان علاقة فتاة المانية مع رجل جزائري كعلاقة حب ومواعدة او للزواج لا يمكن اعتبارها ذات رسميات تابينية للقواعد الجمعية كلية والالتزام القهري بالمعايير، انها عملية بسيطة وحاضرة تقوم على اتيكات وفهم الرسائل بين الطرفين وتأمين قناة خاصة بهم، للتواصل والتعارف يخلقها السياق الذي برزت فيه، هذه الفكرة التي تكون فيه العلاقة الاجتماعية انتظامية وليس نظامية يتشاركها الطرفان اكثر من الخضوع المجتمع الكلي، المجتمع والثقافة يمكنهما من معلومات ومعارف تنتظر حسن الاستقرار وسلامة الشعور للاستخدام الحسن وتوسيع وعاء التواصل والتفاهم، لا هي ازدواجية ولا هي صراعية، تكون الحالتين الاخريتين ليس تناقضا وانا تعبير عن ضعف الادوات التواصلية وضبابية الاهداف بينهما." يرى بير دوستيل انه:" لا يقتصر التواصل عنده على الرسالة فقط، ولا على التبادل والتفاعل بل يتضمن ذلك ... السياق الذي يجعلها ممكنة والذي يحمل عدم حدوثه فيه اخبارية مماثلة"².

إن مفهوم التواصل لدى "وبير دوستيل" هو جملة من المفاهيم المشكلة حيث يكون السياق والتشفير والبنية والانماط والسيرورة قابل للتبادل كلية ويبرز كليهما الاهلية الثقافية لذلك،:" يمكن اعتبار التواصل بمعنى اوسع الجانب الفعال من البنية الثقافية...ان التواصل كيان الثقافة، ان ما احاول توضيحه هو ان الثقافة والتواصل كلمتان تمثلان وجهتي نظر او منهجيتين حيث تمثل التعلق الانساني(Interconnectedness) المنظم والمهيكل في كلمة الثقافة يتم التاكيد البنية اما في التواصل فيكون التاكيد على العلمية"¹.

العملية عمل معقد ومركب من المعرفة والانشطة السلوكية، من التفكير الى الممارسة، يكون من المفيد معالجة تلك العملية وادراكها عوض العناية بمنتهى البنية الثقافية، الهجرة ضمن المنظور العملياتي اكثر من كونها بنية مستقرة للملاحظة المباشرة والبسيطة، انها ظاهرة آخذة

¹ ايف وينكن، المرجع السابق، ص72.

² المرجع نفسه، ص77.

¹ المرجع نفسه، ص78.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

في الجريان والتعلق الانساني من ابط مكون معرفي وسلوكي الى اعلى هرم بالدول والمجتمعات عبر ثلاثية البين الثقافي، والعبر-ثقافي، والتداخل الثقافي، عمليات مكثفة من التواصل.

ان المقاربة السلوكية(الهجرة والمواقف الجندرية مثلا) تدعم المنظور العملياتي النافذ الى قاع البنية والمولدات الثقافية لكثافة التواصل، هذه المقاربة لا تدعم فقط هذا التوجه بل تفك مشكلة الاتصال في الاتجاه الخطي، كما انها توضح صور الوقائع الاجتماعية المنشأة فيما بين الافراد والمجتمعات والثقافة في دورة التنوع والوحدة، يعبر عن ذلك عالم الاناسة ادوار سابير: " ليس المجتمع اذا مجموعا ثابتا من المؤسسات الاجتماعية سوى ظاهريا، الواقع انه دائما منشط ومؤكد بطريقة خلاقة من خلال افعال تواصل فردية تبادلها اعضاؤها"¹.

اذن يمكن جعل ظاهرة الهجرة مجالا مفتوحا اكثر وممتد للتواصل، والمجتمع والافراد عبر التعلق الانساني والسلوكي يكون دوما في حالة تشكل لهذه الاشكال والمضامين والعلاقات الاجتماعية، كل الاحتمالات واردة، الامر الاساسي هنا هو الروح الدينامية للفرد والمجتمع والسلوكيات المتبعة والمولدة: " حين يعرف التواصل بكونه الجانب الديناميكي للتنظيم او الترابط الاجتماعي فانه يوجد في البدء افراد من هذا النظام، او هذا الترابط الاجتماعي ومن ثم يوجد تفعيل السيمات الاجتماعية والحسية للتواصل...وفي هذا الاطار يبتعد التواصل عن النقل ويعود نحو المشاركة"².

4-الهجرة سلسلة تواصل ثقافي مستجد(من الواقع الى الافتراض).

يقدم مارك اوجيه(MARC AUGÉ) تعبيرا عن العوالم المعاصرة والتنوع الثقافي قوله: "تنوع العالم يتشكل من جديد في كل لحظة وتلك هي مفارقة اليوم، لذا ينبغي لنا ان نتحدث عن العوالم وليس العالم وان نعرف ان كل واحد متصل بالعوالم الاخرى وان كل واحد منا لديه على الاقل صورة عن الاخرين"¹.

يحاول "اوجيه" بهذه المقولة افهامنا كيف تحولت معاني اليوم عن مجتمع والثقافة في صورة التعدد فنجد ان كل مجتمع لمعناه الاول يتضمن عوالم جديدة ومختلفة، او كما عبر عنه بـ(Gens du monde)، هو استعمال مرن وتعبير عن اي انتماء وهوية وتوجيه النظر الى

¹ ايف وينكن، المرجع السابق، ص83.

² المرجع نفسه، ص86.

¹ مارك اوجيه، انثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة تقديم طاهري ميلود، منشورات ابن النديم، الجزائر، ط1، 2016، ص113.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

النشاطات المشتركة بين الجماعات، يشير ذلك الى الامكانية الغير "مفردة" والغير الكلية لصفة "العالم" بل يكون ذلك الاحتكاك بين مختلف العناصر الاجتماعية والثقافية العابرة لاي حدود وضع تشكيلا هلاميا مرنا بحيث: "ينبغي لنا في ما وراء معاينة التنوع وتغاير العناصر ان نتطلع بدراسة التناقضات والضروريات التي تكمن وراءها، ان يكون العالم المعاصر موحدًا من قبل ومتعدد دوما، وان تكون العوالم التي تشكله غير متجانسة ولكنها مترابطة فيما بينها، ذلك ما ينبغي ان نتطلع لفهمه"¹.

ان ماقدمه "موران" سلفا حول الوحدة والتنوع تشكل اشكالا فهميا للبعض وماعبر عنه اوجيه عن الانفراد (Singularité) والتجمعات والمفارقات والتناقضات واللاتجانس لكنه يسير في جو تعبيرى معين، انه بهذا الشكل تكون حياتنا الاجتماعية ليست مرتكزة على كليات يقينية جماعية بل تكون دوما حالة وسط التكيف او مساومات او تفاوض على حسب المعاينة والتغيرات المتنوعة.

ان الهجرة تثير دوما كظاهرة مستجدة كل هذا الكم الهائل من البحث في القرب والبعد² وصورة الغيرية ومحاولة ابراز قضية التناقف والمثاقفة او المناقلة الثقافية، كما ان تلك السلوكات الفردية والتي تعبر عن المعنى المرجو لوجودها فالهجرة بهذا الشكل وبهذا الاتجاه المعاصر الملاحظ حتى ونحن في بيتنا وتنقل من مكان الى مكان ومن ثقافة الى ثقافة ومن لغة الى اخرى ناهيك عن حركة الهجرة العادية فانها تخفي المواقع وتغلب منطق التوقع، لا يكون للوضعية الحصرية المجسدة والمسبقة اي معنى في سلوك العاملين عليها والتلاعب بها كما وضح في آخر الفصل الثاني، اربع استراتيجيات حياة لما بعد الحداثة حول المتجول (stoller) ليس بهدف محدد بل بغرض التسلية، الاستراتيجية الثانية للحياة تسمى المشرد (vagabond)، لا مكان محدد له وهو غريب اينما يتجه، او هوية السائح هذا السائح الذي يشبه المتشرد لكنه له هدف لا مكان له، او في الاخير هوية اللاعب، الحياة لعبة للريح، الغاية غير مستقرة الا ان الاستمرار في اللعب¹.

لقد عبر باومان عن هذه الفكرة ويبدو انه استفاد كثيرا مما قدمته انشغالات مدرسة ومنهجية شيكاغو في المعالجة المكثفة لهذه الظواهر، او الاستراتيجيات الاربع للهوية وعلاقتها بالحياة

¹ مارك اوجيه، انثروبولوجيا العوالم المعاصرة، المرجع السابق، ص114.

² انظر: مارك اوجيه، الزمن اطلاقا، ترجمة جمال شحيد، هيئة البحرين للثقافة والآثار، ط1، المنامة البحرين، 2016.

¹ هارلمبس وهولبرون، المرجع السابق، ص ص، 102، 103.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

اليومية المعاصرة، هذه الاستراتيجية التي تتوافق مع هوية دائمة متفردة ومركزية وبدلاً من ذلك يغير الناس هوياتهم حسب المواقف والوضعيات وينفضون كل اكراه والتزام خانق.

الهجرة اليوم لدى الشباب اكثر ميل الى هذه الاستراتيجيات الاربعة، لذلك ان القراء لكل الايماءات الجسدية والادوار الجندرية والانتماء الثقافي والالتماسات الثقافية يكاد يكون فيها الفاعلون لا عبون لا مجرد افراد والمجتمع يتشكل ليس يفوض خارج الاجماع واناما مجتمع مفتوح على الاحتمالات وكل ما هو جديد اكثر سياسية ومحتشدة.

لا يأخذ هذا التحليل تهليلاً لكل وافد بل بلعكس هو فتح امكانية تلقائية لتكون الجماعات والمجتمع وهذا غرض التنوع والمغايرة وهذا معنى الحياة المعاصرة وقيمة وجودها داخل حركة ديناميكية مفتوحة.

ان الاختيارية هي القيمة الاساسية في كل ما يحدث اكثر من الانتمائية التي اغرقتنا في سلسلة الازدواجية وكان على البعض اختيار الجنس وانجاز واداء واستعراض الجندر، تكشف الثقافة وتجسدها عبر التواصل وامتداد المكثف جروح ديناميكية عبره عكس الحمولة والاكْتساب السلب. ان الهويات اليوم بنظرة ومجال الحقول واليوميات لا يعني انها مجزأة وقصيرة ومفتتة وفوضوية وفئوية، بل بالعكس هي تفتح اعيننا نحو البناء الواقع الاجتماعي المشترك، نحو مراعاة التغيرات والتحويلات بعيداً عن النزعة الجوهرية الثابتة.

تساعدنا ملاحظة سلوكيات "المهاجرين" و"المستضيفين" مثلاً اليوم على فهم ما دعاه جوليان ستيوارد: "تطور متعدد الخطوط"¹، يشير بذلك الى التطور الاجتماعي المعقد للمجتمعات ويعزز التفاعل داخل العمليات الثقافية والمقدرة التكيفية والتكيفية للأفراد والجماعات.

اذن الفرد والمجتمع والعالم بحيث النوع البشري والتنوع والمجتمعات في عوالم لا متناهية تفيض بالمستجد هذا الذي يشغل الاثنوغرافيا والانثروبولوجيا المعاصرة، حول البحوث الادراكية والسلوكية النفسية والثقافية كممارسات وانشطة وليست كانماط ثابتة، نقترّب من العوالم الاجتماعية المنبثقة: "تعود المسألة في كلا الحالتين الى كيفية التوفيق بين العمليات الادراكية الفردية والاداء التفاعلي العلني حيث يقوم الافراد بانتاج نشاط مشترك يبدو اكثر من مجموع اجزائه"¹.

¹ انظر: السندرو دورانتى، الانثروبولوجية الاسنية، ترجمة فرانك درويش، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2013، ص459.

¹ بيرتي. ج. بيلتو، دراسة الانثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، بيت الحكمة للنشر، بغداد. العراق، ط1، 2010، ص92.

الباب الثالث- الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

ارشدنا "فيغوتسكي" الى حل المشكلة بين الفرد والمجتمع، لم يكن ليغلب جهة على اخرى بل ركز على العوامل الداخلية والخارجية في آن واحد من العمليات التفاعلية في فهم ان توجيه كلية الوجود (Omniprésence)، والمؤسسات والمعايير والقواعد ونقطة انطلاق اساس لفهم الظواهر الاجتماعية اليوم، بل هي تعبير انثربولوجي يساند نقطة انتهاء ولم تكن ابدا مفتاح تحليل، كما قدم "فوكو" في جهوده المتخللة للعوامل الجزئية والكلية وكما نشأ في توجيهات "دوسارتو" التكتيك والاستراتيجية يصبح لدلالة الوسيط اكثر بغية من دلالة الوسيط والمحيط.

ان الهجرة كظاهرة انسانية لو نظر الى مشاكلها المتمحورة حول الدول والمؤسسات والامن المجتمعي والثقافي والسياسي والقضايا التداخلية والتعددية والثقافية والمسالة التربوية وازمة اعادة انتاج يؤكد، "برنار لايبير في نقده لبيار بورديو" بل تخللتها منتجات منافسة لها وضعت اشكالية الشرعية المهيمنة على المحك امام التقاطعات والتداخلات، فنقود الهجرة بكل هذه الرؤية المؤسساتية والكلية والهيمنة الاجتماعية لمسائلها ومفاصلها لا تعد مدخلا للاستوعاب المدركات والسلوكات والحلقة الوسيطة بين ابتداء الاجزاء وانتهاء الكليات، المستجد هو متابعة المسار والمجال والطرق والاساليب التي يتلاعب بها من قبل الممثلين انفسهم: "يوضح "اوجيه": "يؤدي ذلك الماسسة والشمولية عن الطريقة الانثربولوجية بالضرورة الى اهتمام اكبر المسارات الفردية، فاصبح مفهوما المجال والفردية (Individualité) اسباب لهذا التوجه الجديد"¹.

المجال والوسيط في موضوع الهجرة يوضح كيف ان الغرابة والاجنبية حالة من صدمة ماتلبث كثيرا لتولد من خلالها خرائط احتمالية اجتماعية وثقافية مختلفة، مستندة في ذلك الى السلوكات عبر مسارات غير مجهزة من قبل، بل تعتمد العفوية والتلقائية توظف المكتسب لتختبره عبر مسارات ومجالات مختلفة مولدة حقل تشاركي ونقاط مختلفة وهذا ما يميزه "دوسارتو" بابتكار الحياة اليومية (L'invention du Quotidien)،: "المكان الذي يعتبره مساحة هندسية عن المجال باعتباره مكانا وجهة النظم الشمسية ولا علاقة بما سيكون لدينا من المعرفة بعد الهبوط الى مستوى سطح الارض يقع المشاؤون في عدد كبير من خطوط السير ممكنة"¹.

لذا يدعونا "دوسارتو" لتحليل الممارسات الجزئية والعديدة الى ممارسات المجال التي توضح التنظيم الشمولي نتيج هذا مقدرة على فهم المستجد الذي تفرزه العمليات الاجتماعية المتشابكة

¹ مارك اوجيه، انثربولوجيا العوالم المعاصر، المرجع السابق، ص 117.

¹ المرجع نفسه، ص 117.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

والمقدرة على التلاعب مع الاكراهات والالزامات الشمولية مثلما يبرهن ذلك المهاجرون كثيرا او ما سماه دوسارتو حرية خطابات المنشأة أحداث الاتصال (Rhétorique piétomnières) ذاتها متقاطعة مع الرؤية المخيالية "لمافيزولي" بنبرة اكثر مخيالية حول الترحال والته عبر حدث التواصل. (événements de communication).

إن الهجرة تعبر عن تحول وتغير ما حصل او يريد الحدوث واليوم تعلمنا وتكتب النص السوسيولوجي والانثروبولوجي بشكل مختلف ويعيد عن الصراعات لما نعلم في الحالة المزاجية للعيش ولتلقائية التجمعات: "ان ندرك معنى وجود الشخصية الجديدة التي قد يكسبها الفرد بسبب هذه الخبرات في الحياة العملية مجموعة من الناس يتمتعون بقدرة على تقمص سلوك وعادات يقول الفرد منهم يبدو انه لم يعد له ذات حقيقة على الاطلاق واصبحت مرغما على تغير نظري تجاه الاشياء وبتغير سلوكي كلما تغير اصحابي احتكت بمجموعة جديدة منهم".¹

يثبت الفاعلون الاجتماعيون دوما من خلال فعلهم وممارستهم وتواصلهم ذلك التأثير على الوعي، هذه المقدرة هي التي تشكل الواقع الاجتماعي، تكون السمة البارزة تعدد الذوات في عوالم متفرقة ومتنوعة، وخبرات اوسع في هلام اجتماعي ويمكن ان تكون علاقاتهم بهذه الامكانية دوما تغير وتركيب معقد، يعبر "ايمون باتلر" عن طبيعة المجتمعات اليوم: "يمكن للمجتمع الحر ان يدير نفسه مثلما لاحظ الاقتصادي الامريكي دانيل كلاين، محلية التزلق ليس الا مكانا لسلسلة من الحوادث التي توشك على الوقوع...تحتوي على الاطفال والعجائز...لكن ما نشاهده على ارض الواقع هو ان المترحلين يتدبرون امر التجول في انحاء الحلبة متجنبين الاصطدام بالآخرين دون الحاجة الى من يفرض عليهم حدود السرعة او لافتات الانعطاف او اشارات ضوئية"¹.

انه لمثال مفتوح على المستجدات المتعلقة بالهجرة ليس هذا وحسب يوضح تلك الامكانية للتفاعل والتبادل والسير والتدبير دون الحاجة الى الامر والضبط وكانها عملية بين الفعل والوعي والاثر بشكل اكثر ذاتي ضمن مجتمع يتشكل بهذه الطريقة، المجتمع الحر اكثر دلالة من المفتوح، والحرية ليس مدلولها طوباويا او حلما ، بل نلاحظ ان تلك الهيمنة الشمولية للنظام والمجتمع ليس في الاخير الا وهم يعميننا عن تلك الامكانية الحقيقية لفعل التزلق وتدبير السير

¹ جوزايا رويس، العالم والفرد، الطبيعة الانسان النظام الخلق، مجلد02،ترجمة احمد الانتصاري، المركز القومي للترجمة، الجزيرة والفاخرة، ط1، 2008، ص176.

¹ ايمون باتلر، المجتمع الحر، ترجمة علي الحارس، منشورات المركز العلمي، الرباط المغرب ط1، 2013، ص130.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

وتحول السرعات، كل هذا يحدث للمهاجرين وتتسج علاقاتهم بحرية اكثر لا يتقيدون كلية بالمورثات الثقافية ولا تحدهم اطر اجتماعية كلية او معايير جسدية لا هم لهم في اعادة الانتاج وان العيش لاشكال مختلفة ومتنوعة، نفسه يصعب على الاعادة ان تكون نمطية او بوجه احادي، نركز فيه على منشآت الحلقات اكثر من الحقول والحدود(يشبه حركة النحلة في الف حقل وزهرة لمنتوج ممزوج) هو عمل المهاجر واثر الهجرة.

نحن نرعى شؤوننا بقليل من السلوك المهذب والمعرفة اللحظية المناسبة، مثلما يفعل ذلك مهاجر يتعلم المفردات الاكثر تواسلا وماهي الاتيكيت المناسبة في السوبر ماركت¹ والمقهى والميترو وكيف يطلب عمل الى غير ذلك هو لا يتمثل للنظام كلية الا بقدر رعاية مصالحة وضمان حيز المشاركة وتفادي الاقصاء .

ان مثال اللغة يوضح مسالة عميقة في تلقاية الاجتماع وتكوين الجماعة بحرية وذاتية اكثر، ان المهاجر هو لا يستعرض فقط اللغة بقواعدها ونحوها واملاها لحظة التحوار بالالمانية او الانجليزية والا كان هذا جنونا وضاعت الرسالة وانفك شبك التواصل الجمعي، العملية تتم باسبغ المفردات لتصل الرسالة يعين المضيفون في التحدث ويتعاونون ويتعاضدون لبلوغ الرسالة، ان الفرد والمجتمع بهذا الشكل على اي حال كان لا يجعلنا مهمومين بالاندماج ومركزيته الموجهة بل بالعكس الامر مرن ولين جدا.

تشير الحرية والانفتاح بالنسبة للمحافظين مشكلة، اذا كانت تساعد في فهم الهجرة لا يمكن تعميمها على ظاهرة الانحراف او الجريمة او الانتحار، لكن هذا ليس صحيح يعبر "باتلر": "اننا نحن من نحمي انفسنا تجاه انفسنا ونحن من تملك القدرة الاقرب الى انفسنا وعبر القواعد المبتكرة من اي حكومة مركزية"¹.

لا يكون لهذه الاخيرة شان يسير في التوجيه او التاطير او لا يسعها الا تندمج مع مبررات الذكاء الجمعي او تكون عكس لكل ذلك، نحن لا يمكننا ان نجعل من افراد المجتمع كلهم رياضيون مثلا او نجعل ذلك هدفا حكوميا لتاطيرنا الرياضي، لكن نحفز بعضا بعضا ليكون حسا اجتماعيا وممارسة اجتماعية وبامكاننا ذلك.

¹ المبحوث، امين دحدوح. رابط القناة السابق.

¹ ايمون باتلر، المرجع السابق، ص 131.

الهجرة سلسلة مستجدة من التواصل وغير متوقفة في ظل عوالم متعددة وعالم قديم سمح بنهاية الحدود خاصة عبر التكنولوجيا وتبادل الافكار: " وليس الاشخاص هم وحدهم من يسافرون في هذا العالم الجديد فالافكار اخذت تحمل عصا الترحال ايضا وهام السائحون يزورون البلدان وفي جعبتهم قصص حول عوالم مغايرة جدا يتمتع الناس فيها بحرية التصرف والتفكير والكلام والسكان المحليون يسافرون...اذن فالتكنولوجيا والتجارة والهجرة والسياحة والسوق العالمي تلعب جميعا دور السفير الذي يمثل المجتمع الحر"¹.

يكون شان الثقافات بالتنوع والتعدد لا خوف عليها في كنف المجتمع الحر، بل هي تنتشر وتتقوى اكثر ولا تضيع ابدا وتعود في سلسلة لا نهائية لابعاد اخرى.

ان المهاجر لا يقوم فقط بطقوس التضحية بثقافته الام ولا كذلك المضيف ولا حتى اولئك المستجمعون من اماكن مختلفة من العالم، بل ان انتقالهم وثقافتهم تشهد اعادة تعريف مستجد حاملين معهم طرائق متعددة لبث ونشر واكتساب ثقافات اخرى هي ذاتها الثقافة تماما وبضرب جيلبير دوران مثلا عن ذلك: " فان انموذج الشجرة ومادتها الخشبية التي يصنع منها الوند والعمود يبدو لنا كالصليب الذي توقد منه النار دليلا على الازدواجية تتمركز فيها قيم التجدد والبحث...ان الشجرة لا تضحى ولا تنتطوي على اي تهديد بل يضحى بها خشبيا يوقد في القرابين وهو رمز للخير ولو استخدم في التعذيب"².

ان قدر الانسان من قدر الشجرة وقدر المهاجر مثال بارز عن تلك الحركة الدائرية التكاملية. ان فكرة سلسلة الهجرة مبنية بقوة ومدعومة في شكلها الممتد والتوالي عبر التواصل والتفاعل والتحويلات ومجريات الانساق الثقافية والسلوكات اليومية، انها تشكل للانظمة الاجتماعية الاستطردية، يفضل لذلك الاثنولوجيون تسجيل مذكرات لذلك وينتهج الاثنوغرافيون الرواية بين الفروع والكليات: "من منظور البحث في بناء المعنى وتأثيراته البرغماتية على البناء الاجتماعي والمؤسسي، المجتمعات وشخصية المهاجر بداخلنا في نهاية المطاف ستكون مسالة فحص

¹ ايمون بانتر، المرجع السابق ، ص151.

² جيلبير دوران، الاثنوبولوجيا رموزها واساطيرها، وانساقها، ترجمة مصباح الصمد، محمد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط3، 2006، ص325.

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الطريقة التي يعطى بها التشابك هذه الانظمة الخطابية المختلفة المؤشرات على علاقات مابين الافراد".¹

المهاجر حامل لرسالة ومستقبلها ومفعلا في آن واحد، من خلال مؤشرات عديدة ومتباينة، كما أن الظاهرة في كليتها ليست مقولة جوهرية ومنزوعة من هذه المؤشرات فثمة سمات مشتركة يمثلها اصحابها تشكل ذلك الكل المشترك "الهجرة"، الاشكال الوحيد في كل هذا الاختلاف والتنوع هل يمكن ان تملك هذه الانواع الفعلية او الفاعلية في تغير الوجه العام يعبر عن ذلك عالم الاناسة الفرنسي كلود ليفي شتراوس: "فاننا نتواصل مع اغلبية معاصيرنا باللجوء الى مختلف الوسائط...والتي تزيد حجم علاقتنا لتصبح مترامية الاطراف الا انها تفقدها فعليتها وهذا الواقع يطبع حتى العلاقة التي توجد بين المواطنين والسلطة".²

اعتقد أن اشكال مهم في فاعلية الابعاد والانساق والسياقات المبتكرة و في عالمنا المعاصر، كما ارى ان مفهوم الفعلية تغير وفق الحيز الفعلي المراد التأثير فيه، يعبر شتراوس عن حالة من عدم الثقة في هذه الاشكال الاجتماعية والسياقات الثقافية في الحياة الاجتماعية انه مشوهة وغير ناضجة الا ان هذه النظرة اختلفت مع المستجدات المعاصرة الذي اخذت منحى مختلف.

ان ظاهرة الهجرة وظواهر اجتماعية اخرى توضح قيمة الحاضر في البحث وتجنب اي اختزال جوهرى منهجي او نظري يفيدنا ذلك عالم الاجتماع الفرنسي "لابير": "والحال ان فهم الممارسات في اشكال السلوك (اشارات.مواقف) عبر اعادة بناء الانماط والاستعدادات الذهنية والسلوكية المختزنة التي يحملها الفاعلون وهي نتاج الاستبطان خبرات اجتماعية ماضية ولخصائص السياقات الخاصة (طبيعة الجماعة، مجال النشاط) التي يتطور ضمنها في راي السبيل الاصوب والاكثر تركيبا والاكثر اثمارا من الناحية العلمية".¹

لا يكف "لابير" عن نقد اطروحة الانتاج واعادة الانتاج والهابيتوس والتطبيع التي قدمها "بورديو" وتقريبا اغلب اطروحاته هي تجاوز ودعوى للعناية اكثر بالمواقف والسلوك والتراكيب الاجتماعية بشكل مختلف ومتنوع خاصة في مؤلفه (La culture des individus 2004) مبرزا الاستثناء هو القاعدة وليس التماثل، ويحاجج في ذلك ان المدرسة ليست مكانا للاستعدادات واعادة

¹ ALBIN WAGENER. Migration et communication ; Le smartphone comme nouvelle boussole intime.http :www migobjets.hypotheses.org-date.14.02.2017-1902.2022.

² كلود ليفي شتراوس، الانثروبولوجيا في مواجهة مشاكل العالم الحديث، ترجمة رشيد بازي، المركز الثقافي للكتاب والنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019، ص38.

¹ برنار لابير، عالم متعدد الابعاد، تاملات في وحدة العلوم الاجتماعية، ترجمة بشير السباعي، دار افاق، للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2015، ص ص

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

الانتاج لمشروع وشرعية ثقافية معينة، بل تخلق السياقات العديدة بداخلها التي تحيل دون تلك الرؤية الميكانيكية وتتقب أكثر في عملية اعادة الانتاج، وهذا واضح من خلال الهجرة وتعدد الاثنيات والعرقيات والاجناس والطبقات والنوع، اذا المدرسة ذاتها في فرنسا او غيرها اصبحت تحوي العديد من الثقافات في سياقات مختلفة ما يجعل استبطان الافراد لكل هذا وبارزه الى العالم المتعدد الابعاد، هو المسار المنتهج لدى الفاعلين.

ب-الهجرة والمستجد الافتراضي وما بعد الافتراضي:

أستهل مستقبل دراسات الهجرة والعلوم الاجتماعية عموما بما عبر عنه عالم الاجتماع الفرنسي فليب ريجو: "فاذا كان المجتمع ليس سوى اختيار افتراضي حسب الطلب بشكل ما ربما لا يكون هناك مزيدا من الاحتياج الى استدعاء علم اجتماع او الانثروبولوجيا لفهمه وتحليله من هنا الضرورة العاجلة لوصفه... لرسم حدود معينة قبيل ان تجرف الثقافة المعلوماتية في واوهمها ودواماتها العال كله والعلوم الاجتماعية".¹

هذا مخرج مستجد لدراسات الهجرة ولإعادة النظر في النظريات والمناهج وفي كثير من المسائل المعالجة لهذه الظاهرة وغيرها، ان المهاجر الذي يحمل هاتفه ويصور حياته وبيئتها عبر سياقات ومحطات ومنظورات مختلفة لا يمكن باي من الحال التعويل على اي رؤية اخترالية في احتواء هذا العالم المترامي الاطراف والذي يملك لغة الاجتياح، ليس هذ وحسب تلك الرحلات والجولات التي يقوم بها الانسان من مكانه وتتفاعل معها المشاعر والسلوك واللغة وهو بمفرده او مع عائلته ومن منطقة معزولة او حضرية.

ان المهاجر الجزائري اليوم لا يختار دولة ليكون سجينها، بل هو دوما في حالة عبور وشاهدت هذا كثيرا يقطنون في المانيا لكن كل يوم في مكان، ومع شباب مختلفين ومن مناطق اوروبية مختلفة، كما ان شبكاتهم صارت اوسع مع الجالية شرقا وغربا من اندونوسيا الى امريكا¹.

الهجرة اليوم تعبير عن العابر الاجتماعي والثقافي، وهي لا تلتزم بحركة في اتجاه واحد وعلى خطى ثابتة وواحدة زمانيا أو مكانيا، تجعلنا نكف عن الاعتمادات القبلية (المقابل اجتماعي) والتي لم تعد تتماشى والتحويلات الاجتماعية: "يشير تورنر (1999) بشكل متشائم الى كل طبقات مفهوم الممارسة التقليدية غير المنسجمة، اذ تعتبر هذه الاخيرة اما مزاجا لا يفيدنا او

¹ فليب ريجو، ما بعد الافتراضي، استكشاف جماعي للثقافة المعلوماتية، ترجمة وتقديم عزت عامر، المركز القومي للترجمة، الجزيرة مصر، ط1، 2009، ص12.

¹ قناة جواد، لقمان، <https://youtu.be/gM-Yygi9hQM>، <https://youtu.be/Carjlm33Gg4>

الباب الثالث-الهجرة المجال والمجتمع في فضاء خيارات التنوع الديناميكي

عادة وتطبعاً... لا شيء يسمح بفهم تشكل الثقافة فعليا بعيدا عن استعارات علماء الاجتماع... يقترح ترنر التخلي عن مفهوم الممارسة كموضوع ويصوره كبناء استكشافي¹. ان الجدل مازال دائر الى اليوم في اوساطنا الاكاديمية وما تعبير من خلال معالجة ظاهرة الهجرة الا احدى المساهمات البسيطة لتوضيح الرؤية بين الموضوعية والذاتية بين التذويت والتموقع والموضوعة، بين العملية والوضعية، مازالت عمليات المفهمة معقدة (conceptualisation) تجاه الانشطة الاجتماعية الدينامية وبالاخص الهجرة:

" علم اجتماع انظمة الفعل يفهم الفعل من خلال الجهاز الروحي الحركي عند الاشخاص وضمن حركية التنظيم بين الافراد انفسهم... لذا يتمتع الافراد في هذا النوع من علم الاجتماع بهويات متعددة وليس عبثا ان يستدعي الفرد نفسه شعورا بالعدالة في موقف وان يكون عاشقا في وقف آخر وعنيفا في موقف ثالث واستراتيجيا في موقف رابع"².

خلاصة:

إن هذا المنظور والمعالجة العلمية والنظرية مناسبة لطبيعة المجتمعات المعاصرة، هذه المجتمعات التي كانت نتيجة لكثافة التواصل والتفاعل بين افراده وجماعاته المختلفة، تتطلب منا نحن الباحثين دوما تدبيرا معرفيا مجتهدا ومختلفا، وما الهجرة الى احد مفاتيح العناية والدعم للفضاءات المتنوعة والابعاد المنعكسة والتشكيلات الاجتماعية لبناء واقع بعينه او نهج سلوكيات تبعدنا دوما عن تبني اي نموذج او نمط او ايديولوجية مضللة ورؤية الفعل في كليته.

¹ ايريك منغري، المرجع السابق، ص518.

² ايف وينكن، انثروبولوجيا الاتصال، المرجع السابق، ص ص284،285.

خاتمة

من القيم أن ندرك ان مبحث الهجرة والمجال غني بالحركات الاجتماعية، للافراد انفسهم في بث مسوغات افعالهم، والتقرب من التماسات الثقافية، مشكلين صورة فسيفسائية لا نهائية. يعتبر التنوع الثقافي عبر المفاهيم والمنظورات الثلاث بين العابر والبيني والمتداخل، وجهة ومنهجية مهمة لمعرفة المنسوج الاجتماعي من العلاقات، واثرها على الثقافة والمجتمع الذي يجذب لافراده ان يكونوا عائمين فيه.

يكون التواصل اهم شيء ما بين الافراد والمجتمع وما بين تلك الابعاد الثلاثة،لم تعد تلك الحمولة الثقافية تزجج احدا لما عرف الافراد طرئق وسلوكات وتصريفها وتميرها متغيرين ومتحولون عبر تلك السياقات.

التنوع الثقافي لا يسير بشكل خطي بل هو تحرك دائري ولحظي اكثر ومتفلا بسرعة بين الوحدة والتعدد، بين النوع البشري والتنوع الثقافي لا يسع الانسان الا التعامل الكفئ مع ما يفرزه ويخطه بيده ونفسه.

الباب مفتوح للملاحظة والتعاون في بناء معرفة اجتماعية ووقاع اجتماعية في علاقة ليست بالبعيدة ولا القريبة، بين الباحث والمبحث، كما ان الواقع العادي لم يعد يكفي حاجة العيش لدى الانسان وأصبح اكثر انعكاسا في ابعاد المرايا الافتراضية، اصبح مرتحلا تائها ينطلق وبصفة ويعود بعدة مسميات ومهام سابحها في عالم افتراضي وواقع هجين بينهما، هذا الافق المابعـد ينتظـر منـا الـوعـي بـهـ.

الإستنتاج والمناقشة

أ- النتائج:

إن الدراسة التي بين أيدينا دامت ما بين (2017-2022)، سواء من الجانب النظري أو الميداني، وترتيب الفصول وإخراج العمل الأخير هذا، ككل دراسة هناك جملة من النتائج المتوصل إليها، لقد كان همنا البحثي مركزا على متغيرين: الجندر والتنوع الثقافي، منذ رحلة الانطلاق والمعيش إلى العودة وما بينهما.

إن أبناء منطقة تيارت ما يزالون لحد الساعة يخططون ويهاجرون إلى أوروبا، الهجرة ظاهرة تمس أبناء هذه المنطقة وخاصة الشباب من الجنسين، كباقي المدن الساحلية والداخلية الأخرى، يعملون ويجمعون أموالا ويخططون للهجرة سواء إلى ألمانيا أو عبر تدرجات الرحلة حسب الهدف والقدرة واللغة واهدافهم (من اسبانيا او فرنسا او تركيا ثم المانيا).

تأخذ الهجرة النسوية من هذه المدينة الطابع التنظيمي اكثر من الحرقة او غيرها، كما ان النساء يهاجرن طلبا للدراسة او العمل، لكن الطابع الغالب هجرة الزواج بالأجانب.

مازال الشباب يهاجرون الى المانيا بطرق مختلفة، الا ان هذا لم يمنعهم من الهجرة خارج اوروبا، -مسارات وتجارب هجرة مختلفة-.

الهجرة اليوم اصبحت فعلا اكثر عقلانية بالنسبة للشباب، اذ يعرف ما عليه تحقيقه هنا لضمان الهجرة ونجاحها، كاعتمادهم على التكوين "اوس بيلدونغ" (Ausbildung)، يهتمون بكل تخصصات التكوين المهني، خاصة مهنة الحلاقة و الترصيص والبناء والنجارة وغيرها، كخطوة مهمة لضمان الفيزا ثم الحرقة اذا اضطروا لذلك. هذا للذكور، النساء اخذت طابعا مغايرا، كالدراسية والعمل والزواج بالاجانب، هذا جسر واتجاه الهجرة النسوية.

الهجرة اليوم لم تعد فعلا اعزلا بل شكلت الشبكات المهاجرة إلى المانيا مجالا هجرويا، توسع عبر تجارب مختلفة.

خانة "رومي" او "رومية" بالدراجة لا يحسن هذا التصنيف اي لواحق اخرى كاللغة او الدين او الانتماء لعائلة جزائرية او مغربية او عربية او اسلامية، اتذكر انه دار نقاش بن شيخ من قرية ببيان مصباح ودائرة بوشقيف تيارت قائلا: "رومية" "خلاص ماهيش كيفنا".

الذكور يتجهون كثيرا الى الزواج بـ "بنت البلاد"، او حتى مع بنت بلاده المهاجرة هناك مزودين بالبرمجيات والتعليمات الذكورية والانثوية، اكيد كتربية وتصورات متبادلة بين الجنسين محاولين سد فجواتهم العاطفية والعائلية.

تأثرت حركة الهجرة أيضا بوسائل التواصل الاجتماعي، وتلك المسافة التي كانت حاملة وبعيدة قاصها المهاجرون بالتواصل الاجتماعي، ومد الجسور والنواقل بين هنا وهناك، فحياة المهاجر أصبحت أكثر شفافة، فهو يهاجر الى ألمانيا ويعود عبر قنواته (Vlogs) وحياته، الى داخل بيوت ابناء بلده، علاقة شفافة وعابرة جدا ومسافات متداخلة.

- (الهجرة - الفعل - المجال والثقافة).

الاشراطات الجسدية للجنسين، لم تعد بتلك الفجوة والحدود الفاصلة والحادة والمنمطة بينهما فالجسد يأخذ مشتركا متفاعلا فيما بينهما، دون الاعتماد كلية على سوابق التربية والتنشئة الاجتماعية، مثال على ذلك القيمة الجمالية للجسد، يشارك الكثير من الذكور النسوة في مواد التجميل و مودالات الملابس والاحذية وبعض الرياضات، هذا ممهّد لتقليص الفجوة الجندرية وتتعيم الصورة الذكورية.

التشريط الثقافي الذكوري والانثوي، بمنطقة تيارت متباين ومختلف، فكلما اتجهنا الى المركز قل التباين وقل التشنج الذكوري، وكلما اتجهنا نحو حواف الحواضر وريفها تكون النواة الصلبة للتشريط ما زالت محتفظ ومدافعة ومقاومة على كيانها ومنظومتها الجندرية. يختار المهاجرون العائدون المنتمين الى الريف الاقامة في المدينة، اكثر من بقائهم في الريف، ويخططون لذلك أثناء العودة.

في الاسر والمدارس نلاحظ الحفاظ على التنشئة الجنسية ذات الفروق الموسعة، والتي تركز على التمييز بين الذكور والإناث بحدة، والابقاء على الهرمية والتراتبية، يعاد ظهور هذا في الحياة اليومية، من التنقل والسفر والاسواق وكل المؤشرات الاخرى كالتي نجدها من كثافة الستائر على شرفات منازل المدينة، والداخل الى المدينة يلاحظ تلك المفارقة بين ما يعتقدونه حول "الحرمة" كقيمة اجتماعية اساسية تجاه البيت، والمرأة عموما وبين ما تفتتح عليه المدينة اساسا، وفي حركات النقل ووسائله والمسافات الاجتماعية والادوار المنوطة بذلك، ان رحلة لا تقل عن ساعة من فرندة الى تيارت او داخل المدينة تتغير مواقع الجلوس وحيانا نشهد تعنيفا وخصومات على ان لا تجلس المرأة قرب الرجل (هذا متكرر بشكل يومي).

يتعامل الشباب المهاجرون بشكل اكثر عقلانية و تشكيك في تلك الحواجز والفروقات الفاصلة بين الجنسين، او المسافات الاكثر حماية بينهما، تكون الهجرة فرصة لهذا كله.

تتأثر المنظومة الجندرية بظاهرة الهجرة كثيرا، وتعتبر عاملا جوهريا في احداث هزات على مستوى المعتقدات والصور النمطية المجسدة لها، الشباب اليوم يحاولون عبر الهجرة مقاومة هذه

النزعات الراديكالية الاقصائية، وينحون إلى ابراز اتجاهاتهم وحياتهم الجديدة، تكون الهجرة مسارا تحوليا ومساعدًا على تحقيق هذا، قد يصعب تجسيده وغرسه في العقل الجمعي ككل، لكن يكون سهلا يسيرا بالمهجر .

الهجرة والجنود علاقة متداخلة، وكلاهما يؤثر في الآخر، بحيث لا حظنا كيف ان المراد ليس تمثل الدور اكان ذكوريا او انثويا، الا بحد قيمة الاستعراض واعادة التركيب بغية جعله اكثر تناعما مع المتطلبات اليومية، وينحو باتجاه ترتيب، من امتثال صورته المنمطة.

الجنود اليوم هو أكثر أداء وانجازا واستعراضا وتفكير يومي، بتلك المفاهيم التي يبرزها المهاجرون عبر واقع معيشتهم، و الحاق تغيرات سطحية وعميقة كل حسب حالته ومستواه الشخصي او العائلي، لا نقول المنظومة الجنودية الاولى مهترئة او فشلت او اندثرت، فمازال هناك تأثير قوي، لكن ليس بتلك القوة الاجتماعية، خاصة عند المهاجرين وباختلاف اطيافهم واعمارهم ومسارات تجارب هجرتهم.

يمكن القول من خلال هذه الدراسة ان الفاعلين الاجتماعيين يمارسون تكتيكات عقلية وفكرية وسلوكية ونقاشية وادائية معينة، تسمح لهم بتحقيق نوع من التوازن بين " الهنا" و " الهناك"، هذا لاهداف شخصية او عائلية او اجتماعية، تمس في الاخير السلم القيمي والمعياري. وضح لنا الجنود كنوع، والثقافة كتواصل، إن ظاهرة الهجرة لا تسير باتجاه خط ثابت، والنتيجة من ان المجتمع اليومي ليس معزولا عن حركة كونية ، فأراد المنشئون يسبحون ويحتسون ثقافات عبر عوالم متباينة، جعل من الحدود غير واضحة بين المحلي والكوني-الكرولية.

النساء المهاجرات اكثر مرونة مع القيم الجنودية ، لا تشترط الالتزام الكلي وبهجرتهم غيرن من اسس المنظومة الابوية والذكورية، فمجرد خروجهن هو كسر للطوعية والحماية الشاملة. المرأة لديها إمكانية للتغيير من الاسس الاكراهية الجنودية، ففن العيش والحياة اصبح هدفا لها، واي قيمة او تصور ابوي ذكوري يحول بينها وبين ذلك لا تعيره اي اهتمام، لم تعد طموحات المرأة العمل والانجاب فقط، بل توسعت الى اكثر من ذلك عبر تجربة الهجرة. تقع بعض النساء في " فخ" الاكراهات الذكورية والابوية، بالاختصاص ان كانت وضعيتها الاقتصادية ضعيفة، ولا تؤهلها لتحسين علاقتها وتنمية الكثير من جوانب حياتها. النساء الجزائريات المهاجرات لم تصلن الى مستوى ادراج تجربة الهجرة في خانة التنظيم النسوي، لكن مبادرتهم وممارستهم اعدت دعما شبه نسوي لتوعية باقي النساء .

يوجد من الذكور من يضم صوته للنسوية المهاجرة ، مما قلص الكثير من الفروق الجندرية. يساهم الزوجان المهاجران لبعضهما البعض، بفهم ما لهم وعليهم عبر منظومات جندرية متباينة.

لعبت الهجرة دورا محوريا في جعل المرأة اكثر تعبيراً عن ذاتها من خلال الزواج والانجاب والتربية بالمهجر، مستعينة بزوجها وهو كذلك، هدفهم الاستقرار وتحسين حياتهم،-الشريك- والانتقال من قيمة "الحرمة"(طواغية الانثى) الى "الاحترام" (تواصل وتفاهم الشركين)، هذا مكسب للمهاجرين، و له اثر على المنظومة الجندرية.

يتعامل المهاجران منذ البداية، بحساسية وحرص وتكتيك،لحماية رغباتهم واهدافهم، من خلال فعل ومقصد الهجرة، في مقابل املاءات واشراطات ثقافية ومنظومتين جندرتين مختلفتين، يذكي هذا حس العقلانية ومهام العقلنة لافعالهم وسلوكاتهم، فلا هم يمتثلون كلية ولا ينجرون سباحة مع الوضع الجديد، تكون ممارستهم منذ البداية اكثر حذرا، المنطقة الاشد حذرا في الممارسات السلوكية الجندرية تلك المتعلقة بالمقدس او الشرف، اما العيب والحرمة والفروقات الجنسية الاخرى، اصبحت اكثر مندثرة وقليلة، في المقابل الذكور اكثر تباطأ في قبول التغيير من الاناث.

يميل الذكور العزاب الى اظهار علاقاتهم الشخصية والحميمة والتحدث عنها، لانها تعزز حنيننا ذكوريا، مرتبط بمرکزية "فاولوسية"، في حين ان تجارب النساء العازبات اكثر سرية، لكن المتزوجات يسارعن في اظهار حياتهم الاسرية عكس الرجال.

يهاجم كلا الجنسين اولئك الذين اعلنوا تمردهم بعنف على المنظومة الجندرية الام، مفعلين تكتيكا معتمدين على موارد اولية من ثقافتهم لضمان امان نفسي واجتماعي، بالاقتراب من "المقدس" الاسلامي"، يظهر هذا من خلال عقود الزواج والطلاق والميراث، والختان والصوم بالاختصاص (الجزائري نراهم ملاح، حتى نهار يدخل رمضان ما يولوش غاية مباحوث رقم 07)، ترغب الزوجة في ان يكون زوجها الاجنبي مسلما قد تقبله على غير دينها، لكن تعمل جاهدة ادخاله الاسلام، لكن الذكور لا يتحملون ذلك طويلا عكس النساء، مما يجعل زواجهم هشاً وطلاقها سريعا، يعجل الذكر بهذا لانه يرى ان احكام القبضة على الزوجة الاجنبية لا يمكنه عن طريق المنافسة المالية او غيرها، الا عن طريق العودة الى مركز السلطة الاسرية وتطعيمها بقيم الخضوع له، عبر عملية الاسلمة، لضمان التحكم داخل الاسرة وتربية الابناء

على القيم الابوية، واعادة بث الفروق بين الجنسين، وجعل الاطفال على درجة من الوعي المناقض لما تمليه القوانين الاسرية و المدرسة الاوروبية.

يسعى البعض لتجنب الصراعات الاسرية بتشويه الزواج بالاجنبيات(هي تسكر وتسهر وتهدر مع صاحبها في التلفون قدامي معيشة مرة صابر على كواعطي مبحوث رقم 7)، واختيار العرب او المسلمات.المهم يبقى الدين تكتيك واستراتيجية اكثر منه التزام.

موضوع الزواج للمهاجر هو موضوع جندي بامتياز بحيث يثير لعبة من يحكم من؟، والبحث عن الزوجة"بنت البلاد" بالنسبة للذكور هو تامين علاقة التحكم والسيطرة، اما بالنسبة للاناث هي علاقة ضمان وأمن عاطفي اكثر، حتى تشعر انها في يومياتها واثناء الصيام ومع اسرتها اكثر انسجاما، ترغب الاناث كثيرا في التناغم بين "الهنا والهناك".

يميل بعض الذكور عبر علاقاتهم الجنسية الى التحرر، وابرار مغامراتهم وتاجيل الزواج والاستقرار وتحبيذ السفر والتعلم والمغامرات والاستثمار اكثر، بالرغم انهم يعانون من العزلة والتخوف من العلاقات الجنسية العابرة سواء من الناحية الصحية او القانونية ومشاكل السجون وضياع نقاط التجنس مستقبلا، في حين الاناث يحبذون امرين الاستقرار المادي والعملي ومباشرة الزواج والاستقرار الاسري، الاكثر تاجيلا لهن هو الانجاب الذي ياتي غالبا بعد ضمان اسلام الزوج بالاخص ان كان اجنبي(البعد السادس 2010 هوفستيد التساهل مقابل ضبط النفس).

تتساهل الاناث مع الرجال السود للزواج و يكون الامر سهلا بالنسبة للاناث للزواج بالسود و تكوين أسرة (الجنس والعرق)، عكس الرجال لا يتزوجون افريقية ملونة¹(سوداء) الا بغرض ضمان الاوراق الثبوتية، يفضل الذكور عادة المرأة الملونة (البيضاء) وخاصة الالمانية.

وهناك نقطة جد مهمة اثارها احد المبحوثين رقم(05) بقوله:"هوما يحوسوا على الجزائريين ما شي مغاربة ولا توانسة، يقولونا نتوما تعجبونا اكثر..كي تهدر معاهم عينهم يحلبوا يحسوا بالرجلة..." في اشارة الى مغازلة مدفونة في عمق الانوثة الغربية تجاه الفحل بهوام جنسي متاصل في المخيال الجمعي.

¹ "تقصد باللون هنا السمة الفيزيولوجية التي لها علاقة بالطبقة والجنس كاساس للتمييز في الظواهر الاتنية والعرقية والتي تعتبر الدراسات الجندرية متأثرة في آن بدراسات السود (Black studies)وهو لفظ نراعي به مستوى التدرج، ومن الناحية اللغوية كسند فنجد في المقدس الاسلامي"المصحف" برواية حفص ص 437اية في سورة فاطر: "ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه" اختلاف اللون وتدرجاته من الممكن ملاحظته وهو ليس وصما بل تحديد وضبط منهجي واصطلاحي. اللون الاسود وتدرجاته والابيض وتدرجاته، انثروبولوجيا نرجع لحادثة المغني الشهير للبوب وتغيره للون بشرته ما بكل جاكسون من اللون الاسود الحنطي الى الابيض...

وجدت ايضا من النساء المهاجرات من تتعت الرجل القابل للقيم الاوروبية، في زواجه بلأجنبية بانه: يغسلها المواعن" ويشد الذراري وهي تخرج تخدم" يقبلها مع البرانية ويرفضها مع بنت البلاد"، تعلم النسوة جيدا هذه الوضعية وتأخذ طابعا تعنيفيا معاكسا، وتحسيس الذكر بالخيانة للمنظومة الجندرية، لو قبلها معها تكون نوع من التفهم والاحترام، ومع غيرها تكون نوع من الازلال له، هذه الازدواجية التي تمارسها بعض النساء ضد الذكور.

تعبّر إحدى امهات المبحوثين رقم(07) عن علاقته بزوجته المتمردة عليه بالمهجر: "علاه ما تقبضهاش تكندرها وتتها منها" تكندرها او تزرقتها الحاق اذى جسدي عميق بها، هذا الاذى الذي ترفضه النساء عن انفسهن وتقره كرغبة لرؤية ابنها يتحكم في زوجته(مفارقة).

ينصح المهاجرون بعضهم والراغبين بالهجرة بالتستر الكامل عن علاقتهم بالأجنبية، سواء صداقة او زواج،لانه تشكل تهديدا لعلاقته بها، يفضل دوما عزل الاصدقاء العرب والمسلمين والمغاربة عن الحياة الشخصية والحميمية، تلاحظون هذا من خلال قنواتهم وموادهم الاعلامية(Vlogs)، تجعل من الجندر وادواره اكثر تراكيبا وتراثيا، من كونه نمطا وممثولا جاهزا.

في مقابل الذكورة والانوثة، وجدت الكثير من المفارقات، بحيث النساء المهاجرات يتهمن الذكور اللذين يملكون اوراق ثبوتية، انهم غير "رجال" وماهومش فحولة" ديوث" لانه يقبل بالأجنبية التي تفرض عليه رعاية كلبها او قطها، او تدخل متأخرة بالليل او ساهرة مع اصدقائها، او تدخل عليه اصدقائها، و في ذات الوقت تحبذ هي قيم الحرية التي هاجرت من اجلها، وان هي عاشت هذا الوضع مع افريقي او غيره تقول زوجي/شريكي متفهم ومتحضر، تميل هذه النتيجة الى ابراز **التنكر** الذكوري في المقابل الانثوي.

الادوار الجندرية داخل الاسرة متباينة، بحيث تميل الاناث الى اعتبار العمل والخروج والحرية، لا تمنع من الاستقرار وتربية الابناء، هناك نوع من المزوجة بين ما تفرضه حداثة او عولمة ما، وبين ما يرغبون في تحقيقه نفسيا واجتماعيا.

تغيرت الادوار الوالدية الاولى كثيرا، ما بين الجزائريين والجزائريات، واصبحت الاسر الجديدة اكثر انفتاحا وتوازنا في تقسيم الادوار، بحيث يشارك الزوج الزوجة الكثير من الانشطة، كما ان الرجل لم تعد تهمه كثيرا مسألة الذكر المسيطر، بقدر المنفعة والشراكة التي تحققها(المعيل/الشريك).

ان القوانين الاسرية الاوروبية او الالمانية لعبت دورا بارزا في تقويض الهيمنة الابوية والتسلط الذكوري، بحيث يضطر الذكور كثيرا الى القبول بما تمليه هذه السياسات الاجتماعية، الا انهم على المستوى النفسي والاجتماعي يخزنون بعضا من مورثاتهم الثقافية الذكورية الاولى وينتظرون لحظات العودة للتنفيس عنها، اذكر مرة زوجان من فرندة الرجل هاجر الى المانيا ثم كندا وتزوج بنت خالته واخذها معه الى امريكا هدها قائلا " كي نوصلو لذراير زرقك؟" هكذا اخبرت أبويها هاربة من المطار اليهما.

هناك محطات زمنية وثقافية مهمة يتبين فيها الجندر أنه اكثر اداء، واستعراضا بالاخص مرحلة العبور و ثم الوصول والعودة، يحاولون أيضا تجهيز انفسهم وابرار تلك التصورات عن الغرب الاوروبي، هذه الحالة اكثر تتكرا لبعضهم واكثر ترحيبا بالغير المختلف، تماما لكن ما يلبث ان يزول هذا التتكر، مع رحلة الوصول والبحث عن الاستقرار والعمل، تعود فيه الانثى باحثة عن الفحل والرجل، لانها عبرت بقولها: "كرهتونا في الرجال" الكيراتين والبروتين" ويعود هو بحثا عن المرأة العربية الفحلة "بنت البلاد" وفي الحقيقة الاجتماعية الوضع ليس بهذا التباين فهناك اختلاط وفقدان لهذه المعايير والقيم.

يهاب الرجال (البيض) الجزائريين، الاجانب الافارقة(السود)، وهذه نظرة مكتسبة من المجتمع المقيمين به، هذه نظرة عنصرية تجاه السود، فمثلا: طلاق احدي زوجات شاب من تيارت من ابنت عمته التي ذكرتها سابقا خانته مع رجل اسود: "عشت معاها خمس سنين وجبنا خمس ولاد واسلمت وتعلمت كل شئ الى ان فاجئتني براجل "كحل" في فراشي...، فطلقتها.. يخبر امه"، - بالنوع والعرق -، يدرك البيض ان السود اقوى منهم بدنيا، سواء في العمل او الرياضة او العلاقة الجنسية، فيمنعون بناتهم وازواجهم من التقرب منهم، والذكور البيض يفضلون السودوات في العلاقات العابرة، لان هناك تصورا جنساني متوارث ومتناقل انهم غير قنوعات في العلاقات الجنسية، والرجل الابيض غير كفى، اذن النتيجة متعلقة بالنوع والعرق والجنسانية وبالضبط مستوى التحكم والسلطة .

اننا حقيقة نعيش واقعا غير معرض للفحص والتحقق، حول قضية السود الافارقة والجزائريين، يوجد منظور دوني ضدهم، كما ان هناك حسا عنصريا وواقع عنيف تجاه السود، يمس حتى محاولات اغتصابهم ومساومتهم واستغلالهم جنسيا، من حيث الممارسات المثلية، خاصة المهاجرون الحارقة العابرون للحدود الافريقية، كما سبق وان ذكرت في المتن قصة الثلاثة من السراليون بادرار، هذا الإحتياط والاختزان الثقافي والسلوكي تجاه السود، يصور المرأة السوداء

شبكة والرجل الاسود بشهوة وفحولة غير محدودة، وفي ذات الوقت يرفض الجزائري المعاملة العرقية والعنصرية من الرجل او المرأة الالمانية، وفي الخطابات الايدويولوجية والسياسية وداخل الحياة اليومية(النوع، العرق، الطبقة، الجنسية).

هناك ايضا جانب يخفف من وطاة هذا الاحتقان العنصري هو: "المشترك الديني" في بلاد المهجر يرى الجزائريون كغيرهم قبول الصلاة خلف امام اسود، او من غير جنسيتهم، لانهم يشتركون المهجر والدين الاسلامي.

تعتبر الاناث ايضا ان الرجل الجزائري الحراق اكثر ثقة من غيره، كونه خاطر بنفسه وهذه المخاطرة تحسب له وتعزز من رغبة الجزائرية من الاقتران به والاعتماد عليه في حين الاخرون تحوم حولهم شكوك عدم المقدرة على الاستقرار الطويل المدى(البعد الخامس 1991 التوجه طويل المدى مقابل قصير المدى هوفستيد).

ان الادوار الجندرية عبر المهجر ذات علاقة متقاطعة مع المسافات الاجتماعية الاربع، يسعى المهاجرون إلى ملاحظة يوميات الالمان، وما يحبونه وينزعجون منه، هذه المسافات التي يدركونها من خلال الاحتكاك والتواصل اليومي، فاللغة الالمانية تعد ابرز عنصر مهم في التواصل وادراك نوع ومدى كل مسافة، فمفتاح التكيف والتعايش هو ادراك اللغة والذهنية الالمانية(المسافات الاربع هول والبعد الثاني تجنب الغموض او المخاطرة والتأكد هوفستيد).

يفضل المهاجرون تعليم ابنائهم القيم الاسلامية، وتعلم اللغة العربية والدارجة وتحفيظهم القرآن والذهاب الى المساجد، إن النتائج المتقاطعة بين النوع والطبقة والعرق تختلف ما بين الجنسين، وتختلف معها الآثار الجندرية المنتظمة والغير المنتظمة، حاملة معها تحولات وتغيرات(البعد الثالث المبادرة الفردية مقابل الجماعية هوفستيد)، مع كل المسافات والابعاد الثقافية.الجدول الاحصائي رقم(17): معدل ارتباط المتغيرات فيما بينها لتفسير المنهج والنظرية المتبعة في الدراسة .

معامل الارتباط سبيرمان للمتغيرات

		الجنس	السن	الحالة العائلية	الحالة المهنية	فترة الهجرة	
Rho de Spearman	الجنس	قيمة سبيرمان	1,000	,210	-,050	,351	,004
		Sig.القيمة الاحتمالية)	.	,098	,696	,005	,973
	قيمة سبيرمان	63	63	63	63	63	63
	السن	قيمة سبيرمان	,210	1,000	-,289	,488	-,379
		Sig.القيمة الاحتمالية)	,098	.	,021	,000	,002
	قيمة سبيرمان	63	63	63	63	63	63
	الحالة العائلية	قيمة سبيرمان	-,050	-,289	1,000	-,206	,056
		Sig.القيمة الاحتمالية)	,696	,021	.	,106	,664
	قيمة سبيرمان	63	63	63	63	63	63
	الحالة المهنية	قيمة سبيرمان	,351	,488	-,206	1,000	-,136
		Sig.القيمة الاحتمالية)	,005	,000	,106	.	,290
	قيمة سبيرمان	63	63	63	63	63	63

فترة الهجرة	قيمة سبيرمان	,004	-,379**	,056	-,136	1,000
	Sig. القيمة الاحتمالية)	,973	,002	,664	,290	.
	قيمة سبيرمان	63	63	63	63	63

** . La corrélation est significative au niveau 0.01 (bilatéral).

* . La corrélation est significative au niveau 0.05 (bilatéral).

يوضح هذا الجدول قيمة ذات دلالة احصائية مهمة بين المتغيرات الخماسية للدراسة بحيث شكل متغير السن مع الحالة المهنية القيمة الاعلى ب0.488** عند مستوى الدلالة لقيمة معنوية ب0.01 والقيمة الاحتمالية المسجلة ب0.000، ثم تليها العلاقة بين فترة الهجرة والسن بقيمة -0.379** عند قيمة معنوية 0.01 بمستوى قيمة احتمالية بنسبة 0.002، ثم تليها العلاقة بين الحالة المهنية و الجنس بقيمة 0.351** عند درجة معنوية 0.01 بقيمة احتمالية 0.005 وما بين السن والحالة العائلية بقيمة -0.289* عند درجة معنوية 0.05 وقيمة احتمالية بقيمة 0.021 .

التحليل والتفسير:

ان العلاقة الارتباطية بين قيم المتغيرات لمعدل سبيرمان والقيمة الاحتمالية توضح اعلى درجة لعلاقة السن بالحالة المهنية والحالة العائلية وفترة الهجرة، بثلاث متغيرات مرتبطين بالسن ثم يليها الجنس والحالة المهنية بمتغير واحد فيما بينهم، ما يعني ان هذه المتغيرات مهمة في دراسة النوع الاجتماعي لما له علاقة بمحاور الجنس والعمر والطبقة الاجتماعية بالإضافة الى فترة الهجرة.

يميل الجنسين الى تغليب لعب الادوار المساعدة على عيش الحياة، ورفض اي فكرة او عادة تقوض شعورهم بالنقص او الصراع فيما بينهم، لقد فهم هؤلاء الشباب سواء عبر الهجرة او من خلال التغيرات والتحويلات الحاصلة، انهم مطالبون بانجاز مشاريع واهداف حياتهم وترك الجيل الاول يصارع لاجل الالتحاق او النفاذ.

العقل الجمعي الذي لم يقدم ادنى حلول لربط علاقاتهم، ونسجها بالشكل الذي يؤمن وجودهم وحاجياتهم النفسية والاجتماعية، جعل هذا الجيل من الشباب اكثر تناميا مع الخبرة والتجربة الذاتية (fulfilling experience)، من كونه متمسكا بهوية مكتسبة (Hard identity) جاهزة، مسألة الهوية هي مجرد استعراض في الحياة اليومية، لتمير اهدافهم بسهولة، جيل الشباب اليوم من منطقة تيارت على توافق اكثر، مع فكرة فن العيش واسلوب حياة سلس (self fulfilling) ، جعله في الاخير المهاجر العائد لا يشعر بالاغتراب او الضياع، بل بكونه منسجما اكثر مع التغيرات الحاصلة ومن خلال محصلات علاقاته (fulfilling Relationships).

تبقى المدن المجاورة تصارع امكانات التكيف مع الحداثة والعولمة، وفحص مقدراتها وقيمتها وبين تلك المكتسبات والمعايير المعتاد عليها من العقل الجمعي، اما الريف والقرى تلك النواة الصلبة-(نقطة التغذية الراجعة feedback التي تريف المدينة، وتخلق ذلك الصراع والتنافس

والتفاوت الجندي)- التي ما زالت الى اليوم تحتفظ بشكل من الفروق والتميز والهيمنة الذكورية والابوية، بالرغم من ان هذه المناطق شهدت هجرات كثيرة، لكن اغلب شبابها لا يرجعون اليها نهائيا.

ب-تعليقات حسب الاشكالية والفرضيات

-هل الهجرة اليوم مجرد انتقال من ضفة إلى أخرى؟.

توضح الدراسة ان ظاهرة الهجرة متشعبة ومتداخلة العوامل والتأثيرات والأسباب، إلا انه يمكن ان الهجرة ليست حركة انتشار في اتجاه واحد وخطي، بل الكثير من المواقف والسلوكات والمنجزات والتشكلات الاجتماعية والثقافية، تشير الى أنها ليست مجرد عملية تنقل من والى، او عبر مكان وزمان ما، بل ان المجتمعات والافراد اليوم بحالة كثافة من التواصل، هذه الكثافة التي تكون عملية الهجرة أكثر ضغطا وتجسيدا (fulfilling conection) لتلك العلاقات والتواصل فيما بين الافراد والجماعات والشعوب، كما اننا لسنا نحن من نتنقل فحسب، فالعالم يزورنا بشكل زمني سريع وبالثواني لذلك يمكن اعتبارنا كلنا مهاجرون، الهجرة اليوم توجهنا إلى ان منطقنا الاجتماعي يسير بشكل تفاعلي ودائري وفي كل الاتجاهات.

- هل الهجرة تنشأ واقعا آخر من خلال عمليات التواصل الثقافي وفعله؟

نؤكد من خلال هذه الدراسة ان الافراد من خلال التفاعلات والممارسات والسلوكات ينشئون واقعهم وحياتهم المختارة، ويسعون إلى انجازها أكثر مما يضطرون فيه إلى طلب الاعتراف من منظومة ما، لذلك تكون عملية التواصل جوهرًا حقيقًا للثقافة وليس العكس، وقد تبين من خلال الفصول كيف ان التواصل منشأ الثقافة عبر فروعها وفاعليها.

ما ضرورة الاضاعة على الممارسات والتفاعلات المجسنة والمجدرة؟.

ان الضرورة تظهر من خلال ادراك قيمة النوع البشري نفسه، ثم النوع(الجندر) ثم التوسع نحو التنوع الثقافي، تلك الحلقة الفردية والاجتماعية والثقافية التي تكون فيها العلاقات والادوار الذكورة امرا اساسيا لتوليد التواصل، فدون اجراء تعريف لهذا قد يفشل التواصل، كما ان جل المشاكل سواء للمهاجرين او المجتمع المستقبل تكمن في تلك الرؤية الضبابية حول الادوار الذكورية والانثوية، انه عوض ان نشغل انفسنا بالبحث في مقولات جامدة مثل: الاندماج يجب فهم تلك التصورات والتمثلات، فيما بيننا وبين الاخرين، يكون الجندر او الجنسانية امر في غاية الاهمية لما تحمله اهمية المسافات والابعاد الثقافية في شكل تواصل يومي.

-ما هي الممارسات الذكورية والانثوية الثابتة عبر مسار الهجرة والعودة؟-

لا يوجد كثير من الممارسات الثابتة، فلدى الجنس الذكوري نزوع نحو تثبيت التحكم والهيمنة على الاناث، فكثيرا ما نلاحظ في علاقات الزواج اعتباره سيد العصمة، وممارسة بعض اشكال العنف مع بعضهم البعض كمهاجرين او مع الغير واطهار فحولته امام الاناث، و طقوس الختان. اما الاناث فيميلون إلى الاستقرار والزواج والتمسك بالبيت، بالرغم من تحصلهن على مستوى دراسي و كسب وظيفة، إلا انهم يفضلون الارتباط والاستقرار وممارسة اشغال البيت.

وما هي الاستراتيجيات الفردية في التكيف مع تغيرات مواقف سلوكية مختلفة ثقافيا بالأساس؟-

لدى المهاجرين عدة ادوار ومواقف تبين اعتمادهم على تكتيكات واستراتيجيات مختلفة، إلا اننا نؤكد ان هذا هو الطابع الغالب، فيحاولون دوما التقرب والتعرف على ذهنية وعقلية وثقافة أهل البلد المستقبل، والتعلم ثم التقرب وانشاء علاقات تعرفهم بما هو مقبول ومرفوض لدى الغير. اذا فشل هذا التكيكيتيك لدى الذكور في ارتباطهم بالاناث كعلاقة جادة، يلجئون إلى تصدير اهمية دينهم، فيما يلجئ الاناث إلى الكثير من الاستراتيجيات، اولها تغير اجسادهن والعمليات الجراحية التجميلية، بغيت توسيع حظوظ علاقتهن، و فتح لهن افق العيش الارحب. (الجمال والجندر) الاستثمار.

-ماهي الافرازات السلوكية والثقافية بالمهجر التي تؤثر على بنية الادوار الجندرية وتمثلاتها؟-

ان الافرازات السلوكية تختلف عن الممارسات المنمطة، تمس الافرازات الابعاد التي ذكرها "هوفستيد" وتأثيراتها على النوع والتنوع الثقافي، وتبرز قيمة التفاعلات عبر المسافات الاربع في التواصل والتفاعل الاجتماعي "هول"، لا تكون السلوكيات للمهاجرين بمعزل عما يقدمونه عن انفسهم او عن الاخرين، فالباس والتحدث والمواقف تجاه العنف ترسم صورة معينة في كل مرة تتقابل بها الثقافات المختلفة، التي نعرفها عبر الافراد ومن خلال دلالة المعاني للسلوكيات الفردية والجماعية، بالاخص المهاجرين، سواء كذكور او اناث.

تمس الافرازات التأثير المعرفي، وتغيير الصور النمطية واعادة ترتيب الادوار من جديد، وتوليد معاني مختلفة عن الحياة الذكورية والانثوية، هذه الافرازات التي نراجع فيها الهيمنة والابوية والتعنيف والعنصرية والتمييز الجنسي، تمس هذه الافرازات بنية منظومة الجندر، فكلما اعاد الجنسيين ترتيب معاني أكثر توازنا، فيما بينهما تحسن أفق التنوع الثقافي التي تلعب فيه

الاناث الدور البارز، لانهن أكثر مبادرة بسلوكاتهن، فالتنوع لا يتماشى مع السلطة الابوية والهيمنة الذكورية والعنف.

- كيف تمكننا المقاربة الجندرية من فهم عمق آليات تكيف التنوع الثقافي عبر التفاعلات والممارسات اليومية و المتداخلة المسافات؟.

المقاربة الجندرية توضح الكثير من المسائل والفروقات الجنسية والجنسانية، والممارسات والاداءات، ومشاكل الهوية الفردية، والجماعية الثابتة والعبارة عبر مسار الهجرة والتجارب المختلفة، يتعلم المهاجرون هذا بشكل تلقائي ويومي، فيعيدون ترتيب البيت وعلاقتهم الاسرية والشخصية وترتيب مسافاتهم وتقنيات التواصل بناء على فهم ما هم عليه، من المنظومة الجندرية الاولى، ثم إلحاقة فيما بعد، فيتعلمون ذلك ويعرفون ميدان اللعب ويكتشفون ذواتهم وغيرهم ايضا.

المقاربة الجندرية وجندرة مجال الهجرة ميدان خصب للدراسات النفسية والسلوكية والمعرفية (انثربولوجيا الادراك) ونستطيع من خلالها معالجة الفجوة الجندرية والفروق الجنسية ومشاكل التمييز والمساواة بين الجنسين، ان المنظومة ككل تولد ازمات وانشقاكات، ومعاناة للذكور كما الاناث، وان العالم اليوم اشد تكثيفا في افرزته المتعددة الابعاد، فهو ليس عالم مفرد انها عوالم مترامية الاطراف، تكون المقاربة الجندرية وجندرة مجال الهجرة ادراك للافرزات الذكورية والانثوية على انها ذات ابعاد وانعكسات وليس حد واحد فاصل بين الجنسين.

المقاربة الجندرية وجندرة فضاء الهجرة اسلوب مرن يعالج المستوى الجزئي والكلي، ويراعي ابعاد الافرازات، يكون التعايش واستعاب الفرد لذاته وللاخرين اكثر قيمة، من اعتماد مقاربة جوفاء للاندماج، كسابقة او حتمية اجتماعية.

• الفرضيات الرئيسية:

-أسلوب الحياة اليومي في تمثل الجندر(ذكورة وانوثة) والذي ينشئ فيه المهاجر أكيد يختلف عن الذي سيلتحق به فيما بعد، كونه مهاجر او مرشح للهجرة مما سيولد لديه حس المقاومة وذلك بسبب التوقع من الطرفين.

هذه الفرضية المرافقة لرحلة المهاجر وصولا وعودة، تجعلنا نتحقق مما يعيشه عبر مراحل زمنية مهمة من الانطلاق، والعبور والوصول وثم العودة، ان الحالة التي يعيشها المهاجر ليست نزاع الازدواجية، تقف هذه المرحلة كما سبق وعرفنا على المستوى المعرفي والثقافي للجانبين، لاجل التكيف والتعايش، يسهل في ذلك جملة استعراضاتهم اليومية عن ذواتهم، هم منشغلون

أكثر بالاداء أكثر من التمثل للاحتياطي الثقافي، يعبر المهاجر دوما عن حالة من الوسيط المثالي المعالج لوضعيتين ثقافيتين مختلفتين (القواعد والمواد واعاد هيكليتها)، يكون الاجتماعي اشد تلاعبا به من كونه فعل ورد فعل (انظمة الفعل) ضمن حيزه.

اليومي والتوقع والتموقع هي معالجات انية، يحاول فيها الانسان المهاجر التوضع ضمن هذا كله، اليومي هو المفتاح لفهم تلك الادورا الجندرية، الجنسية والعلاقات الاجتماعية، ومعالجة قضايا: الهجرة والهوية والمواطنة والتنوع الثقافي، الهجرة ليست حالة يؤس برهن المهاجرون كذا عن هذا، اليومي مساحة تشغل تفكيرهم وهدف لحياتهم الذاتية أكثر من الحاجة الى صراع على الهوية الجماعية.

اليومي مساحة تعالج فيها التوقعات والاشراطات وبعاد تصحيحها في اليوم أكثر من مرة، إنها ليست حياة تكرر بشكل سلبي بالمهجر، فالمهاجر حقا مستكشف ورحال يعزز ثقافة النيه (مافيزولي)، والهجرة اليوم ظاهرة أكثر ترحالا وغير مستقرة.

التوقع صدمة اولية، يعالج فيها الطرفان الغريبان مواد اشراطاتهما الجسدية والثقافية، والفروقات والحدود والتواصل عبر تلك المسافات، يكون اليومي مساحة اوسع لتبني دلالات ومعاني اخرى تكون السلوكية منحى واضح، في هيكلية حياة اجتماعية وانشاء ثقافة خاصة عبر المهجر (البعد الثالث) بعيدا عن اطروحات الثنائية المتصلبة والمتشائمة، يثبت الشباب اليوم انهم أكثر تجربة واختبارا لحياتهم وعلاقاتهم، فهم شكاكون فيما قدمته لهم ثقافتهم الاولى ومنفتحون على الاخر إنها حقا كما عبر "موران"، حساءات وحوارات ثقافية.

-ظهور المهاجر وتجسده في واقع مغاير مختلف خاصة من ناحية تصورات الجنسانية والذكورية والانثوية يحتم عليه ايجاد طرق وتكتيكات ليتموقع داخل المجتمع الجديد.

ان ما نؤكد من خلال تجربتنا مع هجرة الشباب إلى المانيا، ان حياتهم مليئة بالاحداث المختلفة، فالجنس لم يعد بصيغة الهوية او دور تملية تلك المؤسسات الاجتماعية من عمليات الجمعنة المسجلة في العقل الجمعي، او في ذهن الافراد والذي يمكن ملاحظته من خلال السلوكيات، وانما هو أكثر اداء واستعراضا وترتيبيا، الفرق فقط الذي وجدناه ما بين الاداء والادائية أي الذي ينخرط في النية والرؤية الاجتماعية الكلية وما يقى مجرد استعراض عابر يحتاج إلى قدرة وكثافة تواصلية لتجسيده، المقدره الفعلية للادائية (performativity) او الانجاز (Achievement Gender) وبين الاداء (performance).

الشيء المؤكد ان الجندر اداء وموقف (Atitude) ومنتشارك رسمه وتحقيقه، كل هذا وعبر الحياة اليومية التي تؤكد على وسائل التكتيك والخطط والاستراتيجيات، هي التي تحكم المنطق الاجتماعي الذي يساعدهم في التعارف ودعم التوقع، في شكل تركيب يومي للعلاقات الشخصية او الحميمية او الجنسية، ما يعني ان الادوار الجندرية ترقى الى رغبة الانجاز في الحياة اليومية وتحقيقه (Doing Gender)، لا يسعى الجنسين سواء المهاجرين فيما بينهم او بين اغيارهم الى تحقيق منجزا ما، والزهد في البحث عن اعترافات تغذي احتياطات ثقافية ما، يبقى الاعتراف مسجلا في بعض الحالات لكن يكاد يختفي (Undoing Gender) وتدخلت عوامل جعلت من الثقافات هشة الحدود.

-التجربة المعيشة اليومية ببلاد المهجر تجعل من الجنسين يفقدان حس المقاومة والممانعة والانشداد لادوارهم الاولى فيتبنون تصورات وتمثلات ومواقف جديدة لتساعدهم في ادائهم اليومي داخل ثقافة وحيث اجتماعي مختلف بغية الانخراط السلس في موجة السلوكيات المتوقعة من المجتمع المضيف.

الهجرة تجربة يومية تجعل الواقع الاجتماعي اكثر انبناء من كونه بنية جاهزة، تنشئ فيه الثقافة وتعالج فيه الموارد الثقافية، فقد مكنت الجنسين من تغيير الكثير عبر الهجرة واثناء العودة، الخبرة المشكّلة عبر الهجرة منحت كلا الجنسين تصورا مختلفا، عن ذواتهم وغيرهم، و من خلال لعب الادوار الوالدية، والتخفيف من تلك الامدادات الثقافي الاولى.

ان الاداء الجندري او (المحاكاة الساخرة بتلر) ليست فعلا هداما لما سبق كلية الا بقدر بناء جندري مسجل فيما بينهم، انهم يعززون تجربتهم ويعتنون بها اكثر، انهم ذوات حية.

-عملية الهجرة ومساراتها عبر التداخل الثقافي والعبور الثقافي والبيئية الثقافية في خلق مجتمعا مغاير وعوالم أخرى واقعية ومتخيلة.

هذه الأبعاد الثلاثة لواقع الثقافة اليوم، من خلال التداخل والعبور والعمليات البيئية، تجعلنا منفتحين أكثر على التغيير والتحويلات الاجتماعية الناجمة عن هذه العمليات المتشابكة بين المحلي والكوني، العابر والمستقر، الفردي والجماعي.

تساهم تلك الامزجة الثقافية المتداخلة بجعل من المعرفة الاجتماعية واساليب التشريط في تشكيل هوياتهم وتصوراتهم عن ذواتهم والعالم.

ان الصراع الهوياتي والنتافس على مستوى تحديد المعايير الاجتماعية، واعادة ضبط وسائل واهداف التشريط الاجتماعي للجنس البشري، وضم اداءات فردية منمطة هي مظاهر دون فهم

تلك المقدره والامكانات الثقافية، لمراجعة تلك القوى المعيارية المشكلة للجسد والنوع البشري وهويته، انها مسالة حاسمة تتراجع فيها المعايير من داخلها عبر المتداخل والبيئي والعاير .
القوى المتخيلة في صياغة الذات الثقافية اليوم اكثر مقدره، وذات امكانيات مفتوحة بالاحص عبر الهجرة، تجعل من فكرة المجتمع اكثر ليونة مما كانت عليه، يكون المشهد معززا بقيمة التفاوض في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة، الهدف هو السياق بعينه .
ان الذات والمجتمع والثقافة بناء مشترك بشكل تفاعلي ويومي، بتوتر وتفاوض، على مستوى الابنية والانظمة ووكالة الافراد وتأثيراتهم. تسمح السياقات على ابراز كل هذا.

ج- تحليل الابعاد المتقاطعة

النوع، الطبقة، العرق: هناك علاقة ما بين العمليات المشكلة للجنس والمستوى الاقتصادي والاجتماعي، وكذا العرقي، تتقاطع فيما بينها عبر تجربة الهجرة، بحيث تعزز الامكانية الاقتصادية التحرر ، فكلما كانت الفئة اكثر هشاشة وضعفا من حيث سلم التراتيب الاجتماعية، كلما كان الذكور اكثر هيمنة وتصلبا، ويسعون الى تعويض مقدرتهم الاقتصادية تلك.
اذا اجتمعت الاستقلالية المالية والحرية عبر الهجرة نشهد تحولات عميقة على مستوى التمثلات للذات الفردية والجماعية، يبدو التحول الجندي من خلال الهجرة فعلا اعزلا او استثنائيا لكن يوضح مقدره التفاوض وبث التغيير داخل المنظومة الاجتماعية.
ان الهوية الجنديرية والادوار الجنديرية داخل العائلات المهاجرة المتروجة تتغير ادوارها حسب الوضعية الاجتماعية واحياء السكن، فالمهاجرون الذين اختاروا "هامبورغ و"دوسلدورف وفرانكفورت" ليس هم المهاجرون الذين اختاروا المانيا الشرقية المناطق الشبه حضرية او الريف، هؤلاء اقل تغويا ويحافظون على بعض التراكيب الاولية لبنية الجنس واعادة انتاجها.
ان العرق له اثره من المعادلة الجنديرية داخل منظومتنا او عبر الهجرة ومن خلال المجتمع المستقبل فاذا كانت الانثى اكثر دونية عموما مقابل الذكر وتصارع لاثبات وجودها، فان الانثى الملونة(السوداء) ايضا اقل دونية من دونية الانثى البيضاء، يفصل الجزائريون المهاجرون انفسهم ومعاناتهم العنصرية عن عنصرية السود، المشهد في المهجر لا يحويه البعد الجغرافي كإفريقي بل يفصله المنظور العرقي -الاثنية والاقلية واللون-، تتشابك ايضا الاقلية والاثنية مع الطبقة، تظهر بعض الاثنيات على الاساس الديني، او اللغة، كمهاجرون في احياء مخصصة للمهاجرين، ويفصل بينهم الانتماء للبلد او الطائفة الدينية.

توصم النساء الافريقيات المهاجرات بأنهن عاملات جنس، ولا يقترب المهاجرون الجزائريون منهم كثيرا، إلا في علاقات حميمية عابرة، فلم تسجل الدراسة زيجات فيما بينهم، ان المفارقة الحاصلة ان المهاجرون يشكون من بعض الممارسات العنصرية من الالمان ويمارسون عنصرية ضد الافريقي الاسود عموما، ويرفضون الانضواء تحت ذات الخانة الاثنية او العرقية ويتجنبون السكنى معهم في الاحياء نفسها، لا يمكننا فهم عمليات الهجرة والتحويلات الدينامية دون اعمال النقد المجتمعي والثقافي، لا اعتقد اننا بحاجة الى الاندماج، ان لم نخرط كلية في الحياة اليومية للمهاجرين، ككل في لحظة آنية جامعة لكل هذه الابعاد والتقاطعات التي تحتويها الاشكالية الثقافية .

التصنيف الجامد لمهاجر ومستقبل، اثنيات واقلية، وغيرها لا تمكنا من الواقع، كما لا يمكن نعت الغير الاجنبي الغربي الابيض انه عنصري او اقصائي، بل علينا استوعاب كلية خطاب التهميش والاقصاء، المعتمد على احتياط ثقافي يظهر الى السطح اثناء عملية الهجرة(التعريق والمنظور العرقي)، انه السياق الاجتماعي والثقافي الذي نلاحظ ونراقب ونعيش فيه كل هذا التعقيد والتركيب من الابعاد والعلاقات المتداخلة.

ان علاقة اللون والجنس متجذرة في البنية الثقافية لمجتمعنا، ما يفعله المهاجرون هناك، راجع الى ما وجدوه امامهم وتربوا عليه، من اقصاء وتهميش ووصم ومتخيل اجتماعي وثقافي يضمن عبر السلوكات اليومية والتصورات والتمثيلات الدونية تجاه الذكر الاسود والانثى السوداء، او عبر الزيجات الحاصلة "كحل، باباي، نقريطة".

"ماصبت ما ندير نخرج مع واحد با باي Ba-bay" كحل"، اسود البشرة يعني بالعربية، او عن المهاجرة بارت دات واحد با باي"، او تلك النظرة الدونية الغير طاهرة والغير نظيفة التي يصور فيها الذكر او الانثى السوداء، نحمل هذا في تراثنا الثقافي ونعيد بثه عبر تجربة الهجرة في مفارقة صارخة عن مقولة العنصرية والاقصاء والاستبعاد والتمييز الجنسي.

يظهر اهل المنطقة الترحيب بالمهاجر لكن سلوكاتهم ومواقفهم الحقيقية اثناء المصاهرة تختلف، موضوع الزواج ليس هينا بالنسبة لبعض العائلات حتى تتحقق من تجربة المهاجر، فان كان دخل السجن او طرد من المانيا فانه يتعرض لوصم يحول بينه وبين الاستقرار العائلي: بقولهم خلا لامان ومنجش وهنا ينجح ونعطيه بنتي" "خوه راه في لمان دارله طريق والخدمة ما قعدش... عطاها للنسا والخبطات والمخدرات ناس تروح تخدم وهو راح يفسد". او وصم الاناث ب: خطفاته وهربت" تزوجوا بالحرام" متبرين منها والديها" كما حدث مع المدعوة شهيناز.

-ذكورة وانوثة، ذكورات وانوثات):

الادوار والتصورات والتمثلات والممارسات والسلوكات المبنية على ثنائية الذكورة والانوثة احد اهم المحاور الرئيسة للمعالجة الجندرية للانسان وللبناء الثقافي، لأنها على علاقة ببعده الاستمرارية او الكينونة كوجود جنس ومجنس، بالإضافة الى موضوع الهجرة التي تزيد من حدة الانتقال والتحويلات الحاصلة في رحلة غير مستقرة ومتحولة ومتباعدة، من هنا وهناك تكون القيم والمعايير اكثر عرضة للتغيير والتحول والتحاوور فيما بينها وعبر الاختلاف الثقافي المتنوع.

لا يعزز الجنسين قيما معينة، كما لا يتراجعون كلية عن هذا، فلا هم منخرطون كلية في اللعبة الذكورية والانثوية المفروضة عليهم كما لا يتمثلون او يحاكون وضعا جديدا بسهولة، بل يدركون تلك الفواصل والمسافات ويقرون جيدا ويعرفون ما عليهم تبنيه ورفضه ، هذه العلاقة التي توهمنا في البداية انها معاناة وازدواجية، وهي في الواقع اقرب الى التمتع والتموضع والتحقق من وضعيات سابقة، يعرفون تلك الهيمنة القيمية والمعايير المؤطرة لسلوكاتهم وتواصلهم وتفاعلهم اليومي، فيعيدون ترتيبها واختراق تلك الايديولوجية المهيمنة، واحيانا تكون فرصة لتخريب تلك الهيمنة .

لقد سمحت تجربة الهجرة باختبار القيم، ومراجعتها ونقد المعايير المؤطرة ، وبشكل ايجابي نحو التغيير ومساعدتهم في توضيح اهدافهم والانخراط في معيش يومي وحياتي متناغم، مع كونهم مهاجرون او مع غيرهم(عملية نقد انتاج المعايير عبر سلوكاتهم اليومية وتراجع الانماط الهوياتية القديمة)، لا يقف المهاجرون من الجنسين في انقسام ازدواجي طاحن بقدر تسجيل خبرتهم وتجربتهم ضمن نطاق الوعي بذواتهم وحالتهم، يكون الجندر بناءا مشتركا ومتعلما وبشكل عفوي وتلقائي فيما بينهم وبين غيرهم المختلفون عنهم ثقافيا، الهجرة فرصة لهم ولغيرهم للنقد الاجتماعي الممارس، تكون ممارستهم مرتجلة احيانا لكن تنفس عن التخلي عن بعض القيود التي حالت دون شعورهم بحيوية الحياة المجتمعية.

تصبح الادوار الذكورية والانثوية اكثر تفاوضا ضمن هذا السياق الثقافي والاجتماعي للهجرة ويكون الشكل الاجتماعي المراد عيشه يتطلب دوما اجراء انجازيا ومبادرة فردية متمكنة لاجل ايجاد معايير بديلة تتماشى ومع الحفاظ على قيمة ونوعية الحياة نفسها، الحياة عبر الهجرة يرسمها المهاجرون كاجراء، أكثر من كونها توصل هوياتي للاعتراف الذي لم يشبع حيوية رغبتهم في الحياة.

اعتقد ان مسالة الاستقلالية للجنسين اكثر عمقا من المساواة الجنسية، فلا يمكن الانشغال بمسألة التنمية والمساواة دون التعمق في المبادرة والاستقلالية، التي يبديها المهاجرون حين يقتربون، ينخرطون، يسايرون، ويرفضون كل هذا وذاك، معبريين عن التنافس والصراع، التفرعات والتبرعات الحاصلة، حقيقة الجندر صمام امان لاستمرار النوع البشري بثقافته ومجتمعه، لكن عبر الهجرة يعمل الجنسين على أن الثقافة والمجتمع مسجلان على نحو تواصل مشترك، وما الثقافة والمجتمع الذي نرغب في الحفاظ عليها إلا شكل ومنتج هذا التواصل والتفاعل، بين الذات والثقافة والمجتمع.

الكثير من السلوكات تفشل امام خطوة ضمان الاستقلالية، ويفضلون الابقاء على المشاع والمنتشر حين يقترب الكل من التجارب الجنسية الحرة، هذا الموضوع (المثلية) الذي يثير في المهجر النفور الاقصاء التمييز من الجنسين، ويوصم الجنسين بعضهما بعضا بهذا، يفقد المنظور الجنسي والجندري حيزا من ضمان الاستقلالية في مفارقة بين الحفاظ على استمرارية ثقافة ما وعزل بعض الثقافات الاخرى.

استراتيجية الافعال والسلوكات الجنسانية التي تظهر بفعل تلك التصورات والتمثلات تفشل عبر مبادرة الاستقلالية المشكّلة للجندر هذا وجه المفارقة ما يفتح باب المقاومة من هؤلاء وأولئك.

ارتباط الجسد بالهجرة هو ارتباط عميق يوضح اشكالية الاستقلالية المعيارية (Doing Gender.And Undoing Gender). اعمق بكثير من المساواة تلك التي تطرحها النسوية.

إن المنظومة الجندرية القائمة على ثنائية متسعة الفجوة بين الذكر والانثى لم تعد بذلك الحضور داخل مجتمعنا وبين الجماعات المهاجرة، التي سجلت تجارب وخبرات مختلفة، كشفت عن ازمة في تصور الفحولة والرجولة، وتصور الانوثة والمرآوية والنسوية، يشير المبحوثين الذكور ان مفهوم الرجولة : "كل واحد وكيفاه يفهمه" منهم من يراه: عنف ومنهم من يراه موقف رجولي يسعى الاناث لمساعدتهم: يقول احد المبحوثين المدعو يونس: الزوجة التي تقبل يد زوجها كل صباح وتقول له رضاك والجنة وين نلقاها يا رب: فردت عليه المدعو "سيد احمد": "علاش تحب لك يدك؟ شكون انت الرجولة برة، في العمل في الخدمة في مساعدة الناس وليس ان تكون مستبد في البيت"، توحى هذه المفاهيم والممارسات المختلفة اننا نشهد ادوارا ذكورية مختلفة، لا تمت الى مركزية وهيمنة بالمطلق، ذات الامر لدى الاناث لا يقتصرن على تصور واحد لدورهن وحياتهن، حدث شرخ وانشقاق في التصور الثنائي، وتلك الفروقات والفجوات بين الجنسين على الصعيد العملي والمادي، يمتلك الجنسين مساحة من المشاركة والبناء والتعاون داخل البيت وخارجه اكثر، من

ترقب دور كلاسيكي من "المعيل الاسري"، يسمح الذكور بمساعدات الاناث لهم والانات يرغبن في مشاركة ازواجهن، داخل اطار اسري محترم يقرره الجنسين معا كذوات (Self Empowerment).

لا توجد لعبة ذكرية واحدة او انثوية واحدة داخل الحيز الاجتماعي، هناك ذكورات وانوثات تعالج توجهات مستقبلية متفرعة ومراجعة لكل الازمات الثنائية التي خلقتها المنظومة الجندرية الاولى، نحن نشهد كل الذكورة المفرطة كما نشهد الذكورة الناعمة، نشهد الزوج المتسلط العنيف ونشهد الشريك المتفهم، نشهد المعتز بفحولته وسطوته الرجولية بالعنف، كما نشهد الذي يعتبر المساعدة والتفاهم ومساعدة المرأة من قيم الرجولة، وانه يدافع عنها ويقاوم كل اضطهاد.

شهدنا من النساء الباحثات عن الاستقرار والزواج وانجاب وتربية الابناء والحفاظ على الهوية والادوار التقليدية "زوجي" راجلي"، كما نشهد من الاناث من يبحثون عن معالجات اعق واكثر استقلالية في اختيار حياة مختلفة عن الدور الكلاسيكي، ويهتمن بالعمل والنجاح مع "شريك الحياة"، يحمل مجال الهجرة كل هذه الاطراف لا يمكن بحال من الاحوال اقضاء او تهميش اي علاقة او فكرة او بعد، انها ثقافة هجروية تتشكل في جو المناقشة والتنافس والمراجعة للقيم والمعايير والادوار الجندرية.

الامر المهم والذي وجدناه من خلال التعرض لحيوات المهاجرات والمهاجرون، هو اداء واستعراض وترايب (Doing) في الواقع، و (Gender Entity(being).Quality of (Being)، اي التحقق من المقدرة على كينونة جندرية، هذه المسألة التي تحتاج الى تحقق وتمييز بين استمرارية الاجتماعي وتحقيق المقدرة والامكانية لتغييره، فعبر مسار الهجرة يكون وجودا مجنسنا ومجنذرا.

ان التجربة الوالدية والانجاب والتربية تعتبر من اهم العقبات امام التحولات البنيوية الاجتماعية للجنس (Undone):

يقول احد المبحوثين المهاجرين المدعو اسامة 30 سنة عن نفسه: انا شاب مقيم ابحت عن مرآة صالحة. ردت عليه فتاة المدعوة "ريا" انه فيمينيست: رد قائلا: كي يكون الواحد بكواغطو وفيمينيست يقولو عليه راجل، وكى واحد حاب يتزوج بواحدة عندها كواعط فيمينيست، يقولو عليه طماع". 2022.05.01.21:12. تواصل عبر الفيس بوك.

يقول احد المهاجرين المدعو يونس 33 سنة: "الخطأ الاكبر الذي يمكن للمرء ان يفعله ا وان يقع فيه باروبا هو ان ينجب الاولاد، سيكونون مصدر تعاسة ونقمة، لا يمكن للانسان التخلص

منها بسهولة خصوصا اذا كان الانسان المهاجر قادم من بلد عربي او اسلامي نظرا لتأنيب الضمير الذي يطبع اغلب العرب) 2020.01.11 على 9:15 تواصل عبر وسيلة الفيس بوك. يضيف المهاجر المدعو منصور المقيم بالمانيا 29 سنة: " سوف يحاربونك باولادك عن طريق دمجهم بالمجتمع الالمانى بحيث لا تستطيع ان يكونوا جزء منك ومن ثقافتك بالمختصر الذي الذين هاجروا الى اوروبا باعو اولادهم دون ان يشعروا ... "2020-01-10 على 14:15 تواصل عبر الفيس بوك.

تقول احدى المبحوثات المدعوة رجاء: " انا يقلقوني هنا جماعة حماية الطفولة يهجموا على بنادم لسبب تافه منقدرش تربي ولادك كيما تحب "2020.12.29. تواصل عبر الفيس بوك. -الهجرة، التجربة، الخبرة، تصور الذات والغير، تمثلات وتصورات، تفاعلات يومية المهاجر المغرب، الاجنبي، الازدواجية والصراعات ام الوسيط المثالي.)

ان الهجرة اليوم هي انجاز للذات الشبابية او الثقافة الشبابية، لم تعد قرار مقلد او مجرد فعل اعزل، يفضلون تجربة واختبار ذواتهم ، اختبار مقدرتهم، تجربة اشياء مختلفة وعلاقات مختلفة وثقافات اخرى، يتجاوزون الاطار الاجتماعي المهيكل سواء الى المانيا او غيرها، ضمن اتجاه متزامن مع تصاعد النزعة الذاتية اكثر، تتشكل الذات والثقافة من خلال التجربة الحياتية، الهوية والثقافة هي منجزات الذات اكثر منها محاكاة وتقليد ملزم. الذات تركز على الارتجال والتزامن، لا تتمحي كلية في الثقافة الكلية بل يسعى افرادها الى تدويرها واعادتها في شكل ما دعت "بتلر المحاكاة الساخرة" (Parodies) الغير ملتزمة بمكاسب ثقافية معيارية ثابتة.

عبر الهجرة يعرف المهاجر بذاته ويحاول دوما ابراز الفارق عن تلك الصور المنمطة المصدرة او تلك الصور النمطية عن المهاجرين، يستغرب بعض الالمان من ممارسات المهاجرين المسلمين حين يساعدهم خاصة اثناء حادثة الفيضانات الاخيرة، كيف ساهم العرب والمسلمون المقيمون في توفير المساعدة للالمان، ليس هذا وحسب، بل تفعيل خبرات بعض المهندسين العرب المسلمين الذين تتلمذوا هناك وبجامعات، استغرب الالمان من هذه المبادرة لدى المهاجرين، لا يقصدون ذلك الا بقدر رد الجميل والتفاعل بعفوية .

- "الهنا او هناك"، "الهنا وهناك" كيتا وكامي-، ذات وذوات متواصلة، الاخر والغير، الغريب والمالوف، الهجنة والمختلط، التابع والقائد، التكيف والاستيعاب، الاستخلاف والتوازن.

الهجرة اليوم تسجل على مدى ابعاد مختلطة (Mixed Migration)، علينا الانتباه الى ضرورة الاعتناء بالمفهوم والمنهج او المقاربة التقاطعية لعدة دلالات، فعبر الهجرة نكتشف حس الغرابة

المختلف من الناحية الانثروبولوجية و الاثنولوجية عن تلك النظرة في اتجاه واحد خطي، من الرجل الابيض المتحضر الى الرجل القاصر البدائي، الغرائبية حس يزج به المهاجر عبر ظاهرة الهجرة في تجربة مختلفة، قد يتحول الساكن او المقيم في بلده الى الغريب وموضوع بحث واستكشاف، ومحاولة للفهم من غريب آخر مهاجر، الألفة، (الاناسة، الانسنة) نتيجة يحققها كلاهما عن طريق المعرفة المحصلة، فالبحوث العكسية والانثروبولوجية النقدية توضح هذه الحقيقة الاجتماعية والثقافية بين الغريب، والمألوف.

يسعى المهاجرون او تلك المجتمعات التي خاضت تجربة الهجرة الى العناية بالاطروحة الاندماجية، بل يسعون الى العناية بالتكيف والاستعاب، لانها علاقة تمس الطرفين في لحظة اللقاء والتواصل، المتعلقة بالاستخلاف (Succession) والتوازن (Equilibre) التشكل الثقافي هذا يساهم في التغيير الاجتماعي.

انها عملية استخلاف واداء وانجاز، يشغل المهاجرون العرب المسلمون في المانيا عدة ادوار وصلت الى المستوى السياسي التنظيمي والمنظمات الحقوقية الدولية، يسعى المهاجرون الى الاستفادة من المناخ السياسي والاجتماعي، لم يعد الطموح في المانيا مجرد عمل واستقرار وحسب، بل هناك عمليات متداخلة بين التابع والقائد، انه خطاب اجتماعي نقدي شامل، حقيقة لم تصل بنات تيارت الى هذا ولم أسجله إلا أنني ألاحظ تغير وجه الهجرة عموما خاصة في التجربة الالمانية.

عملية الاستخلاف والتوازن التي اشار اليها "بارك" اعرق من الاندماج، انها رؤية مبنية على واقع دعم ابعاد التنوع وعلاقات الاستيعاب والتاقل.

-الفعل الثقافي، المجال الثقافي، الابعاد الثقافية المتعددة، دينامكية التنوع الثقافي المحلي، الكوني، الكريولي).

منذ لحظة التفكير والاقلاع تعد الهجرة فعلا ثقافيا واجتماعيا له اثره على المهاجر ومجتمعه عبر الازمنة والامكنة المختلفة، تكون عبر عملية الهجرة اكثر امتزاجا واختلاطا، اي كريولية، يساهم الافراد من خلال فعل الهجرة الى تعزيز هذه القيمة.

توسعت القدرة الحضرية من سكنى الانسان والمهاجرين، واختلفت معها المثيرات (Stimulations) وتأثيرها على المجال الثقافي، لتثبت انها ليست معازل ثقافية او اجتماعية، بل انها مساهمات فاعلة.

ان المهاجرين لا يعيشون حالة من الاغتراب والاستلاب بشكل مزمن، الا بالقدر الذي يحاولون فيه حمل واعداد بث الحس المحلي عبر الكوني ، ومن مجتمع الى آخر، عبر لغتهم وممارساته وطقوسهم او تشجيعهم لفريقهم الكوروي، او لنصال سياسي او اجتماعي معين.

ان المقدرة والامكانية هي الهدف الاساسي لبلوغ التأثير في اي مجتمع يحله المهاجرون، يمكن القول ان التنوع يعتمد على اغناء هذه الحلقة من التواصل والتفاعل أكثر ما بين جموع التواصل ، هذه القضية الاساسية للتنوع الدينامي وابعاده الثقافية،امكانية تفعيله وليس مجرد ادراجه في خانة تصنيفية اجتماعية او سياسية،كعملية انتقائية تمييزية.

الكرىولية مفتاح مهم لادراك قيمة التفتح والتدفق الثقافي والسيولة الثقافية الحاصلة في الوقائع الاجتماعية، انه ليس تبشير عولمي كوني ايجابي ، بل انه واقع يمتزج فيه المحلي بالكوني بصورة مختلطة، كيف نفسر ادوار المسلم الالمانى وهو يحث الجالية الجزائرية على الصلاة؟ كيف نفسر النساء الالمانيا او الاوروبيات المشاركات في حرب داعش الخارجات من الحانات الليلية والحرية الجنسية الى داعش؟، كيف نفسر تعنيف الالمانى للمسلم ولا يبالي اكان المانيا او عربيا؟، كيف نفسر الدفاع عن الجنسية والهوية الالمانية من قبل العرب المهاجرين؟، كيف نفسر ذلك الحس الديمقراطي العربى الالمانى تجاه الالمان المتعصبون والقوميون؟ يجب المهاجرون:

" الديمقراطية ليست دعوة الى المائدة البيضاء والمساهمة في صناعة او بناء طاولة يعرفونها" ان الهوية والثقافة والدولة والمجتمع يبنى من تفعيل التنوع الثقافى اولا ثم مراقبة وفهم ما يجري من التداخل ما بين المحلي والكونى والكرىولى، لم تكن الهجرة اليوم الا تعبير عن هذا الترحال ما بينهما ذهابا وايابا على الاقل في سلوكات وتصرفات المهاجرين.

ان المهاجر المتزوج بالمانية، يتواصل بشكل محلي كوني، انه مشهد تتداخل فيه السلوكات والتصورات والمنجزات الذاتية والاجتماعية، وتشكل لوقائع اجتماعية، يساهم فيها الانواع المختلفة قيما ومعياريا وتصورا اهدافا ذاتية وتربوية، ومؤسسة وقانونية، مشهد يوضح اننا لا نتعامل لكسبه وقبوله ، بل اختلاط يسعى الى الانتظام في سياقات اجتماعية وثقافية مختلفة وليس مجرد الاقرار بنظام او شكل تنظيمي بذاته، يوجد زواج مختلط كما يوجد ابناء مسلمون ولغة عربية مع الالمانية، يوجد تدريس القرآن وتدریس فنون اخرى غربية او اوربية، يوجد تعريف بالثقافة المحلية وادراجها في المطبخ كما يوجد قبول بثقافة المطبخ الاوروبى للعائلة المهاجرة.

الكريبولية مفتاح مهم للدراسات الأنثروبولوجية المعاصرة لما تعنى بالأدلة اللغوية والسلوكية والنقد الاجتماعي، فالتعدد والامتزاج هو الواقع الاجتماعي الذي تحتزنه كل ذات ويفعه الافراد عبر حراكهم الاجتماعي "فاعلون خارج الدولة او من دون دولة".

-الثقافة، المجتمع، الفرد، النوع (البشري البيولوجي)، النوع (الجنس)، التنوع الثقافي، الفرد الوكيل والمجتمع المتخيل، والثقافة المختلطة).

لسنا فقط من نهاجر الى العالم، العالم يهاجر الينا داخلا وخارجا دون استئذان، وفي عمق ادراكنا ومعيشنا اليومي، لم يعد العالم منقسما فيما بيننا وبينه، بل هو تشكل اجتماعي وثقافي مشترك وفوري، وما نقوم به في وقائعنا الاجتماعية تعزيزات لسياقات مختلفة اكثر من كيان اجتماعي صنمي احادي منتهى التشكل.

المهاجر اليوم يمكنني ان ادعو ما يقوم بـ: zapping،متقلبا هنا وهناك رحالة وفي تيه، يوضح هذا اسلوب المعيش اليومي الذي يعبر عنه المهاجرون، من المهم ان ندرك ما اشرفنا اليه لفهم البعد البيولوجي والثقافي والاجتماعي من "النوع البشري" و"النوع الجنس" والتنوع الثقافي، تفاعلاتنا تواصلنا علاقتنا واثرتنا وتأثيرنا عبر هذه الابعاد المتداخلة بين البيولوجي والاجتماعي والثقافي.

الهجرة والعبور والتدفق في ثقافات وقوالب مختلفة، مشكلا ومتشكلا في آن واحد، نتاثر بكثير من العوامل والابعاد التي تشكل سلوكنا وتصوراتنا وتمثالاتنا في الاخير، تتغير ملامح الجسد والملبس والماكل، تدخل عادات وممارسات مختلفة، يكون الجسد الوجه النشط للفعل الثقافي، ويكون الجنس الوجه الكينوني المعنوي والقيمي والمعياري ليعالج تلك الاختلافات الطارئة والمتغيرة بشكل حقا ديناميكي لتنوع الحياة الاجتماعية والثقافية نفسها، بعيدا عن اي صراع ثنوي بين الدور والهوية، بين البنية والوظيفة بين ثقافتين ومجتمعين وتقاطب بين حدين يزوج بالمهاجر في نظرة بانسة ازدواجية.

د-مناقشة النتائج

1- المنهجية المتعددة العوامل والاسباب والابعاد /منهجية محددة ومصغرة.

نتير الدراسة والاسلوب الذي اتبعته عدة اسئلة، كما أنها كثيرة الشعب والتداخل بين عدة محاور وابعاد وعوامل واسباب، يفضل بعض الباحثين وعلماء المنهجية الاجتماعية الاعتماد على التحديد في اختيار الموضوع، فهذا صحيح على المستوى المنهجي، لكن هناك مواضيع لا

يمكن ان تتساق وراء هذا الراي المنهجي، فهناك اراء اكثر سعة وبتربيع على ذلك المحتوى الاثنوغرافي والاثنولوجي.

اعتقد من خلال هذه الدراسة ان طبيعة العوامل المتباعدة والمتعددة والمعقدة اكثر طلبا للتركيب منها الى الفرز والتضييق المنهجي، نخرج احيانا من دقة التحديد الى التضييق، حاولنا من خلال الدراسة الموازنة بين مطلب التحديد والتوضيح دون الحشو والاستعراض الفكري، يتطلب الموضوع ومتغيراته العناية بالابعاد والمنهجية المتعددة للفهم اكثر، ومعالجة تلك الافرازات لدى المهاجرين دون اهمال اي مطلب او مبحث نظري يعزز هذا، سواء كلاسيكيا علم الاجتماع او المنجزات المعاصرة والمتقدمة، هذه النقطة التي حاولت ابرازها ووضعها قيد المناقشة والبحث.

2- محور الثنائية النظرية والمنهجية والمخرج الثالث (البعد الثالث).

ان الجسد والجنس، الثقافة والهجرة، بين الفعل والسلوك، والقيم والمعايير، عملية متداخلة والاهم ان ندرك اننا نبغي من خلال جنسرة الانسان، هذا النوع البشري هو ضمان السيرورة الثقافية والاجتماعية في الاخير، عبر سلسلة من الاشرطات والتوقعات المتبادلة، حاولنا التعرض الى العلاقة السوسيولوجية بين الذات والموضوع، بين المجتمع والفرد، وبين جموع الثقافات وبين تعدد الثقافات وتنوعها، بين العقل البنيوي الاحادي للثقافة، وبين التنوع المندرج في الواحد ذاته. حاولنا الاضاءة على هذه الرؤية الثنائية التي تحكم العقل التحليلي والتفسيري لعلم الاجتماع والانثروبولوجيا، متشعبين بين الاصاله والمعاصرة، بين المادي والغير المادي بين المحلي والكوني، الذاتي والموضوعي، الحتمي والمتغير، اعتقد من الواضح العناية بالاشارة المقدمة من كل: "جون ابادوري" و"زيخمونت باومان" و"ادغار موران" و"جيمس كليفورد" و"ماركيوز" وما تفرزه البحوث المتقدمة في السوسيولوجيا والانثروبولوجيا والاثنوغرافيا المعاصرة والعناية بالمخرجات المنهجية والبحثية التي تحت بالبحث في المركب السلوكي على اكثر من مستوى . من السهل ان نتبني فكرة الازدواجية والانسياق وراء صورة من المعاناة التي يعيشها المهاجرون بين صفتين او ثقافتين، و ان نعم تجربة مهاجرين بفرنسا على باقي التجارب الاخرى، كوننا متحققين من المادة المعرفية والمفهومية، إلا انه وجب التمييز كما وضحنا بين النظرة الثنائية او الازدواجية التي اقراها غيدنز في التدقيق المفهومي للدراسة السوسيولوجية والظواهر الاجتماعية، كما انني اعزز ضرورة التمييز بين المحاكاة (دوركايم)، او التقليد الاعمى للفرد فالمحاكاة

الساخرة التي اقترت بها (بنلر) كشفت الاساليب التكتيكية التي يبرزها الفاعلون الاجتماعيون بسلاسة.

3- النظرة السلبية للمهاجر: اغتراب، استلاب، ازدواجية، تمزق، اندماج، ادماج/في مقابل عبور، ترحال، تيه، انجاز، الذات، استيعاب، تكيف، الوسيط المثالي.

لاحظنا من خلال الدراسات والاطروحات حول الهجرة، انها سجلت على اساس نظرة تشاؤمية وسلبية وتزج بجميع خبرات وتجارب المهاجرين في خندق واحدا، وحجب تجارب أخرى، فاعلم الباحثين يرتكزون على الرؤية الازدواجية، تعبيرا عن احتياط ثقافي متأزم، يعيش مأزقا الانقسام الهوي، اكثر منه بلوغ المسألة الثقافية المعاصر، دون حياد منهجي تجاه ظاهرة الهجرة، التي كانت اختراع انساني لتسريع التغيير وادراك تجارب اوسع ضمن افق ثقافي ارحب.

ما يحصل داخل مجتمعنا غير بعيد عن اوربا، نحن منطقة عبور وتصدير للهجرة، فطبيعة سلوكياتنا ومواقفنا هناك مخزنة هنا، ونمارسها بشكل يومي مع المهاجرين، وتصوراتنا عن الهجرة تحتاج الى نقد ثقافي واجتماعي.

الانسان المهاجر ليس استثناءا انه تعبيري وجودي عن الانسان ذاته الذي يبحث ويخترع دوما امكانات التكيف والتوسط بينه وبين العالم.

4- الهجرة في اتجاه واحد، الثقافة والمجتمع في اتجاه خطي واحد، الهوية، الامن مجتمعي، التعددية الثقافية، سياسة الهوية،/ في مقابل: الهجرة المختلطة، تداخل اثنيات واقلية، مختلفة التواصل الثقافي.

الهجرة ليست حركة في اتجاه واحد، او حكر على الذكور دون الاناث، ليست تعبيرا عن هوية بذاتها طالبة الاعتراف او الاندماج وتعلمه، هذه نظرة كلاسيكية كانت في مرحلة ما، حين نتعرض الى ظاهرة الهجرة او النازحين واللاجئين والمهاجرين الغير شرعيين، علينا التنبه الى ان سياسات والهوية والهجرة كمخطط استعجالي لا يمكن التعويل عليه لاحتواء ظاهرة عالمية عابرة، بالاخص دول الحوض المتوسط و خصوصية القرب الثقافي والجغرافي المتباين.

بناء حياة مشتركة، اهم من الامن المجتمعي، التنوع الثقافي والاختلاف اهم من التعددية، ان بناء المجتمع التعدد هو المطلوب والنهج الذي نحتاجه جميعنا كبلدان مصدرة للهجرة او كمناطق عبور.

ه-مخرجات الدراسة

-العناية بعلم الجندر والدراسات الجندرية، سواء كمواد تدريس بالجامعة على جميع الحقول المعرفية والتخصصات .

-من الضروري التعجيل ان يكون موضوع الجندر، مشروع بحث وطني لأنه أحد أهم الأسس البحثية والنقدية لطبيعة الثقافة والتراكيب المجتمعية لدينا، غالبا ما تكون المشاكل او الظواهر الاجتماعية على ارتباط مباشر بالجندر.

-ضرورة العناية بالمنهج التقاطعي، والمفهوم التقاطعي، والنظرية التقاطعية، واي مقارنة تعنى بتعدد الابعاد والعوامل المختلفة والمتداخلة، بالأخص في دراسة الهجرة وكذا العلوم الاجتماعية المتخصصة في البحوث الجندرية والجنسانية ككل.

-ضرورة التحرر من النظرة الثنائية المتخذة في البحوث السوسيولوجية، والعناية بالواقع المختلط والهجين والعاير، الذي يفرض نفسه علينا كباحثين.

-من المخارج التي رايتها مهمة بدراسة الهجرة هي الهجرة الافتراضية(الفضاء السيبراني، السايبورغ، الجائحة.Covid.19)، والهجرة المختلطة كأفق بحثي موسع، الذي أصبح فيه الإنسان، الجسد، الهويات أكثر انعكاسا عبر عدة ابعاد، هذا الانسان الذي يسبح بعدة اوجه محتسبا عدة ثقافات، ومعبرا وممارسا ومتفاعلا مع كلياتها واجزائها.

ضرورة الاعتناء بالهجرة العكسية، بحثا ونقدا للذات ولمجتمعنا ومعاملتنا مع المهاجرين الافارقة(الجندر، اللون) سواء كنازحين، لاجئين او مهاجرين عابرين الى اوروبا.

الخاتمة

مالذي نريده من هذه الدراسة؟، وهل تحققت افتراضاتنا وتوافقت نتائجها واتضح المراد من الجمع بين ثلاث محاور - (الجندر، الهجرة، التنوع الثقافي) - في البحوث الاجتماعية؟، إن هذه الدراسة قد عنيت بمنطقة تجتمع فيها الكثير من التناقضات وتفرعت فيها جملة من الأبعاد، ذات الصلة بما هو قديم وحديث، ما هو أصيل وحداثي، فأغلب مدن و أرياف المجتمع الجزائري تتصف بهذا، لأنه مجتمع حديث ومثلي بكل قوة التدفقات الثقافية الخارجية، بالإضافة إلى أن مكونه اللغوي والثقافي، المادي واللامادي شديد التنوع.

الجندر من بين المواضيع والمفاهيم المعاصرة الغير منجزة، فهو مفتوح على عدة احتمالات واشكالات مركبة ومتداخلة، بالإضافة إلى أنه مازال موضوعا حساسا، ويثير الجدل في الأوساط العلمية.

مازلنا كباحثين لم نستوفي الصورة الكلية لهذا المفهوم، بالإضافة إلى أننا لم نعنى كفاية حول التعرّف على مكونات منظومتنا الجندرية، وتتطوراتها ومراحل تغيّرها، بالإضافة إلى تلك الممارسات الجنسية التي تعد "طابو" ومن الصعب والتعرض لها، نحن نعلم إنها موجودة لكن ما زال هناك غياب لجرأة البحث في كل مواضيع الجندرية، كما أننا بحاجة إلى **قاموس جندري** يخصنا سواء كبلد إفريقي، أو منطقة أمازيغية، أو مجتمع ممزوج الأعراق والثقافات واللغات واللهجات، وكل الأساطير والميثولوجيات والفلكور، وغيرها من المظاهر الأنثروبولوجية والاثنوغرافية والاثنولوجية للجندر، فنحن نتعرض للجندر فقط كمصطلح أو نأخذ جزئية للمعالجة، وفي الحقيقة نرى أنه أوسع من ذلك في **تقاطعاته**، إذ الجندر على صلة بالجنسين وأكثر وعلى علاقة وطيدة بالثقافة، وهو ضامن ومؤهّلها للبقاء والإستمرارية، إذ يشكّل كلية المعايير والقيم، ومؤثر على التصورات والتمثلات والسلوكيات الإجرائية اليومية، والممارسات بين ما هو منمط وما هو مرتب، وعبر تراكيب معقدة تعقيد الحياة الاجتماعية نفسها.

الجندر علم إجتماعي وثقافي مهم، ويمنحنا التعرية الكافية **للخطاب الاجتماعي المجسد**، فالتعرض له مهمة نقدية إجتماعية بالأساس، تكمن الأهمية من خلال الدراسة كما وضحنا أنه منطلق **بيولوجي-اجتماعي-وثقافي**، يعني أن تلك المعطيات البيولوجية وتحولاتها المبرمجة عبر أسس معيارية وقيمية إجتماعية معينة، تشكّل هوية الإنسان بمجتمعه، عبر التفاعل والتواصل، فكلما كانت المنظومة الإشرافية أكثر ليونة فيما يختاره الفاعلون الإجتماعيون وما يتفاعلون فيه وبه وعبره، فإننا نعزيز قيمة التنوع الثقافي الدينامي في الأخير، كما أن التنوع يثبت أن الجندر ليس معطى واحد في إتجاه خطي، بل هو مجموع معطيات مختلفة، بين الأفراد والمجتمعات والثقافات، والممارسات والسلوكيات التي ينحو نحوها الجنسين (بناء مشترك). يسعى الفاعلون أنفسهم عبر الهجرة، إلى إدراك وإستيعاب هذا بوعي وتكتيك لخوض غمار النزاعات المعيارية والثقافية تلقائياً، مفضلين التعبير عن ذاتهم من خلال خبراتهم، يراجع المهاجرون مع غيرهم من أبناء المجتمع المستقبل، في شكل نقدي ممارس تجاه مكتسباتهم الجندرية و منظومتهم الثقافية الأم، الهجرة أو فعل الهجرة ومجاله وثقافته ككل، فرصة وليست مجرد معاناة، فهي/فهو تعبير عن التغيير والتحول في العمق.

الجندر والهجرة والتنوع محاور عميقة بالأساس في تجاوز أطروحة الاندماج أو الإدماج أو الإدراج، نحو العناية **بالوعي والسلوك والتواصل**، إذ المشهد الثقافي عموماً وعبر الهجرة وضح لنا أننا بحاجة إلى **الاستيعاب والتكيف واحتضان المثيرات المتشعبة**، لكل الأشكال

الإجتماعية والتدفقات الثقافية، يفرض عالما المعاصر رؤية عوالمه وفهمها لا مجرد منطق عالم واحد خطي نسير فيه أو نسعى لتكراره.

إن أفراد منطقة "تيارت" كما المجتمع الجزائري، يتجه نحو التغيير، من الإنغلاق والخشونة، إلى الانفتاح والنعومة، من التستر الجنسي، إلى التعبير عن بعض المكبوتات الجنسية والرغبات، التي كانت أحيانا تؤدي بصاحبها ليس إلى مجرد الوصم أو الاقصاء، بل أحيانا القتل (عنف التمييز، التصفية الجسدية)، ما نوّكده يوجد تغوّ، ليس بالشكل النهائي والكلي للتحوّل الاجتماعي، لكن هناك تغوّ، السمة المميزة لهذا التغوّ هو بروز آليات وتكتيكات محاكاة ساخرة، معلنة التمرد بشكل سلس، يبدوا أن الجنسين لم يعودان يتمتعان بوفرة ما تقدمه المنظومة الجندرية الأولى (الثقافة المكتسبة)، ذات العلاقة المرتكزة كلية على الهيمنة والسيطرة الأبوية/مقابل الخضوع والحماية، يمارس الجنسان عدة سلوكات توضح التكتيك والاستراتيجية بشكل يومي (المحاكاة الساخرة)، يتعرف فيها الأفراد على إتجاهاتهم وحدودهم ومواقعهم الإجتماعية، ويحددون أهدافهم من خلال إدراكاتهم الفورية، إنها إتفاقات مضمونة لتحقيق رغبات وأهداف شخصية وذاتية (مواقع ثقافية)، أكثر من كونها إنخراط كلي بأهداف المجتمع وإيديولوجيته (كتابة ثقافية)، تسمح هذه الآلية على المستوى الحضري بالأخص إلى تغيير وجه المجتمع مستقبلا، كون هذا المجتمع يتوسع بخبراته و هجراته واتجاهاته ومساره، ومعرض أيضا كما إلى التأثيرات التكنولوجية، والأهم أننا لسنا بمعزل عن التداخل ما بين المحلي والكوني، تلك الحدود لم تعد بذات القوة والوضوح كما في السابق، نحن نسير بشكل متسارع نحو ثقافة أكثر كريبولوجية، تظهر بعض الممارسات والمعتقدات إلى السطح ليس من قبيل إعادة إنتاج كلي مضمون، بل تشنجات جراء زخم التدفق الثقافي وسيولته وكثافة المختلط الثقافي للتواصل، يسير أفرادهم نحو قناعات وممارسات وسلوكات ذات أهداف ذاتية، فالهيمنة الأبوية لم تعد بتلك القوة والسيطرة كما كانت، ولا بتلك الشمولية، (قد يكون مرحليا هذا لكن سيتوسع عبر تلك الفرص الممنوحة للجيل الجديد).

يمكن القول إن أفق الدراسات الهجرية سيكون أكثر اختلاطا وتنوعا Mixed Migration وهذا المنظور يمكننا من إستعاب كلية الظاهرة نفسها عبر أفق المحلية-الكونية العابرة أو الكريبولوجية.

المصادر والمراجع

المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

المصادر والمراجع بالعربية:

القواميس والمعاجم

- 1) أندرو إدجار وبيتر سيدجويك، موسوعة النظرية الثقافية، المصطلحات الأساسية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط2، 2014.
- 2) بيار بونت وميشال ايزار ، معجم الاثنولوجيا والانثروبولوجيا. ترجمة مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1. 2011.
- 3) بيار كانا ناجيو، معجم الخرافات والمعتقدات الشعبية في اوربا، ترجمة احمد الطبال، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، بيروت لبنان، 1993.
- 4) جوردن مارشال، موسوعة علم الاجتماع، ترجمة، محمد الجوهري وآخرون، المجلد 2 ، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2000.
- 5) جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع ، ترجمة محمد الاسعد، دار مكتبة الهلال بيروت لبنان، ط1، 2011.
- 6) سيمور سميث شارلوت ،موسوعة علم الانسان المفاهيم والمصطلحات، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2012.
- 7) شوفاليه ستيفان وكريستيان شوفيري، معجم بيار بورديو، ترجمة الزهرة ابراهيم، دار النايا ، دمشق سوريا، ط1، 2013.
- 8) طوني بنيت، وآخرون، مفاتيح إصطلاحية جديدة، معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، ترجمة، سعيد الغانمي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2010.
- 9) ميشال مان، موسوعة العلوم الاجتماعية، ترجمة عادل مختار الهواري وسعيد عبد العزيز مصلوح، مكتبة الفلاح، الكويت، د. ط، 1994.

الكتب باللغة العربية

- 10) أبادوري أرجون، المستقبل واقعا ثقافيا، مقالات عن الكوني، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2016.
- 11) ابراهيم أبراش، المنهج العلمي وتطبيقاته في العلوم الاجتماعية، دار النشر الشروق للتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2009.
- 12) ابراهيم عبد الله، المطابقة والاختلاف، الجزء الثاني، مؤسسة مؤمنون بلا حدود، الرباط المملكة المغربية، ط1، 2017.
- 13) أحمد بعلبكي وآخرون، جدلية الاندماج الاجتماعي وبناء الدولة والامة في الوطن العربي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2014.
- 14) إدغار موران، المنهج الافكار، مقامها حياتها عاداتها وتنظيمها، ج4، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2018.
- 15) إدغار موران، المنهج، معرفة المعرفة، انثروبولوجية المعرفة، الجزء3، ترجمة جمال شحيد، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2012.

المصادر والمراجع

- 16) إدغار موران، روح الزمان، العصاب، ترجمة انطون الجزء الاول، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، ط3، 1995.
- 17) إدغار موران، روح الزمان، النخر، ترجمة انطوان حمصي، الجزء 2، منشورات وزارة الثقافة، دمشق سوريا، د.ط، 1995.
- 18) إدغار موران، النهج انسانية البشرية، الهوية البشرية، ترجمة هناء صبحي، هيئة ابو ظبي للثقافة، الامارات، ط1، 2009.
- 19) أدم كوبر، الثقافة التفسير الانثروبولوجي، ترجمة تراجي فتحي، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب، الكويت، د.ط، 2005.
- 20) إدوارد تي هول، البعد الخفي، ترجمة لمين فؤاد اليحي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007.
- 21) إدوارد تي هول، اللغة الصامتة، ترجمة لميس فؤاد اليحي، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2007.
- 22) آرنت ليههارت، الديمقراطية التوافقية في مجتمع متعدد، ترجمة، حسن زينة، منشورات معهد الدراسات الاستراتيجية بيروت لبنان، ط1، 2006.
- 23) إريك ميغري، سوسولوجيا الاتصال والميديا، ترجمة نصر الدين لعياضي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018.
- 24) آصف بيات، الحياة سياسة، كيف يغير بسطاء الناس الشرق الاوسط، ترجمة احمد زايد، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014.
- 25) آمال قرامي، الاختلاف في الثقافة العربية الاسلامية، دراسة جندرية، دار المدى الاسلامي، بيروت لبنان، ط1، 2007.
- 26) آمال قرامي، النساء والارهاب، دراسة جندرية، دار مسكيلباني للنشر والتوزيع، تونس، ط1، 2017.
- 27) اندريه جاك وآخرون، جنون الأمومة الطبيعي، ترجمة اسكندر جورج، المؤسسة الجامعية للنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2009.
- 28) او كندر موريس ، لغات الفردوس، ترجمة، جورج سليمان، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، الطبعة، بيروت لبنان، ط1، 2007.
- 29) اوموت اوزكريملي، نظريات القومية مقدمة نقدية، ترجمة معين الامام، المركز العربي لدراسات السياسات والابحاث العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- 30) ايان ليو ، العنصرية والتعصب العرقي من التمييز الى الابدان الجماعية، ترجمة عباس عاطف، و معتمد كرم، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2015.
- 31) ايريكسون توماس هيلاند: مفترق طرق الثقافات، مقالات في الكريولية، ترجمة محي الدين عبد الغني، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2012.
- 32) ايف وينكن، انثروبولوجيا التواصل، من النظرية الى ميدان البحث، ترجمة ، خالد عمران، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018.
- 33) ايمرسون روبرت وآخرون، البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2010 .
- 34) ايمي، أس، وارتنون، علم اجتماع النوع، مقدمة في النظرية والبحث، ترجمة هاشمي خميسو، واحمد عبده، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، مصر، ط1، 2014.

المصادر والمراجع

- (35) باتلر ايمن ، المجتمع الحر، ترجمة علي الحارس، منشورات المركز العلمي، الرباط المغرب، ط1، 2013.
- (36) يادي برتران ، بيار بيرنيوم، سوسولوجيا الدولة، ترجمة، جوزيف عبد الله وجورج ابي صالح، مركز الانتماء القومي ،بيروت لبنان، ط1، د.ت.
- (37) ياديو آلان ، سلافوي جيبك، الفلسفة في الحاضر، ترجمة بينر انغلان، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- (38) ياريك بيكو ، سياسة جديدة للهويات، المبادئ الاساسية لعالم يتسم بالاعتماد المتبادل، ترجمة حسن محمد فتحي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2013.
- (39) باومان زيخمنت، الثقافة السائلة، ترجمة حجاج اوجبير، الشبكة العربية للابحاث والنشر، بيروت لبنان، ط1، 2018.
- (40) برتون البرت، القومية والعقلانية، ترجمة امينة عامر واخرون، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2006.
- (41) بريان م، وجينيل وليامز، مدخل الى الانثروبولوجيا الثقافية من منظور مسيحي، ترجمة ادوارد وديع، و عبد المسيح، مكتبة دار الكلمة ، الهيئة المصرية العامة القاهرة، مصر، ط1، 2015.
- (42) بعلي حنفاوي ، مدخل الى نظرية النقد الثقافي المقارن، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007.
- (43) بورديو بيار، بعبارة اخرى محاولات باتجاه سوسولوجية انعكاسية، ترجمة احمد حسان، ميريت للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط2002، 1.
- (44) بورديو بيار، الهيمنة الذكورية، ترجمة سلمان قعفراني، مراجعة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2009.
- (45) بينتر جوديث ، الذات تصف نفسها، ترجمة فلاح رحيم، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 2014.
- (46) تراودك برتران، علم النفس الثقافي، ترجمت حكمت خوري ، جوزيف بورزق، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط1، 2009.
- (47) تري ايجلتون، فكرة الثقافة، ترجمة شوقي جلال، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2005.
- (48) تزفيتان تودروف، الحياة المشتركة، بحث انثروبولوجي عام، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط2009، 1.
- (49) تزفيتان تودروف، تاملات في الحضارة والديمقراطية والغيرية، ترجمة محمد الجرطي، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة قطر، د.ط، 2014.
- (50) تشارلز تايلر، المتخيلات الاجتماعية الحديثة، ترجمة الحارث النبهان، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2015.
- (51) تشارلز تايلر، منابع الذات، ترجمة حيدر حاج اسماعيل، المنظمة العربية للترجمة ، توزيع مركز الدراسات الوحدة العربية ، بيروت لبنان، ط1 2014.
- (52) تشول هان بيونغ ، مجتمع الشفافية، ترجمة بدر الدين مصطفى، منشورات مؤمنون بلا حدود، الرباط، المغرب ط1، 2019.
- (53) تشيرتون ميشيل وان براون، علم الاجتماع النظرية والمنهج، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2012.
- (54) توماس هيلاند اريكسون، العرقية والقومية، وجهات نظر انثروبولوجية، ترجمة لاهاي عبد الحسين، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والاداب، الكويت، 2012.

المصادر والمراجع

- 55) توماس هيلاند اريكسون، مفترق طرق الثقافات، مقالات عن الكريولية، ترجمة محي الدين عبد الغني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2021.
- 56) ج. بيلتو بيرتي، دراسة الانثروبولوجيا، المفهوم والتاريخ، ترجمة كاظم سعد الدين، بيت الحكمة للنشر، بغداد. العراق، ط1، 2010.
- 57) جاكوب اندريه، انثروبولوجيا اللغة، بناء وترميز، ليلي الشريني، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2002.
- 58) جان كالفي لويس، علم الاجتماع اللغوي، ترجمة محمد ياحتين، دار القصبه، الجزائر، ط1، 2006.
- 59) جوزيا رويس، العالم والفرد، الطبيعة، الانسان، النظام الخلفي، مجلد 02، ترجمة احمد الانصاري، المركز القومي للترجمة، الجزيرة والقاهرة، ط1، 2008.
- 60) جوزيف بريستو، الجنسانية، ترجمة عدنان حسن. دار الحوار والنشر والتوزيع، ط1، سورية اللاذقية، 2007.
- 61) جون نيدرلين بيترس، العولمة والثقافة المزيج الكوني، ترجمة خالد كسروي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2015.
- 62) جيامبييرو وجيو، اجراء البحث الاثنوغرافي، ترجمة محمد رشدي ومراجعة احمد زايد، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014.
- 63) جيلبير دوران، الانثروبولوجيا رموزها واساطيرها، وانساقها، ترجمة مصباح الصمد، محمد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت لبنان، ط1، 2006، 3.
- 64) جينيفر ج ديل، برنس، تنمية القدرة على التكيف الثقافي، ترجمة روزان ابراهيم، مكتبة العبيكان، السعودية، ط1، 2007.
- 65) جينيفر م. ليمان، تفكيك دوركايم، نقد ما بعد بنوي، ترجمة، محمود احمد عبد الله، المشروع القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2013.
- 66) خالدة حامد، غبش المرايا، فصول في الثقافة والنظريات الثقافية، منشورات المتوسط، ميلانو ايطاليا، ط1، 2016.
- 67) دافيد لوبرتون، الوشم والنقب ترقيع هوياتي، كاترين هالبرين، الهويات، الفرد والجماعة والمجتمع، ترجمة ابراهيم صحراوي، دار التنوير الجزائرية، ط1، 2015.
- 68) دافيد لوبرتون، سوسيولوجيا الجسد، ترجمة عباد ابلال وادريس محمدي، روافد للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2014.
- 69) دان سبيرير، البنيوية في الانثروبولوجيا، ترجمة علي قائم، دار التنوير، دون طبعة، بيروت لبنان، 2008.
- 70) دانيال هيرفير وجان بول ويلام، سوسيولوجيا الدين، مقالات كلاسيكية، ترجمة يوسف طاهر الصديق، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018.
- 71) ديفوار سيمون، الجنس الآخر، ج1، الوقائع والاساطير، ترجمة سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2015.
- 72) درويش شايعان، الهوية باربعين وجها، ترجمة حيدر نجيب، دار التنوير، الطبعة الاولى، بيروت لبنان، ط1، 2016.
- 73) دمنيك شنابر، كريستيان باشوليه، ما المواطنة، ترجمة سونيا محمود نجا، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2016.
- 74) دنيس كوش، مفهوم الثقافة في العلوم الاجتماعية، ترجمة منير السعيداني، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2007.

المصادر والمراجع

- (75) دو سارتو ميشال ، ابتكار الحياة اليومية فنون الاداء العملي، ترجمة وتعليق وتقديم، محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2011.
- (76) دوبار كلود ، ازمة الهويات، تفسير تحول، ترجمة، رندة بعث، المكتبة الشرقية، بيروت لبنان، ط1، 2008.
- (77) دوبوفوار سيمون ، الجنس الاخر، التجربة الحياتية، ج 2، ترجمة، سحر سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2015.
- (78) دورانتي السندرو ، الانثروبولوجية اللسانية، ترجمة فرانك درويش، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- (79) دوركايم اميل ، الانتحار، ترجمة حسن عودة، الهيئة السورية العامة للنشر، دمشق سوريا، د.ط، 2011.
- (80) دوركايم اميل ، التربية الاخلاقية، ترجمة السيد محمد بدوري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2013.
- (81) دومنيك شوفاليه واخرون، العرب والاسلام واوربا، ترجمة ايمان حجاج، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2014.
- (82) دي سميث انتوني ، الرمزية والعرقية والقومية، مقاربة ثقافية، ترجمة احمد الشيمي، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة ط1، 2014.
- (83) ديفيد انغليز و جون هيوسون، سوسيوولوجيا الثقافة، ترجمة، لما نصير، المركز العربي لاجتات ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2013.
- (84) ديفيد غلوفر و كوارا كايلان، الجنوسة-الجندر، ترجمة عدنان حسن، دار الحوار، دمشق، سوريا، ط1، 2008.
- (85) راي لاري ، العولمة والحياة اليومية، ترجمة، الشريف خاطر ، المجلس الاعلى للثقافة ، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2017.
- (86) رجاء بن سلامة، بنيان الفحولة، اجات في المذكر والمؤنت، دار بتر، دمشق سوريا، ط1، 2005.
- (87) رشيد بلوح، التداخل الثقافي العربي الفارسي، المركز العربي للاجتات ودراسة السياسات، بيروت لبنان ط1، 2014.
- (88) روبرت ايمرسون و آخرون، البحث الميداني الاثنوجرافي في العلوم الاجتماعية، ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2010.
- (89) ريتزر جورج العولمة، نص أساس، ترجمة السيد إمام، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2015.
- (90) ريتشارد بينيت، في مواجهة التعصب، التعاون من اجل البقاء، ترجمة محسن بحري، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2016.
- (91) ريتشارد مينش، الامة والمواطنة في عصر العولمة من روابط وهويات قومية الى اخرى متحولة، ترجمة عباس عباس، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق سوريا، ط1، 2010.
- (92) الزا غودار، انا اوسيلفي اذن انا موجود، تحولات الانا في العصر الافتراضي، ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019.
- (93) زكي الميلاد، المسالة الثقافية، من اجل بناء نظرية في الثقافة، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.
- (94) الزهرة ابراهيم، الانثروبولوجيا والانثروبولوجيا الثقافية وجوه الجسد، النايا للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2009.
- (95) زيمل جورج ، الفرد والمجتمع، المشكلات الانسانية للسوسيوولوجيا، ترجمة وتقديم وشرح، حسن احجيج، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2017.

المصادر والمراجع

- 96) سارة جامبل، النسوية وما بعد النسوية، ترجمة احمد الشامي، المركز القومي للترجمة، الجيزة، القاهرة، ط1، 2002.
- 97) سافيدان باتريك ، الدولة والتعدد الثقافي، ترجمة المصطفى حسوني، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2011 .
- 98) سايد مطر، التعدد والاختلاف في الانظمة الليبرالية الغربية، مدخل الى دراسة اعمال تشرلز تايلر، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2015.
- 99) ستيفان فايدنز، خطاب ضد الاسلاموفوبيا في المانيا والغرب، مناهضة بيغيدا، ترجمة رشيد بوطيب، منشورات منتدى العلاقات العربية الدولية، الدوحة قطر، ط1، 2015.
- 100) ستيفان هابر، هابرماس والسوسيولوجيا، ترجمة محمد جديدي، منشورات الاختلاف، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- 101) ستيفن كاستلز ومارك ميللر، عصر الهجرة، ترجمة منى الدروي، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2013.
- 102) سكوت جون ، التجربة النسوية من كتاب هدى الصده، النسوية والدراسات التاريخية، ترجمة عبير عباس، مؤسسة المرأة والذاكرة، ط1، 2015.
- 103) سليم دولة، الثقافة، والثقافة الجنسية، الذكر والانثى ولعبة المهدي، مركز الانماء الحضاري، حلب سوريا، ط1، 2019.
- 104) سوبيو آلان ، الانسان القانوني، بحث في وظيفة القانون الانثروبولوجية، ترجمة عادل بن نصر، مركز دراسات الوحدة العربية ،المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2012.
- 105) سيغفريد اندريه ،روح الشعوب، ترجمة عاطف المولى،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،الدوحة قطر، ط1، 2015.
- 106) سيلفيان اغاسانسكي، نقد المركزية حدث الاخر، ترجمة منذر عياش، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع،دمشق سوريا،د.ط، 2014.
- 107) شارلين هس و بيار باتريشيا ليفي، البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية،ترجمة هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2011.
- 108) شاري نابي هيس، بايبر باتريشيا لينا ليفي، مدخل الى البحث النسوي، ممارسة وتطبيقا، ترجمة هال كمال،المركز القومي للترجمة، الجزيرة مصر، ط1، 2015 .
- 109) شرين ، تي، هنتر وآخرون، الاسلام الدين الثاني في اوربا، المشهد الاجتماعي والثقافي والسياسي الجديد، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، مصر، ط1، 2016.
- 110) شوي أوزولا ، اصل الفروق بين الجنسين، ترجمة علي ياسين، دار التنوير، بيروت لبنان، ط1، 2010.
- 111) طاهر بن جلون، اقصى درجات العزلة، ترجمة فيصل ونبيلة جلول، دار الحداثة، بيروت لبنان، ط1، 1981.
- 112) عبد الرحمان المالكي، الثقافة والمجال، دراسة في سوسيولوجي التحضر والهجرة في المغرب، منشورات مختبر سوسيولوجيا التنمية الاجتماعية، فاس، المغرب، ط1، 2015.
- 113) عبد الرحمان المالكي، مدرسة شيكاغو ونشأة سوسيولوجيا التحضر، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2016.
- 114) عبد الرزاق الدواي، في الثقافة والخطاب عن حرب الثقافات، حوار الهويات الوطنية في زمن العولمة،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، ط1، 2013.

المصادر والمراجع

- (115) عبد الله بريتساي مارتين ،التربية و التداخل الثقافي. تعريب، دار عويدات،بيروت لبنان،ط1، 2003.
- (116) عدنان حب الله،التحليل النفسي للرجولة والانوثة، من فرويد الى لاكان، دار الفارابي، بيروت لبنان،ط1،2004.
- (117) عزة بيضون شرارة ، الجندر ماذا نقولين؟ الشائع والواقع في احوال النساء، دار الساقى،بيروت لبنان،ط1،2012.
- (118) عزة بيضون شرارة، الرجولة وتغير احوال النساء، دراسة ميدانية، المركز الثقافي العربي،بيروت لبنان،ط1،2007.
- (119) عزيز العظمة، ايفي فوكاس، الاسلام في اوربا التنوع والهوية والتاثير، ترجمة وتقديم احمد الشمي، المركز القومي للترجمة،الجزيرة القاهرة،ط1،2011.
- (120) عصام البشير المراكشي، جناية النسوية على المرأة والمجتمع، منشورات مركز دلائل،ط1، 2020.
- (121) عصمت حوسو،الجندر الابعاد الاجتماعية والثقافية، دار الشروق للنشر والتوزيع،عمان الاردن،ط1، 2009.
- (122) عماد عبد الغني ، سوسيولوجيا الثقافة، المفاهيم والاشكالات من الحداثة الى العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط1،2006.
- (123) غودلييه موريس ، الجالية والمجتمع والثقافة، ثلاث مفاتيح من اجل فهم الهويات المتصارعة، ترجمة اياس حسن، دار الفرقد، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سورية،ط1،2017.
- (124) غودلييه موريس ، لغز الهبة ، ترجمة رضوان ظاظا، دار المدى، دمشق سوريا،ط1،1998.
- (125) غوفمان ارفنغ ، البناء الاجتماعي للهوية الجنسية، ترجمة هدى كريملي مراجعة حسن احجيج، مؤسسة مؤمنون للدراسات والابحاث،المغرب،ط1،2019.
- (126) غوفمان ارفنغ ، تقديم الذات في الحياة اليومية، ترجمة ثائر ديب، دار معنى للنشر والتوزيع، ط1،(دون ذكر البلد)2021.
- (127) غيدنز انطوني، علم الاجتماع، ترجمة فايز الصايغ، المنظمة العربية للترجمة وتوزيع مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان،ط1،2005.
- (128) غيرتز كليفورد ، تاويل الثقافات، ترجمة محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة ومركز دراسات الوحدة العربية للنشر، بيروت لبنان،ط1، 2009.
- (129) فالنتينا غراسي، مدخل الى علم الاجتماع المخيال نحو فهم الحياة اليومية، ترجمة عبد النور وسعود المولى،المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات،الدوحة قطر،ط1، 2018.
- (130) فتحي التركي، فلسفة الحياة اليومية، الدار المتوسطية للنشر، تونس، ط2009،1.
- (131) فتحي المسكيني،الهجرة الى الانسانية،دار ضفاف ومنشورات الاختلاف،الجزائر،ط1،2016.
- (132) فرانسواز ايرتبييه، ذكورة وانوثة، فكرة الاختلاف،ترجمة كاميليا صبحي، الهيئة المصرية العامة للكتاب،مصر،د.ط،2003.
- (133) فريد الزاهي،الجسد والصورة والمقدس في الاسلام،افريقيا الشرق، دار البيضاء، المغرب،د.ط، 1999.
- (134) فريدان بيتي ، اللغز الانثوي، ترجمة عبد الله بديع فاضل، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا،ط1، 2014.

المصادر والمراجع

- 135) فلوري لوران ، علم اجتماع الثقافة والممارسات الثقافية، ترجمة علي نجيب ابراهيم، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2014.
- 136) فلوري لوران ، ماكس فيبر ، ترجمة، محمد علي مقلد، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2008.
- 137) فلوريان كلوماس، دليل السوسيو لسانيات، ترجمة، خالد الاشهب وماجدولين النهيي، المنظمة العربية للترجمة، ومركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2009.
- 138) فليب البرسون، التنوع والمجتمع، قراءة في العلوم البينية، ترجمة اسامة الجوهرى وعبد الرزاق اجلبي، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2017.
- 139) فليب ديريبارن.التفكير في تنوع العالم، ترجمة محمد الهلالي، دار تويقال، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2011.
- 140) فليب رجو، ما بعد الافتراضي، استكشاف جماعي للثقافة المعلوماتية، ترجمة وتقديم عزت عامر، المركز القومي للترجمة، الجزيرة مصر، ط1، 2009.
- 141) فليب كابان، جان فراسوا دورتيه، علم الاجتماع من النظريات الكبرى الى الشؤون اليومية، اعلام وتواريخ، ترجمة اياس حسن، دار الفرقد، دمشق سوريا، ط1، 2010.
- 142) فليب كوركيف، علم الاجتماع الجديد بين الجماعي والفردى، ترجمة احمد حاجي صقر، دار الكتاب العربي، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- 143) فوكو ميشال ، ولادة الطب السريري، ترجمة اياس حسن،مراجعة سعود المولى،المركز العربي لالبحاث ودراسة السياسات، الدوحة، قطر، ط1، 2018.
- 144) فوكو ميشال ، تاويل الذات، ترجمة الزاوي بغورة، دار الطليعة ، بيروت لبنان، ط1، 2001.
- 145) فيبر ماكس، الاسس العقلانية والسوسولوجية للموسيقى، ترجمة حسن صقر، المنظمة العربية للترجمة ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2013.
- 146) كاترلين هالبرين، وآخرون، الهوية .الفرد والجماعة والمجتمع، ترجمة ابراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، ط1، 2015.
- 147) كامب غابريال، الديرير ذاكرة وهوية، ترجمة عبد الرحيم حزل، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2014.
- 148) كورنيليوس كاستور ياديس، تاسيس المجتمع تخيليا، ترجمة ماهر الشريف، دار المدى، دمشق سوريا، ط1، 2003.
- 149) كوماري جايا واردينا، النسوية والقومية في العالم الثالث، ترجمة ضحوك رقية، عبد الله فاضل، الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2016.
- 150) لايبير برنار ، عالم متعدد الابعاد، تاملات في وحدة العلوم الاجتماعية، ترجمة بشير السباعي، دار افاق، للنشر والتوزيع، مصر ط1، 2015.
- 151) ليرنر غيردا ، نشأة النظام الأبوي، ترجمة اسامة اسبر، المنظمة العربية للترجمة، المركز دراسات الوحدة العربية. بيروت. لبنان. ط1، 2013.
- 152) ليفي شتراوس كلود ، الانثروبولوجيا في مواجهة مشاكل العالم الحديث، ترجمة رشيد بازي، المركز الثقافي للكتاب والنشر والتوزيع، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2019.

المصادر والمراجع

- (153) ليون ورييكا غرينبرغ، التحليل النفسي للمهجر والمنفى، تحرير وترجمة السماري، دار المدى، بيروت لبنان، ط1، 2008.
- (154) ماتيو بوب و ليفو روس، الدليل العلمي لمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، ترجمة وتعليق، محمد الجوهري، المركز القومي للترجمة، الجيزة القاهرة، ط1، 2016.
- (155) مارك اوجيه، اللأمكنة، مدخل الى انثروبولوجيا الحداثة المفردة، ترجمة ميساء السيوفي، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2018.
- (156) مارك اوجيه، انثروبولوجيا العوالم المعاصرة، ترجمة تقديم طاهري ميلود، منشورات ابن النديم، الجزائر، ط1، 2016.
- (157) مارك اوجيه، الزمن اطلاقاً، ترجمة جمال شحيد، هيئة البحرين للثقافة والآثار، المنامة البحرين، ط1، 2016.
- (158) مازن رسول محمد، حفريات في الجسد المقموع، مقارنة سوسولوجية ثقافية، منشورات الاختلاف الجزائر، ط1، 2015.
- (159) مافيزولي ميشال، تأمل العالم الصورة والاسلوب في الحياة الاجتماعية، ترجمة فريد الزاهي، المجلس الاعلى للثقافة والمركز القومي للترجمة، الجيزة، مصر، ط1، 2005.
- (160) مافيزولي ميشال، في الحل والترحال، عن اشكال البيئة المعاصرة، ترجمة عبد الله زارو، دار افريقيا الشرق الدار البيضاء المغرب، د.ط، 2014.
- (161) مأمون طربية، علم الاجتماع في الحياة اليومية، قراءة سوسولوجية معاصرة لوقائع معاشة، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط1، 2011.
- (162) محمد شوقي الزين: الثقاف في الازمنة العجاف، فلسفة الثقافة في الغرب وعند العرب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، 2015.
- (163) محمد شوقي الزين، الغسق والنسق، مقدمة في افكار ميشال دو سارتو، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، دار مدارج الوسام العربي، الجزائر، ط1، 2018.
- (164) محمد شوقي الزين، نقد العقل الثقافي، ج1، منشورات مدارج، تلمسان، الجزائر، ط1، 2015.
- (165) محمد عبده محجوب و حيدر ابراهيم، الاتجاه السوسيو-أنثروبولوجي في دراسة المجتمع، وكالة المطبوعات، (د.ط)، الكويت، (د.ت).
- (166) مسعود الخوند، الاقليات المسلمة في العالم، دار النشر العالمي، بيروت لبنان، ط2، 2006.
- (167) مصطفى صفوان، التحليل النفسي، علما وعلاجاً وقضية، ترجمة مصطفى حجازي، الهيئة البحرينية للثقافة والآثار، المنامة، البحرين، ط1، 2016.
- (168) موس مارسال، بحث في الهبة، شكل التبادل وعلته في المجتمعات القديمة، ترجمة المولدي الاحمر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2011.
- (169) مي غضوب، ايما سنكلير ويب، الرجولة المتخيلة، الهوية الذكورية الثقافية في الشرق الاوسط الحديث، دار الساقى، بيروت لبنان، ط1، 2002.
- (170) نيكولا جونيه، بين الكوني والخصوصي، البحث عن البدايات-طبيعة الثقافة-تشيد الهويات، ترجمة اياس حسن، دار الفرقد، دمشق سوريا، ط2، 2014.
- (171) نينا فيدل، صناعة سلفية بالمانية، ترجمة محمود طه عبد الوهاب، منشورات مركز انماء سيدون، بيروت لبنان، ط1، 2017.

المصادر والمراجع

- (172) هارالد مولر، تعايش الثقافات مشروع مضاد لهنتغتون، ترجمة ابراهيم او هشهش، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط1، 2005.
- (173) هارلمبس وهولبرون، سوشيلوجيا الثقافة والهوية، ترجمة حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2010.
- (174) هالة كمال واية سامي، النسوية والجنسانية، ترجمة عابدة سيف الدولة، مؤسسة المرأة والذاكرة، مصر، ط1، 2016.
- (175) هانز هيرمان هوبا، الديمقراطية الاله الذي فشل، ترجمة ايمان معروف، منشورات تكوين، الكويت، ط1، 2019.
- (176) هلين توماس و جميلة احمد ، الأجساد الثقافية، الاثنوغرافيا والنظرية، ترجمة أسامة الغزولي، المركز القومي للترجمة، الجزيرة القاهرة، ط1، 2010.
- (177) هنري لوفيفر، المادية الجدلية، ترجمة ابراهيم فتحي، افاق للنشر والتوزيع، مصر القاهرة، ط1، 2018.
- (178) هوغ لاغرانش، نكران الثقافات، ترجمة سليمان رياشي، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة ، قطر، ط1، 2016.
- (179) هومي.ك.بابا، موقع الثقافة، ترجمة ثائر ديب، المجلس الاعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2004.
- (180) هوير بول، نحو فهم العولمة الثقافية، ترجمة طلعت الشايب، المركز القومي للترجمة، الجزيرة، القاهرة ط1، 2011.
- (181) وفاء الدريسي، الجوارى والغلمان في الثقافة الاسلامية، مقاربة جندرية، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للنشر والمركز الثقافي العربي للنشر، الرباط، المملكة المغربية، ط1، 2016.
- (182) ويل كيمليكا. التعددية الثقافية، سير سياسات الدولة الجديدة في التنو، ترجمة امام عبد الفتاح امام، ج1، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، د.ط، 2011.
- (183) ويندي كي كولمار، فرانسيس بارانكوفسكي، النظرية النسوية، مقتطفات مختارة ترجمة عماد ابراهيم، الاهلية للنشر والتوزيع، عمان الاردن، ط1، 2010.
- (184) الياذة ميرسيا ،المقدس والعادي، ترجمة، عادل العوا، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت لبنان، د.ط، 2009.
- (185) الياس نوربرت ، مجتمع الافراد، ترجمة هاني صالح، دار الحوار للنشر والتوزيع، دمشق سوريا، ط1، 2014.

المذكرات باللغة العربية

- (186) خطاب خطاب، واقع هجرة الشباب الجزائري إلى ألمانيا، مقاربة أنثروبولوجية لشباب مدينة تيارت، رسالة الماجستير بإشراف الأستاذ مولاي حاج مراد، بجامعة محمد بن احمد وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2017/2016.
- (187) دليلة شارب مطاير ، الفضاء المنزلي والعمل، الأساتذة الجامعيون والعلاقات الجنسية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2010.
- (188) شهرزاد شرابل شايبة ، الشيوخ الجزائريون المهاجرون ومصيرهم بين العودة الى الوطن أو البقاء في فرنسا، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2018.
- (189) صبيحة كيم ، مشروع الهجرة عند الشباب الجزائري، دراسة سوسيولوجية عن الحراقات باسبانيا، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، اطروحة الدكتوراه، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2014

المصادر والمراجع

- (190) محمد ارزازي ، جندرة الفضاء العمومي داخل المجتمع الجزائري، مقارنة سوسولوجية لمسألة الجندر وعلاقتها بالفضاء العام دراسة ميدانية بتلمسان، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2017.
- (191) محمد زيان ، الرجولة ومسألة العنف ضد المرأة في الجزائر مقارنة سوسيو-ثقافية، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر ، جامعة محمد بن احمد وهران 02 ، كلية العلوم الاجتماعية ، 2013
- (192) مختار بودواية ، معاني وأشكال القيم السلوكية في التقليد الشفوي لدى الشباب، تيارت نموذجاً، غير منشورة، الجزائر، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران 02 بتاريخ 2020/2019
- (193) مؤيد الساعدي ، مهدي الحسنوي صالح، الافرازات السلوكية للتنوع الثقافي للموارد البشرية على واقع عمل صناع المعرفة، بحث استطلاعي تحليلي لعينة من العاملين العراقيين الاجانب، اطروحة دكتوراه، منشور ملخصها بالمجلة العراقية للعلوم الادارية، المجلد، 11 والعدد 44 ص ص 66-81. 2015.
- (194) نعيمة زيدان، النساء الجزائريات نحو اوربا، دراسة ميدانية لظاهرة هجرة النساء الجزائريات نحو أوروبا فرنسا واسبانيا نموذجاً، اطروحة دكتوراه، غير منشورة، الجزائر، جامعة وهران 02، كلية العلوم الاجتماعية، 2013
- المجلات باللغة العربية**
- (195) ادموند مارك، مدرسة بالو التو، مدرسة التواصل، ترجمة عبد العزيز السراج، مجلة علوم التربية، العدد 37، المغرب، 2008
- (196) اوس حسن، عرض كتاب التحليل النفسي للمهجر والمنفى، العدد الفصلي 19، شتاء 2022، مجلة عود الند،-www.oudnad.net
- (197) حاتم راشد، تاسيس المدن بحالة التنوع الثقافي، دراسة ميدانية اجتماعية في مدينة الديوانية-العراق، مجلة القادسية للعلوم الانسانية، المجلد 17، جامعة القادسية ، العراق اصدار 2014..
- (198) خطاب خطاب، الهويات المتداخلة في الفضاء المتوسطي، مقارنة ثقافية في نسق التحولات، مجلة ربحان للنشر العلمي، العدد 16، سوريا، 2021.
- (199) خطاب خطاب، ثقافات مختلفة وسياقات متعددة، مقارنة انثربولوجية للاقليات والاثنيات العربية المهاجرة باروبا، مجلة ربحان للنشر العلمي، العدد 17، ديسمبر 2021.
- (200) خطاب خطاب، الهجرة الدولية ومشكلة الامن المجتمعي، بحث في سبل دعم المواطنة وترسيخ قيم التعايش الثقافي، مجلة ربحان للنشر العلمي، دمشق سوريا، العدد، اكتوبر 2021.
- (201) دحماني حنان، نظرية الاعتراف كبراديعم لتغير المجتمع، اكسيل هونيت نموذجاً، مجلة دراسات ، العدد 06، المجلد 08، الجزائر. 2017.
- (202) زيان محمد، ازمة الرجولة والهجرة الغير شرعية، مجلة اضافات، العدد 43، 44 بيروت لبنان ،صيف-خريف، 2018.
- (203) عائشة التايب، الهجرة النسائية والتنمية مهاجرات بلدان المغرب العربي الى اروبا، مجلة عمران، عدد 3، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، شتاء 2013.
- (204) عز الدين الخطابي، حوارات الثقافات، بين الكونية والخصوصية، مقاومة فلسفية انثربولوجية، مجلة رؤى تربوية، العدد 28، (د.ت) (د.ذكر البلد).
- (205) عزام امين، التكيف الاجتماعي والهوية العرقية لدى الشباب من اصول عربية مغربية بفرنسا، حين يكون العنف استراتيجياً هوياتية، مجلة عمران، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر، عدد 4، 2019.

المصادر والمراجع

- (206) الفتاة العربية والهجرة الى الجناة الموعودة محاولة في الفهم، مجلة عمران، العدد رقم 21 الصفحة من 7 الى 33 صيف الدوحة قطر، صيف 2017.
- (207) كيم صبيحة، البعد الانساني لظاهرة الهجرة الغير شرعية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الاجتماعية، مجلد 4، عدد 7، الجزائر 2018.
- (208) كيم صبيحة، نظريات الهجرة، وعلاقتها بالجنس نحو مقاربة جديدة، مجلة آفاق فكرية، المجلد الرابع، العدد 08، الجزائر، مارس 2018.
- (209) مبارك الرشيد، وآخرون، الحساسية بين الثقافية كمؤشر لتحديد مستوى الكفاءة بين الثقافية لدى الطلبة الدراسات العليا في كلية التربية، جامعة الكويت، مجلة التربية، الاسكندرية مصر، العدد 02، 2019.
- (210) نعيمة بوشريط، خديجة ونثلي، فلسفة الجسد عند ميشال فوكو، مجلة الراصد العلمي، العدد 04، رقم 01، الجزائر، جانفي 2017 .
- (211) هدى احمد الديب، محمود عبد العليم محمد، الاستبعاد الاجتماعي ومخاطره على المجتمع، مجلة اضافات، العددان: 32، 31، بيروت لبنان حريف 2015 .
- (212) ياسين يسني، المرأة السوداء في المغرب بين وصمي اللون والنوع الاجتماعي، مجلة عمران، عدد 25 مجلد 7 ، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، الدوحة قطر . صيف 2008.
- (213) يوسف بن الغياثية، في الفصل بين الدين والثقافة مدخل الى تنظيم التنوع الثقافي، مجلة عمران، المركز العربي للابحاث ودراسة السياسات، عدد 06، حريف، 2012.

مؤتمرات وندوات

- (214) خطاب خطاب، التنوع الثقافي وفاء التفاعل الثقافية، مقترح لتكيف الجماعات المغاربية المهاجرة باروبا، من كتاب جماعي لاعمال المؤتمر خريطة التكيف الثقافي للمجتمع العربي بين الاصل والمعاصرة، دار النشر المركز العربي برلين المانيا، 2021.
- (215) خطاب خطاب، الهوية الثقافية في البيئة الحضرية، مقاربة جنسية للتمثيلات والممارسات اليومية، وقائع المؤتمر الدولي والمنشور بكتاب جامعي المركز الديمقراطي العربي، برلين المانيا، 2021
- (216) خطاب خطاب، الجندر المفهوم والاصطلاح، قراءة في أهم الدراسات والمنجزات داخل حقل العلوم الاجتماعية، مداخلة لمؤتمر وطني عقد مخبر الدراسات الاتصالية والإعلامية بجامعة مستغانم بمناسبة عيد المرأة 08 مارس 2017 نشرت بكتيب للمخبر: تحرير العربي بوعمامة، المرأة وتكنولوجيات الاتصال الجديدة، نحو استحضار مقاربة النوع الاجتماعي، جانفي 2020.

المواقع الالكترونية بالعربية

- (217) جوديث بيتلر، الجندر والجنسانية، حوار اجراه يوسف الصمعان وحسين القطان، ونشر على موقع الحكمة www.hekma.com
- (218) www.wikipedia-org.com الجسدنة والتجسيد في علم النفس الاجتماعي.
- (219) <https://www.ohrc.on.ca/en/book/expert/>
- (220) محسن المحمدي، تصورات فلسفية متناقضة حول الجسد، المغرب: تاريخ المعاينة: <https://www.aawsat.com>
- (221) books.openedition.org/pucl/568.
- (222) عبدالعزيز العيادي، تاريخ الجنس، اعتراف انية 4 اعترافات للحم، <https://takweenkw.com/book/39393/single>
- (223) دريدا والهامش واعمال غيتاري شبيفاك، ترجمة محمود احمد شيب، www.hekma.org
- (224) عمر ازراج، غيتاري شبيفاك، امراة تحارب التبعية والذكورة وبقايا الاستعمار: <http://www.alarab.com.uk>

المصادر والمراجع

- (225) ديبش شاكرا بارتى، دراسات التابع والتاريخ المابعد الكولونيالي ،
http :www.ostour.dohainstituté.org/ar/issue003
- (226) هومي بابا، والنقد المابعد كولونيالي، محرر صاحب الموقع، <http://www.alittihad.ac/art.cle>
- (227) محمد كريم، هومي بابا والقراءة التبعية بين الانا والآخر، [http:// ALhewar.org.debat./](http://ALhewar.org.debat/)
- (228) المؤلف لصاحب الموقع، الثقافة المفهوم والاشكالات www.boockstore.dohainstitutal.org
- (229) نابوكي كاسوغا، الواقعية الاجتماعية، ترجمة عبد السلام فقير، www.Mouminoun.com
- (230) عبد الله عبد الرحمن تيم، المدرسة الانثروبولوجية الفرنسية، مراسل موس نموذجاً، www.folkulture.org/
- (231) عنصر العياشي، عائلات مسلمة من المغرب في هولندا، ديناميات النوع وادوار الابوة في سياق التغير، <https://independent.academia.edu/LayachiAnser>
- (232) ليندا مارتن ألكون: النسوية واليسار ترجمة ضحى الهويلم، www.elhikmah.org
- (233) رقية كمال الدين، زيخمونت باومان، حينما تخضع الثقافة لمنطق الموضة، www.idazat.com/culture.in.a.liquid.modern
- (234) ماري بيار انجيلا واخرون، تجارب الجندر. الحميمية. الهامشية. عمل. هجرة، ترجمة نور الدين www.journals.openedition.org.insaniyat
- (235) ايكا فوترا وجرمان، الجندر من منظور الاسلام، مجلة www.researchgot.net
- (236) شريهان حوامدة، المجموعات العرقية والهوية العرقية في الأنثروبولوجيا، <https://e3arabi.com>
- (237) مايسة مروق، قراءة في كتاب الهوية، الحاجة للكرامة وسياسات الاستياء www.tipyan.com
- (238) www.Infomigrants.com
- (239) <https://youtu.be/q402019aXoc> الماحامية دارين زراري المقيمة بالمانيا رابط فيديو تعريفى بها.
- (240) المدعو جواد مهاجر مقيم بامريكا جواد، <https://youtu.be/Carjlm33Gg4>
- (241) مهاجر بالمانيا المدعوة: حمزة دزاد <https://youtu.be/Bs6qakesnlQ>
- (242) المهاجر المدعو لقمان <https://youtu.be/gM-Yygi9hQM>
- (243) المهاجرة الجزائرية المقيمة بالسويد المدعوة مونيا هلاي <https://youtu.be/6yq1NLLMkac>
- (244) المهاجرة بالمانيا المدعوة: جوهرة بوشي <https://youtu.be/yH1qQ9E3mto:12/02-2020>
- (245) شهيناز المدعوة كارولين من تيارت مقيمة بالسويد المدعوة كارولين https://youtu.be/Yno_0BmW9sk
- (246) قناة المدعو هلال دزاد، مهاجر بهولندا: اليوتوب <https://youtu.be/tH2TmW02zv>
- (247) قناة المهاجر المقيم بالمانيا: المدعو ماليك جرمانى: <https://youtu.be/xbINsFi27gg>
- (248) <https://youtu.be/4PjohKcky78> امير دحدوح.

Encyclopedia

- 249) William A.Darity. jr.Macmimillan .international encyclopedia of the social sciences .printed in the united states of america.new york.volume :02.second edition.2008.

Books

- 250) ARGUN APPADOURAI. Modernity at large : cultural dimentions of globalisation
- 251) BENICHOU MEIDAD. Le multiculturalisme. Edition bréal.paris.2006.
- 252) BOUCHARD GERARD. The making of the nations and cultures of the new world.translated by : Michelle weinroth and paul leduc broune.mc gill-queen.university press.montral.2008.
- 253) BOUCHARD GERARD.what is interculturalism ? un text publié dans livre negotiating diversity.identity pluralism and democracy. pp.191-222. Bruxelles.p.i.e. peterlang.2014.
- 254) CHAPOULIE.JEAN- MICHEL . la tradition sociologisue de chicago..1892.1961.edtion seuil.france 2001.

- 255) CHEVALLIER SOPHIE ET JEAN MARIE PRIVAT. Norbert elias vers une science de l'homme. Edition cnrs. Paris.2004.
- 256) CLIFFORD JAMES AND GEORGE MARCUS .Writing Culture the poetics and politics of ethnography. University of California press. Los Angeles.1986 .
- 257) COULAN ALAIN.l'ecole de chicago.que sais-je ?5. editions. paris.2020.
- 258) ELIAS NORBERT.what is sociology. Translate by stephen menell and crae morrissef.columbia university press.new york.1970.
- 259) E. THOMAS HULLAND. Engaging anthropology the case for public presence.bery editorial offices.first published. Oxford uk.2006.
- 260) E. THOMAS HULLAND. Overheating.an anthropology of accelerated change.ploto presse.first edition.london.2016.
- 261) E. THOMAS HULLAND.Small places.large Issues an introduction to social and cultural anthropology.second edition.ploto press london.2001.
- 262) FAIST THOMAS : cultural diversity and social inequalities. social reaserche. vol 77. n 01 spring.2010.
- 263) GEORGE E. MARCUS AND MICHAEL M. J. Fischer Anthropology as Cultural Critique: An Experimental Moment in the Human Sciences 2d edition Chicago .The University of Chicago Press, 2004 .
- 264) GEORGE PETER MURDOCK .SOCIAL STRUCTURE.. New York: The Macmillan Company, 1949
- 265) GOFFMAN ERVING. Gender Advertisements.first published. Harper.new york.1979.
- 266) HAYDEN BRIAN : Naissance de l'inégalité, l'invention de la hiérarchie. Editions cnrs.paris..2008
- 267) HEBDIGE DICK.subculture meaning of the style.routledge.london.2002.
- 268) HOLIDAY ANDRIAN.MARTIN HYDE AND JOHN KULLMAN.inter-cultural communcation.routledge.london.newyork.first published.2004.
- 269) ISABELLE CLAIR : sociologies contemporaines. Sociologie du genre. édition Armand. paris.2012.
- 270) LAGRANGE HUGGUES.le déni des ccultures.seuil.paris.2010
- 271) LAHIRE BERNARD , l'homme pluriel, les ressort de l'action. Nathan. paris.1998
- 272) LASSITER LUKE eric.The chicago Guide to collaborative ethnography.university of chicago press.usa.2005.
- 273) MATHEWS FRED.h..Quest for an american sociology.Robert e.park and the chicago school.mc.gill-Queen's university press.montreal.london.1977.
- 274) ROSALDO RENATO. Culture & truth : the remaking of social analysis : with a new introduction. Boston : Beacon Press, ©1993.
- 275) SAYAD ABDELMALEK. La double absence.des illusions de l'émigré aux souffrances de l'immigré . Edition seuil .paris.1999.
- 276) SAYAD.ABDELMALEK. L'immigration ou les paradoxes de l'altérité : tome 2 et 3. Edition raisons d'agir. france.2006
- 277) TITOSSELITI LIA : gender and language theory and practice.Routledge published firste..New york. 2013.
- 278) UTA MEIER-GRÄWE, MIYOKO MOTOZAWA, Annette Schad-Seifert (Eds.) Family Life in Japan and Germany Challenges for a Gender-Sensitive Family Policy.springer edition. Berlin.germeny.2019.

Memoires : Ph.D

- 279) A.DUDA.MIKULIN EWA. Gendered migrations: an exploration of the influence of migration on polish women's perception of gender roles. Salford, UK 2015.
- 280) BELABDI -MUSTAPHA .Communications interculturelle et processus d'intégration de nouvelles immigrations marocaines au Québec. Montreal Canada.2010
- 281) OSTERMANN CHRISTINE : Germany-morocco :an ethnography about migration, and experienced discrimination. University Bielefeld. germany 2011.
- 282) VLASE LONELA :Le genre dans la structuration du processus migratoire . Le cas d'une population rural roumaine a Rome. Neuchâtel, Switzerland .2008.

Rivews

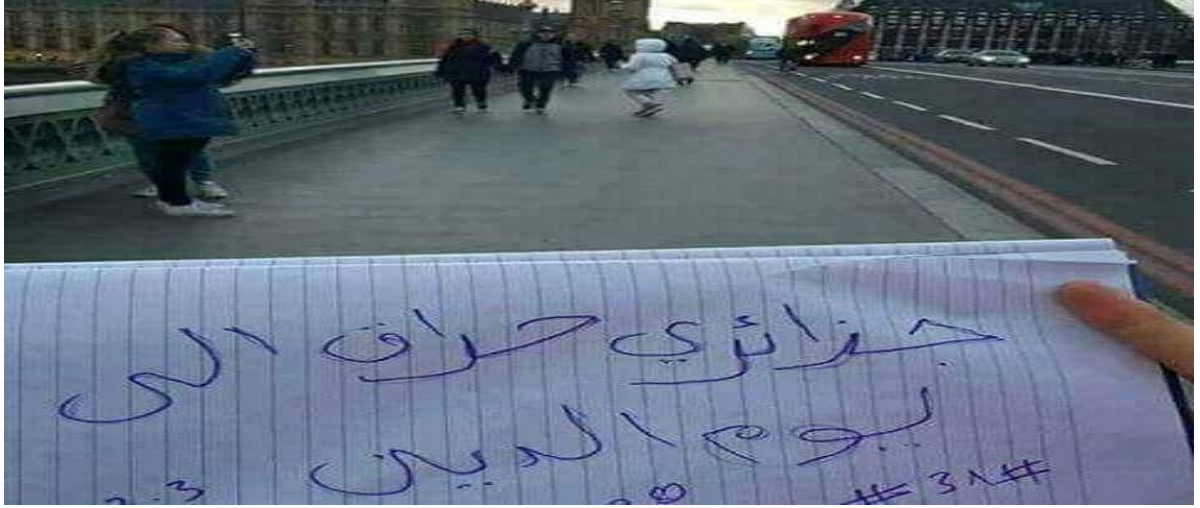
- 283) BONNET FRANCOIS. La distance sociale dans le travail de terrain: compétence stratégique et compétence culturelle dans l'interaction d'enquête.Genèses.V4 2008.
- 284) KHONDKER HABIBUL HAQUE..Glocalization as globalization evolution of sociological concept. Bangladesh e-journal of sociology.vol.1n02.july2004
- 285) M.SUZANNE SINKE. Gender and Migration: Historical Perspectives. The International Migration ReviewVol. 40, No. 1, Gender and Migration Revisited (Spring, 2006),
- 286) R.CIULIANOTTI and.R.Rbertson.Glocalization.globalization and migration .international sociology.vol 2

Webcite

- 287) A.GUTMAN. international encylopedy of the social and behavioral science
- 288) ABRAMOIC MARINA. Architecture .body and performance in the ancient eastern world.www.broun.edu
- 289) AFONTAINESIMON I. L'étrangeté du familier : pour un renouvellement de la théorie du monde social d'alfred schutz. npss v 13 n 02.www.erudit.org.
- 290) ALBIN WAGENER. Migration et communication ; le smartphone comme nouvelle boussole intime.http : www migobjets.hypotheses.org.
- 291) ANDRE DUCRET.le concept de configuration. www. Journal open edition.org.
- 292) BROUN ERIC.pouline kleingehd. Cosmopolitanism.www.ploto.stanford.edu.
- 293) CUORRY FRANCOISE LINDA. Femmes et genre en migration.wwwcairn info.com.
- 294) STAVO-DEBAUGE JOAN un etranger jamais pleinement arrivé Georg Simmel : un étranger jamais pleinement arrivé <https://www.academia.edu>
- 295) fred pearce.localism-or-localisation-defining-our-terms www.transitionculture.org
- 296) Gender Views: Margaret Mead, George Murdock and Global Views." Study.com, 30 December 2012, study.com/academy/lesson/gender-views-margaret-mead-george-murdock-and-global-views.html.
- 297) HONDAGNEU-SOTELO PIERRETTE - Gendering Migration: Not for feminists only and not only in the household January 2005 <https://www.researchgate.net/publication/>
- 298) [http ;www.core.ac.uk](http://www.core.ac.uk)
- 299) [http// :www.uqam.arclipel.ca](http://www.uqam.arclipel.ca)
- 300) <http://www.USIR.SALFORD.AC.UK>.
- 301) <http://www.USIR.SALFORD.AC.UK>.
- 302) <https://www.britanica.com>.

- 303) <https://www.jstor.org/stable>
- 304) <https://www.mucenlab.hypotheses.org>
- 305) <https://www.pub.uni.bielefeld.de>
- 306) <https://www.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries>
- 307) <https://www.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries/4966>
- 308) <https://www.sagepub.com/sites/default/files/upm-binaries/4966>
- 309) <https://www.socwomen.org->
- 310) <https://www.spriginstitute.org>.
- 311) KUZMIN KONSTANTIN. Lariza petrasa.dimitry.popov.migration and social distance.various ethnic groups perceived by the ural's schoolchildren and their parents. -www.idejournal.org.
- 312) MEYRHOF MIRAİM. Gender performativity.<http://www.online.librarywilly.com>
- 313) MIGRATION genre frontieres.frontieres de genre.www.cain.info
- 314) PROULX SAMUEL.CHENARD.interculturalism.www.canadianencyclopedia.ca.
- 315) SCHULTZ ALFRED . the stranger : an essay in social psychology.1944.www.jstor.org.
- 316) SIMMEL GEOGE. The stranger :an essay in sociological.1908. .www.jstor.org
- 317) STAVO-DEBAUGE JOAN .George simmel l'étranger-disgressions sur l'étranger.
<https://www.academia.edu>
- 318) STAVO-DEBAUGE JOAN .George simmel. Un étranger j'amis pleinement arrivé et toujours en partance.www.academia.edu
- 319) subaltem-studies-pos colonialism. .<http://manshoor.com/workcriting>
- 320) Terms clés de sociologie de norbert elias.www.cain.info/revue.
- 321) WALTER LANCHET. alfred shutz.l'étranger. les annales de la recherche urbaine.n 97.2004www.persee.fr.
- 322) what is glocalisation in sociology. <https://www.thehindu.com/>
- 323) WILLIAM A.DARITY.jr <https://courses.lumenlearning.com/sociology>.
- 324) www.Dw.com
- 325) www.sciencedirect.com
- 326) ZERMANI MOUNIRA. Alfred Schütz : l'étranger et sa compréhension du groupe d'accueil . <https://www.researchgate.net>

الملاحق



الصورة رقم واحد توضح نزعة الحرق والهجرة من شاب جزائري بلندن



صورة توضح تمزقات العبور عبر الهجرة وتشكلات عميقة للذات والعالم بين المتروك والمأمول



صورة اخترتها لتعبر عن مكونات عواقب قبول التنوع والاختلاف بفضاء الهجرة



ثلاث شبان جزائرين بالمانيا على اليسار مقيم بدرسدن هو وجزائري وآخرين هذا الشاب مصور فتوغرافي محترف المدعو امين.ملو تلاحظون الذي في الوسط يلبس قميص عليه رمز جواز السفر الجزائري.



صورة من مسجد بتيارت اجتمع امراة بزي متحضر في الصف الاول وسط ائمة وجمع من مديرية الشؤون الدينية. هذه الصورة اثارت بعض ردود فعل سلبية في الوسط الافتراضي وتهجمات على حال الدين والانمة؟.



مسجد ابن رشد غوته بألمانيا تؤمه امرأة تركية مسلمة وتجمع فيه الكثير من الطوائف عليه حراس بسبب تهديد صاحبه بالقتل



صورة منذ 1979 بمستشفى فرندة علاقة الفريق العمل الالمانى بالفريق الجزائري وعلاقات الجنسين والثقافتين المختلفتين





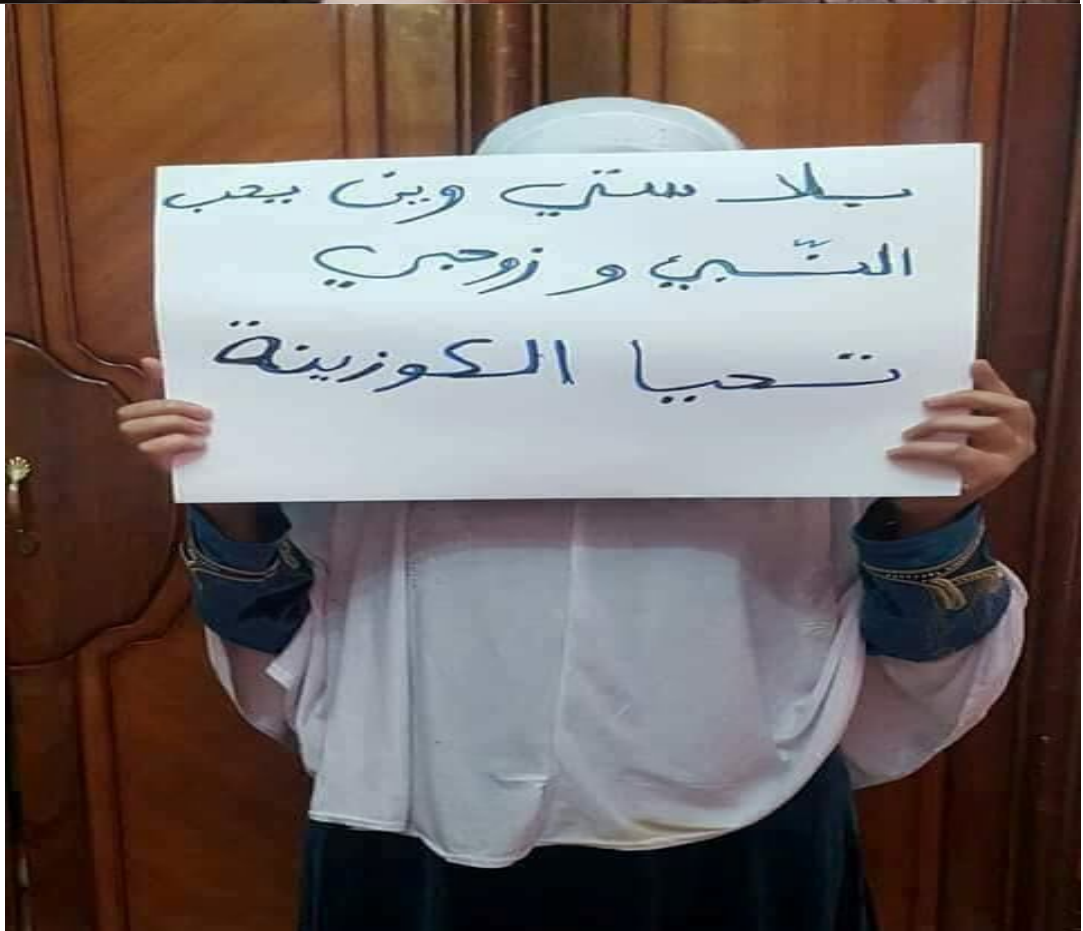
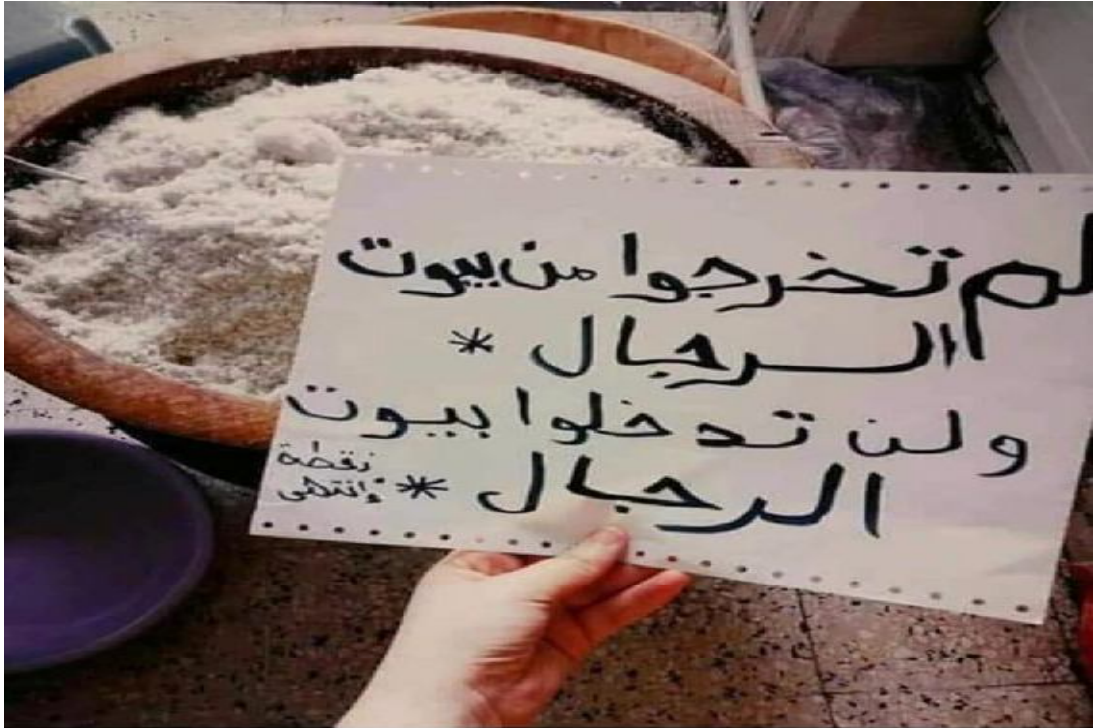


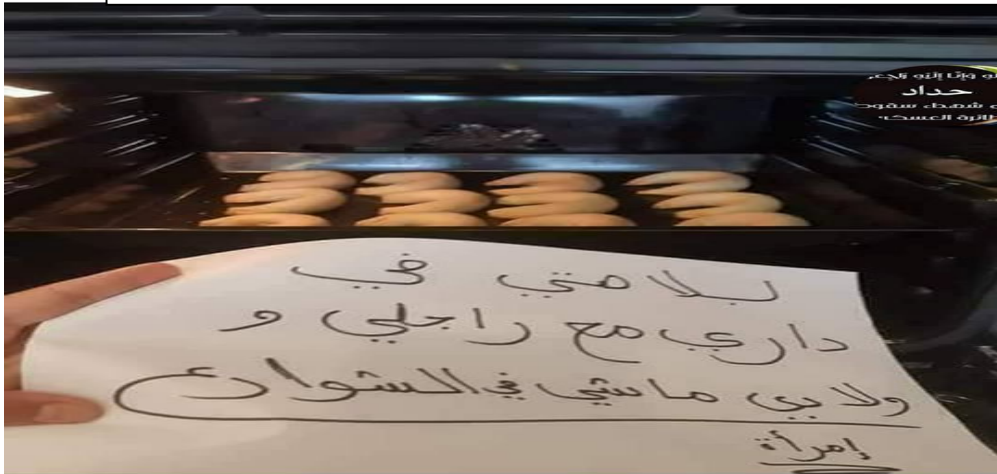
دار الفتوى الألمانية تهنأ المسلمين بعيد الفطر



جزائري من مدينة بلعباس في ألمانيا تعود الى فترة الثمانينات

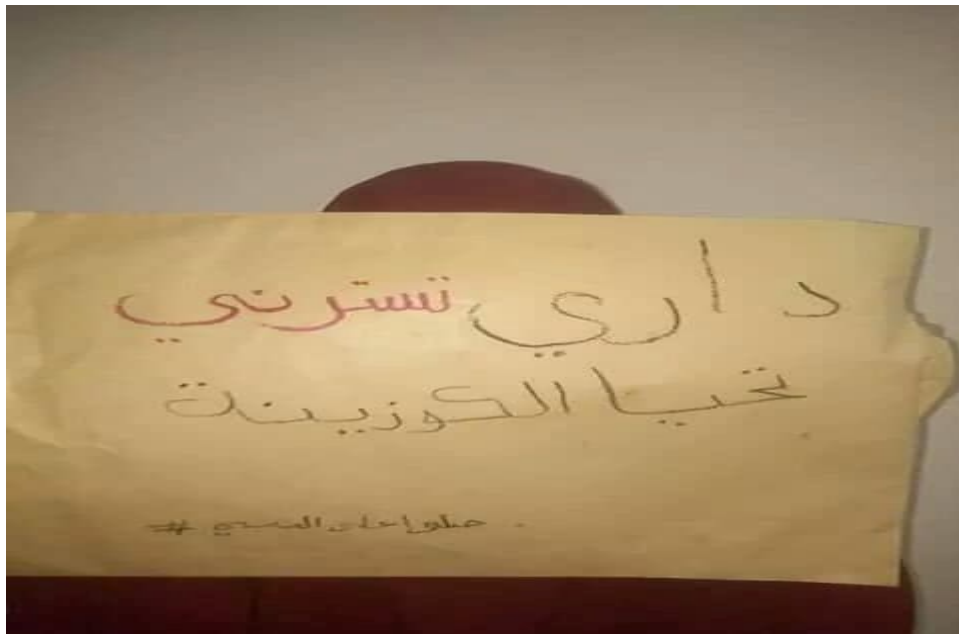
صور هذه حول حملة على وسائل التواصل الاجتماعي (2018) ووجهت ضد فتاة خرجت لممارسة الرياضة على شاطئ البحر صابلات مستغانيم، فكانت الردود توضح الادوار الجنديرية المختزنة لدى الاناث وتعنيف انثوي انثوي. (انثويات وليست انثوية)

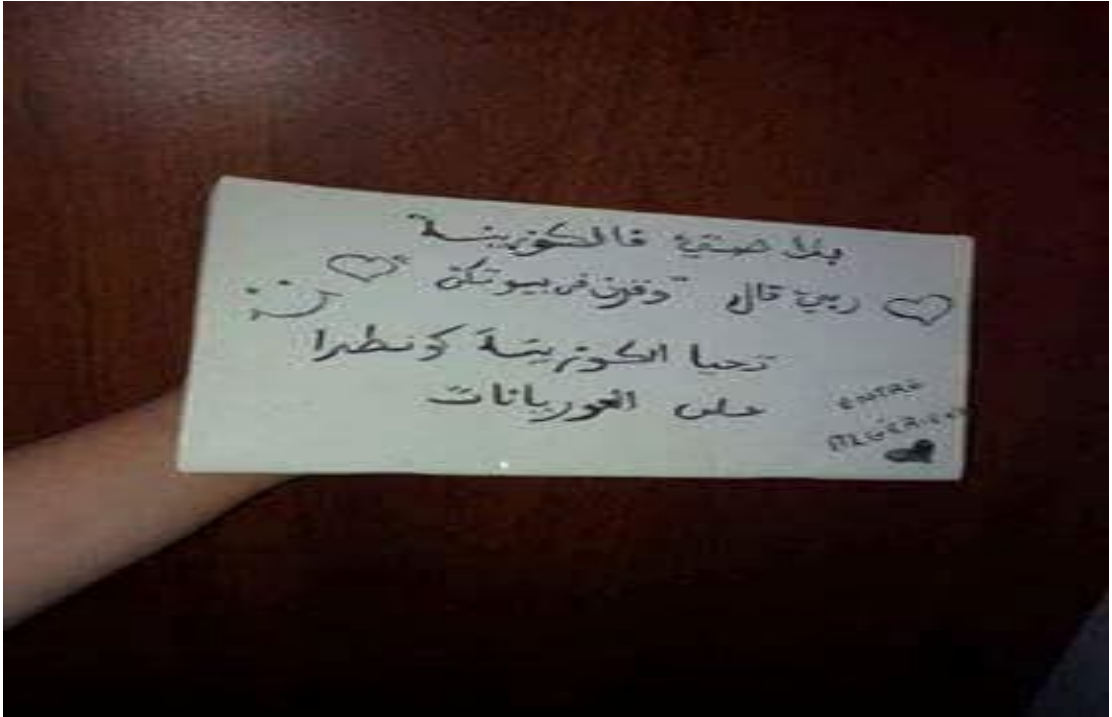




353

51 commentaires





وكان الرد والجدال الذي يوضح اننا نحو تراكيب اثنويات متنوعة ومختلفة وليست على تركيبة واحدة:



قصة طالبة اللجوء السعودية الى كندا وطلبت الحماية من ابها واخوها والمجتمع الذي تسكن فيه لما وصلت الى كندا احرقت الحجاب ونشرت صورة تعبر عن حرية ملكها لجسدها(الهجرة ومسالة الجندر في العمق).جسدي ملكي.



اه يا دنيا
هادو راهم في المظاهرات
م كي رخس
ورخسنا معاه
اقسم بالله ما نزيد نخرج في مظاهرة

هذه الصورة واخرى توضح ايضا النفور للجسم الحراكي من تعبيرات خارج القضية التغييرية والتي كانت تعبر في ذهن البعض عن الشذوذ والتخنت بالضبط شكلت هذه الحملة استنفارا في اوساط الحراك ان ذلك.



وفي ذات الوقت انتشرت رمزية الحايك والثورة في نسخة محدثة تعبر عن الجمال والاصالة ومساندة الثوار(الرجال) انذاك.



مخبزة توضح السلوكيات اليومية للباعة المنقسمة الأدوار بين الرجال والنساء ونلاحظ ان صاحب المحل اختار الرجال والنساء وليس مجرد انثى وذكر لما تحمله هذه الكلمات من الشهامة والحرمة في ذهنيته.

*

هذه الصور لمجزرة بمسجد نيوزلندا ضد المسلمين اخذت صدى دوليا وغيرت الكثير بالمجتمع النيوزيلندي. تحليل لرمزية العنف والتعصب والاقصاء.

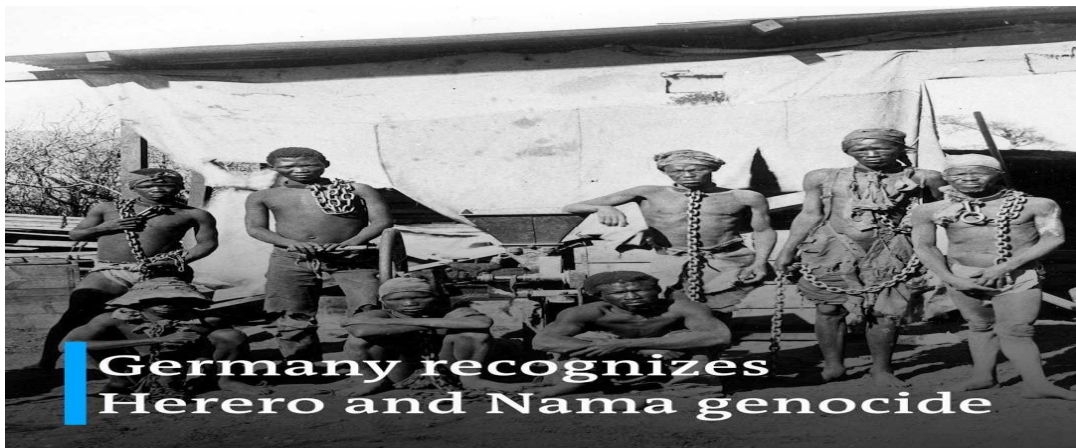


حوادث اخرى بامريكا حادثة السود I can't breathe



تعبير عن تحولات المجتمع الالمانى والاعتراف بجرائمه ضد الجرائم المرتكبة في ناميبيا .

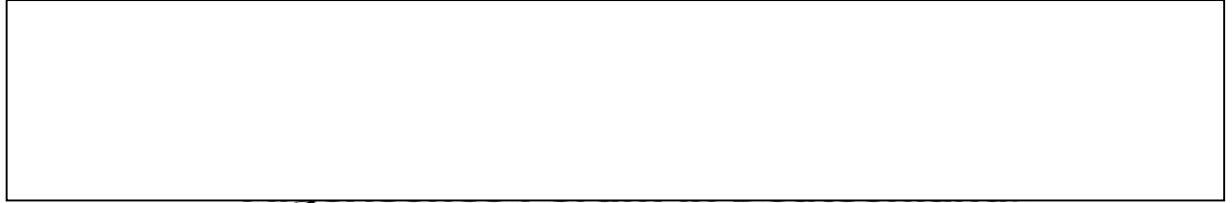
افريقيا



صور توضح حادثة حدثت في ألمانيا الزوجات يحملن رجالتهن على ظهورهن

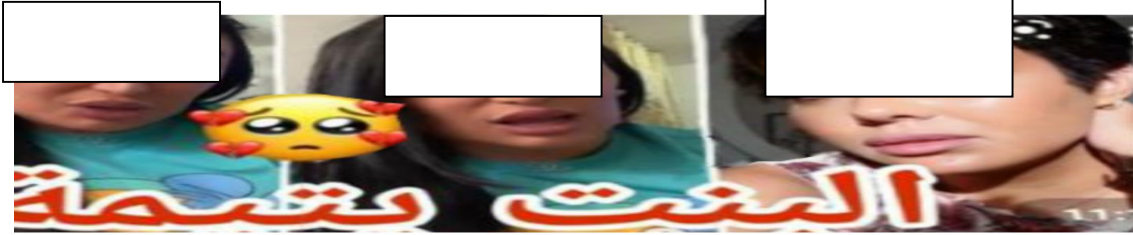


هي قلعة في مدينة ونسبورغ الألمانية ، تقع على نهر الموزيل في ولاية راينلند هدمها الفرنسيون في القرن 17 ، ثم اشتراها أحد التجار من برلين ويدعى "لويس جاك رافينيه" وأعاد بنائها خلال الأعوام 1868 - 1877 بذلك تعتبر قلعة ونسبورغ نموذجاً للقلاع المبنية على سجلتها ولاية راينلند في قائمة التراث الألماني وأصبحت من الآثار والمعالم السياحية الألمانية ، ويزورها مئات . الطراز الغوتيك الجديد الآلاف من السياح في كل عام 1140 احتل الملك كونراد الثالث قلعة ونسبورغ الألمانية ففاوضته الزوجات في القلعة المحاصرة على ،فقامت الزوجات بحمل .ظهورهن فوافق الملك على ذلك الإستسلام على أن يسمح لهن بالرحيل ويحملن معهن ما يستطعن حمله على أزواجهن فقط على أكتافهن والخروج. حاول رجال الملك منعهن قائلين أن ذلك لم يكن ما تم الإتفاق عليه إلا أن الملك ضحك وسمح لهن وأطلق على القلعة فيما بعد قلعة النساء الوفيات وما زالت موجودة حتى الآن.بذلك لذكاء حيلتهن وقال: على الملك دائما أن يلتزم بكلمته



2 j - 2

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته،نذولا عند طلب بعض الاخوة صاحبي المحتوى هنالك مبادرة و حملة تسمى ديزابوني التفاهة .شاركوا فيها لتوقيف نشر الدعارة



35

8 commentaires

J'aime

Commenter

Envoyer



Sam Taoues

صورة على اليمين هي للتيارية المقيمة بالسويد وعلى اليسار صورة لمتحول جنسي(الاسم ريكا،من ذكر الى انثى) مقيمة بايطاليا والاخر من وهران متحول جنسي من ذكر الى انثى فاتحة عيادة تجميل بتركيا وهي علاقة بالاثنين كصداقة وعمل.

اثارت هذه الصورة لدى الجالية ردود فعل معنفة لها بالذات كونها اختارته ليكون مساعدا لها بالخصوصيات التجميلية هي متزوجة ولها ابنتين حتى نهاية 2021 بداية 2022 تطلقت من زوجها السويدي وتحاول الانتقال الى دبي واخذ احدى الطفلتين تقول ان سبب طلاقها ان زوجها يغير من نجاحها واحبابها المشاهدين في الجزائر والمغرب والمشرق ولم يتحمل هذا الكم الهائل من المعجبين خاصة لما جاءت الى تيارت وقابلها متابعيها بترحاب غفير : قالت: الراجل ما يحبش المرأة والزوجة الناجحة مهما كان.



عنصرية الأزمات.. أشهر المذابح التي تجاهلها الغرب لأن ضحاياها ليسوا أوروبيين بشعر أشقر وعيون زرقاء

عنصرية الأزمات... كما حدث في بلونيا رفض مساعدة العرب والسود والاولوية للاكرانيين لغة ولونا وجنسية في الهجوم الروسي على اوكرانيا
فيفري -2022

مخطط احصائي للدراسات الجندرية في علاقتها بالهجرة منذ 1993-2003

Annexe 1 : L'approche genre dans les principales revues sur la migration

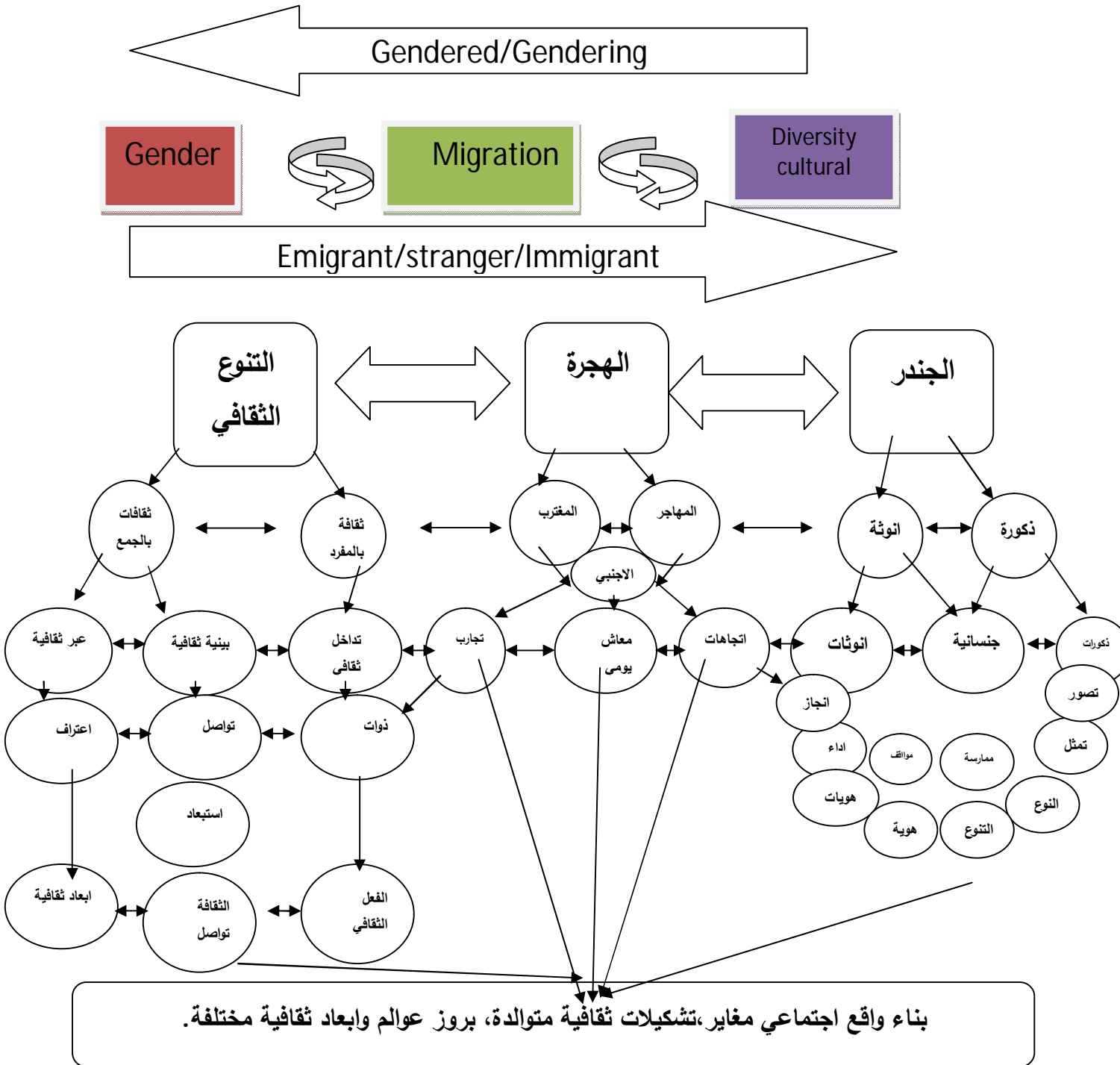
TABLE 1
TOTAL NUMBER OF ARTICLES AND NUMBER OF GENDER^a AND MIGRATION TAGGED ARTICLES IN *AJS*, *ASR*, *DEMOGRAPHY*, *SOCIAL FORCES* AND *IMR* (% OF ARTICLES WITH GENDER OR MIGRATION MENTIONED)

Year	<i>AJS</i>			<i>ASR</i>			<i>Demography</i>			<i>Social Forces</i>			<i>IMR</i> ^b	
	Total	Gender	Migration	Total	Gender	Migration	Total	Gender	Migration	Total	Gender	Migration	Total	Gender
1993	32	0 (0.0)	0 (0.0)	49	4 (8.2)	0 (0.0)	43	4 (9.3)	2 (4.7)	44	1 (2.3)	2 (4.6)	28	1 (3.6)
1994	38	2 (5.3)	1 (2.6)	39	26 (66.7)	1 (2.6)	33	2 (6.1)	5 (15.2)	55	33 (60.0)	2 (3.6)	32	5 (15.6)
1995	32	2 (6.3)	0 (0.0)	46 ^c	28 (60.9)	1 (2.2)	36	5 (13.9)	4 (11.1)	61	29 (47.5)	2 (3.3)	37	1 (2.7)
1996	38	4 (10.5)	0 (0.0)	54	30 (55.6)	2 (3.7)	36	16 (44.4)	6 (16.7)	52	31 (59.6)	3 (5.8)	29	2 (6.9)
1997	38	3 (7.9)	1 (2.6)	47	41 (87.2)	2 (4.3)	38	18 (47.4)	6 (15.8)	51	38 (74.5)	3 (5.9)	38	1 (2.6)
1998	35	7 (20.0)	1 (2.9)	56	35 (62.5)	4 (7.1)	31	25 (80.7)	3 (9.7)	50	38 (70.4)	3 (6.0)	34	3 (8.8)
1999	35	14 (40.0)	2 (5.9)	42	27 (64.3)	4 (9.5)	42	17 (40.5)	7 (16.7)	54	29 (53.7)	3 (5.6)	35	3 (8.6)
2000	33	16 (48.5)	0 (0.0)	42 ^d	28 (66.7)	2 (4.8)	41	17 (41.5)	4 (9.8)	49	21 (51.2)	5 (10.2)	35	0 (0)
2001	37	24 (64.9)	1 (2.7)	39	31 (79.5)	2 (5.1)	42	26 (61.9)	11 (26.2)	50	19 (38.0)	3 (6.0)	39	2 (5.1)
2002	26	16 (61.5)	1 (3.9)	39	23 (59.0)	4 (10.3)	40	22 (55.0)	3 (7.5)	42	28 (66.7)	4 (9.5)	36	2 (5.6)
2003	27	17 (63.0)	1 (3.7)	32	23 (71.9)	0 (0.0)	28	25 (89.3)	5 (17.9)	51	41 (80.4)	4 (7.8)	35	2 (5.7)
Total	371	105 (28.3)	8 (2.2)	485	296 (61.0)	22 (4.5)	410	177 (43.2)	56 (13.7)	559	308 (55.1)	34 (6.1)	378	22 (5.8)
Avg.	33.7	9.6	0.72	44.1	26.9	2	37.3	16.1	5.1	50.8	28	3.1	34.4	2

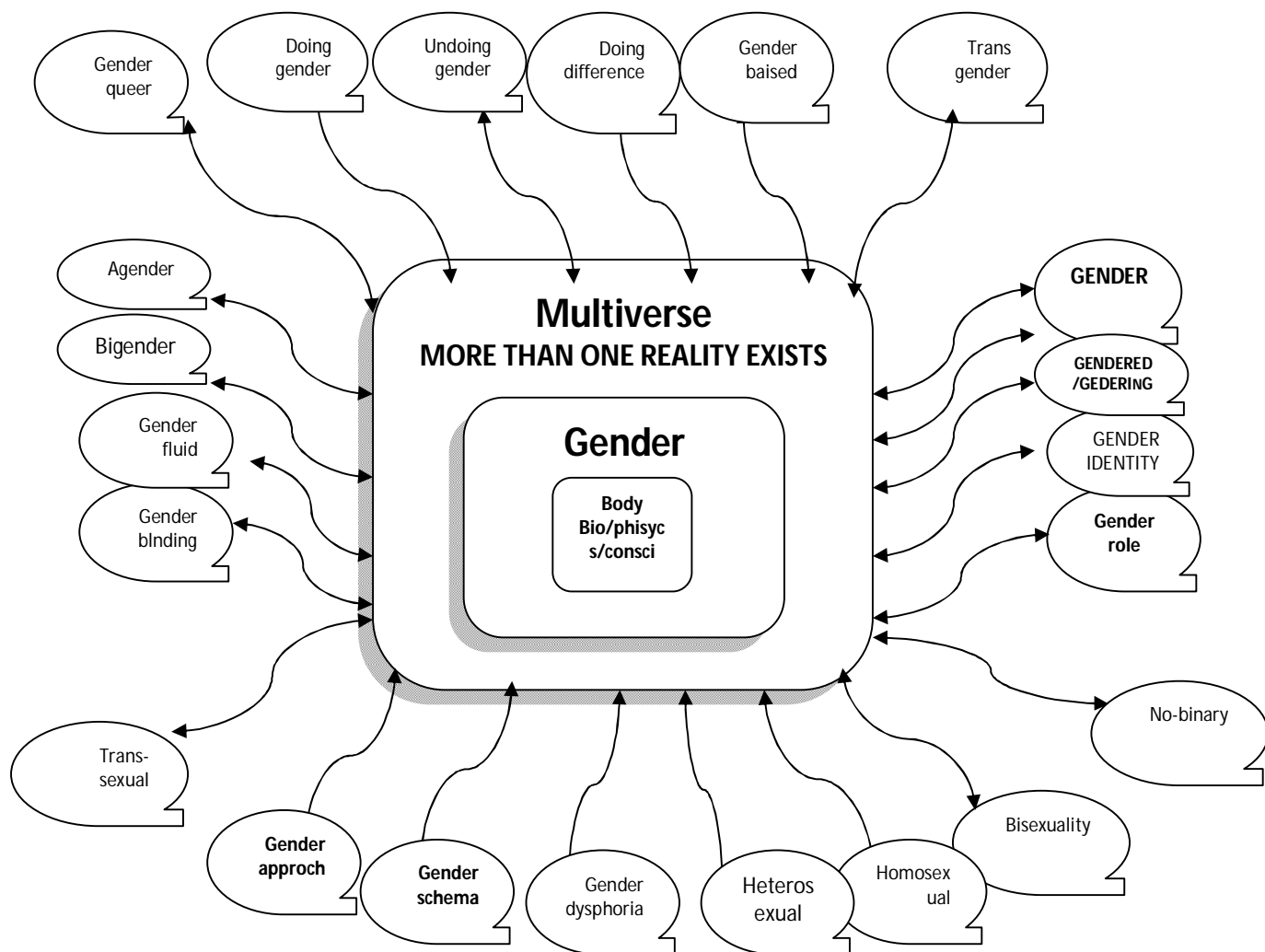
Notes: ^aWe used the Proquest database to search each journal for the term "gender" in the title or abstract of the article and did not include any book reviews.
^bWe used JSTOR to search *IMR* not including documentation, documentation notes, book reviews, review essays, commentaries, rejoinders, or conference reports or introduction/ conclusions to special issues, as well as reflections on migration after 9/11 (2002, vol. 1).
^cSeveral issues during this year had exchanges or debates. Exchanges were counted as one when there was a substantial analysis.
^dWe did not count the special, millennium issue.

Source: Curran *et al.*, 2006: 206

المخطط الاشكالي للدراسة (من رسم الباحث):



المخطط الجندي للبحث من عند الطالب:



GENDER	الجنس	Gender queer	حرالهوية الجنديرة	Gender schema	سكيميا الجنس - نظرية	Body الوعي بالجسد consciousness
GENDERED/GEDERING	جنسرة، التجنس	Doing gender	فعل الجنس (التاكيد)	Gender dysphoria	غير راض على جنسره	
GENDER IDENTITY	الهوية الجنديرة	Undoing gender	اللافعال الجندي	Heterosexual	جنس مغاير	
Gender role	ادوار الجنس	Doing difference	ممارسة الفروق	Homosexual	مثلي الجنس	
Agender	معدوم الهوية الجنديرة	Gender biased	تغطية غير منحاظ للجنس	Bisexuality	ثنائي الجنس	
Bigender	ثنائية الجنس	Trans gender	تحول/عبور جندي	No-binary	غير منتم للثنائية	
Gender fluid	مرن الهوية الجنديرة	Trans-sexual	عبور جنسي	Body/BIO	الجسم البيولوجي	
Gender blinding	مزج جندي	Gender approach	مقاربة جنديرة	Body/physic	الجسد الفيزيقي	

أقدم بهذا الدليل الذي بين أيديكم لأجل إتمام مذكرة دكتوراه بخصوص بحث معنون ب: **الجنـدر ما بين**

الهجرة والتنوع الثقافي ، دراسة سوسيو - انثروبولوجية بمنطقة تيارت -مقدم من طرف مؤسسة الجامعة التي انتمي إليها جامعة محمد بن احمد وهران 2 كلية العلوم الاجتماعية- قسم علم الاجتماع كما أعلمكم ان مساعدتكم لنا جد قيمة لإتمام هذا البحث ونجاحه وان المعلومات المقدمة فقط في لأجل خدمة الدراسة الأكاديمية.

بطاقة المبحوث:

❖ **الجنـدر: ذكر/أنثى / اخرى**

❖ **السن:.....**

❖ **الحالة العائلية: اعزب/متزوج/مطلق/ارمل**

❖ **المستوى الدراسي: ابتدائي/متوسط/ثانوي/جامعي/تكوين مهني**

❖ **الحالة المهنية: عاطل/موظف متعاقد/ موظف مثبت/خاص**

❖ **سنة الهجرة:.....**

❖ **سنة العودة:.....**

1) التفكير بالهجرة:

1-1 ما الذي تمثله لك الهجرة ؟

1-2 أي بلد تفضل (ي)ه للهجرة ؟

1-3 ما الأسباب التي دفعتك (ي)لتهاجر (ي) ؟

2) وضعية المهاجر قبلا:

1-2 هل كنت عاطلا(ة) عن العمل وقت الهجرة؟

2-2 صداقاتك العامة متنوعة من كلى الجنسين ومن كل الاطياف والشرائح؟

3) -تكوين جماعات المهاجر ب(المجتمع الأصل)

1-3- ما الذي تعرفه عن شباب تيارت المهاجرين؟

2-3- هل تلقيت اي مساعدة منهم للهجرة؟

3-3- هناك نساء ايضا رغبين في الهجرة والاستقرار ما رايك؟

4)تكوين عائلة المهاجر (بنية وادوار الذكورة والأنوثة):

1-4 ايهما تفضل (ين)الزواج باجنبي(ات) او الزواج باولاد/بنات البلاد؟

2-4 يوجد مهاجرين جزائريين تقبلوا "حرية التصرف العمل السهر العلاقات..." لزوجاتهم الاجنبيات في المهجر. مارايك؟

3-4 الزواج الابيض باجنبيات - هو حل من حلول الاقامة والتجنس - هل ترى في هذا نقصا في الرجولة؟

4-4 الجزائريات في المهجر قد يساعدن احد عبر الزواج الابيض. مارايك؟

5-4 كثيرة هي القوانين الشخصية والاسرية في المانيا التي لا تتوافق ومبادئنا وقيمنا. اخبرنا عنها؟

6-4 - خروج المرأة(زوجتك) بالليل للعمل او حفلة .ماذا يمثل لك هذا؟ خاصة وان ألمانيا بلد الحريات وهذا حق يكفله القانون؟

7-4 تربية الأبناء أمر صعب بالمهجر اخبرنا عن اهم ما صادفك في هذا الموضوع؟

5) تكوين جماعات المهاجر بالمجتمع المستقبل (الحساسية البين ثقافية.التنوع.النوع):

1-5 المجتمع الألماني فيه كثير من الجنسيات من.أفارقة سود.عرب مسلمين مسيحيين.يهود.لاديينيين.كيف تتصور المعيش معهم؟.

2-5 -مراكز اللجوء والمبيت وكراء الشقق أحيانا تكون مختلطة من الجنسين وكثير من الأجناس الأخرى ما رأيك في الإقامة بها ؟.

3-5 - كونك مسلم(ة) مهاجر(ة) هل اثر هذا عليك بشكل من العنصرية.التمييز.العنف؟.

4-5 في الشارع كثيرة هي مظاهر الحرية الجنسية هل تعرضت لهذا المشهد وماذا كانت ردت فعلك؟.

6) العودة من المهجر (حمولة الرموز الثقافية.الثنائية والازدواجية.تفاعل استعراض):

1-6 العودة من المهجر كيف كانت؟

2-6 - ماهي سلبيات وايجابيات المجتمع الالمانى؟

3-6 حدثنا عن رحلة تعلم اللغة وعقلية المجتمع الالمانى؟

4-6 ما رأيك في ان تلحق بك اسرتك بالمهجر؟

5-6 ما هي نظرة مجتمعنا الجزائري للانسان المهاجر العائد بصفة نهائية؟

دليل الملاحظة

مخطط ملاحظة التنوع الثقافي:

الموضوعات وقيم التنوع	حيز التنوع	مصادر التنوع الثقافي الجهوية.العروش القابائلي.العربي. الميزابي.الترقي المهاجر الصيبي.الافريقي.	اشكال التفاعل والتداخل	اشكال الاقصاء
التعاون والتضامن	لماذا؟ وكيف؟	كيف يتم؟ ياي طريقة؟	كيف يتم؟ ياي طريقة؟ لماذا؟.	/
الاختلاف والتعدد	هل يوجد؟ هل ينعدم؟ لماذا؟ وكيف؟	الراي؟وضعية معينة من الخطاب اليومي.موقف.مناسبة.البسة.	كيف يتم؟ ياي طريقة؟ لماذا؟.	/.
الاعتراف (بالاخر)	هل يوجد؟ هل ينعدم؟ لماذا؟ وكيف؟	هل يميز بين المجالين في الاعتراف؟ كيف؟ ولماذا؟ واذا لا: فكيف ولماذا؟.	كيف يتم؟ ياي طريقة؟ لماذا؟.	/
العنف لفظي جسدي	لماذا؟ وكيف؟ وما هي سبله؟	ما هو هذا العنف؟ لماذا؟ ما الفاظه؟ حركاته؟ ممارساته؟	كيف يتم؟ باي طريقة؟ لماذا؟.	/
البناء الاجتماعي للعلاقات	كيف يتم؟ وهل يدوم؟ وكيف ينفصل؟	كيف يتم؟ ياي طريقة؟ لماذا؟.	كيف يتم؟ ياي طريقة؟ لماذا؟.	كيف يتم؟ باي طريقة؟ لماذا؟.

جدول المبحوثين بالمقابلة:

الرقم	الجنس	العمر	المستوى	الوظيفة	مقيم بالمهجر	ملاحظة/مرشح للهجرة/فترة الهجرة
01	ذكر	50	ابتدائي	لايعمل	اقامة فرندة/النمسا/المانيا	هاجر الى النمسا ثم المانيا
02	ذكر	54	ابتدائي	عامل حر	فرندة/المانيا/اسبانيا	هاجر الى المانيا ثم اسبانيا
03	ذكر	34	متوسط	عامل حر	واد ليلي/المانيا	هاجر الى المانيا
04	ذكر	42	ثانوي	موظف	تيارت	هاجر لفترة عام 1998/1999
05	ذكر	33	طالب جامعي	عامل حر	تيارت	هاجر 2015/2016
07	ذكر	37	متوسط	عامل حر	تيارت	هاجر من 2005/2006
08	ذكر	34	ابتدائي	عامل حر	تيارت	2007/2009
09	ذكر	40	ثانوي	عامل حر	داحموني/تيارت/المانيا	2009/2011
10	ذكر	29	ابتدائي	عامل حر	عين بوشقيف/تيارت	2014فرنسا ثم المانيا حراق
11	ذكر	47	ثانوي	موظف	تيارت	2002/1998.المانيا
12	ذكر	37	جامعي	موظف	فرندة /المانيا	2012 الى يومنا
13	ذكر	48	ابتدائي	عامل مهني	فرندة/ المانيا / اسبانيا/	2008.
14	ذكر	31	جامعي	عامل حر	فرندة/اسبانيا/المانيا	2016-2017مرشح للهجرة ايضا
15	ذكر	43	ثانوي	عامل مهني	فرندة/تيارت	هاجر 2014 الى المانيا
16	ذكر	29	ثانوي	عامل حر	واد ليلي/ تيارت/المانيا	2009 الى يومنا
17	ذكر	48	جامعي	متقاعد جيش	فرندة/تيارت	مرشح للهجرة المانيا
18	ذكر	37	ثانوي	عامل حر	فرندة/تيارت	مرشح للهجرة
19	ذكر	29	جامعي	عامل حر	السوقر/تيارت	مرشح للهجرة المانيا
20	ذكر	52	جامعي	استاذ المانية متقاعد	فرندة/تيارت	مرشح للهجرة المانيا
21	ذكر	32	ابتدائي	عامل حر	قرية ببيان مصباح/تيارت	هاجر الى فرنسا ثم المانيا
22	انثى	31	ثانوي	ماكثة بالبيت	فرندة/تيارت	مرشحة للهجرة المانيا
23	انثى	27	جامعي	طالبة جامعية	فرندة/تيارت	مرشحة للهجرة المانيا

Abstract

The problem with research is to answer the following questions: Do gender roles change after migration? , What are the strategies and tactics between "here" and "there" in a dense cultural diversity? , The research focused on the relationship between gender variability and migration, cultural diversity with migration and the relationship with Gender and cultural diversity in the migratory space Through daily behaviours, roles, achievements and performance, imagined and practiced, arranged and stereotyped, based on multiple sociological theories such as: the symbolic interaction of Ervin Goffman, ethnomethodology: for Harold Garfinkel, the phenomenology of Alfred Schutz, the structural structure of Antonio Giddens, and the Anthropology of Edward T. Hall (proximity), James Clifford, George Marcuse (writing culture), using the analytical descriptive method and multi-technical approaches such as: qualitative interview 23 (for both sexes), direct observation, Cultural Diversity Measurement by Hofstede for Qualitative Analysis, as well as the Questionnaire for (63) SPSS Statistics, as the Five-Point Likert Scales and the Spearman Quantitative Analysis Scale. The results concluded that both sexes of migrants during the period 1990-2000 (Algeria to Germany) were more resistant to change, especially the construction of a family by the migrant, with culturally different races, and their attempt to maintain an image of male and patriarchal domination, and migrants over the period (2000-2020) have shown flexibility and sensitivity to change, whether as individuals, Groups or families, contributing to this diverse cultural sphere diaspora and individual subjectivity to live in a Ensure sustainability, guarantee their social and psychological needs , The gender system (both communities) has become subject to changes in norms and values, Highlighting male and female divisions - (males, females) -, outside the dominant position phallus. For the benefit of relationships and goals, both seek to secure their very existence, before the interests of the dominant social system, their social actions and behaviours are more designed, including a stereotyped or preconceived tradition, For the purposes of a unique and oriented gender identity, society is finally imagined and shaped by daily performances and achievements, with intense social diversity.

Keywords: Gender, Body, Migration, Cultural diversity, Performance, Achievement, Creole.

Résumé

Le problème avec la recherche est de répondre aux questions suivantes : Les rôles de genre changent-ils après l'acte de migration?, Quelles sont les stratégies et les tactiques entre "ici" et "là" dans une diversité culturelle dense?, La recherche a ciblé la relation entre la variabilité des sexes et la migration, la diversité culturelle avec la migration et la relation avec le genre et la diversité culturelle dans l'espace migratoire Par des comportements, des rôles, des réalisations et des performances quotidiennes, imaginés et pratiqués, arrangés et stéréotypés, basés sur de multiples théories sociologiques telles que : l'interaction symbolique d'Ervin Goffman, l'ethnométhodologie : pour Harold Garfinkel, la phénoménologie d'Alfred Schutz, la structure structurelle d'Antonio Giddens ,et l'Anthropologie d'Edward T. Hall (proximité), James Clifford, George Marcuse (la créature culturelle), en utilisant la méthode descriptif analytique et des approches multi-techniques telles que : entretien qualitative 23 (pour les deux sexes), observation directe, mesure de la diversité culturelle par Hofstede pour l'analyse qualitative, ainsi que le Questionnaire pour (63) p. statistique SPSS, que les échelles de Likert à cinq points et l'Échelle d'analyse quantitative de Spearman. Les résultats ont conclu que les deux sexes des migrants pendant la période 1990-2000 (De l'Algérie à l'Allemagne) étaient plus résistants au changement, en particulier la construction d'une famille par le migrant, avec des races culturellement différentes, et leur tentative de maintenir une image de domination masculine et patriarcale, et les migrants au cours de la période (2000-2020) ont fait preuve de souplesse et de sensibilité au changement, que ce soit en tant qu'individus, groupes ou familles, contribuant à cette sphère culturelle diversifiée diaspora et de subjectivité individuelle pour vivre dans un Assurer la pérennité, garantir leurs besoins sociaux et psychologiques, Le système de genre (les deux communautés) est devenu sujet à des changements dans les normes et les valeurs Mettre en évidence les divisions masculines et féminines - (hommes, femmes) -, en dehors de la position dominante phallus. Pour le bénéfice des relations et des objectifs, les deux cherchent à assurer leur existence même, avant les intérêts du système social dominant, leurs actions et leurs comportements sociaux sont davantage conçus, y compris une tradition stéréotypée ou préconçue, aux fins d'une identité de genre d'origine unique et orientée, la société est finalement imaginée et façonnée par les performances et les réalisations quotidiennes, avec une diversité sociale intense.

Mots-clés : Genre social, le Corps, Migration, Diversité culturelle, Performance, Réalisation, Créolisation.

المستخلص:

تتلخص إشكالية البحث في الإجابة على الأسئلة الآتية: هل تتغير الأدوار الجندرية لدى الجنسين بعد فعل الهجرة؟، وماهي الاستراتيجيات والتكتيكات بين "هنا" و"هناك" في ظل تنوع ثقافي كثيف؟، وقد استهدف البحث العلاقة بين: متغير الجنس والهجرة، والتنوع الثقافي بالهجرة، وعلاقة الجندر بالتنوع الثقافي في فضاء الهجرة، من خلال السلوكيات والأدوار والمنجزات والأداء اليومي، المتخيلة والممارسة، المرتبة والمنمطة، مستندين على نظريات سوسولوجية متعددة مثل: التفاعلية الرمزية لإرفنج غوفمان، والاثنوميثولوجية: لهارولد غارفينكل، والفينومينولوجية لألفريد شوتز، والهيكلية لأنطونيو غيننز، والاثنوبولوجية لإدوارد تي هول (البروكسيمكس)، وجيمس كليفورد، جورج ماركيز (الكتابة الثقافية)، بإستخدام المنهج الوصفي التحليلي ومقاربة متعددة التقنيات مثل: المقابلة النوعية 23 (لكلا الجنسين)، والملاحظة المباشرة، ومقياس هوفستيد للتنوع الثقافي للتحليل النوعي، بالإضافة إلى الاستمارة لـ (63) بالحزمة الإحصائية spss، ومقياس ليكرت الخماسي، ومقياس سبيرمان للتحليل الكمي، خلصت النتائج إلى: أن كلا الجنسين المهاجرين خلال فترة (1990-2000) (من الجزائر إلى -ألمانيا) أكثر مقاومة للتغيير، بالأخص بناء أسرة بالمهجر، مع أجناس مختلفة ثقافيا، ومحاولتهم في الحفاظ على صورة الهيمنة الذكورية والأبوية، أما المهاجرين خلال فترة (2000-2020)، فقد أظهروا مرونة وقابلية للتغيير، سواء كأفراد أو جماعات أو أسر، ساهم في ذلك المجال الثقافي المتنوع بالمهجر، والنزوع الذاتي الفردي لعيش الحياة بأسلوب ذاتي، يضمن حاجاتهم الاجتماعية والنفسية، فأصبحت المنظومة الجندرية - (للمجتمعين) - تتعرض لتحويلات على مستوى المعايير والقيم، مبرزة انقسامات ذكورية وانثوية - (ذكورات، نواتات) -، خارج المركز الفالوسي المهيمن. لصالح علاقات وأهداف يسعى كلاهما لتأمين وجوده كذات، قبل مصلحة المنظومة المهيمنة اجتماعيا، فأفعالهم وسلوكياتهم الاجتماعية أكثر محاكاة، منها تقليد نمطي أو توقع مسبق، لأجل هوية جندرية أحادية المنشأ والتوجه، يكون المجتمع في الأخير متخيلا ومشكلا من الأداء والانجاز اليومي، لنوات اجتماعية كثيفة التنوع والاختلاف.

الكلمات المفتاحية: الجندر، الجسد، الهجرة، التنوع الثقافي، الأداء، الانجاز، الكريولية.